

الكامل في التاريخ

تأليف

المؤرخ عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد
أبي عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني
المعروف بابن الأثير
(٥٥٥ - ٦٣٠ هـ)

حققه واعتنى به

الدكتور عمر عبد السلام تدمري
أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية
عضو الهيئة العربية العليا لإعادة كتابة تاريخ الامة
في اتحاد المؤرّخين العرب

الجزء الأول
تاريخ الرسل والأنبياء

الناشر
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

الكامل في التاريخ

ISBN: 978-9953-27-014-2

الناشر

دار الكتاب العربي

شارع فردان، بناية بنك بيبلوس،
الطابق الثامن، ص. ب. 11-5769
بيروت 1107 2200 لبنان

DAR AL KITAB AL ARABI

Verdun St., Byblos Bank Bldg.,
8th, floor, P.O. Box 11-5769
Beirut 1107 2200 Lebanon

Tel (+961 1) 800811 - 862905 - 861178 هاتف
Fax (+961 1) 805478 فاكس

بريد إلكتروني daralkitab@idm.net.lb
academia@dm.net.lb

www.kitabalarabi.com
www.academiainternational.com



الكامل
في التاريخ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله القديمِ فلا أوّل لوجوده، الدائمِ الكريمِ فلا آخر لبقائه ولا نهاية لجوده، الملكِ حقاً فلا تُدرك العقولُ حقيقةَ كُنْهه[1]، القادرِ فكلّ ما في العالم من أثرِ قُدْرَته، المقَدَّسِ فلا تقرب الحوادث[2] حماه، المنزَّهِ عن التغيير[3] فلا ينجو منه سواه، مُصَرِّفِ[4] الخلائق بين رَفْعٍ وخَفضٍ، وبَسْطٍ وقَبْض، وإبرام ونقض، وإماتةٍ وإحياء، وإيجادٍ وإفناء، وإسعادٍ وإضلال، وإعزازٍ وإذلال، يؤتي المُلْكَ مَنْ يشاء، وينزعه ممّن يشاء، ويُعزّ مَنْ يشاء، ويُذلّ مَن يشاء، بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير[5]، مبيد القرون السالفة، والأمم الخالفة، لم يمنعهم منه ما اتخذوه معقلاً وحِرْزاً فـ ﴿**هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً**﴾[6]، بتقديره النفع والضرّ، و ﴿**لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ، تَبارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ**﴾[7].

أحمدُهُ على مَا أَوْلى من نِعَمه، وأجزل للناس[8] من قسمه، وأصلّي على رسوله محمدٍ سيدِ العرب والعجم، المبعوث إلى جميع الأمم، وعلى آله وأصحابه أعلام الهدى ومصابيح الظُّلَم. صلّى الله عليه وعليهم وسلّم.

أمّا بعد، فإنّي لم أزل محبّاً لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها، مؤثراً للإطّلاع على الجليّ من حوادثها وخافيها، مائلاً إلى المعارف والآداب والتجارب المودَعَة في مطاويها، فلمّا تأمّلتُها رأيتُها متباينةً في تحصيل الغَرَض، يكاد جوهرُ المعرفة بها يستحيل

---

(١) في نسخة كلية تايلور (مملكته). وسأرمز إليها بحرف (ت). وفي نسخة راولنسن (حقائق المملكة) وسأرمز إليها بحرف (ر).

(٢) في مخطوطة برلين (الخواطر). وسأرمز إليها بحرف (ب).

(٣) في (ر) التغير.

(٤) في (ت) متصرف.

(٥) اقتباس من آل عمران/٢٦.

(٦) مريم/٩٨.

(٧) الأعراف/٥٤.

(٨) في ت وب (لنا) وفي ر (وأجزل له).

إلى العَرَض، فمن بين مُطَوِّلٍ قد استقصى الطُرُقَ والروايات، ومُخْتَصِرٍ قد أخلّ بكثيرٍ ممّا هو آت، ومع ذلك فقد ترك كلُّهم العظيم من الحادثات، والمشهور من الكائنات. وسوّد كثيرٌ منهم الأوراقَ بصغائر الأمور التي الإعراضُ عنها أولى، وتركُ تسطيرها أحرى، كقولهم خلع فلان الذمّي صاحب[1] العيار، وزاد رطلاً في الأسعار، وأُكرم فلان؛ وأُهين فلان، وقد أرّخ كُلٌّ منهم إلى زمانه وجاء بعده مَنْ ذَيَّلَ عليه، وأضاف المتجدّدات بعد[2] تاريخه إليه. والشرقيّ منهم قد أخلّ بذكر أخبارِ الغرب[3]، والغربيّ قد أهمل أحوال الشرق؛ فكان الطالبُ إذا أراد أن يُطالع تاريخاً متَّصلاً إلى وقته يحتاج إلى مجلَّدات كثيرة وكتبٍ متعدّدة[4] مع ما فيها من الإخلال والإملال.

فلمّا رأيتُ الأمر كذلك شرعتُ في تأليف تاريخٍ جامعٍ لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما، ليكون تذكرةً لي أراجعُه خوفَ النسيان، وآتي فيه بالحوادث والكائنات من أوّل الزمان، متتابعةً يتلو بعضها بعضاً إلى وقتنا هذا.

ولا أقولُ إني أتيتُ على جميع الحوادث المتعلّقة بالتاريخ، فإنّ مَنْ هو بالموصل[5] لا بدّ أن يشذّ عنه ما هو بأقصى[6] الشرق والغرب، ولكن أقول إنني قد جمعتُ في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد، ومَنْ تأمّله علم صحّة ذلك.

فابتدأتُ بالتاريخ الكبير الذي صنّفه الإمام أبو جعفر الطبريُّ[7] إذ هو الكتابُ المعوَّلُ عند الكافة عليه، والمرجوعُ عند الاختلاف إليه، فأخذتُ ما فيه من جميع

---

(١) في ر (خلع على فلان الذي كان صاحب).

(٢) في الأصل «بعض».

(٣) في ر (أحوال الغرب).

(٤) في الأصل «عديدة».

(٥) بلد المؤلّف.

(٦) في ر (ما يتجدّد بأقصى).

(٧) هو المؤرّخ المشهور محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ. وكتابه هو: «تاريخ الرسل والملوك»، حقّقه «محمد أبو الفضل إبراهيم» ونشرته دار المعارف بمصر في ١٠ مجلّدات.
أنظر ترجمة الطبري في: الفهرست لابن النديم ١/٢٣٤، تاريخ بغداد للخطيب ٢/١٦٢، معجم الأدباء ١٨/٤٠، المنتظم لابن الجوزي ٦/١٧٠، تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/٧٨ رقم ٨، إنباه الرواة للقفطي ٣/٨٩، اللباب لابن الأثير ٢/٨١، وفيات الأعيان لابن خلّكان ٤/١٩١ رقم ٥٧٠، تذكرة الحفّاظ للذهبي ٢/٢٥١، ميزان الاعتدال ٣/٤٩٨، دول الإسلام ١/١٨٧، العبر ٢/١٤٦، طبقات الشافعية للسبكي ٢/١٣٥، البداية والنهاية لابن كثير ١١/١٤٥، الوافي بالوفيات للصفدي ٢/٢٨٤ رقم ٧٢٠، لسان الميزان لابن حجر ٥/١٠٠، غاية النهاية لابن الجزري ٢/١٠٦، الوفيات لابن قنفذ ٢٠٣، شذرات الذهب ٢/٢٦٠، طبقات المفسّرين للداودي ٢/١٠٦ رقم ٤٦٨، طبقات الفقهاء للشيرازي ٧٦، معرفة القراء الكبار ١/٢١٣، طبقات المفسّرين للسيوطي ٣٠، مرآة الجنان لليافعي ٢/٢٦١، المقفّى للمقريزي =

تراجمه، لم أخلّ[1] بترجمة واحدة منها، وقد ذكر هو في أكثر الحوادث روايات ذوات عددٍ، كلّ رواية منها مثلُ التي قبلها أو أقلّ منها، وربّما زاد الشيءَ اليسير أو نقصه[2]، فقصدتُ أتمّ الروايات فنقلتُها وأضفتُ إليها من غيرها ما ليس فيها، وأودعتُ كلّ شيء مكانه، فجاء جميعُ ما في تلك الحادثة على اختلاف طرقها سياقاً واحداً على ما تراه.

فلمّا فرغتُ منه أخذتُ غيره من التواريخ المشهورة فطالعتُها وأضفتُ منها إلى ما نقلته من تاريخ الطبري ما ليس فيه، ووضعتُ كلّ شيء منها موضعه، إلّا ما يتعلّق بما جرى بين أصحاب[3] رسول الله ﷺ، فإني لم أضف إلى ما نقله أبو جعفر شيئاً، إلّا ما فيه زيادةُ بيانٍ، أو اسم إنسان، أو ما لا يُطعن[4] على أحد منهم في نقله، وإنّما اعتمدتُ عليه من بين المؤرخين إذ هو الإمام المتقنُ حقّاً، الجامعُ علماً وصحّة اعتقاد[5] وصدقاً.

على أني لم أنقل إلّا من التواريخ المذكورة، والكتب المشهورة، ممّن يُعلم بصدقهم فيما نقلوه، وصحّة ما دوّنوه، ولم أكن كالخابط[6] في ظلماءِ الليالي، ولا كمن يجمع الحصباء واللآلي[7].

ورأيتهم أيضاً يذكرون الحادثة الواحدة في سنين، ويذكرون منها في كلّ شهر أشياء، فتأتي الحادثةُ[8] مقطّعة لا يُحصلُ منها على غرض، ولا تُفهم إلّا بعد إمعان النظر. فجمعتُ أنا الحادثة في موضع واحد وذكرتُ كلّ شيء منها في أيّ شهر أو سنة كانت، فأتت متناسقة متتابعة، قد أخذ بعضُها برقاب بعض.

وذكرتُ في كلّ سنةٍ لكلّ حادثة كبيرة مشهورة ترجمةً تخصّها. فأمّا الحوادثُ

= ١٨٢/١، روضات الجنّات للخوانساري ١٦٣، فهرسة ابن خير، النجوم الزاهرة ٢٠٥/٣، مفتاح السعادة لطاشكبري زاده ٢٠٥/١ و٤١٥، تنقيح المقال للمامقاني ٩٠/٢، كشف الظنون ٣٣ و٤٢ و٢٩٧ و٤٣٧ و٥١٤ و٥٧٦ و١٠٤٦ و١٤٢٩ و١٤٤٩، إيضاح المكنون ٣١٨/٢ و٣٥٢، هدية العارفين ٢٦/٢، كنوز الأجداد لمحمد كرد علي ١١٧ ـ ١٢٣، تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٥٠٦/١، الأعلام للزركلي ٢٩٤/٦، معجم المؤلّفين لكحّالة ١٤٧/٩، تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ٥١٨/١ رقم ٣٢ وانظر مقدّمة محمد أبو الفضل إبراهيم في المجلّد الأول الذي حقّقه من تاريخه ١٩٦٠، وستأتي ترجمته في هذا الكتاب في موضعها.

(١) في ت، ب (أخذ).
(٢) في الأصل و (ر) بعضه.
(٣) في ر (من أصحاب).
(٤) في ت، ب (طعن) وفي ر (مطعن).
(٥) في الأصل (اعتقاداً).
(٦) في الأصل و (ر): كالحاطب.
(٧) في (ر): بجمع من بين الحصباء واللآلي.
(٨) في (ر) الحادثة الواحدة.

الصغار التي لا يحتمل منها كلّ شيء ترجمة فإنّني أفردتُ لجميعها ترجمةً واحدةً في آخر كلّ سنة[1]، فأقول: ذِكْر عدة حوادث. وإذا ذكرتُ بعض من نَبَغَ ومَلَكَ قُطراً من البلاد ولم تطل أيّامه فإني أذكر جميع حاله من أوّله إلى آخره، عند ابتداء أمره، لأنّه إذا تفرق خبره لم يُعرف للجهل به.

وذكرتُ في آخر كلّ سنةٍ مَنْ توفّي فيها من مشهوري العلماء والأعيان والفُضلاء. وضبطت الأسماء المشتبهة المؤتلفة في الخط المختلفة في اللّفظ الواردة فيه بالحروف ضبطاً يزيل الإشكال، ويُغني عن الإنقاط[2] والأشكال[3].

فلمّا جمعتُ أكثره أعرضتُ عنه مدّةً طويلة لحوادث تجددت، وقواطع توالت وتعدّدت، ولأن معرفتي بهذا النوع كملت وتمت.

ثمّ إن نفراً من إخواني، وذوي المعارف والفضائل من خُلّاني، ممّن أرى محادثتهم نهاية أوطاري، وأعدّهم من أماثل مُجالسيَّ[4] وسُمّاري، رغبوا إليّ في أن يسمعوه مني، ليرووه[5] عني؛ فاعتذرت بالإعراض عنه وعدم الفراغ منه، فإنّني لم أعاود مطالعة مسوّدته ولم أصلح ما أصلح[6] فيها من غلط وسهو، ولا أسقطتُ منها ما يحتاج إلى إسقاط ومحو. وطالت المراجعة مدّةً وهم للطلب ملازمون، وعن الإعراض مُعرضون، وشرعوا في سماعه قبل إتمامه وإصلاحه، وإثبات ما تمسّ الحاجة إليه وحذف ما لابدّ من اطّراحه، والعزمُ على إتمامه فاترٌ، والعجز ظاهر[7]، للاشتغال بما لا بدّ منه، لعدم المُعينِ والمُظاهر؛ ولهموم توالت، ونوائبَ تتابعتْ، فأنا ملازمُ الإهمال والتواني، فلا أقول: إني لأسير إليه سير الشواني[8].

فبينما الأمر كذلك إذ برز أمرُ مَنْ طاعتُه فرضٌ واجب، واتّباع أمره حكمٌ لازب، مَنْ

---

(١) في الأصل (كبيرة).

(٢) في الأصل (الإيقاظ).

(٣) إضافة من نسختي: ت و ب.

(٤) في ب (جلسائي).

(٥) في ر (لينقلوه).

(٦) إضافة من نسختي: ب، ر.

(٧) العبارة في الأصل مضطربة «والعزم على إتمامه فاتر والعجز ظاهر».

(٨) في الأصل «التواني»، والشواني: جمع شونة، أوشيني. وهي أقدم أنواع السفن. قال الزبيدي في التاج: الشونة: المركب المُعَدّ للجهاد في البحر. وجاء في المستدرك: الشين المركب الطويل. وقد ظلّ اسم شيني متداولاً في الملاحة حتى أيّام الدولة العثمانية. (البحرية في مصر الاسلامية للدكتورة سعاد ماهر - ص ٣٥٢، ٣٥٣ رقم ٨٧ - طبعة دار الكاتب العربي بمصر) ووردت في النسخة (ر): الواني.

أعلاقُ الفضل بإقباله عليها[١] نافقة، وأرواح الجهل بإعراضه عنها نافقة[٢]؛ مَنْ أحيا المكارمَ وكانت أمواتاً، وأعادها خَلْقاً جديداً بعد أن كانت رُفاتاً؛ مَنْ عَمّ رعيّتَه عدلُه ونوالُه، وشملهم إحسانُه وإفضالُه؛ مولانا مالك الملك الرحيم، العالم المؤيَّد، المنصور، المظفر بدر الدين[٣]، ركن الإسلام والمسلمين، محيي العدل في العالمين، خلّد الله دولته.

فحينئذ ألقيت عني جلباب المهل، وأبطلت[٤] رداء الكسل، وألَقْتُ الدواة وأصلحتُ القلم، وقلت: هذا أوانُ الشدّ فاشتدّي زِيَم، وجعلت الفراغ أهمّ مطلب، وإذا أراد الله أمراً هيّأ له السبب، وشرعتُ في إتمامه مسابقاً، ومن العجب أن السكّيتَ يرومُ أن يجيء سابقاً، ونصبتُ نفسي غَرَضاً[٥] للسهام، وجعلتُها مظنّة لأقوال اللّوام، لأنَّ المآخذ إذا كانت تتطرّق إلى التصنيف المهذَّب، والاستدراكات تتعلّق بالمجموع المرتَّب، الذي تكرّرتْ مطالعتُه وتنقيحه، وأُجيد تأليفه وتصحيحُه، فهي بغيره أَوْلَى، وبه أحرى، على أنّي مُقرّ بالتقصير، فلا أقول إنّ الغلط سهوٌ جرى به القلم، بل أعترف بأن ما أجهل أكثر ممّا أعلم.

وقد سمّيتُه اسماً يُناسبُ معناه، وهو: **الكامل في التاريخ**.

ولقد رأيتُ جماعة ممّن يدّعي المعرفة والدراية، ويظنّ بنفسه التبحّر في العلم والرواية، يحتقر التواريخ ويزدريها، ويُعرضُ عنها ويلغيها، ظنّاً منه أنّ غاية[٦] فائدتها إنّما هو القصَصُ والأخبار، ونهايةَ معرفتها الأحاديث والأسمار، وهذه حالُ مَن اقتصَرَ على القشر دون اللبّ نظرهُ، وأصبح مخشلباً[٧] جوهره، ومن رزقه الله طبعاً سليماً، وهداه صراطاً مستقيماً، علم أنّ فوائدها كثيرة، ومنافعها الدنيويّة والأخرويّة جمّة غزيرة، وها نحن نذكر شيئاً ممّا ظهر لنا فيها، ونكلُ إلى قريحة الناظر فيه معرفة باقيها.

فأمّا فوائدها الدنيويّة فمنها: أنّ الإنسان لا يخفى[٨] أنّه يحبّ البقاء، ويؤثرُ أن يكون

---

(١) في الأصل «عليه».
(٢) في ب (نافغة) وهو تحريف.
(٣) هو: بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله الأتابكي، الملقّب بالملك الرحيم، صاحب الموصل. توفي سنة ٦٥٧ هـ. (أنظر ترجمته ومصادرها في: الأعلام للزركلي ٦/١١١).
(٤) في الأصل ونسخة ر (أمطت).
(٥) في الأصل «عرضاً».
(٦) في الأصل «انه غاية».
(٧) المخشلب: خرز يُتّخَذُ منه حُليّ، واحدته مخشلبة. (المخصّص لابن سيده).
(٨) في الأصل ونسخة ر (لإخفاء به).

في زمرة الأحياء، فيا ليت شِعري! أيّ فرق بين ما رآه أمس أو سمعه، وبين ما قرأه في الكتب المتضمّنة أخبار الماضين وحوادث المتقدّمين؟ فإذا طالعها فكأنّه عاصرهم، وإذا علمها فكأنّه حاضَرَهم.

ومنها: أن الملوك ومَنْ إليهم الأمرُ والنّهْيُ إذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدوَّنةً في الكتب يتناقلها الناس، فيرويها خلفٌ عن سلف، ونَظروا إلى ما أعقبت من سوء الذِكر، وقبيح الأحدوثة، وخراب البلاد[1]، وهلاك العباد، وذهاب الأموال، وفساد الأحوال، استقبحوها، وأعرضوا عنها واطَّرحوها. وإذا رأوا سيرة الوُلاة العادلين وحسنها، وما يتبعهم من الذِكْر الجميل بعد ذهابهم، وأنّ بلادهم وممالكهم عمرت، وأموالها دَرّت، استحسنوا ذلك ورغبوا فيه، وثابروا عليه وتركوا ما يُنافيه، هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة[2] التي دفعوا بها مَضرّات الأعداء، وخلصوا بها من المهالك، واستصانوا[3] نفائس المدن وعظيم الممالك. ولو لم يكن فيها غير هذا لكفى به فخراً.

ومنها ما يحصلُ للإنسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير إليه عواقبها، فإنّه لا يحدث أمر إلّا قد تقدّم هو أو نظيره، فيزدادُ بذلك عقلاً، ويُصبح لأن يُقتدى به أهلاً. ولقد أحسن القائل حيث يقول شعراً:

رأيتُ العقلَ عقلين ... فمطبوعٌ[4] ومسموعُ
فلا ينفعُ مسموعٌ ... إذا لم يكُ مَطبوعُ
كما لا تنفعُ الشَّمسُ ... وضوءُ العينِ ممنوعُ[5]

يعني بالمطبوع العقل الغريزيِ الذي خلقه الله تعالى للإنسان، وبالمسموع ما يزداد به العقل الغريزي من التجربة، وجعله عقلاً ثانياً توسّعاً وتعظيماً له، وإلّا فهو زيادة في عقله الأوّل.

ومنها ما يتجمّلُ به الإنسانُ في المجالس والمحافل من ذكر شيءٍ من معارفها، ونقل طريفة من طرائفها، فترى الأسماع مصغيةً إليه، والوجوه مقبلةً عليه، والقلوب متأمّلةً ما يورده ويصدره، مستحسنةً ما يذكره.

---

(١) في النسخة (ر) خراب الديار.
(٢) في النسخة (ر) الصافية.
(٣) في الأصل و (ر) استضافوا.
(٤) في النسخة (ر): العقل عقلان مطبوع.
(٥) عن الأصل ونسخة (ر).

وأمّا الفوائد الأخرويّة فمنها أن العاقل اللبيب إذا تفكّر فيها، ورأى تقلّب الدنيا بأهلها، وتَتَابُعَ نكباتها إلى أعيان قاطنيها، وأنّها سلبت نفوسَهم وذخائرهم، وأعدمتْ أصاغرهم وأكابرهم، فلم تُبْقِ على جليل ولا حقير، ولم يسلم من نكدِها غنيّ ولا فقير، زهد فيها وأعرض عنها، وأقبل على التزوّد للآخرة منها، ورغب في دار تنزّهتْ عن هذه الخصائص، وسلم أهلُها من هذه النقائص، ولعلّ قائلاً يقول: ما نرى ناظراً فيها زهد في الدنيا، وأقبل على الآخرة ورغب في درجاتها العليا، فيا ليت شعري! كم رأى هذا القائل قارئاً[1] للقرآن العزيز، وهو سيّد المواعظ وأفصح الكلام، يطلب به اليسير من هذا الحطام؟ فإنّ القلوب مولعة بحبّ العاجل.

ومنها التخلّق بالصبر والتأسّي وهما من محاسنِ الأخلاق. فإنّ العاقل إذا رأى أنّ مصاب[2] الدنيا لم يَسْلم منه نبي مكرَّم، ولا ملك معظَّم، بل ولا أحدٌ من البشر، علم أنّه يصيبه ما أصابهم، وينوبه ما نابهم. شعراً:

وهل أنا إلاّ من غَزِيّة إنْ غوَتْ ... غويتُ وإنْ تَرْشُدْ غزيّةُ أرشُدِ

ولهذه الحكمة وردت القِصَصُ في القرآن المجيد ﴿**إنّ في ذَلِكَ لَذِكرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾[3]. فإن ظنّ هذا القائل أن الله سبحانه أراد بذكرها الحكايات والأسمار فقد تمسّك من أقوال الزيغ[4] بمحكم سببها حيث قالوا: هذه أساطير الأوّلين اكتتبها.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا قلباً عَقولاً ولساناً صادقاً، ويوفّقنا للسَّداد في القول والعمل، وهو حسبُنا ونِعم الوكيل.

---

(١) في نسخة (ر): من قارىء.
(٢) في الأصل ونسخة (ر): شر.
(٣) سورة قٓ /٣٧.
(٤) في نسخة (ر) أقوال أهل الزيغ.

ذكر الوقت الذي ابتُدِىء فيه بعمل التاريخ في الاسلام

قيل: لما قدِم رسول الله ﷺ، المدينةَ أمر بعمل التاريخ[١]. والصحيحُ المشهورُ أنّ عمر بن الخطاب أمر بوضع التاريخ.

وسبب ذلك أنّ أبا موسى الأشعريّ كتب إلى عمر: إنّه[٢] يأتينا منك كتبٌ ليس لها تاريخ. فجمع عمر الناس للمشورة، فقال بعضهم: أرِّخْ لمبعث النبيّ، ﷺ. وقال بعضهم: لمهاجرة رسول الله ﷺ. فقال عمر: بل نؤرّخ لمهاجرة رسول الله ﷺ، فإنّ مهاجرته فَرْقٌ بين الحقّ والباطل؛ قاله الشعبيّ[٣].

وقال ميمون بن مهران: رُفع إلى عمر صكٌّ محِلُّه شعبان فقال: أيّ شعبان؟ أشعبان الذي هو آتٍ[٤] أم شعبان الذي نحن فيه؟ ثمّ قال لأصحاب رسول الله ﷺ: ضعوا للناس شيئاً يعرفونه. فقال بعضهم: اكتبوا على تاريخ الروم فإنّهم يؤرّخون من عهد ذي القرنين. فقال: هذا يطول. فقال[٥]: اكتبوا على تاريخ الفرس. فقيل: إنّ الفرس كلّما قام[٦] ملك طرح تاريخ مَنْ كان قبله. فاجتمع[٧] رأيُهم على أن ينظروا كم أقام رسول الله ﷺ

---

(١) رواه الحاكم في الإكليل من طريق ابن جُريج، عن أبي سَلَمَة، عن ابن شهاب الزُهري أن رسول الله ﷺ لما قدِم المدينة أمر بالتاريخ فكتب في ربيع الأول. وهذا مُعْضل. (أنظر الإعلان بالتوبيخ للسخاوي. نشره فرانتز روزنتال في: علم التأريخ عند المسلمين - ترجمة د. صالح أحمد العلي - طبعة المثنى ببغداد ١٩٦٣ م - ص ٥٠٧).

(٢) في نسخة (ر) عنه أنه.

(٣) هو عامر بن شراحيل علّامة عصره، وُلد سنة ٢١ ومات سنة ٤٢ هـ. أنظر مصادر ترجمته في كتابنا: الفوائد العوالي المؤرّخة، للتنوخي بتخريج الصوري - ص ٩١ حاشية (١) - طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار الإيمان بطرابلس ١٩٨٥ م.

والخبر في: الإعلان بالتوبيخ للسخاوي - في المرجع السابق - ص ٥٠٨، ٥٠٩.

(٤) في الأصل: أشعبان هو آتٍ.

(٥) في النسختين: ب، ر، إضافة: «بعضهم».

(٦) في الأصل «أقام».

(٧) في نسخة (ر) فأجمع.

بالمدينة، فوجدوه عشر سنين، فكتبوا[١] التاريخ من هجرة رسول الله ﷺ[٢].

وقال محمد بن سيرين: قام رجل إلى عمر فقال: أرّخوا. فقال عمر: ما أرّخوا؟ فقال: شيء تفعله الأعاجم في شهر كذا من سنة كذا. فقال عمر: حَسَنٌ، فأرّخوا. فاتفقوا على الهجرة ثمّ قالوا: من أي الشهور؟ فقالوا: من رمضان[٣]، ثمّ قالوا: فالمحرّم هو منصرف الناس من حجّهم وهو شهرٌ حرام. فأجمعوا عليه[٤].

وقال سعيد بن المسيّب: جمع عمرُ الناس فقال: من أيّ يوم نكتب التاريخ؟ فقال عليّ: من مهاجرة[٥] رسول الله ﷺ، وفراقه أرض الشرك. ففعله عمر[٦].

وقال عمرو بن دينار: أوّل من أرّخ يَعْلَى بن أميّة وهو باليمن[٧].

وأمّا قبل الإسلام فقد كان[٨] بنو إبراهيم يؤرّخون من نار إبراهيم إلى بُنيان البيت حين بناه إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام، ثمّ أرّخ بنو إسماعيل من بنيان البيت حتى تفرّقوا، فكان كلّما خرج قومٌ من تهامة أرّخوا بمخرجهم، ومن بقي بتهامة من بني إسماعيل يؤرّخون من خروج سعد ونَهْد وجُهَيْنة بني زيد[٩] من تِهامة حتى مات كعب بن لُؤَيّ وأرّخوا من موته إلى الفيل، ثمّ كان التاريخ من الفيل حتى أرّخ عمر بن الخطّاب من الهجرة، وذلك سنة سبع عشرة أو ثماني عشرة[١٠].

---

(١) في النسختين: ت، ر (فكتب).

(٢) أنظر: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ لابن الجوزي ـ تحقيق د. زينب إبراهيم قاروط ـ ص ٦٠ ـ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٠ م.

(٣) في النسخة (ر): فقالوا: أرمضان.

(٤) أنظر: الإعلان بالتوبيخ ـ المرجع السابق ـ ص ٥١٠، ١١١.

(٥) في النسخة (ب): فقالوا على مهاجر.

(٦) مناقب عمر لابن الجوزي ـ ص ٦٠، الإعلان بالتوبيخ ـ ص ٥١٠.

(٧) أخرجه الحاكم في: المستدرك على الصحيحين ٣/٤٢٤ قال رَوْح بن عُبادة، عن زكريا بن إسحاق، عن عمرو بن دينار، قال: كان أوّل من أرّخ الكتب يعلى بن أميّة وهو باليمن، فإنّ النبيّ ﷺ قدِم المدينة في شهر ربيع الأول، وإن الناس أرّخوا لأوّل السنة، وإنّما أرّخ الناس لمقدم النبيّ ﷺ. وانظر: سير أعلام النبلاء ٣/١٠١، قال السخاوي في الإعلان بالتوبيخ ـ ص ٥٠٩: أخرجه أحمد بسند صحيح لكن فيه انقطاع بين عمرو بن دينار ويعلى.

(٨) في الأصل «فقد كانوا».

(٩) في النسخة (ر) «بن زيد».

(١٠) قال ابن سعد: أول من كتب التاريخ في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة، فكتبه من هجرة النبي ﷺ. (الطبقات الكبرى ٣/٢٨١).

وقد كان كلّ طائفة من العرب تؤرّخ بالحادثات المشهورة[1] فيها، ولم يكن لهم تاريخ يجمعهم، فمن ذلك[2] قول بعضهم:

ها أنا ذا آمل الخلودَ وقَدْ   أدركَ عقلي مولدي[3] حجرًا

وقال الجَعْدِيّ[4]:

فمَن يكُ سائلاً عنّي فإنّي   منَ الشبّانِ أيّامَ الخُنَانِ[5]

وقال آخر:

وما هي إلاّ في إزار وعلقة   بغارِ[6] ابن همّام على حيّ خثعما

وكلّ واحدٍ أرّخ[7] بحادثٍ مشهور عندهم، فلو كان لهم تاريخ[8] يجمعهم لم يختلفوا في التاريخ. والله أعلم.

---

(١) في النسخة (ر): «بالحادث المشهور».

(٢) في الأصل «في ذلك».

(٣) في النسخة (ر): هاندا أملي... ومولدي.

(٤) هو عبد الله بن قيس المعروف بالنابغة الجعدي، ويكنى أبا ليلى، وهو جاهليّ أتى رسول الله ﷺ وأنشده. وهو من المعمَّرين في الجاهلية والإسلام، وكان أسنّ من النابغة الذبياني. وقد قال البيت الآتي للدلالة على طول عمره.

ترجمته في: طبقات ابن سلام ١٠٣ ـ ١٠٩، الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٠٨/١ ـ ٢١٤ رقم ٢٧، الأغاني ١/٥ ـ ٣٤ وفيه اسمه على الصحيح «حِبّان بن قيس»، معجم الشعراء للمرزباني ٣٢١ كتاب المعمَّرين للسجستاني، رقم ٦٦، خزانة الأدب، للبغدادي ٥١٢/١، شرح شواهد المغني ٢٠٨، الموشّح ٦٤، الاستيعاب ٥٨١/٣ ـ ٥٩٣، أسد الغابة ١/٤ ـ ٤، الإصابة ٥٣٧/٣ ـ ٥٤٠ رقم ٨٦٣٩، وانظر ديوان شعره الذي جمعته ماريا نللينو.

(٥) في الأصل «الخشان»، وفي طبعة دار صادر عن نشرة المستشرق كارلوس يوهنس تورنبرغ ١٢/١ «الختان»، وهذا غلط، والصحيح ما أثبتناه (بالنون) وضمّ الخاء، على وزن: الغراب، والخُنان هو داء يأخذ الطير في حلوقها وفي العين وزكام للإبل، وزمن الخنان كان في عهد المنذر بن ماء السماء، قال الأصمعيّ: كان الخُنان داءً يأخذ الإبل في مناخرها وتموت منه، فصار ذلك تاريخاً لهم. أنظر: الأغاني ٥/٥، والشعر والشعراء ٢١٢/١ وفي هذا الأخير ورد البيت:

ومن يحرص على كِبَري فإنّي   من الشبّان أزمان الخُنَانِ

(٦) في نسخة (ر) معار.

(٧) في نسخة (ر) يؤرّخ.

(٨) في الأصل، ونسخة (ت) التاريخ.

القول في الزمان [1]

الزمانُ عبارة عن ساعات الليل والنهار، وقد يقال ذلك للطويل والقصير منهما. والعرب تقول: أتيتُك زمانَ الصِّرام؛ وزمان الصِّرام[2] يعنى به وقت الصِّرام. وكذلك: أتيتُك أزمانَ الحجّاج أمير. ويجمعون الزمان يريدون بذلك أنّ كلّ وقتٍ من أوقات إمارته زمنٌ من الأزمنة[3].

القول في جميع الزمان من أوّله إلى آخره[4]

اختلف الناس في ذلك فقال ابن عبّاس من رواية سعيد بن جُبير عنه: سبعة آلاف سنة.

وقال[5] وهب بن مُنَبّه: ستة آلاف سنة.

قال أبو جعفر: والصحيح من ذلك ما دلّ على صحّته الخبرُ الذي رواه ابن عمر عن النبيّ، ﷺ، أنّه قال: أجَلُكم في أجل مَنْ قبلكم، من صلاة العصر إلى مغرب الشمس[6].

وروى نحو هذا المعنى أنس وأبو سعيد إلاّ أنّهما قالا إنه قال: إلى غروب الشمس، وبدل صلاة العصر: بعد العصر[7].

وروى أبو هريرة عن النبيّ، ﷺ، أنّه قال: بُعثت أنا والساعةُ كَهَاتَين، وأشار بالسَّبَّابة[8] والوسطى[9].

---

(١) من هنا يبدأ النقل عن تاريخ الطبري باختصار. انظر ١/٩.
(٢) إضافة من نسختي: ب، ت.
(٣) في النسخة (ر): من أوقات أزمانه زمن من.
(٤) قارن بالطبري ١/١٠.
(٥) في الأصل ونسختي: ب، ر: «وقال كعب و».
(٦) الطبري ١/١١.
(٧) في الأصل وردت العبارة: «قالا: إنه عند غروب الشمس، بدل العصر بعد العصر». وانظر الطبري ١/١٢.
(٨) في النسخة (ر): وأشار إلى السبّابة.
(٩) أخرجه البخاري في الرقاق ٣٩ والطلاق ٢٥ وتفسير سورة النازعات، ومسلم في الجمعة ٤٣، والفتن ١٣٢ - =

وروى نحوه جابر بن سَمُرَة[1]، وأنس، وسهل بن سعد، وبُرَيْدَة، والمستورد بن شدّاد، وأشياخ من الأنصار كلّهم عن النبيّ، ﷺ.

وهذه أخبار صحيحة.

قال: وقد زعم اليهود أنّ جميع ما ثُبت عندهم على ما في التوراة من لَدُن خلق آدم إلى الهجرة أربعة الآف سنة وست مئة[2] واثنتان وأربعون سنة.

وقالت اليونانية من النصارى: إن من خلق آدم إلى الهجرة خمسة آلاف سنة وتسع مئة واثنتين وتسعين سنة وشهراً[3].

وزعم قائل أنّ اليهود إنّما نقصوا[4] من السنين دفعاً منهم لنبوّة عيسى، إذ كانت صفته ومبعثه في التوراة، وقالوا: لم يأتِ الوقتُ الذي في التوراة أنّ عيسى يكون فيه، فهم ينتظرون بزعمهم خروجه ووقته[5].

قال: وأحسب أنّ الذي ينتظرونه ويدّعون أنّ صفته في التوراة مُثبتة هو الدجّال[6].

وقالت المجوس: إنّ قدر مدّة الزمان من لدُن ملك جُيُومَرْث إلى وقت الهجرة ثلاثة آلاف ومائة وتسع وثلاثون سنة، وهم لا يذكرون مع ذلك شيئاً[7] يُعرف فوق جُيُومَرْث ويزعمون أنّه هو آدم.

وأهل الأخبار مختلفون فيه، فمن قائل مثل قول[8] المجوس، ومن قائل: إنّه يسمّى بآدم بعد أن ملك الأقاليم السبعة وإنّه حام[9] بن يافث بن نوح. وكان بارّاً بنوح، فدعا له ولذرّيته بطول العمر، والتمكين في البلاد، واتصال الملك، فاستُجيبَ له. فملك جُيُومَرْث وولده الفرسَ. ولم يزل الملك فيهم إلى أن دخل المسلمون المدائن وغلبوهم

= ١٣٥، وابن ماجة في المقدّمة ٧، والفتن ٢٥، والدارمي في الرقاق ٤٦، ومسند أحمد ٣/١٢٤ و ١٣٠ و ١٣١ و ١٩٣، و ٢٣٧ و ٢٧٥ و ٢٨٣ و ٣١٩ و ٤/٣٠٩ و ٥/٩٢ و ١٠٣ و ١٠٨.

(١) في نسخة (ر): سلمة، وهو غلط.

(٢) في الأصل: «أربعة آلاف سنة وثلاثمائة»، والتصحيح من النسخ الأخرى، وتاريخ الطبري ١٧/١.

(٣) في النسخة (ر): وأشهر.

(٤) في النسخة (ر): وزعم قائل هذا أن اليهود دائماً نقصوا.

(٥) الطبري ١٨/١.

(٦) في الأصل: ويدعون صفته في التوراة هو الدجال.

(٧) في تاريخ الطبري ١٨/١ «نسباً» بدل «شيئاً».

(٨) في النسخة (ت)، (ب): يقول.

(٩) في تاريخ الطبري ١٨/١ «جامر».

على ملكهم. ومن قائل غير ذلك؛ كذا قال أبو جعفر[1].

قلت: ثمّ ذكر أبو جعفر بعد هذا فصولاً تتضمّن الدلالة على حدوث الأزمان والأوقات[2]، وهل خَلَق الله قبل خلق الزمان شيئاً أم لا[3]؟ وعلى فناء العالم وأن لا يبقى إلّا الله تعالى[4]، وأنّه أحدث كلّ شيء[5]، واستدلّ على ذلك بأشياء يطول ذكرها ولا يليق ذلك بالتواريخ لا سيما المختصرات منه، فإنّه بعلم الأصول أَوْلى. وقد فرغ المتكلّمون منه في كتبهم فرأينا تركه أولى.

(بُرَيْدَة: بضم الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخره هاء)[6].

---

(١) الطبري ١/١٨، ١٩.

(٢) الطبري ١/٢٠.

(٣) الطبري١/٢٢.

(٤) الطبري ١/٢٧.

(٥) الطبري ١/٢٨.

(٦) ما بين القوسين ليس في الأصل، والاستدراك عن النسختين: ب، ت.

القول في ابتداء الخلق وما كان أوله[1]

صحّ في[2] الخبر عن رسول الله ﷺ، فيما رواه عنه عُبادة بن الصامت أنّه سمعه يقول: إنّ أوّل ما خلق الله تعالى القلم، وقال له: اكتب. فجرى في تلك الساعة بما هو كائن[3]. وروي نحو ذلك عن ابن عبّاس[4].

وقال محمد بن إسحاق: أوّل ما خلق الله تعالى النورَ والظُّلْمة، فجعل الظُّلْمة ليلاً أسود، وجعل النور نهاراً أبيض مضيئاً. والأوّل أصحّ للحديث، وابن إسحاق لم يُسند قولَه إلى أحد.

واعترض أبو جعفر على نفسه بما روى سفيان، عن أبي هاشم، عن مجاهد، عن ابن عبّاس أنّه قال: إنّ الله تعالى كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً، فكان أوّل ما خلق الله القلم، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة؛ وأجاب بأنّ هذا الحديث إنْ كان صحيحاً فقد رواه شُعْبَةُ أيضاً عن أبي هاشم ولم يقل فيه: إنّ الله كان على عرشه، بل روى[5] أنّه قال: أوّل ما خلق الله القلم[6].

---

(١) عن الطبري ١/٣٢.
(٢) عن الأصل ونسخة (ر).
(٣) رواه ابن أبي عاصم النبيل في السُّنّة ١/٤٨ ـ ٥٠، والأوائل ٢٥ رقم ١ و٢، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/٣١٧، وأبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٦)، وابن الأثير في جامع الأصول ٤/١٨، والخطيب التبريزي في المشكاة ٩٤، ومحاضرة الأوائل ٨، والسيوطي في الوسائل ٢، وأبو نعيم في الحلية ٨/١٨١. والديار بكري في تاريخ الخميس ١/١٩.
(٤) الطبري ١/٣٤.
(٥) بل، ليست في الأصل، والاستدراك عن النسخ الأخرى.
(٦) الطبري ١/٣٤، ٣٥.

القول فيما خُلِق بعد القلم[1]

ثمّ إنّ الله خلق، بعد القلم وبعد أن أمره فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، سحاباً رقيقاً، وهو الغمام الذي قال فيه النبيّ، ﷺ، وقد سأله أبو رَزين العقيلي: أين كان ربّنا قبل أن يخلق الخلق؟ فقال: في غمام ما تحته هواء وما فوقه هواء، ثمّ خلق عرشه على الماء. وهو الغمام الذي ذكره الله في قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ أنْ يَأتِيهُمُ اللهُ في ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ﴾[2].

قلتُ: هذا فيه نظر[3]، لأنّه قد تقدّم أنّ أوّل ما خَلَقَ الله تعالى القلم وقال له: اكتب. فجرى في تلك الساعة. ثمّ ذكر في أوّل هذا الفصل أنّ الله خلق بعد القلم وبعد أن جرى بما هو كائن سحاباً، ومن المعلوم أنّ الكتابة لا بدّ فيها من آلة يُكتبُ بها، وهو القلم، ومن شيء يُكتبُ فيه، وهو الذي يُعبَّر عنه ههنا باللوح المحفوظ. وكان ينبغي أن يذكر اللوح المحفوظ ثانياً للقلم، والله أعلم.

ويحتمل أن يكون ترك ذكره لأنّه معلوم من مفهوم اللفظ بطريق الملازمة.

ثمّ اختلف العلماءُ فيمن خَلَقَ الله بعد الغمام، فروى الضحّاك بن مُزاحم[4] عن ابن عبّاس: أوّلُ ما خلق الله العرشَ، فاستوى عليه.

وقال آخرون: خلق الله الماءَ قبل العرش، وخلق العرش فوضعه على الماء؛ وهو قول أبي صالح عن ابن عبّاس، وقول ابن مسعود، ووهب بن مُنَبّه[5].

وقد قيل: إنّ الذي خلق الله تعالى بعد القلم الكرسي، ثمّ العرش، ثمّ الهواء، ثمّ الظُّلمات، ثمّ الماء فوضع العرش عليه.

قال: وقول من قال: إنّ الماء خُلِقَ قبل العرش، أولى بالصواب لحديث أبي رَزين عن النبيّ، ﷺ، وقد قيل: إنّ الماء كان على مَتْنِ الريح حين خلق العرش؛ قاله سعيد بن جُبير عن ابن عبّاس، فإنْ كان كذلك فقد خُلقا قبل العرش.

وقال غيره: إنّ[6] الله خلق القلم قبل أن يخلق شيئاً بألف عام.

---

(١) الطبري ١/٣٧.

(٢) البقرة/٢١٠.

(٣) في الأصل «قلت فيه نظر».

(٤) في الأصل «فروى الضحاك عن ابن مزاحم»، والتصويب عن الطبري.

(٥) الطبري ١/٣٩.

(٦) في النسخة (ر): وقال ضمرة إن.
وأقول: إن ما ورد في النسخة المذكورة يتفق مع الطبري ١/٤١.

واختلفوا أيضاً في اليوم الذي ابتدأ الله تعالى فيه خلق السموات والأرض، فقال[1] عبد الله بن سلام، وكعب، والضحّاك، ومُجاهد: ابتداء الخلقِ يوم الأحد.

وقال محمد بن إسحاق: ابتداء الخلق يوم السبت. وكذلك قال أبو هريرة.

واختلفوا أيضاً فيما خَلَقَ كلّ يوم، فقال عبد الله بن سلام: إنّ الله تعالى بدأ الخلق[2] يوم الأحد، فخلق الأرضين يوم الأحد والاثنين، وخلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء، وخلق السموات يوم الخميس والجمعة، ففرغ آخر ساعة من الجمعة فخلق فيها آدم، عليه السلام، فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة[3].

ومثله قال ابن مسعود وابن عبّاس من رواية أبي صالح، عنه، إلّا أنّهما لم يذكرا خلق آدم ولا الساعة.

وقال ابن عبّاس من رواية عليّ بن أبي طلحة عنه: إنَّ الله تعالى خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها، ثمّ استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبعَ سموات، ثمّ دحا الأرض بعد ذلك، فذلك قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾[4] وهذا القول عندي هو الصواب.

وقال ابن عبّاس أيضاً، من رواية عِكْرِمة عنه: إنّ الله تعالى وضع البيت على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألفي عام، ثمّ دُحيت الأرض من تحت البيت[5].

ومثله قال ابن عمر[6].

وروى السُّدِّيُّ[7] عن أبي صالح، وعن أبي مالك عن ابن عبّاس، وعن مُرّة الهَمْداني، وعن ابن مسعود في قوله تعالي: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إلى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾[8]، قال: إنّ[9] الله عزّ وجلّ كان عرشه على الماء، ولم يخلق شيئاً ممّا خلق[10] قبل الماء. فلمّا أراد أن يخلق الخَلق أخرج من الماء

---

(١) في الأصل «وقال».
(٢) في الأصل «قبل».
(٣) الطبري ١/٤٧.
(٤) النازعات/٣٠.
(٥) الطبري ١/٤٩.
(٦) في الأصل «عمرو».
(٧) في الأصل «السري»، والتصويب من الطبري ١/٥٢.
(٨) البقرة/٢٩.
(٩) في النسخة (ر): قالا إن.
(١٠) في الأصل «شيئاً غير ما خلق». وهو يتفق مع لفظ الطبري ١/٥٢.

دُخاناً، فارتفع فوق الماء، فسما عليه، فسمَّاه سماءً، ثمّ أيبس الماء دُخاناً، فارتفع فوق الماء، فسما عليه، فسمَّاه سماءً، ثمّ أيبس الماء فجعله أرضاً واحدةً، ثمّ فَتَقَها فجعلها[1] سبع أرضين في يومين: يوم الأحد ويوم الاثنين. فخلق الأرض على حوت، والحوت النون الذي ذكره الله تعالى في القرآن في قوله: ﴿ن والقَلَمِ﴾[2]، والحوت في الماء، والماء على ظهر صَفَاة، والصفاة على ظهر مَلَك، والمَلَكُ على صخرة، والصخرة في[3] الريح، وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء ولا في الأرض، فتحرّك الحوت، فاضطربت وتزلزلت الأرض، فأرسى عليها الجبال فَقَرَّتْ. والجبال[4] تفخر على الأرض، فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا في الأرْضِ رَوَاسِيَ أنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾[5].

قال ابن عبّاس والضحّاك، ومجاهد، وكعب، وغيرهم: كل يوم من هذه الأيام الستة التي خلق الله فيها السماء والأرض كألف سنة[6].

قلتُ: أمّا ما ورد في هذه الأخبار من أنّ الله تعالى خلق الأرض في يوم كذا والسماء في يوم كذا، فإنّما هو مجاز، وإلّا فلم يكن ذلك الوقت أيام وليال، لأنّ الأيّام عبارة عمّا بين طلوع الشمس وغروبها، والليالي عبارة عمّا بين غروبها وطلوعها، ولم يكن في ذلك الوقت سماء ولا شمس. وإنّما المراد به أنّه خلق كلّ شيء بمقدار يوم، كقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وعَشِيّاً﴾[7] وليس في الجنّة بُكرة وعشيّ.

(سَلام: والدُ عبد الله، بتخفيف اللام).

القول في الليل والنهار أيّهما خُلق قبل صاحبه[8]

قد ذكرنا ما خلق الله تعالى من الأشياء قبل خلق الأوقات، وأنّ الأزمنة[9] والأوقات إنما هي[10] ساعاتُ الليل والنهار، وأنّ ذلك إنّما هو قطع الشمس والقمر درجات الفَلَك.

---

(١) في الأصل «فجعل».
(٢) أول سورة القلم.
(٣) هكذا في الأصل وغيره، وفي النسخة ب، والطبري «على».
(٤) في تاريخ الطبري «فالجبال».
(٥) الأنبياء/٣١.
(٦) الطبري ١/٥٦، ٥٧.
(٧) مريم/٦٢.
(٨) العنوان عن الطبري ١/٦١.
(٩) في الأصل «وبيان الأزمنة».
(١٠) في النسخة (ر): وبيان الأزمنة والأوقات إنما هو.

فلْنذكر الآن بأيّ ذلك كـان الابتداء، أبـالليل أم بـالنهار؟ فـإنّ العلماء اختلفـوا في ذلك، فإنّ بعضهم يقول: إنّ الليلَ خُلق قبل النهار؛ ويستدلّ على ذلك بأنّ النهار من نور الشمس فإذا غابت الشمس جاء الليل فبان بذلك أنّ النهار، وهو النور، وارد على الـظُلْمة التي هي الليل. وإذا لم يرد نـور الشمس كان الليـل ثابتـاً، فدَلّ ذلـك على أنَّ الليل هـو الأوّل؛ وهذا قول ابن عبّاس[1].

وقال آخرون: كان النهار قبل الليل. واستدلّوا بأنّ[2] الله تعالى كـان ولا شيءَ معه، ولا ليلَ ولا نهار، وأنّ نوره كان يضيءُ به كلّ شيء خلقه حتى خلق الليل[3].

قال ابن مسعود: إنّ ربكم ليس عنده ليلٌ ولا نهارٌ. نورُ السمواتِ من نور وجهه.

قال أبو جعفر[4]: والأوّل أولى بالصواب للعلّة المذكورة أوّلاً، ولقوله تعالى: ﴿**أأنْتُمْ أشَدُّ خَلْقاً أم ِ السَّماءُ بَناها، رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوّاهَا، وأغْطَشَ لَيْلَهَا وأخْرَجَ ضُحَاهَا**﴾[5] فبـدأ بالليل قبل النهار.

قال عبيد بن عمير[6] الحارثي[7]: كنتُ عند عليّ فسأله ابن الكَوّاء عن السـواد الذي في القمر فقال: ذلك آية محيت[8].

وقال ابن عبّاس مثله، وكذلك قال مُجاهد، وقَتَادة وغيـرهما، لـذلك خلقهمـا. الله تعالى، الشمس أنور من القمر.

قلت: وروى أبو جعفر ههنا حديثـاً طويـلاً [في][9] عدة أوراق عن ابن عبـاس، عن النبيّ، ﷺ، في خلق الشمس والقمر وسيرهما، فإنّهمـا على عجلتين، لكل عجلةٍ ثـلاث مئة وستّون عُرْوَة، يجرّها بعددهـا من الملائكـة، وإنّهما يسقـطان عن العجلتين فيغوصـان في بحـر بين السماء والأرض، فـذلك كسـوفهما، ثمّ إن المـلائكة يخـرجـونهمـا فـذلـك تجليتهما من الكسوف. وذكر الكواكبَ وسَيْرَها، وطلوعَ الشمس من مغربها. ثمّ ذكر مدينة

---

(١) الطبري ١/٦١.
(٢) في الأصل: بايات.
(٣) الطبري ١/٦٢.
(٤) الطبري ١/٦٢.
(٥) النازعات/٢٧ ـ ٢٩.
(٦) في النسختين ت، ب (عمير بن).
(٧) في النسخة (ر) الخارقي.
(٨) في نسختي: ت، ب (مجبت) وفي نسخة (ر) مجيب. وهو تصحيف.
(٩) إضافة على الأصل.

بالمغرب تسمى جابرس[1] وأخرى بالمشرق تسمّى جابَلْق[2] ولكلّ واحدة منهما عشرة آلاف باب، يحرس كلّ باب منها عشرة آلاف رجل، لا تعود الحراسة إليهم إلى يوم القيامة.

وذكر يأجوج ومأجوج ومنسك وثاريس[3]، إلى أشياء أُخر لا حاجة إلى ذكرها، فأعرضتُ عنها لمنافاتها العقول. ولو صحّ إسنادها لذكرناها وقلنا به، ولكن الحديث غير صحيح[4]، ومثل هذا الأمر العظيم لا يجوز أن يُسطر في الكتب بمثل هذا الإسناد الضعيف.

وإذ كنّا قد بيّنا مقدار مدّة ما بين أوّل ابتداء الله، عزّ وجلّ، في إنشاء ما أراد إنشاءه من خلقه إلى حين فراغه من إنشاء جميعه من سِنيّ الدنيا ومدّة أزمانها، وكان الغرض في كتابنا هذا ذِكر ما قد بيّنا أنّا ذاكروه من تاريخ الملوك الجبابرة، والعاصية ربّها والمطيعة ربّها، وأزمان الرسل والأنبياء، وكنّا قد أتينا على ذكر ما تصحّ به التأريخات وتُعرف به الأوقات وهو الشمس والقمر، فلنذكر[5] الآن أوّل من أعطاه الله تعالى مُلكاً وأنعم عليه فكفر نعمته وجَحَدَ ربوبيّته واستكبر، فسلبه الله نعمته وأخزاه وأذلّه، ثمّ نُتْبعه ذِكْر من استنّ سُنَّتَهُ واقتفى أثره وأحلّ الله به نعمته[6]، ونذكر مَنْ كان بإزائه أو بعده من الملوك المطيعة ربّها المحمودة آثارها ومن الرسل والأنبياء، إن شاء الله تعالى.

---

(١) في الأصل «جابرسا».

(٢) في الأصل «جابرقا» والتصويب من معجم البلدان ٢/٩١ حيث ضبطها بالباء الموحّدة المفتوحة، وسكون اللام. وقال انها بأقصى المغرب، وأهلها من ولد عاد، وأهل جابَرْس من ولد ثمود. ففي كل واحدة منهما بقايا ولد موسى.

(٣) نسختي: ت، ب (ناريس). وفي (ر) مسك وتاركس. والتصحيح عن الأصل، والطبري ١/٧٠.

(٤) أنظر الحديث بطوله عند الطبري ١/٦٥ ـ ٧٥.

(٥) في الأصل «فلنذكره».

(٦) في نسختي: ت، ب (اجتراء)، وفي الأصل ونسخة (ر): وأحلّ الله به نقمته وأخزاه.

قصة إبليس، لعنه الله، وابتداء أمره وإطغائه آدم، عليه السلام

فأوّلهم وإمامهم ورئيسهم[1] إبليس. وكان الله تعالى قد حَسَّنَ خلقَه وشرّفه وملّكه على سماء الدنيا والأرض فيما ذكر، وجعله مع ذلك خازناً من خُزّان الجنّة، فاستكبر على ربّه، وادّعى الربوبية، ودعا من كان تحت يده إلى عبادته[2]، فمسخه الله تعالى شيطاناً رجيماً، وشوّه خَلقه، وسلبه ما كان خَوّله، ولعنه وطرَدَه عن سمواته في العاجل، ثمّ جعل مسكنه ومسكن أتباعه في الآخرة نارَ جهنم، نعوذ بالله تعالى من نار جهنم ونعوذ بالله تعالى من غضبه ومن الحَوْر بعد الكَوْر[3].

ونبدأ بذِكر الأخبار عن السلف بما كان الله أعطاه من الكرامة وبادّعائه[4] ما لم يكن له، ونُتْبع ذلك بذِكْر أحداث في سلطانه وملكه إلى حين زوال ذلك عنه والسبب الذي به زال عنه[5]، إن شاء الله تعالى[6].

ذكر الأخبار بما كان لإبليس، لعنه الله، من الملك وذكر الأحداث في ملكه

رُوي عن ابن عبّاس، وابن مسعود أنّ إبليس كان له ملك سماء الدنيا، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجنّ. وإنّما سُمّوا الجِنّ لأنّهم خُزّان الجنّة. وكان إبليس مع

---

(١) في الأصل «وقايدهم»، وما أثبتناه عن بقية النسخ، والطبري ١/٧٩.
(٢) في النسخة (ت): طاعته.
(٣) ضبطه بضمّ الحاء والكاف في طبعة دار صادر (٢٣)، والصحيح بالفتح. أي من النقصان بعد الزيادة. وقيل: من فساد أمورنا بعد صلاحها، وقيل من الرجوع من الجماعة بعد أن كنا منهم، وأصله من نقض العمامة بعد لفّها. والحديث: نعوذ بالله من الحور بعد الكور. (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/٢٦٩) وفي الأصل إضافة: «من سخطه» بعد الكور.
(٤) سقطت «و» من الأصل.
(٥) أضاف في النسخة (ب): «مختصراً».
(٦) إضافة من النسخة (ت).

ملكه خازناً، قال ابن عبّاس: ثمّ إنّه عصى الله تعالى فمسخه شيطاناً رجيماً.

ورُوي عن قَتَادة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ﴾[1] إنّما كانت هذه الآية في إبليس خاصة لما قال ما قال، لعنه الله تعالى وجعله شيطاناً رجيماً، وقال: ﴿فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ، كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[2].

وروي عن ابن جُرَيج[3] مثله[4].

وأمّا الأحداث التي كانت في ملكه وسلطانه فمنها ما روي عن الضحّاك، عن ابن عبّاس قال: كان إبليس من حيّ من أحياء الملائكة يُقال لهم الجنّ، خُلقوا من نار السَّموم من بين الملائكة، وكان خازناً من خُزّان الجنّة، قال: وخُلقت الملائكة من نور، وخُلقت الجنّ الذين ذُكروا في القرآن من مارجٍ من نار، وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهبتْ. وخُلق الإنسان من طين، فأوّلُ مَنْ سكن في الأرض الجنّ، فاقتتلوا فيها وسفكوا الدماء، وقتل بعضُهم بعضاً، قال: فبعث الله تعالى إليهم إبليس في جندٍ من الملائكة، وهم هذا الحيّ الذين يقال لهم الجنّ، فقاتلهم[5] إبليس ومَنْ معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال. فلمّا فعل ذلك اغترّ في نفسه وقال: قد صنعت ما لم يصنعه أحد. فاطّلَعَ الله تعالى على ذلك من قلبه، ولم يطّلع عليه أحد[6] من الملائكة الذين معه[7].

ورُوي عن أنس نحوه.

وروى أبو صالح، عن ابن عبّاس. ومُرّة الهمداني، عن ابن مسعود[8] أنّهما قالا: لما فرغ الله تعالى من خلق ما أحبّ استوى على العرش، فجعل إبليس على ملك سماء الدنيا، وكان من قبيلٍ من الملائكة يقال لهم الجنّ، وإنّما سُمّوا الجنّ لأنّهم من خَزَنة الجنّة. وكان إبليس مع ملكه خازناً فوقع في نفسه كِبْر وقال: ما أعطاني الله تعالى هذا الأمر إلّا لمزيّةٍ لي على الملائكة. فاطّلع الله على ذلك منه فقال: إنّي جاعل في الأرض خليفة.

---

(١) الأنبياء/٢٩.

(٢) السورة والآية السابقتين.

(٣) في الأصل «جريح».

(٤) تاريخ الطبري ١/٨٣.

(٥) في الأصل «فقتلهم».

(٦) في الأصل «أحدا».

(٧) الطبري ١/٨٤.

(٨) في النسخة (ت): عباس.

قال ابن عبّاس: وكان اسمه عزازيل وكان من أشدّ الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً، فدعاه ذلك إلى الكِبْر. وهذا قولٌ ثالث في سبب كِبْره.

وروى عِكْرِمَةُ، عن ابن عبّاس، أنّ الله تعالى خلق خلقاً، فقال: اسجدوا لآدم، فقالوا: لا نفعل. فبعث عليهم ناراً فأحرقتهم[1]، ثمّ خلق خلقاً آخر، فقال: إنّي خالقٌ بشراً من طين، فاسجدوا لآدم. فأبوا، فبعث الله تعالى عليهم ناراً فأحرقتهم، ثمّ خلق هؤلاء الملائكة فقال: اسجدوا لآدم. قالوا: نعم. وكان إبليس من أولئك الذين لم يسجدوا.

وقال شَهْرُ بن حَوْشَب: إنّ إبليس كان من الجنّ الذين سكنوا الأرض وطردتهم الملائكة، وأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء[2].

ورُوي عن سعيد[3] بن مسعود نحو ذلك.

وأَوْلى الأقوال بالصواب أن يقال كما قال الله تعالى: **﴿وإذْ قُلْنا للمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إبْليسَ كانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أمْرِ رَبِّه﴾**[4].

وجائزٌ أن يكون فسوقه من إعجابه بنفسه لكثرة عبادته واجتهاده، وجائز أن يكون لكونه من الجنّ.

(ومُرَّة الهَمْداني، بسكون الميم، والدال المهملة، نسبة إلى هَمْدان: قبيلة كبيرة من اليمن).

---

(١) في الأصل «تحرقهم».

(٢) الطبري ١/٨٧.

(٣) في نسختي: ت، ب «سعد»، والتصويب من نسخة (ر). وفي الطبري ١/٨٧ «سعد» وهو خطأ. وانظر عنه: الأغاني ٥/٦٥، الوافي بالوفيات ١٥/٢٦١ رقم ٣٦٧.

(٤) الكهف/٥٠.

ذِكْر خلْق آدم عليه السلام

ومن الأحاديث في سلطانه خلق أبينا آدم، عليه السلام. وذلك لما أراد الله تعالى أن يُطلع ملائكته على ما علم من انطواء إبليس على الكِبْر ولم يعلمه الملائكة حتى[1] دنا أمره من البوار وملكه من الزوال، فقال للملائكة: ﴿**إنّي جاعِلٌ في الأرْضِ خَلِيفَةً، قَالُوا: أتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء**﴾[2].

فرُوي عن ابن عبّاس أنّ الملائكة قالت ذلك للذي كانوا عهدوا من أمره[3] وأمر الجنّ الذين كانوا سُكّان الأرض قبل ذلك، فقالوا لربّهم تعالى: أتجعل فيها من يكون مثل الجنّ الذين كانوا يسفكون الدِّماءَ فيها ويُفسدون ويعصونك ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك؟ فقال الله لهم: إنّي أعْلَمُ ما لا تَعْلَمونَ، يعني من انطواء إبليس على الكِبْر والعزم على خلاف أمري واغتراره، وأنا مُبْدٍ ذلك لكم منه لتروه عياناً. فلمّا أراد الله أن يخلق آدم أمر جبرائيل أن يأتيه بطين من الأرض، فقالت الأرض: أعوذ بالله منك أن تنقص مني وتشينني[4]. فرجع ولم يأخذ منها شيئاً وقال: يا ربّ إنّها عاذت بك فأعذتُها. فبعث ميكائيل، فاستعاذتْ منه فأعاذها، فرجع وقال مثل جبرائيل، فبعث إليها ملكَ الموت فعاذت منه، فقال: أنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أُنَفّذ أمر ربّي، فأخذ من وجه الأرض فخلطه ولم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء وطيناً لازباً، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين[5].

وروى أبو موسى، عن النبيّ، ﷺ، أنّه قال: إنّ الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأحمر والأسود والأبيض، وبين ذلك، والسهل والحَزْن، والخبيث والطيّب، ثم بُلّت طينته حتى صارت

---

(١) في الأصل «حين».
(٢) البقرة/٣٠.
(٣) في نسخة (ر): كانوا أجهدوا أمره.
(٤) في الأصل، ونسخة (ر): أن تقبض مني وتشيني. وفي تاريخ الطبري ١/٩٠ «أن تنقص مني شيئاً وتشينني».
(٥) الطبري ١/٩٠.

طيناً لازباً ثمّ تُركت حتى صارت حمأً مسنوناً، ثمّ تُركت حتى صارت صلصالاً، كما قال ربّنا، تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[1].

واللازب: الطين الملتزب[2] بعضه ببعض.

ثمّ تُرك حتى تغيّر وأنتن وصار حمأً مسنوناً، يعني مُنْتناً، ثمّ صار صلصالاً، وهو الذي له صوت[3].

وإنّما سُمّي آدم لأنّه خُلق من أديم الأرض.

قال ابن عبّاس: أمر الله بتربة آدم فرُفعت، فخلق آدم من طين لازب من حمإٍ مسنون، وإنّما كان حمأً مسنوناً بعد التراب، فخلق منه آدم بيده لئلّا يتكبّر إبليس عن السجود له. قال: فمكث أربعين ليلة، وقيل: أربعين سنة، جسداً ملقىً، فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله فيصلصل، أي يصوِّت، قال: فهو قول الله تعالى: ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالفَخَّارِ﴾[4]، يقول: مُنْتن كالمنفوخ الذي ليس بمصمت، ثمّ يدخل من فيه فيخرج من دُبُره ويدخل من دُبُره ويخرج من فيه، ثمّ يقول: لست شيئاً، ولشيءٍ ما خُلقت، ولئن سُلِّطتُ عليك لأهلكنّك، ولئن سُلّطتَ عليَّ لأعصينّك[5]. فكانت الملائكة تمرّ به فتخافه، وكان إبليس أشدّهم منه خوفاً.

فلمّا بلغ الحِينُ الذي أراد الله أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة: ﴿فإذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[6]؛ فلمّا نفخ الرّوحَ فيه دخلتْ مِن قِبَل رأسه، وكان لا يجري شيء من الرّوحَ في جسده إلّا صار لحماً[7]، فلمّا دخلتِ الرّوحُ رأسه عطس، فقالت له الملائكة: قل الحمد لله[8].

وقيل: بل ألهمهُ الله التحميد فقال: الحمد لله ربِّ العالمين. فقال الله له: رحِمَك رَبُّك يا آدم. فلمّا دخلت الرّوحُ عينيه نظر إلى ثمار الجنّة، فلمّا بلغتْ جوفَه اشتهى الطعامَ فوثبَ قبل أن تبلغ الروح رِجْلَيه عَجْلَانَ إلى ثمار الجنّة، فلذلك يقول الله تعالى:

---

(١) الحجر/٢٦.
(٢) في الأصل ونسخة (ر): الملتزق.
(٣) الطبري ١/٩١، ٩٢.
(٤) الرحمن/١٤.
(٥) الطبري في تاريخه ١/٩٢، وفي التفسير (طبعة بولاق) ٢٧/٧٣.
(٦) الحجر/٢٩.
(٧) في نسخة (ر) «لحماً ودماً».
(٨) في نسخة (ر): الحمد لله رب العالمين.

﴿خُلِقَ الإنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾[1]. فسجد له الملائكة كلّهم إلّا إبليس استكبر وكان من الكافرين. فقال الله له: يا إبليس ما منعك أن تسجد إذ أمرتُك؟ قال: أنا خير منه لم أكن لأسجد لبشر خلقتَهُ من طين، فلم يسجد كِبْراً وبَغياً وحسداً. فقال الله له: ﴿يا إبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، إلى قوله: ﴿لأمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أجْمَعِينَ﴾[2]. فلمّا فرغ من إبليس ومعاتبته وأبى إلّا المعصية أوقع عليه اللّعنة وأيأسه من رحمته وجعله شيطاناً رجيماً وأخرجه من الجنّة[3].

قال الشعبيّ: أُنزل إبليس مشتمل الصماء، عليه عمامة، أعور، في إحدى رِجْلَيه نعل.

وقال حُمَيْد بن هلال: نزل إبليس مختصراً فلذلك كُره الاختصار في الصلاة، ولما أُنزل قال: يا ربّ أخرجتني من الجنّة من أجل آدم وإنّني لا أقوى عليه إلّا بسلطانك. قال: فأنت مسلّط. قال: زدْني. قال: لا يولد له ولد إلّا وُلد لك مثله. قال: زدني. قال: صدورهم مساكن لك وتجري منهم مجرى الدم. قال: زدني. قال: أجْلب عليهم بخيلك ورَجلك وشارِكْهم في الأموال والأولاد وعِدْهم.

قال آدم: يا ربّ قد أنظرتَهُ وسلّطته عليَّ وإنّني لا أمتنع منه إلّا بك. قال: لا يولد لك ولد إلّا وكّلتُ به مَن يحفظه من قُرناءِ السوء. قال: يا ربّ زدني. قال: الحسنة بعَشْر أمثالها وأزيدها، والسيئة بواحدة وأمحوها. قال: يا ربّ زدني. قال: ﴿يا عِبَادِيَ الَّذِينَ أسْرَفُوا عَلى أنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ الله إنّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[4]. قال: يا ربّ زدني. قال: التوبة لا أمنعها من ولدك ما كانت فيهم الروح. قال: يا ربّ زدني. قال: أغفر ولا أبالي. قال: حسبي.

ثمّ قال الله لآدم: إيتِ أولئك النفرَ من الملائكة فقلِ السّلام عليكم. فأتاهم فسلّم عليهم، فقالوا له: وعليك السلام ورحمة الله ثمّ رجع إلى ربّه فقال: هذه تحيّتك وتحيّة ذرّيّتك بينهم.

فلمّا امتنع إبليس من السجود وظهر للملائكة ما كان مستتراً عنهم علّم الله آدمَ الأسماءَ كلّها.

---

(١) الأنبياء/٣٧.

(٢) صٓ/٧٥ ـ ٨٥.

(٣) الطبري ١/٩٤ ـ ٩٦. وانظر: تاريخ الخميس ١/٤٤ و ٤٥.

(٤) الزمر/٥٣.

الأسماء التي علّمها الله آدمَ

واختلف العلماء في الأسماءِ، فقال الضحّاك، عن ابن عبّاس: علّمه الأسماء كلّها التي تتعارف بها النَّاس: إنسان، ودابّة، وأرض، وسهل، وجبل، وفرس، وحمار، وأشباه ذلك، حتى الفَسْوَة والفُسَيَّة[١].

وقال مجاهد، وسعيد بن جُبير مثله.

وقال ابن زيد: عُلّم أسماء ذرّيَّته[٢].

وقال الربيع: عُلّم أسماء الملائكة خاصّة. فلمّا عُلّمها عرض الله أهل الأسماء على الملائكة فقال: ﴿**أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[٣] إنّي إن جعلتُ الخليفة منكم أطعتموني وقدّ ستموني ولم تعصوني، وإن جعلته من غيركم أفسد فيها وسفك الدماء، فإنّكم إن لم تعلموا أسماء هؤلاء وأنتم تشاهدونهم فبأن لا تعلموا ما يكون منكم ومن غيركم وهو مغيَّب عنكم أَوْلى وأحرى.

وهذا قول ابن مسعود ورواية أبي صالح، عن ابن عبّاس[٤].

ورُوي عن الحسن وقَتَادة أنّهما قالا: لما أعلم الله الملائكةَ بخلق آدم واستخلافه و﴿**قالوا: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ؟**﴾[٥] و﴿**قال: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾[٥]. قالوا فيما بينهم: ليخلق ربّنا ما يشاء فلن يخلق خلقاً إلاّ كنّا أكرم على الله منه وأعلم منه. فلمّا خلقه وأمرهم بالسجود له علموا أنّه خير منهم وأكرم على الله منهم، فقالوا: إن يك خيراً منا وأكرم على الله منَّا فنحن أعلم منه. فلمّا أُعجبوا بعلمهم ابتُلوا بأنْ علّمه الأسماء كلّها ثمّ عرضهم على الملائكة فقال: ﴿**أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[٦]، إنّي لا أخلق[٧] أكرم منكم ولا أعلم منكم. ففزعوا إلى التوبة، وإليها يفزع كلّ مؤمن، فـ﴿**قالوا: سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إلاّ مَا عَلّمْتَنَا، إنّك أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ**﴾[٨].

---

(١) في النسخة (ب) الغسيوة. وفي الأصل الغسوة والغسية.
(٢) في النسخة (ر) ذريته خاصة.
(٣) البقرة/٣١.
(٤) الطبري ١/٩٩.
(٥) البقرة/٣٠.
(٦) البقرة/٣٢.
(٧) في نسخة (ر): أخلق خلقاً.
(٨) البقرة/٣٢.

قـالا: وعلّمـه اسمَ كـلّ شيء من هـذه: الخيـل، والبِغـال، والإبـل، والجنّ، والوحش، وكلّ شيء[1].

ذكر إسكان آدم الجنّة وإخراجه منها

فلمّا ظهر للملائكة من معصية إبليس وطغيانه ما كان مستتراً عنهم، وعاتبه الله على معصيته بتركه السجود لآدم، فأصرّ على معصيتـه وأقام على غيّـه، لعنه الله، وأخـرجه من الجنّة وطرده منها وسلبه ما كان إليه من ملك سماء الدنيا والأرض وخزن الجنّة، فقـال الله له: ﴿**اخْرُجْ مِنْهَا** ـ يعني من الجنّة ـ **فَـإنّكَ رَجِيمٌ وَإنّ عَلَيْـكَ اللّعْنَةَ إلى يَـوْمِ الدّينِ**﴾[2]؛ وأسكن آدم الجنّة.

قال ابن عبّاس وابن مسعـود: فلمّا أسكن آدم الجنّـة كان يمشي فيهـا فرداً ليس لـه زوج يسكن إليها، فنام نومة واستيقظ فإذا عند رأسـه امرأة قـاعدة، خَلَقَهـا الله من ضلعه، فسألها فقال: من أنتِ؟ قالت: امـرأة. قال: ولِمَ خُلِقتِ؟ قـالت: لتسكن إليّ. قالت لـه الملائكة لينـظروا مبلغ علمه: مـا اسمها؟ قـال: حوّاء. قـالوا: ولِمَ سُمّيَتْ حـوّاء؟ قال: لأنّها خُلقت من حيّ. وقال الله له: ﴿**يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُـكَ الجَنّةَ وَكُـلاَ مِنْهَا رَغـدَاً حَيْثُ شِئْتُمَا**﴾[3].

وقـال ابن إسحاق فيمـا بلغه عن أهـل الكتاب وغيـرهم، منهم عبـد الله بن عبّـاس قال[4]: ألقى الله تعالى على آدم النوم وأخذ ضلعاً من أضلاعه من شقّه الأيسر وَلأَمَ مكانـه لحمـاً وخلق منـه حـوّاء، وآدم نـائم، فلمّـا استيقظ رآهـا إلى جنبـه فقـال: لحمي ودمي وروحي، فسكن إليها، فلمّا زوّجه الله تعالى وجعـل له سَكَنـاً من نفسه قـال له: ﴿**يـا آدَمُ اسكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ. . . وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾[5].

وعن مجاهد وقَتَادة مثله[6].

فلمّا أسكن الله آدم وزوجته الجنّة أطلق لهما أن يأكلا كـلَّ ما أرادا من كـلّ ثمارهـا غير ثمرة شجرة واحدة، ابتلاءً منه لهما وليمضي قضاؤه فيهما وفي ذرّيّتهما. فوسوس لهما الشيطانُ، وكان سبب وصوله إليهما أنّه أراد دخول الجّنة فمنعته الخَزَنَةُ، فأتي كـلّ دابّة من

---

(١) الطبري ١/١٠١، ١٠٢.
(٢) الحجر/٣٤؛ ٣٥.
(٣) البقرة/٣٥.
(٤) في النسخة (ر): قالوا.
(٥) البقرة/٣٥.
(٦) الطبري ١/١٠٤، ١٠٥.

دوابّ الأرض وعرض نفسه عليها أنّها تحمله حتى يدخل الجنّة ليكلّم آدم وزوجته. فكلّ الدوابّ أبى عليه حتى أتى الحيّة[1]، وقال لها: أمنعُك[2] من ابن آدم فأنتِ في ذمّتي إن أنتِ أدخلتني، فجعلته بين نابين من أنيابها ثمّ دخلت به، وكانت كاسية على أربع قوائم من أحسن دابّة خلقها الله كأنّها بُخْتيَّة[3]، فأعراها الله وجعلها تمشي على بطنها.

قال ابن عبّاس: اقتلوها حيث وجدتموها واخْفِروا ذمّة عدوّ الله فيها.

فلمّا دخلتِ الحيّةُ خرج إبليس من فيها فناح عليهما نياحة أحزنتهما حين سمعاها، فقالا له: ما يُبكيك؟ قال: أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة. فوقع ذلك في أنفسهما، ثمّ أتاهما فوسوس لهما وقال: يا آدم هل أدلّك على شجرة الخُلد ومُلكٍ لا يبلى؟ ﴿**وَقَالَ: مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ، وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ**﴾[4]، أن تكونا ملكَين، أو تخلّدان إن لم تكونا ملكَين في نعمة الجنّة. يقول الله تعالى: ﴿**فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ**﴾[5]. وكان انفعال حوّاءَ لوسوسته أعظم، فدعاها آدم لحاجته. فقالت: لا إلّا أن تأتي هاهنا. فلمّا أتَى قالت: لا! إلّا أن تأكل من هذه الشجرة، وهي الحنطة. قال: فأكلا منها، فبدت لهما سوءآتهما، وكان لباسهما الظُّفْر، فطفِقا يخصِفان عليهما من ورق الجنّة، قيل: كان ورق التين، وكانت الشجرة مَن أكل منها أحدث. وذهب آدم هارباً في الجنّة، فناداه ربّه: أنْ يا آدم منّي تفِرّ؟ قال: لا يا ربّ ولكن حياءً منك. فقال: يا آدم من أين أُتيتَ؟ قال: من قِبَل حوّاء يا ربّ. فقال الله: فإنّ لها عليَّ أن أُدميها في كلّ شهر وأن أجعلها سفيهة، وقد كنتُ خلقتُها حليمة[6]، وأن أجعلها تحمل كرهاً وتضع كرهاً وتشرف على الموت مراراً، وقد كنتُ جعلتُها تحمل يَسَراً وتضع يَسَراً، ولولا بليّتها لكان النساء لا يحضن، ولَكُنَّ حليمات، ولَكُنَّ يحملن يَسَراً ويضعن يَسَراً[7].

وقال الله تعالى له: لألعنَنّ الأرض التي خُلِقتَ مِنْهَا لَعْنَةً يتحوَّلُ بها ثمارُها شَوْكاً. ولم يكن في الجنّة ولا في الأرض شجرة أفضل من الطَّلح والسِّدر.

---

(١) في النسخة (ر): عليه ذلك حتّى كلّم الحيّة.

(٢) في النسخة (ب): أمتعك.

(٣) في النسخة (ب): نجيبة
والبُختيّة: جمل بُخْتيّ، وناقة بُختية. وهي الأنثى من الجِمال البُخْت، وهي جِمال طِوال الأعناق. (تاج العروس ٤/٤٣٧).

(٤) في الأصل: لكما من الناصحين. (الأعراف الآيتان ٢٠ ـ ٢١).

(٥) الأعراف/٢٢.

(٦) في الأصل «جميلة».

(٧) تاريخ الطبري ١/١١١، تفسير الطبري ١/٥٢٩.

وقال للحيّة: دخل الملعون في جوفك حتى غرّ عبدي، ملعونةٌ أنتِ لعنةً تتحوّل بها قوائمك في بطنك ولا يكون لك رزق إلّا التراب. أنت عدوّة بني آدم وهم أعداؤكِ، حيث لقيتِ واحداً منهم أخذتِ بعقبه، وحيث لقيك شدخَ رأسك، اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ: آدم وإبليس والحيّة. فأهبطهم إلى الأرض، وسلب الله آدمَ وحوّاء كلّ ما كانا فيه من النعمة والكرامة[1].

قيل: كان سعيد بن المسيّب يحلف بالله ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل، ولكنْ سقته حوّاء الخمر حتى سكر فلمّا سكر قادته إليها فأكل.

قلتُ: والعجب من سعيد كيف يقول هذا والله يقول في صفة خمر الجنّة **﴿لا فِيهَا غَوْلٌ﴾**[2].

ذكر اليوم الذي أُسكن آدم فيه الجنّة واليوم الذي أُخرج فيه منها واليوم الذي تاب فيه

روى أبو هريرة عن النبيّ، ﷺ، قال: خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجُمعة، فيه خُلق آدم، وفيه أُسكن الجنّة، وفيه أُهبط منها، وفيه تاب الله عليه، وفيه تقوم الساعةُ، وفيه ساعة يقلّلها لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلّا أعطاه إيّاه[3].

قال عبد الله بن سلام: قد علمتُ أيّ ساعة هي، هي آخر ساعة من النهار.

وقال أبو العالية[4]: أُخرج آدم من الجنّة للساعة التاسعة أو العاشرة منه، وأُهبط إلى الأرض لتسع ساعات مضين من ذلك اليوم، وكان مكثه في الجنّة خمس ساعات منه، وقيل: كان مكثه ثلاث ساعات منه.

فإن كان قائل هذا القول أراد أنّه سكن الفردوس لساعتين مضَتَا من يوم الجمعة من أيّام الدنيا التي هي على ما هي به اليوم، فلم يبعد قوله من الصواب لأنّ الأخبار كذا كانت واردة عن السلف من أهل العلم بأن آدم خُلق آخر ساعة من اليوم السادس التي مقدار اليوم منها ألف سنة من سنيننا، فمعلوم أنّ الساعة الواحدة من ذلك اليوم ثلاثة وثمانون عاماً من أعوامنا، وقد ذكرنا أنّ آدم بعد أن خمّر ربّنا طينته بقي قبل أن ينفخ فيه

---

(١) الطبري ١/١١٢.
(٢) الصّافّات/٤٧.
(٣) الطبري ١/١١٣ و١١٧.
(٤) في تاريخ الطبري ١/١١٨ «أنس بن أبي العالية».

الروح أربعين عاماً، وذلك لا شكّ أنّه عنى به أعوامنا، ثمّ بعد أن نفخ فيه الـروح إلى أن تناهى أمره وأُسكن الجنّة وأُهبط إلى الأرض غير مستنكـر أن يكون مقـدار ذلك من سنيننـا قدر خمس وثلاثين سنة، وإن كان أراد أنّه سكن الجنّة لساعتَين مضتا من نهار يوم الجمعة من الأيّام التي مقدار اليوم منها ألف سنـة من سنيننا فقـد قال غيـر الحقّ، لأنّ كلّ من لـه قول في ذلك من أهل العلم يقول إنّـه نفخ فيـه الروح آخـر نهار يـوم الجمعة قبـل غروب الشمس[1].

وقد روى أبو صالح، عن ابن عبّاس، أنّ مكث آدم كان في الجنّـة نصف يوم كـان مقـداره خمسمائـة عام، وهـذا أيضاً خـلاف مـا وردتْ بـه الأخبـار عن النبيّ، ﷺ، وعن العلماء[2].

ذكر الموضع الذي أُهبط فيه آدم وحوّاء من الأرض

قيل: ثمّ إنّ الله تعالى أهبط آدم قبل غروب الشمس من اليوم الذي خلقه فيه، وهو يوم الجمعة، مع زوجته حوّاء من السماء[3].

فقال عليّ، وابنُ عبّاس وقَتَـادة، وأبو العـالية: إنّـه أُهبط بالهنـد على جبل يقـال له نَوْذ[4] من أرض سَرَنْدِيب، وحوّاء بجُدَّة.

قال ابن عبّاس: فجاء في طلبها فكان كلّما وضع قدمه بموضع صار قرية، ومـا بين خطوتَيْه مفاوز، فسار حتى أتى جمعاً فازدلفت إليه حوّاء، فلذلك سُمّيت المُزْدَلِفَة، وتعارفا بعَرَفَات فلذلك سُمّيت عَرَفـات، واجتمعا بجَمْـعٍ فلذلك سُمّيت جَمْعـاً. وأُهبطت الحيّـة بأصفهان[5]، وإبليس بمَيْسان[6].

وقيل: أُهبط آدم بالبريّة، وإبليس بالأُبُلَّة[7].

---

(١) الطبري ١/١١٩.
(٢) الطبري ١/١٢٠.
(٣) هكذا في الأصل، وفي تاريخ الطبري ١/١٢١ «من السماء مع زوجته».
(٤) ضبط في طبعة صادر (٣٦) بضم النون، والصحيح بالفتح ثم السكون، كما في معجم البلدان ٥/٣١٠.
(٥) في النسخة (ر): أهبط الحية بالبرية.
(٦) مَيْسـان: بالفتـح ثم السكون: اسم كـورة واسعة كثيـرة القرى والنخـل بين البصـرة وواسط قصبتهـا ميسـان. (معجم البلدان ٥/٢٤٢).
(٧) الأُبُلَّة: بضم أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحهـا. . بلدة على شاطىء دجلة البصـرة العظمى في زاويـة الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة. وهي أقدم من البصرة (معجم البلدان ١/٧٧).

قال أبو جعفر: وهذا ما لا يوصل إلى معرفة صحّته إلّا بخبر يجيء مجيء الحجّة، ولا نعلم خبراً في ذلك غير ما ورد في هبوط آدم بالهند، فإنّ ذلك ممّا لا يدفع صحّته علماء الإسلام[1].

قال ابن عبّاس: فلمّا أُهبط آدم على جبل نَوْذ[2] كانت رجلاه تمسّان[3] الأرض ورأسه بالسماء يسمع تسبيح الملائكة، فكانت تهابه، فسألتِ الله أن يُنقص من طوله فنقص طوله إلى ستّين ذراعاً، فحزن آدم لما فاته من الأنس بأصوات الملائكة وتسبيحهم، فقال: يا ربّ كنتُ جارك في دارك ليس لي ربّ غيرك أدخلتني جنّتك آكل منها حيث شئتُ وأسكن حيث شئتُ فأهبطتني[4] إلى الجبل المقدّس، فكنتُ أسمع أصوات الملائكة وأجد ريح الجنّة فحططتَني إلى ستّين ذراعاً، فقد انقطع عني الصوت والنظر وذهبت عني ريح الجنّة! فأجابه الله تعالى: بمعصيتك يا آدم فعلتُ بك ذلك.

فلمّا رأى الله تعالى عريَ آدم وحوّاء أمره أن يذبح كبشاً من الضأن من الثمانية[5] الأزواج التي أنزل الله من الجنّة، فأخذ كبشاً فذبحه وأخذ صوفه، فغزلته حوّاء ونسجه آدم فعمل لنفسه جبّة ولحوّاء درعاً وخماراً فلبسا ذلك.

وقيل: أرسل إليهما ملَكاً يعلّمهما ما يلبسانه من جلود الضأن والأنعام.

وقيل: كان ذلك لباس أولاده، وأمّا هو وحوّاء فكان لباسهما ما كان خصفا من ورق الجنّة، فأوحى الله إلى آدم: إنّ لي حَرَماً حيال عرشي فانطلق وابنِ لي بيتاً فيه ثمّ حُفّ به كما رأيتَ ملائكتي يحفّون بعرشي، فهنالك أستجيب لك ولولدك من كان منهم في طاعتي. فقال آدم: يا ربّ وكيف لي بذلك! لستُ أقوى عليه ولا أهتدي إليه. فقيّض الله ملَكاً فانطلق به نحو مكّة، وكان آدم إذا مرّ بروضة قال للملك: أنزل بنا هاهنا. فيقول الملك: مكانَك، حتى قدم مكّة، فكان كلّ مكان نزله آدم عمراناً وما عداه مفاوز. فبنى البيت من خمسة أجبل: من طور سينا، وطور زيتون، ولبنان، والجُوديّ، وبنى قواعده من حِراء؛ فلمّا فرغ من بنائه خرج به الملك إلى عَرَفات فأراه المناسك التي يفعلُها النّاسُ اليوم، ثمّ قدم به مكّة فطاف بالبيت أسبوعاً، ثمّ رجع إلى الهند فمات على نَوْذ[6].

---

(١) الطبري ١/٢٢. وانظر الأقوال المختلفة في أماكن النزول بتاريخ الخميس ١/٦١.

(٢) في طبعة صادر (٣٧) بضم النون. والتصحيح من معجم البلدان.

(٣) في الأصل «تمس».

(٤) في الأصل «آكل منها حيث شئت فأهبطتني».

(٥) في الأصل «من الضأن الثمانية».

(٦) في طبعة دار صادر (٣٨) بضم النون.

فعلى هذا القول أُهبط حوّاء وآدم جميعاً، وإن آدم بنى[1] البيت، وهذا خلاف الذي نذكره إن شاء الله تعالى منه: أنّ البيت أُنزل من السماء.

وقيل: حجّ آدم من الهند أربعين حجّة ماشياً. ولما نزل إلى الهند كان على رأسه إكليل من شجر الجنّة، فلمّا وصل إلى الأرض يبس فتساقط ورقه فنبتتْ منه أنواع الطيب بالهند.

وقيل: بل الطيب من الورق الذي خصفه آدم وحوّاء عليهما.

وقيل: لما أُمر بالخروج من الجنّة جعل لا يمرّ بشجرة منها إلاّ أخذ منها غصناً فهبط وتلك الأغصان معه فكان أصل الطيب بالهند منها، وزوّده الله من ثمار الجنّة، فثمارنا هذه منها، غير أنّ هذه تتغيّر وتلك لا تتغيّر، وعلّمه صنعة كلّ شيء، ونزل معه من طيب الجنّة، والحجرُ الأسودُ، وكان أشدّ بياضاً من الثلج، وكان من ياقوت الجنّة، ونزل معه عصا موسى، وهي من آس الجنّة ومن لبان، وأنزل بعد ذلك العَلاة والمطرقة والكَلْبَتَان.

وكان حسن الصورة لا يشبهه من[2] ولده غير يوسف.

وأُنزل عليه جبرائيل بصرّة فيها حنطة، فقال آدم: ما هذا؟ قال: هذا الذي أخرجك من الجنّة فقال: ما أصنع به؟ فقال: انثره في الأرض. ففعل، فأنبته الله من ساعته، ثمّ حصده وجمعه وفركه وذرّاه وطحنه وعجنه وخبزه، كلّ ذلك بتعليم جبرائيل، وجمع له جبرائيل الحجر والحديد فقدحه فخرجت منه النّار، وعلّمه جبرائيل صنعة الحديد والحراثة، وأنزل إليه ثوراً، فكان يحرث عليه، قيل هو الشقاء الذي ذكره الله تعالى بقوله: ﴿فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾[3].

ثمّ إنّ الله أنزل آدم من الجبل وملّكه الأرضَ وجميع ما عليها من الجنّ والدوابّ والطير وغير ذلك، فشكا إلى الله تعالى وقال: يا ربّ أما في هذه الأرض من يسبّحك غيري؟ فقال الله تعالى: سأُخرج من صلبك من يسبّحني ويحمدني، وسأجعل فيها بيوتاً تُرفع لذكري، وأجعل فيها[4] بيتاً أختصّه[5] بكرامتي وأسمّيه بيتي وأجعله حَرَماً آمناً، فمن حرّمه بحُرمتي[6] فقد استوجب كرامتي، ومن أخاف أهله فيه فقد خفر ذمّتي وأباح حرمتي،

---

(١) في النسخة (ر): وإن آدم هو الذي بنى.

(٢) في النسخة (ر): لم يشبهه شيء من.

(٣) طه/١١٧.

(٤) في الأصل «منه».

(٥) في النسخة (ر): أخصّه.

(٦) في النسخة (ر): فمن خدمه يخدمني.

أوّل بيت وُضع للنّاس فمن اعتمده لا يريد غيره فقد وفد إليّ وزارني وضافني[1]، ويحقّ على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وأن يسعف كلّاً بحاجته؛ تعمره أنت يا آدم ما كنتَ حيّاً، ثمّ تعمره الأممُ والقرون والأنبياء من ولدك أمّة بعد أمّة.

ثمّ أمر آدم أن يأتي البيت الحرام، وكان قد أُهبط من الجنّة ياقوتة واحدة، وقيل: دُرّة واحدة، وبقي كذلك حتى أغرق الله قومَ نوح، عليه السلام، فرُفع وبقي أساسه، فبوّأ[2] الله لإبراهيم، عليه السلام، فبناه على ما نذكره إن شاء الله تعالى[3].

وسار آدم إلى البيت ليحجّه ويتوب عنده، وكان قد بكى هو وحوّاء على خطيئتهما وما فاتهما من نعيم الجنّة مائتيْ سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً، ثمّ أكلا وشربا بعدها، ومكث آدم لم يقرب حوّاء مائة عام، فحجّ البيت وتلقّى آدم من ربّه كلماتٍ فتاب عليه، وهو قوله تعالى: **﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾**[4].

(نُود بضم النون، وسكون الواو، وآخره دال مهملة)[5].

ذكر إخراج ذرّيّة آدم من ظهره وأخذ الميثاق

روى سعيد بن جُبير، عن ابن عبّاس قال: أخذ الله الميثاق على ذرّيّة آدم بنَعمان من عرَفة، فأخرج من ظهره كلّ ذرّيّة ذرأها إلى أن تقوم الساعة فنثرهم بين يديه كالذّرّ ثمّ كلّمهم قبلاً وقال: **﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ﴾** إلى قوله: **﴿بِمَا فَعَلَ المُبْطِلُونَ﴾**[6].

(نَعمان بفتح النون الأولى)[7].

وقيل: عن ابن عبّاس أيضاً: إنّه أخذ عليهم الميثاق بدَحْنا[8]، موضع.

---

(١) في النسخة (ر): وزادني وصافحني.
(٢) في النسخة (ر) «فبوأه».
(٣) الطبري ١/١٣٢.
(٤) الأعراف/٢٣.
(٥) في معجم البلدان ٥/٣٦٠ بفتح النون ثم السكون، وذال معجمة.
(٦) الأعراف/١٧٢ ـ ١٧٣.
(٧) عند الطبري ١/١٣٤ «يعني عرفة».
(٨) دَحْنا: بفتح أوله، وسكون ثانيه، ونون، والألِف يُروى فيها القصر والمدّ. من مخاليف الطائف. (معجم البلدان ٢/٤٤٤).
وهي في النسخة (ب) «بدخسا»، وفي الأصل «برضا».

وقال السُّدِّيّ: أخرج الله آدم من الجنّة ولم يُهبطه إلى الأرض من السماء، ثمّ مسح صفحة ظهره اليمنى، فأخرج ذرّيّة كهيئة الذَّرّ بيضاء مثل اللّؤلؤ، فقال لهم: ادخلوا الجنّة برحمتي، ومسح صفحة ظهره اليسرى، فأخرج منها كهيئة الذّرّ سوداء، فقال: ادخلوا النّار ولا أُبالي، فذلك حين يقول: «أصحاب اليمين» و«أصحاب الشّمال»، ثمّ أخذ منهم الميثاق فقال: ألستُ بربّكم؟ قالوا: بلى، فأعطوه الميثاق، طائفة طائعين، وطائفة على وجه التقيّة[1].

ذكر الأحداث التي كانت في عهد آدم في الدنيا

وكان أوّل ذلك قتْلَ قابيل بن آدم أخاه هابيل، وأهلُ العلم مختلفون في اسم قابيل، فبعضهم يقول: قَيْن، وبعضهم يقول: قائين، وبعضهم يقول: قاين، وبعضهم يقول: قابيل[2].

واختلفوا أيضاً في سبب قتله، فقيل: كان سببه أن آدم كان يغشى حوّاء في الجنّة قبل أن يصيب الخطيئة، فحملت له فيها بقابيل بن آدم وتوأمته، فلم تجد عليهما وحَمَاً ولا وَصَباً، ولم تجد عليهما طَلْقاً حين ولدتهما، ولم ترَ معهما دماً لطُهر الجنّة، فلمّا أكلا من الشجرة وهبطا إلى الأرض فاطمأنّا بها تغشّاها، فحملت بهابيل وتوأمته، فوجدت عليهما الوَحَم والوَصَب والطَّلْق حين ولدتهما، ورأت معهما الدم، وكانت حوّاء فيما يذكرون لا تحمل إلاّ توأماً ذكراً وأنثى، فولدت حوّاء لآدم أربعين ولداً لصُلبه من ذكر وأنثى في عشرين بطناً، وكان الولد منهم أيّ أخواته شاء تزوّج إلاّ توأمته التي تولد معه، فإنّها لا تحلّ له، وذلك أنّه لم يكن يومئذٍ نساء إلاّ أخواتهم وأمّهم حوّاء، فأمر آدمُ ابنه قابيل أن ينكح توأمة هابيل، وأمر هابيل أن ينكح توأمة أخيه قابيل[3].

وقيل: بل كان آدم غائباً[4] وكان لما أراد السير قال للسماء: احفظي ولدي بالأمانة، فأبت، وقال للأرض فأبت، وللجبال فأبت، وقال لقابيل، فقال: نعم تذهب وترجع وستجد[5] كما يسرّك. فانطلق آدم فكان ما نذكره.

---

(١) في الأصل: «فأعطاه الميثاق وطايفة طايعين وطايفة على وجه البغية». والخبر في تاريخ الطبري ١/١٣٦، والتفسير ١٣/٢٢٨. وانظر: تاريخ الخميس ١/٥١.

(٢) في النسخة (ر): «قابيل وبعضهم يقول قابن» والخبر في تاريخ الطبري ١/١٣٧.

(٣) تاريخ الطبري ١/١٣٩، ١٤٠، مرآة الزمان ١/٢٨٣.

(٤) في النسخة (ر) إضافة: «غائباً في الحج».

(٥) في النسخة (ر) «وستجدهم».

وفيه قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[١]. فلمّا قال آدم لقابيل وهابيل في معنى نكاح أختيهما ما قال لهما سلّم هابيل لذلك ورضي به، وأبى ذلك قابيل وكرهه تكرّهاً عن أخت هابيل، ورغب بأخته عن هابيل وقال: نحن من ولادة الجنّة وهما من ولادة الأرض، فأنا أحقّ بأختي[٢].

وقال بعض أهل العلم: إنّ أخت قابيل كانت من أحسن النّاس، فضنّ بها[٣] على[٤] أخيه وأرادها لنفسه، وإنّهما لم يكونا من ولادة الجنّة، إنّما كانا[٥] من ولادة الأرض، والله أعلم.

فقال له أبوه آدم: يا بنيّ إنّها لا تحلّ لك، فأَبَى أن يقبل ذلك من أبيه. فقال له أبوه: يا بنيّ فقرّبْ قرباناً ويقرّب أخوك هابيل قرباناً، فأيّكما قَبِل الله قربانه فهو أحقّ بها. وكان قابيل[٦] على بَذْر الأرض، وهابيل على رعاية الماشية، فقرّب قابيل[٦] قمحاً، وقرّب هابيل أبكاراً من أبكار غَنَمه. وقيل: قرّب بقرةً، فأرسل الله ناراً بيضاء، فأكلت قربان هابيل، وتركت قربان قابيل[٧]، وبذلك كان يُقبل القربان إذا قبله الله، فلمّا قبل الله قربان هابيل، وكان في ذلك القضاء له بأخت قابيل[٨]، غضب قابيل[٩] وغلب عليه الكِبْر، واستحوذ عليه الشيطان وقال: لأقتلنّك حتى لا تنكح أختي. قال هابيل: ﴿إنّما يتقبّلُ الله من المُتّقينَ، لَئِنْ بَسَطتَ إليّ يَدَكَ لِتَقْتُلَني مَا أنا بِبَاسِطٍ يَدَيَ إلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ إلى قوله: ﴿فَطَوّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾[١٠]، فاتبعه وهو في ماشيته فقتله، فهما اللّذان قصّ الله خبرهما في القرآن فقال: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالحَقّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ﴾[١١]، إلى آخر القصّة[١٢].

---

(١) الأحزاب/٧٢.
(٢) تاريخ الطبري ١/١٤٠.
(٣) في النسخة (ب) «فرغب فيها».
(٤) في الأصل «عن»، وكذا عند الطبري ١/١٤٠.
(٥) في الأصل «كانت».
(٦) في تاريخ الطبري ١/١٤٠ «قَيْن».
(٧) الخبر حتى هنا في تفسير الطبري ١٠/٢٠٥.
(٨) في تاريخ الطبري «قين».
(٩) في النسخة (ر): «غضب فأرسل». وفي تاريخ الطبري «قين».
(١٠) المائدة/٢٧ ـ ٣١.
(١١) المصدر السابق.
(١٢) الطبري ١/١٤٠.

قال: فلمّا قتله سُقط في يده ولم يدرِ كيف يُواريه، وذلك أنّه كان فيما يزعمون أوّل قتيل من بني آدم، ﴿فَبَعَثَ اللهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ. قَالَ: يَا وَيْلَتِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي، فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿لَمُسْرِفُونَ﴾[١]. فلمّا قتل أخاه قال الله تعالى: يا قابيل[٢] أين أخوك هابيل؟ قال: لا أدري، ما كنتُ عليه رقيباً! فقال الله تعالى: إنّ صوت دم أخيك يناديني من الأرض الآن، أنت ملعون من الأرض التي فَتَحَتْ فاها فبلعت دم أخيك، فإذا أنت عملت في الأرض فإنّها لا تعود تعطيك حَرْثَها حتى تكون فَزِعاً تائهاً في الأرض. فقال قابيل[٢]: عظُمتْ خطيئتي إن لم تغفرها.

قيل: كان قتْله عند عقبة حِراء. ثمّ نزل من الجبل آخذاً بيد أخته [قليما][٣] فهرب[٤] بها إلى عدن من اليمن[٥].

قال ابن عبّاس: لما قتل أخاه أخذ بيد أخته ثمّ هبط بها من جبل نُود[٦] إلى الحضيض، فقال له آدم: اذْهب فلا تزال مرعوباً لا تأمن من تراه. فكان لا يمرّ به أحد من ولده إلّا رماه، فأقبل ابن لقابيل أعمى ومعه ابن له، فقال للأعمى ابنه: هذا أبوك قابيل فارمه، فرمى الأعمى أباه قابيل فقتله، فقال ابن الأعمى لأبيه: قتلتَ أباكَ! فرفع الأعمى يده فلطم ابنه فمات. فقال: يا ويلتي قتلتُ أبي برميتي وبُنَيّ بلطمتي[٧].

ولما قُتل هابيل كان عمره عشرين سنة، وكان لقابيل يوم قتله خمس وعشرون سنة.

وقال الحسن: كان الرجلان اللذان ذكرهما الله تعالى في القرآن بقوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بالحَقّ﴾ من بني إسرائيل، ولم يكونا من بني آدم لصُلبه، وكان آدم أوّل من مات.

وقال أبو جعفر[٨]: الصحيح عندنا أنّهما ابنا آدم لصُلبه، للحديث الصحيح عن

---

(١) المائدة/٣١ـ٣٢.
(٢) في ناريخ الطبري «قين».
(٣) إضافة من الطبري ١/١٤٣.
(٤) في الأصل «هرب».
(٥) الخبر أيضاً في: تاريخ الخميس ١/٦٩.
(٦) في تاريخ الطبري، ومعجم البلدان «نَوْذ».
(٧) الطبري ١/١٤٣، ١٤٤.
(٨) في التاريخ ١/١٤٤.

النبيّ، ﷺ، أنه قال: «ما من نفس تُقتل ظلماً إلاّ كان على ابن آدم الأوّل كِفْلٌ[1] منها[2]»، وذلك لأنّه أوّل من سنّ القتل فبان بهذا أنّهما لصُلب آدم، فإنّ القتل ما زال بين بني آدم قبل بني إسرائيل.

وفي هذا الحديث أنّه أوّل من سنّ القتل، ومن الدليل على أنّه[3] مات من ذرّيّة آدم قبله ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾[4].

عن ابن عبّاس، وابن جبير، والسُّدِّيّ، وغيرهم قالوا: كانت حوّاء تلد لآدم فتُعبّدهم، أي تسمّيهم عبد الله، وعبد الرحمن، ونحو ذلك، فيصيبهم الموت، فأتاهما إبليس فقال: لو سمّيتما بغير هذه الأسماء لعاش ولدكما. فولدت ولداً[5] فسمّته عبد الحارث، وهو اسم إبليس، فنزلت: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[6] الآيات. وقد رُوي هذا المعنى مرفوعاً.

قلتُ: إنّما كان الله تعالى يُميت أولادهم أوّلاً، وأحيا هذا المسمّى بعبد الحارث امتحاناً واختباراً، وإن كان الله تعالى يعلم الأشياء بغير امتحان، لكن علماً لا يتعلّق به الثواب والعقاب.

ومن الدليل على أنّ القاتل والمقتول ابنا آدم لصُلبه ما رواه العلماء عن عليّ بن أبي طالب أنّ آدم قال لما قُتل هابيل:

تَغَيَّرَتِ البِلَادُ ومَنْ عَليها ... فَوَجْهُ[7] الأرْضِ مغبرٌّ قَبيح
تغَيَّرَ كلُّ ذي طَعْمٍ ولَوْنٍ ... وقلَّ بَشاشةُ الوَجهِ المَليح[8]

في أبيات غيرها.

---

(١) الكِفْل: الحظ والنصيب

(٢) أخرجه: البخاري في الجنائز ٣٣، والأنبياء ١، والديات ٢، والاعتصام ١٥، ومسلم في: القَسَامة ٢٧، والترمذي في: العلم ١٤، والنسائي في: التحريم ١، وابن ماجه في الديات ١، وأحمد ١/٣٨٣ و ٤٣٠ و ٤٣٣.

(٣) في الأصل «ومن الدليل أنه».

(٤) الأعراف/١٨٩ وما بعدها.

(٥) في الأصل «رجلا».

(٦) الأعراف/١٨٩.

(٧) في تفسير الطبري ١٠/٢٠٩ «فلون».

(٨) تاريخ الطبري ١/١٤٥، مرآة الزمان ١/٢١٧ وفيه «الوجه الصبيح»، مروج الذهب ١/٣٦، تاريخ الخميس ١/٦٩، ٧٠.

وقد زعم أكثر علماء الفرس أنّ جُيُومَرْثَ[1] هو آدم.

وزعم بعضهم أنّه ابن آدم لصُلبه من حوّاء، وقالوا فيه أقوالاً كثيرة يطول بذِكرِها الكتاب، إذ كان قصْدنا ذِكر الملوك وأيّامهم، ولم يكن ذِكر الاختلاف في نَسَب ملك من جنسٍ ما أنشأنا له الكتاب، فإن ذكرنا من ذلك شيئاً فلتعريف من ذكرنا ليعرفه من لم يكن عارفاً به.

وقد خالف علماءَ الفرس فيما قالوا من ذلك آخرون من غيرهم ممّن زعم أنّه آدم، ووافق علماءَ الفرس على اسمه، وخالفهم في عينه وصفته، فزعم أن جيومرث الذي زعمت الفرس أنّه آدم، إنّما هو حام بن يافث بن نوح، وأنّه كان معمَّراً سيّداً نزل جبل دُنْبَاوَنْد[2] من جبال طَبَرستان من أرض المشرق، وتملّك بها وبفارس، وعظُم أمره، وأمر ولده، حتى ملكوا بابل، وملكوا في بعض الأوقات الأقاليم كلّها، وابتنى جيومرث المدنَ والحصونَ، وأعدّ السّلاح واتّخذ الخيل، وتجبّر في آخر أمره، وتسمّى بآدم، وقال: من سمّاني بغيره قتلته، وتزوّج ثلاثين امرأة، فكثر منهنّ نَسْله، وأنّ ماري ابنه، وماريانة أخته، ممّن كانا وُلدا في آخر عمره، فأعجب بهما وقدّمهما، فصار الملوك من نَسلهما[3].

قال أبو جعفر[4]: وإنّما ذكرت من أمر جيومرث في هذا الموضع ما ذكرتُ، لأنّه لا تَدَافُعَ بين علماء الأمم أنّه أبو الفرس من العجم، وإنّما اختلفوا فيه هل هو آدم أبو البشر أم غيره على ما ذكرنا؟ ومع ذلك فلأنّ ملكه وملك أولاده لم يزل منتظماً على سياق متّصل بأرض المشرق وجبالها، إلى أن قُتل يَزْدَجِرْد بن شهريار بمَرْو، أيّام عثمان بن عفّان، والتاريخ على أسماء ملوكهم أسهل بياناً وأقرب إلى التحقيق منه على أعمار ملوك غيرهم من الأمم، إذ لا يُعلم أمّة من الأمم الذين ينتسبون إلى آدم دامت لهم المملكة، واتّصل الملك لملوكهم، يأخذه آخرهم عن أوّلهم وغابرهم عن سالفهم سواهم.

وأنا ذاكر ما انتهى إلينا من القول في عُمْر آدم وأعمارَ مَنْ بعده من ولده من الملوك والأنبياء وجيومرث أبي الفرس، فأذكر ما اختلفوا فيه من أمرهم إلى الحال التي اجتمعوا

---

(١) في تاريخ الطبري «جيومرت» بالتاء المثناة، وبالفارسية «كيومرث». وفي الشاهنامة ١/١٣ «جيومرت» ومعناه عند الفرس: اسم الإنسان الأول.

(٢) في نسختي ب، ت: «دنيا وند»، وهو تحريف. والتصويب من معجم البلدان ٢/٤٧٥ حيث ضبطه بضم أوله، وسكون ثانيه، وبعده باء موحَّدة، وبعد الألف واو ثم نون ساكنة، وبآخره دال. لغة في دُباوَند، وهو جبل من نواحي الريّ.

(٣) تاريخ الطبري ١/١٤٦، ١٤٧.

(٤) تاريخ الطبري ١/١٤٧.

عليهـا، واتّفقوا على ملك منهم في زمـان بعينه أنّـه هو الملك في ذلـك الـزمـان إن شـاء الله[1].

وكان آدم مع ما أعطاه الله تعـالى من مُلك الأرض نبيّاً رسـولاً إلى ولده، وأنـزل الله عليه إحدى وعشرين صحيفة كتبها آدم بيده علّمه إيّاها جبرائيل.

روى أبو ذَرّ عن النبيّ، ﷺ، أنّه قـال: «الأنبياء مـائة ألف وأربعـة وعشرون ألفـاً». قال: قلتُ: يا رسول الله كم الرُّسل من ذلك؟ قـال: ثلاثمـائة وثـلاثة عشـر جمّاً غفيـراً، يعني كثيراً، طيّباً. قـال: قلتُ: مَنْ أوّلهم؟ قال: «آدم». قـال: قلتُ: يا رسـول الله وهو نبيّ مرسَل؟ قال: «نعم، خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثمّ سوّاه قُبُلاً»[2].

وكان ممّن أنزل عليه: تحريم الميتـة، والدّم، ولحم الخنـزير، وحـروف المعجم، في إحدى وعشرين ورقة[3].

---

(١) الطبري ١/١٤٨.
(٢) قبلاً: أي عياناً. وفي نسخة (ب): رجلاً والحديث أخرجه الترمذي في: تفسير سورة الناس، رقم ٢.
(٣) الطبري ١/١٥١.

ذكر ولادة شيث

ومنَ الأحداث في أيّامه ولادة شيث، وكانت ولادته بعد مضيّ مائة وعشرين سنة[١] لآدم، وبعد قتل هابيل بخمس سنين. وقيل: وُلد فرداً بغير توأم. وتفسير شِيث: هِبةُ الله، ومعناه أنّه خَلَفٌ من هابيل، وهو وصيّ آدم.

وقال ابن عبّاس: كان معه تَوْأم. ولما حضرت آدمَ الوفاةُ عهد إلى شِيث وعلّمه ساعات اللّيل والنهار وعبادة الخلوة[٢] في كلّ ساعة منها وأعلمه بالطوفان[٣]، وصارت الرياسةُ بعد آدم إليه، وأنزل الله عليه خمسين صحيفة، وإليه أنساب بني آدم كلّهم اليوم[٤].

وأمّا الفرس الذين قالوا إنّ جيومرث هو آدم، فإنّهم قالوا: وُلد لجيومرث ابنته[٥] ميشان[٦] أخت ميشى، وتزوّج ميشى أخته ميشان[٧] فولدت له سِيامك[٨] وسِيامي[٩]، فوُلد لِسيامك بن جيومرث[١٠] أفروال[١١] ودقس[١٢] وبواسب[١٣] وأجراب[١٤] واوراش، وأمّهم جميعاً سِيامي[١٥] ابنة ميشى، وهي أخت أبيهم[١٦].

---

(١) في تاريخ الطبري ١/١٥٢: «مائة وثلاثون»، وكذلك في تاريخ اليعقوبي ١/٧.
(٢) في الأصل ونسختي: ت، ر: «الخلق»، وكذا في تاريخ الطبري ١/١٥٢.
(٣) في النسخة (ر): «وأعلمه بالطرقات».
(٤) الطبري ١/١٥٢، ١٥٣، وانظر تاريخ اليعقوبي ١/٧.
(٥) في الأهل «ابنة»، وفي تاريخ الطبري ١/١٥٣ «ابنه».
(٦) عند الطبري «ميشى».
(٧) عند الطبري «ميشانه».
(٨) في النسخة (ب) سبايك. والمثبت يتفق مع الطبري.
(٩) في النسخة (ب) سباني. والمثبت يتفق مع الطبري.
(١٠) عند الطبري «فولد لسيامك بن ميشى بن جيومرت».
(١١) في النسخة (ب) «افزوال»، وعند الطبري «أفرواك».
(١٢) في الأصل «قرد»، وفي النسخة (ت): دقس، وفي النسخة (ب): ريس، وعند الطبري «ديس».
(١٣) في النسخة (ب): نواسب، وعند الطبري «براسب».
(١٤) في النسخة (ب): أحرب. وعند الطبري «أجوب».
(١٥) في النسخة (ب): سباني.
(١٦) في النسخة (ر): أخت أمهم.

وذكروا أنّ الأرض كلّها سبعة أقاليم، فأرض بابل وما يوصل إليه[1] ممّا يأتيه النّاس برّاً وبحراً فهو من إقليم واحد، وسكّانُه ولد افروال[2] بن سِيامك[3] وأعقابهم، فوُلد لافروال[4] بن سِيامك[5] من افرى[6] ابنة سِيامك[7] أو شهنج[8] بيشداد الملك، وهو الذي خَلَف جدّه جيومرث في الملك، وهو أوّل مَن جمع مُلك الأقاليم السبعة، وسنذكر أخباره.

وكان بعضهم يزعم أن أوشهنج هذا هو ابن آدم لصُلبه من حوّاء.

وأمّا ابن الكلبيّ فإنّه زعم أنّ أوّل من ملك الأرض أوشهنق بن عابر[9] بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، قال: والفرس تزعم أنّه كان بعد آدم بمائتَيْ سنة، وإنّما كان بعد نوح بمائتَيْ سنة، ولم تعرف الفرس ما كان قبل نوح[10].

والذي ذكره هشام بن الكلبيّ لا وجه له، لأن أوشهنج مشهور عند الفرس، وكلّ قوم أعلم بأنسابهم وأيّامهم من غيرهم.

قال: وقد زعم بعض نسّابة الفرس أنّ أوشهنج هذا هو مَهلائيل، وأنّ أباه افروال[11] هو قينان، وأنّ سِيامك[12] هو أنوش أبو قينان، وأنّ ميشى هو شِيت أبو أنوش، وأنّ جيومرث هو آدم.

فإن كان الأمر كما زعم فلا شكّ أن أوشهنج كان في زمن آدم رجلاً، وذلك لأنّ مَهلائيل فيما ذُكر في الكتب[13] الأولى كانت ولادة أمّه دِينة ابنة براكيل بن محويل[14] بن

---

(١) في النسخة (ر): (بها) بدل (إليه).
(٢) في النسخة (ب): افزوال، وفي النسخة (ر): نسل ولد افروال. وعند الطبري «أفرواك».
(٣) في نسختي: ب، ر: سبايك.
(٤) في النسخة (ب): افزوال، وعند الطبري «أفرواك». وفي النسخة (ر): نسل ولد افروال.
(٥) في نسختي: ب، ر: سبايك.
(٦) في النسخة (ب): الارى.
(٧) في نسختي: ب، ر: سبايك.
(٨) عند الطبري «هو شنك»، وهو بالفارسية.
(٩) في النسخة (ب): عامر، والنسخة (ت) غابر.
(١٠) الطبري ١/١٥٣، ١٥٤.
(١١) في النسخة (ب): افزوال.
(١٢) في النسختين: ر، ب: سبايك.
(١٣) عند الطبري ١/١٥٤ «الكتاب».
(١٤) في الأصل «مخويل».

حنوخ[1] بن قَين بن آدم إيّاه[2] بعدما مضى من عمر آدم ثلاثمائة سنة وخمس وتسعون سنة، وقد كان له حين وفاة أبيه آدم ستّمائة سنة وخمس وستّون سنة[3]، على حساب أنّ عمر آدم كان ألف سنة.

وقد زعمت الفرسّ أنّ مُلك أوشهنج كان أربعين سنة، فإن كان الأمر على ما ذكره النسّابة الذي ذكرت عنه ما ذكرت فما يُبْعِد من[4] قال: إنّ مُلْكه كان بعد وفاة آدم بمائتي سنة.

ذكر وفاة آدم، عليه السلام

ذُكر أنّ آدم مرض أحد عشر يوماً، وأوصى إلى ابنه شِيث، وأمره أن يُخفيَ علمه عن قابيل وولده، لأنّه قتل هابيل حسداً منه له حين خصّه آدمُ بالعلم، فأخفى شِيث وولدُه ما عندهم من العلم، ولم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به.

وقد روى أبو هُرَيرة، عن النبيّ، ﷺ، أنّه قال: «قال الله تعالى لآدم حين خلقه: ائتِ أولئك النفر من الملائكة قلِ السلام عليكم، فأتاهم فسلّم عليهم، وقالوا له: عليك السلام ورحمة الله، ثمّ رجع إلى ربّه فقال له: هذه تحيّتك وتحيّة ذرّيّتك بينهم. ثمّ قبض له يديه فقال[5] له: خذْ واخترْ. فقال: أحببتُ يمين ربّي وكلتا يديه يمين، ففتحها له، فإذا فيها صورة آدم وذرّيّته كلّهم، وإذا كلّ رجل منهم مكتوب عنده أجلُه، وإذا آدم قد كُتب له عُمر ألف سنة، وإذا قوم عليهم النور، فقال: يا ربّ مَنْ هؤلاء الذين عليهم النور؟ فقال: هؤلاء الأنبياء والرُسُل الذين أرسلهم إلى عبادي، وإذا فيهم رجل هو من أضوئهم نوراً، ولم يُكتب له من العمر إلّا أربعون سنة. فقال آدم: يا ربّ هذا[6] من أضوئهم نوراً ولم تكتب له إلّا[7] أربعين سنة، بعد أن أعلمه أنّه داود، عليه السلام، فقال: ذلك ما كتبتُ له. فقال: يا ربّ انقص له من عمري ستّين سنة». فقال رسول الله ﷺ: «فلمّا أُهبط إلى

---

(١) عند الطبري «خنوخ».
(٢) في طبعة صادر (٤٩): «وأتاه»، والتصويب عن الطبري ١/١٥٤.
(٣) عند الطبري «ستمائة سنة وخمس سنين».
(٤) في نسختي ب، ر: «كمن».
(٥) في النسخة (ر): «قبض الله على يديه فقال».
(٦) في النسخة (ر): يا رب ما بال هذا.
(٧) في النسخة (ر): تكتب له من العمر إلا.

الأرض كان يَعُدّ أيّامه، فلمّا أتاه مَلكُ الموت لقبضه[1] قال له آدم: عجَّلتَ يا ملك الموت! قد بقي من عمري ستّون سنة. فقال له ملَكُ الموت: ما بقي شيء، سألتَ ربّك أن يكتبه لابنك داود. فقال: مافعلتُ»! فقال النبيّ، ﷺ: «فنسي آدم، فنسيت ذرّيّته، وجحد فجحدت ذرّيّته، فحينئذٍ وضع الله الكتاب، وأمر بالشهود»[2].

ورُوي عن ابن عبّاس قال[3]: لما نزلت آية الدَّين قال رسول الله ﷺ: «إنّ أوّل من جحد آدم ثلاث مرار، وإنّ الله لما خلقه مسح ظهره فأخرج منه ما هو ذارٍ[4] إلى يوم القيامة، فجعل يعرضهم على آدم، فرأى منهم رجلاً يزهَر، قال: أي ربّ أيّ بَنيّ هذا؟ قال: ابنك داود. قال: كم عمره؟ قال: ستّون سنة. قال: زِدْه من العمر[5]. قال الله تعالى: لا، إلاّ أن تزيده أنت. وكان عمر آدم ألف سنة، فوهب له أربعين سنة، فكتب عليه بذلك كتاباً وأشهد عليه الملائكة، فلمّا احتُضِر آدم أتته الملائكةُ لتقبض روحه فقال: قد بقي من عمري أربعون سنة. قالوا: إنّك قد وهبتَها لابنك داود. قال: ما فعلتُ ولا وهبتُ له شيئاً. فأنزل الله عليه الكتابَ وأقام الملائكةَ شهوداً. فأكمل لآدم ألف سنة وأكمل لداود مائة سنة»[6].

ورُوي مثل هذا عن جماعة، منهم سعيد بن جُبير.

وقال ابن عبّاس: كان عُمْر آدم تسعمائة سنة وستّاً وثلاثين سنة[7]، وأهل التوراة يزعمون أنّ عُمْر آدم تسعمائة سنة وثلاثون سنة، والأخبار عن رسول الله ﷺ والعلماء ما ذكرنا، ورسول الله ﷺ، أعلم الخلق[8].

وعلى رواية أبي هريرة التي فيها أنّ آدم وهب داود من عمره ستّين سنة، لم يكن كثير اختلاف بين الحديثين، وما في التوراة من أنّ عُمْره كان تسعمائة وثلاثين سنة، فلعلّ الله ذكر عُمره في التوراة سوى ما وهبه لداود.

قال ابنُ إسحاق، عن يحيىَ بن عبّاد، عن أبيه قال: بلغني أنّ آدم حين مات بعث

---

(١) في النسخة (ر)، وعند الطبري ١/١٥٦ «ليقبضه».

(٢) أخرجه الترمذي في: التفسير ٢، والبخاري في: الاستئذان ١، وأحمد في المسند ٢/٣١٥.

(٣) رواه ابن أبي عاصم النبيل في: الأوائل ٢٦ رقم ٤، والسُّنّة ١/٩٠، وانظر: محاضرة الأوائل ٦٤، والوسائل ١٠٧ وفيه: أول من نسي وجحد آدم.

(٤) ذار: من ذرأ الله الخلق: خلقهم.

(٥) في نسخة (ر): «عمري».

(٦) الطبري ١/١٥٦، تاريخ الخميس ١/٥١.

(٧) مروج الذهب ١/٣٨.

(٨) في الأصل ونسخة (ر): أعلم بالحق.

الله بكفنِه[1] وحَنوطه من الجنّة، ثمّ وُلّيتِ الملائكةُ قبْره ودفْنه حتى غيّبوه[2].

وروى أُبيُّ بنُ كعب، عن النبيّ، ﷺ، أنّ آدمَ حين حضرتْه الوفاة بعث الله إليه بحَنوطه[3] وكفنه من الجنّة، فلمّا رأت حوّاء الملائكةَ ذهبت لتدخل دونهم، فقال: خلّي عنّي وعن رُسُل ربّي، فما لقيتُ ما لقيتُ إلّا منكِ، ولا أصابني ما أصابني إلّا فيكِ. فلمّا قُبض غسلوه بالسِّدْر والماء وِتْراً، وكفّنوه في وِتْر من الثياب، ثمّ لحدوا له ودفنوه، ثمّ قالوا: هذه سُنّة ولد آدم من بعده[4].

قال ابن عبّاس: لما مات آدم قال شِيث لجبرائيل: صلّ عليه. فقال: تقدّمْ أنت فصلّ على أبيك. فكبّر عليه ثلاثين تكبيرة، فأمّا خمس فهي الصلاة، وأمّا خمس وعشرون فتفضيلاً[5] لآدم[6].

وقيل: دُفن في غار في جبل أبي قُبيس، يقال له غار الكنز[7].

وقال ابن عبّاس: لمّا خرج نوح من السفينة دفن آدم ببيت المقدس.

وكانت وفاته يوم الجمعة، كما تقدّم، وذُكر أنّ حوّاء عاشت بعده سنة ثمّ ماتت، فدُفنت مع زوجها في الغار الذي ذكرُت إلى وقت الطوفان، واستخرجهما نوح، وجعلهما في تابوت، ثمّ حملهما معه في السفينة، فلمّا غاضت الأرضُ الماءَ[8] ردّهما إلى مكانهما الذي كانا فيه قبل الطوفان.

قال: وكانت حوّاء فيما ذُكر قد غزلت، ونسجت، وعجنت، وخبزت، وعملت أعمال النساء كلّها[9].

وإذ قد فرغنا من ذكر آدم وعدوّه إبليس، وذِكر أخبارهما، وما صنع الله بعدوّه إبليس حين تجبّر وتكبّر، من تعجيل العقوبة، وطغى وبغى من الطرد والإبعاد والنظرة إلى يوم

---

(١) في نسخة (ر): بكنفه.
(٢) الطبري ١/١٥٩، ١٦٠.
(٣) الحَنُوط: بالفتح، كل طِيب يُخْلط للميت.
(٤) الطبري ١/١٦٠.
(٥) في الأصل «تفضيلاً».
(٦) الطبري ١/١٦١.
(٧) في الأصل «غار الكبر» وفي معجم البلدان ٤/١٨٣: غار الكنز: موضع في جبل أبي قبيس دفن فيه آدم كُتبه فيما زعموا». وانظر مروج الذهب ١/٣٨.
(٨) في الأصل: «فلما غاضت بالأرض الماء». وغاضت الأرضُ الماء: أي نقصته.
(٩) الطبري ١/١٦١، ١٦٢.

الدين، وما صنع بآدم إذ أخـطأ ونسي من تعجيل العقـوبة لـه، ثمّ تغمّده إيّـاه بالـرحمة إذ تاب من زلّته، فأرجع إلى ذكر قابيل وشِيث ابنَيْ آدم وأولادهما، إن شاء الله[1].

---

(١) قارن بالطبري ١/١٦٢.

ذِكْر شيث بن آدم، عليه السلام

قد ذكرنا بعضَ أمره، وأنّه كان وصيّ آدم في مخلَّفِيه بعد مُضِيّه لسبيله، وما أنزل الله عليه من الصحف.

وقيل: إنّه لم يزل مقيماً بمكّة يحجّ ويعتمر إلى أن مات، وإنّه كان جمع ما أُنزل عليه وعلى أبيه آدم من الصحف وعمل بما فيها، وإنّه بنى الكعبةَ بالحجارة والطين[1].

وأمّا السّلفُ من علمائنا فإنّهم قالوا: لم تزل القبّة التي جعل الله لآدم مكان البيت إلى أيّام الطوفان فرفعها الله حين أرسل الطوفان.

وقيل: إنّ شِيثاً لما مرض أوصى إلى ابنه أنوش[2] ومات، فدُفن مع أبوَيْه بغار أبي قُبَيس؛ وكان مولده لمضيّ مائتيْ سنة وخمسٍ وثلاثين سنة من عمر آدم، وقيل غير ذلك، وقد تقدّم، وكانت وفاته وقد أتت عليه تسعمائةً سنة واثنتا عشرة سنة[3].

وقام أنوش بن شِيث بعد موت أبيه بسياسة المُلْك وتدبير مَنْ تحت يديه من رعيّته مقام أبيه، لا يوقف منه على تغيير ولا تبديل، فكان جميع عمر أنوش تسعمائة[4] وخمس سنين، وكان مولده بعد أن مضى من عمر أبيه شيث ستّمائة سنة وخمس سنين، وهذا قول أهل التوراة[5].

وقال ابن عبّاس: وُلد لشيث أنوش، ووُلد معه نفر كثير، وإليه أوصى شيث، ثمّ ولد لأنوش بن شيث ابنه قَيْنَان[6] من أخته نَعمة بنت شيث بعد مضيّ تسعين سنة من عمر

---

(١) الطبري ١٦٢/١.

(٢) أنوش: كصبور. قال في تاج العروس ٢٨٠/٤: «ويقال: يانش كصاحب آدم، ويقال إنوش بكسر الهمزة بمعنى إنسان».

(٣) العهد القديم ـ سفر التكوين، الإصحاح الخامس (١١)، مروج الذهب ٣٩/١.

(٤) في الأصل، وفي طبعة صادر (٥٤): سبعمائة، والتصحيح من الطبري ١٦٣/١، والعهد القديم ـ التكوين، الإصحاح ١١/٥.

(٥) الطبري ١٦٣/١.

(٦) هكذا ضبطه في تاج العروس، بفتح القاف ومدّ النون الأولى. وفي العهد القديم، التكوين، إصحاح ١٢/٥ «قينان» بكسر القاف.

أنوش، وولد معه نفر كثير، وإليه الوصيّة، وولـد قَيْنانُ مَهـلائيلَ[1] ونفـراً كثيراً معـه، وإليه الوصيّة، وولد مهلائيلُ يَرْدَ، وهو اليارَد[2]، ونفراً معه، وإليه الوصيّة، فولـد يَرْدُ حنـوخ[3]، وهو إدريس النبيّ، ونفراً معـه، وإليه الـوصيّة، وولـد حنوخُ مَتُـوشَلَخَ[4] ونفراً معـه، وإليه الوصيّة.

وأمّـا التوراة[5] ففيهـا أنّ مهلائيـل وُلد بعـد أن مضى من عمـر آدم، عليـه السـلام، ثلاثمائة وخمس وتسعون سنة، ومن عمر قَيْنان سبعون، ووُلـد يَرْد لمهـلائيل بعـدما مضى من عمر آدم أربعمائة سنة وستّون سنة، فكان على منهاج أبيه، غير أنّ الأحداث بدأت في زمانه.

---

(١) في سفر التكوين ١٥/٥ «مَهْلَلْئيل». والمثبت يتفق مع الطبري ١٦٤/١.

(٢) كذا في سفر التكوين ١٥/٥.

(٣) يقال: خنوخ، وحنوخ وأُخْنُوخ. واللفظ الأخير في سفر التكوين ١٨/٥، وفي تاريخ الطبري ١٦٤/١.

(٤) في سفر التكوين ٢١/٥ «مَتُوشالَح» بالحاء المهملة.

(٥) سفر التكوين ـ ص ٩ ـ طبعة دار الكتاب المقدّس بالقاهرة ١٩٦٨ م.

ذكر الأحداث التي كانت من لدُن مُلك شيث إلى أن ملك يَرْد

ذُكر أنّ قابيل لما قتل هابيل، وهرب من أبيه آدم إلى اليمن، أتاه إبليس فقال له: إنّ هابيل إنّما قُبل قُربانه وأكلته النّارُ، لأنّه كان يخدُم النّارَ ويعبدُها، فانصبْ أنتَ أيضاً ناراً تكون لك ولعقبك. فبنى بيتَ نار، فهو أوّل من نصب النّار وعبدها[1].

وقال ابن إسحاق: إنّ قَيْناً، وهو قابيل، نكح أخته أشوت[2] بنت آدم، فولدت له رجلاً وامرأة: حنوخ بن قَيْن، وعَذَب بنت قَيْن، فنكح حنوخُ أختَه عَذب، فولدت ثلاثة بنين وامرأة: غيرد[3]، ومحويل، وأنوشيل[4]، ومولیث ابنة حنوخ، فنكح أنوشيل بن حنوخ أخته موليث، وولدت له رجلاً اسمه لامك، فنكح لامك امرأتين اسم إحداهما عدَّى، والأخرى صلَّى، فولدت عدّى تولين[5] بن لامك، فكان أوّل مَنْ سكن القباب واقتنى المال، وتوبلين[6] فكان أوّل مَن ضرب بالوَنَج[7] والصَّنْج، وولدت رجلاً اسمه توبلقين، وكان أوّل من عمل النّحاس والحديد، وكان أولادهم فراعنة وجبابرة، وكانوا قد أُعطوا بَسطَةً في الخَلْق.

قال: ثمّ انقرض ولد قَيْن، ولم يتركوا عقباً إلاّ قليلاً، وذرّيّة آدم كلّها جُهلت أنسابهم، وانقطع نسْلُهم إلاّ ما كان من شيث، فمنه كان النّسل، وأنساب النّاسِ اليوم كلّهم إليه دون أبيه آدم.

ولم يذكر ابن إسحاق من أمر قابيل وولده إلاّ ما حكيتُ.

---

(١) الطبري ١/١٦٥.

(٢) في النسخة (ب)، والطبري «أشوث».

(٣) في تاريخ الطبري «عيرد» بالعين المهملة ١/١٦٥.

(٤) في النسختين: ب، ت: «أتوشيل»، والمثبت يتفق مع الطبري.

(٥) كذا في الأصل والنسخة ت، والطبري ١/١٦٥، وفي نسخة (ر): فولدت له عدى بولين بن لامك. وفي طبعة صادر (٥٦): «بولس».

(٦) في تاريخ الطبري «توبيش».

(٧) الوَنَج: المعزف، وهو العود أو المزهر.

وقال غيره من أهل التوراة: إنّ أوّل من اتخذ الملاهي من ولد قابيل[1] رجل يقال له ثوبال[2] بن قابيل، اتخذها في زمان مهلائيل بن قَيْنان، اتخذ المزامير والطنابير والطبول والعيدان والمعازف، فانهمك ولد قابيل[1] في اللّهو. وتناهى خبرُهم إلى مَنْ بالجبل من ولد شِيث، فهمّ منهم مائة رجل بالنزول إليهم، وبمخالفة ما أوصاهم به آباؤهم، وبلغ ذلك يارَد، فوعظهم ونهاهم فلم يقبلوا، ونزلوا إلى ولد قابيل[1]، فأعجبوا بما رأوا منهم، فلمّا أرادوا الرجوع حِيل بينهم وبين ذلك لدعوةٍ سبقت من آبائهم، فلمّا أبطأوا ظنّ من بالجبل ممّن كان في نفسه زيغ أنّهم أقاموا اغتباطاً، فتسلّلوا[3] ينزلون من الجبل، ورأوا اللّهو فأعجبهم، ووافقوا نساءً من ولد قابيل[1] متشرّعات[4] إليهم، وصرْن معهم، وانهمكوا في الطغيان، وفشتِ الفحشاء وشُرْب الخمر فيهم.

وهذا القول غير بعيد من الحقّ، وذلك أنّه قد رُوي عن جماعة من سلف علمائنا المسلمين نحوٌ منه، وإن لم يكونوا بيّنوا زمان مَنْ حدث ذلك في ملكه، إلّا أنّهم ذكروا أنّ ذلك كان فيما بين آدم ونوح؛ منهم ابن عبّاس أو مثله.

ومثله روى الحَكَم بن عُتَيبة، عن أبيه، مع اختلاف قريب من القولَين، والله أعلم.

وأمّا نسّابو الفرس، فقد ذكرتُ ما قالوا في مَهلائيل بن قَيْنَان، وأنّه هو أوشهنج الذي ملك الأقاليم السبعة، وبيّنتُ قولَ مَن خالفهم.

وقال هشام بن الكلبيّ: إنّه أوّل مَنْ بنى البناء واستخرج المعادن، وأمر أهل زمانه باتخاذ المساجد، وبنى مدينتين كانتا أوّل ما بُني على ظهر الأرض من المدائن، وهما مدينة بابل، وهي بالعراق، ومدينة السُّوس بخُوزِسْتان، وكان ملكه أربعين سنة[5].

وقال غيره: هو أوّل من استنبط الحديدَ، وعمل منه الأدوات للصناعات، وقدّر[6] المياه في مواضع المنافع، وحضّ النّاسَ على الزراعة واعتماد[7] الأعمال، وأمر بقتل السباع الضارية، واتخاذ الملابس من جلودها والمفارش، وبذبح البقر والغنم والوحش وأكْل لحومها، وإنّه بنى مدينة الرَّيّ.

---

(١) في تاريخ الطبري ١/١٦٦ «قايين».

(٢) في النسخة (ر): «قوبال» بالقاف، وعند الطبري «توبال» بالتاء المثنّاة، وفي تاريخ اليعقوبي ١/١٠ «يوبل».

(٣) عند الطبري «فتساللوا».

(٤) عند الطبري «متسرّعات».

(٥) اليعقوبي ١/١١.

(٦) في الأصل «قرر»، والتصويب من بقية النُسخ، ومن الطبري ١/١٦٨.

(٧) في النسخة (ر)، وعند الطبري «اعتمال».

قالوا: وهي أوّل مدينة بُنيت بعد مدينة جُيومَرْث التي كان يسكنها بدُنْباوَند.

وقالوا: إنّه أوّل من وضع الأحكام والحدود. وكان ملقّباً بذلك يُدعى بيشداد[1]، ومعناه بالفارسيّة أوّل من حكم بالعدل، وذلك أنّ «بيش»[2] معناه أوّل، و «داد» معناه عَدَلَ وقضى[3]. وهو أوّل من استخدم الجواري، وأوّل من قطع الشجر وجعله في البناء، وذكروا أنّه نزل الهند وتنقّل في البلاد، وعقد على رأسه تاجاً، وذكروا أنّه قهر إبليس وجنوده ومنعهم الاختلاط بالنّاس، وتوعّدهم على ذلك، وقتل مَرَدَتهم، فهربوا من خوفه إلى المفاوز والجبال، فلمّا مات عادوا.

وقيل: إنّه سمّى شرارَ النّاس شياطين واستخدمهم، وملك الأقاليم كلّها. وإنّه كان بين مولد أوشهنج وموت جيومرث مائتا سنة وثلاث وعشرون سنة[4].

(عُتَيْبَة بالعين، وبعدها تاء فوقها نقطتان، وياء تحتها نقطتان، وباء موحّدة).

---

(١) عند الطبري ١/١٦٩ «فيشداذ».

(٢) عند الطبري «فاش».

(٣) عند الطبري «عدل وقضاء».

(٤) الطبري ١/١٦٩.

ذكر يَرْد

وقيل يارَد بن مهلائيل أمّه خالتـه[1] سمعن[2] ابنة بـراكيل بن محـويل بن حنـوخ[3] بن قَيْن بن آدم، وُلد بعدما مضى من عمر آدم أربعمائة سنـة وستّون سنـة، وفي أيّامـه عُملت الأصنام وعاد من عـاد عن الإسلام. ثمّ نكـح يرد، في قـول ابن إسحاق، وهـو ابن مائـة واثنتين وستّين سنة، بركتا[4] ابنة الدرمسيل بن محويل بن حنوخ بن قَيْن بن آدم، فولدت له حنوخ[5]، وهو إدريس النبيّ، فكان أوّل بني آدم أُعطي النبوّة وخطّ بالقلم، وأوّل من نـظر في علوم النجـوم والحساب. وحكمـاء اليونـانيّين يسمّونـه هِـرْمِس الحكيم، وهـو عـظيم عندهم، فعاش يَرْد بعد مولد إدريس ثمـانمائـة سنة، ووُلـد له بنـون وبنات، فكـان عمره تسعمائة سنة واثنتين وستّين سنة[6].

وقيل: أُنزل على إدريس ثلاثون صحيفـة، وهو أوّل من جـاهد في سبيـل الله وقطع الثياب وخاطهـا، وأوّل من سبَى من ولد قـابيل بن آدم فـاسترقّ منهم، وكـان وصيَّ والده يَرْد، فيما كان آباؤه وصّوا به إليه، وفيما أوصى بعضهم بعضاً.

وتـوفّي آدم بعد أن مضى من عمـر إدريس ثلاثمـائة وثمـاني سنين[7]، ودعـا إدريس قومَه ووعظهم وأمرهم بطاعة الله تعالى ومعصية الشيطان، وأن لا يُلابسوا ولدَ قـابيل، فلم يقبلوا منه[8].

قال: وفي التوراة[9] أنّ الله رفـع إدريس بعد ثـلاثمائـة سنة وخمس وستّين سنـة من

---

(١) في تاريخ الطبري ١/١٦٩: «فولد يرد لمهلائيل من خالته».
(٢) في النسخة (ت) «سمقن».
(٣) عند الطبري «خنوخ».
(٤) في النسخة (ب): «يركتا». وفي تاريخ الطبري ١/١٧٠ «بركنا».
(٥) عند الطبري «أخنوخ».
(٦) الطبري ١/١٧٠، العهد القديم، سفر التكوين ـ إصحاح ٥/٢٠.
(٧) في النسخة (ب): وستين سنة.
(٨) الطبري ١/١٧٠.
(٩) الإصحاح ٥/٢٣ من سفر التكوين.

عمره، وبعد أن مضى من عمر أبيه خمسمائة سنة وسبع وعشرون سنة، فعاش أبوه بعد ارتفاعه أربعمائة وخمساً وثلاثين سنة، تمام تسعمائة واثنتين وستّين سنة[1].

قال النبيّ، ﷺ: يا أبا ذَرّ مِنَ الرسل أربعة سريانيّون: آدم، وشِيث، [ونوح][2] وحنوخ، وهو أوّل من خطّ بالقلم، وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة.

وقيل: إنّ الله أرسله إلى جميع أهل الأرض في زمانه، وجمع له علم الماضين وزاده ثلاثين صحيفة. وقال بعضهم: ملك بِيَوراسب في عهد إدريس، وكان قد وقع عليه[3] من كلام آدم، فاتخذه سحراً، وكان بيوراسب يعمل به.

(يارد بياء معجمة باثنتين من تحتها، وراء مهملة، وذال معجمة[4]. وحَنوخ بحاء مهملة مفتوحة، ونون بعدها واو، وخاء معجمة، وقيل: بخائين معجمتَين).

---

(١) الطبري ١/١٧٠.

(٢) الإضافة على الأصل يقتضيها السياق، وهي من الطبري ١/١٧١.

(٣) في النسخة (ب): «إليه»، وكذا عند الطبري.

(٤) ورد اسم «يارد» بدال مهملة في الأصل، وهو كذلك عند الطبري.

ذِكْر ملك طهمورث

زعمت الفرس أنّه ملك بعد موت أوشهنج طَهْمُورُث بن وِيوَنجهان[1]، يعني خير أهل الأرض، ابن حبايداد[2] بن أوشهنج، وقيل في نسبه غير ذلك.

وزعم الفرس أيضاً أنّه ملك الأقاليم السبعة، وعقد على رأسه تاجاً، وكان محموداً في ملكه، مشفقاً على رعيّته، وأنّه ابتنى سابورَ من فارس ونزلها، وتنقّل في البلدان، وأنّه وثب بـإبليس حتى ركبه، فطاف عليه في أداني الأرض وأقاصيها، وأفزعه وَمَرَدَتَهُ حتى تفرّقوا، وكان أوّل من اتخذ الصوفَ والشّعر للّبس والفُرُش، وأوّل من اتخذ زينةَ الملوك من الخيل والبغال والحمير، وأمر باتخاذ الكلاب لحفظ المواشي وغيرها، وأخذ الجوارح للصيد، وكتب بالفارسيّة، وأنّ بيَوراسب ظهر في أوّل سنة من ملكه، ودعا إلى ملّة الصائبين.

كذا قال أبو جعفر[3] وغيره من العلماء[4]: إنّه ركب إبليس وطاف عليه، والعهدة عليهم، وإنّما نحن نقلنا ما قالوه.

قال ابن الكلبيّ: أوّل ملوك الأرض من بابل طهمورث، وكان لله مطيعاً، وكان ملكه أربعين سنة، وهو أوّل من كتب بالفارسيّة، وفي أيّامه عُبدت الأصنام، وأوّل ما عُرف الصوم في ملكه. وسببه أنّ قوماً فقراء تعذّر عليهم القُوت، فأمسكوا نهاراً، وأكلوا ليلاً ما يُمسك رمقهم، ثمّ اعتقدوه تقرُّباً إلى الله، وجاءت الشرائع به.

---

(١) في النسخة (ب): «وتريجهان».

(٢) كذا في الأصل. وفي نسختي: ب، ت «حبايدار» (بالراء)، وفي النسخة (ر) «حبايدان». وفي تاريخ الطبري ١٧١/١ «خُبانداذ بن خُيايذار».

(٣) تاريخ الطبري ١٧٢/١.

(٤) أنظر: تاريخ الخميس للديار بكري ٧٤/١.

ذِكْر حنوخ وهو إدريس عليه السلام

ثمّ نكح حَنوخ بن يَرْد هدّانة[1]، وتقال أذّانـة، ابنة بـاويل بن محـويل بن حنـوخ بن قَيْن بنِ آدم، وهو ابن خمس وستّين سنة، فولدت لـه مَتُوشَلَخ بن حنـوخ[2]، فعاش بعـدما ولد مَتوشَلَخ ثلاثمائة سنة، ثمّ رُفع، واستخلفه[3] حنـوخ على أمر ولـده وأمر الله، وأوصـاه وأهلَ بيته قبل أن يُرْفَع، وأعلمهم أنّ الله سوف يعذِّب ولد قابيل[4] ومن خالطهم، ونهـاهم عن مخالطتهم، وإنّه كان أوّل من ركب الخيل، لأنّه سلك رسْم أبيـه حنوخ في الجهـاد، ثمّ نكح متوشلخ عربا[5] ابنـة عزازيـل[6] بن أنوشيـل بن حنوخ بن قَيْن، وهـو ابن مائـة سنةٍ وسبعٍ وثلاثين[7] سنة، فولدت له لَمَك بن مَتُوشَلَخ، فعاش بعدما وُلد لـه لمك سبـع مائـة سنة، ووُلد له بنون وبنات، فكان كلُّ ما عاش متوشلخ تسعمائة سنة وتسع عشرة[8] سنة.

ثمّ مات وأوصى إلى ابنه لمـك، فكان لمـك يعظ قومـه وينهاهم عن مخـالطة ولـد قابيل[9]، فلم يقبلوا حتى نزل إليهم جميع من كان معهم في الجبل.

وقيل: كان لمتوشلَخ ابن آخر غير لمك يقال له صابي، وبه سُمّي الصابئون.

(قلتُ: محويل بحاء مهملة، وياء معجمة باثنتين من تحت.

وقَيْن بقاف، وياء معجمة باثنتين من تحت. ومَتُوشَلَخ بفتح الميم، وبالتاء المعجمة باثنتين من فوق، وبالشين المعجمة، وبحاء مهملة، وقيل خاء معجمة).

---

(١) في النسخة (ب): «هداية».

(٢) عند الطبري ١/١٧٢ «أخنوخ»، وكذا عند المسعودي ١/٣٩، والديار بكري ١/٧٤.

(٣) في الأصل «استعمله»، والتصحيح من النسخ الأخرى، والطبري.

(٤) في النسخة (ت)، وتاريخ الطبري ١/١٧٣ «قايين».

(٥) في النسخة (ب): «عزّا».

(٦) في النسخة (ر)، والطبري «عزرايل».

(٧) في النسخة (ب) «ثمانون».

(٨) في الأصل «تسعمائة سنة وسبعاً وعشرين»، والمثبت عن بقية النسخ وتاريخ الطبري ١/١٧٣.

(٩) عند الطبري «قايين».

ونكح لمك بن مَتُوشَلَخ قينوش[1] ابنة براكيل بن محويل بن حنوخ بن قَيْن، وهو ابن مائة سنة وسبعٍ وثمانين سنة، فولدت له نوح بن لمك، وهو النبيّ، فعاش لمك بعد مولد نوح خمسمائة سنة وخمساً وتسعين سنة، ووُلد له بنون وبنات ثمّ مات.

ونكح نوح بن لمك عزرة[2] بنت براكيل بن محويل بن حنوخ بن قَيْن، وهو ابن خمسمائة سنة، فولدت له ولده ساماً، وحاماً، ويافث، بني نوح.

وكان مولد نوح بعد موت آدم بمائة سنة وستّ وعشرين سنة، ولما أدرك قال له أبوه لمك: قد علمتَ أنّه لم يبقَ في هذا الجبل غيرنا، فلا تستوحش ولا تتبع الأمّة الخاطئة. وكان نوح يدعو قومه ويَعِظُهم فيستخفّون به[3].

وقيل: كان نوح في عهد بِيَوَرَاسب وكانوا قومه[4]، فدعاهم إلى الله تسعمائة [وستة][5] وخمسين سنة، كلّما مضى قرن اتبعهم[6] قرن على ملّة واحدة من الكفر، حتى أنزل الله عليهم العذاب.

وقال ابن عبّاس فيما رواه ابن الكلبيّ، عن أبي صالح عنه: فولد لمك نوحاً، وكان له يوم وُلد نوح اثنتان وثمانون سنة، ولم يكن في ذلك الزمان أحد يَنهَى عن مُنْكَرٍ، فبعث الله إليهم نوحاً، وهو ابن أربع مائة[7] وثمانين سنة، فدعاهم مائة وعشرين سنة، ثمّ أمره الله بصنعة الفُلك، فصنعها وركبها، وهو ابن ستمائة سنة، وغرقَ مَنْ غرق، ثمّ مكث من بعد السفينة ثلاثمائة سنة وخمسين سنة[8].

ورُوي عن جماعة من السلف، أنّه كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلّهم على ملّة الحقّ[9]، وأنّ الكفر بالله حدث في القرن الذي بُعث فيه إليهم نوح[10]، فأرسله الله، وهو أوّل نبيّ بُعث بالإنذار والدّعاء إلى التوحيد؛ وهو قول ابن عبّاس، وقَتَادة.

---

(١) في نسختي: ب، ت «فينوش» بالفاء، وعند الطبري ١/١٧٣ «بتنوس».
(٢) في تاريخ الطبري «عمذرة».
(٣) الطبري ١/١٧٣، ١٧٤.
(٤) عند الطبري: «وكان قومه يعبدون الأصنام».
(٥) ساقطة من طبعة صادر (٦٣). وأثبتناها عن الطبري.
(٦) في النسخة (ت): «أتتهم».
(٧) في الأصل «مائة وثمانون»، والمثبت عن بقية النُسخ، والطبري.
(٨) الطبري ١/١٧٤.
(٩) البدء والتاريخ للمقدسي ٢/١٥٤.
(١٠) في الأصل «بعث إليهم نوح».

ذِكْر ملك جَمْشيد

وأمّا علماء الفرس فإنّهم قالوا: ملك بعد طهمورث جَم شيد[1]، والشيد عندهم: الشعاع، وجم القمر، لقّبوه بذلك لجماله، وهو جَم بن وِيوَنجهان، وهو أخو طهمورث[2].

وقيل: إنّه ملك الأقاليم السبعة، وسُخِّر له ما فيها من الجنّ والإنس، وعُقد التاج على رأسه، وأمر لسنةٍ مضت من ملكه إلى سنة خمسٍ منه[3] بعمل السيوف والدروع وسائر الأسلحة وآلة الصنّاع من الحديد، ومن سنة خمسين من مُلكه إلى سنة مائة بعمل الإبريسم وغزْله والقطن والكتّان، وكلّ ما يستطاع غزله، وحياكة ذلك وصبْغه ألواناً ولبسه، ومن سنة مائة إلى سنة خمسين ومائة صنّف النّاسَ أربع طبقات: طبقة مقاتلة، وطبقة فقهاء، وطبقة كُتّاب وصُنّاع، وطبقة حرّاثين، واتخذ منهم خَدَماً[4]، ووضع لكلّ أمر خاتماً مخصوصاً به، فكتب على خاتم الحرب: الرفق والمداراة، وعلى خاتم الخراج: العمارة والعدل، وعلى خاتم البريد والرُسُل: الصدق والأمانة، وعلى خاتم المظالم: السياسة والانتصاف، وبقيت رسوم تلك الخواتيم حتى محاها الإسلام.

ومن سنة مائة وخمسين إلى سنة خمسين ومائتين حارب الشياطين وأذلّهم وقهرهم وسُخِّروا له.

ومن سنة خمسين ومائتين إلى سنة ستّ عشرة وثلاثمائة[5] وكَّلَ الشياطين بقطْع الأحجار والصخور من الجبال، وعمل الرخام والجصّ والكَلْس، والبناء بذلك الحمّامات، والنقل من البحار والجبال والمعادن والذهب والفضّة وسائر ما يذاب من الجواهر، وأنواع الطِيب والأدوية، فنفذوا في ذلك بأمره، ثمّ أمر فصُنعت له عَجَلة من

---

(١) في النسخة (ت): «جم الشيدَ»، وعند الطبري «جم الشيذ».

(٢) تاريخ الخميس ١/٧٦.

(٣) في طبعة صادر (٦٤): «من ملكه إلى خمسين سنة» وهذا لا يصح، والتصويب. من تاريخ الطبري ١/١٧٥.

(٤) حتى هنا عن الطبري ١/١٧٥، وانظر مرآة الزمان ١/٢٣٥.

(٥) في نسختي: ب، ت: «مائة وثلاثة آلاف».

الزجاج، فأصفد[1] فيها الشياطين وركبها، وأقبل عليها في الهواء من دُنْباوَند إلى بابل في يوم واحد، وهو يوم هرمزروز وافروز دين ماه[2]، فاتخذ النّاس ذلك اليوم عيداً وخمسة أيّام بعده. وكتب إلى النّاس في اليوم السادس يخبرهم أنّه قد سار فيهم بسيرةٍ ارتضاها الله، فكان من جزائه إيّاه عليها أنّه قد جنّبهم الحَرَّ والبردَ والأسقامَ والهرَم والحسد، فمكث النّاس ثلاثمائة سنة بعد الثلاثمائة والستّ عشرة سنة، لا يصيبهم شيء ممّا ذكر[3].

ثمّ بنى قنطرة على دجلة، فبقيت دهراً طويلاً حتى خرّبها الإسكندر، وأراد الملوك عمل مثلها فعجزوا فعدلوا إلى عمل الجسور من الخشب.

ثمّ إنّ جمّاً بطر نعمةَ الله عليه، وجمع الإنس والجنّ والشياطين، وأخبرهم أنّه وليُّهم ومانعهم بقوّته من الأسقام والهرم والموت، وتمادى في غيّه، فلم يُحِرْ أحد منهم جواباً، وفقد مكانُه بهاءه[4] وعزَّه وتخلّت عنه الملائكة الذين كان الله أمرهم بسياسة أمره. فأحسّ بذلك بِيَوراسب الذي تسمّى الضحّاك، فابتدر إلى جَم لينتهسه[5]، فهرب منه، ثمّ ظفر به بعد ذلك بيوراسب فاسترط أمعاءه ونشره بمنشار[6].

وقيل: إنّه ادّعى الربوبيّة، فوثب عليه أخوه ليقتله، واسمه اسغتور[7]، فتوارى عنه مائة سنة، فخرج عليه في تواريه بيوراسب، فغلبه على ملكه.

وقيل: كان مُلكه سبعمائة سنة وستّ عشرة سنة وأربعة أشهر[8].

قلتُ: وهذا الفصل من حديث جَم قد أتينا به تامّاً بعد أن كنّا عازمين على تركه، لِما فيه من الأشياء التي تمجّها الأسماعُ، وتأباها العقولُ والطِباع، فإنّها من خُرافات الفُرْس، مع أشياء أُخَر قد تقدّمت قبلَها، وإنّما ذكرناها ليُعلَمَ جهلُ الفرس، فإنّهم كثيراً ما يشنّعون على العرب بجهلهم وما بلغوا هذا؛ ولأنّا لو كنّا تركنا هذا الفصل لخلا من شيءٍ نذكره من أخبارهم.

---

(١) في النسخة (ر): «فصعد».

(٢) في تاريخ الطبري ١/١٧٥ «يوم هرمز أز فروردين ماه».

(٣) الطبري ١/١٧٥، ١٧٦.

(٤) في النسخة (ر): «نهاية».

(٥) في الأصل «لينتهشه»، وفي النسخة (ب) «لينهيه»، وفي النسخة (ر) «لتشه»، والمثبت عن النسخة (ت) والطبري ١/١٧٦.

(٦) في طبعة صادر «فاستطرد أمعاءه، وأشره بمنشار»، وفي الأصل ونسختي: ت، ر: «ونشر بمنشار»، والمثبت اعتماداً على تاريخ الطبري ١/١٧٦ وفيه «فامتلخ أمعاءه واسْترطها، ونشره بمنشار» واسترط، من السرط، وهو «البلع».

(٧) هكذا في الأصل، وفي نسخة (ت): «اسفتور» كما عند الطبري، وفي (ب) و(ر) «اسفنور».

(٨) ويضيف الطبري ١/١٧٦ «وعشرين يوماً».

ذِكر الأحداث التي كانت في زمن نوح عليه السلام[1]

قد اختلف العلماء في ديانة القوم الذين أُرسل إليهم نوح، فمنهم مَنْ قال إنّهم كانوا قد أجمعوا على العمل بما يكرهه الله تعالى من ركوب الفواحش والكفر وشرب الخمور والاشتغال بالملاهي عن طاعة الله.

ومنهم من قال: إنّهم كانوا أهل طاعة. وبيوراسب أوّل مَنْ أظهر القول بمذهب الصابئين، وتبعه على ذلك الذين أُرسل إليهم نوح، وسنذكر أخبار بيوراسب فيما بعد.

وأمّا كتاب الله، قال: فينطِقُ بأنهمْ أهْل أوثانٍ؛ قال تعالى: **﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً وَقَدْ أضَلُّوا كَثِيراً﴾**[2].

قلت[3]: لا تناقض بين هذه الأقاويل الثلاثة، فإنّ القول الحقّ الذي لا يُشكّ فيه هو أنّهم كانوا أهل أوثان يعبدونها، كما نطق به القرآن، وهو مذهب طائفة من الصابئين، فإنّ أصل مذهب الصابئين عبادة الروحانيّين، وهم الملائكة لتقرّبهم إلى الله تعالى زُلْفى، فإنّهم اعترفوا بصانع العالم، وأنّه حكيم قادر مقدّس، إلاّ أنّهم قالوا: الواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى معرفة جلاله، وإنّما نتقرّب إليه بالوسائط المقرِّبة لديه، وهم الروحانيّون، وحيث لم يعاينوا الروحانيّين تقرّبوا إليهم بالهياكل، وهي الكواكب السبعة السيارة لأنّها مدبِّرة لهذا العالم عندهم، ثمّ ذهبت طائفة منهم، وهم أصحاب الأشخاص، حيث رأوا أن الهياكل تطلع وتغرب، وتُرى ليلاً ولا تُرى نهاراً، إلى وضع الأصنام لتكون نُصْب أعينهم ليتوسّلوا بها إلى الهياكل، والهياكل إلى الروحانيّين، والروحانيّون إلى صانع العالم؛ فهذا[4] كان أصل وضع الأصنام أوّلاً، وقد كان أخيراً في العرب مَنْ هو على هذا الاعتقاد، وقال تعالى: **﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إلاّ لِيُقَرِّبُونَا إلى الله زُلْفَى﴾**[5]. فقد حصل من عبادة

---

(١) أنظر: تاريخ الخميس ١/٣٧ ـ ٨٣.
(٢) نوح/٢٣ ـ ٢٤.
(٣) في الأصل: ولا قلت.
(٤) في الأصل «فهذا».
(٥) الزمر/٣.

الأصنام مذهب الصابئين والكفر والفواحش، وغير ذلك من المعاصي.

فلمّا تمادى قومُ نوح على كُفْرهم وعصيانهم، بعث الله إليهم نوحاً يحذّرهم بأسه ونقْمته، ويدعوهم إلى التوبة والرجوع إلى الحقّ، والعمل بما أمر الله تعالى، وأُرسل نوح، وهو ابن خمسين سنة، فلبث فيهم ألف سنة إلّا خمسين عاماً.

وقال عون بن أبي شدّاد: إنّ الله تعالى أرسل نوحاً وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة، فلبث فيهم ألف سنة إلّا خمسين عاماً، ثمّ عاش بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين سنة[1]، وقيل غير ذلك، وقد تقدّم.

قال ابن إسحاق وغيره: إنّ قوم نوح كانوا يبطشون به فيخنقونه[2] حتى يُغشى عليه، فإذا أفاق قال: اللهمّ اغفر لي ولقومي فإنّهم لا يعلمون! حتى إذا تمادوا في معصيتهم وعظُمت منهم الخطيئة، وتطاول عليه وعليهم الشأنُ، اشتدّ عليه البلاء، وانتظر النجل بعد النجل، فلا يأتي قرن إلّا كان أخبث من الذي كان قبله، حتى إن كان الآخر ليقول: قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا مجنوناً لا يقبلون منه شيئاً، وكان يُضرب ويُلفّ ويُلقى في بيته، يرون أنّه قد مات، فإذا أفاق اغتسل وخرج إليهم يدعوهم إلى الله، فلمّا طال ذلك عليه ورأى الأولادَ شرّاً من الآباء قال: ربِّ قد ترى ما يفعل بي عبادك، فإن تكُ لك فيهم حاجة فاهدِهم، وإن يكُ غير ذلك فصيّرني إلى أن تحكم فيهم. فأوحى إليه: إنّه لن يؤمن من قومك إلّا من قد آمن، فلمّا يئس من إيمانهم دعا عليهم فقال: **﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾**[3]، إلى آخر القصّة. فلمّا شكا إلى الله واستنصره عليهم، أوحى الله إليه أن: **﴿اصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾**[4]. فأقبل نوح على عمل الفُلْك، ولها عن دعاء قومه، وجعل يهيّء عتاد[5] الفُلك من الخشب والحديد والقار وغيرها مِمّا لا يصلحه سواه، وجعل قومُه يمرّون به وهو في عمله، فيسخرون منه، فيقول: **﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنّا فَإِنّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ، فَسَوْفَ[6] تَعْلَمُونَ﴾**[7].

قال: ويقولون: يا نوح قد صرتَ نجّاراً بعد النبوّة! وأعقم الله أرحامَ النساء فلا يولَد

---

(١) الطبري ١/١٧٩.
(٢) في الأصل «فيخنقون».
(٣) نوح/٢٦.
(٤) هود/٣٧.
(٥) في النسخة (ب): «عماد»، وفي تاريخ الطبري ١/١٨٣ «عُدة».
(٦) في الأصل «تسخرون منا فسوف».
(٧) نوح/٣٨ ـ ٣٩.

لهم، وصنع الفُلك من خشب السّاج، وأمره أن يجعل طوله ثمانين ذراعاً وعرضه خمسين ذراعاً، وطوله[1] في السماء ثلاثين[2] ذراعاً[3].

وقال قَتَادة: كان طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسين ذراعاً، وطولها في السماء ثلاثين ذراعاً[*].

وقال الحسن: كان طولها ألف ذراع ومائتيْ ذراع، وعرضها ستّمائة ذراع، والله أعلم.

وأمر نوحاً أن يجعله ثلاث طبقات: سُفْلي ووُسْطى وعُلْيا، ففعل نوح كما أمره الله تعالى، حتى إذا فرغ منه وقد عَهد الله إليه **﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ[4] فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾**[5] وقد جعل التنوّرَ آيةً فيما بينه وبينه. فلمّا فار التنوّر، وكان فيما قيل من حجارة، كان لحوّاء[6].

وقال ابن عبّاس: كان ذلك تنّوراً من أرض الهند[7].

وقال مجاهد، والشعبيّ: كان التنّور بأرض الكوفة، وأخبرته زوجته بفَوران الماء من التنّور[8].

وأمر الله جبرائيل فرفع الكعبة إلى السماء الرابعة، وكانت من ياقوت الجنّة، كما ذكرناه، وخبّأ الحجرَ الأسود بجبل أبي قُبيس، فبقي فيه إلى أن بنى إبراهيم البيت، فأخذه فجعله موضعه[9].

ولما فار التنّور حمل نوح مَنْ أمر الله بحمله، وكانوا أولاده الثلاثة: سام، وحام، ويافث، ونساءهم، وستّة أناسيّ، فكانوا مع نوح [ثلاثة][10] عشر.

(١) في الأصل «ارتفاعه»، والمثبت عن بقية النسخ وتاريخ الطبري.
(٢) في النسخة (ر): «طولها ستمائة».
(٣) تاريخ الطبري ١/١٨٢، ١٨٣.
(*) تاريخ اليعقوبي ١/١٤.
(٤) في الأصل: «التنور فاحمل».
(٥) هود/٤٠.
(٦) أنظر تاريخ الطبري ١/١٨٣، ١٨٦.
(٧) الطبري ١/١٨٦.
(٨) الطبري ١/١٨٧.
(٩) أنظر: أخبار مكة، للأزرقي ١/٥٠، ٥١.
(١٠) إضافة على الأصل، حيث يضاف زوجة نوح إلى المجموع. وعبارة الطبري ١/١٨٩ «فكانوا عشرة نفر بنوح=

وقال ابن عبّاس: كان في السفينة ثمانون رجلاً، أحدهم جُرْهُم، كلّهم بنو شيث[1].

وقال قَتَادة: كانوا ثمانية أنفس: نوح وامرأته وثلاثة بنوه، ونساؤهم[2].

وقال الأعمش[3]: كانوا سبعة، ولم يذكر فيهم زوج نوح.

وحمل معه جسد آدم، ثمّ أدخل ما أمر الله به من الدوابّ، وتخلّف عنه ابنه يام، وكان كافراً[4]، وكان آخر من دخل السفينة الحمار، فلمّا دخل صدرُه تعلّق إبليس بذَنَبه، فلم ترتفع رِجْلاه، فجعل نوح يأمره بالدخول فلا يستطيع، حتى قال: ادخلْ وإنْ كان الشيطان معك. فقال كلمة زلّت على لسانه، فلمّا قالها دخل الشيطانُ معه، فقال له نوح: ما أدخلك يا عدوّ الله؟ فقال: ألم تقلِ ادخل وإن كان الشيطان معك؟ فتركه[5].

ولما أُمر نوح بإدخال الحيوان السفينة قال: أَي ربّ كيف أصنع بالأسد والبقرة؟ وكيف أصنع بالعَناق والذئب والطير والهرّ؟ قال: الذي ألقى بينهما العداوة هو يؤلّف بينها. فألقى الحُمّى على الأسد وشغله بنفسه، ولذلك قيل:

وَمَا الكلبُ مَحموماً وإن طالَ عمرُهُ ولكنّما الحُمّى على الأسَدِ الوِرْد

وجعل نوح الطير في الطبق الأسفل من السفينة، وجعل الوحش في الطبق الأوسط، وركب هو ومن معه من بني آدم في الطبق الأعلى.

فلمّا اطمأنّ نوح في الفُلْك وأدخل فيه كلّ مَنْ أُمر به، وكان ذلك بعد ستّمائة سنة من عمره، في قول بعضهم، وفي قول بعضهم ما ذكرناه، وحمل معه من حمل، جاء الماء كما قال الله تعالى: **﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى المَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾**[6]. فكان بين أن أُرسل الماء وبين أن احتمل[7] الماءُ الفُلْكَ، أربعون يوماً وأربعون ليلة[8]، وكثر واشتدّ وارتفع وطَمَى، وغطّى نوح عليه وعلى من معه

= وبنيه وأزواجهم».

(١) الطبري ١/١٨٧.

(٢) الطبري ١/١٨٨.

(٣) الطبري ١/١٨٨.

(٤) في الأصل هنا «قال ابن عباس».

(٥) الطبري ١/١٨٤، عرائس المجالس، للثعالبي ٥٦، مرآة الزمان ١/٢٤١.

(٦) القمر/١١ ـ ١٢.

(٧) في الأصل «يحتمل».

(٨) سفر التكوين ـ الإصحاح ٧/١٧.

طبق السفينة، وجعلت الفُلْك تجري بهم في موج كالجبال، ونادى نوح ابنَه الـذي هلك، وكان في معزِلٍ: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَـعَ[1] الكَافِـرِينَ﴾[2] وكان كـافراً؛ ﴿قَـالَ: سَآوِي إلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ المَاءِ﴾[3]، وكان عهد الجبالَ وهي حِرْز وملجأ. فقال نوح: ﴿لاَ عَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ الله إلاَّ مَنْ رَحِمَ، وحَالَ بَيْنَهُمَـا المَوْجُ فكَـانَ مِنَ المُغْرَقِينَ﴾[4]. وعـلا الماء على رؤوس الجبـال، فكان على أعلى جبـل في الأرض خمسة عشـر ذراعاً، فهلك مـا على وجه الأرض من حيـوان ونبات، فلم يبقَ إلاّ نـوح ومن معـه، وإلاّ عـوج بن عنق[5]، فيمـا زعم أهل التـوراة، وكان بين إرسـال الماء وبين أن غـاض ستّة أشهـر وعشر ليال.

قال ابن عبّاس: أرسل الله المطر أربعين يوماً، فأقبلتِ الوحشُ حين أصـابها المـطر والطين[6] إلى نوح وسُخّرت له، فحملَ منها كما أمره الله، فركبوا فيهـا لعشر ليـالٍ مضَين من رجب، وكـان ذلك لثـلاث عشـرةٍ خَلَت من آب، وخـرجـوا منهـا يـوم عـاشـوراء من المحرّم، فلذلك صـام مَنْ صام يـوم عاشـوراء. وكان المـاء نصفين: نصف من السماء، ونصف من الأرض، وطـافت السفينـة بـالأرض كلّهـا، لا تستقـرّ حتى أتت الحـرمَ، فلم تـدخله، ودارت بـالحـرم أسبـوعـاً، ثمّ ذهبت في الأرض تسيـر بهم حتى انتهت إلى الجُوديّ، وهو جبـل بِقَرْدَى بـأرض الموصـل، فاستقـرّت عليه، فقيـل عند ذلـك: ﴿بُعْداً لِلقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[7]، ولما استقرّت قيل: ﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي، وَغِيضَ المَاءُ﴾[8]، نشّفته الأرض، وأقام نوح في الفُلك إلى أن غاض الماء، فلمّا خرج منها اتخذ بنـاحية من قَـرْدَى[9] من أرضِ الجزيـرة موضعـاً، وابتنى قريـةً سمّوهـا ثمـانين، وهي الآن تسمّى بسوق الثمانين لأنّ كلّ واحد ممّن معه بنى لنفسه بيتاً، وكانوا ثمانين رجلاً[10].

قال بعض أهل التوراة: لم يولد لنوح إلاّ بعد الطوفان[11].

---

(١) في الأصل «من» وهو غلط.
(٢) هود/٤٢.
(٣) هود/٤٣.
(٤) السورة والآية نفسها.
(٥) في الأصل «أعنق».
(٦) في النسخة (ب) «الطير».
(٧) هود/٤٤.
(٨) هود/٤٤.
(٩) ضبطها ياقوت بالفتح ثم السكون ثم دال مهملة، والقصر. (معجم البلدان ٤/٣٢٢).
(١٠) الطبري ١/١٨٩.
(١١) الطبري ١/١٩١.

وقيل: إنّ ساماً وُلد قبل الطوفان بثمانٍ وتسعين سنة.

وقيل: إنّ اسم ولده الذي أُغرق كان كنعان وهو يام[1].

وأمّا المجوس فإنّهم لا يعرفون الطوفان، ويقولون: لم يزل المُلك فينا من عهد جيومرث، وهو آدم، قالوا: ولو كان كذلك، لكان نَسَب القوم قد انقطع ومُلكهم قد اضمحلّ، وكان بعضهم يقرّ بالطوفان، ويزعم أنّه كان في إقليم بابل وما قَرُب منه، وأنّ مساكن ولد جيومرث كانت بالمشرق، فلم يصل ذلك إليهم[2].

وقول الله تعالى أصدق، في أنّ ذرّيّة نوح هم الباقون، فلم يعقب أحد ممّن كان معه في السفينة، غير ولده سام وحام ويافث.

ولما حضرتْ نوحاً الوفاةُ قيل له: كيف رأيتَ الدنيا؟ قال: كبيت له بابان، دخلت من أحدهما وخرجتُ من الآخر. وأوصى إلى ابنه سام، وكان أكبر ولده.

---

(١) الطبري ١/١٩١.

(٢) الطبري ١/١٩٢.

ذكر بيوراسب وهو الازدهاق
الذي يسميه العرب[1] الضحاك[2]

وأهلُ اليمن يدّعون أنّ الضحّاك منهم، وأنه أوّل الفراعنة، وكان ملكَ مصر لما قدِمها إبراهيم الخليل.

والفرس تذكر أنّه منهم، وتنسبه إليهم، وأنّه بيوراسب بن أرْوَنداسب[3] بن رينكار[4] بن وَنْدرِيْشْتَك[5] بن يارين[6] بن فروال[7] بن سيامك[8] بن ميشى[9] بن جيومرث.

ومنهم من ينسبه غير هذه النسبة.

وزعم أهلُ الأخبار أنّه ملك الأقاليم السبعة، وأنّه كان ساحراً فاجراً[10].

قال هشام بن الكلبيّ: ملك الضحّاك بعد جَم فيما يزعمون، والله أعلم، ألف سنة، ونزل السوادَ في قرية يقال لها بُرْس[11]، في ناحية طريق الكوفة، وملك الأرض كلّها، وسار بالجَوْر والعسف، وبسط يده في القتل، وكان أوّل من سنّ الصَّلب والقطع[12]، وأوّل من وضع العُشور وضربَ الدراهم، وأوّل من تغنّى وغُنّي له.

قال: وبلغنا أنّ الضحّاك هو نمرود، وأنّ إبراهيم، عليه السلام، وُلد في زمانه، وأنّه صاحبه الذي أراد إحراقه[13].

---

(١) في الأصل والنسخة (ر): والعرب تنقله وتعرّبه وتسمّيه الضّحاك.
(٢) في النسخة (ر): الضحاك وملك أفريدون.
(٣) عند الطبري ١/١٩٥ «أندرماسب».
(٤) في النسخة ب: «زبنكار»، وعند الطبري «زنجدار».
(٥) عند الطبري «وندريسج».
(٦) عند الطبري «تاج».
(٧) في النسخة ب: «فزوال»، وعند الطبري «فرياك».
(٨) عند الطبري «سياهمك».
(٩) عند الطبري «تاذي».
(١٠) الطبري ١/١٩٦.
(١١) بُرْس: بالضم، موضع بأرض بابل. (معجم البلدان ١/٣٨٤).
(١٢) في النسختين: ب، ت: «والقتل».
(١٣) الطبري ١/١٩٦، ١٩٧، تاريخ الخميس ١/٨٤.

وتـزعم الفرس أنّ المُلك لم يكن إلّا للبـطن الذي منـه أُوْشَهَنْج وجَم وطَهْمُـورِث، وأنّ الضحّـاك كـان غـاصبـاً، وأنّـه غصب[1] أهـل الأرض بسحـره وخبثـه، وهـوّل عليهم بالحيَّتَين اللّتين كانتا على مَنكبَيْه[2].

وقال كثير من أهل الكتب: إنّ الذي كـان على مَنكبيه كـان لحمتَين طويلتين كـلّ[3] واحدة منهما كرأس الثعبان، وكان يسترهمـا بالثيـاب، ويذكـر على طريق التهـويل أنّهمـا حيّتان تقتضيانه الطعام، وكانتا تتحرّكـان تحت ثوبـه إذا جاعتـا[4]، ولقي النّاسُ منـه جهداً شديداً، وذبح الصبيانَ لأنّ اللّحمتينِ اللّتين كانتا على مَنكبيه كانتا تضطربان، فإذا طلاهما بدماغ إنسان سكنتا، فكان يذبح كلَّ يوم رجلَين، فلم يزل النَّاس كذلك، حتى إذا أراد الله هلاكه، وثب رجل من العامّة من أهل أصبهان يقال لـه كابِي[5]، بسبب ابنَين لـه أخذهمـا أصحـاب بيوراسب بسبب اللّحمتين اللّتين على مَنكبيـه، وأخذ كـابي عصاً كـانت بيـده، فعلّق بطرفها جُراباً كان معه، ثمّ نصب ذلك كالعَلَم، ودعا النّاسَ إلى مجـاهدة بيـوراسب ومحاربته. فأسرع إلى إجابته خلقٌ كثير لِما كانوا فيه من البلاء وفنـون الجَوْر. فلمّـا غلب كابي تفاءَل النّاسُ بذلك العَلَم فعظّمـوه، وزادوا فيه، حتى صـار عند ملوك العجم عَلَمهم الأكبر الذي يتبرّكون به، وسمّوه دِرَفْش[6] كابيان، فكـانوا لا يسيّـرونه إلّا في الأمـور الكبار العظام، ولا يُرفع إلّا لأولاد الملوك إذا وُجِّهوا في الأمور الكبار.

وكان من خبر كابي أنّه من أهـل أصبهان، فثـار بمن اتّبعه، فـالتفّت الخلائق إليـه. فلمّا أشرف على الضحّاك، قُذِف في قلب الضحّاك منه الرعب، فهرب عن منـازله وخلّى مكانه. فاجتمع الأعجـامُ إلى كابي، فـأعلمهم أنّه لا يتعـرّض للملك لأنّه ليس من أهله، وأمرهم أن يملّكوا بعضَ ولد جَم، لأنّه ابن الملك أُوْشَهَنْق الأكبر بن فروال[7] الـذي رسم الملك وسبق في القيام به. وكان أَفريدون بن أَثْغِيان[8] مستخفياً من الضحّاك، فوافى كابي ومن معه، فاستبشروا بموافاته[9] فملّكوه، وصار كابي والوجوه لأفريدون أعوانـاً على أمره.

---

(١) في النسخة (ر): «عضب».
(٢) الطبري ١/١٩٧.
(٣) في النسخة (ر): «لكل».
(٤) عند الطبري ١/١٩٨ «جاع».
(٥) بالفارسية «كاوه».
(٦) درَفْش بالفارسية: القَلَم.
(٧) في النسخة (ب): «قزوال»، وعند الطبري ١/١٩٩ «فرواك».
(٨) في النسخة (ر): «القيان»، وعند الطبري ١/١٩٩ «أثفيان».
(٩) في النسخة (ب): «بوفاته» وهو تحريف.

فلمّا ملك وأحكم ما احتاج إليه من أمر المُلك، احتوى على منازل الضحّاك، وسار في أثره، فأسره بدُنْبَاوَنْد[1] في جبالها.

وبعض المجوس تزعم أنّه وكّل به قوماً من الجنّ[2].

وبعضهم يقول: إنّه لقي سليمان بن داود، وحبسه سليمان في جبل دُنْبَاوَنْد، وكان ذلك الزمان بالشام، فما برح بِيوَراسب بحبسه يجرّه حتى حمله إلى خُراسان. فلمّا عرف سليمان ذلك أمر الجنّ فأوثقوه حتى لا يزول، وعملوا عليه طِلّسماً كرجلَين يدقّان باب الغار الذي حُبس فيه أبداً لئلا يخرج، فإنّه عندهم لا يموت.

وهذا أيضاً من أكاذيب الفرس الباردة، ولهم فيه أكاذيب أعجب من هذا تركنا ذِكرها.

وبعض الفرس يزعم أنّ أفريدون قتله يوم النّيروز، فقال العجم عند قتله: إمْرُوز نَوْرُوز[3]، أي استقبلنا الدهر بيوم جديد، فاتّخذوه عيداً. وكان أسْره يوم المهرجان، فقال العجم: آمَدْ مهْرَجان لقتل من كان يَذبح.

وزعموا أنّهم لم يسمعوا في أمور الضحّاك بشيء يُستحسن غير شيءٍ واحد، وهو أنّ بليّته لما اشتدّت ودام جَوْره، وتَراسل الوجوهُ في أمره، فأجمعوا على المصير إلى بابه، فوافاه الوجوه، فاتّفقوا على أن يدخل عليه كابي الأصبهانيّ، فدخل عليه ولم يسلّم، فقال: أيّها الملك أيّ السلام أسلّم عليك؟ سلام من يملك الأقاليم كلّها، أم سلام من يملك هذا الإقليم؟ فقال: بل سلام من يملك الأقاليم[4] لأنّي ملك الأرض. فقال كابي: إذ كنتَ تملك الأقاليم كلّها فلِمَ خصّصتنا بأثقالك وأسبابك[5] من بينهم، ولِم لا تقسم الأمور بيننا وبينهم؟ وعدّد عليه أشياء كثيرة، فصدّقه، فعمل كلامه في الضحّاك، فأقرّ بالإساءة، وتألّف القومَ ووعدهم بما يحبّون، وأمرهم بالانصراف ليعودوا ويقضي حوائجهم، ثمّ ينصرفوا إلى بلادهم.

وكانت أمّه حاضرةً تسمع معاتبتهم، وكانت شرّاً منه[6]، فلمّا خرج القومُ دخلت مغتاظة من احتماله وحلمه عنهم، فوبّخته وقالت له: ألا أهلكتَهم وقطّعتَ أيديهم؟ فلمّا

---

(١) في النسختين: ب، ر: «ديناوند».

(٢) الطبري ١/١٩٦ ـ ١٩٩.

(٣) إمروز: بمعنى اليوم، ونوروز أي يوم جديد، وهو عيد رأس السنة عند الفرس.

(٤) في النسخة (ر) وعند الطبري ١/١٩٩ «الأقاليم كلها».

(٥) في النسختين: ب، ت «إسباتك».

(٦) في النسخة ب: «شرأم».

أكثـرَت عليه قـال لها: يـا هذه، لا تفكّـري في شيء إلاّ وقـد سبقتُ إليـه، إلاّ أنّ القـوم بـدهوني[1] بـالحقّ وقرّعـوني به، فكلّمـا هممت بهم تخيّل لي الحقّ بمنـزلـة الجبـل بيني وبينهم، فما أمكنني فيهم شيء. ثمّ جلس لأهل النواحي فوفّى لهم بمـا وعدهم، وقضى أكثر حوائجهم.

وقال بعضهم: كان ملكه ستّمائة سنة[2]، وكان عمره ألف سنـة، وإنّه كـان في باقي عمره شبيهاً بالملك لقدرته ونفوذ أمره.

وقيل: كان ملكه ألف سنة ومائة سنة.

وإنّما ذكرنا خبر بِيوَرَاسْب هاهنـا لأنّ بعضهم يزعم أنّ نـوحاً كـان في زمانـه، وإنّما أُرسل إليه وإلى أهل مملكته[3].

وقيل: إنّه هو الذي بنى مدينة بابِل، ومدينة صُور، ومدينة دمشق.

---

(١) في الأصل «بدؤوني»، والمثبت عن بقية النسخ، والطبري ١/٢٠٠.

(٢) في النسخة (ر): «ألف سنة ومائة سنة».

(٣) الطبري ١/١٩٩، ٢٠١، مرآة الزمان ١/٢٥٢.

ذِكر ذُرية نوح عليه السلام

قال النبيّ، ﷺ، في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ البَاقِينَ﴾[1]، إنّهم سام وحام ويافث.

وقال وَهْب بن مُنبّه: إنّ سام بن نوح أبو العرب وفارس والروم، وإنّ حاماً أبو السودان، وإنّ يافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج.

وقيل: إنّ القبط من ولد قوط بن حام، وإنّما كان السواد في نسل حام، لأنّ نوحاً نام فانكشفت سوأته، فرآها حام فلم يغطّها ورآها سام ويافث فألقيا عليه ثوباً، فلمّا استيقظ علم ما صنع حام وإخوته، فدعا عليهم[2].

قال ابن إسحاق: فكانت امرأة سام بن نوح صُلب ابنة بتاويل بن محويل بن حانوخ[3] بن قَيْن بن آدم، فولدت له نفراً: أَرْفَخْشَذْ واسود[4] ولاود[5] وإرم.

قال: ولا أدري أَإرم لأمّ أرفخشذ وإخوته أم لا. فمن ولد لاود بن سام فارس وجُرجان وطَسْم وعمليق، وهو أبو العماليق، ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيّون، والفراعنة بمصر، وكان أهل البحرين وعُمَان منهم ويسمّون جاشم[6]. وكان منهم بنو أُمَيْم بن لاود أهل وَبار بأرض الرمل، وهي بين اليمامة والشِّحْر[7]، وكانوا قد كثروا فأصابتهم نقمة من الله من معصية أصابوها، فهلكوا وبقيت منهم بقيّة، وهم الذين يقال لهم النسناس، وكان طسْم ساكني اليمامة إلى البحرين، فكانت طسْم والعماليق

---

(١) الصافات/٧٧.

(٢) الطبري ١/٢٠٢، تاريخ اليعقوبي ١/١٥، مروج الذهب ١/٤١، تاريخ الخميس ١/٨٦.

(٣) عند الطبري ١/٢٠٣ «خنوخ».

(٤) في النسخة (ر): «أشود»، وعند الطبري «أشوذ».

(٥) في النسخة (ب) «لاوّد» بتشديد الواو، وعند الطبري «لاوذ».

(٦) في النسخة (ب): «جاهم»، وعند الطبري ١/٢٠٣ «جاسم» بالسين المهملة.

(٧) الشِّحْر: بكسر أوله، وسكون ثانيه، وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن. (معجم البلدان ٣/٣٣٧).

وأُمَيْم وجـاشم[1] قومـاً عربـاً لسانهم عـربيّ، ولحقت عَبِيل بيثـرب قبـل أن تُبنى. ولحقت العماليق بصنعاء قبل أن تسمّى صنعاء. وانحدر بعضهم إلى يثرب، فأخرجوا منها عَبِيـلاً، فنزلوا موضع الجُحْفة[2]، فأقبل سَيْل فاجتحفهم، أي أهلكهم، فسُمّيت الجُحْفة.

قال: ووَلَد إرم بن سام عوضاً[3] وغاثراً وحويلاً، فولدَ عوض[3] غـاثراً وعـاداً وعبيلاً، وولدَ غاثر بن إرم ثَمُودَ وجَدِيساً، وكانوا عـرباً يتكلّمـون بهذا اللّسـان المُضَرِيّ[4]. وكـانت العرب[5] تقول لهذه الأمم ولجُرْهُم العرب العاربة. ويقولون لبني إسماعيل العرب المعرّبة لأنّهم إنّما تكلّموا بلسان هذه الأمم حين سكنوا بين أظهرهم. فكانت عاد بهذا الرمـل إلى حَضْرَمَوْت. وكانت ثمود بـالحِجْر بين الحجـاز والشام إلى وادي القُـرى. ولحِقَت جديس بطَسْم، وكانوا معهم باليمامة إلى البحـرين، واسم اليمامـة إذ ذاك جَوٌّ. وسكنت جـاشم[6] عُمان.

والنَّبَط من ولد نبيط بن ماش بن إرم بن سام.

والفرس بنو فارس بن تيرش[7] بن ماسور بن سام.

قال: ووُلِدَ لأرفخشد بن سام ابنـه قينان، كـان[8] ساحـراً، ووُلِدَ لقينـان شالـخ بن[9] أرفخشذ من غير ذكر قينان لما ذُكر من سحره. ووُلد لشالخ غابر[10]، ولغـابر فـالَغ، ومعنـاه القاسم، لأنّ الأرض قُسمت والألسن تبلبلت في أيّامه، وقحطان بن غابر، فـوُلد لقحـطان يَعْـرُب ويَقْطان، فنـزلا اليمن، وكـان أوّلَ من سكن اليمن، وأوّل من سُلّم عليـه بـ «أبيتَ اللعنَ». ووُلد لفالغ بن غابر أرغو[11]، ووُلـد لأرغو سـاروغ، ووُلد لسـاروغ ناخـور، ووُلد

---

(١) في النسخة (ب): «جاهم»، وعند الطبري ١/٢٠٤ «جاسم» بالسين المهملة.

(٢) الجُحْفَة: بالضم ثم السكون، كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحـل... وهي أول الغور إلى مكة. (معجم البلدان ٢/١١١).

(٣) عند الطبري ١/٢٠٤ «عوص» بالصاد المهملة.

(٤) في النسخـة (ر) «اللسان العـربي»، وفي بقية النسـخ والأصـل، وطبعـة صـادر ١/٧٩ «المصـري» بـالصاد المهملة، والمثبت عن الطبري ١/٢٠٤.

(٥) في النسخة (ر): «وكانت الأمم».

(٦) في النسخة (ب): «جاهم»، وفي تاريخ الطبري ١/٢٠٤ «جاسم».

(٧) في الأصل «تقرس».

(٨) في النسخة (ر): «قيل كان».

(٩) في النسخة (ر): «شالخ فقيل شالخ بن».

(١٠) في تـاريخ الـطبري «عـابر» بـالعين المهملة. (١/٢٠٥) وكذلـك في تـاريـخ اليعقـوبي ١/١٩ والمسعـودي ١/٤٢.

(١١) في تاريخ الطبري ١/٢٠٥ «أرغوا».

لناخور[1] تارَخ، واسمه بالعربيّة آزر. ووُلد لآزر إبراهيم، عليه السلام. ووُلد لأرفخشذ أيضاً نُمرُود، وقيل هو نمرُود بن كوش بن حام بن نوح.

قال هشام بن الكلبيّ: السند والهند بنو توقير[2] بن يقطن[3] بن غابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وجُرْهُم من ولد يقطن بن غابر. وحضرموت بن يقطن، ويقطن هو قحطان في قول مَنْ نسبه إلى غير إسماعيل.

والبّربر من ولد ثميلا بن مارب بن فاران بن عمرو بن عمليق بن لاود[4] بن سام بن نوح، ما خلا صِنهاجة وكُتامة، فإنّهما بنو فريقش بن صيفي[5] بن سبأ.

وأمّا يافث فمن ولده جامر[6] وموعع[7] ومورك[8] وبوان[9] وفوبا[10] وماشج[11] وتيرش. فمن ولد جامر ملوك فارس في قول، ومن ولد تيرش الترك والخَزَر. ومن ولد ماشج[11] الأشبان، ومن ولد موعع يأجوج ومأجوج، ومن ولد بوان[12] الصّقالبة وبرجان. والأشبان[13] كانوا في القديم بأرض الروم قبل أن يقع بها مَن وقع من ولد العيص بن إسحاق وغيرهم. وقصد كلّ فريق من هؤلاء الثلاثة، سام وحام ويافث أرضاً فسكنوها ودفعوا غيرهم عنها[14].

ومن ولد يافث الروم، وهو بنو لنطى بن يونان[15] بن يافث بن نوح[16].

وأمّا حام فوُلد له كوش ومصرايم وقوط وكنعان، فمن ولد كوش نُمرود بن كوش،

---

(١) في تاريخ الطبري «ناحوزا» في الموضعين.
(٢) في الأصل «توقين»، والمثبت يتفق مع الطبري ١/٢٠٧.
(٣) في الأصل «يقطين»، والمثبت يتفق مع الطبري ١/٢٠٧.
(٤) في تاريخ الطبري ١/٢٠٧ «لوذ».
(٥) في النسخة (ر): «بنوفريقيش بن قيس بن صيفي»، وكذا في تاريخ الطبري.
(٦) في النسخة (ب): «جابر».
(٧) في تاريخ الطبري ١/٢٠٦ «موعج».
(٨) في النسخة (ب): «بورك»، وفي تاريخ الطبري «موادي».
(٩) في النسخة (ب) «نوان».
(١٠) في النسخة (ب) «قويا»، وفي النسخة (ر): نونان وفونا»، وعند الطبري ١/٢٠٦ «ثوبال».
(١١) في النسخة (ب): «ماشيح».
(١٢) في النسخة (ر): «نونان».
(١٣) هكذا عن نسختي: ب، ت، والطبري.
(١٤) الطبري ١/٢٠٦.
(١٥) في النسختين: ب، ت «ثوبان».
(١٦) الطبري ١/٢٠٧.

وقيل: هو من ولد سام، وصارت بقيّة ولد حام بالسواحل من النُّوبة والحَبشة والزنج.

ويقال: إن مصرايم ولد القبْط والبربر.

وأمّا قوط فقيل إنّه سار إلى الهند والسند فنزلها وأهلها من ولده[1].

وأمّا الكَنْعانيّون فلحق بعضهم بالشام، ثمّ جاءت بنو إسرائيل فقتلوهم بها ونفوهم عنها، وصار الشام لبني إسرائيل. ثمّ وثبت الروم على بني إسرائيل فأجلوهم عن الشام إلى العراق إلّا قليلاً منهم. ثمّ جاءت العرب فغلبوا على الشام[2].

وكان[3] يقال لعاد عاد إرم، فلمّا هلكوا قيل لثمود ثمود إرم[4].

قال[5]: وزعم أهل التوراة أنّ أرفخشذ وُلد لسام بعد أن مضى من عمر سام مائة سنة وسنتان، وكان جميع عمر سام ستّمائة سنة[6].

ثمّ ولد لأرفخشذ قينان بعد أن مضى من عمر أرفخشذ خمس وثلاثون سنة، وكان عمره أربعمائة وثمانياً وثلاثين سنة[7]. ثمّ وُلد لقينان شالخ بعد أن مضى من عمره تسع وثلاثون سنة، ولم تُذكر مدّة عمر قينان في الكتب لِما ذكرنا من سحره. ثمّ وُلد لشالخ غابر بعدما مضى من عمره ثلاثون سنة، وكان عمره كلّه أربعمائة وثلاثاً وثلاثين سنة. ثمّ وُلد لغابر فالغ وأخوه قحطان، وكان مولد فالغ[8] بعد الطوفان بمائة وأربعين سنة، وكان عمره أربعمائة وأربعاً وسبعين سنة. ثمّ وُلد لفالغ أرغو بعد ثلاثين سنة من عمر فالغ، وكان عمره مائتين وتسعاً وثلاثين سنة. ووُلد لأرغو[9] ساروغ[10] بعدما مضى من عمره اثنتان وثلاثون سنة، وكان عمره مائتين وتسعاً وثلاثين سنة. ووُلد لساروغ ناخور بعد ثلاثين سنة من عمره، وكان عمره كلّه مائتين وثلاثين سنة. ثمّ وُلد لناخور[11] تارَخ[12] أبو إبراهيم،

---

(١) في النسخة (ر): «نسله»، والمثبت يتفق مع الطبري ١/٢٠٦.

(٢) في تاريخ الطبري ١/٢٠٩.

(٣) في النسخة (ر): «قال وكان».

(٤) في النسخة (ر): «فلما هلكوا قيل لسائر بني إرم إرمان، فيهم النبط، فكل هؤلاء ولد نوح».

(٥) عن نسختي: ب، ت.

(٦) قارن بالعهد القديم ـ الإصحاح ١١/١٠.

(٧) الإصحاح ١١/١٢.

(٨) في الأصل «قحطان» وهو وهم.

(٩) في التوراة ١٨ ـ «رَعُوَ»، وكذلك في مروج الذهب ١/٤٣.

(١٠) في التوراة «سَرُوج».

(١١) في التوراة «ناحور» بالحاء المهملة.

(١٢) في التوراة «تارح» بالحاء المهملة، وكذلك في مروج الذهب ١/٤٤.

بعدما مضى من عمره سبعُ وعشرون سنة، وكان عمره كلّه مائتين وثمانياً وأربعين سنة.
ووُلِدَ لتارَخ، وهو آزر، إبراهيم، عليه السلام. وكان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة[1] ومائتا سنة وثلاث وستّون[2] سنة، وذلك بعد خلق آدم بثلاثة آلاف سنة وثلاثمائة وسبع وثلاثين[3] سنة.

ووُلد لقحطان بن غابر[4] يَعْرُب، فوُلد ليعرُب يَشْجُب[5]، فولد يشجب سبأ، فولد سبأ حِمْيَر وكَهْلان، وعَمْراً، والأشعر، وأنمار، ومرّاً، فولد عمرو بن سبأ عديّاً، وولد عديّ لَخْماً، وجُذاماً[6].

(١) في النسخة (ر): «وتسع وسبعون سنة وقيل ألف سنة»، وانظر الطبري ١/٢١١.
(٢) في الأصل «وتسع وسبعون».
(٣) في النسخة (ب): «وستين».
(٤) في تاريخ الطبري «عابر» بالعين المهملة.
(٥) كُتب بجانبها «يشحب» بالحاء المهملة.
(٦) الطبري ١/٢١١، وانظر تاريخ اليعقوبي ١/٢٠ ـ ٢٣.

ذكر ملك أفريدون[1]

وهو أفريدون بن أثغيان[2]، وهو من ولد جَم شِيد. وقد زعم بعضُ نسّابة الفرس أنّ نوحاً هو أفريدون الذي قهر الضحّاك وسلبه مُلْكَه، وزعم بعضهم أنّ أفريدون هو ذو القَرنَين صاحب إبراهيم الذي ذكره الله في كلامه العزيز، وإنّما ذكرتُه في هذا الموضع لأنّ قصّته في أولاده الثلاثة شبيهة بقصّة نوح على ما سيأتي، ولحُسْن سيرته وهلاك الضحّاك على يديه، ولأنّه قيل إنّ هلاك الضحّاك كان على يد نوح.

وأمّا باقي نسّابة الفرس فإنّهم ينسبون أفريدون إلى جَم شيد الملك، وكان بينهما عشرة آباء كلّهم يسمّى أثغيان خوفاً من الضحّاك، وإنّما كانوا يتميّزون بألقاب لُقّبوها، فكان يقال لأحدهم أثغيان صاحب البقر الحُمر، وأثغيان صاحب البقر البُلق، وأشباه ذلك[3]، وكان أفريدون أوّل من ذلّل[4] الفِيَلَة وامتطاها، ونَتَج البِغال، واتخذ الإوَزّ والحمام، وعمل الترياق، وردّ المظالم، وأمر النّاس بعبادة الله والإنصاف والإحسان، وردّ على النّاس ما كان الضحّاك غصبه من الأرض[5] وغيرها، إلاّ ما لم يجد له صاحباً، فإنّه وقفه على المساكين.

وقيل: إنّه أوّل من سمّي الصوفي[6]، وهو أوّل من نظر في علم الطبّ وكان له ثلاثة بنين، اسم الأكبر شرم[7]، والثاني طُوج، والثالث إيرَج، فخاف أن يختلفوا بعده فقسم ملكه بينهم أثلاثاً، وجعل ذلك في سهام كتب أسماءهم عليها، وأمر كلّ واحدٍ منهم فأخذ

---

(١) أنظر عنه: تاريخ الطبري ١/٢١٣، غرر السير لابن مسكويه ٣٥، مرآة الزمان ١/٢٥٢، تاريخ الخميس ١/٨٥.

(٢) في النسخة (ب) «أنقبان» بالقاف، وفي تاريخ الطبري ١/٢١٣ «أثفيان» بالفاء.

(٣) أنظر في ذلك: الطبري ١/٢١٣، وتاريخ الخميس ١/٨٥.

(٤) في الأصل «ملك».

(٥) في النسخة (ر)؛ «الأرضين».

(٦) في النسخة (ت) «الصوافي»، وفي النسخة (ر): «الصواني».

(٧) في الأصل، والنسخة (ر): «شلم»، ونسخة (ب): «سلم»، وكذلك في تاريخ الطبري ١/٢١٤.

سهماً، فصارت الـروم وناحيـة العرب لشـرم[1]، وصارت التـرك والصين لطوج، وصـارت العراق والسند والهند والحجاز وغيـرها لإيـرَج، وهو الثـالث، وكان يحبّـه، وأعطاه التـاج والسـريـر، ومـات أفـريـدون ونشبت العـداوة بين أولاده وأولادهم من بعـدهم، ولـم يـزل التحاسد ينمو بينهم إلى أن وثب طوج وشرم[1] على أخيهما إيرَج فقتلاه، وقتـلا ابنين كانـا لإيرَج، وملكا الأرضَ بينهما ثلاثمائة سنة. ولم يزل أفـريدون يتبـع من بقي بالسواد من آل نمـرود والنبط وغيرهم، حتى أتَى على وجـوههم ومحا أعـلامهم، وكان ملكـه خمسمائـة سنة[2].

(١) في الأصل «لشلم»، وفي النسخة (ب): «لسلم» كما في تاريخ الطبري.
(٢) الطبري ١/٢١٥.

ذكر الأحداث التي كانت بين نوح وإبراهيم[(١)]

قد ذكرنا ما كان من أمر نوح وأمر ولده، واقتسامهم الأرض بعده، ومساكن كلّ فريق منهم، فكان ممّن طغى وبغى، فأرسل الله إليهم رسولاً فكذّبوه، فأهلكهم الله، هذان الحيّان من ولد إرم بن سام بن نوح، أحدهما عاد والثاني ثمود.

فأمّا عاد فهو عاد بن عوض[(٢)] بن إرم بن سام بن نوح، وهو عاد الأولى، وكانت مساكنهم ما بين الشِّحْر وعُمَان وحَضْرَمَوْت بالأحقاف، فكانوا جبّارين طوال القامة لم يكن مثلهم، يقول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الخَلْقِ بَسْطَةً﴾[(٣)]؛ فأرسل الله إليهم هود بن عبد الله بن رباح[(٤)] بن الجلود[(٥)] بن عاد بن عوض[(٦)].

ومن النّاس من يزعم أنّه هود وهو غابر[(٧)] بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وكانوا أهل أوثان ثلاثة يقال لأحدهم ضراً وللآخر ضمور، وللثالث الهبا[(٨)]، فدعاهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة دون غيره وترْك ظلم الناس، فكذّبوه وقالوا: مَنْ أشدُّ منّا قوّةً! ولم يؤمن بهود منهم إلّا قليل.

وكان من أمرهم ما ذكره ابنُ إسحاق قال[(٩)]: إنّ عاداً أصابهم قحط تتابع عليهم بتكذيبهم هوداً، فلمّا أصابهم قالوا: جهّزوا منكم وفداً إلى مكة يستسقون لكم، فبعثوا

---

(١) الطبري ١/٢١٦.
(٢) عند الطبري «عَوْص» بالصاد المهملة.
(٣) الأعراف/٦٩.
(٤) في النسخة (ب) «رياح» بالياء المثنّاة.
(٥) في تاريخ الطبري «الخلود».
(٦) عند الطبري «عوص» بالصاد المهملة.
(٧) عند الطبري «عابر» بالعين المهملة.
(٨) في النسخة (ب) «الهيا» بالياء المثنّاة، وعند الطبري: «يقال لأحدها ضراء، وللآخر صمود، وللثالث الهباء».
(٩) الطبري ١/٢١٩.

قَيْل بن عير[1] ولُقَيم بن هَـزَّال ومَرْثَـد بن سعد، وكـان مسلماً يكتم إسـلامه، وجُلْهُمَـة بن الخيبريّ[2]، خال معـاوية بن بكـر[3]، ولقمان بن عـاد بن فلان[4] بن عـاد الأكبر في سبعين رجلاً من قومهم، فلمّا قدموا مكّة نزلوا على معاوية بن بكر بظاهر مكّة خارجاً عن الحرم، فأكرمهم، وكانوا أخواله وصهره لأنّ لُقَيْم بن هَزَّال كان تزوّج هزيلة بنت بكر أخت معـاوية فأولدها أولاداً كانوا عند خالهم معاوية بمكّة، وهم: عُبَيد، وعَمْرو، وعـامر، وعُمَيـر، بنو لُقَيم، وهم عاد الآخرة التي بقيت بعـد عاد الأولى، فلمّـا نزلـوا على معاويـة أقامـوا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنّيهم الجرادتان، قَيْنَتان لمعاويـة، فلمّا رأى معـاوية طـول مقامهم وتركهم ما أُرسلوا له، شقَّ عليه ذلك وقال: هلك أخوالي، واستحيا أن يأمر الوفد بـالخروج إلى ما بُعثوا له، فذكر ذلك للجرادتين فقالتـا[5]: قلْ شعـراً نغنّيهم به لا يـدرون من قائله، لعلّهم يتحرّكون؛ فقال معاوية:

ألا يـا قَيْـلُ وَيحـكَ قُـمْ فَهَـيْنِـمْ ... لـعَـلّ الله يُصبحُـنـا[6] غَـمَـامَـا
فـيـسـقـي أرضَ عـادٍ إنّ عـاداً ... قـد أمسـوا لا[7] يُبينـونَ الكَـلامَـا

في أبيات ذكرها.

والهَيْنَمَة: الكلام الخفيّ.

فلمّا غنّتهم الجرادتان ذلك الشعر وسمعه القـوم قال بعضهم لبعض: يـا قوم بعثكم قومكم يتغوّثون[8] بكم من البلاء الذي نزل بهم، فأبطأتم عليهم، فادخلوا الحرمَ واستسقوا لقومكم. فقال مَرْثَد بن سعد: إنّهم والله لا يُسقون بدعائكم، ولكن أطيعـوا نبيَّكم، فأنتم تُسقون[9]، وأظهر إسلامه عند ذلك. فقال جُلْهُمَة بن الخيبريّ، خال معاوية، لمعـاوية بن بكر: احبس عنّا مَرْثَد بن سعد. وخرجـوا إلى مكّة يستسقـون بها لعـاد، فدعـوا الله تعالى لقومهم واستسقوا، فـأنشأ الله سحـائبَ ثلاثـاً بيضاء وحمـراء وسوداء ونـادى منادٍ منهـا: يا قَيْل: اختر لنفسك وقومك. فقال: قـد اخترتُ السحـابةَ السـوداء، فإنّهـا أكثر مـاء، فناداه

---

(١) في تاريخ الطبري «عتر» بالتَاء المثنّاة من فوقها.
(٢) في تاريخ الطبري ١/ ٢١٩ «الخبيري».
(٣) في النسخة (ب) «بكير» وهو تحريف.
(٤) في الأصل «ميلان».
(٥) في الأصل «فقالوا».
(٦) في تـاريخ الـطبـري ١/ ٢٢٠ «يسقينـا»، والمثبت كمـا في التفسيـر ١٢/ ٥١٦، وفي مـرآة الـزمـان ١/ ٢٥٥ «يمنحنا».
(٧) في مرآة الزمان «ما».
(٨) في النسخة (ب): «يتغوّثون».
(٩) في تاريخ الطبري ١/ ٢٢٠، ٢٢١ «ولكنْ إن أطعتم نبيّكم وأنبتم إليه سُقيتم».

منادٍ: اخترتَ رماداً رِمْدَاداً[1]، لا تُبقي من عاد أحداً، لا ولداً تترك ولا والداً إلاّ جعلته هَمِدا، إلاّ بني اللُّوذيَّة المُهْدَى.

وبنو اللُّوذِيّة: بنو لُقَيْم بن هَزَّال، كانوا بمكّة عند خالهم معاوية بن بكر.

وساق الله السحابة السوداء بما فيها من العذاب إلى عاد، فخرجت عليهم من واد يقال له المغيث، فلمّا رأوها استبشروا بها وقالوا: ﴿هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ يقول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾[2]، أي كلّ شيء أُمرتْ به. وكان أوّل من رأى ما فيها وعرف أنّها ريح مُهْلِكة امرأة من عاد يقال لها فهدد[3]، فلمّا رأت ما فيها صاحت وصَعِقت، فلمّا أفاقت قالوا: ماذا رأيتِ؟ قالت: رأيتُ ريحاً فيها كشُهُب النار، أمامها رجال يقودونها، فلمّا خرجت الريح من الوادي قال سبعة رهط منهم، أحدهم الخَلَجان[4]: تعالوا حتى نقوم على شفير الوادي فنردّها. فجعلتِ الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله فتدقّ عنقه، وبقي الخَلَجان فمال إلى الجبل وقال:

لم يَبقَ إلاّ الخَلَجانُ نَفسُه ... يا لكَ مِن يومٍ دَهاني أمسُهُ[5]

بثابتِ الوَطْء شديدٍ وطْسُهُ ... لَوْ لم يجئْني جِئتُهُ أُجُسُّهُ[6]

فقال له هود: أسلِمْ تَسلَم. فقال: وما لي؟ قال: الجنّة. فقال: فما هؤلاء الذين في السحاب كأنّهم البُخت[7]؟ قال: الملائكة. قال: أيُعيذني[8] ربّك منهم إن أسلمتُ؟ قال: هل رأيتَ مِلكاً يعيذ[9] من جنده؟ قال: لو فعل ما رضيت.

ثمّ جاءت الريح وألحقته بأصحابه و﴿سَخَّرَهَا ـ الله ـ عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً﴾[10]، كما قال تعالى. والحسوم: الدائمة. فلم تدع من عاد أحداً إلاّ هلك، واعتزل هود والمؤمنون في حظيرة لم يصبه ومن معه [منها] إلاّ تليين الجلود[11]، وإنّها لتمرُّ

---

(١) في الطبعة الأوربية «مدداء».

(٢) الأحقاف/٢٤ ـ ٢٥.

(٣) في الأصل «مهرد»، وفي النسخة (ر)، والطبري ١/٢٢٢ «مَهْدَد».

(٤) في الطبقة الأوربية «قال شعبة رهط من الخلجان».

(٥) في النسخة (ب) «نكسه».

(٦) البيتان عند الطبري ١/٢٢٤.

(٧) في النسخة (ت) «النجت»، وفي الأصل «المنجت» وهو تحريف، والمثبت يتفق مع الطبري.

(٨) في النسخة (ر): «أينقذني».

(٩) في الأصل «يقيد»، وفي النسخة (ر): «ينقذ».

(١٠) الحاقّة/٧.

(١١) في النسخة (ر): «ما يصيبه ومن معه إلا ما تلين الجلود».

من[1] عاد بالظعن ما بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة. وعاد وفد عاد إلى معاوية بن بكر فنزلوا عليه، فأتاهم رجل على ناقة فأخبرهم بمُصاب عاد وسلامة هود.

قال: وكان قد قيل للُقمان بن عاد: اختر لنفسك إلا أنّه لا سبيل إلى الخلود. فقال: يا ربّ أعطني عُمراً. فقيل له: اختر. فاختار عمر سبعة أنْسُر. فعمّر فيما يزعمون عُمر سبعة أنسر، فكان يأخذ الفَرْخ الذَّكر حين يخرج من بيضته، حتى إذا مات أخذ غَيره، وكان يعيش كلُّ نسر ثمانين سنة، فلمّا مات السابع مات لُقمان معه، وكان السابع يُسمّى لُبَداً.

قال: وكان عمر هود مائة وخمسين[2] سنة، وقبره بحَضْرَمَوْت، وقيل بالحِجْر من مكّة، فلمّا هلكوا أرسل الله طيراً سُوداً فنقلتهم إلى البحر، فذلك قوله تعالى: ﴿**فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إلاّ مَسَاكِنُهُمْ**﴾[3]. ولم تخرج ريح قطّ إلاّ بمكيال إلاّ يومئذٍ، فإنّها عَتَتْ على الخَزَنة، فذلك قوله: ﴿**أُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ**﴾[4]. وكانت الريحُ تقلع الشجرة العظيمة بعروقِهَا وتهدم البيتَ على من فيه[5].

وأمّا ثمود فهم ولد ثمود بن جاثر بنِ إرم بن سام، وكانت مساكن ثمود بالحِجْر بين الحجاز والشام، وكانوا بعد عاد قد كَثُروا[6] وكفروا وعتَوا، فبعث الله إليهم صالح بن عبيد بن أسِف بن ماشج[7] بن عبيد بن جادر[8] بن ثمود، وقيل أسف بن كماشج[9] بن إرم[10] بن ثمود يدعوهم إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، ﴿**فَقَالُوا: يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَذَا**﴾ الآية[11]؛ وكان الله قد أطال أعمارهم، حتى إن كان أحدهم يبني البيتَ من المَدَر فينهدم وهو حيّ، فلمّا رأوا ذلك اتّخذوا من الجبال بيوتاً فارِهين فنحتوها، وكانوا في سَعَةٍ من معايشهم، ولم يزل صالح يدعوهم، فلم يتبعه منهم إلاّ قليل مستضعَفون، فلمّا ألحّ عليهم بالدّعاء والتحذير والتخويف سألوه فقالوا: يا صالح اخرج

---

(١) في الطبعة الأوربية «وانها التمرين».
(٢) الطبري ١/٢٢٥ وفي النسخة (ر): «مائة وستة وخمسين».
(٣) الأحقاف/٢٥.
(٤) الحاقّة/٦.
(٥) الطبري ١/٢٢٥، ٢٢٦.
(٦) في النسخة (ب): «تكبروا».
(٧) في النسخة (ب): «ما شيج»، وفي تاريخ الطبري «ماسخ».
(٨) في تاريخ الطبري «خادر».
(٩) في النسخة (ب): «كماشيج»، والنسخة (ر) «كاشج». والمثبت يتفق مع الطبري ١/٢٢٦.
(١٠) في طبعة صادر «اروم»، والتصويب عن الطبري.
(١١) هود/٦٢.

معنا إلى عيدنا، وكان لهم عيد يخرجون إليه بأصنامهم، فأرِنا آيةً فتدعو إلٰهك وندعو آلهتنا، فإنِ استُجيب لك اتّبعناك، وإنِ استُجيب لنَا اتّبعتَنا. فقال: نعم، فخرجوا بأصنامهم وصالح معهم، فدعوا أصنامهم أن لا يستجاب لصالح ما يدعو به، وقال له سيّد قومه: يا صالح أخْرِجْ لنا من هذه الصخرة ـ لصخرةٍ منفردةٍ ـ ناقةً جَوْفاء عشراء، فإن فعلتَ ذلك صدّقناك.

فأخذ عليهم المواثيق بذلك، وأتَى الصخرةَ وصلّى ودعا ربّه عزّ وجلّ، فإذا هي تتمخّض كما تتمخّض الحاملُ، ثمّ انفجرت وخرجت من وسطها الناقةُ كما طلبوا وهم ينظرون، ثمّ نتجت سقباً مثلها في العِظَم، فآمن به سيّد قومه، واسمه جندع بن عمرو[1]، ورهطٌ من قومه، فلمّا خرجتِ الناقةُ قال لهم صالح: ﴿**هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ**﴾[2]، ومتى عقرتموها أهلككم الله. فكان شُرْبها يوماً وشربهم يوماً معلوماً، فإذا كان يوم شربها خلّوا بينها وبين الماء، وحلبوها لبنها، وملأوا كلّ وعاء وإناء، وإذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء، فلم تشرب منه شيئاً، وتزوّدوا من الماء للغد.

فأوحى الله إلى صالح أنّ قومك سيعقرون الناقة، فقال لهم ذلك، فقالوا: ما كنّا لنفعل. قال: إلاّ تعقروها أنتم يوشك أن يولد فيكم مولود يعقرها، قالوا: وما علامته؟ فوالله لا نجده إلاّ قتلناه! قال: فإنّه غلام أشقر أزرق أصهب أحمر. قال: فكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان لأحدهما ابن رغب[3] له عن المناكح، وللآخر ابنة لا يجد لها كفؤاً، فزوّج أحدهما ابنه بابنة الآخر، فولد بينهما المولود، فلمّا قال لهم صالح إنّما يعقرها مولود فيكم، اختاروا قوابل من القرية وجعلوا معهنّ شُرَطاً يطوفون في القرية، فإذا وجدوا امرأة تلِد نظروا ولَدها ما هو، فلمّا وجدوا ذلك المولود صرخ النِّسْوة وقُلْن: هذا الذي يريد نبيّ الله صالح، فأراد الشّرَطُ أن يأخذوه، فحال جدّاه بينهم وبينه وقالا: لو أراد صالح هذا لقتلناه. فكان شرّ مولود وكان يشبّ في اليوم شباب غيره في الجمعة، فاجتمع تسعة رهط منهم يفسدون في الأرض ولا يُصلحون، كانوا قتلوا أبناءهم حين ولدوا خوفاً أن يكون عاقر الناقة منهم، ثمّ ندِموا فأقسموا ليقتلُنَّ صالحاً وأهله وقالوا: نخرج فترى الناس أنّنا نريد السفر، فنأتي الغارَ الذي على طريق صالح فنكون فيه، فإذا جاء اللّيل وخرج صالح إلى مسجده قتلناه، ثمّ رجعنا إلى الغار، ثمّ انصرفنا إلى رِحالنا وقلنا ما شهدنا قتْله، فيصدّقُنا قومه. وكان صالح لا يبيت[4] معهم، وكان يخرج إلى مسجد له

---

(١) في النسخة (ب): «عروة».

(٢) الشعراء/١٥٥.

(٣) في النسخة (ر)، والطبري ١/٢٢٨ «يرغب».

(٤) في النسخ الأخرى غير الأصل: «ينام».

يُعْرف بمسجد صالح فيبيت فيه، فلمّا دخلوا الغار سقطت عليهم صخرةٌ فقتلتهم، فانطلق رجالٌ ممّن عرف الحال إلى الغار فرأوهم هلكى، فعادوا يصيحون: إنّ صالحاً أمرهم بقتل أولادهم ثمّ قتلهم.

وقيل: إنّما كان تقاسم التسعة عل قتْل صالح بعد عقر الناقة وإنذار صالح إيّاهم بالعذاب، وذلك أنّ التسعة الذين عقروا الناقة قالوا: تعالوا فلنقتل صالحاً، فإنْ كان صادقاً عجّلنا قتْلَه، وإنْ كان كاذباً ألحقناه بالناقة، فأتوه ليلاً في أهله، فدمغتهم الملائكة بالحجارة فهلكوا، فأتَى أصحابهم فرأوهم هلكى فقالوا لصالح: أنتَ قتلتهم، وأرادوا قتله، فمنعهم عشيرته وقالوا: إنّه قد أنذركم[1] العذاب، فإنْ كان صادقاً فلا تزيدوا ربَّكم غضباً، وإنْ كان كاذباً فنحن نسلّمه إليكم، فعادوا عنه؛ فعلى القول الأوّل يكون التسعة الذين تقاسموا غير الذين عقروا الناقة، والثاني أصحّ، والله أعلم.

وأمّا سبب قتل الناقة فقيل: إنّ قُدار بن سالف جلس مع نفر يشربون الخمر، فلم يقدروا على ماء يمزجون به خمرهم لأنّه كان يوم شرب الناقة، فحرّض بعضهم بعضاً على قتْلها.

وقيل: إنّ ثموداً كان فيهم امرأتان، يقال لإحداهما قَطام وللأخرى قَبال[2]، وكان قُدار يهوى قَطام، ومِصْدع يهوى قَبال ويجتمعان بهما، ففي بعض الليالي قالتا لقُدار ومِصْدع: لا سبيل لكما إلينا حتى تقتلا الناقة، فقالا: نعم، وخرجا وجمعا أصحابهما، وقصدا الناقة وهي على حوضها، فقال الشقيّ لأحدهم: اذهب فاعقرْها، فأتاها، فتعاظمه ذلك، فأضرب[3] عنه، وبعث آخر فأعظم ذلك، وجعل لا يبعث أحداً إلّا تعاظمه قتْلُها، حتى مشى هو إليها فتطاول فضرب عرقوبها[4]، فوقعت تركض، وكان قتْلُها يوم الأربعاء، واسمه بلغتهم جبّار، وكان هلاكهم يوم الأحد، وهو عندهم أوّل، فلمّا قُتلت أتَى رجل منهم صالحاً فقال: أدرك الناقة فقد عقروها، فأقبل وخرجوا يتلقّونه يعتذرون إليه: يا نبيّ الله إنّما عقرها فلان إنّه لا ذنب لنا! قال: انظروا هل تدركون فصيلها؟ فإنْ أدركتموه فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب. فخرجوا يطلبونه، ولما رأى الفصيل أمّه تضطرب قصد جبلاً يقال له القارة قصيراً[5] فصعده، وذهبوا يطلبونه[6]، فأوحى الله إلى الجبل فطال في

---

(١) في النسخ الأخرى غير الأصل: «وعدكم».

(٢) قيل اسم إحداهما «عنيزة» والأخرى «صدوف». (مرآة الزمان ١/٢٦٤).

(٣) في الطبقة الأوربية «فأصرّت»، والمثبت يتفق مع الطبري ١/٢٢٩.

(٤) في تاريخ الطبري ١/٢٣٠ «عرقوبيها».

(٥) في النسخة (ب): «قصراً».

(٦) في النسخة (ر): «فصعدوا وذهبوا ليأخذوه».

السماء حتى ما يناله الطير، ودخل صالح القرية، فلمّا رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه، ثمّ استقبل صالحاً فَرَغَا ثلاثاً، فقال صالح: لكلّ رغوة أجل يوم ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[1]، وآية العذاب أنّ وجوهكم تصبح في اليوم الأوّل مُصْفَرَّةً، وتصبح في اليوم الثاني مُحْمَرَّةً، وتصبح في اليوم الثالث مُسْوَدَّةً. فلمّا أصبحوا إذا وجوههم كأنّما طُليت بالخلوق، صغيرُهم وكبيرُهم، ذَكَرُهُم وأُنثاهم، فلمّا أصبحوا في اليوم الثاني إذا وجوههم محمرَّة، فلمّا أصبحوا في اليوم الثالث إذا وجوههم مُسْوَدَّةٌ كأنّما طُليت بالقار، فتكفّنوا وتحنّطوا، وكان حَنوطهم الصّبر والمرّ، وكانت أكفانهم الأنطاع، ثمّ ألقوا أنفسهم إلى الأرض، فجعلوا يقلّبون أبصارهم إلى السماء والأرض لا يدرون من أين يأتيهم العذاب، فلمّا أصبحوا في اليوم الرابع أتتهم صيحةٌ من السماء، فيها صوت كالصاعقة، فتقطّعت قلوبهم في صدورهم ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[2]، وأهلك الله من كان بين المشارق والمغارب منهم، إلّا رجلاً كان في الحَرَم فمنعه الحرم.

قيل: ومن هو؟ قيل: هو أبو رِغال، وهو أبو ثقيف في قول[3].

ولما سار النبيّ، ﷺ، إلى تبوك أتى على قرية ثمود فقال لأصحابه: «لا يدخلنّ أحد مِنكم القريةَ ولا تشربوا من مائها»، وأراهم مُرْتَقَى الفصيل في الجبل، وأراهم الفَجَّ الذي كانت الناقة ترِد منه الماء[4].

وأمّا صالح، عليه السلام، فإنّه سار إلى الشام فنزل فلسطين، ثمّ انتقل إلى مكّة فأقام بها يعبدُ الله حتى مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وكان قد أقام في قومه يدعوهم عشرين سنة[5].

وأمّا أهل التوراة فإنّهم يزعمون أنّه لا ذِكر لعاد وهود وثمود وصالح في التوراة، قال: وأمرهم عند العرب في الجاهليّة والإسلام كشهرة إبراهيم الخليل، عليه السلام.

قلتُ: وليس إنكارهم ذلك بأعجب من إنكارهم نبوّة إبراهيم الخليل ورسالته، وكذلك إنكارهم حال المسيح، عليه السلام.

---

(١) هود/٦٥.
(٢) هود/٦٧.
(٣) أنظر الطبري ١/٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، مرآة الزمان ١/٢٦٥.
(٤) الطبري ١/٢٣١.
(٥) الطبري ١/٢٣٢، مرآة الزمان ١/٢٦٦.

ذكر إبراهيم الخليل عليه السلام
ومن كان في عصره من ملوك العجم

وهو إبراهيم بن تارَخ بن ناخور[١] بن ساروغ بن أرغو[٢] بن فالغ بن غابر[٣] بن شالخ بن قَيْنان بن أرفخْشَذ بن سام بن نوح، عليه السلام. واختُلف في الموضع الذي كان فيه والموضع الذي وُلد فيه، فقيل: وُلد بالسُّوس[٤] من أرض الأهواز، وقيل: وُلد ببابل، وقيل: بِكُوثَى[٥]، وقيل: بحَرَّان ولكنّ أباه نقله.

قال عامّةُ أهل العلم: كان مولده في عهد نُمرود بن كوش[٦].

ويقول عامّة أهل الأخبار: إن نُمرود كان عاملاً للازدهاق الذي زعم بعضُ من زعم أنّ نوحاً أُرسل إليه.

وأمّا جماعة من سلف من العلماء فإنّهم يقولون: كان ملكاً برأسه[٧].

قال ابن إسحاق: وكان مُلْكه قد أحاط بمشارق الأرض ومغاربها، وكان ببابل. قال: ويقال: لم يجتمع مُلك الأرض إلّا لثلاثة ملوك: نُمرود، وذي القرنَين، وسليمان بن داود، وأضاف غيرهُ إليهم بخت نصّر[٨]. وسنذكر بُطْلان هذا القول.

فلمّا أراد الله أن يبعث إبراهيم حجّةً على خلقه ورسولاً إلى عباده، ولم يكن فيما بينه وبين نوح نبيّ إلّا هود وصالح، فلمّا تقارب زمان إبراهيم أتى أصحابُ النجوم نُمرودَ فقالوا له: إنّا نجد غلاماً يولد في قريتك هذه، يقال له إبراهيم، يفارق دينكم ويكسّر

(١) في المعارف لابن قتيبة ٣٠، والطبري ١/٢٣٣، ومرآة الزمان ١/٢٩٧ «ناحور» بالحاء المهملة.
(٢) في المعارف، وتاريخ الطبري «أرغوا».
(٣) في العهد القديم، والمعارف، والطبري ومرآة الزمان «عابر» بالعين المهملة.
(٤) السُّوس: بضم أوّله وسكون ثانيه. بلدة بخوزستان، فيها قبر دانيال النبيّ. (معجم البلدان ٣/٢٨٠).
(٥) كُوثَى: بالضم، ثم السكون. بسواد العراق في أرض بابل. قال أبو المنذر: سُمّي نهر كوثى بالعراق بكوثى من بني أرفخشذ بن سام.. وهو أول نهر أُخرج بالعراق من الفرات. (معجم البلدان ٤/٤٨٧).
(٦) تاريخ الخميس ٢/٩٠.
(٧) الطبري ١/٢٣٣.
(٨) الطبري ١/٢٣٣، ٢٣٤.

أصنامكم في شهر كذا من سنة كذا. فلمّا دخلتِ السنةُ التي ذكروا حبَس نمـرود الحَبالى عنده، إلّا أمّ إبراهيم فإنّه لم يعلم بحَبَلها لأنّه لم يظهر عليها أثره، فذبح كلّ غلام وُلد في ذلك الوقت. فلمّـا وجدت أمّ إبـراهيم الطَّلْق خـرجت ليلاً إلى مغـارة كانت قـريبة منهـا، فولدت إبراهيمَ وأصلحت من شأنه ما يُصنع[1] بالمولود، ثمّ سدّت عليه المغارة، ثمّ سعت إلى بيتها راجعة، ثمّ كانت تطالعه لتنظر ما فعل، فكـان يشبّ في اليوم مـا يشبّ غيره في الشهر، وكانت تجده حيّاً يمصّ إبهامه جعل الله رزقه فيها.

وكان آزر قد سأل أمَّ إبراهيم عن حمْلهـا فقالت: ولـدتُ غلامـاً فمات، فصـدّقها، وقيل: بل علم آزر بـولادة إبراهيم وكتمـه حتى نسي الملك ذِكْر ذلـك، فقال آزر: إنّ لي ابناً قد خبّأتهُ، أفتخافون عليـه الملك إنْ أنا جئتُ بـه؟ فقالـوا: لا. فانـطلِق فأخـرجْه من السَّرَب، فلمّا نظر إلى الدوابّ وإلى الخلْق، ولم يكن رأى قبل ذلك غيرَ أبيه وأمه، جعل يسأل أباه عمّا يراه، فيقول أبوه: هذا بعير أو بقرة أو غير ذلك. فقال: ما لهؤلاء الخلق بدّ من أن يكون لهم ربّ! وكان خروجه بعد غروب الشمس، فـرفع رأسـه إلى السماء، فـإذا هو بالكوكب وهو المشتـري، فقال: ﴿هَـذَا رَبِّي﴾. فلم يلبث أن غاب فقـال: ﴿لَا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾[2]. وكان خروجه في آخر الشهر، فلهذا رأى الكوكبَ قبل القمر[3].

وقيـل: كان تفكّـر وعمره خمسـة عشر شهـراً، قال لأمّـه وهو في المغارة: أخْرِجيني أنظر، فأخرجته عِشَاءً، فنظر فرأى الكوكب، وتفكّر في خلق السموات والأرض، وقال في الكوكب ما تقدّم، ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ: هَذَا رَبِّي. فَلَمَّا أَفَـلَ قَالَ: لَئِنْ لَمْ يَهْـدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّـالِّينَ﴾[4]. فلمّا جـاء النهارُ وطلعتِ الشمسُ، رأى نـوراً أعظم من كـلّ ما رأى فقـال: ﴿هَذَا رَبِّي هَـذَا أَكْبَرُ. فَلَمَّـا أَفَلَتْ قَالَ: يَـا قَـوْمِ إِنِّي بَـرِيءٌ مِمَّـا تُشْـرِكُونَ﴾[5]. ثمّ رجـع إبراهيم إلى أبيـه وقد عـرف ربّه وبـرىء من دين قومـه إلّا أنّه لم يناديهم بذلك، فأخبرته أمّه[6] بما كانت صنعت من كتمان حاله، فسرّه ذلك.

وكـان آزر يصنع الأصنـام التي يعبدونهـا ويُعطيهـا إبرَاهيم ليبيعهـا، فكـان إبـراهيم يقول: من يشري مالا يضرّه ولا ينفعه؟ فلا يشتريها منـه أحد، وكـان يأخـذها وينـطلق بها

---

(١) في النسخة (ب): «يصلح».

(٢) الأنعام/٧٦.

(٣) الطبري ١/٢٣٥، مرآة الزمان ١/٢٧١، وانظر تـاريخ اليعقـوبي ١/٢٤، ومروج الـذهب ١/٤٥، وتهذيب تاريخ دمشق ٢/١٤٢، وتاريخ الخميس ١/٩١.

(٤) الأنعام/٧٧.

(٥) الأنعام/٧٨.

(٦) في النسخة (ر): «فأخبره أنه ابنه».

إلى نهر فيصوّب رؤوسها فيه ويقول: اشربي! استهزاءً بقومه، حتى فشا ذلك عنه في قومه، غير أنّه لم يبلغ خبره نُمرودَ. فلمّا بدا لإبراهيم أن يدعو قومه إلى ترك ما هم عليه ويأمرهم بعبادة الله تعالى، دعا أباه إلى التوحيد فلم يُجبْه، ودعا قومه فقالوا: مَن تعبد أنت؟ قال: ربّ العالمين. قالوا: نُمرودَ؟ قال: بل أعبد الذي خلقني. فظهر أمرُه. وبلغ نمرود أنّ إبراهيم أراد أن يُري قومَه ضعف الأصنام التي يعبدونها ليُلْزمهم الحُجّة، فجعل يتوقّع فرصةً ينتهي بها ليفعل[1] بأصنامهم ذلك، فنظر نظرة في النجوم فقال: إنّي سقيم، أي طعين[2]، ليهربوا[3] منه إذا سمعوا به، وإنّما يريد إبراهيم ليخرجوا[4] عنه ليبلغ من أصنامهم. وكان لهم عيد يخرجون إليه جميعهم. فلمّا خرجوا قال هذه المقالة، فلم يخرج معهم إلى العيد، وخالف إلى أصنامهم وهو يقول: ﴿تَاللهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾[5] فسمعه ضَعْفَى الناس ومن هو في آخرهم، ورجع إلى الأصنام وهي في بَهْو عظيم، بعضها إلى جنب بعض، كلّ صنم يليه أصغر منه، حتى بلغوا باب البهو، وإذا هم قد جعلوا طعاماً بين يدي آلهتهم وقالوا: نترك الآلهة إلى حين نرجع فتأكله. فلمّا نظر إبراهيم إلى ما بين أيديهم من الطعام قال: ﴿أَلا تَأْكُلُونَ؟﴾ فلمّا لم يجبه أحد قال: ﴿مَا لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ؟ فَرَاغَ عَلَيْهِم ضَرْباً بِاليَمِينِ﴾[6]، فكسرها بفأس في يده، حتى إذا بقي أعظم صنم ربط الفأس بيده ثمّ تركهنّ.

فلمّا رجع قومه ورأوا ما فعل بأصنامهم راعهم ذلك وأعظموه وقالوا: ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إنّهُ لَمِنَ الظّالِمِينَ! قَالُوا: سَمِعْنَا فَتَىً يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾[7] يعنون: يسبّها ويعيبها، ولم نسمع ذلك من غيره، وهو الذي نظنّه صنع بها هذا، وبلغ ذلك نُمرودَ وأشرافَ قومه، فقالوا: ﴿فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النّاسِ لَعَلّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾[8] ما نفعل به، وقيل: يشهدون عليه، كرهوا أن يأخذوه بغير بيّنة، فلمّا أُتي به واجتمع له قومُهُ عند ملكهم نُمرود وقالوا: ﴿أأنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ؟ قَالَ: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا، فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾[9]، غضب من أن يعبدوا هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرها،

---

(١) في النسخة (ر): «فرصة ينتهزها ليفعل».
(٢) في النسخة (ت): «طين»، وفي النسخة (ب): «طيّر وسقيم».
(٣) في النسختين: ب، ت: «يهرعون».
(٤) في النسخة (ر): «ان تخرجوا».
(٥) الأنبياء/٥٧.
(٦) الصافات/ ٩١ ـ ٩٢ ـ ٩٣.
(٧) الأنبياء/٥٩ ـ ٦٠.
(٨) الأنبياء/٦١.
(٩) الأنبياء/٦٢ ـ ٦٣.

فـارعَوَوْا ورجعـوا عنه فيمـا ادّعوا عليـه من كسْرهـا إلى أنفسهم فيما بينهم، فقـالوا: لقـد ظلمناه وما نراه إلّا كما قـال. ثمّ قالـوا، وعرفـوا أنّها لا تضـرّ ولا تنفع ولا تبـطش: **﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤلاء يَنْطِقُـونَ﴾**(١)، أي لا يتكلّمون، فتخبـرنا مَن صنـع هذا بهـا، وما تبـطش بـالأيدي فنصدّقك. يقـول الله تعالى: **﴿ثُمّ نُكِسُـوا عَلى رُؤوسِهِمْ﴾**(٢) في الحجّة عليْهم لإبراهيم. فقال لهم إبراهيم عند قولهم «ما هؤلاء ينطِقون»: **﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضرُّكُمْ! أُفٍ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله أَفَلا تَعْقِلُونَ؟﴾**(٣).

ثمّ إنّ نُمرود قال لإبراهيم: أرأيت إلٰهك الذي تعبد وتدعـو إلى عبادته ما هو؟ قال: **﴿رَبِّي الّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾**(٤). قال نُمرود: أنا أُحيي وأميت. قال إبراهيم: وكيف ذلك؟ قال: آخذ رجلَين قد استوجبا القتل(٥) فـأقتل أحـدهما فـأكون قـد أمتّه، وأعفـو عن الآخر فـأكون قـد أحييته. فقـال إبـراهيم: **﴿إنّ الله يَـأتي بِـالشّمْس مِنَ المَشْـرِقِ فَـأْتِ بِهَـا مِنَ المَغْرِبِ. فَبُهِتَ﴾**(٦) عند ذلك نُمرود ولم يرجع إليه شيئاً(٧). ثمّ إنّه وأصحابه أجمعوا على [قتل] إبراهيم فقالوا: **﴿حَرِّقُوهُ وَٱنْصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾**(٨).

قال عبد الله بن عمر(٩): أشار بتحـريقه رجـل من أعراب فـارس، قيل لـه: وللفرس أعراب؟ قال: نعم، الأكراد هم أعرابهم.

قيل: كان اسمه هيزن فخُسف به، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

فأمر نُمرود بجمع الحطب من أصناف الخشب، حتى إنْ كانت المرأة لَتَنْـذُر بـ: إنْ بلغتْ ما تطلب، أن تَحتـطب لنار إبـراهيم، حتى إذا أرادوا أن يُلْقوه فيهـا قدّمـوه وأشعلوا النّار، حتى إنْ كانت الطير لَتمُرّ بها فتحترق من شدّتها وحرّهـا، فلمّا أجمعـوا لقذفـه فيها صاحت السماء والأرض وما فيها [من الخلق] إلّا الثقَلَيْن إلى الله صيحةً واحدة: أي ربّنا! إبـراهيم ليس في أرضك من يعبـدك غيره يحـرق بالنـار فيك فـأذَن لنا في نصـره! قال الله تعالى: إنْ استغاث بشيءٍ منكم فلينصرْه، وإنْ لم يدعُ غيري فأنا له(١٠). فلمّـا رفعوه على

(١) الأنبياء/٦٥.
(٢) الأنبياء/٦٥.
(٣) الأنبياء/٦٦ ـ ٦٧.
(٤) البقرة/٢٥٨.
(٥) في النسخة (ر): «القتل في حكم».
(٦) البقرة/٢٥٨، والخبر في تاريخ الخميس ١/٩٣.
(٧) في النسخة (ر): «وعرف أنه لا يطيق ذلك».
(٨) الأنبياء/٦٨.
(٩) الطبري ١/٢٤٠.
(١٠) في النسخة (ر)، وتاريخ الطبري ١/٢٤١ «فأنا وليّه».

رأس البنيان رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهمّ أنتَ الواحد في السماء وأنتَ الواحد في الأرض، حسبيَ الله ونِعم الوكيل. وعرض له جبرائيل وهو يوثَق فقال: ألك حاجة يا إبراهيم؟ قال: أما إليك فلا. فقذفوه في النّار فناداها[1] فقال: ﴿**يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ**﴾[2]. وقيل: ناداها جبرائيل، فلو لم يتبع بردَها سلامٌ لمات إبراهيم من شدّة بردها، فلم يبقَ يومئذٍ نارٌ إلّا طَفِئَت، ظنَّت أنّها هي[3]. وبعث الله مَلَكَ الظلّ في صورة إبراهيم، فقعد إلى جنبه يؤنسه.

فمكث نمرود أيّاماً لا يشكّ أنّ النار قد أكلت إبراهيم، فرأى كأنّه نظر فيها وهي تحرق بعضها بعضاً، وإبراهيم جالس إلى جنبه رجلٌ مثله. فقال لقومه: لقد رأيتُ كأنّ إبراهيم حيّ ولقد شُبّه عليّ، ابنوا لي صرحاً يُشرف بي على النّار، فبنوا له وأشرف منه[4]، فرأى إبراهيم جالساً وإلى جانبه رجل[5] في صورته، فناداه نُمرود: يا إبراهيم كبيرٌ إلهك الذي[6] بلغتْ قُدرتُه وعزّته أنْ حال بينك وبين ما أرى، هل تستطيع أن تخرج منها؟ قال: نعم. قال: أتخشى إن أقمت فيها [أن تضرّك] قال: لا. فقام إبراهيم فخرج منها، فلمّا خرج قال له: يا إبراهيم من الرجل الذي رأيتُ معك مثل صورتك؟ قال: ذلك ملَك الظلّ أرسله إليّ ربّي ليؤنسني. قال نُمرود: إنّي مقرِّبٌ إلى إلهك قرباناً لِما رأيتُ من قُدرته وعزّته، وما صنع بك حين أبيتَ إلّا عبادته.

فقال إبراهيم: إذاً لا يقبل الله منك ما كنت على شيء من دينك. فقال: يا إبراهيم لا أستطيع ترك مُلْكي. وقرّب أربعة آلاف بقرة وكفّ عن إبراهيم ومنعه الله منه.

وآمن مع إبراهيم رجالٌ من قومه حين رأوا ما صنع الله به على خوفٍ من نُمرود وملإهم، وآمن له لوط بن هاران، وهو ابن أخي إبراهيم، وكان لهم أخ ثالث يقال له ناخور[7] بن تارَخ، وهو أبو بتويل، وبتويل أبو لابان وأبو ربقا امرأة إسحاق بن إبراهيم أمّ يعقوب، ولابان أبو ليا وراحيل زوجتي يعقوب. وآمنت به سارَة، وهي ابنةُ عمّه، وهي

---

(١) في النسخة (ب): «فنادى منادٍ».
(٢) الأنبياء/٦٩.
(٣) في النسخة (ب): «تعنى»، وكذا في تاريخ الطبري ١/٢٤٢، ومرآة الزمان ١/٢٧٦.
(٤) في النسخة (ر): «فبنوا له صرحاً وأشرف منه على النار».
(٥) في النسخة (ر): «الملك»، وكذا في تاريخ الطبري.
(٦) في الطبعة الأوربية: «يا إبراهيم إنّ إلهك كبير الذي».
(٧) في تاريخ الطبري ١/٢٤٤ «ناحور».

سارة ابنة هاران الأكبر عمّ إبراهيم. وقيل: كانت ابنة ملك حرّان فآمنت بالله تعالى مع إبراهيم[1].

ذكر هجرة إبراهيم عليه السلام ومن آمن معه

ثمّ إنّ إبراهيم والذين اتّبعوا أمره أجمعوا على فراق قومهم، فخرج مهاجراً[2] حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الأولى كان اسمه سنان بن علوان بن عبيد بن عولج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح، وقيل: كان أخا الضحّاك استعمله على مصر، وكانت سارة من أحسن النساء وجهاً، وكانت لا تعصي إبراهيم شيئاً، فلمّا وُصفت لفرعون أرسل إلى إبراهيم فقال: مَنْ هذه التي معك؟ قال: أختي، يعني في الإسلام، وتخوّف إن قال هي امرأتي أن يقتله. فقال له: زيّنها وأرسلها إليّ. فأمر[3] بذلك إبراهيم، فتزيّنت، وأرسلها إليه، فلمّا دخلت عليه أهوى بيده إليها، وكان إبراهيم حين أرسلها قام يصلّي، فلمّا أهوى إليها أُخذ أخذاً شديداً، فقال: ادعي الله ولا أضرّك. فدعتْ له، فأرسل، ثمّ فعل ذلك الثالثة، فذُكر مثل المرّتين، فدعا أدنى حجّابه فقال: إنّك لم تأتني بإنسان وإنّك أتيتني بشيطان! أخرِجْها وأعطِها هاجَر، ففعل، فأقبلت بهاجر، فلمّا أحسّ إبراهيم بها انفتل من صلاته فقال: مَهيم[4]! فقالت: كفى الله كيد الكافرين وأخدم هاجر[5].

وكان أبو هريرة يقول: تلك أُمّكم يا بني ماء السماء.

وروى أبو هريرة عن النبيّ ﷺ، أنّه قال: لم يكذب إبراهيم إلاّ ثلاث مرّات، اثنتين في ذات الله، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾[6]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾[7]، وقوله في سارة: هي أختي[8].

---

(١) الطبري ١/٢٤٤.

(٢) في النسخة (ر) إضافة بعد كلمة «مهاجراً»: «إلى الله ومعه أبوه آزر كافراً فمات على كفره بحرّان، وكان أيضاً معه: لوط وزوجته سارة تطلب الأمان على عبادة الله تعالى حتى نزل حرّان فمكث بها ما شاء الله تعالى، ثم خرج مهاجراً».

(٣) في النسخة (ر): «فأمرها».

(٤) مَهْيَم: قال في مرآة الزمان ١/٢٨٠: «بفتح الميم الأولى، وإسكان الثانية، كلمة يُستفهم بها، ومعناها: ما حالك وما شأنك»؟.

(٥) الطبري ١/٢٤٥، ٢٤٦، وانظر تهذيب تاريخ دمشق ٢/١٤٣، وفي مرآة الزمان ١/٢٨٠ «وأخدم خادماً».

(٦) الصافات/٨٩.

(٧) الأنبياء/٦٣.

(٨) الطبري ١/٢٤٧، تهذيب تاريخ دمشق ٢/١٤٣.

ذكر ولادة إسماعيل عليه السلام
وحمله إلى مكة

قيل: كانت هاجر جاريةً ذات هيئة، فوهبْتها سارة لإبراهيم وقالت: خـذْها لعـلّ الله يرزقك منها ولداً، وكانت سارة قد مُنعت الولـد حتى أسنّت[1]، فوقـع إبراهيم على هـاجر فولدت إسماعيل، ولهذا قال النبيّ، ﷺ: «إذا افتتحتم مصرَ فاستوصوا بـأهلها خيـراً، فإنّ لهم ذمّة ورَحِماً»[2]، يعني ولادة هاجر.

فكان إبراهيم قد خرج بها إلى الشام من مصـر خوفـاً من فرعـون، فنزل السَّبْـع من أرض فلسطين، ونزل لـوط بالمؤتفكـة، وهي من السَّبْع مسيـرة يوم وليلة، فبعثـه الله نبيّاً، وكان إبراهيم قد اتخذ بالسبع بئراً ومسجداً، وكان ماء البئر مَعِيناً طاهراً، فآذاه أهل السبـع فانتقل عنهم، فنضب الماء، فاتّبعوه يسألونه العَوْدَة إليهم، فلم يفعل وأعطاهم سبعة أعنز، وقال: إذا أوردتموها الماءَ ظهر حتى يكون مَعِيناً طاهراً فاشربوا منه، ولا تغترفْ منـه امرأةٌ حائض. فخرجوا بالأعنز، فلمّا وقفت على الماء ظهر إليها، وكانـوا يشربـون منه، إلى أن غرفت منه امرأة طامِثٌ، فعاد الماء إلى الذي هو عليه اليوم[3].

وأقام إبراهيم بين الرملة وإيليا[4]، ببلد يقال له قَطّ أو قِطّ.

قال: فلمّا وُلد إسماعيـل حزنت سـارة حزنـاً شديـداً، فوهبهـا الله إسحاقَ وعمـرها سبعون[5] سنة، فعُمْر إبراهيم مائة وعشرون سنة، فلمّـا كَبُر إسمـاعيل وإسحـاق اختصما، فغضبت سارة على هاجر، فأخرجتها ثمّ أعادتها، فغارت منها فأخرجتهـا، وحلفت لتقطعنّ منها بضعةً، فتركت أنفها وأُذُنها لئلاّ تشينها ثمّ خفضتها، فمن ثمّ خفض النساء.

---

(١) في النسختين: ب، ر: «أيست»، والمثبت يتفق مع الطبري ١/٢٤٧.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/١٧٣، ١٧٤ من طريق أبي بصرة، عن أبي ذر قال: قال رسـول الله ﷺ: «انكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فـإذا فتحتموهـا فأحسنـوا إلى أهلها فـإنّ لهم ذمّة ورحِمـا، أو قال: ذمة وصِهراً».

(٣) الطبري ١/٢٤٧، ٢٤٨.

(٤) إيلياء: بكسر أوّله واللام. اسم مدينة بيت المقدس. (معجم البلدان ١/٢٩٣).

(٥) في الأصـل ونسختي: ب، ر: «تسعون» وكـذلك في تـاريخ الـطبري ١/٢٤٩، وعـرائس المجالس للثعلبي ٦٤.

وقيل: كان إسماعيل صغيراً، وإنّما أخرجتها سارة غَيرةً منها، وهو الصحيح. وقالت سارة: لا تساكنني في بلد. فأوحى الله إلى إبراهيم أن يأتي مكّة وليس بها يومئذ نبت، فجاء إبراهيم بإسماعيل وأمّه هاجر فوضعهما بمكّة بموضع زَمْزَم، فلمّا مضى نادته هاجر: يا إبراهيم مَنْ أمرك أن تتركنا بأرض ليس فيها زرع ولا ضرع ولا ماء ولا زاد ولا أنيس؟ قال: ربّي أمرني. قالت: فإنّه لن يضيّعنا. فلمّا ولّى[1] قال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ الآية[2].

فلمّا ظمي إسماعيل جعل يدحض الأرض برِجْله، فانطلقت هاجر حتى صعدت الصَّفا لتنظر هل ترى شيئاً، فلم ترَ شيئاً، فانحدرت إلى الوادي فسعت حتى أتت المَرْوَةَ، فاستشرفت هل ترى شيئاً فلم ترَ شيئاً، ففعلت ذلك سبع مرّات، فذلك أصل السعْي، ثمّ جاءت إلى إسماعيل وهو يدحض الأرض بقدمَيْه، وقد نبعت العينُ، وهي زمزمُ، فجعلت تفحص الأرض بيدها[3] عن الماء، وكلّما اجتمع أخذته وجعلته في سقائها. قال: فقال النبيّ، ﷺ: «يرحمها الله! لو تركَتْها لكانت عيناً سائحة»[4].

وكانت جُرْهُم بوادٍ قريب من مكّة، ولزمت الطير الوادي حين رأت الماء، فلمّا رأت جُرْهُمْ الطيرَ لزِمت الوادي، قالوا: ما لزِمته إلّا وفيه ماء، فجاؤوا إلى هاجر فقالوا: لو شئتِ لكنّا معك فآنسناكِ والماء ماؤك. قالت: نعم. فكانوا معها حتى شبّ إسماعيل وماتت هاجر، فتزوّج إسماعيل امرأة من جُرْهُم، فتعلّم العربيّة منهم هو وأولاده، فهم العرب المتعرِّبة.

واستأذن إبراهيم سارةَ أن يأتي هاجر، فأذِنت له وشرطت عليه ألّا ينزل، فقدِم وقد ماتت هاجر، فذهب إلى بيت إسماعيل فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ليس ههنا، ذهب يتصيّد. وكان إسماعيل يخرج من الحَرَم يتصيّد ثمّ يرجع. قال إبراهيم: هل عندكِ ضيافة؟ قالت: ليس عندي ضيافة، وما عندي أحد. فقال إبراهيم: إذا جاء زوجكِ فأقْرِئيه السلامَ، وقولي له فليغيّر عتبةَ بابه.

وعاد إبراهيم، وجاء إسماعيل فوجد ريح أبيه، فقال لامرأته: هل عندك أحد؟

---

(١) في النسخة (ر): بعد ولّى: «ربّنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن، يعني من الحزن وقال: ربنا إني».

(٢) إبراهيم/٣٧.

(٣) في النسخة (ر): «بيديها».

(٤) في النسخة (ر): «عينا جارية سايحة»
وانظر الخبر في تاريخ الطبري ٢٥٦/١، وأخبار مكة للأزرقي ٤٠/٢.

قالت: جاءني شيخ كذا وكذا، كالمستخِفّة بشأنه، قال: فما قال لكِ؟ قالت: قال: أَقْرِئي زوجَك السلامَ وقولي له فليغيِّرْ عتبةَ بابه. فطلّقها وتزوّج أخرى.

فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثمّ استأذن سارةَ أن يزور إسماعيل، فأذِنت له وشرطت عليه أن لا ينزل. فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب إسماعيل فقال لامرأته: أين صاحبكِ؟ قالت: ذهب ليتصيّد وهو يجيء الآن إن شاء الله تعالى، فانزِلْ يرحمك الله. فقال لها: فعندك ضيافة؟ قالت: نعم. قال: فهل عندك خبز أو بُرٌّ أو شعير أو تمر؟ قال: فجاءت باللبن واللحم، فدعا لهما بالبركة، ولو جاءت يومئذ بخبز أو تمر أو بُرّ أو شعير لكانت أكثر أرض الله من ذلك، فقالت: انزل حتى أغسل رأسك. فلم ينزل. فجاءته بالمقام بالإناء، فوضعته عند شقّه الأيمن، فوضع قدمه عليه، فبقي أثر قدمه فيه، فغسلت شقّ رأسه الأيمن، ثمّ حوّلت المقام إلى شقّه الأيسر، ففعلت به كذلك. فقال لها: إذا جاء زوجك فأقْرِئيه عنّي السلامَ وقولي له: قد استقامت عتبةِ بابِك[1].

فلمّا جاء إسماعيلِ وجد ريحَ أبيه، فقال لامرأته: هل جاءكِ أحد؟ قالت: نعم، شيخ أحسن النّاس وجهاً، وأطيبهم ريحاً، فقال لي كذا وكذا، وقلتُ له كذا كذا، وغسلتُ رأسه، وهذا موضع قدمه، وهو يُقرئك السلام ويقول: قد استقامت عتبةُ بابك. قال: ذلك إبراهيم[2].

وقيل: إنّ الذي أنبع الماء جبرائيل، فإنّه نزل إلى هاجر وهي تسعى في الوادي، فسمعت حسّه فقالت: قد أُسمِعْتَني فأغِثني، فقد هلكتُ أنا ومن معي. فجاء بها إلى موضع زَمْزَم، فضرب بقدمه، ففارت عيناً، فتعجلت[3]، فجعلت تُفرغ في شنّها. فقال لها: لا تخافي الظمأ[4].

---

(١) في النسخة (ت): «بيتك».

(٢) قارن بالطبري ١/٢٥٦، ٢٥٧ و٢٥٨ و ٢٥٩، وأخبار مكة للأزرقي ١/٥٨، ونهاية الأرب ١٣/١١٧، ١١٨، وعرائس المجالس ٦٦، وتاريخ الخميس ١/١١١.

(٣) في الطبعة الأوربية «فتعجب».

(٤) أنظر: أخبار مكة للأزرقي ٢/٤٠، وعرائس المجالس ٦٥، وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ١/٣٩٧.

ذكر عمارة البيت الحرام بمكة

قيل: ثمّ أمر الله إبراهيم ببناء البيت الحرام، فضاق بذلك ذَرْعاً، فأرسل الله السكينة، وهي ريح خَجوج[1]، وهي اللّيّنة الهبوب، لها رأسان، فسار معها إبراهيم حتى انتهت إلى موضع البيت، فتطوّت[2] عليه كتطوّي الجحفة، فأُمر إبراهيم أن يبني حيث تستقرّ السكينة، فبنى إبراهيم.

وقيل: أرسل الله مثل الغمامة له رأس فكلّمه وقال: يا إبراهيم ابْنِ على ظلّي أو على قدْري لا تزِدْ ولا تُنْقِص، فبنى. وهذان القولان نُقِلا عن عليّ.

وقال السُّدِّيُّ: الذي دلّه على موضع البيت جبرائيل.

فسار إبراهيم إلى مكّة، فلمّا وصلها وجد إسماعيلُ يُصلح نَبْلاً له وراء زمزم، فقال له: يا إسماعيل إنّ الله قد أمرني أن أبني له بيتاً. قال إسماعيل: فأطِع ربّك. فقال إبراهيم: قد أمرك أن تُعينني على بنائه. قال: إذنْ أفعل. فقام معه، فجعل إبراهيم يبنيه وإسماعيل يناوله الحجارة. ثمّ قال إبراهيم لإسماعيل: إيتني بحجرٍ حَسَنٍ أضعه على الرُّكْن فيكون للنّاس عَلَماً. فناداه أبو قُبيس: إنّ لك عندي وديعة، وقيل: بل جبرائيل أخبره بالحجر الأسود، فأخذه ووضعه موضعه، وكانا كلّما بنيا دعوَا الله: **﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إنّكَ أنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾**[3].

فلمّا ارتفع البنيانُ وضعُف الشيخ عن رفع الحجارة قام على حجر، وهو مقام إبراهيم، فجعل يناوله، فلمّا فرغ من بناء البيت أمره الله أن يؤذّن في النّاس بالحجّ، فقال إبراهيم: يا ربّ وما يبلغ صوتي؟ قال: أذّنْ وعليّ البلاغ. فنادى: أيّها النّاس إنّ الله قد كتب عليكم الحجّ إلى البيت العتيق! فسمعه ما بين السماء والأرض، وما في أصلاب

---

(١) في الطبعة الأوربية «محجوج»: والخجوج: الريح الشديدة المَرّ (تاج العروس ٥٤٣/٥).

(٢) في أخبار مكة ٦١/١ «فتطوقت».

(٣) البقرة/١٢٧.

الرجال وأرحام[1] النساء، فأجابه من آمن ممّن[2] سبق في علم الله أن يحجّ إلى يوم القيامة، فأجيب: لبّيك لبّيك! ثمّ خرج بإسماعيل معه[3] إلى التروية، فنزل به مِنىً ومن معه من المسلمين، فصلّى بهم الظُهْرَ والعَصْرَ والمغرب والعشاء الآخرة، ثمّ بات حتى أصبح فصلّى بهم الفجر، ثمّ سار إلى عرَفَة، فأقام بهم هناك، حتى إذا مالت الشمسُ جمع بين الصلاتين الظهرَ والعصرَ، ثمّ راح بهم[4] إلى الموقف من عَرَفة الذي يقف عليه الإمام، فوقف به على الأراك، فلمّا غربت الشمس دفع به ومن معه حتى أتى المزدلفة، فجمع بها الصلاتين المغربَ والعشاءَ الآخرة، ثمّ بات بها ومن معه، حتى إذا طلع الفجرُ صلّى الغداةَ، ثمّ وقف على قُزَح حتى إذا أسفر[5] دفع به وبمن معه يريه ويعلمه كيف يصنع، حتى رمى الجمْرةَ، وأراه المنحر، ثمّ نحر وحَلَق، وأراه كيف يطوف، ثمّ عاد به إلى مِنىً ليُرِيَه كيف رميُ الجِمار، حتى فرغ من الحجّ[6].

ورُوي عن النبيّ، ﷺ، أنّ جبرائيل هو الذي أرى إبراهيم كيف يحجّ، ورواه عنه ابن عمر[7].

ولم يزل البيت على ما بناه إبراهيم، عليه السلام، إلى أنْ هدمته قريش سنة خمسٍ وثلاثين من مولد النبيّ، ﷺ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

---

(١) في النسخة (ر): «وما في أرحام».
(٢) في النسخة (ر): «آمن معه ممن».
(٣) في النسخة (ت): «يوم».
(٤) في النسخة (ر): «ثم رجع بهم».
(٥) في النسخة (ر): «استقر».
(٦) قارن بالطبري ١/٢٦١، ٢٦٢، وأخبار مكة للأزرقي ١/٦٦ - ٦٨.
(٧) الطبري ١/٢٦٢.

ذكر قصة الذبح

واختلف السَّلَف من المسلمين في الذّبيح[1]، فقال بعضهم: هو إسماعيل. وقال بعضهم: هو إسحاق. وقد رُوي عن النبيّ، ﷺ، كلا القولين، ولو كان فيهما صحيح لم نُعِدهُ[2] إلى غيره.

فأمّا الحديث في أنّ الذبيح إسحاق، فقد روى الأحنفُ، عن العبّاس بن عبد المطّلب، عن رسول الله، ﷺ، في حديث ذكر فيه: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[3] هو إسحاق، وقد رُوي هذا الحديث عن العبّاس، من قوله لم يرفعه.

وأمّا الحديث الآخر في أن الذّبيح إسماعيل، فقد روى الصُّنَابِحِيّ[4] قال: كنّا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا الذبيح فقال: على الخبير سقطتم، كنّا عند رسول الله، ﷺ، فجاءه رجل فقال: يا رسول الله عُدْ عليَّ ممّا أفاء الله عليك يا ابنَ الذبيحَين، فضحك، ﷺ، فقيل لمعاوية: وما الذبيحان؟ فقال: إنّ عبد المطّلب نذر إنْ سهّل الله حفر زمزم، أن يذبح أحدَ أولاده، فخرج السهمُ على عبد الله أبي النبيّ، ﷺ، ففداه بمائة بعير، وسنذكره إن شاء الله، والذبيح الثاني إسماعيل[5].

ذكر من قال إنه إسحاق

ذهب عمرُ بن الخطّاب، وعليّ، والعبّاس بن عبد المطّلب، وابنه عبد الله، رضي الله عنهم، فيما رواه عنه عِكرمةُ، وعبدُ الله بن مسعود، وكعب، وابن سابط، وابن أبي الهُذَيْل، ومسروق، إلى أنّ الذبيحَ إسحاق، عليه السلام.

---

(١) في الطبعة الأوربية: «الذبيحين».

(٢) في النسخة (ر): «يعد».

(٣) الصافّات/١٠٧.

(٤) الصُّنابحي: بضم الصاد وفتح النون.. نسبة إلى صُنابح بن زاهر بن عامر.. والمذكور هنا هو: أبو عبد الله عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي. ليست له صحبة. (اللباب ٢/٢٤٧).

(٥) الطبري ١/٢٦٤، التفسير ٢٣/٥٤، عرائس المجالس ٩٣، مرآة الزمان ١/٢٩٨، ٢٩٩، وأنظر: تاريخ الخميس ١/١٠٨.

حدّث عمرو بن أبي سفيان بن أبي أَسِيد بن أبي جارية[1] الثقفيّ أنّ كعباً قال لأبي هريرة: ألا أُخبرك عن إسحاق بن إبراهيم؟ قال: بلى. قال كعب: لما رأى إبراهيم ذَبْح إسحاق قال الشيطان: والله لئن لم أفتِنْ عند هذا آل إبراهيم لم أفتِنْ[2] أحداً منهم بعد ذلك أبداً، فتمثّل رجلاً[3] يعرفونه، فأقبل حتى إذا خرج إبراهيم بإسحاق ليذبحه، دخلَ على سارة امرأة إبراهيم فقال لها: أين أصبح إبراهيم غادياً بإسحاق؟ قالت: لبعض حاجته. قال: لا والله إنما غدا به ليذبحه! قالت سارة: لم يكن ليذبح ولده. قال الشيطان: بلى والله، لأنّه زعم أنّ الله قد أمره بذلك. قالت سارة: فهذا أحسن أن يطيع ربّه. ثمّ خرج الشيطانُ فأدرك إسحاق وهو مع أبيه فقال له: إنّ إبراهيم يريد أن يذبحك. قال إسحاق: ما كان ليفعل. قال: بلى والله إنّه زعم أنّ ربّه أمره بذلك. قال إسحاق: فوالله لئن أمره ربُّه بذلك ليطيعنّه! فتركه ولحِق إبراهيمَ فقال: أين أصبحتَ غادياً بابنك؟ قال: لبعض حاجتي. قال: لا والله إنّما تريد ذبْحه! قال: ولِمَ؟ قال: لأنّك زعمت أنّ الله أمرك بذلك. قال إبراهيم: فوالله إنْ كان الله أمرَني بذلك لأفعلنّ.

فلمّا أخذ إبراهيم إسحاقَ ليذبحه أعفاهُ الله من ذلك وفداه بذبح عظيم، وأوحى الله إلى إسحاق: إنّي مُعطيك دعوةً أستجيبُ لك فيها. قال إسحاق: اللهمّ فأيّما عبدٍ لقِيكَ من الأوّلين والآخرين لا يُشْرِك بك شيئاً فأدخِلْه الجنّة[4].

وقال عبيد بن عمير[5]: قال موسى: يا ربّ يقولون يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فبِمَ نالوا ذلك[6]؟ قال: إنّ إبراهيم لم يعدِل بي شيئاً قطّ إلّا اختارني، وإنّ إسحاق جاد لي بالذّبح وهو بغير ذلك أجود، وإنّ يعقوب كلّما زدتُه بلاءً زادني حسن ظنٍّ بي.

(أَسِيد بفتح الهمزة، وكسر السين. وجارية بالجيم).

ذِكْر من قال إنّ الذبيح إسماعيل عليه السلام

روى سعيد بن جُبَير، ويوسف بن مِهران، والشَّعبيّ، ومجاهد، وعطاء بن أبي رباح، كلّهم عن ابن عبّاس أنّه قال: إنّ الذبيح إسماعيل، وقال: زعمت اليهودُ أنّه إسحاق، وكذبتِ اليهود.

---

(١) في النسخة (ر): «أسيد بن حارثة»، وفي تاريخ الطبري ١/٢٦٥ «عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية».
(٢) في النسخة (ب): «أحداً منهم اليوم فلا أفتتن».
(٣) في النسخة (ب): «برجل».
(٤) الطبري ١/٢٦٥، ٢٦٦.
(٥) في النسخة (ب): «عمرو»، وفي تاريخ الطبري «عبد الله بن عبيد بن عمير». (١/٢٦٦).
(٦) في تاريخ الطبري «فيم قالوا ذلك»، وفي مرآة الزمان ١/٣٠٠ «فبم ذلك».

وقال أبو الطُفَيْل، والشعبيّ[1]: رأيتُ قرنَي الكبش في الكعبة[2].

قال محمّد بن كعب: إنّ الذي أمر الله إبراهيمَ بذبحه من ابنَيْه إسماعيل، وإنّا لنجد ذلك في كتاب الله في قصّة الخبر عن إبراهيم، وما أُمر به من ذبحه ابنه أنّه إسماعيل، وذلك أنّ الله تعالى حين فرغ من قصّة المذبوح من ابنَيْ إبراهيم قال: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[3]، ويقول: وبشّرناه بإسحاق نبيّاً، ومن وراء إسحاق يعقوب بابن وابن ابن، فلم يكن يأمره بذبح إسحاق، وله فيه من الله عزّ وجلّ ما وعده، وما الذي أمر بذبحه إلّا إسماعيل؛ فذكر ذلك محمّد بن كعب لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة، فقال: إنّ هذا الشيء ما كنتُ أنظر فيه، وإنّي لأراه كما قلت[4].

ذِكر السبب الذي من أجله أُمر إبراهيم بالذِّبْح وصفة الذبح

قيل: أمر الله إبراهيم، عليه السلام، بذبح ابنه، فيما ذُكر أنّه دعا الله أن يهب له ولداً ذَكَراً صالحاً، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[5]. فلمّا بشّرته الملائكةُ بغلام حليم قال: إذْن هو ذبيحٌ. فلمّا وُلِدَ الغلامُ وبلغ معه السَّعْيَ قيل له: أَوْفِ نَذْرَك الذي نذرتَ. وهذا على قول من زعم أنّ الذبيحَ إسحاق، وقائلِ هذا يزعم أنّ ذلك كان بالشام على ميلين من إيليا. وأمّا مَن زعم أنّه إسماعيل فيقول: إنّ ذلك كان بمكّة.

قال محمّد بن إسحاق[6]: إنّ إبراهيم قال لابنه حين أُمر بذبحه: يا بُنيّ خذِ الحبلَ والمُدْية، ثمّ انطلقْ بنا إلى هذا الشِّعب لنحتطب لأهلك. فلمّا توجّه اعترضه إبليس ليصدّه عن ذلك، فقال: إليكَ عنّي يا عدوّ الله! فوالله لأمضِيَنّ لأمر الله! فاعترض إسماعيلَ فأعلمه ما يريد إبراهيمُ يصنع به، فقال: سمعاً لأمر ربّي وطاعةً[7]. فذهب إلى هاجر فأعلمها، فقالت: إنْ كان ربّه أمره بذلك فتسليماً لأمر الله. فرجع بغيظه لم يصبْ منهم شيئاً.

فلمّا خلا إبراهيم بالشِّعب، وهو شِعب ثَبير، قال له: ﴿يَا بُنَيِّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى. قَالَ: يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ، سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ

---

(١) في النسخة (ب): «ومجاهد والحسن ومحمد بن كعب القرظي أنه إسماعيل قال الشعبي».
(٢) الطبري ١/٢٦٩، وانظر: عرائس المجالس ٩١ ـ ٩٣، مرآة الزمان ١/٢٩٨، تاريخ الخميس ١/١٠٨.
(٣) الصافات/١١٢.
(٤) الطبري ١/٢٧٠.
(٥) الصافات/١٠٠.
(٦) الطبري ١/٢٧٤.
(٧) في النسخة (ب): «والله لأمضينّ لأمر الله».

الصَّابِرِينَ﴾[1]. ثمّ قال له: يا أبتِ إن أردتَ ذَبْحي فاشدُدْ رباطي لا يُصبْك من دمي شيء فينتقص أجري، فإنّ الموت شديد، واشحذ[2] شفرتك حتى تريحني، فإذا أضجعتني فكبّني على وجهي، فإنّي أخشى إنْ نظرتَ في وجهي أنّك تدركك رحمةٌ، فتحُول بينك وبين أمر الله، وإنْ رأيتَ أن تردّ قميصي إلى هاجر أمّي فعسى أن يكون أسْلَى لها عنّي، فافعل. فقال إبراهيم: نِعْم المُعين أنتَ، أي بُنيّ، على أمر الله!.

فربطه كما أمره ثمّ حدّ شفرته ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾، ثمّ أدخل الشفرة لحلقه، فقلبها الله لقفاها، ثمّ اجتذبها إليه ليفرغ منه، فنودي: ﴿أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾[3]، هذه ذبيحتك فِداء لابنك فاذبحها[4].

وقيل: جعل الله على حلقه صحيفة نحاس.

قال ابنُ عبّاس: خرج عليه كبش من الجنّة قد رعى فيها أربعين خريفاً[5].

وقيل: هو الكبش الذي قرّبه هابيل[6].

وقال عليّ، عليه السلام: كان كبشاً أقرن أَعْيَن أبيض[7].

وقال الحسن: ما فُدي إسماعيل إلّا بتيس من الأَرْوَى، هُبِط عليه من ثَبير فذبحه[8].

قيل: بالمقام، وقيل: بمِنىً في المنحر.

ذِكْر ما امتحن الله به إبراهيم عليه السلام

بعد ابتلاء الله تعالى إبراهيم بما كان من نُمرود، وذبح ولده، بعد أن رجا نفعه[9] ابتلاه الله بالكلمات التي أخبر أنّه ابتلاه بهنّ، فقال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾[10].

(١) الصافات/١٠٢.
(٢) في النسخة (ب) و(ر): «استحدّ».
(٣) الصافات/١٠٤.
(٤) الطبري ١/٢٧٥، وانظر تاريخ اليعقوبي ١/٢٧، ٢٨.
(٥) الطبري ١/٢٧٥.
(٦) الطبري ١/٢٧٧.
(٧) الطبري ١/٢٧٦.
(٨) الطبري ١/٢٧٧.
(٩) في الطبعة الأوربية «بعد أن جاء نفعه».
(١٠) البقرة/١٢٤.

واختلف السّلَفُ من العلماء الأئمّة[1] في هذه الكلمات. فقال ابن عبّاس، من رواية عِكرمة عنه، في قوله تعالى: ﴿وإِذِ ابْتَلَى إبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾[2]: لم يُبتَل أحد بهذا الدّين فأقامه، إلاّ إبْرَاهِيم. وقال الله: ﴿وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وفَّى﴾[3]، قال: والكلمات عشر في براءة، وهي: ﴿العَابِدُونَ الحَامِدُونَ﴾ الآية[4] وعشر في الأحزاب، وهي: ﴿إِنَّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ﴾ الآية[5]، وعشر في المؤمنين، من أوّلها إلى قوله تعالى: ﴿وَالّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[6]. وقال آخرون: هي عشر خِصال[7].

قال ابن عبّاس، من رواية طاووس، وغيره عنه: الكلمات عشر، وهي خمس في الرأس: قصّ الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الرأس، وخمس في الجسد، وهي: تقليم الأظفار، وحلْق العانة، والخِتان، ونتْف الإبط، وغسْل أثر الغائط[8].

وقال آخرون: هي مناسك الحَجّ[9].

وقوله تعالى: ﴿إِنّي جَاعِلُكَ لِلنّاسِ إِمَاماً﴾[10]، وهو قول أبي صالح[11] ومجاهد[12].

وقال آخرون: هي ستّ، وهي: الكواكب، والقمر، والشمس، والنّار، والهجرة، والخِتان[13].

وذبح ابنَه، وهو في قول الحسن، قال: ابتلاه بذلك، فعرف أنّ ربّه دائم لا يزول، فوجّه وجهه للذي فَطر السموات والأرض، وهاجر من وطنه، وأراد ذبح ابنه، وختن نفسه[14].

---

(١) في النسختين: ب، ر: «علماء الأمة».
(٢) البقرة/١٢٤.
(٣) النجم/٣٧.
(٤) التوبة/١١٢.
(٥) الأحزاب/٣٥.
(٦) المؤمنين/٩.
(٧) الطبري ١/٢٧٩.
(٨) الطبري ١/٢٨٠.
(٩) الطبري ٢/٢٨١.
(١٠) البقرة/١٢٤.
(١١) الطبري ١/٢٨١.
(١٢) الطبري ١/٢٨٢.
(١٣) الطبري ١/٢٨٥.
(١٤) الطبري ١/٢٨٥.

وقيل غير ذلك ممّا لا حاجة إليه في التاريخ المختصر، وإنّما ذكرنا هذا القـدر لئلاّ يخلو من فصول[1] الكتاب.

(١) في النسخة (ر): «لئلا يحل بفصل».

ذكر عدوّ الله نمرود وهلاكه[1]

ونـرجع الآن إلى خبـر عدوّ الله نُمـرود، وما آل إليـه أمرُه في دنيـاه وتمرّده على الله تعالى، وإملاء الله له، وكان أوّل جبّار في الأرض، وكان إحراقه إبراهيم ما قـدّمنا ذكـره، فأخرج إبراهيم، عليه السلام، من مدينته وحَلَفَ أنّه يطلب إله إبراهيم، فأخذ أربعةَ أفْرُخ نُسور فربّاهن باللّحم والخمر حتى كبرْن وغلظْن، فقرنهنّ بتابوت وقعد في ذلك التابـوت، فأخذ معه رجلاً ومعه لحم لهنَّ، فطرن بـه، حتى إذا ذهبن أشرف ينـظر إلى الأرض فرأى الجبالَ تدبّ كالنّمل، ثمّ رفع لهنّ اللّحمَ ونظر إلى الأرض، فـرآها يحيط بهـا بحر كـأنّها فُلك[2] في ماء، ثمّ رفع طـويلاً فـوقع في ظُلْمـة، فلم يرَ مـا فوقـه وما تحتـه، ففزع وألقى اللحم، فاتّبعْته النسور منقضّات، فلمّـا نظرتِ الجبـالُ إليهنّ وقد أقبلن منقضّـات وسمعنَ حفيفهنَ فـزعتِ الجبـالُ وكـادت تـزول ولم يفعلن، وذلـك قـول الله تعـالى : ﴿**وَإِنْ كَـانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ**﴾[3]. وكانت طيرورتهنّ[4] من بيت المقدِس، ووقوعهنّ في جبل الدخان.

فلمّا رأى أنّه لا يطيق شيئاً، أخذ في بنيان الصرْح، فبناه حتى علا وارتقى فوقه ينظر إلى إله إبراهيم بزعمه وأحدث، ولم يكن يُحْدِث، وأخذ الله بنيانَهم من القواعد من أساس الصـرْح، فسقط وتبلبلت الألسنُ يومئـذ من الفزع، فتكلّمـوا بثلاثـةٍ وسبعين لسانـاً، وكان لسان النّاس قبل ذلك سُريانيّاً[5].

هكـذا رُوي أنّه لم يُحْـدِث، وهذا ليس بشيء، فـإنّ الطبـع البشريّ لم يخـلُ منـه إنسان حتى الأنبياء، صلوات الله عليهم، وهم أكثر اتّصالاً بالعالم العُلويّ وأشرف أنفساً، ومـع هذا فيـأكلون ويشربـون ويبولـون ويتغوّطـون، فلو نجا منـه أحد لكـان الأنبيـاء أَوْلَى

---

(١) أنظر عنه: عرائس المجالس ٧٦، الطبري ١/٢٨٧، التفسير ١٤/٦٦، تاريخ الخميس ١/٩٥.

(٢) في تاريخ الطبري ١/٢٨٩ «فَلكة».

(٣) إبراهيم/٤٦.

(٤) في النسخة (ب)، والطبري «طيرانهن».

(٥) الطبري ١/٢٨٩، التفسير ١٤/٦٦، ٦٧، عرائس المجالس ٧٦، مرآة الزمان ١/٣٠٧، ٣٠٨.

لشرفهم وقُربهم من الله تعالى، وإنْ كان لكثرة[1] ملكه، فالصحيح أنّه لم يملك مستقلاً، ولو ملك مستقلاً لكان الإسكندر أكثر ملكاً منه، ومع هذا فلم يُقَل فيه شيء من هذا.

قال زيد بن أسلم: إنّ الله تعالى بعث إلى نُمرود بعد إبراهيم ملَكاً يدعوه إلى الله أربع مرّات فأبَى وقال: أَرَبٌ غيري؟ فقال له الملك: اجمع جموعك إلى ثلاثة أيّام، فجمع جموعه، ففتح الله عليه باباً من البعوض، فطلعت الشمسُ فلم يروها من كثرتها، فبعثها الله عليهم فأكلتهم ولم يبقَ منهم إلّا العظام، والمَلَك كما هو لم يصبه شيء، فأرسل الله عليه بعوضةً، فدخلت في منخره فمكث[2] يضرب رأسه بالمطارق، فأرحَمُ النّاسِ به من يجمع[3] يديه ويضرب بهما رأسه.

وكان ملكه ذلك[4] أربعمائة سنة، وأماته الله تعالى.

وهو الذي بنى الصرح[5].

وقال جماعة: إنّ نُمرود بن كنعان ملك مشرق الأرض ومغربها، وهذا قول يدفعه أهل العلم بالسّيَر وأخبار الملوك[6]، وذلك أنّهم لا ينكرون أنّ مولد إبراهيم كان أيّام الضّحّاك الذي ذكرنا بعض أخباره فيما مضى، وأنّه كان ملك شرق الأرض وغربها.

وقول القائل إنّ الضحّاك الذي ملك الأرض هو نُمرود ليس بصحيح، لأنّ أهل العلم المتقدّمين يذكرون أنّ نسب نمرود في النَّبَط معروف، ونسب الضحّاك في الفُرس مشهور، وإنّما الضحّاك استعمل نُمرود على السواد وما اتّصل به يمنة ويسرة، وجعله وولَده عمّالاً على ذلك، وكان هو يتنقّل في البلاد، وكان وطنه ووطن أجداده دُنْبَاوَنْد[7] من جبال طَبَرِسْتان، وهناك رمى به أفريدون حين ظفر به، وكذلك بخت نصّر.

ذكر بعضُهم أنّه ملك الأرضَ جميعَها، وليس كذلك، وإنّما كان إصبهبذ[8] ما بين الأهواز إلى أرض الروم من غربيّ دجلة من قبل لهُراسبْ، لأنّ لهراسب كان مشتغلاً بقتال

---

(١) في النسخة (ر): «وإن كان لم يحدث لكثرة».

(٢) في النسخة (ب): «فمكث أربعين سنة»، وفي النسخة (ر): «فمكث أربعمائة سنة».

(٣) في النسخة (ب): «يرفع».

(٤) في النسختين: ت، ر: «قبل ذلك».

(٥) قابن بعرائس المجالس ٧٧، مرآة الزمان ١/٣٠٩، تاريخ الخميس ١/٩٦.

(٦) في النسخة (ر) إضافة: «الملوك الماضين».

(٧) في النسخة (ب): «ديناوند».

(٨) إصبهبذ: اسم يُطلق على كل من يتولّى بلاد طبرستان. (أنظر معجم البلدان ٤/١٤ و ١٥) وهو أمير الأمراء، وتفسيره حافظ الجيش، لأن الجيش «اصبه» و «بذ» حافظ. وهذه ثالثة المراتب العظيمة عند الفرس. (التنبيه والإشراف للمسعودي ٩١).

التُرك[1] مقيماً بإزائهم ببلْخ، وهو بناها لما تطاول مقامه هناك لحرب التُرك، ولم يملك أحد من النَبَط شبراً من الأرض مستقّلاً برأسه، فكيف الأرض جميعها! وإنّما تطاولت مدّة نُمرود بالسواد أربعمائة سنة، ثمّ دخل من نسله بعد هلاكه جيل يقال له نَبَط بن قعود[2] ملك بعده مائة سنة، ثمّ كدواص[3] بن نَبَط ثمانين سنة، ثمّ بالش[4] بن كدواص مائة وعشرين سنة، ثمّ نمرود بن بالش[5] سنة وشهراً[6]، فذلك سبع مائة سنة وسنة، وشهد أيّام الضحّاك، وظنّ النّاس في نمرود ما ذكرناه، فلمّا ملك أفريدون وقهر الازدهاق قتل نمرود بن بالش[7] وشرد النبط وقتل فيهم مقتلةً عظيمة[8].

---

(١) الترك هنا هم الهياطلة.

(٢) في النسخة (ر): «قعون».

(٣) في تاريخ الطبري ١/٢٩٢ «لداوص» باللام.

(٤) في النسختين: ب، ت: «تالش».

(٥) في النسخة (ب): «ثالش».

(٦) في النسخة (ر): «سنة وستة أشهر وأيام».

(٧) في النسخة (ب): «تالش».

(٨) الطبري ١/٢٩١، ٢٩٢.

ذكر قصة لوط وقومه[1]

قد ذكرنا مهاجر لوط مع إبراهيم، عليه السلام، إلى مصر وعَوْدهم إلى الشام ومقام لوط بسَدُوم[2].

فلمّا أقام بها أرسله الله إلى أهلها، وكانوا أهلَ كفر بالله تعالى وركوب فاحشة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ العَالَمِينَ، أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ المُنْكَرَ﴾[3].

فكان قطْعهم السبيلَ أنّهم كانوا يأخذون المسافر إذا مرّ بهم ويعملون به ذلك العمل الخبيث، وهو اللّواطة.

وأمّا إتيانهم المنكَر في ناديهم، فقيل كانوا يحذفون[4] من مرّ بهم ويسخرون منهم.

وقيل: كانوا يتضارطون في مجالسهم.

وقيل: كان يأتي بعضُهم بعضاً في مجالسهم[5].

وكان لوط يدعوهم إلى عبادة الله وينهاهم عن الأمور التي يكرهها الله منهم، من قطْع السبيل، وركوب الفواحش، وإتيان الذكور في الأدبار، ويتوعّدهم على إصرارهم، وترْك التوبة بالعذاب الأليم، فلا يزجرهم ذلك، ولا يزيدهم وعْظهُ إلّا تمادياً واستعجالاً لعقاب الله، إنكاراً منهم، لِوَعيده ويقولون له: ائتنا بعذاب الله إن كنتَ من الصادقين. حتى سأل لوط ربّه النُّصْرةَ عليهم لما تطاول عليه أمرُهم وتماديهم في غيّهم[6].

(١) تاريخ الطبري ١/٢٩٢، تفسير الطبري ١٢/٥٤٧، سفر التكوين - الإصحاح ١٩، عرائس المجالس للثعلبي ٨١، الكسائي ١٤٥، زاد المسير ٣/٢٢٧، و٤/١٣٥، مروج الذهب ١/٤٥، البدء والتاريخ ٣/٥٦، مرآة الزمان ١/٣١٦، نهاية الأرب ١٣/١٢٣، البداية والنهاية ١/١٧٦.

(٢) سدوم: هي بلدة صغيرة الآن تقع في أقصى الجنوب الغربي للبحر الميت. (القاموس الإسلامي ٣/٢٨٥).

(٣) العنكبوت/٢٨ ٢٩.

(٤) الحذْف: المنكَر.

(٥) أنظر تاريخ الطبري ١/٢٩٣، تفسير الطبري ٢٠/٩٣ (طبعة بولاق).

(٦) تاريخ الطبري ١/٢٩٦، عرائس المجالس ٨١.

فبعث الله، لما أراد هلاكهم ونصْرَ رسوله، جبرائيلَ ومَلَكين آخرين معه، أحدهما ميكائيل والآخر إسرافيل، فأقبلوا فيما ذُكر مُشاةً في صورة رجال[1]، وأمرهم أن يبدأوا بإبراهيم وسارة، ويبشّروه بإسحاق ومِن وراء إسحاق يعقوب[2].

فلمّا نزلوا على إبراهيم، وكان الضيف قد أبطأ عنه خمسة عشر يوماً حتى شقّ ذلك عليه، وكان يُضيف من نزل به، وقد وسّع الله عليه الرزقَ، فرح بهم ورأى ضيفاً لم يرَ مثلهم حسناً وجمالاً، فقال: لا يخدم هؤلاء القوم أحد إلّا أنا بيدي. فخرج إلى أهله فجاء بعجْل سمينٍ قد حنّذه، أي أنضجه، فقرّبه إليهم، فأمسكوا أيديهم عنه، ﴿**فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً، قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ، وَامْرَأَتُهُ** ـ سارة ـ **قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ** ـ لما عرفت من أمر الله ولما تعلم من قوم لوط ـ **فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ**﴾ فقالت، وصكّت وجهها: ﴿**أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ**﴾، إلى قوله: ﴿**حَمِيدٌ مَجِيدٌ**﴾[3]. وكانت ابنة تسعين سنة، وإبراهيم ابن عشرين ومائة[4].

فلمّا[5] ذهب عن إبراهيم الروعُ وجاءته البشرى، ذهب يجادل جبرائيلَ في قوم لوط، فقال له: أرأيت إن كان فيهم خمسون من المسلمين؟ قالوا: وإن كان فيهم خمسون من المسلمين لم يعذّبهم؟ قال: وأربعون. قالوا: وأربعون؟ قال: وثلاثون، حتى بلغ[6] عشرة. قالوا: وإن كان فيهم عشرة؟ قال: ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير! ثمّ قال: ﴿**إِنَّ فِيهَا لُوطاً. قَالُوا: نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ**[7] **وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ**﴾[8].

ثمّ مضت الملائكة نحو سَدوم قرية لوط، فلمّا انتهوا إليها لقوا لوطاً في أرضٍ له يعمل فيها، وقد قال الله تعالى لهم: لا تُهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أَربعَ شهاداتٍ، فأتوه فقالوا: إنّا متضيّفوك[9] اللّيلة، فانطلق بهم، فلمّا مشى ساعة التفت إليهم فقال لهم:

---

(١) تاريخ الطبري ١/٢٩٦، ٢٩٧.
(٢) هنا ينقل المؤلّف هذا الخبر عن قصة إبراهيم عليه السلام عند الطبري ١/٢٤٨، ٢٤٩.
(٣) هود/٦٩ ـ ٧١.
(٤) في النسخة (ر): «ومائة سنة».
(٥) يعود المؤلّف هنا لينقل عن الطبري في الفصل الذي أفرده للوط عليه السلام.
(٦) في النسخة (ر): «وثلاثون، قالوا: وثلاثون، حتى بلغ إلى».
(٧) في طبعة صادر ١/١١٩ «للنجّسنّه» وهو تحريف شائن للآية الكريمة.
(٨) العنكبوت/٣٢.
(٩) هكذا في الأصول. وفي الطبري ١/٢٩٨ «مضيّفوك».

أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية؟ والله ما أعلم على ظهر الأرض إنساناً أخبث منهم، حتى قال ذلك أربع مرّات[1].

وقيل: بل لقوا ابنته فقالوا: يا جارية هل من منزل؟ قالت: نعم، مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم. خافت عليهم من قومها، فأتت أباها فقالت: يا أبتاه أدرِكْ فتياناً على باب المدينة ما رأيتُ أصبحَ وجُوهاً منهم، لئلّا يأخذهم قومك فيفضحوهم. وكان قومه قد نهوْه أن يضيِّف رجلاً، فجاء بهم فلم يعلم إلّا أهلَ بيت لوط، فخرجت امرأته فأخبرت قومَها وقالت لهم: قد نزل بنا قوم ما رأيتُ أحسن وجُوهاً منهم ولا أطيب رائحة. فجاءه قومُه يُهرعون إليه، فقال: يا قوم **﴿اتَّقُوا اللهَ وَلا تُخْزُونِ في ضَيْفي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾**[2]. فنهاهم ورغّبهم وقال: **﴿هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾** ممّا تريدون. **﴿قَالُوا: لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا في بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾**[3] **﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ العَالَمِينَ﴾**[4]، فلمّا لم يقبلوا منه **﴿قَالَ: لَوْ أَنَّ لي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾**[5] يعني لو أنّ لي أنصاراً أو عشيرة يمنعوني منكم. فلمّا قال ذلك وجد عليه الرُّسُل فقالوا: إنّ ركنك لَشَديد، ولم يبعث الله[6] نبيّاً إلّا في ثروة من قومه ومنعة من عشيرته. وأغلق لوط الباب، فعالجوه، وفتح لوط الباب، فدخلوا، واستأذن جبرائيل ربَّه في عقوبتهم، فأذِنَ له، فبسط جناحه ففقأ أعينهم، وخرجوا يدوس بعضُهم بعضاً عمياناً يقولون: النجاء النجاء! فإنّ في بيت لوط أسحر قوم في الأرض! وقالوا للوط: **﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إلّا امْرَأَتَكَ﴾**[7] **﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ... وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾**[8].

فأخرجهم الله إلى الشام، وقال لوط: أهلِكوهم الساعةَ؛ فقالوا: لن نؤمر إلّا بالصبح، **﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾**[9]. فلمّا كان الصبح أدخل جبرائيل، وقيل ميكائيل، جناحه في أرضهم وقُراهم الخمس فرفعها حتى سمِع أهل السماء صياح دِيَكتهم ونُباح

---

(١) الطبري ١/٢٩٨ و ٢٩٩.
(٢) هود/٧٨.
(٣) هود/٧٩.
(٤) الحجر/٧٠.
(٥) هود/٨٠.
(٦) في النسخة (ر): «الله بعده».
(٧) هود/٨١، وانظر الخبر في تاريخ الطبري ١/٣٠٣، ومرآة الزمان ١/٢٠.
(٨) الحجر/٦٥.
(٩) هود/٨١.

كلابهم، ثمّ قلبها فجعل عَالِيَهَا سافلَها، وأمطر عليهم حجارةً من سِجِّيل، فأهلكت من لم يكن بالقرى[1].

وسمعت امرأة لوط الهدّة فقالت: واقوماه! فأدركها حجرٌ فقتلها[2]. ونجَّى الله لوطاً وأهلَه، إلّا امرأتَه.

وذُكر أنّه كان فيها[3] أربعمائة ألف[4]. وكان إبراهيم يتشرّف[5] عليها ويقول: سدوم يوماً هالك.

ومدائن قوم لوط خمس: سَدُوم، وصبعة، وعمرة، ودوما، وصعوة[6]، وسَدُوم هي القرية العظمى.

قوله: يُهَرعون إليه، هو مَشْيٌ بين الهرولة والجمز.

---

(١) تاريخ الطبري ٣٠٥/١، البدء والتاريخ ٥٨/٣.
(٢) عرائس المجالس ٨٤.
(٣) في النسخة (ر): «فيهم».
(٤) في تاريخ الطبري ٣٠٥/١ و٣٠٦ «أربعة آلاف ألف».
(٥) عند الطبري ٣٠٦/١ «يُشْرف».
(٦) في النسخة (ب): «وضعوه». وفي تاريخ الطبري ٣٠٧/١ «صعرة»، والمُثْبَت يتفق مع نسخة أخرى للطبري، ومرآة الزمان ٣١٧/١.

ذكر وفاة سارة زوج إبراهيم عليه السلام وذكر أولاده وأزواجه

لا يدفع أحد من أهل العلم أنّ سارة تُوُفّيت بالشام، ولها مائة وسبعٌ وعشرون سنة.

وقيل: إنّها كانت بقرية الجبابرة من أرض كنعان.

وقيل عاشت هاجر بعد سارة مدّة[1].

والصحيح أنّ هاجر تُوُفّيت قبل سارة، كما ذكرنا في مسير إبراهيم إلى مكّة، وهو الصحيح إن شاء الله تعالى.

فلمّا ماتت سارة، تزوّج بعدها قطورا ابنةَ يقطن امرأة من الكنعانيّين، فولدت له ستّة نفر: نفشان، ومران[2]، ومديان، ومدن، ونشق، وسرح[3]، وكان جميع أولاد إبراهيم مع إسماعيل وإسحاق ثمانية نفر، وكان إسماعيل بِكْره، وقيل في عدد أولاده غير ذلك. فالبربر من ولد نفشان[4]، وأهل مَدْيَن قوم شُعَيْب من ولد مديان.

وقيل: تزوّج بعد قطورا امرأة أخرى اسمها حجون ابنة اهير[5].

ذِكْر وفاة إبراهيم وعدد ما أُنزل عليه

قيل: لما أراد الله قَبْضَ روح إبراهيم أرسل إليه مَلَك الموت في صورة شيخ هرِم، فرآه إبراهيم وهو يُطعم النّاس وهو شيخ كبير في الحرّ، فبعث إليه بحمار فركبه حتى أتاه، فجعل الشيخ يأخذ اللّقمة يريد أن يدخلها فاه فيدخلها في عينه وأذنه ثمّ يدخلها فاه، فإذا دخلت جوفه خرجت من دُبُره، وكان إبراهيم سأل ربَّه أن لا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت، فقال: يا شيخ ما لك تصنع هذا؟ قال: يا إبراهيم الكِبَر. قال: ابن

---

(١) تاريخ الطبري ١/٣٠٨.

(٢) في النسخة (ر): «لفشان وزمران».

(٣) وردت هذه الأسماء في تاريخ الطبري ١/٣٠٩ هكذا: «يقسان ـ وفي نسخة يقشان ـ، وزمران، ومديان، ويسبق، وسوح، وبُسر».

(٤) في النسخة (ر): «لفشان»، وعند الطبري «يقسان».

(٥) في النسخة (ب): «هبر»، والنسخة (ت): «أهبر».

كم أنت؟ فزاد على عمر إبراهيم سنتَين. فقال إبراهيم: إنّما بيني وبين أن أصير هكذا سنتان، اللهمّ اقبضني إليك! فقام الشيخ وقبض روحه.

ومات وهو ابن مائتَيْ سنة.

وقيل مائة وخمس وسبعين سنة(١).

وهذا عندي فيه نظر، لأنّ إبراهيم لا يخلو أن يكون قد رأى من هو أكبر منه بسنتَين أو أكثر من ذلك، فإنّ مَنْ عاش مائتَي سنة كيف لا يرى من هو أكبر منه بهذا القدر القريب؟ ولكن هكذا روي، ثمّ إنه قد بلغه عمر نوح ولم يصبه شيء ممّا رأى بذلك الرجل.

وروى أبو ذرّ عن النبيّ، ﷺ، أنّه قال: «وأنزل الله على إبراهيم عشر صحائف»، قال: قلتُ: يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم؟ قال: كانت أمثالاً كلّها: أيّها الملك المسلَّط المبتلَى المغرور إنّي لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض، ولكن بعثتك لتردّ عني دعوةَ المظلوم، فإنّي لا أردّها ولو كانت من كافر.

وكان فيها أمثال، منها: وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات، ساعة يناجي فيها ربّه، وساعة يفكّر فيها في صنع الله، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال في المطعم والمشرب. وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً إلّا في ثلاث: تزوُّد لمعاده، ومرمَّة لمعاشه، ولذّة في غير محرّم. وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شانه، حافظاً للسانه. ومن حسب كلامه من عمله قلّ [كلامه] إلّا فيما يعنيه(٢).

وهو أوّل من اختتن، وأوّل من أضاف الضيف، وأوّل من اتخذ السراويل، إلى غير ذلك من الأقاويل.

---

(١) الطبري ١/٣١٢، وفي عرائس المجالس ٧٧ «مائة وخمس وتسعون سنة». وانظر مرآة الزمان ١/٣٠٦ و٣٠٧، وتاريخ الخميس ١/١٤٤.

(٢) الطبري ١/٣١٣.

ذكر خبر ولد إسماعل بن إبراهيم

قد ذكرنا فيما مضى سبب إسكان إسماعيل الحرم، وتزوّجه امرأة من جُرْهُمْ، وفراقه إيّاها بأمر إبراهيم، ثمّ تزوّج أخرى، وهي السيّدة بنت مُضاض الجُرْهُمي، وهي التي قال لها: قولي لزوجك: قد رضيتُ [لك] عتبةَ بابك، فولدت لإسماعيل اثني عشر رجلاً: نابت، وقيدار، واذيل، وميشا، ومسمع، ورما، وماش، وآذار[1]، وقطورا، وقافس[2]، وطميا، وقيدمان[3].

وكان عمر إسماعيل فيما يزعمون سبعاً وثلاثين ومائة سنة.

ومن نابت وقيدار ابني إسماعيل نشر الله العربَ، وأرسله الله تعالى إلى العماليق وقبائل اليمن. وقد يُنطق أولاد إسماعيل بغير الألفاظ التي ذكرتُ.

ولما حضرتْ إسماعيلَ الوفاةُ أوصى إلى أخيه إسحاق، وزوّج[4] ابنته من العيص بن إسحاق، ودُفن[5] عند قبر أمّه هاجر بالحِجْر[6].

---

(١) في النسخة (ب): «آزر».
(٢) في النسخة (ب): «قاقس» بالقاف. وفي النسخة (ر): «نامسس».
(٣) راجع الأسماء في: تاريخ الطبري ١/٣١٤ وتاريخ اليعقوبي ١/٢٢٢ وسيرة ابن هشام ١/١٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ١/٥١ ومرآة الزمان ١/٣١٠ و٣١١ وأخبار مكة للأزرقي ١/٨١ ومروج الذهب للمسعودي ٢/٤٩ والروض الأنف للسهيلي ١/١٥ و١٦ وعرائس المجالس للثعلبي ٧٩ والبداية والنهاية لابن كثير ١/١٩٣ وشفاء الغرام للقاضي المكي (بتحقيقنا) ٢/٢٩ وسفر التكوين ٢٥/١٣ و١٤.
(٤) في النسخة (ب): «أن يزوّج».
(٥) في النسخة (ب): «وأن يدفن».
(٦) الطبري ١/٣١٤.

ذكر إسحاق بن إبراهيم وأولاده[1]

قيل: ونكح إسحاق رفقا بنت بتويل[2] فولدت له عيصاً[3] ويعقوب توأمَين، وإنّ عيصاً كان أكبرهما، وكان عمر إسحاق لما وُلد له ستّين سنة.

ثمّ نكح عيص بن إسحاق نسمة بنت عمّه إسماعيل، فولدت له الروم[4] بن عيص، وكلّ بني الأصفر من ولده، وزعم بعضُ النّاس أنّ اشبان[5] من ولده.

ونكح يعقوب بن إسحاق، وهو إسرائيل، ابنةَ خاله لَيًّا بنت لبان بن بتويل، فولدت له روبيل، وكان أكبر ولده، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، وزبالون، ولشحر[6]، وقيل ويشحر. ثمّ توفّيت ليا فتزوّج أختها راحيل، فولدت له يوسف وبنيامين[7]، وهو بالعربيّة شدّاد[8] ووُلد له من سُرِّيَّتَين أربعة نفر: دان، ونفتالي، وجاد، وآشر، وكان ليعقوب اثنا عشر رجلاً.

قال السُّدّيّ: تزوّج إسحاق بجارية فحملت بغلامَين، فلمّا أرادت أن تضع أراد يعقوب أن يخرج قبل عيص، فقال عيص: والله لئن خرجتَ قبلي لاعترضنّ في بطن أمّي

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١/٢٨، تاريخ الطبري ١/٣١٦، عرائس المجالس ٨٠، البدء والتاريخ ٣/٦٣، نهاية الأرب ١٣/١٢٨، مرآة الزمان ١/٣١٣، الكسائي ١٥٠، البداية والنهاية ١/١٩٣، سفر التكوين ٢٥/١٩ وما بعدها، مروج الذهب ١/٤٦، تاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٤، المعارف ٣٥.

(٢) الطبري ١/٣١٧ وفي المعارف لابن قتيبة ٣٨ ومرآة الزمان لسبط بن الجوزي ١/٣١٤ «رفقا بنت ناحور بن تارخ». وفي البدء والتاريخ للمقدسي ٣/٦٣ «ربقا بنت بوهر». وفي المعارف أيضاً عن وهب: «رفقا ابنة باهر بن أزرا».

(٣) يقال: عيصا، وعيص، وعيصو.

(٤) في النسخة (ر): «اكروم» وهو تصحيف.

(٥) أي الأسبان كما في: المعارف ٣٩ ومرآة الزمان ١/٣١٤.

(٦) في النسخة (ب): «يسحر» بالسين المهملة، وهو يتفق مع الطبري ١/٣١٧ وفي مرآة الزمان ١/٣١٦ «يسخر» بالخاء المعجمة: وهو «يساخر» كما في مروج الذهب ١/٤٧ والبدء والتاريخ ٣/٦٦ وفي تاريخ اليعقوبي ١/٣٠ «يشاجر».

(٧) وهو «ابن يامين» كما في البدء والتاريخ ٣/٦٦.

(٨) قال ابن وهب: معناه ابن الوجِعة، وقال الطبري: معناه بالعربية شدّاد والأول أصحّ. (مرآة الزمان ١/٣١٦).

ولأقتلنّها. فتأخّر يعقوب وخرج عيص، وأخذ يعقوب بعِقب عيص، فسُمّي يعقوب، وسمّي أخوه عيصاً لعصيانه. وكان عيص أحبَّهما إلى أبيه، ويعقوب أحبّهما إلى أمّه. وكان عيص صاحب صيد، فقال له إسحاق لما كبُر وعُمي: يا بُنيّ أطِعمني لحمَ صيد، واقتربْ منّي أدعُ لك بدعاء دعا لي به أبي.

وكان عيص رجلاً أشعر، وكان يعقوب أجرد، وسمعت أمّهما ذلك، وقالت ليعقوب: يا بُنيّ اذبحْ شاةً واشْوِها، والبس جِلْدَها، وقرّبها إلى أبيك وقلْ له: أنا ابنك عيص، ففعل ذلك يعقوب، فلمّا جاء قال: يا أبتاه كلْ. قال: مَنْ أنت؟ قال: أنا ابنك عيص. فمسحه إسحاق فقال: المسّ مسّ عيص، والريح ريح يعقوب. فقالت أمّه: إنّه عيص فكلْ. فأكل ودعا له أن يجعل الله في ذرّيّته الأنبياءَ والملوك.

وقام يعقوب وجاء عيص، وكان في الصيد، فقال لأبيه: قد جئتك بالصيد الذي طلبتَ. فقال: يا بُنيّ قد سبقك أخوك. فحلف عيص ليقتلنّ يعقوب. فقال: يا بُنيّ قد بقيت لك دعوة، فدعا له أن يكون ذرّيّته عدد التراب وأن لا يملكهم غيرهم.

وهرب يعقوب خوفاً من أخيه إلى خاله، وكان يَسري باللّيل ويكمن بالنهار، فلذلك سُمّي إسرائيل.

ثمّ إنّ يعقوب تزوّج ابنَتي خاله، جمع بينهما، فلذلك قال الله تعالى: ﴿**وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إلاّ مَا قَدْ سَلَفَ**﴾[1]. ووُلد له منهما، فماتت راحيل في نِفاسها ببنيامين.

وأراد يعقوب الرجوعَ إلى بيت المقدس، فأعطاه خاله قطيعَ غنم، فلمّا ارتحلوا لم يكن لهم نفقة، فقالت زوجة يعقوب ليوسف: اسرق صنماً من أصنام أبي نستنفق منه. فسرق صنماً من أصنام أبيها.

وأحبّ يعقوبُ يوسفَ وأخاه بنيامين حبّاً شديداً ليُتْمِهما، وقال يعقوب لراعٍ من الرّعاة: إذا أتاكم أحد يسألكم مَنْ أنتم فقولوا: نحن ليعقوب عبد عيص. فلقيهم عيص فسألهم فأجابه الراعي بذلك الجواب، فكفّ عيص عن يعقوب ونزل يعقوب الشام[2].

ومات إسحاق بالشام وعمره مائة وستّون سنة[3]، ودُفن عند أبيه إبراهيم، عليه السلام.

---

(١) النساء/٢٣.

(٢) الخبر كله حتى هنا عن الطبري ١/٣١٩ ـ ٣٢١.

(٣) وقيل: مائة وسبعون سنة (عرائس المجالس ٨١)، وقيل: مائة وثمانون سنة (المعارف ٣٨) وقيل مائة وخمس وثمانون (تاريخ اليعقوبي ١/٢٩) ومروج الذهب ١/٤٧، وانظر: البدء والتاريخ ٣/٦٥ ومرآة الزمان ١/٣١٤.

قصة أيوب عليه السلام[1]

وهـو رجل من الـروم من ولد عيص، وهـو أيّوب بن مـوص بن رازح[2] بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم.

وقيل: موص بن روعيل[3] بن عيص.

وكانت زوجته التي أُمر أن يضربها بالضِّغث[4] ليّا ابنة يعقوب بن إسحاق.

وقيل: هي رحمة ابنة افراهيم بن يوسف، وكانت أمّه من ولد لوط.

وكان دينه التوحيد والإصلاح بين النّاس[5]، وإذا أراد حاجة سجد ثمّ طلبها[6].

وكان من حديثه وسبب بلائه أنّ إبليس سمع تجاوب الملائكة بالصـلاة على أيّوب، حين ذكـره الله، فحسده، وسـأل الله أن يسلّطه عليـه ليفتنـه عن دينـه، فسلّطه على مـالـه حسب[7]، فجمع إبليس عظماء أصحابه من العفاريت، وكـان لأيّوب البَثَنِيَّـة[8] جميعُها من

---

(١) تاريخ الطبري ١/٣٢٢، المعارف ٤٢، عرائس المجالس ١٢٠، مروج الذهب ١/٤٨، البدء والتاريخ ٣/٧٢، مرآة الزمان ١/٣٧٦، الكسائي ١٧٩، زاد المسير ٥/٣٧٥، الزهد لابن حنبل ٤١ و ٨٩، تهذيب تاريخ دمشق ٣/١٩٣، نهاية الأرب ١٣/١٥٧، البداية والنهاية ١/٢٢٠، سفر أيوب في العهد القديم ٧٩٣.

(٢) في تاريخ الطبري ١/٣٢٢ «رازح» بالحاء المهملة، وكذلك في تهذيب تاريخ دمشق ٣/١٩٣، وفي عرائس المجالس ١٢١ «أموص بن نارخ»، وقال الكلبي: «رازح» بتقديم الألِف على الزين. وقال قتادة: «رزاح». أنظر: مرآة الزمان ١/٣٧٦.

(٣) في تاريخ الطبري ١/٣٢٢ «رغويل»، وقيل «رعويل»، وعند المسعودي في مروج الذهب ١/٤٨ «رعوايَل»، وعند ابن قتيبة في المعارف «رغويل»، وعند سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان ١/٣٧٦ «دعوابيل»، وعند ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٣/١٩٣ «رعويل»، ويقال: «رعيل»، وعند المقدسي في البدء والتاريخ ٣/٧٢ «رعويل».

(٤) الضِّغْث: حزمة من أسل، ضرب بها امرأته فبرّت يمينه. قال تعالى في سورة (صٓ ـ الآية ٤٤): ﴿وخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاَضْرِبْ بِهِ﴾.

(٥) في النسخة (ب): «المسلمين».

(٦) تهذيب تاريخ دمشق ٣/١٩٤.

(٧) أي دون جسده وعقله، كما في تاريخ الطبري ١/٣٢٣.

(٨) في البدء والتاريخ ٣/٧٢: «وكانت له حوران والبثنية».

أعمال دمشق بما فيها، وكان له فيها ألف شاة[1] برُعاتها، وخمسمائة فدّان، يتبعها خمسمائة عبد، لكلّ عبد امرأة وولد ومال، ويحمل آلة الفدّان أتان، ولكلّ أتان ولد واثنان وما فوق ذلك، فلمّا جمعهم إبليس قال: ما عندكم من القوّة والمعرفة، فإنّي قد تسلّطتُ على مال أيّوب. فقال كلّ منهم قولاً، فأرسلهم، فأهلكوا ماله كلّه، وأيّوب يحمد الله، ولا يرجع عن الجدّ في عبادته والشكر له على ما أعطاه، والصبر على ما ابتلاه.

فلمّا رأى ذلك إبليس من أمره سأل الله أن يسلّطه على ولده، فسلّطه[2] [عليهم]، ولم يجعل له سلطاناً على جسده ولا عقله وقلبه، فأهلك ولدَه كلَّهم، ثمّ جاء إليه متمثّلاً بمعلمهم[3] الذي كان يعلّمهم الحكمة، جريحاً مشدوخاً يرقّقه[4]، حتى رقّ أيّوب فبكى، وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه، فسُرّ بذلك إبليس.

ثمّ إنّ أيّوب ندم لذلك وجدّ واستغفر، فصعِد حَفَظَتُهُ من الملائكة بتوبته إلى الله قبل إبليس، فلمّا لم يرجع أيّوب عن عبادة ربّه والصبر على ما ابتلاه به سأل الله تعالى أن يسلّطه على جسده، فسلّطه عليه، خلا لسانه وقلبه وعقله، فإنّه لم يجعل له على ذلك سلطاناً. فجاءه وهو ساجد فنفخ في منخره نفخةً اشتعل منها جسده، وصار أمره إلى أن انتثر لحمه، وامتلأ جسده دوداً، فإن كانت الدودة لَتَسْقط من جسده، فيردّها إليه ويقول: كُلي من رزق الله، وأصابه الجُذام، وكان أشدَّ من ذلك عليه أنّه كان يخرج في جسده مثل ثديِ المرأة ثمّ يتفقّأ، وأنتن حتى لم يطقْ أحد يشمّ ريحه[5]، فأخرجه أهل القرية منها إلى الكُناسة خارج القرية لا يَقْربُه أحد، إلاّ زوجته، وكانت تختلف إليه بما يُصْلِحه، فبقي مطروحاً على الكُناسة سبع سنين، ما يسأل[6] الله أن يكشف ما به[7]، وما على وجه الأرض أكرم على الله منه.

وقيل: كان سبب بلائه أنّ أرض الشام أجدبت، فأرسل فرعونُ إلى أيّوب أنْ هَلُمَّ إلينا، فإنّ لك عندنا سَعَة، فأقبل بأهله وخيله وماشيته، فأقطعهم فرعون القطائع.

ثمّ إنّ شُعيباً النبيّ دخل إلى فرعون فقال: يا فرعون أما تخاف أن يغضب الله غضبة

---

(١) جاء في الإصحاح الأول من سفر أيوب ـ ص ٣/٧٩٣: «وكانت مواشيه سبعة آلاف من الغنم، وثلاثة آلاف جمل، وخمسمائة فدّان بقر، وخمسمائة أتان».
(٢) في الأصول «فسلط».
(٣) في النسخة (ب): «البلاء ممتثلاً عليهم يعلمهم».
(٤) في النسخة (ت) و(ر): «يرفقه».
(٥) في النسخة (ر): «رائحته».
(٦) في النسخة (ر): «سأل».
(٧) الخبر في تاريخ الطبري ١/٣٢٢ ـ ٣٢٤، وانظر تهذيب تاريخ دمشق ٣/١٩٦.

فيغضب لغضبه أهلُ السماء وأهلُ الأرض والبحار والجبال؟ وأيّوب ساكتٌ لا يتكلّم، فلمّا خرجا أوحى الله إلى أيّوب: يا أيّوب سكتَّ عن فرعون لذهابك إلى أرضه، استعدّ للبلاء. فقال أيّوب: أما كنتُ أكفل اليتيم، وأؤوي الغريب، وأشبع الجائع، وأكفي[1] الأرملة؟ فمرّت سحابة يُسمع فيها عشرة آلاف صوت من الصواعق يقولون: من فعل [بك][2] ذلك يا أيّوب؟ فأخذ تراباً فوضعه على رأسه وقال: أنتَ يا ربّ، فأوحى الله إليه: استعدّ للبلاء. قال: فديني؟ قال: أسلّمه لك. قال: فما أبالي[3].

وقيل: كان السبب غير ذلك، وهو نحوٌ مما ذكرنا[4].

فلما ابتلاه الله واشتدّ عليه البلاء، قالت له امرأته: إنّك رجل مجاب الدعوة فادعُ الله[5] أن يشفيك. فقال: كنّا في النعماء سبعين سنة، فلنصبر في البلاء سبعين سنة[6]، والله لئن شفاني الله لأجلدنّك مائة جلدة.

وقيل: إنّما أقسم ليجلدها لأنّ إبليس ظهر لها وقال: بمَ أصابكم ما أصابكم؟ قالت: بقَدَر الله. قال: وهذا أيضاً بقَدَر الله فاتبعيني، فاتبعتْه، فأراها جميعَ ما ذهب منهم في وادٍ وقال: اسجدي لي وأردّه عليكم. فقالت: إنّ لي زوجاً أستأمره. فلمّا أخبرتْ أيوب قال: ألم تعلمي أنّ ذلك الشيطان؟ لئن شُفيتُ لأجلدنّك مائةَ جلدة[7]، وأبعَدَها وقال لها: طعامك وشرابك عليّ حرام لا أذوق ممّا تأتيني به شيئاً، فابعدي عنّي فلا أراك. فذهبتْ عنه، فلمّا رأى أيّوب أنّ امرأته قد طردها، وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خرّ ساجداً وقال: ربّ ﴿إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[8] كرّر ذلك. فقيل له: ارفع رأسك فقد استُجيب لك، ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾[9]، وردّ الله إليه جسده وصورته.

---

(١) في النسخة (ر): «أكف»، وفي النسخة (ب): «أكفل»، وفي المطبوع ١/١٢٩ «أكفت»، وما أثبتناه عن تهذيب تاريخ دمشق ٣/١٩٥.

(٢) في الأصل «من فعل ذلك»، وأضفنا «بك» من النسخة (ر)، ومن تهذيب تاريخ دمشق حيث ينقل المؤلّف هنا عن ابن عساكر.

(٣) أنظر الخبر في تهذيب تاريخ دمشق ٣/١٩٤، ١٩٥ عن إدريس الخولاني. وهو في مرآة الزمان أيضاً نقلاً عن ابن عساكر ١/٣٧٨.

(٤) في الطبعة الأوربية: «وهو نحو الدعوة كذلك».

(٥) في الطبعة الأوربية: «فقالت له امرأته ادعُ الله».

(٦) العبارة في تهذيب تاريخ دمشق ٣/١٩٦.

(٧) الخبر إلى هنا في تهذيب تاريخ دمشق ٣/١٩٧، ١٩٨.

(٨) الأنبياء/٨٣.

(٩) صَ/٤٢.

وأمّا امرأتُه فقالت: كيف أتركه، وليس عنده أحد، يموت جوعاً وتأكله السّباع؟ فرجعت إليه فرأت أيّوب وقد عوفي، فلم تعرفه، فعجبت كيف لم تره على حاله، فقالت له: يا عبد الله هل رأيتَ ذلك الرجلِ المُبْتَلَى الذي كان ههنا؟ قال: وهل تعرفينَه إذا رأيته؟ قالت: نعم. قال: هو أنا. فعرفته[1].

وقيل: إنّما قال: مسّني الضُّرُّ، لما وصل الدود إلى لسانه وقلبه، خاف أن يبطُل عن ذكر الله تعالى والفكر.

وردّ الله إليه أهله ومثلَهم معهم، قيل هم بأعيانهم، وقيل: ردّ الله إليه امرأته، وردّ إليه شبابها، فولدت له ستّة وعشرين ذكراً، وأنزل الله إليه مَلَكاً فقال: يا أيّوب إنّ الله يقرئك السلام لصبرك على البلاء. اخرج إلى أَندرِك[2]. فخرج إليه، فبعث الله سحابةً فألقت عليه جِراداً من ذهب، وكانت الجرادة تذهب فيتبعها حتى يردّها في أَندرِه، فقال المَلَك: أما تشبع من الداخل حتى تتّبع الخارج؟ فقال: إن هذه البركة من بركات ربّي، لستُ أشبع منها[3].

وعاش أيّوب بعد أن رُفع عنه البلاء سبعين سنة[4].

ولما عُوفي أمره الله أن يأخذ عُرجوناً من النخل، فيه مائة شِمراخ، فيضرب به زوجته ليَبرَّ من يمينه، ففعل ذلك.

وقول أيّوب: ربّ إنّي مسّني الضّرُّ، دعاء ليس بشكوى، ودليله قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾[5].

وكان من دعاء أيّوب: أعوذ بالله من جارٍ عيْنهُ تراني[6] إن رأى حسنة سَتَرَها، وإن رأى سيّئة ذكرها[7].

وقيل: كان سبب دعائه أنّه كان قد اتّبعه ثلاثة نفر على دينه، اسم أحدهم بلدد[8]،

---

(١) الخبر في تهذيب تاريخ دمشق ٣/ ٢٠٠ ومرآة الزمان ١/ ٣٨٢.
(٢) الأندر: الكدْس من القمح أو الشعير. أنظر تهذيب تاريخ دمشق ١/ ٢٠٠.
(٣) تهذيب تاريخ دمشق ٣/ ٢٠١.
(٤) تهذيب تاريخ دمشق ٣/ ٢٠١ من طريق الخطيب البغدادي، عن ابن عباس.
(٥) الأنبياء/ ٨٤.
(٦) في النسخة (ر): «عينه تراني وقلبه يرعاني».
(٧) تهذيب تاريخ دمشق ٣/ ٢٠٣.
(٨) في طبعة صادر ١/ ١٣٢ «يلدد» بالياء المثنّاة. والتصويب من الطبري، والعهد القديم.

والآخر اليفر[1]، والثالث صافر[2]، فانطلقوا إليه وهو في البلاء فبكّتوه أشدّ تبكيت[3]، وقالوا له: لقد أذنبتَ ذنباً ما أذنبه أحد، فلهذا لم يُكشف العذاب عنك. وطال الجدال بينهم وبينه، فقال فتىً[4] كان معهم لهم كلاماً يردّ عليهم، فقال: قد تركتم من القول أحسنه، ومن الرأي أصْوَبه، ومن الأمر أجمله، وقد كان لأيّوب عليكم من الحقّ والذمام أفضل من الذي وصفتم، فهل تدرون حقَّ من انتقصتم، وحُرمة من انتهكتم، ومَن الرجل الذي عِبتُم؟ ألم تعلموا أنّ أيّوب نبيّ الله وخيرته من خلقه يومكم هذا؟ ثمّ لم تعلموا ولم يُعلمكم الله أنّه سخط شيئاً من أمره، ولا أنّه نزع شيئاً من الكرامة التي كرّم الله بها عباده، ولا أنّ أيّوب فعل غير الحقّ في طول ما صحبتموه، فإنْ كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضّعه في نفوسكم، فقد علمتم أنّ الله يبتلي النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وليس بلاؤه لأولئك دليلاً على سخطه عليهم، ولا على هوانهم عليه، ولكنّها كرامة وخيرة لهم. وأطال في هذا النحو من الكلام.

ثمّ قال لهم: وقد كان في عظمة الله وجلاله، وذِكر الموت، وما يُكلّ ألسنَتَكم، ويكسر قلوبَكم، ويقطع حجّتكم، ألم تعلموا أنّ لله عباداً أسكتتْهم خشيته عن الكلام من غير عيّ ولا بُكْم؟ وإنّهم لَهُمُ الفُصَحَاء الألِبّاء العالمون بالله وآياته[5]، ولكنّهم إذا ذكروا عَظَمَةَ الله انكسرت قلوبهم، وانقطعت ألسنتهم، وطاشت أحلامهم وعقولهم فزعاً من الله وهيبةً له، فإذا أفاقوا استبقوا إلى الله بالأعمال الزاكية، يعدّون أنفسهم مع الظالمين وإنّهم لأبرار، ومع المقصّرين، وإنّهم لأكياس أتقياء، ولكنّهم لا يستكثرون لله عزّ وجلّ الكثير، ولا يرضون له القليل، ولا يدلّون عليه بالأعمال، فهم أينما لقِيتهم خائفون مُهيمُون وَجِلون.

فلمّا سمع أيّوب كلامه[6] قال: إنّ الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير، فمتى كانت في القلب ظهرت على اللّسان، ولا تكون الحكمة من قِبَل السنّ والشيبة، ولا طول التجربة، وإذا جعل الله تعالى عبداً حكيماً عند الصِّبا، لم تسقط منزلته عند الحكّام[7]. ثمّ أقبل على الثلاثة فقال: رهبتم قبل أن تُسترهبوا، وبكيتم قبل أن

---

(١) في الطبري ١/٣٢٤ «اليفز» بالزين.

(٢) وردت هذه الأسماء في التوراة، سفر أيوب، الآية ١١ من الإصحاح الثاني: بِلْدَد الشُّوحي، أَليفاز التَّيماني، صُوفَر النَّعماني (ص ٧٩٥).

(٣) هنا ينتهي هذا الخبر عند الطبري ١/٣٢٤ والخبر بطوله في عرائس المجالس للثعلبي.

(٤) هو «أليهو بن بَرَخْئيل البُوزيّ من عشيرة رام» كما في التوراة، سفر أيوب، الأصحاح ٣٢/٢ ـ ص ٨٢٢.

(٥) في الطبعة الأوربية «أيامه».

(٦) في الطبعة الأوربية «كلامهم».

(٧) في عرائس المجالس ١٢٤ «الحكماء».

تُضْربوا، كيف بكم لو قلتُ لكم تصدّقوا عنّي بأموالكم، لعلّ الله أن يخلّصني، أو قرّبوا قُرباناً، لعلّ الله أن يتقبّل ويرضى عنّي؟ وإنّكم قد أعجبتْكم أنفسكم، فظننتم أنّكم عوفيتم بإحسانكم، فبغيتم وتعزّزتم، لو صدّقتم[1] ونظرتم بينكم وبين ربّكم، لَوَجَدْتم لكم عيوباً سترها الله بالعافية، وقد كنتُ فيما خلا، والرجال يوقّرونني، وأنا مسموعٌ كلامي، معروف من حقّي، منتصف[2] من خصمي، فأصبحتُ اليوم وليس لي رأي ولا كلام معكم، فأنتم أشدّ عليّ من مصيبتي.

ثمّ أعرض عنهم، وأقبل ربّه مستغيثاً به متضرّعاً إليه، فقال: ربّ لأيّ شيء خلقتني! ليتني إن[3] كرهتني لم تخلقني، يا ليتني كنتُ حَيْضَةً ملقاةً، ويا ليتني عرفتُ الذنبَ الذي أذنبتُ، فصرفتَ وجهك الكريم عنّي! لو كنتَ أمتّني فالموت أجمل بي! ألم أكن للغريب داراً، وللمسكين قراراً، ولليتيم وليّاً، وللأرملة قيّماً؟ إلهي أنا عبد ذليل، إن أحسنتُ فالمنّ لك، وإن أسأتُ فبيدك عقوبتي! جعلتني للبلاء عرضاً[4]، فقد وقع عليّ البلاء، لو سلّطته على جبل لضعُف عن حمْله، فكيف يحمله ضعفي! ذهب المال، فصرتُ أسألُ بكفّي، فيطعمني من كنتُ أعوله اللّقمة الواحدة، فيمنّها عليّ ويعيّرني! هلك أولادي، ولو بقي أحدهم أعانني. قد ملّني أهلي، وعقّني أرحامي، فتنكّرت معارفي، ورغب عنّي صديقي، وجُحِدتْ حقوقي، ونسيت صنائعي. أصرخ فلا يُصرخونني، وأعتذر فلا يعذرونني. دعوتُ غلامي فلم يجبني، وتضرّعتُ إلى أمتي فلم ترحمني، وإنّ قضاءك هو الذي آذاني وأقمأني[5]، وإنّ سلطانك هو الذي أسقمني. فلو أنّ ربّي نزع الهيبة التي في صدري، وأطلق لساني حتى أتكلّم ملء فمي، ثمّ كان ينبغي للعبد أن يُحاجّ مولاه عن نفسه، لرجوتُ أن تعافيني عند ذلك، ولكنّه ألقاني وعلا عنّي، فهو يراني ولا أراه، ويسمعني ولا أسمعه، لا نظر إليّ فرحِمني، ولا دنا منّي فأتكلّم ببراءتي، وأخاصم عن نفسي.

فلما قال أيّوب ذلك أظلّتهم غمامة، ونُودي منها: يا أيّوب إنّ الله يقول قد دنوتُ منك، ولم أزلْ منك قريباً، فقمْ فأدْلِ بحجّتك، وتكلّم ببراءتك، وقمْ مقام جبّار، فإنّه لا ينبغي أن يخاصمني إلّا جبّار. تجعل الزيار[6] في فم الأسد، واللّجام[7] في فم التّنين،

---

(١) في الطبعة الأوربية «تصدقتم».

(٢) في النُسخ، وطبعتي أوربا وصادر «مستنصف»، وما أثبتناه عن النسخة (ر)، وعرائس المجالس ١٢٤.

(٣) في عرائس المجالس «إذ» بدل «إن».

(٤) في عرائس المجالس ١٢٤ «غرضاً» بالغين المعجمة.

(٥) في النسخة (ب): «أنماني». وفي عرائس المجالس ١٢٤ «هو الذي أذلّني وأدناني وأهانني وأقامني».

(٦) في الطبعة الأوربية «الوبار»، وقد صُحّحت في طبعة صادر ١٣٤ وجاء في الحاشية: الزيار: خشبتان يضغط =

وتكيل مكيالاً من النور، وتزنُ مثقالاً من الريح، وتصرّ صرّة من الشمس، وتردّ أمس. لقد منّتك نفسُك أمراً لا تبلغه بمثل قوّتك. أردتَ أن تكابرني[1] بضعفك، أم تخاصمني بعيّك أم تحاجّني بخطلك[2]! أين أنتَ مني يومَ خلقتُ الأرض؟ هل علمتَ بأيّ مقدار قدرتُها؟ أين كنتَ معي يوم رفعتُ السماء سقفاً في الهواء لا بعلائق ولا بدعائم تحملها؟ هل تبلغ حكمتك أن تجري نورها، أو تسيّر نجومها، أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها؟ وذكر أشياء من مصنوعات الله.

فقال أيّوب: قصرتُ عن هذا الأمر! ليتَ الأرض انشقّت لي فذهبتُ فيها ولم أتكلّم بشيء يُسخطك! إلهي اجتمع عليّ البلاء، وأنا أعلم أنّ كلّ الذي ذكرتَ من صُنْع يديك وتدبير حكمتك، لا يُعجزك شيء، ولا تخفى عليك خافية، تعلم ما تخفي القلوب، وقد علمتَ في بلائي ما لم أكن أعلمه. كنتُ أسمع بسطوتك سمعاً، فأمّا الآن فهو نظر العين. إنّما تكلّمتُ بما تكلّمتُ به لتعذرني، وسكتُّ لترحمني، وقد وضعتُ يدي على فمي، وعضضتُ على لساني، وألصقتُ بالتراب خدّي، فدسستُ فيه وجهي، فلا أعود لشيء تكرهه. ودعا.

فقال الله: يا أيّوب، نفذ فيك حكمي، وسبقت رحمتي غضبي، قد غفرتُ لك، ورددتُ عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم، لتكون لمن خلفك آية وعبرة لأهل البلاء، وعزاءً للصابرين، فـ ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَـٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾[3] فيه شفاء، وقرّب عن أصحابك قرباناً واستغفر لهم، فإنّهم قد عصوني فيك. فركض برجْله، فانفجرت له عين ماء، فاغتسل فيها، فرفع الله عنه البلاء، ثمّ خرج فجَلس، وأقبلت امرأته فسألته عنه فقال: هل تعرفينه؟ قالت: نعم، ما لي لا أعرفه! فتبسّم، فعرفته بضحكه، فاعتنقته، فلم تفارقه من عناقه، حتى مرّ بهما كلّ مال لهما وولد[4].

وإنّما ذكرته قبل يوسف وقصّته لِما ذكر بعضهم من أمره، وأنّه كان نبيّاً في عهد يعقوب[5].

= بهما البيطار جحفلة الفرس أي شفته فيذلّ فيتمكن من بيطرته. وفي عرائس المجالس ١٢٤ «الزمام».

(٧) في عرائس المجالس «اللحم» (١٢٥).

---

(١) في النسخة (ب): «تماكرني»، وفي عرائس المجالس «تكاثرني».

(٢) العبارة في عرائس المجالس: «أم أردت أن تخاصمني بغيّك أم أردت أن تحاجني بخطئك».

(٣) صٓ/٤٢.

(٤) راجع الخبر بطوله في عرائس المجالس ١٢٣ - ١٢٦.

(٥) العبارة عن الطبري ١/٣٢٤.

وذُكر أنّ عمر أيّوب كان ثلاثاً وتسعين سنة، وأنّه أوصى عند موته إلى ابنه حومل[1]، وأنّ الله بعث بعده ابنه بِشْر بن أيّوب نبيّاً، وسمّاه ذا الكِفْل، وكان مقيماً بالشام حتى مات، وكان عمره خمساً وسبعين سنة[2]، فأوصى إلى ابنه عبدان[3]، وأنّ الله بعث بعده شُعَيْبَ بن ضيعون[4] بن عنقا بن ثابت[5] بن مَدْيَن بن إبراهيم، عليه السلام.

(١) في الأصل «حوصل»، والمثبت يتفق مع الطبري ٣٢٥/١، وعرائس المجالس للثعلبي ١٢٩.
(٢) الطبري ٣٢٥/١، وفي عرائس المجالس «خمساً وتسعين سنة».
(٣) في طبعة صادر ١٣٦/١ «عيدان» بالياء المثنّاة، والتصويب عن الطبري والثعلبي.
(٤) في النسخة (ب): «صفيون».
(٥) في تاريخ الطبري: «شعيب بن صيفون بن عيفا بن نابت».

ذكر قصة يوسف عليه السلام[1]

ذكروا أنّ إسحاق توفّي وعمره ستّون ومائة سنة، وقبره عند أبيه إبراهيم، قَبَرَه ابناه يعقوب وعيص في مزرعة حَبْرُون[2]، وكان عُمر يعقوب مائة وسبعاً وأربعين سنة، وكان ابنه يوسف قد قُسم له ولأمّه شطر الحُسْن، وكان يعقوب قد دفعه إلى أخته ابنة إسحاق تحضنه، فأحبّته حبّاً شديداً، وأحبّه يعقوب أيضاً حبّاً شديداً، فقال لأخته: يا أُخيّة! سلّمي إليّ يوسف، فوالله ما أقدر أن يغيب عنّي ساعة. فقالت: والله ما أنا بتاركته ساعة. فأصرّ يعقوب على أخْذه منها، فقالت: اتركه عندي أيّاماً لعلّ ذلك يسلّيني، ثمّ عمدت إلى منطقة إسحاق، وكانت عندها، لأنّها كانت أكبر ولده، فحزمتها على وسط يوسف، ثمّ قالت: قد فُقِدت المنطقة، فانظروا مَنْ أخذها. فالتُمست، فقالت: اكشفوا أهلَ البيت. فكشّفوهم فوجدوها مع يوسف، وكان من مذهبهم أن صاحب السرقة يأخذ السارق له، لا يعارضه فيه أحد، فأخذت يوسفَ فأمسكته عندها حتى ماتت، وأخذه يعقوب بعد موتها. فهذا الذي تأوّل[3] إخوة يوسف: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾[4].

وقيل في سرقته غير هذا، وقد تقدّم.

فلمّا رأى إخوة يوسف محبّةَ أبيهم له وإقباله عليه، حسدوه وعظُم عندهم.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١/٣٠، المعارف لابن قتيبة ٤١، تاريخ الطبري ١/٣٣٠، مروج الذهب للمسعودي ١/٤٧، البدء والتاريخ للمقدسي ٣/٦٦، نهاية الأرب للنويري ١٣/١٣٠، عرائس المجالس للثعلبي ٨٤، مرآة الزمان ١/٣٣٩، الكسائي ١٥٦، زاد المسير ٤/١٨٠، تفسير الطبري ١٥/٥٤٩ و١٦/١ - ٣١٥، مختصر تاريخ الدول لابن العبري ١٦، البداية والنهاية لابن كثير ١/١٩٧، أخبار الزمان للمسعودي ٢٥٩، تاريخ الخميس ١/١٤٩.

(٢) في النسخة (ب): «جيرون»، وفي النسخة (ت): «حيرون». وهي كما أثبتناها، قال ياقوت: حبرون، بالفتح ثم السكون وضم الراء وسكون الواو ونون. اسم القرية التي فيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام بالبيت المقدس. (معجم البلدان ٢/٢١٢).

(٣) في الطبعة الأوربية «تقول».

(٤) يوسف/٧٧ والخبر في تاريخ الطبري ١/٣٣٠، ٣٣١، وتفسير الطبري ١٣/٢١ طبعة بولاق.

ثمّ إنّ يوسف رأى في منامه كأنّ أحد عشر كوكباً والشمس والقمر تسجد[1] له، فقصّها على أبيه، وكان عمره حينئذٍ اثنتي عشرة سنة. فقال له أبوه: **﴿يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾**[2]. ثمّ عبّر له رؤياه. فقال: **﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾**[3].

وسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لأبيه، فقال لها يعقوب: اكتمي ما قال يوسف ولا تُخبري أولادك. قالت: نعم. فلمّا أقبل أولاد يعقوب من الرعي[4] أخبرتهم بالرّؤيا، فازدادوا حسداً وكراهةً له وقالوا: ما عنى بالشمس غير أبينا، ولا بالقمر غيركِ، ولا بالكواكب غيرنا، إنّ ابن راحيل يريد أن يتملّك علينا ويقول أنا سيّدكم. وتآمروا بينهم أن يفرّقوا بينه وبين أبيه وقالوا: **﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلى أَبِينَا مِنَّا ونَحْنُ عُصْبَةٌ، إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ** - في خطإٍ بيّن في إيثارهما علينا - **اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ﴾**[5] أي تائبين.

فقال قائل منهم، وهو يهودا[6]، وكان أفضَلهم وأعقَلهم: لا تقتلوا يوسف فإنّ القتل عظيم، **﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾**[7]، وأخذ عليهم العهود أنّهم لا يقتلونه، فأجمعوا عند ذلك إن يدخلوا على يعقوب ويكلّموه في إرسال يوسف معهم إلى البريّة، وأقبلوا إليه ووقفوا بين يديه، وكذلك كانوا يفعلون إذا أرادوا منه حاجة، فلمّا رآهم قال: ما حاجتكم؟ **﴿قَالُوا: يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ** - نحفظه حتى نردّه - **أَرْسِلْهُ مَعَنَا** - إلى الصحراء - **غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾**[8]. فقال لهم يعقوب: **﴿إِنِّي لَيَحْزُنُني أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾**[9] لا تشعرون، وإنّما قال لهم ذلك لأنّه كان رأى في منامه كأنّ يوسف على رأس جبل، وكأنّ عشرةً من الذئاب قد شدّوا عليه ليقتلوه، وإذا ذئب منها يحمي عنه، وكأنّ الأرض انشقّت فذهب فيها، فلم يخرج منها إلّا بعد ثلاثة أيّام، فلذلك خاف عليه الذئبَ.

---

(١) في النسختين (ب) و(ر): «قد سجدوا».
(٢) يوسف/٥.
(٣) يوسف/٦.
(٤) في النسخة (ر): «المرعى».
(٥) يوسف/٨ - ٩.
(٦) في تاريخ الطبري ١/٣٣٢ «يهوذا» بالذال المعجمة.
(٧) يوسف/١٠.
(٨) يوسف/١١ - ١٢.
(٩) يوسف/١٣.

فقال له بنوه: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَخَاسِرُونَ﴾[1]. فاطمأنّ[2] إليهم، فقال يوسف: يا أبتِ أرسلني معهم. قال: أوَتُحِبّ ذلك؟ قال: نعم. فأذِن له، فلبس ثيابه وخرج معهم وهم يُكرمونه، فلمّا برزوا إلى البرّيّة أظهروا له العداوة، وجعل بعضُ إخوته يضربه، فيستغيث بالآخر فيضربه، فجعل لا يرى منهم رحيماً، فضربوه حتى كادوا يقتلونه، وجعل يصيح: يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ما يَصنعَ بابنك بنو الإماء.

فلمّا كادوا يقتلونه قال لهم يهودا[3]: أليس قد أعطيتموني مَوثِقاً ألا تقتلوه؟ فانطلقوا به إلى الجُبّ فأوثقوه كتافاً، ونزعوا قميصه وألقوه فيه، فقال: يا إخوتاه ردّوا عليّ قميصي أتوارى به في الجبّ! فقالوا: ادعُ الشمسَ والقمر والأحد عشر كوكباً تؤنسك. قال: إنّي لم أرَ شيئاً، فدلّوه في الجبّ، فلمّا بلغ نصفَه ألقوه، أرادوا أن يموت، وكان في البئر ماء، فسقط فيه، ثمّ أوى إلى صخرةٍ فأقام عليها، ثمّ نادوه. فظنّ أنّهم قد رحموه فأجابهم، فأرادوا أن يرضخوه بالحجارة فمنعهم يهودا[4].

ثمّ أوحى الله إليه: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[5] بالوحي، وقيل لا يشعرون أنّه يوسف.

والجبّ بأرض بيت المقدس معروف[6].

ثمّ عادوا إلى أبيهم عِشاءً يبكون فقالوا: ﴿يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾[7]. فقال لهم أبوهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً، فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[8]. ثمّ قال لهم: أروني قميصه. فأروه. فقال: تالله ما رأيتُ ذِئباً أحلم من هذا! أكل ابني ولم يشقّ قميصه! ثمّ صاح وخرّ مغشيّاً عليه ساعة، فلمّا أفاق بكى بكاء طويلاً فأخذ القميص يقبّله ويشمّه.

وأقام يوسف في الجبّ ثلاثة أيّام، وأرسل الله مَلَكاً فحلّ كتافه، ثمّ ﴿جَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾، وهو الذي يتقدّم إلى الماء، ﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ إلى البئر، فتعلّق به

---

(١) يوسف/١٤.

(٢) في النسخة (ب): «فلما سمع يعقوب ذلك اطمأنّ».

(٣) في تاريخ الطبري «يهوذا».

(٤) في تاريخ الطبري «يهوذا».

(٥) يوسف/١٥.

(٦) جبّ يوسف: في طريق القدس عند بلد يقال لها سنجيل والجبّ قرية معروفة اليوم باسم خان جب يوسف على ميل ونصف من شمالي بحيرة طبرية. (الأعلاق الخطيرة ٢/٢٨٢ بالمتن والحاشية).

(٧) يوسف/١٧.

(٨) يوسف/١٨.

يوسف فأخرجه من الجبّ، و ﴿قَالَ: يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ[1] وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾[2] يعني الواردُ وأصحابه، خافوا أن يقولوا اشتريناه، فيقول الرفقة أشْرِكونا فيه، فقالوا: إنّ أهل الماء استبضعونا هذا الغلام.

وجاء يهودا بطعام ليوسف، فلم يره في الجبّ، فنظر فرآه عند مالك في المنزل، فأخبر إخوته بذلك، فأتوا مالكاً وقالوا: هذا عبد آبق منّا. وخافهم يوسف فلم يذكر حاله، واشتروه من إخوته بثمنٍ بَخْس؛ قيل عشرون درهماً، وقيل أربعون دِرهماً، وذهبوا به إلى مصر، فكساه مالك وعرضه للبيع، فاشتراه قُطْفير، وقيل اطفير[3]، وهو العزيز، وكان على خزائن مصر، والملك يومئذٍ الريّان بن الوليد رجل من العمالقة.

قيل: إنّ هذا الملك لم يمتْ حتى آمن بيوسف، ومات ويوسف حيّ، وملك بعده قابوس بن مُصْعَب، فدعاه يوسف فلم يؤمن.

فلمّا اشترى يوسف وأتى به إلى منزله قال لامرأته، واسمها راعيل: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ [فيكفينا] إذا [هو بلغ و] فهم الأمور بعض ما نحن بسبيله ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾[4]، وكان لا يأتي النساءَ، وكانت امرأته حسناء ناعمةً في مُلْكٍ ودنيا[5].

فلمّا خلا من عمرْ يوسف ثلاثٌ وثلاثون سنة آتاه العلمَ والحكمةَ قبل النبوّة، وراودته راعيل عن نفسه، وأغلقت الأبواب عليه وعليها، ودَعَتْهُ إلى نفسها، فقال: ﴿مَعَاذَ اللهِ إنَّهُ رَبِّي - يعني أنّ زوجك سيّدي - أَحْسَنَ مَثْوَايَ، إنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[6]، يعني أنّ خيانته ظلم، وجعلت تذكر محاسنه وتشوّقه إلى نفسها، فقالت له: يا يوسف ما أحسن شعرك! قال: هو أوّل ما ينتثر من جسدي. قالت: يا يوسف ما أحسن عينيك! قال: هما أوّل ما يسيل من جسدي. قالت: ما أحسن وجهك! قال: هو للتراب. فلم تزل به حتى همّت وهمّ بها[7] وذهب ليحلّ سراويله، فإذا هو بصورة يعقوب قد عضّ على إصبعه

---

(١) في النسخة (ر): «تباشروا وقيل يا بشرى اسم غلام».
(٢) يوسف/١٩.
(٣) ورد في التوراة، الفصل ٣٩ من سفر التكوين، الآية ١، فُوطِيفار خصيّ فرعون رئيس الشُرَط. (٦٥).
(٤) يوسف/٢١.
(٥) في الطبعة الأوربية «دين»، والمثبت هو الصحيح اعتماداً على الطبري ١/٣٣٦ والخبر في تاريخ الطبري ١/٣٣٤ - ٣٣٧، والتفسير له ١٢/١٠٨.
(٦) يوسف/٢٣.
(٧) جاء على هامش النسخة (ب) العبارة التالية: «أعوذ بالله من هذا الاعتقاد، بل هَمَّ بها بالضرب تأديباً، أو القتل أو أنّ الهمّ وحصوله معلّق على عدم رؤية البرهان، وإلاّ فأنبياء الله منزّهون من الهمّ على الفاحشة».

يقول: يا يوسف لا تواقعها[1] إنّما مَثَلك ما لم تُواقعها[2] مثل الطير في جوّ السماء لا يطاق، ومَثَلك إذا واقعتها مَثَله إذا مات وسقط إلى الأرض.

وقيل: جلس بين رِجْلَيها، فرأى في الحائط: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[3]. فقام حين رأى برهان ربّه هارباً يريد الباب، فأدْركتْهُ قبل خروجه من الباب، فجذبت قميصه من قِبَل ظهره فقَدَّتْه، ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ - وابن عمّها معه، فقالت له -: مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ﴾[4]. قال يوسف: بل ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾[4]، فهربتُ منها فأدركتني فقدَّتْ قميصي. قال لها ابن عمّها: تِبْيان هذا في القميص، فإن كان قُدّ من قُبُلٍ فصدقتِ، وإن كان قُدّ من دُبُرٍ فكذبتِ. فأتيَ بالقميص فوجده قُدّ من دُبُر، فقال: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[5].

وقيل: كان الشاهد صبيّاً في المهد.

قال ابن عبّاس: تكلّم أربعة في المهد وهم صغار، ابن ماشطة امرأة فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جُرَيج، وعيسى بن مريم[6].

وقال زوجها ليوسف: ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ أي ذِكْر ما كان منها فلا تذكره لأحد، ثمّ قال لزوجته: ﴿اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾[7].

وتحدّث النساء بأمر يوسف وامرأة العزيز، وبلغ ذلك امرأةَ العزيز ﴿فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾[8] يتّكئن عليه [من] وسائد، وحضرن، وقدّمت لهنَّ أُترنجاً[9]، وأعطت كلّ واحدةٍ منهنَّ سكّيناً لقطع الأترنج، وقد أجلست يوسف في غير المجلس الذي هنّ فيه، وقالت له: ﴿اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ - فخرج - فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ - وأعظمنه - وَقَطَّعْنَ

---

(١) في الأصل «يا يوسف أتواقعها»، وأثبتنا رواية الطبري ١/٣٣٧.

(٢) في طبعة صادر «نواقعها» بالنون، وهو تحريف، والتصويب عن الطبري.

(٣) الإسراء/٣٢.

(٤) يوسف/٢٥ - ٢٦.

(٥) يوسف/٢٨.

(٦) الطبري ١/٣٣٩.

(٧) يوسف/٢٩.

(٨) يوسف/٣١.

(٩) في تاريخ الطبري ١/٣٤٠ «أترُجّاً»، ويصحّ الاثنان. ويقال: أترنج، وترنج. وهي فاكهة مشهورة في الهند، منها نوع آخر يُسمَّى «النارنج». أنظر: سفرنامه، لناصر خسرو علوي - ترجمة د. يحيى الخشّاب - ص ٤٧ - طبعة بيروت ١٩٧٠، ومروج الذهب للمسعودي ١/٣٧٨.

﴿أَيْدِيَهُنَّ﴾ بالسكاكين ولا يشعرن، وقلنَ: معاذ الله **﴿مَا هَذَا بَشَراً، إنْ هَذَا إلاّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾**[1].

فلمّا حلّ بهنّ ما حلّ من قطْعهنّ أيديهنّ وذهاب عقولهنّ وعرفنَ خطأهنّ فيما قلن، أقرّت على نفسها وقالت: **﴿فَذَلِكُنَّ الّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ، وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ، وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِنَ الصّاغِرِينَ﴾**[2]. فاختار يوسف السجن على معصية الله، فقال: **﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إليَّ مِمّا يَدْعُونَنِي إلَيْهِ وَإلاّ تَصْرِفْ عَنّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إلَيْهِنّ﴾**[3]. **﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنّ﴾**[4]. ثمّ بدا للعزيز من بعدما رأى الآيات من القميص وخمْش الوجه وشهادة الطفل وتقطيع النّسوة أيديهنّ في ترك يوسف مطلقاً.

وقيل: إنّها شكت إلى زوجها وقالت: إنّ هذا العبد قد فضحني في النّاس، يخبرهم أنّني راودتُهُ عن نفسه، فسجنه سبع سنين. فلمّا حُبس يوسف أُدخل معه السجنَ فَتَيَان من أصحاب فرعون مصر، أحدهما صاحب طعامه، والآخر صاحب شرابه، لأنّهما نُقل عنهما أنّهما يريدان أن يَسُمّا الملك، فلمّا دخل يوسف السجنَ قال: إنّي أعبِّر الأحلام. فقال أحد الفَتَيَيْن للآخر: هلُمَّ فلنجرّبه. قال الخبّاز: **﴿إنّي أرَانِي أحْمِلُ فَوْقَ رَأسِي خُبزاً تَأكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾**[5]. وقال الآخر: **﴿إنّي أرَانِي أعْصِرُ خَمْراً﴾**[6]. فقال لهما يوسف: **﴿لَا يَأتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إلاّ نَبّأتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أنْ يَأْتِيكُمَا﴾**[7]. كره أن يعبّر لهما ما سألاه عنه، وأخذ في غير ذلك وقال: **﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أأرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيرٌ أمِ اللهُ الوَاحِدُ القَهّارُ﴾**[8] وكان اسم الخبّاز مخلت[9]، واسم الآخر نبو[10]، فلم يَدَعاه حتى أخبرهما بتأويل ما سألاه عنه، فقال: **﴿أمَّا أحَدُكُمَا﴾**، وهو الذي رأى أنّه يعصر الخمر، **﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً﴾**[11]، يعني سيّده الملك، **﴿وَأمّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأكُلُ الطَّيرُ مِنْ**

(١) يوسف/٣١.
(٢) يوسف/٣٢.
(٣) يوسف/٣٣.
(٤) يوسف/٣٤.
(٥) يوسف/٣٦.
(٦) يوسف/٣٧.
(٧) يوسف/٣٩.
(٨) يوسف/٣٩.
(٩) في النسخة (ب): «محبت» وفي (ت): «مجلت»، وفي الطبري ١/٣٤٣ «محلب»، وفي مرآة الزمان ١/٣٥٤ «مجلب».
(١٠) في النسخة (ب): «بيو»، و(ر): «نسبو»، والمثبت يتفق مع بقية المصادر.
(١١) يوسف/٤١.

رَأسِهِ﴾[1]. فلمّا عبّر لهما قالا: ما رأينا شيئاً! قال: ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[2]. ثمّ قال لِنبو[3]، وهو الذي ظنّ أنّه ناجٍ منهما ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾[4] الملك وأخبره أنّي محبوس ظُلماً. ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾[5]، غفلة عرضت ليوسف من قِبَل الشيطان، فأوحى الله إليه: يا يوسف اتّخذت من دوني وكيلاً! لأطيلنّ حَبْسك. فلبث في السجن سبع سنين[6].

ثمّ إنّ الملك، وهو الريّان بن الوليد بن الهروان بن اراشة[7] بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح، رأى رؤيا هائلة، رأى سبع بَقَرَاتٍ سِمانٍ يأكلهنّ سبعٌ عِجاف، ورأى سبع سُنْبُلاتٍ خُضْر وأُخَرَ يابسات، فجمع السَّحَرَةَ والكَهَنَةَ والحازة[8] والعافة[9] فقصّها عليهم، فقالوا: ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ـ أي حين ـ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾[10] فأرسلوه إلى يوسف، فقصّ عليه الرّؤيا، فقال: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْباً فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[11]، فإنّ البقر السّمان: السنون المخاصيب، والبقرات العِجَاف: السّنون المحول، وكذلك السنبلات الخضر واليابسات، فعاد نبو[12] إلى الملك فأخبره، فعلم أنّ قول يوسف حقّ، فقال: ﴿ائْتُونِي بِهِ﴾[13]. فلمّا أتاه الرسول ودعاه إلى الملك لم يخرج معه وقال: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ؟﴾[14] فلمّا رجع الرسول من عند يوسف، سأل الملك أولئك النِّسوة، فقلن: ﴿حَاشَ للهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾[15] ولكنّ امرأة

(١) يوسف/٤١.
(٢) يوسف/٤١.
(٣) في النسخة (ب): «للآخر»، وفي النسخة (ت): «للبو».
(٤) يوسف/٤٢.
(٥) يوسف/٤٢.
(٦) الطبري ١/٣٤٤.
(٧) في النسخة (ب): «راشد». وفي تاريخ الطبري ١/٣٣٥ «الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشة بن قاران..».
(٨) الحازي: المتخرّص.
(٩) في تاريخ الطبري ١/٣٤٥ «القافة».
(١٠) يوسف/٤٤ ـ ٤٥.
(١١) يوسف/٤٧ ـ ٤٨ ـ ٤٩.
(١٢) في النسخة (ب): «بنو».
(١٣) يوسف/٥٠.
(١٤) يوسف/٥١.
(١٥) يوسف/٥١.

العزيز خبّرتنا أنّها راودته عن نفسه، فقالت امرأة العزيز: ﴿أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾[1]. فقال يوسف: إنّما رددتُ الرسل ليعلم سيّدي ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾[2] في زوجته. فلمّا قال ذلك، قال له جبرائيل: ولا حين هممتَ بها؟ فقال يوسف: ﴿وَمَا أُبَرِّيءُ نَفْسِي، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[3].

فلمّا ظهر للملك براءة يوسف وأمانته قال: ﴿إئْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾[4]. فلمّا جاءه الرسول خرج معه، ودعا لأهل السّجن، وكتب على بابه: هذا قبر الأحياء، وبيت الأحزان، وتجربة الأصدقاء، وشماتة الأعداء[5].

ثمّ اغتسل ولبس ثيابه وقصد الملك، فلمّا وصل إليه وَ ﴿كَلَّمَهُ قَالَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾[6]. فقال يوسف: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ﴾[7]. فاستعمله بعد سنة، ولو لم يقل: اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته، فسلّم خزائنه كلّها إليه بعد سنة[8]، وجعل القضاء إليه وحكمه نافذاً، وردّ إليه عمل قُطفير[9] سيّده بعد أن هلك، وكان هلاكه في تلك اللّيالي.

وقيل: بل عزله فرعون وولّى يوسف عمله، والأوّل أصحّ لأنّ يوسف تزوّج امرأته، على ما نذكره.

ولمّا وُلّي يوسف عملَ مصر، دعا الملك الرّيان إلى الإيمان، فآمن، ثمّ تُوفّي.

ثمّ ملك بعده مصر قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن فاران بن عمرو بن عملاق، فدعاه يوسف إلى الإيمان، فلم يؤمن[10]، وتوفّي يوسف في ملكه.

ثمّ إنّ الملك الريّان زوّج يوسفَ راعيل امرأة سيّده، فلمّا دخل بها قال: أليس هذا خيراً ممّا كنتِ تريدين؟ فقالت: أيّها الصدّيق لا تلُمْني فإنّي كنتُ امرأة حسناء جميلة في

---

(١) يوسف/٥١.
(٢) يوسف/٥٢.
(٣) يوسف/٥٣.
(٤) يوسف/٥٤.
(٥) العبارة في عرائس المجالس - ص ٩٩.
(٦) يوسف/٥٤.
(٧) يوسف/٥٥.
(٨) في الطبعة الأوربية وردت العبارة: «فاستعمله من ساعته، فسلّم خزائنه كلّها إليه بعد سنة». والخبر في عرائس المجالس - ص ١٠٠.
(٩) في تاريخ الطبري ١/٣٤٧ «إطفير»، وفي التوراة (٦٥) - الإصحاح ٣٩/١ «فوطيفار».
(١٠) الخبر في تاريخ الطبري ١/٣٣٦.

ملك ودنيا، وكان صاحبي لا يأتي النّساء، وكنتَ كما جعلك الله في حسنك فَغَلَبَتْني نفسي. ووجدها بِكراً، فولدت له ولدَيْن افرائيم ومنشا[1].

فلمّا وُلّي يوسف خزائنَ أرضه، ومضت السنون السبع المُخْصبات، وجُمع فيها الطعام في سُنْبله، ودخلت السّنون المُجْدبة، وقحط النّاس، وأصابهم الجوع، وأصاب بلادَ يعقوب التي هو بها، بعث بنيه إلى مصر، وأمسك بنيامين أخا يوسف لأمّه، فلمّا دخلوا على يوسف عرفهم وهم له مُنكِرون، وإنّما أنكروه لبُعْد عهدهم منه، ولتغيُّر لبسته، فإنّه لبس ثياب الملوك، فلمّا نظر إليهم قال: أخبروني ما شأنكم. قالوا: نحن من الشام جئنا نمتار الطعام. قال: كذبتم، أنتم عيون، فأخبروني خبركم. قالوا: نحن عشرة، أولاد رجلٍ واحد صدّيق، كنّا اثني عشر، وإنّه كان لنا أخ فخرج معنا إلى البرّيّة فهلك، وكان أحبّنا إلى أبينا. قال: فإلى من سكن أبوكم بعده؟ قالوا: إلى أخٍ لنا أصغر منه. قال: فأتوني به أنظر إليه **﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ، قَالُوا: سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾**[2]. قال: فاجعلوا بعضكم عندي رهينة حتى ترجعوا. فوضعوا شمعون[3]، أصابته القُرعة، وجهّزهم يوسف بجهازهم، وقال لفتيانه: اجعلوا بضاعتهم، يعني ثمن الطعام، في رِحالهم لعلّهم يرجعون، لما علم أنّ أمانتهم وديانتهم تحملهم على ردّ البضاعة فيرجعون إليه لأجلها[4].

وقيل: ردّ مالهم لإنّه خشي أن لا يكون عند أبيه ما يرجعون به مرّةً أخرى، فإذا رأوا معهم بضاعة عادوا.

وكان يوسف حين رأى ما بالنّاس من الجهد قد أسّى بينهم، وكان لا يحمّل للرجل إلّا بعيراً[5].

فلمّا رجعوا إلى أبيهم بأحمالهم قالوا: يا أبانا إنّ عزيز مصر قد أكرمنا كرامةً لو أنّه بعض أولاد يعقوب ما زاد على كرامته، وإنّه ارتهن شمعون وقال: ائتوني بأخيكم الذي عطف عليه أبوكم بعد أخيكم، **﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلا تَقْرَبُونِ﴾**[6].

---

(١) في التوراة ـ سفر التكوين ـ الإصحاح ٤١/٥١ (ص ٧٠) «مَنَسَّى»، والخبر في تاريخ الطبري ١/٣٤٧، وعرائس المجالس ـ ص ١٠١.
(٢) يوسف/٦٠ ـ ٦١.
(٣) الخبر إلى هنا في تاريخ الطبري ١/٣٤٨.
(٤) هذا الخبر في عرائس المجالس ١٠٢.
(٥) الخبر في تاريخ الطبري ١/٣٤٩.
(٦) يوسف/٦٠.

قال: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إلاّ كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ! وَلَمّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدّت إلَيْهِم، قَالُوا: يَا أَبَانَا مَا نَبْغي، هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدّتْ إلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾[1]، قال يعقوب: ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسيرٌ﴾[1]، فقال يعقوب: ﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتّى تُؤْتُونِي مَوْثِقاً مِنَ الله لَتَأْتُنّني بِهِ إلاّ أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ. فَلَمّا آتُوهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ: الله عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[2]. ثمّ أوصاهم أبوهم بعد أن أذِن لأخيهم في الرحيل معهم ﴿وَقَالَ: يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾[3]، خاف عليهم العين، وكانوا ذوي صورة حسنة، ففعلوا كما أمرهم أبوهم، ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوى إلَيْهِ أخَاهُ﴾[4] وعرفه، وأنزلهم منزلاً، وأجرى عليهم الوظائف، وقدّم لهم الطعام، وأجلس كلّ اثنين على مائدة، فبقي بنيامين وحده، فبكى وقال: لو كان أخي يوسف حيّاً لأجلسني معه! فقال يوسف: لقد بقي أخوكم هذا وحيداً، فأجلسه معه وقعد يؤآكله. فلمّا كان اللّيل، جاءهم بالفرش وقال: لِيَنَم كُلُّ أخَوَين منكم على فراش، وبقي بنيامين وحده، فقال: هذا ينام معي، فبات معه على فراشه، فبقي يشمّه ويضمّه إليه حتى أصبح، وذكر له بنيامين حزنه على يوسف، فقال له: أتحبّ أن أكون أخاكَ عِوض أخيك الذاهب؟ فقال بنيامين: ومن يجد أخاً مثلك! ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل. فبكى يوسف وقام إليه فعانقه وقال له: إنّي أنا أخوك يوسف، فلا تبتئس بما فعلوه بنا فيما مضى، فإنّ الله قد أحسن إلينا، ولا تُعلمهم بما علّمتك[5].

وقيل: لما دخلوا على يوسف نقر الصّواع وقال: إنّه يخبرني أنّكم كنتم اثني عشر رجلاً، وأنّكم بعتم أخاكم. فلمّا سمعه بنيامين سجد له وقال: سلْ صُواعك هذا عن أخي أحيٌّ هو؟ فنقره ثمّ قال: هو حيّ وستراه. قال: فاصنع بي ما شئتَ، فإنّه إنْ علِم بي فسوف يستقدّني[*]؛ قال: فدخل يوسف فبكى ثمّ توضّأ وخرج إليهم، قال: فلمّا حمّل يوسفُ إبلَ إخوته من الميرة جعل الإناء الذي يكيل به الطعام، وهو الصُواع، وكان من فضّه، في رَحْل أخيه.

---

(١) يوسف/٦٤ - ٦٥.

(٢) يوسف/٦٦.

(٣) يوسف/٦٧.

(٤) يوسف/٦٩.

(٥) الخبر في تاريخ الطبري ١/٣٥١، ٣٥٢، وعرائس المجالس - ص١٠٣ و١٠٤.

(*) في تاريخ الطبري ١/٣٥٥ «يستنقذني» وكذلك في عرائس المجالس ١٠٥.

وقيل: كان إناءً يشرب فيه. ولم يشعر أخوه بذلك[1].

وقيل: إنّ بنيامين لما علم أنّ يوسف أخوه قال: لا أفارقك. قال يوسف: أخاف غمّ أبوَيْنا، ولا يمكنني حبسُك إلاّ بعد أن أُشَهِّرك بأمرٍ فظيع. قال: افعل. قال: فإنّي أجعل الصُواعَ في رَحْلِك، ثمّ أنادي عليك بالسرقة لآخُذكَ منهم. قال: افعل[2]. فلمّا ارتحلوا ﴿أذّنَ مُؤذِّنٌ: أيّتُها العِيرُ إنّكُمْ لَسارِقُونَ﴾[3]. ﴿قالُوا: تاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ في الأَرْضِ وَما كُنّا سارِقِينَ﴾[4] لأنّنا رددنا ثمن الطعام إلى يوسف. فلمّا قالوا ذلك ﴿قالُوا: فَما جَزاؤُهُ إنْ كُنْتُمْ كاذِبِينَ؟ قالُوا: جَزاؤُهُ مَنْ وُجِدَ في رَحْلِهِ فَهُوَ جَزاؤُهُ﴾[5] تأخذونه لكم. فبدأ بأوعيتهم ففتّشها قبل وعاء أخيه، ثمّ استخرجها من وعاء أخيه. فقالوا: ﴿إنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾[6]، يعنونَ يوسفَ، وكانت سرقته حين سرق صنماً لجدّه أبي أمّه، فكسّره فعيّروه بذلك، وقيل ما تقدّم ذِكرُه من المنطقة[7].

فلمّا استُخرجت السرقة من رَحْل الغلام قال إخوته: يا بَني راحيل لا يزال لنا منكم بلاء! فقال بنيامين: بل بنو راحيل ما يزال لهم منكم بلاء! وضع هذا الصُواعَ في رَحْلي الذي وضع الدراهمَ في رِحالكم[8].

فأخذ يوسف أخاه بحكم إخوته، فلمّا رأوا أنّهم لا سبيل لهم عليه، سألوه أن يتركه لهم و﴿قالُوا: يا أيّها العَزِيزُ إنّ لَهُ أباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنا مَكانَهُ﴾[9]. فقال: ﴿مَعاذَ اللهِ أنْ نَأْخُذَ إلاّ مَنْ وَجَدْنا مَتاعَنا عِنْدَهُ﴾[10]. فلمّا أيسوا من خلاصه خَلصوا نجيّاً لا يختلط بهم غيرُهم، فقال كبيرهم[11]، وهو شمعون[12]: ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أنّ أَباكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِن

---

(1) الطبري ١/٣٥٢ و ٣٥٥.
(2) عرائس المجالس ١٠٤.
(3) يوسف/٧٠.
(4) يوسف/٧٣.
(5) يوسف/٧٤ـ ٧٥.
(6) يوسف/٧٧.
(7) الطبري ١/٣٥٤.
(8) الطبري ١/٣٥٥.
(9) يوسف/٧٨.
(10) يوسف/٧٩.
(11) في عرائس المجالس ١٠٥ «كبيرهم يعني في العقل».
(12) في الطبري ١/٣٥٦ «فقال كبيرهم وهو روبيل، وقد قيل إنّه شمعون». وقال قتادة والسُدّي: كبيرهم في السّنّ وهو روبيل. (عرائس المجالس ـ ص ١٠٥).

الله﴾[1] أن نأتيه بأخينا إلاّ أن يحاط بنا، ومن قبل هذه المـرّة **﴿مَا فَـرَّطْتُمْ في يُوسُفَ، فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لي أَبِي﴾**[1] بالخروج، وقيل: بالحرب، فارجعوا إلى أبيكم فقصّوا عليه خبركم.

فلمّا رجعوا إلى أبيهم فأخبروه بخبر بنيامين وتخلُّف شمعون[2] **﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً، فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى الله أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً﴾**[3] بيوسف وأخيـه وشمعون[4]، ثمّ أعرض عنهم وقال: واحزناه على يوسف! **﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُـزْنِ فَهُوَ كَـظِيمٌ﴾**[5] مملوء من الحزن والغيظ، فقال له بنوه: **﴿تَالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُـوسُفَ حَتّى تَكُونَ حَـرَضاً﴾** ـ أي دنفاً ـ **﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ﴾**[6]. فأجابهم يعقوب فقال: **﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وحُزْنِي إلى الله وَأَعْلَمُ مِنَ الله مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾**[6] من صدقِ رؤيا يوسف.

وقيـل: بلغ من وجْد يعقـوب وجد سبعين مُبتلىً[7]، وأُعـطي على ذلـك أجـر مـائـة شهيد[8].

قيل: دخل على يعقوب جارٌ له فقال: يا يعقوب قـد انهشمتَ وفنيتَ، ولم تبلغ من السنّ ما بلغ أبوك! فقال: هشمني وأفناني مـا ابتلاني الله بـه من همّ يوسف. فـأوحى الله إليه: أتشكوني إلى خَلْقي؟ قال: يا ربِّ خطيئة فـاغفرهـا. قال: قـد غفرتُهـا لك. فكـان يعقوبِ إذا سئل بعد ذلك قال: **﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثّي وحُزْني إلى الله﴾**[9]، فأوحى الله إليه: لـو كانا ميتَن لأحييتهما لك، إنّما ابتليتُك لأنّك قد شَوَيتَ وقَتَرتَ على جارك ولم تطعمه[10].

وقيل: كان سبب ابتلائه أنّه كان له بقرة لها عُجول، فذبح عُجـولها بين يـديها وهي تخور، فلم يرحمها يعقوب، فابتُلي بفقد أعزّ ولده عنده.

وقيل: ذبح شاةً، فقام ببابه مسكين، فلم يـطعمه منهـا، فأوحى الله إليـه في ذلك،

---

(١) يوسف/٨٠.
(٢) في النسخة (ب) على الهامش: «وقيل روبيل». وفي تاريخ الطبري ٣٥٧/١ «تخلّف روبيل».
(٣) يوسف/٨٣.
(٤) في النسخة (ر): «وشمعون وقيل روبيل». وفى تاريخ الطبري «وأخيه وروبيل».
(٥) يوسف/٨٤.
(٦) يوسف/٨٥ ـ ٨٦.
(٧) في النسخة (ت): «مثلاً»، وفي النسخة (ر): «مثكلا» وهما تحريف. وفي مرآة الزمان ٣٦٩/١ «ثكلى».
(٨) مرآة الزمان ٣٦٩/١.
(٩) يوسف/٨٦.
(١٠) الخبر في مرآة الزمان ٣٦٨/١ وعرائس المجالس ١٠٦.

وأعلمه أنّه سبب ابتلائه، فصنع طعاماً ونادى: من كان صائماً فليفْطِر عند يعقوب[1].

ثمّ إنّ يعقوب أمر بنيه الذين قدِموا عليه من مصر بالرجوع إليها، وتجسُّس[2] الأخبار عن يوسف وأخيه، فرجعوا إلى مصر، فدخلوا على يوسف وقالوا: **﴿يَا أَيُّهَا العَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ** ـ يعني قليلة ـ **فَأَوْفِ لَنَا الكَيْلَ﴾**[3].

قيل: كانت بضاعتهم دراهم زُيوفاً. وقيل: كانت سمناً وصوفاً. وقيل غير ذلك. **﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾**[3] بفضل[4] ما بين الجيّد والرّديء، وقيل: بردّ أخينا علينا[5]. فلما سمع كلامَهم غلبته نفسُه، فارفضّ دمعُه باكياً، ثمّ باح لهم بالذي كان يكتم.

وقيل: إنّما أظهر لهم ذلك لأنّ أباه كتب إليه، حين قيل له إنّه أَخذ ابنه لأنّه سرق، كتاباً:

من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله، إلى عزيز مصر المظهر العدل.

«أمّا بعد فإنّا أهل بيت موكَّل بنا البلاء، أمّا جدّي فشُدّت يداه ورِجلاه وأُلقي في النّار. فجعلها الله عليه بَرْداً وسلاماً، وأمّا أبي فشُدّت يداه ورِجلاه ووضع السكّين على حلقه ليُذبح، ففداه الله، وأمّا أنا فكان لي ابن، وكان أحبّ أولادي إليّ، فذهب به إخوته إلى البرّيّة، فعادوا ومعهم قميصه ملطّخاً بدم وقالوا: أكله الذئب، وكان لي ابن آخر أخوه لأمّه فكنتُ أتسلّى به، فذهبوا به، ثمّ رجعوا وقالوا: إنّه سرق وإنّك حبستَه، وإنّا أهل بيت لا نسرق ولا نلدُ سارقاً، فإن رَدَدْتَهُ عليّ وإلاّ دعوتُ عليك دعوة تدرك السابع من ولدك»[6].

فلمّا قرأ الكتاب لم يتمالك أن بكى وأظهر لهم فقال: **﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ؟ قَالُوا: أإنّكَ لأَنْتَ يُوسُفَ! قَالَ: أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أخي، قَدْ مَنّ الله عَلَيْنَا﴾**[7] بأن جمع بيننا، فاعتذروا و **﴿قَالُوا: تَالله لَقَدْ آثَرَكَ الله عَلَيْنَا وَإنْ كُنّا**

---

(١) مرآة الزمان ١/٣٦٨ وفيه «عند آل يعقوب». وكذلك في عرائس المجالس.
(٢) في تاريخ الطبري ١/٣٥٨ «تحسس» بالحاء المهملة.
(٣) يوسف/٨٨.
(٤) في النسخة (ب): «يفضّل».
(٥) الطبري ١/٣٥٨ و٣٥٩، مرآة الزمان ١/٣٦٩.
(٦) النص في مرآة الزمان ١/٣٧٠ وعرائس المجالس ١٠٨.
(٧) يوسف ٨٩ ـ ٩٠.

لَخَاطِئِينَ. قَالَ: لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ﴾[1]، أي لا أذكر لكم ذنبكم، ﴿يَغْفِرُ الله لَكُمْ﴾[1]، ثمّ سألهم عن أبيه، فقالوا: لما فاته بنيامين عُمي من الحزن، فقال: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَـذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أبي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2]. فقال يهودا[3]: أنا أذهبُ به لأنّي ذهبتُ إليه بالقميص ملطّخاً بالدم وأخبرتُهُ أنّ يوسف أكله الذئب. فأنا أُخبره أنّه حيّ فأُفرحه كما أحزنته. وكان هو البشير[4].

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ العِيرِ﴾[5] عن مصر، حملت الريح إلى يعقوب ريحَ يوسف، وبينهما ثمانون فرسخاً، يوسف بمصر، ويعقوب بأرض كنعان. فقال يعقوب: ﴿إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾؟[6] فقال له مَنْ حضره من أولاده: ﴿تَاللهِ إِنَّكَ﴾[7] من ذكر يوسف ﴿لَفِي ضَلالِكَ القَدِيمِ، فَلَمَّا أَنْ جَاءَ البَشِيرُ﴾[7] بقميص يوسف ﴿أَلْقَاهُ﴾[7] على وجه يعقوب فعاد بصيراً و﴿قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ الله مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[7]، يعني تصديق الله تأويل رؤيا يوسف؛ وَ﴿لَمَّا أَنْ جَاءَ البَشِيرُ﴾[7] قال له يعقوب: كيف تركت يوسف؟ قال: إنّه ملك مصر. قال: ما أصنع بالملك! على أيّ دين تركته؟ قال: على الإسلام. قال: الآن تمّت النّعمة[8]. فلمّا رأى مَنْ عنده من أولاده قميص يوسف وخبره قالوا له: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ ﴿قَالَ: سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ﴾[9] آخر الدّعاء إلى السَّحَر من ليلة الجمعة[10].

ثمّ ارتحل يعقوب وولده، فلمّا دنا من مصر خرج يوسف يتلقّاه ومعه أهل مصر، وكانوا يعظّمونه، فلمّا دنا أحدهما من صاحبه نظر يعقوب إلى الناس والخيل، وكان يعقوب يمشي ويتوكّأ على ابنه يهودا[11]، فقال له: يا بُنيّ هذا فرعون مصر. قال: لا، هذا ابنك يوسف. فلمّا قرب منه أراد يوسف أن يبدأه بالسّلام، فمُنع من ذلك، فقال يعقوب:

---

(١) يوسف ٩١ ـ ٩٢.
(٢) يوسف/٩٣.
(٣) في تاريخ الطبري ١/٣٦٠ ومرآة الزمان ١/٣٧٢ «يهوذا» بالذال المعجمة.
(٤) الطبري ١/٣٦١، مرآة الزمان ١/٣٧٢، عرائس المجالس ـ ص ١٠٩.
(٥) يوسف/٩٤.
(٦) يوسف/٩٤.
(٧) يوسف/٩٥ ـ ٩٦.
(٨) هنا ينتهي الخبر في مرآة الزمان ١/٣٧٢ وعرائس المجالس ١٠٩.
(٩) يوسف/٩٧ ـ ٩٨.
(١٠) الطبري ١/٣٦١.
(١١) في الطبري ومرآة الزمان وعرائس المجالس «يهوذا».

السلام عليك يا مُذهِب الأحزان[1]، لأنّه لم يفارقه الحزن والبكاء مدّة غيبة يوسف عنه.

قال: فلمّا دخلوا مصر رفع أبَويْه، يعني أمّه وأباه، وقيل: كانت خالته، وكانت أمّه قد ماتت، وخرّ له يعقوب وأمّه وإخوته سُجّداً، وكان السجود تحيّة النّاس للملوك، ولم يُرد بالسجود وضع الجبهة على الأرض، فإنّ ذلك لا يجوز إلّا لله تعالى، وإنّما أراد الخضوع والتواضع والانحناء عند السلام، كما يُفعل الآن بالملوك. والعرش: السرير. وقال: ﴿**يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً**﴾[2].

وكان بين رؤيا يوسف ومجيء يعقوب أربعون سنة، وقيل: ثمانون سنة[3]، فإنّه أُلقي في الجبّ وهو ابن سبع عشرة سنة، ولقيه وهو ابن سبعٍ وتسعين سنة، وعاش بعد جمع شمله ثلاثاً وعشرين سنة، وتوفّي وله مائة وعشرون سنة، وأوصى إلى أخيه يهودا[4].

وقيل: كانت غيبة يوسف عن يعقوب ثماني عشرة سنة[5].

وقيل: إنّ يوسف دخل مصر وله سبع عشرة سنة، واستوزره فرعون بعد ثلاث عشرة سنة من قدومه إلى مصر، وكانت مدّة غيبته عن يعقوب اثنتين وعشرين سنة، وكان مُقام يعقوب بمصر وأهله معه سبع عشرة سنة[6]. وقيل غير ذلك، والله أعلم.

ولما مات يعقوب أوصى إلى يوسف أن يدفنه مع أبيه إسحاق، ففعل يوسف، فسار به إلى الشام فدفنه عند أبيه، ثم عاد إلى مصر. وأوصى يوسف أن يُحمل من مصر ويُدفن عند آبائه، فحمله موسى لما خرج ببني إسرائيل[7].

وولد يوسفُ افرائيمَ ومنشى[8]، فولد لافرائيم نون، ولنون يوشع فتى موسى، ووُلد لمنشى موسى، قبل[9] موسى بن عمران.

وزعم أهل التوراة أنّه موسى الخِضر[10]. ووُلد له رحمة امرأة أيّوب في قول[11].

---

(١) عرائس المجالس ١١٠ ومرآة الزمان ١/٣٧٢ والطبري ١/٣٦٢.

(٢) يوسف ١٠٠.

(٣) الطبري ١/٣٦٣ وانظر مرآة الزمان ١/٣٧٥ حيث يورد أقوالاً عدّة.

(٤) الطبري ١/٣٦٣.

(٥) راجع عدّة تواريخ حول غيبة يوسف عن أبيه في مرآة الزمان ١/٣٧٥.

(٦) الطبري ١/٣٦٣، ٣٦٤.

(٧) الطبري ١/٣٦٤، مرآة الزمان ١/٣٧٥، البدء والتاريخ ٣/٧٠، مروج الذهب ١/٤٧ و ٤٨.

(٨) في المعارف لابن قتيبة «ميشا»، وفي مروج الذهب ١/٤٨ «ميشاء»، وهو في التوراة «مَنَسّى» بالسين المهملة، كما مرّ قبل الآن.

(٩) في طبعة صادر ١/١٥٦ «قيل»، والتصويب من الطبري ١/٣٦٤ والمعارف ٤١.

(١٠) في تاريخ الطبري والمعارف انه «الذي طلب الخضر».

(١١) مرآة الزمان ١/٣٧٦.

قصة شعيب عليه السلام[1]

قيل: إنّ اسم شعيب يثرون[2] بن صيفون[3] بن عنقا[4] بن ثابت[5] بن مَدْيَن بن إبراهيم.

وقيل: هو شعيب بن ميكيل من ولد مَدْيَن.

وقيل: لم يكن شعيب من ولد إبراهيم، وإنّما هو من ولد بعض من آمن بإبراهيم[6]، وهاجر معه إلى الشام، ولكنّه ابن بنت لوط، فجدّة شعيب ابنة لوط[7].

وكان ضرير البصر، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً﴾[8]؛ أي ضرير البصر[9].

---

(١) المعارف لابن قتيبة ٤١، البدء والتاريخ للمقدسي ٣/٧٥، تاريخ الطبري ١/٣٢٥، تفسير الطبري ١٢/٥٥٤ و٥٦١ ـ ٥٧٢ و١٥/٤٤٣ ـ ٤٦٥، زاد المسير ٣/٢٢٨ ـ ٢٣٣ و٤/١٤٨ ـ ١٥٤ و٦/١٤١ ـ ١٤٥، الكسائي ١٩٠، مروج الذهب ١/٤٩، عرائس المجالس ١٣٠، نهاية الأرب للنويري ١٣/١٦٧، تهذيب تاريخ دمشق ٦/٣١٩، البداية والنهاية ١/١٨٣، تفسير ابن كثير ١/١٦٢ ـ ١٧٨ و٣/٢٠٣ ـ ٢٢٨ و٤/٤١٠ ـ ٤١٧ و٤/٤٩٧ ـ ٥٣٦ و٥/١٧٧ ـ ١٧٨ و٢٦٣ ـ ٢٩٧، مرآة الزمان ١/٣٨٥.

(٢) المثبت في متن الطبري ١/٣٢٥ «يزون». وقال الشرقي بن قطامي: اسم شعيب القديم: يثرون بالعبرية. وشعيب بالعربية. (مرآة الزمان ١/٣٨٥) وقال ابن قُتيبة: إنما قيل له شعيب، لأنه كان يدعو: اللهم بارك لي في شعبي، ويقال: شعيب. خطيب الأنبياء. (المعارف ٤١).

(٣) في النُسخ: (ت) و(ر) والطبعة الأوربية، وطبعة صادر «ضيعون» والمثبت عن النسخة (ب)، وتاريخ الطبري، وعرائس المجالس، وتهذيب تاريخ دمشق.

(٤) وفي نسخة أخرى «عيفا»، كما في الطبري، ومرآة الزمان، وعرائس المجالس، وتهذيب تاريخ دمشق. والمثبت يتفق مع البدء والتاريخ.

(٥) كذا في الأصول، وفي تاريخ الطبري وعرائس المجالس وتهذيب تاريخ دمشق «نابت».

(٦) أنظر حول اسمه: عرائس المجالس، وتهذيب تاريخ دمشق، والبدء والتاريخ، ومرآة الزمان، ومروج الذهب، وغيره.

(٧) الطبري ٣٢٥.

(٨) هود/٨٤.

(٩) الطبري ١/٣٢٥، عرائس المجالس ١٣٠.

وكان النبيّ، ﷺ إذا ذكره قال: «ذاك خطيب الأنبياء». بحُسن مراجعته قومَه؛ وإنّ الله أرسله إلى أهل مَدْين، وهم أصحاب الأيكة.

والأيكة: شجر مُلْتَفّ. وكانوا أهل كُفْرٍ بالله، وبخس للنّاس[1] في المكاييل والموازين وإفساد أموالهم، وكان الله وسّع عليهم في الرزق، وبَسَط لهم في العيش استدراجاً لهم منه مع كُفرهم بالله، فقال لهم شعيب: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا المِكْيَالَ وَالمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾[2].

فلمّا طال تماديهم في غيّهم وضلالهم، ولم يزدهم تذكيرُ شعيب إيّاهم وتحذيره عذابَ الله إيّاهم إلّا تمادياً، ولما أراد إهلاكهم سلّط عليهم عذاب يوم الظُّلّة، وهو ما ذكره ابن عبّاس في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[3]. فقال: بعث الله عليهم وَقَدَة[4] وحرّاً شديداً فأخذ بأنفسهم، فخرجوا من البيوت هراباً إلى البرّية، فبعث الله عليهم سحابةً فأظلّتهم من الشّمس، فوجدوا لها بَرْداً ولذّة، فنادى بعضهم بعضاً حتى اجتمعوا تحتها، فأرسل الله عليهم ناراً.

قال عبد الله بن عبّاس: فذلك ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾[5].

وقال قَتَادة: بعث الله شعيباً إلى أمّتَيْن: إلى قومه أهل مَدْيَن، وإلى أصحاب الأيكة، وكانت الأيكة من شجر مُلْتَفّ، فلمّا أراد الله أن يعذّبهم بعث عليهم حرّاً شديداً، ورفع لهم العذابَ كأنّه سحابة، فلمّا دنت منهم خرجوا إليها رجاء بَرْدها، فلمّا كانوا تحتها أمطرت عليهم ناراً، قال: فذلك قوله: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾[5].

وأمّا أهل مَدْين فمنهم من ولد مدين بن إبراهيم الخليل، فعذّبهم الله بالرجفة، وهي الزلزلة، فأُهلكوا.

قال بعض العلماء: كان قوم شُعَيْب عطّلوا حدّاً، فوسّع الله عليهم في الرزق، ثمّ عطّلوا حدّاً فوسّع الله عليهم في الرزق، فجعلوا كلّما عطّلوا حدّاً وسّع الله عليهم في الرزق، حتى إذا أراد هلاكَهم سلّط عليهم حرّاً لا يستطيعون أن يتقارّوا، ولا ينفعهم ظلّ ولا ماء، حتى ذهب ذاهبٌ منهم فاستظلّ تحت ظُلّة، فوجد رَوْحاً، فنادى أصحابَه: هلمُّوا

---

(١) في النسخة (ر): «الناس»، والمثبت يتّفق مع عرائس المجالس ١٣٠.

(٢) هود/٨٤.

(٣) الشعراء/١٨٩.

(٤) في تاريخ الطبري ١/٣٢٧ «وَبَدَة» وهما بمعنىً واحد.

(٥) الشعراء/١٨٩ والخبر في: تاريخ الطبري ١/٣٢٧، ٣٢٨، وتهذيب تاريخ دمشق ١/٣٢١.

إلى الـرَّوْح، فذهبـوا إليه سـراعاً، حتى إذا اجتمعـوا إليها ألهبهـا الله عليهم ناراً، فـذلك عذاب يومِ الظُّلَّةِ[1].

وقـد روى عامـر، عن ابن عبّاس أنّـه قال لـه: مَنْ حدّثـك، ما عـذاب يومِ الـظُّلَّةِ فكذّبه[2].

وقال مجاهد: عذاب يوم الظُّلَّةِ هو إظلال العذاب على قوم شعيب[3].

وقال زيد بن أسلم في قوله تعـالى: ﴿يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ[4] تَـأْمُرُكَ أَنْ نَتْـرُكَ مَا يَعْبُـدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾[5]؛ قال: ممّا كان ينهاهم عنه قطع الدراهم[6].

---

(١) الطبري ١/٣٢٨.
(٢) الطبري ١/٣٢٩.
(٣) الطبري ١/٣٢٨.
(٤) في طبعة صادر ١/١٥٩ «أَصَلَوَاتُكَ»، وهو غلط.
(٥) هود/٨٧.
(٦) الطبري ١/٣٢٩.

قصة الخضر وخبره مع موسى[1]

قال أهل الكتاب: إنّ موسى صاحب الخضر هو موسى بن منشّى[2] بن يوسف بن يعقوب، والحديث الصحيح عن النبيّ، ﷺ، أنّ موسى صاحب الخضر هو موسى بن عمران على ما نذكره.

وكان الخضر ممّن كان في أيّام أفريدون الملك ابن اثغيان[3] في قول علماء [أهل] الكُتُب الأُوَل قبل موسى بن عمران.

وقيل: إنّه كان على مقدّمة ذي القَرنين الأكبر الذي كان في أيّام إبراهيم الخليل، وإنّه بلغ مع ذي القَرنَين نهر الحياة، فشرب من مائه، ولا يعلم ذو القَرنين ومن معه، فخلّد وهو حيّ عندهم إلى الآن.

وزعم بعضهم: أنّه كان من ولد مَنْ آمن مع إبراهيم وهاجر معه، واسمه بَلْيا[4] بن ملكان بن فالغ بن عابر[5] بن شالَخ[6] بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وكان أبوه ملكاً عظيماً[7].

وقال آخرون: ذو القرنين الذي كان على عهد إبراهيم أفريدون بن اثغيان[8]، وعلى

(١) تاريخ الطبري ١/٣٦٥، المعارف لابن قتيبة ٤٢، عرائس المجالس للثعلبي ١٧١، ١٧٢، البدء والتاريخ للمقدسي ٣/٧٧ - ٨١، تهذيب تاريخ دمشق ٥/١٤٤ - ١٦٤، مرآة الزمان ١/٤٣٤ - ٤٤٠، الكسائي ٢٣٠، نهاية الأرب للنويري ١٣/٢٤٠ - ٢٤٤، البداية والنهاية لابن كثير ١/٢٩٥ - ٢٩٩.

(٢) في عرائس المجالس ١٧١ «ميشا».

(٣) في النسخة (ر): «أثقيان»، وفي تاريخ الطبري ١/٣٦٥ «أثفيان» بالفاء.

(٤) في النسخة (ب) «لمسا»، وفي (ت): «يَلْيا»، وكذا في الطبعتين الأوربية وصادر، وما أثبتناه يتّفق مع الطبري ١/٣٦٥، والمعارف ٤٢، ونهاية الأرب ١٣/٢٤٣ وفيه أن الاسم ورد في تاريخ العيني مضبوطاً بالعبارة، وابن عساكر.

(٥) وفي طبعة صادر ١/١٦٠ «غابر» بالغين المعجمة، والتصحيح من الطبري، ونهاية الأرب، والمعارف.

(٦) في المعارف، ونهاية الأرب «شالح» بالحاء المهملة.

(٧) المعارف ٤٢، البدء والتاريخ ٣/٧٧.

(٨) في تاريخ الطبري ١/٣٦٥ «أثفيان» بالفاء.

مقدّمته كان الخضر[1].

قال عبد الله بن شَوْذَب: الخضر من ولد فارس، والياس من بني إسرائيل، يلتقيان كلّ عام بالموسم [2].

وقال ابن إسحاق: استخلف الله على بني إسرائيل رجلاً منهم يقال له ناشية بن أموص، فبعث الله لهم الخضر معه نبيّاً. قال: واسم الخضر فيما يقول بنو إسرائيل إرميا بن حلقيا[3]، وكان من سِبط هارون بن عمران، وبين هذا الملك وبين أفريدون أكثر من ألف عام.

وقول مَنْ قال: إنّ الخضر كان في أيّام أفريدون وذي القرنين الأكبر قبل موسى بن عمران أشبه للحديث الصحيح أنّ موسى بن عمران أمره الله بطلب الخضر، ورسول الله، ﷺ، كان أعلم الخلق بالكائن من الأمور، فيحتمل أن يكون الخضر على مقدّمه ذي القرنين قبل موسى، وأنّه شرب من ماء الحياة فطال عمره، ولم يُرْسَل في أيّام إبراهيم، وبُعث في أيّام ناشية بن أموص، وكان ناشية هذا في أيّام بشتاسب بن لهراسب، والحديث ما رواه أُبيّ بن كعب، عن النّبيّ، ﷺ[4]:

قال سعيد بن جُبَير: قلتُ لابن عبّاس: إنّ نَوْفاً[5] يزعم أنّ الخضر ليس بصاحب موسى بن عمران. قال: كذب عدوّ الله، حدّثني أُبيّ بن كعب، عن النبيّ، ﷺ، قال: «إنّ موسى قام في بني إسرائيل خطيباً فقيل له: أيّ النّاس أعلم؟ فقال: أنا، فعتِب الله عليه حين لم يردّ العلم إليه، فقال: يا ربّ هل هناك أعلم منّي؟ قال: بلى، عبد لي بمجمع البحرَين. قال: يا ربّ كيف لي به؟ قال: تأخذ حوتاً فتجعله في مكتل فحيث تفقده فهو هناك. فأخذ حوتاً فجعله في مِكْتَلٍ، ثمّ قال لفتاه: إذا فقدتَ هذا الحوت فأخبِرْني. فانطلقا يمشيان على ساحل البحر حتى أتيا الصخرةَ وذلك الماء، وهو ماء الحياة، فمن شرب منه خُلِّدَ ولا يقاربه شيء ميّت إلّا حيِيَ، فمسّ الحوت منه فحيِيَ، وكان موسى راقداً، واضطرب الحوت في المِكْتَل فخرج في البحر، فأمسك الله عنه جرية الماء[6] فصار مثل الطاق، فصار للحوت سَرَباً، وكان لهما عجباً، ثمّ انطلقا، فلمّا كان

---

(1) الطبري ١/٣٦٥.

(2) الطبري ١/٣٦٥.

(3) في الطبري ١/٣٦٦ «أورميا بن خلقيا».

(4) الطبري ١/٣٦٦.

(5) في النسخة (ب): «لوقا»، وهو تحريف، والتصويب من النسخ والطبري وكتب الحديث، وهو نَوْف البِكاليّ.

(6) في النسخة (ر): «جريه في الماء».

حين الغداء قال موسى لفتاه: ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هٰذَا نَصَباً﴾[1].

قال: ولم يجد موسى النَّصَب حتّى تجاوز حيث أمره الله، فقال: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إلى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، واتَّخَذَ سَبِيلَهُ في البَحْرِ عَجَباً؛ قَالَ ذٰلِكَ مَا كُنّا نَبْغِ، فَارْتَدّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً﴾[2]. قال: يقصّان آثارهما حتى أتيا الصخرة، فإذا رجل نائم مسجّى بثوبه، فسلّم موسى عليه، فقال: وأنّى بأرضنا السلام! قال: أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم. قال: يا موسى إنّي على علم من علم الله علّمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله لا[3] أعلمه. قال: فإنّي أتّبعك على أن تعلّمني مِمَّا عُلِّمتَ رُشداً. ﴿قَالَ: فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً﴾[4]. فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، ثمّ ركبا سفينة[5]، فجاء عصفور فقعد[6] على حرف السفينة فنقر في الماء، فقال الخضر لموسى: ما ينقص علمي وعلمك من علم الله إلاّ مقدار ما نقر هذا العصفور من البحر.

قال: فبينا هم في السفينة لم يُفجأ موسى إلاّ وهو يوتِد وتداً، أو ينزع تختاً منها، فقال له موسى: حملنا بغير نَوْل[7] فتخرقها ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً؛ قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً؟ قَالَ: لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾[8]. قال: وكانت الأولى من موسى نسياناً.

قال: فخرجا فانطلقا يمشيان، فأبصرا غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ برأسه فقتله، فقال له موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ! لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً؛ قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً؟ قَالَ: إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي، قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً. فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾[9] فلم

---

(١) الكهف/٦٣.

(٢) الكهف/٦٣ ـ ٦٤.

(٣) في النسخة (ر): «الله أعلمكه لا».

(٤) الكهف/٧٠.

(٥) في النُسخ: (ب) و(ت) و(ر): «الساحل فعرف الخضر فحمل بغير نول» وفي تاريخ الطبري ١/٣٦٧، ٣٦٨: «على الساحل، فإذا بملاّح في سفينة، فعرف الخضر، فحمله بغير نَوْل». والمثبت يتّفق مع طبعتي أوربا وصادر ١/١٦٢.

(٦) في الطبري ١/٣٦٨ «فوقع».

(٧) بغير نَوْل: بغير أجرة.

(٨) الكهف/٧١ ـ ٧٢ ـ ٧٣ وفي النسخة (ر): «ولا ترهقني من أمري عسراً».

(٩) الكهف/٧٤ ـ ٧٧.

يجدا أحداً يطعمهما ولا يسقيهما، ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾[1]، فقال له موسى: لم يضيّفونا[2] ولم يُنزلونا، ﴿لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً؛ قَالَ: هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ، سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً؛ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي البَحْرِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا، وَكَانَ وَرَاءهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً ـ وفي قراءة أُبيّ: سفينة صالحة ـ وَأَمَّا الغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً؛ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً؛ وَأَمَّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي المَدِينَةِ، وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا، وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً﴾[3] إلى ﴿مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾[3].

فكان ابن عبّاس يقول؛ ما كان الكنز إلاّ علماً.

قيل لابن عبّاس: لم نسمع لفتى موسى بذِكْر؛ فقال: شرب الفتى من الماء فخلّد، فأخذه العالِم فطابق به سفينته، ثمّ أرسلها في البحر، فإنّها لتموّج به إلى يوم القيامة[4].

الحديث يدلّ على أنّ الخضر كان قبل موسى وفي أيّامه، ويدلّ على خطإ مَنْ قال إنّه إرمياً، لأنّ إرمياً كان أيّام بخت نصّر، وبين أيّام موسى وبخت نصّر من المدّة ما لا يُشْكَل على عالم بأيّام النّاس، فإنّ موسى إنّما نُبِّيءَ في أيّام منوجهر، وكان ملكه بعد[5] جدّه أفريدون.

---

(١) الكهف/ ٧٧.

(٢) في النسخة (ب) «يطعمونا».

(٣) الكهف/٧٧ ـ ٨٢.

والحديث صحيح، أخرجه البخاري في كتاب العلم ١/ ٣٨ باب ما يستحبّ للعالم إذا سُئل أيُّ الناس أعلم، فيكِلُ العِلمَ إلى الله، وفي كتاب التفسير ٥/ ٢٣٠ باب وإذا قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حُقُباً، (سورة الكهف). ومسلم في كتاب الفضائل ٤/ ١٨٤٧ باب من فضائل الخضر عليه السلام (٢٣٨٠) ١٧٠ ـ ١٧٤، والترمذي في تفسير القرآن ٤/ ٣٧١ باب سورة الكهف (٥١٥٧). والإمام أحمد في المسند ٥/ ١١٧ و١١٨ ولفظ الحديث يختلف في بعض كلماته هنا عن لفظه في كتب الصحاح.

(٤) الطبري ١/ ٣٧٥.

(٥) في الأصول «بعده»، والتصويب من الطبري ١/ ٣٧٦.

ذكر الخبر عن مِنوجِهر والحوادث في أيامه[1]

ثمّ ملك بعد أفريدون بن اثغيان[2] بن كاو[3] مِنوجِهْر[4]، وِهو[5] من ولد إيرَجِ بن أفريدون، وكان مولده بدُنباوند[6]، وقيل بالريّ، فلمّا وُلد منوجهر أخفى أمره خوفاً من طوج وسَلْم عليه، ولما كبر مِنوجِهر سار إلى جدّه أفريدون، فتوسّم فيه الخير، وجعل له ما كان جعله لجدّه إيرَج من المملكة، وتَوّجَهُ بتاجه[7].

وقد زعم بعضهم أنّ منوجهر بن شجر[8] بن افريقش[9] بن إسحاق بن إبراهيم انتقل إليه المُلْك، واستشهد بقول جرير بن عطية[10]:

---

(١) تاريخ الطبري ١/٣٧٧ - ٣٨٤، البدء والتاريخ ٣/١٤٦، أخبار الزمان للمسعودي ١٠١، مروج الذهب ١/٢٢٥، تاريخ اليعقوبي ١/١٥٨، تاريخ سِنيّ ملوك الأرض والأنبياء لحمزة بن حسن الأصبهاني ١٧، نهاية الأرب للنويري ١٥/١٤٨، معجم البلدان ٢/٤٧٥، ٤٧٦.

(٢) في تاريخ الطبري ١/٣٧٧ «أثفيان» بالفاء. وفي مروج الذهب ١/٢٢٥ «أثقبان» بالباء المفردة، وفي معجم البلدان ٢/٤٧٥ مثل الطبري.

(٣) في تاريخ الطبري «بركاو».

(٤) في تاريخ الطبري، وأخبار الزمان للمسعودي ١٠١ «منوشهر» بالشين، وكذا في نسخة لمروج الذهب ١/٢٢٥ (أنظر الحاشية ٤) وقيل «منواشجهر» (نهاية الأرب ١٥/١٤٨).
والأصل «منوچهر». ومعنى «منو»: الشمس، و«چهر»: الوجه. وعند المسعودي: الشهر: الملك. (مروج الذهب ١/٢٢٥).

(٥) زاد المقدسي في البدء والتاريخ ٣/١٤٦ «بن منشخور» بعد «منوجهر».

(٦) دُنْباوند: جبل من نواحي الريّ. (معجم البلدان ٢/٤٧٥).

(٧) الطبري ١/٣٧٨.

(٨) هكذا في النسخة (ت) والطبعتين الأوربية وصادر ١/١٦٤ وفي النسخة (ب) و(ر): «منسحر»، وفي الطبري ١/٣٧٨ «منشخرنر».

(٩) في تاريخ الطبري «أفريقيس» بالسين المهملة.

(١٠) هو الشاعر المشهور صاحب الديوان، أبو حَزْرة، الذي يهجو الفرزدق. توفي سنة ١١٠ أو ١١١ هـ. أنظر عنه في: طبقات ابن سلام ٣١٥، الشعر والشعراء ١/٣٧٤، الأغاني ٨/٣، الموشح ١١٨، العيني ١/٩١، شرح شواهد المغني ١٦، وفيات الأعيان ١/٣٢١ رقم ١٣٠، معاهد التنصيص ٢/٢٦٢، الوافي بالوفيات ١١/٧٩ رقم ١٣٢، تاريخ الإسلام ٤/٩٥، مرآة الجنان ١/٢٣٤، النجوم الزاهرة ١/٢١١، شذرات الذهب ١/١٤٠، خزانة الأدب للبغدادي ١/٧٥، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١/٢١٥، =

وأبناءُ إسحاقَ اللّيُوثُ إذا ارتَدَوا حمائلَ مَوْتٍ لابسِينَ السَّنَوَّرَا[1]
إذا انتَسبوا عدّوا الصَّبَهْبَذَ[2] منهمُ وكسرَى وعدّوا الهُرْمُزانَ وقيصرَا
وكانَ كِتابٌ فيهِمُ ونُبُوّةٌ وكانُوا بإصطَخرَ المُلوكَ وتُستَرَا[3]
فَيَجمَعُنا والغُرَّ[4] أبناءُ فارِسٍ أبٌ لا نُبالي[5] بعدَهُ مَنْ تأخّرَا
أبُونا خَليلُ الله، والله رَبُّنَا رَضِينا بما أعطَى الإلٰهُ وقَدّرَا[6]

وأمّا الفُرس فتُنْكر هذا النسب، ولا تعرف لها مَلِكاً، إلّا في أولاد أفريدون، ولا تُقرّ بالمُلْك لغيرهم[7].

قلتُ: والحقّ ما قاله الفرس، فإنّ أسماء ملوكهم قبل الإسكندر [معروفة] وبعد أيّامه ملوك الطوائف، وإذا كان منوجهر أيّام موسى، وكلّ ما بين موسى وإسحاق خمسة آباء معروفون، ولم يزالوا بمصر، ففي أيّ زمان كثُروا وانتشروا وملكوا بلادَ الفرس؟ ومن أين لجرير هذا العلم حتى يكون قولُه حجّةً، لا سيّما وقد جعل الجميع أبناء إسحاق!.

قال هشام بن الكلبي: ملك طوج وسَلْم الأرض بعد أخيهما إيرَج ثلاثمائة سنة، ثمّ ملك منوجهر[8] مائة وعشرين سنة[9]، ثمّ وثب به ابنٌ لطوج[10] التركيّ، على رأس ثمانين

= الأعلام للزركلي ٢/١١، معجم المؤلّفين ٣/١٢٩، معجم الشعراء في لسان العرب للدكتور ياسين الأيوبي ٩٨، القاموس الإسلامي لأحمد عطية الله ١/٥٩٧، وديوان جرير، طبعة دار المعارف بمصر.

(١) السَّنَوَّر: الدرْع.

(٢) هو الإصبهبذ: اسم يُطلق على كل من يتولّى بلاد طبرستان (أنظر معجم البلدان ٤/١٤ و ١٥) وهو أمير الأمراء، وتفسيره حافظ الجيش لأن الجيش «أصبه» و «بذ» حافظ وهذه ثالثة المراتب العظيمة عند الفرس (التنبيه والإشراف للمسعودي ٩١).

(٣) تُسْتَر: بالضم ثم السكون وفتح التاء الأخرى، وراء، أعظم مدينة بخوزستان وهي تعريب شوشتر. (معجم البلدان ٢/٢٩).

(٤) في الطبعة الأوربية «العز»، والتصويب من ديوان جرير ٢٤٢ والطبري ١/٣٧٩.

(٥) في الطبعة الأوبية «يبالي»، والتصويب من الديوان، والطبري.

(٦) الأبيات في ديوان جرير ٢٤٢، ونقائض جرير والفرزدق ٩٩٥، والطبري ١/٣٧٨، ٣٧٩.

(٧) في الطبعة الأوربية «لغيره»، والتصحيح من طبعة صادر ١/١٦٥ والطبري ١/٣٧٩.

(٨) في النسخة (ب): «منوشهر».

(٩) تاريخ سنيّ ملوك الأرض لحمزة الأصفهاني ١٧، وتاريخ اليعقوبي ١/١٥٨، والبدء والتاريخ للمقدسي ٣/١٤٦.

(١٠) في تاريخ الطبري ١/٣٧٩ «ابن لابن طوج».

سنة، فنفاه عن بلاد العراق اثنتي عشرة سنة، ثمّ أديل منه مِنوجِهر، فنفاه عن بلاده، وعاد إلى مُلْكه، [وملك] بعد ذلك ثمانياً وعشرين سنة.

وكان منوجهِر يوصف بالعدل والإحسان، وهو أوّل من خندق الخنادق، وجمع آلة الحرب، وأوّل من وضع الدهقنة، فجعل لكلّ قرية دِهقاناً[1]، وأمر أهلها بطاعته[2].

ويقال: إنّ موسى ظهر في سنة ستّين من ملكه[3].

وقال غير هشام: إنّه لما ملك سار نحو بلاد الترك طالباً بدم جدّه إيرَج بن أفريدون، فقتل طوج بن أفريدون وأخاه سَلْماً، ثمّ إنّ افراسياب[4] بن فشنج بن رستم بن ترك، الذي يُنسب إليه الأتراك من ولد طوج بن أفريدون، حارب منوجهر بعد قتله طوج بستّين سنة، وحاصره بطبرِستان، ثمّ اصطلحا [على][5] أن يجعلا حدّ ما بين مُلْكيهما [منتهى] رميةَ سهم رجلٍ من أصحاب مِنوجْهِر، اسمه إيرشى[6]، وكان رامياً شديد النزْع، فرمى سهماً من طبرِستانَ فوقع بنهر بَلْخَ، وصار النهر حدّ ما بين التُرْك ولد طوج، وعمل مِنوجِهر.

قلت: وهذا من أعجب ما يتداوله الفرس في أكاذيبهم، أنّ رمية سهم تبلغ هذا كلّه[7].

وقد: ذُكر أنّ مِنوجهر اشتقّ من الفرات ودجلة ونهر بلخ أنهاراً عظاماً، وأمر بعمارة الأرض.

وقيل: إنّ الترك تناولت من أطراف رعيّته بعد خمس وثلاثين سنة من مِلكه، فوبّخ قومه وقال لهم: أيّها الناس إنكم لم تلدوا الناس كلهم، وإنّما النّاس ناسٌ ما عقلوا من أنفسهم[8] ودفعوا العدوّ عنهم وقد نالت الترك من أطرافكم، وليس ذلك إلاّ بترككم

---

(١) الدِهْقان: بكسر الدال، ويُضمّ. وهو رئيس الإقليم. معرَّب دهخان. (محيط المحيط للبستاني ـ مادّة: دهْقَنَ).

(٢) الطبري ١/٣٧٩، نهاية الأرب ١٥/١٤٨، ١٤٩.

(٣) الطبري ١/٣٧٩.

(٤) في تاريخ الطبري ١/٣٧٩، ومروج الذهب ١/٢٢٥، ونهاية الأرب ١٥/١٤٩ «فراسياب».

(٥) سقطت من طبعة صادر ١/١٦٦.

(٦) في البدء والتاريخ ٣/١٤٦ «آرش»، وفي تاريخ الطبري ١/٣٨٠: «أرِشْباطير، وربّما خَفّف اسمه بعضهم فيقول: «إيرش».

(٧) نلحظ هنا أنّ المؤلّف ـ رحمه الله ـ لا يكتفي بالنقل عن الطبري، بل ينقد ما ينقله، وهذه من مواصفات المؤرّخ.

(٨) في الطبعة الأوربية «ما غفلوا عن أنفسهم» والمثبت يتفق مع طبعة صادر والطبري.

جهادَ عدوّكم، وإنّ الله أعطانا هذا الملك ليبلُونَا أنشكر أم نكفر، فيعاقبنا، فإذا كان غداً[1] فاحضروا.

فحضر النّاسُ والأشرافُ، فقام على قدمَيْه، فقام له النّاس، فقال: اقعدوا، إنّما قمتُ لأُسمعكم. فجلسوا. فقال: أيّها النّاس إنّما الخَلْق للخالق، والشكر للمُنعم، والتسليم للقادر، ولا بدّ ممّا هو كائن، وإنّه لا أضعف من مخلوق طالباً كان أو مطلوباً، ولا أقوى من خالق، ولا أقدر ممّن طلبته في يده، ولا أعجز ممّن هو في يد طالبه، وإنّ التفكّر نور، والغفلة ظلمة، فالضلالة جهالة، وقد ورد الأوّل، ولا بدّ للآخر من اللّحاق بالأوّل. إنّ الله أعطانا هذا الملك، فله الحمد، ونسأله إلهام الرّشْد والصدق واليقين، وإنّه لا بدّ أن يكون للملك على أهل مملكته حقّ، ولأهل مملكته عليه حقّ، فحقّ الملك عليهم أن يطيعوه ويناصحوه ويقاتلوا عدّوه، وحقّهم على الملك أن يعطيهم أرزاقهم في أوقاتها، إذ لا معوّل لهم إلاّ عليها، وإنّه خازنهم، وحقّ الرعيّة على الملك أن ينظر إليهم، ويرفق بهم، ولا يحملهم على ما لا يطيقون، وإن أصابتهم مصيبة تُنْقِص[2] من ثمارهم أن يُسقِط عنهم خراج ما نقص، وإن اجتاحتهم مصيبة أن يعوّضهم ما يقوّيهم على عِمارتهم، ثمّ يأخذ منهم بعد ذلك قدر ما لا يجحف بهم في سنة أو سنتَين. ألا وإنّ الملك ينبغي أن يكون فيه ثلاث خصال: أن يكون صدوقاً[3] لا يكذب، وأن يكون سخيّاً لا يبخل، وأن يملك نفسه عند الغضب، فإنّه مسلّط ويده مبسوطة، والخراج يأتيه، فلا يستأثر عن جنده ورعيّته بما هم أهل له، وأن يكثر العفو، فإنّه لا ملك أقوى ولا أبقى من ملك فيه العفو، فإنّ الملك إن يخطىء في العفو، خير من أن يخطىء في العقوبة.

ألا وإنّ الترك قد طمعت فيكم، فاكفونا، فإنّما تكفون أنفسكم، وقد أمرتُ لكم بالسّلاح والعُدّة، وأنا شريككم في الرأي، وإنّما لي من هذا المُلْك اسمه، مع الطاعة منكم. ألا وإنّما الملك ملك إذا أطيع، فإنْ خُولف فهو مملوك وليس بملك. ألا وإنّ أكمل الأداة عند المصيبات الأخذ بالصبر، والراحة إلى اليقين، فمن قُتل في مجاهدة العدوّ رجوتُ له بفوز رضوان الله، وإنّما هذه الدنيا سَفَر لأهلها، لا يحلّون عقد الرحال إلاّ في غيرها.

وهي خطبة طويلة[4].

---

(١) في طبعة صادر ١٦٦/١ «غد»، والصحيح ما أثبتناه، وانظر الطبري ١/ ٣٨٠.
(٢) في الطبعة الأوربية «أو نقص»، والتصحيح من طبعة صادر ١/ ١٦٧.
(٣) في الطبعة الأوربية «صديقاً»، والتصحيح عن طبعة صادر، والطبري ١/ ٣٨١.
(٤) أنظر تاريخ الطبري ١/ ٣٨٠ ـ ٣٨٣.

ثمّ أمر بالطعام فأكلوا وشربوا وخرجوا وهم له شاكرون مطيعون.

وكان مُلْكه مائة وعشرين سنة[1].

وزعم ابن الكلبيّ أنّ الرايش، واسمه الحرث بن قيس بن صَيْفيّ بن سبأ بن يَعْرُب[2] بن قحطان، وكان قد ملك اليمن بعد يَعْرُب بن قحطان، كان ملكه باليمن أيّام ملك مُنوجِهر، وإنّما سُمّي الرايش لغنيمةٍ غنِمَها، فأدخلها اليمن، فسُمّي الرايش، ثمّ غزا الهند، فقتل بها وأسر وغَنِمَ، ورجع إلى اليمن، ثمّ سار على جبلَي طيّء، ثمّ على الأنبار، ثمّ على الموصل، ووجّه منها خيله وعليها رجل من أصحابه، يقال له شمر بن العطّاف، فدخل على الترك بأرض أَذْرَبَيْجان، فقتل المقاتلة، وسبَى الذرّيّة، وكتب ما كان من مسيره على حجرَين، وهما معروفان بأذربيجان[3].

ثمّ ملك بعده ابنُه أبرهة، ولقبه ذو المنار، وإنّما لُقّب بذلك لأنّه غزا بلاد المغرب ووغَّلَ[4] فيها برّاً وبحراً، وخاف على جيشه الضّلال عند قفوله، فبنى المنار ليهتدوا [بها].

وقد زعم أهل اليمن أنّه وجّه ابنه العَبْد[5] بن أبرهة في غزواته إلى ناحية من أقاصي المغرب، فغنِم، وقدِم[6] بسبْيٍ له وحشة منكرة، فذعر النّاس منهم، فسمّي ذو الأذعار؛ فأبرهة أحد ملوكهم الذين توغّلوا في البلاد.

وإنّما ذكرتُ مَن ذكرتُ من ملوك اليمن هاهنا لقول مَنْ زعم أنّ الرايش كان أيّام مِنوجِهر، وأنّ ملوك اليمن كانوا عُمّالاً لملوك فارس[7].

---

(١) تاريخ الطبري ١/٣٨٣، تاريخ سنيّ ملوك الأرض للأصفهاني ١٧، تاريخ اليعقوبي ١/١٥٨، البدء والتاريخ ٣/١٤٦ وفي مروج الذهب ١/٢٢٥ «كان ملكه عشرين سنة» وهو وهم.

(٢) هنا نقص عمّا في الطبري: «سبأ بن يشجب بن يعرب».

(٣) راجع الطبري ١/٣٨٣.

(٤) هكذا في الأصول، وفي طبعتي أوربا وصادر ١/١٦٨ «أوغل»، وفي الطبري ١/٣٨٤ «فوغل».

(٥) في الأصل «العيد» وهو تحريف.

(٦) في النسخة (ر): «وقدم عليه».

(٧) الطبري ١/٣٨٤.

قصة موسى عليه السلام ونسبه
وما كان في أيامه من الأحداث(1)

قيل: هو موسى بن عمران بن يصُهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب(2) بن إسحاق بن إبراهيم، وَوُلد لاوي ليعقوب وهو ابن تسعٍ وثمانين سنة، ووُلد قاهث للاوي وهو ابن ستٍّ وأربعين سنة، وولد لقاهث يصهر، وولد عمران ليصُهر وله ستّون سنة، وكان عمره جميعه مائة(3) وثلاثين سنة.

وأمّ موسى يوخابد(4). واسم امرأته صفورا بنت شُعَيْب النّبيّ.

وكان فرعون مصر في أيّامه قابوس بن مُصْعَب بن معاوية صاحب يوسف الثاني، وكانت امرأته آسية بنت مزاحم بن عُبَيْد بن الرّيّان بن الوليد، فرعون يوسف الأوّل.

وقيل: كانت من بني إسرائيل، فلمّا نودي موسى أُعلِمَ أنّ قابوس فرعون مصر مات، وقام أخوه الوليد بن مُصْعَب مكانه، وكان عمره طويلاً، وكان أعتى من قابوس وأفجر(5)، وأمر بأن يأتيه هو وهارون بالرسالة.

ويقال: إنّ الوليد تزوّج آسية بعد أخيه، ثمّ سار موسى إلى فرعون رسولاً مع

---

(1) تاريخ اليعقوبي 1/33، تاريخ سنيّ ملوك الأرض 79، المعارف 43، تاريخ الطبري 1/385، أخبار الزمان للمسعودي 269، مروج الذهب 1/48، البدء والتاريخ 3/81، عرائس المجالس 131، مرآة الزمان 1/390، زاد المسير 3/237 ـ 269، الكسائي 194، ابن وثيمة 33، تفسير الطبري (سورة البقرة ـ الآية 51 وما بعدها)، تاريخ مختصر الدول لابن العبري 17، نهاية الأرب 13/173، البداية والنهاية 1/237، العهد القديم ـ سفر الخروج ـ الإصحاح الثاني ـ ص 88 وما بعدها.

(2) النسب من عرائس المجالس 131، والبدء والتاريخ 3/81، والمعارف لابن قتيبة 43 وقد سقط منه «يصهر». وانظر مرآة الزمان 1/390.

(3) في النسخة (ر) زيادة بعد «مائة»: «وسبعاً وأربعين سنة. وولد موسى ولعمران سبعون سنة، وكان عمر عمران جميعه مائة وسبعاً».

(4) في النسخة (ب): «نوخايل» وفي هامشها «نوخايك»، وفي النسخة (ت): «بوخايد». والمثبت يتّفق مع الطبري 1/385، وفي عرائس المجالس 131 «يوخاييل» وقال: وهو المشهور.

(5) في النسخة (ب): «أفخر»، وفي النسخة (ر): «وأفخر وأكبر»، والمثبت يتفق مع الطبري 1/386.

هارون، فكان من مولد موسى إلى أن أخرج بني[1] إسرائيل من مصر ثمانون سنة. ثمّ سار إلى التّيه بعد أن مضى وعبر البحر، وكان مقامهم هنالك، إلى أن خرجوا مع يوشع بن نون أربعين سنة، فكان ما بين مولد موسى إلى وفاته مائة وعشرين سنة[2].

قال ابن عبّاس وغيره، دخل حديث بعضهم في بعض: إنّ الله تعالى لما قُبض يوسف، وهلك الملك الذي كان معه، وتوارثت الفراعنة مُلْك مصر، ونشر[3] الله بني إسرائيل، لم يزل بنو إسرائيل تحت يد الفراعنة، وهم على بقايا من دينهم، ممّا كان يوسف ويعقوب وإسحاق وإبراهيم شرعوا فيهم من الإسلام، حتى كان فرعون موسى، وكان أعتاهم على الله، وأعظمهم قولاً، وأطولهم عمراً، واسمه فيما ذُكر: الوليد بن مُصْعَب، وكان سيّء الملكة على بني إسرائيل، يعذّبهم ويجعلهم خَوَلاً، ويسومهم سوءَ العذاب.

فلمّا أراد الله أن يستنقذهم بلغ موسى الأشُدَّ وأُعطي الرسالة[4].

وكان شأن فرعون قبل ولادة موسى، أنّه رأى في منامه كأنّ ناراً أقبلت من بيت المقدس، حتى اشتملت على بيوت مصر، فأحرقت القِبْط، وتركت بني إسرائيل، وأخربت بيوت مصر، فدعا السَّحَرَة والحُزاة[5] والكهنة، فسألهم عن رؤياه، فقالوا: يخرج من هذا البلد، يعنون بيت المقدس، الذي جاء بنو إسرائيل منه، رجل يكون على وجهه هلاك مصر، فأمر أن لا يولد لبني إسرائيل مولود إلاّ ذُبح، ويُترك الجواري[6].

وقيل: إنّه لما تقارب زمان موسى، أتَى منجّمو فرعونَ وحُزاتُه إليه فقالوا: اعلمْ أنّا نجد في علْمنا أنّ مولوداً من بني إسرائيل قد أظلّك زمانُه الذي يولد فيه، يسلبك ملكَك، ويغلبك على سلطانك، ويبدّل دينك. فأمر بقتل كلّ مولود يولد في بني إسرائيل[7].

وقيل: بل تذاكر فرعون وجلساؤه معاً ما وعد الله عزّ وجلّ إبراهيمَ، أن يجعل في ذرّيّته أنبياء وملوكاً، فقال بعضهم: إنّ بني إسرائيل لينتظرون ذلك، وقد كانوا يظنّونه يوسف بن يعقوب، فلمّا هلك قالوا: ليس هكذا وعد الله إبراهيم. فقال فرعون: كيف

---

(١) في طبعة صادر ١/١٦٩ «بني»، وهو خطأ.
(٢) الطبري ١/٣٨٥، ٣٨٦.
(٣) في النسخة (ب): «قسر» وهو تحريف.
(٤) الطبري ١/٣٨٧، عرائس المجالس ١٣٢.
(٥) اللفظ من النسخة (ب)، وفي تاريخ الطبري ١/٣٨٨ «الحازة».
(٦) الطبري ١/٣٨٨.
(٧) عرائس المجالس ١٣٢، الطبري ١/٣٨٧.

تـرون؟ فأجمعـوا على أن يبعث رجالاً يقتلون كـلّ مولـود في بني إسرائيـل، وقال للقِبْط: انظروا[1] مماليككم الـذين يعملون خارجـاً فأدخِلوهم، واجعلوا بني إسـرائيل يلون ذلـك، فجعل بني إسرائيل في أعمال غلمانهم، فذلك حين يقول الله عزّ وجلّ: **﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَـةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾**[2]؛ فجعـل لا يُولـد لبني إسـرائيلَ مـولود إلاّ ذُبـح، وكان يـأمـر بتعـذيب الحَبَـالَى حتى يضعْن، فكـان يشقّق القصب، ويـوقف المرأةَ عليـه فيقـطّع[3] أقـدامهنّ، وكـانت المـرأة تضـع فتتّقي بـولـدهـا القصب. وقذف[4] الله الموت في مشيخة بني إسرائيل، فدخل رؤوس القِبْط على فرعون، وكلّموه وقالوا: إنّ هؤلاء القوم قد وقع فيهم الموت، فيوشك أن يقع العمل على غلماننا، تـذبح الصغـار وتفني الكبار، فلو أنّـك كتبتَ تُبقي من أولادهم، فأمـرهـم أن يذبحـوا سنةً ويتركوا سنةً، فلمّا كان في تلك السنة التي تركوا فيها، وُلد هارون، ووُلد موسى في السنة التي يقتلون فيها، وهي السنة المقبلة. فلمّا أرادتْ أمّه وضْعه، حزنتْ من شـأنه، فـأوحى الله إليهـا، أي ألهمها: **﴿أَنْ أَرْضِعِيـهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْـهِ فَأَلْقِيـهِ فِي اليَمِّ ـ وهـو النّيـل ـ وَلا تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ المُرْسَلِينَ﴾**[5].

فلمّا وضعته أرضعته، ثمّ دعت نجّاراً فجعـل له تـابوتـاً، وجعل مفتـاح التابـوت من داخل، وجعلته فيه، وألقته في اليَمِّ، فلمّا توارى عنها أتاها إبليس، فقالت في نفسهـا: ما الذي صنعتُ بنفسي! لو ذُبح عندي فوارَيْته وكفّنتُه، كان أحبّ إليّ من أن ألقيه بيدي إلى حيتان البحر ودوابّه. فلمّا ألقته **﴿قَالَتْ لأُخْتِهِ** ـ واسمها مريم: ـ **قُصِّيه** ـ يعني قصّي أثـره ـ **فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾**[6] أنّها أختُه، فأقبل الموج بـالتابـوت، يرفعـه مرّة ويخفضـه أخرى، حتى أدخله بين أشجـار عند دُور فـرعون، فخـرج جواري آسيـة امـرأة فـرعون يغتسلْنَ، فـوجدن التـابوت، فـأدخلْنه إلى آسيـة، وظننّ أنّ فيه مـالاً، فلمّـا فُتح ونظرت إليه آسية وقعت عليها رحمته وأحبّته، فلمّا أخبرت به فرعون وأتته به قالت: **﴿قُرَّةُ عَيْنٍ لي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ﴾**[7]. فقال فرعون يكون لكِ، وأمّا أنا فلا حاجة لي فيه.

---

(١) في النسخة (ت): «ابطروا».

(٢) القصص/٤.

(٣) في عرائس المجالس ١٣٢ «فتجرح».

(٤) في الأصول «قضى»، وفي المطبوع يتفق مع الطبري ١/٣٨٨.

(٥) القصص/٧.

(٦) القصص/١١.

(٧) القصص/٩.

وفي النسخة (ر) زيادة بعد «تقتلوه»: «عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً».

قال النبيّ، ﷺ: «والذي يُحلف به، لو أقرّ فرعون أنْ يكون له قرّة عين كما أقرّت، لَهَدَاهُ الله كما هداها».

وأراد أن يذبحه، فلم تزل آسية تكلّمه حتى تركه لها وقال: إنّي أخاف أن يكون هذا من بني إسرائيل، وأن يكون هو الذي على يَدَيْه هلاكنا، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فَالتَقَطَهُ آلُ فِرْعُونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً﴾[1]. وأرادوا له المرضِعات، فلم يأخذ من أحد من النساء، فذلك قوله: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ المَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ ـ أخته مريم ـ: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ؟﴾[2] فأخذوها وقالوا: ما يُدريكِ ما نُصحهم له؟ هل يعرفونه؟ حتى شكّوا في ذلك. فقالت: نُصحهم له شفقتهم عليه، ورغبتهم في قضاء حاجة الملك، ورجاء منفعته. فانطلقت إلى أمّه فأخبرتها الخبر، فجاءت أمّه، فلمّا أعطته ثديَها أخذه منها، فكادت تقول: هذا ابني، فعصمها الله[3].

وإنّما سُمّي موسى لأنّه وُجد في ماء وشجر، والماء بالقبطيّة مو، والشجر سا. فذلك قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إلى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾[4].

وكان غيبته عنها ثلاثة أيّام، وأخذته معها إلى بيتها، واتّخذه فرعون ولداً، فدُعي ابن فرعون، فلمّا تحرّك الغلام حملته أمّه إلى آسية، فأخذته ترقّصه وتلعب به، وناولَته فرعونَ، فلمّا أخذه إليه أخذ الغلام بلحيته فنتفها. قال فرعون: عليّ بالذبّاحين يذبحونه، هو هذا! قالت آسية: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾[5] إنّما هو صبيّ لا يعقل، وإنّما فعل هذا من جهل[6]، وقد علمت أنّه ليس في مصر امرأة أكثر حُليّاً منّي، أنا أضع له حُليّاً من ياقوت وجَمْراً، فإنْ أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه، وإنْ أخذ الجمر فإنّما هو صبيّ، فأخرجت له ياقوتها، ووضعت له طشتاً من جمر، فجاء جبرائيل فوضع يده في جمرة فأخذها، فطرحها موسى في فمه، فأحرقت لسانه، فهو الذي يقول الله تعالى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾[7]. فدرأت عن موسى بتلك القَتْلَ.

وكبُر موسى، وكان يركب مركب فرعون، ويلبس ما يلبس، وإنّما يُدْعى موسى بن

---

(١) القصص/٨.
(٢) القصص/١٢.
(٣) الطبري ١/٣٨٩، ٣٩٠.
(٤) القصص/١٣.
(٥) القصص/٩.
(٦) في النسخة (ب): «من صغر سنته»، وفي النسخة (ر): «من صباه»، وهو يتفق مع الطبري ١/٣٩٠، والمثبت يتفق مع النسخة (ت) والمطبوع.
(٧) طه/٢٧ ـ ٢٨.

فرعون، وامتنع به بنو إسرائيل، ولم يبقَ قِبطيّ يَظْلِم إسرائيليّاً خوفاً منه[1].

ثمّ إنّ فرعون ركب مركباً وليس عنده موسى، فلمّا جاء موسى قيل له: فرعون قد ركب، فركب موسى في أثره، فأدركه المَقيل بأرضٍ يقال لها مَنْف، وهذه مَنْف (بفتح الميم وسكون النون) مصر القديمة التي هي مصر يوسف الصدِّيق، وهي الآن قرية كبيرة، فدخل نصف النهار، وقد أغلقت أسواقها، ﴿**عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا، فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ**﴾[2] يقول هذا إسرائيليّ، قيل إنّه السامريّ، ﴿**وَهَـذَا مِنْ عَدُوِّهِ**﴾ يقول من القِبْط، ﴿**فَاسْتَغَاثَهُ الّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الّذِي مِنْ عَدُوِّهِ**﴾[2]، فغضب موسى، لأنّه تناوله وهو يعلم منزلةَ موسى من بني إسرائيل وحِفْظه لهم، وكان قد حماهم من القِبْط، وكان النّاس لا يعلمون أنّه منهم، بل كانوا يظنّون أنّ ذلك بسبب الرّضاع. فلمّا اشتدّ غضبه وَكَزَهُ فَقَضَى عَلَيْهِ، قَالَ: إن ﴿**هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ، قَالَ رَبِّ إِنّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ، إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[2]؛ أوحى الله تعالى إلى موسى: وعزّتي لو أنّ النّفسَ التي قتلتَ أقرّت لي ساعةً واحدة أنّي خالق رازق لأذقتُك العذابَ ﴿**قَالَ: رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ**﴾[2]. فأصبح في المدينة خائفاً يترقّب أن يؤخذ، ﴿**فَإِذَا الّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ**﴾ - يقول يستعينه -. ﴿**قَالَ لَهُ مُوسَى: إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ**﴾[2]. ثمّ أقبل لينصره، فلمّا نظر إلى موسى وقد أقبل نحوه ليبطش بالرجل الذي يقاتل الإسرائيلي، خاف أن يقتله من أجل أنّه أغلظ له في الكلام قال: ﴿**أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ؟ إِنْ تُرِيدُ إِلاّ أَنْ تَكُونَ جَبّاراً فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ المُصْلِحِينَ**﴾[3]. فترك القبطيّ، فذهب، فأفشى عليه أنّ موسى هو الذي قتل الرجل، فطلبه فرعون وقال: خذوه فإنّه صاحبنا. فجاء رجل فأخبره وقال له: ﴿**إِنَّ المَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ**﴾[3].

قيل: كان حزقيل[4] مؤمن آل فرعون، كان على بقيّةٍ من دين إبراهيم، عليه السلام، وكان أوّلَ مَن آمن بموسى. فلمّا أخبره خرج من بينهم ﴿**خَائِفاً يَتَرَقَّبُ، قَالَ: رَبِّ نَجِّنِي مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[5]. وأخذ في ثنيات[6] الطريق، فجاءه مَلَكٌ على فرس

---

(١) الطبري ١/ ٣٩٠.

(٢) القصص/ ١٥ - ١٧.

(٣) القصص ١٨ - ٢٠.

(٤) في النسختين (ت) و(ر) والمطبوع «خربيل»، والمثبت عن النسخة (ب) وعرائس المجالس ١٣٦، ونهاية الأرب ١٣/ ١٨٤.

(٥) القصص/ ٢١.

(٦) في تاريخ الطبري ١/ ٣٩١ «بُنيّات»، والمثبت يتفق مع عرائس المجالس.

وفي يده عَنَزَة، وهي الحَرْبة الصغيرة، فلمّا رآه موسى سجد له من الفَرَق. فقال له: لا تسجد لي ولكن اتبعني؛ فهداه نحو مَدْيَن. وقال موسى وهو متوجّه إليها: ﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾(١). فانطلق به الملَك حتى انتهى به إلى مَدْيَن، فكان قد سار وليس معه طعام، وكان يأكل ورق الشجر، ولم يكن له قوّة على المشي، فما بلغ مَدين حتى سقط خفّ قدمه ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ـ قصد الماء ـ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ، وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾(٢)، أي تحبسان غنمهما، وهما ابنتا شُعَيْب النّبيّ، وقيل: ابنتا يثرون، وهو ابن أخي شعيب، فلمّا رآهما موسى سألهما: ﴿مَا خَطْبُكُمَا؟ قَالَتَا: لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾(٣). فرحمهما موسى، فأتى البئرَ فاقتلع صخرة عليها كان النفر من أهل مَدْيَن يجتمعون عليها حتى يرفعوها، فسقى لهما غنمهما، فرجعتا سريعاً، وكانتا إنّما تسقيان من فضول الحياض. وقصد موسى شجرة هناك ليستظلّ بها فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾(٤).

قال ابن عبّاس: لقد قال موسى [ذلك]، ولو شاء إنسان أن ينظر إلى خُضْرة أمعائه من شدّة الجوع لَفَعَل، وما سأل إلاّ أكلة.

فلمّا رجع الجاريتان إلى أبيهما سريعاً سألهما، فأخبرتاه، فأعاد إحداهما إلى موسى تستدعيه، فأتته وقالت له: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾(٥). فقام معها، فمشتْ بين يديه، فضربت الريح ثوبها فحكى عجيزتها، فقال لها: امشي خلفي ودلّيني على الطريق، فإنّا أهل بيت لا ننظر في أعقاب النّساء.

فلمّا أتاه ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ: لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(٥). قالت إحداهما، وهي التي أحضرته: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ، إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾(٦). قال لها أبوها: القوّة قد رأيتها، فما يُدْرِيكِ بأمانته؟ فذكرتْ له ما أمرها به من المشْي خلفه. فقال له أبوها: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ـ نفسك ـ ثَمَانِيَ حِجَجٍ، فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ﴾(٧). فقال له موسى: ﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ، وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾(٨). فأقام عنده

---

(١) القصص/٢٢.
(٢) القصص/٢٣.
(٣) القصص/٢٣.
(٤) القصص/٢٤.
(٥) القصص/٢٥.
(٦) القصص/٢٦.
(٧) القصص/٢٧.
(٨) القصص/٢٨.

يومه، فلمّا أمسى أحضر شُعيب العشاءَ فامتنع موسى من الأكـل، فقال: ولِمَ ذلـك؟ قال: إنّا من أهل بيت لا نأخذ على اليسير من عمل الآخرة الدنيا بأسـرها. فقـال شعيب: ليس لذلك أطعمتك، إنّما هذه عادتي وعادة آبائي، فـأكل، وازدادت رغبـة شعيب في موسى، فزوّجه ابنته التي أحضرته، واسمها صفورا، وأمرها أن تأتيـه بعصاً، فـأتته بعصـاً، وكانت تلك العصا قد استودعها إيّاه ملَك في صورة رجل، فدفعتها إليه، فلمّـا رآها أبـوها أمـرها بردّها والإتيان بغيرها، فألقتهـا وأرادت أن تأخـذ غيرهـا، فلم تقع بيـدها سـواها، وجعـل يردّدها، وكلّ ذلك لا يخرج في يدها غيرها، فأخذها موسى ليرعى بها، فندم أبـوها حيث أخذها وخرج إليه ليأخذها منه حيث هي وديعة، فلمّا رآه موسى يريـد أخْذَهـا منه مـانَعَهُ، فحكّما أوّل رجل يلقاهما، فأتاهما ملَكٌ في صورة آدميّ، فقضى بينهما أن يضعها مـوسى في الأرض، فمن حملها فهي له، فألقاهـا موسى فلم يـطقْ أبوهـا حَمْلَهَا وأخـذها مـوسى بيده فتركها له[1]. وكانت من عَوْسَج لها شُعبتان وفي رأسها مِحْجَن[2].

وقيل: كانت من آس الجنّة، حملها آدم معه.

وقيل في أخْذها غير ذلك.

وأقام موسى عند شُعَيب يرعى له غنمه عشر سنين، وسار بأهله في زمن شتاء وبرد، فلمّا كانت اللّيلة التي أراد الله عزّ وجلّ لموسى كرامته وابتداءه فيهـا بنبوّتـه وكلامـه، أخطأ فيها الطريق حتى لا يدري أين يتوجّه، وكانت امرأته حاملاً، فأخذها الطلْق في ليلةٍ شاتية ذات مطر ورعْد وبرْق، فأخرج زنده ليقدح ناراً لأهله ليصـطلوا ويبيتوا حتى يصبـح ويعلم وجه طريقه، فأصلد زندُهُ فقدح حتى أعيا، فرُفِعَتْ له نار، فلمّا رآها ظنّ أنّها نار، وكانت من نور الله، فـ **﴿قَالَ لِأَهْلِهِ: امْكُثُـوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَـا بِخَبَرٍ﴾**[3]، فـإن لم أجـد خبراً **﴿آتِيكُمْ بِشِهَـابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾**[4]. فحين قصـدها رآهـا نوراً ممتـدّاً من السماء إلى شجرة عـظيمة من العَـوْسَج[5]، وقيـل: من العنّاب، فتحيّـر موسى وخـاف حين رأى نـاراً عظيمـة بغيـر دخـان، وهي تلتهب في شجـرة خضـراء، لا تـزداد النّـار إلاّ عظماً، ولا تزداد الشجرة إلاّ خُضْرة، فلمّا دنا منها استـأخرت عنـه، ففزع ورجـع، فنُودي منها، فلمّا سمع الصوت استأنس فعاد، **﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَـاطِىءِ الوَادِي الأَيْمَنِ في**

---

(١) الطبري ١/٣٩٧ ـ ٣٩٩، عرائس المجالس ١٣٧، ١٣٨.

(٢) الطبري ١/٤٠١.

(٣) القصص/٢٩.

(٤) النمل/٧.

(٥) في الطبري ١/٤٠٢ «العُلّيق»، والمؤلف ينقل عن الثعلبي في عرائس المجالس ١٤٠.

البُقْعَةِ المُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾[1]: أَنْ بُورك مَنْ في النّار ومَنْ حولها يا موسى، **﴿إنّي أنا الله رَبُّ العَالَمينَ﴾**[1] فلمّا سمع النداء ورأى تلك الهيبة، علم أنّه ربّه تعالى، فخفق قلبه وكَلَّ لسانه وضعُفَتْ قوّته، وصار حيّاً كميت، إلاّ أنّ الروح يتردّد فيه، فأرسل الله إليه مَلَكاً يشدّ قلبه. فلمّا ثاب إليه عقلُه نودي: **﴿اخْلَعْ نَعْلَيْكَ إنّكَ بِالوَادِي المُقَدَّسِ طُوىً﴾**[2]؛ وإنّما أمر بخلع نعلَيْه لأنّهما كانتا من جلد حمار ميت.

وقيل: لينال قدمه الأرض المباركة. ثمّ قال له تسكيناً لقلبه: **﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى؟ قَالَ: هِيَ عَصَايَ أَتَوَكّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾**[3]؛ يقول: أضرب الشجر فيسقط ورقه للغنم؛ **﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾**[3] أحمل عليها المِزْوَد والسّقاء.

وكانت تضيء لموسى في اللّيلة المظلمة، وكانت إذا أعوزه الماء أَدلاها في البئر فينال الماءَ، ويصير في رأسها شبه الدلو، وكان إذا اشتهى فاكهةً غرسها في الأرض، فنبتت لها أغصان تحمل الفاكهة لوقتها.

قال له: ألقِهَا يا موسى. فألقاها موسى، فإذا هي حيّة تسعى عظيمة الجثّة في خفّة حركة الجانّ، فلمّا رآها موسى **﴿وَلّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾**[4]، فنُودي: **﴿يَا مُوسَى لا تَخَفْ إنّي لا يَخافُ لَدَيَّ المُرْسَلُونَ﴾**[4]، أقبل **﴿وَلاَ تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى﴾**[5] عصاً؛ وإنّما أمره الله بإلقاء العصا حتى إذا ألقاها عند فرعون لا يخاف منها، فلمّا أقبل قال: خذْها ولا تخف وأَدْخِل يَدك في فيها. وكان على موسى جُبّة صوف، فلفّ يده بكُمّه وهو لها هائبٌ، فنودي: ألقِ كُمَّك عن يدك، فألقاه، وأدخل يده بين لحيَيْها، فلمّا أدخل يده عادت عصاً كما كانت، لا يُنْكر منها شيئاً.

ثمّ قال له: **﴿أَدْخِلْ يَدَكَ في جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾**[6]، يعني بَرَصاً، فأدخلها وأخرجها بيضاء من غير سوء مثل الثلج لها نور، ثمّ ردّها فعادت كما كانت. فقيل له: **﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إلى فِرْعَوْنَ وَمَلإِهِ إنّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ؛ قَالَ: رَبِّ إنّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ؛ وأخي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي﴾**[7]، أي يبيّن لهم عنّي ما أكلّمهم به، فإنّه يفهم عنّي ما لا يفهمون. **﴿قَالَ:**

---

(١) القصص/٣٠.
(٢) طه/١٢.
(٣) طه/١٧ ـ ١٨.
(٤) النمل/١٠.
(٥) طه/٢١.
(٦) النمل/١٢.
(٧) القصص/٣٢ ـ ٣٤.

﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الغَالِبُونَ﴾[1].

فأقبل موسى إلى أهله، فسار بهم نحو مصر حتى أتاها ليلاً، فتضيّف على أمّه وهو لا يعرفهم ولا يعرفونه، فجاء هارون فسألها عنه، فأخبرته أنّه ضيف، فدعاه فأكل معه، وسأله هارون: مَنْ أنت؟ قال: أنا موسى. فاعتنقا[2].

وقيل: إنّ الله ترك موسى سبعة أيّام، ثمّ قال: أجبْ ربّك فيما كلّمك. فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾[3] الآيات[4]. فأمره بالمسير إلى فرعون، ولم يزل أهله مكانهم لا يدرون ما فعل، حتى مرّ راع [5] من أهل مَدْيَن فعرفهم، فاحتملهم إلى مَدْيَن، فكانوا عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى بعدما فَلَقَ البحر، فساروا إليه.

وأمّا موسى فإنّه سار إلى مصر، وأوحى الله إلى هارون يُعْلِمُه بقفول[6] موسى ويأمره بتلقّيه، فخرج من مصر فالتقى به، قال موسى: يا هارون إنّ الله تعالى قد أرسلنا إلى فرعون فانطلِقْ معي إليه. قال: سمعاً وطاعةً، فلمّا جاء إلى بيت هارون وأظهر أنّهما ينطلقان إلى فرعون، سمعت ذلك ابنة هارون[7]، فصاحت أمّهما فقالت: أنشدكما الله أن [لا] تذهبا إلى فرعون فيقتلكما جميعاً! فأبيا، فانطلقا إليه ليلاً، فضربا بابه، فقال فرعون لبوّابه: مَنْ هذا الذي يضرب بابي هذه الساعة؟ فأشرف عليهما البوّاب فكلّمهما، فقال له موسى: إنّا رسولا ربّ العالمين، فأخبر فرعون، فأُدخلا إليه[8].

وقيل: إنّ موسى وهارون مكثا سنتين يغدوان إلى باب فرعون ويروحان يلتمسان الدخول إليه، فلم يجسر أحد يخبره بشأنهما، حتى أخبره مسخرة كان يُضحكه بقوله، فأمر حينئذٍ فرعون بإدخالهما. فلمّا دخلا قال له موسى: إنّي رسول من ربّ العالمين، فعرفه فرعون فقال له: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ؛ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الّتي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الكَافِرِينَ؟ قَالَ: فَعَلْتُهَا إذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ، فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا

---

(١) القصص/٣٥.
(٢) الطبري ٤٠٣/١.
(٣) طه/٢٥.
(٤) الخبر في عرائس المجالس ١٤٢.
(٥) في النسخة (ر): «براع».
(٦) في النسخة (ب): «بقدوم».
(٧) كلمة «هارون» من النسخة (ب).
(٨) الطبري ٤٠٤/١.

خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً - يعني نبوّة - وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[1]. فقال له فرعون: ﴿إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾[2] قد فتح فاه فوضع اللحيَ الأسفل في الأرض والأعلى على القصر، وتوجّه نحو فرعون ليأخذه، فخافه فرعون ووثب فزِعاً، فأحدث في ثيابه[3]، ثمّ بقي بضعة وعشرين يوماً يجيء بطنه حتى كاد يهلك، وناشده فرعون بربّه تعالى أن يردّ الثعبان، فأخذه موسى فعاد عصاً. ثمّ أدخل يده في جيبه وأخرجها بيضاء كالثلج لها نور يتلألأ، ثمّ ردّها فعادت إلى ما كانت عليه من لونها[4]، ثمّ أخرجها الثانيةَ لها نور ساطع في السماء تكلّ منه الأبصار، قد أضاءت ما حولها، يدخل نورها البيوتَ، ويُرى من الكُوى ومن وراء الحُجُب، فلم يستطع فرعون النظر إليها، ثمّ ردّها موسى في جيبه وأخرجها فإذا هي على لونها[5].

وأوحى الله تعالى إلى موسى وهارون أن ﴿قُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[6]، فقال له موسى: هل لك في[7] أن أعطيك شبابك فلا تهرم، وملكك فلا يُنزع، وأردّ إليك لذّة المناكح والمشارب والركوب، فإذا مُتَّ دخلتَ الجنّة وتؤمن بي؟ فقال: لا حتى يأتي هامان، فلمّا حضر هامان عرض عليه قول موسى، فعجّزه وقال له: تصير تَعبُد بعد أن كنتَ تُعبَد! ثمّ قال له: أنا أردّ عليك شبابك، فعمل له الوسمة فخضبه بها، فهو أوّل من خضب بالسواد، فلمّا رآه موسى هاله ذلك، فأوحى الله إليه: لا يهولنّك ما ترى فلن يلبث إلاّ قليلاً. فلمّا سمع فرعون ذلك خرج إلى قومه فقال؛ إنّ هذا لساحر عليم. وأراد قتله. فقال مؤمن آل فرعون، واسمه خربيل[8]: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ؟﴾[9] وقال الملأ من قوم فرعون: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾[10]. ففعل وجمع السَحَرَة، فكانوا سبعين ساحراً، وقيل: اثنين وسبعين[11]، وقيل: خمسة عشر ألفاً[12]، وقيل: ثلاثين ألفاً[13]،

---

(١) الشعراء/١٨ ـ ٢١.

(٢) الأعراف/١٠٦ ـ ١٠٧.

(٣) عرائس المجالس ١٤٤.

(٤) في النسخة (ب): «لونها الأول».

(٥) الخبر في عرائس المجالس ١٤٥ وفيه «لونها الأول».

(٦) طه/٤٤.

(٧) في النسخة (ب): «لي».

(٨) في النسخة (ب): «حزقيل».

(٩) غافر/٢٨.

(١٠) الشعراء/٣٦ ـ ٣٧.

(١١) في عرائس المجالس ١٤٥: كانوا اثنين وسبعين ساحراً، اثنان من القبط وهما رأسا القوم، وسبعون من بني إسرائيل.

فوعدهم فرعون واتّعدوا يوم عيدٍ كان لفرعون، فصفّهم فرعونُ وجمع النّاس، وجاء موسى ومعه أخوه هارون وبيده عصاه، حتى أتى الجمعَ، وفرعون في مجلسه مع أشراف قومه، فقال موسى للسَحَرَة حين جاءهم: ﴿وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾[1]. فقال السَّحَرَة بعضُهم لبعض: ما هذا بقول ساحر! ثمّ قالوا: لنأتينّك بسحر لم ترَ مثله، ﴿وَقَالُوا: بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الغَالِبُونَ﴾[2]. فقال له السحرة: يا ﴿مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ المُلْقِينَ﴾[3]. قال: بل أَلقوا. ﴿فَأَلْقَوا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ﴾[4] فإذا هي في رأي العين حيّات أمثال الجبال قد ملأت الوادي، يركب بعضها بعضاً، فأوجس موسى خوفاً، فأوحى الله إليه: أن ﴿أَلْقِ مَا في يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا﴾[5]، فألقى عصاه من يده، فصارت ثعباناً عظيماً، فاستعرضت ما أَلْقَوا من حبالهم وعِصِيّهم، وهي كالحيّات في أعين النّاس، فجعلت تلقفها وتبتلعها، حتى لم تُبقِ منها شيئاً، ثمّ أخذ موسى عصاه، فإذا هي في يده كما كانت.

وكان رئيس السَّحَرَة أعمى، فقال له أصحابه: إن عصا موسى صارت ثعباناً عظيماً وتلقف حبالنا وعِصِيّنا. فقال لهم: ولم يبقَ لها أثر ولا عادت إلى حالها الأوّل؟ فقالوا: لا. فقال: هذا ليس بسحر. فخرّ ساجداً وتبعه السَّحَرَة أجمعون و ﴿قَالُوا: آمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وهَارُونَ﴾[6]. قال فرعون ﴿آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ! إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ في جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[7]. فقطّعهم وقتلهم وهم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[8]، فكانوا أوّل النّهار كفّاراً وآخر النهار شهداء[9].

وكان خربيل[10] مؤمن آل فرعون يكتم إيمانه، قيل: كان من بني إسرائيل، وقيل:

---

(١٢)الطبري ١/٤٠٧.
(١٣)في تاريخ الطبري ١/٤١٣ وعرائس المجالس ١٤٦ «بضعة وثلاثين ألفاً».

---

(١) طَهَ/٦١.
(٢) الشعراء/٤٤.
(٣) الأعراف/١١٥.
(٤) الشعراء/٤٤
(٥) طه/٦٩.
(٦) الشعراء/٤٧ ـ ٤٨.
(٧) طه/٧١.
(٨) الأعراف/١٢٦.
(٩) قارن مع الطبري ١/٤١٣ وعرائس المجالس ١٤٧.
(١٠)في عرائس المجالس ١٤٧ «حزقيل»، والمثبت يتفق مع قول ابن عباس. (أنظر مرآة الزمان ١/٤١١).

كان من القبط.

وقيل: هو النجّار الذي صنع التابوت الذي جُعل فيه موسى وأُلقي في النيل، فلمّا رأى غلبة موسى السحرةَ أظهر إيمانه[1].

وقيل: أظهر إيمانه قبلُ[2]، فقُتل وصُلب مع السَّحَرَة.

وكان له امرأة مؤمنة تكتم إيمانها أيضاً، وكانت ماشطة ابنة فرعون، فبينما هي تمشّطها إذ وقع المِشْط من يدها، فقالت: بسم الله. فقالت ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا بل ربّي وربّك وربّ أبيك. فأخبرت أباها بذلك، فدعا بها وبولدها وقال لها: مَنْ رَبّك؟ قالت: ربّي وربّك الله، فأمر بتنّور نحاس فأُحمي ليعذّبها وأولادها. فقالت: لي إليك حاجة. قال: وما هي؟ قالت: تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنها. قال: ذلك لكِ، فأمر بأولادها فأُلقوا في التنّور واحداً واحداً، وكان آخر أولادها صبيّاً صغيراً، فقال: اصبري يا أمّاه فإنّك على الحقّ. فأُلقيت في التنّور مع ولدها[3].

وكانت آسية امرأة فرعون من بني إسرائيل.

وقيل: كانت من غيرهم، وكانت مؤمنة تكتم إيمانها، فلمّا قُتلت الماشطة رأت آسيةُ الملائكة تعرج بروحها، كشف الله عن بصيرتها، وكانت تنظر إليها وهي تعذَّب، فلمّا رأت الملائكة قوي إيمانُها وازدادت يقيناً وتصديقاً لموسى، فبينما هي كذلك إذ دخل عليها فرعون فأخبرها خبر الماشطة. قالت له آسية: الويل لك! ما أجرأك على الله! فقال لها: لعلّك اعتراك الجنون الذي اعترى الماشطة؟ فقالت: ما بي جنون ولكنّي آمنتُ بالله تعالى ربّي وربّك وربّ العالمين.

فدعا فرعون أُمّها وقال لها: إنّ ابنتك قد أصابها ما أصاب الماشطة، فأقسم لتذوقنّ الموت أو لتكفرنّ بإله موسى. فخلت بها أمّها وأرادتها على موافقة فرعون، فأبت [وقالت]: أمّا أن أكفر بالله فلا والله! فأمر فرعون حتى مُدّت بين يديه أربعة أوتاد، وعُذّبت حتى ماتت، فلمّا عاينت الموتَ قالت: **﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾**[4]. فكشف الله عن بصيرتها، فرأت الملائكة وما أُعدّ لها من الكرامة، فضحكت، فقال فرعون: انظروا إلى الجنون الذي بها! تضحك

---

(١) عرائس المجالس ١٤٧.

(٢) في النسخة (ر) زيادة بعد (قبل): «ذلك، وكان فرعون أراد قتل موسى، فقال: أتقتلون رجلاً أن يقول: ربّي الله وقد جاءكم بالبيّنات من ربكم والله أعلم. فلما أظهر إيمانه».

(٣) عرائس المجالس ١٤٧، ١٤٨ من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

(٤) التحريم/١١.

وهي في العذاب! ثمّ ماتت[1].

ولما رأى فرعون قومه قد دخلهم الرعبُ من موسى، خاف أن يؤمنوا به ويتركوا عبادته، فاحتال لنفسه وقال لوزيره: يا هامان ابنِ لي صرحاً لعلّي **﴿أَطَّلِع إلى إلَهِ مُوسَى وَإنّي لَأظُنُّهُ كَاذِباً﴾**[2]. فأمر هامان بعمل الآجُرّ، وهو أوّل من عمله، وجمع الصُّنّاع وعمله في سبع سنين، وارتفع البنيان ارتفاعاً لم يبلغه بنيانٌ آخر، فشَقَّ ذلك على موسى واستعظمه، فأوحى الله إليه: أن دعه وما يريد، فإنّي مُستدرجُهُ ومُبطل ما عمله في ساعة واحدة[3]. فلمّا تمّ بناؤه أمر الله جبرائيل فخرّبه، وأهلك كلّ من عمل فيه من صانعٍ ومستعمل. فلمّا رأى فرعون ذلك من صنع الله أمر أصحابه بالشدّة على بني إسرائيل وعلى موسى، ففعلوا ذلك، وصاروا يكلّفون بني إسرائيل من العمل ما لا يطيقونه، وكان الرجال والنساء في شدّة، وكانوا قبل ذلك يُطعمون بني إسرائيل إذا استعملوهم، فصاروا لا يطعمونهم شيئاً، فيعودون بأسوإ حال يريدون يكسبون ما يقوتهم، فشكوا ذلك إلى موسى، فقال لهم: استعينوا بالله واصبروا، إنّ العاقبة للمتّقين، **﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ في الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾**[4].

فلمّا أبَى فرعون وقومه إلاّ الثبات على الكفر، تابع الله عليه الآيات، فأرسل عليهم الطوفان، وهو المطر المتتابع، فغرق كلّ شيء لهم. فقالوا: يا موسى ادعُ ربّك يكشف عنّا هذا، ونحن نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فكشفه الله عنهم ونبتت زروعهم، فقالوا: ما يسرّنا أنّا لم نُمْطَر. فبعث الله عليهم الجراد فأكل زروعهم، فسألوا موسى أن يكشف ما بهم ويؤمنوا به، فدعا الله فكشفه، فلم يؤمنوا وقالوا: قد بقي من زروعنا بقيّة. فأرسل الله عليهم الدَّبا، وهو القُمَّل، فأهلك الزروع والنبات أجمع، وكان يهلك أطعمتهم، ولم يقدروا أن يحترزوا منه، فسألوا موسى أن يكشفه عنهم، ففعل، فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الضفادع، وكانت تسقط في قدورهم وأطعمتهم وملأت البيوت عليهم، فسألوا موسى أن يكشفه عنهم ليؤمنوا به، ففعل، فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الدّم، فصارت مياه الفرعونيّين دماً، وكان الفرعونيّ، والإسرائيليّ يستقيان من ماء واحد، فيأخذ الإسرائيليّ ماء [ويأخذ] الفرعونيّ دماً، وكان الإسرائيليّ يأخذ الماء في فمه، فيمجّه في فم الفرعونيّ فيصير دماً، فبقي ذلك سبعة أيّام، فسألوا موسى أن يكشفه عنهم

---

(١) عرائس المجالس ١٤٨.
(٢) غافر/٣٧.
(٣) عرائس المجالس ١٤٩.
(٤) الأعراف/١٢٩، والخبر في عرائس المجالس ١٥٠.

ليؤمنوا، ففعل، فلم يؤمنوا[1].

فلمّا يئس من إيمانهم ومن إيمان فرعون، دعا موسى وأمّن هارون فقال: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ، رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾[2]. فاستجاب الله لهما، فمسخ الله أموالهم، ما عدا خيلهم وجواهرهم وزينتهم، حجارةً، والنخلَ[3] والأطعمة والدقيقَ وغير ذلك، فكانت إحدى الآيات التي جاء بها موسى.

فلمّا طالَ الأمر على موسى أوحى الله إليه يأمره بالمسير ببني إسرائيل، وأن يحمل معه تابوت يوسف بن يعقوب ويدفنه بالأرض المقدّسة، فسأل موسى عنه فلم يعرفه إلّا امرأة عجوز، فأرتْهُ مكانه في النيل، فاستخرجه موسى، وهو في صندوق مرمر، فأخذه معه فسار، وأمر بني إسرائيل أن يستعيروا من حليّ القِبط ما أمكنهم، ففعلوا ذلك وأخذوا شيئاً كثيراً.

وخرج موسى ببني إسرائيل ليلاً والقِبط لا يعلمون، وكان موسى على ساقة[4] بني إسرائيل، وهارون على مقدّمتهم، وكان بنو إسرائيل لما ساروا من مصر ستّمائة ألف وعشرين ألفاً، وتبعهم فرعون، وعلى مقدّمته هامان[5]، ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى: إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾[6] يا موسى! أوذينا من قبل أن تأتِيَنا ومن بعد ما جئتنا، أمّا الأول فكانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا، وأمّا الآن فيدركنا فرعون فيقتلنا. قال موسى: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[7].

وبلغ بنو إسرائيل إلى البحر، وبقي بين أيديهم، وفرعون من ورائهم، فأيقنوا بالهلاك، فتقدّم موسى فضرب البحر بعصاه فانفلق، فكان كلّ فرق كالطود العظيم، وصار فيه اثنا عشر طريقاً، لكلِّ سِبط طريق، فقال كلّ سبط: قد هلك أصحابنا. فأمر الله الماء فصار كالشبّاك، فكان كلّ سبط يرى مَنْ عن يمينه وعن شماله، حتى خرجوا.

ودنا فرعون وأصحابه من البحر، فرأى الماء على هيئته والطُرُق فيه، فقال

---

(١) أنظر الخبر مفصَّلاً في عرائس المجالس ١٥٠ ـ ١٥٢ وهو ليس في تاريخ الطبري.

(٢) يونس/٨٨.

(٣) في عرائس المجالس ١٥٣ «المنخل».

(٤) الساقة: مؤخّرة الجيش.

(٥) في: ألف ألف وسبعمائة ألف. (الطبري ١/٤١٤، الثعلبي ١٥٤).

(٦) الشعراء/٦١.

(٧) الشعراء/٦٢ والخبر في تاريخ الطبري ١/٤١٤، ٤١٥، عرائس المجالس ١٥٤، ١٥٥، مرآة الزمان ١/٤١٣.

لأصحابه: ألا ترَون البحر قد فرِق منّي وانفتح لي، حتى أُدرك أعدائي؟ فلمّا وقف فرعون على أفواه الطرق لم تقتحمه خيلُه، فنزل جبرائيل على فرس أنثى وديق[١]، فشمّت الحُصُنُ ريحها، فاقتحمت في أثرها، حتى إذا همّ[٢] أوّلهم أن يخرج ودخل آخرهم، أمر البحر أن يأخذهم، فالتطم عليهم فأغرقهم، وبنو إسرائيل ينظرون إليهم[٣].

وانفرد جبرائيل، بفرعون، يأخذ من حمأة البحر فيجعلها في فيه، وقال حين أدركه الغرق ﴿**آمَنْتُ أنّه لاَ إلـهَ إلاّ آلّذِي آمَنَتْ بِـهِ بَنُـو إسْـرَائِيـل**﴾[٤]، وغرق، فبعث الله إليه ميكائيل يعيّره، فقال له: ﴿**آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ المُفْسِدِينَ**﴾[٥].

وقال جبرائيل للنبيّ، ﷺ: لو رأيتني وأنا أدسّ من حمأة البحر في فم فرعون مخافة أن يقول كلمةً يرحمه الله بها[٦].

فلمّا نجا بنو إسرائيل قالوا: إنّ فرعون لم يغرق. فدعا موسى، فأخرج الله فرعون غريقاً، فأخذه بنو إسرائيل يتمثّلون به، ثمّ ساروا فأتوا على قوم يعبدون الأصنام فقالوا: ﴿**يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ. قَالَ: إنّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾[٧]. فتركوا ذلك[٨].

ثمّ بعث موسى جُنْدَين عظيمين، كلّ جند اثنا عشر ألفاً إلى مدائن فرعون، وهي يومئذٍ خالية من أهلها، قد أهلك الله عظماءهم ورؤساءهم، ولم يُبق غيرَ النساء والصبيان والزَّمْنَى والمرضى والمشايخ والعاجزين، فدخلوا البلاد وغنموا الأموال وحملوا ما أطاقوا، وباعوا ما عجزوا عن حمله من غيرهم[٩]. وكان على الجُنْدَين يوشع بن نون، وكالب بن يوفنّا[١٠].

وكان موسى قد وعده الله وهو بمصر، أنّه إذا خرج مع بني إسرائيل منها وأهلك الله عدوّهم أن يأتيهم بكتاب فيه ما يأتون وما يَذَرُون، فلمّا أهلك الله فرعون[١١] وأنجى بني

---

(١) الفرس الأنثى الوديق: التي تريد الفحل وتشتهيه. (عرائس المجالس ١٥٦).
(٢) في الأصل «ثم» وهو وهْم.
(٣) قارن بالطبري ١/٤٢٠، ٤٢١، وعرائس المجالس ١٥٦، ومرآة الزمان ١/٤١٤.
(٤) يونس/٩٠.
(٥) يونس/٩١.
(٦) الطبري ١/٤٢١ من طريق حمّاد بن سلمة، عن عليّ بن زياد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، وانظر أخبار الزمان للمسعودي ٢٧٨.
(٧) الأعراف/١٣٨.
(٨) الطبري ١/٤٢١، عرائس المجالس ١٥٧.
(٩) عرائس المجالس ١٥٧.
(١٠) في تاريخ الطبري ١/٤٣٠ «يوفنّة».
(١١) في النسخة (ر): «فرعون وقومه».

إسرائيل قالوا: يا موسى ائتنا بالكتاب الذي وعدتَنا. فسأل موسى ربّه ذلك، فأمره أن يصوم ثلاثين يوماً ويتطهّر ويطهّر ثيابه، ويأتي إلى الجبل، جبل طور سينا، ليكلّمه ويعطيه الكتاب، فصام ثلاثين يوماً أوّلها أوّل ذي القعدة، وسار إلى الجبل، واستخلف أخاه هارون على بني إسرائيل، فلمّا قصد الجبل أنكر ريح فمه، فتسوّك بعود خرنوب، وقيل: تسوّك بلحاء شجرة، فأوحى الله إليه: أما علمتَ أنّ خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك؟ وأمره أن يصوم عشرة أيّام أخرى، فصامها، وهي عشر ذي الحجّة، ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[1].

ففي تلك اللّيالي العشر افتتن بنو إسرائيل، لأنّ الثلاثين انقضت، ولم يرجع إليهم موسى، وكان السامريّ من أهل باجَرْمى[2]، وقيل: من بني إسرائيل.

فقال هارون: يا بني إسرائيل إنّ الغنائم لا تحلّ لكم، والحُلِيّ الذي استعرتموه من القِبط غنيمة، فاحفروا حفيرة وألقوه فيها، حتى يرجع موسى فيرى في رأيه، ففعلوا ذلك، وجاء السامريّ بقبضةٍ من التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبرائيل فألقاه فيه، فصار الحُلِيّ عجلاً جسداً له خوار[3].

وقيل: إنّ الحليّ أُلقي في النّار فذاب، فألقى السامريّ ذلك التراب، فصار الحُليُّ عجلاً جسداً له خوار[4].

وقيل[5]: كان يخور ويمشي.

وقيل[6]: ما خار إلاّ مرّة واحدة ولم يعُدْ.

وقيل[7]: إنّ السامريّ صاغ العجل من ذلك الحُلِيّ في ثلاثة أيّام، ثمّ قذف فيه التراب، فقام له خوار.

فلمّا رأوه قال لهم السامريّ: ﴿هَـٰذَا إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ، فَنَسِيَ﴾[8] موسى وتركه

---

(١) الأعراف/١٤٢ والخبر في عرائس المجالس ١٥٧، ١٥٨.
(٢) أثبتها ياقوت «باجَرْما» بالألف الممدودة، وقال: بفتح الجيم، وسكون الراء، وميم، وألف مقصورة. قرية من أعمال البَليخ قرب الرَّقّة من أرض الجزيرة. (معجم البلدان ١/٣١٣).
(٣) الطبري ١/٤٢٢، عرائس المجالس ١٦٣، ١٦٤، مرآة الزمان ١/٤٢٤، ٤٢٥.
(٤) عرائس المجالس ١٦٤.
(٥) القول للسُّدّي. (عرائس المجالس ١٦٤).
(٦) القول لابن عباس. (مرآة الزمان ١/٤٢٥).
(٧) أنظر القول وغيره في عرائس المجالس ١٦٤.
(٨) طه/٨٨.

ههنا وذهب يطلبه، فعكفوا عليه يعبدونه فقال لهم هارون: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُوني وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾[١]، فأطاعه بعضهم وعصاه بعضهم، فأقام بمن معه ولم يقاتلهم.

ولما ناجى الله تعالى موسى قال له: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى؟ قَالَ: هُمْ أُولاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى. قَالَ: فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ - يا موسى - وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾[٢]. فقال موسى: يا ربّي هذا السامريّ قد أمرهم أن يتّخذوا[٣] العجل، من نفخ فيه الروح؟ قال: أنا. قال: فأنت إذاً أضللتهم[٤].

ثمّ إنّ موسى لما كلّمه الله تعالى أحبّ أن ينظر إليه قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ. قَالَ: لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي. فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً، وخَرَّ مُوسَى صَعِقاً، فَلَمّا أَفَاقَ قَالَ: سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ، وَأَنَا أَوّلُ المُؤْمِنِينَ﴾[٥]. وأعطاه الألواح فيها الحلال والحرام والمواعظ.

وعاد موسى ولا يقدر أحد أن ينظر إليه، وكان يجعل عليه حريرة نحو أربعين يوماً، ثمّ يكشفها لما تغشّاه من النور، فلمّا وصل إلى قومه ورأى عبادتهم العجلَ ألقى الألواح وأخذ برأس أخيه ولحيته يجرّه إليه، ﴿قَالَ: يَا ابْنَ أُمِّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾[٦]. فترك هارون وأقبل على السامريّ وقال: ﴿مَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ؟ قَالَ: بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ، فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لي نَفْسِي. قَالَ: فَاذْهَبْ فَإِنّ لَكَ في الحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾[٦]. ثمّ أخذ العجل وبرده بالمبارد وأحرقه، وأمر السامريّ فبال عليه[٧] وذراه في البحر[٨].

فلمّا ألقى موسى الألواحَ ذهب ستّة أسباعِها وبقي سبعُ، وطلب بنو إسرائيلَ التوبةَ،

---

(١) طه/٩٠.

(٢) طه/٨٣ - ٨٥.

(٣) في النسخة (ب): «بعبادة» بدل «أن يتخذوا».

(٤) الطبري ١/٤٢٢، عرائس المجالس ١٦٥، مرآة الزمان ١/٤٢٦.

(٥) الأعراف/٨٣ - ٨٥.

(٦) طه/٩٤ - ٩٧.

(٧) استخفافاً به وتصغيراً له. (عرائس المجالس).

(٨) الطبري ١/٤٢٣، ٤٢٤، عرائس المجالس ١٦٥، ١٦٦.

فأبَى الله أن يقبـل تـوبَتهم، وقال لهم مـوسى: ﴿يَا قَـوْمِ إنّكُمْ ظَلَمْتُمْ أنْفُسَكُمْ بِاتِّخَـاذِكُمُ العِجْلَ فَتُوبُوا إلى بَارِئِكُمْ فَـاقْتُلُوا أنْفُسَكُمْ﴾[1]، فاقتتـل الذين عبـدوه والذين لـم يعبـدوه، فكان مَنْ قُتل من الفريقَين شهيداً، فقُتل منهم سبعون ألفاً، وقام مـوسى وهارون يـدعوان الله، فعفا عنهم وأمرهم بالكفّ عن القتال، وتابَ عليهم[2].

وأراد موسى قتلَ السامريّ فأمره الله بتركه وقال: إنّه سخيٌّ، فلعنه موسى[3].

ثمّ إنّ موسى اختار من قومه سبعين رجـلاً من أخيارهم[4] وقـال لهم: انطلقـوا معي إلى الله فتوبوا ممّا صنعتم وصوموا وتطهّروا. وخرج بهم إلى طور سينا للميقات الذي وقّته الله له. فقالوا: اطلبْ أن نسمع كلام ربّنا. فقال: أفعلُ. فلمّا دنا مـوسى من الجبل وقـع عليه الغمام حتى تغشّى الجبل كلّه، ودخل فيـه موسى وقـال للقوم: ادنـوا، فدنـوا حتى دخلوا في الغمام، فوقعوا سجوداً، فسمعـوه وهو يكلّم مـوسى يأمـره وينهاه، فلمّـا فـرغ انكشف عن مـوسى الغمام، فـأقبل إليهم، فقـالوا لمـوسى: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّى نَـرَى الله جَهْـرَةً﴾[5] فَأَخَذَتْهُمُ الصّاعقَةُ فمـاتوا جميعـاً. فقام مـوسى يناشـد الله تعالى ويـدعوه ويقـول: يا ربّ اخترت أخيارَ بني إسرائيل، وأعودُ إليهم وليسوا معي، فـلا يصدّقـونني. ولم يزل يتضـرّع حتى ردّ الله إليهم أرواحهم، فعاشوا رجلاً رجلاً، ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون[6]. فقالوا: يا موسى أنت تدعو الله فلا تسأله شيئاً إلاّ أعطاكَه، فادعُهُ يجعلنـا أنبياء. فـدعا الله فجعلهم أنبياء[7].

وقيل: أمرُ السبعين كان قبل أن يتوب الله على بني إسرائيـل، فلمّا مضـوا للميقات واعتذروا قَبل[8] توبتهم، وأمرهم أن يقتل بعضهم بعضاً، والله أعلم[9].

ولما رجع موسى إلى بني إسرائيل ومعه التوراة، أبوا أن يقبلوهـا ويعملوا بما فيهـا، لـلأثقال والشـدّة التي جـاء بهـا، وأمـر الله جبـرائيـل فقلع جبـلاً من فلسـطين على قـدر عسكرهم، وكان فرسخاً في فرسخ، ورفعه فوق رؤوسهم مقدار قامـة الرجـل مثل الـظُّلّة،

(١) البقرة/٥٤.
(٢) الطبري ١/٤٢٤.
(٣) عرائس المجالس ١٦٦.
(٤) في النسخة (ب): «أحبارهم» والمثبت يتّفق مع صيغة الطبري: «الخيّر فالخيّر» (١/٤٢٧).
(٥) البقرة/٥٥.
(٦) الخبر في عرائس المجالس ١٦٦، ١٦٧، والطبري ١/٤٢٧، ٤٢٨.
(٧) الطبري ١/٤٢٩.
(٨) في النسخة (ر): «اعتذروا وتابوا قبل».
(٩) الطبري ١/٤٢٨.

وبعث ناراً من قِبَل وجوههم، وأتاهم البحر من خلفهم، فقال لهم موسى: خذوا ما آتيناكم بقوّة واسمعوا، فإن قبلتموه وفعلتم ما أُمرتم به، وإلّا رضختم بهذا الجبل، وغُرِّقتم في هذا البحر وأُحرقتم بهذه النّار. فلمّا رأوا أن لا مهرب لهم قبِلوا ذلك وسجدوا على شقّ وجوههم، وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود، فصارت سنّة في اليهود، يسجدون على جانب وجوههم وقالوا: سمعنا وأطعنا[1].

ولما رجع موسى من المناجاة بقي أربعين يوماً لا يراه أحد إلّا مات، وقيل: ما رآه إلّا عمي، فجعل على وجهه ورأسه برنساً لئلّا يُرى وجهه[2].

ثمّ إنّ رجلاً من بني إسرائيل قتل ابن عمّ له، ولم يكن له وارث غيره ليرث ماله، وحمله وألقاه بموضع آخر، ثمّ أصبح يطلب دمه عند موسى من بعض بني إسرائيل، فجحدوا، فسأل موسى ربّه، فأمرهم أن يذبحوا بقرة، فقالوا: ﴿**أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً؟ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ، أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ**﴾[3] المستهزئين. فقالوا له: ما هي؟ ولو ذبحوا بقرةً ما لأجزأت عنهم، ولكنّهم شدّدوا فشدّد الله عليهم، وإنّما كان تشديدهم لأنّ رجلاً منهم كان بَرّاً بأمّه، وكان له بقرة على النعت المذكور، فنفعه برُّه بأمّه، فلم يجدوا على الصفة المذكورة إلّا بقرته[4]، فباعها منهم بملء جلدها ذهباً، فلمّا سألوا موسى عنها قال: ﴿**إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ**﴾[5]. يقول: لا كبيرة ولا صغيرة نصف بين السنين. ﴿**قَالُوا: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا. قَالَ: إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ. قَالُوا: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ، إِنّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا... قَالَ: إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيهَا** - يعني لا عيب فيها، وقيل لا بياض فيها - **قَالُوا: الآنَ جِئْتَ بِالحَقِّ**﴾[6]. وطلبوها فلم يجدوا إلّا بقرة ذلك الرجل البارّ بأمّه، فاشتروها، فغالى بها حتى أخذ مِلْء جلْدها ذهباً، فذبحوها وضربوا القتيل بلسانها، وقيل: بغيره، فحيي وقام وقال: قتلني فلان. ثمّ مات[7].

---

(١) الخبر في عرائس المجالس ١٦٢، ١٦٣.
(٢) عرائس المجالس ١٦٣.
(٣) البقرة/٦٧.
(٤) إلّا بقرة له.
(٥) البقرة/٦٨.
(٦) البقرة/٦٩ - ٧١.
(٧) الخبر هنا مختصر عما في عرائس المجالس للثعلبي ١٨١ - ١٨٤ وهو ليس في تاريخ الطبري.

ذكر أمر بني إسرائيل في التيه[1]
ووفاة هارون عليه السلام

ثمّ إنّ الله تعالى أمر موسى، عليه السلام، أن يسير ببني إسرائيل إلى أريحا بلد الجبّارين، وهي أرض بيت المقدس، فساروا حتى كانوا قريباً منهم، فبعث موسى اثني عشر نقيباً من سائر أسباط بني إسرائيل، فساروا ليأتوا بخبر الجبّارين، فلقيَهُم رجلٌ من الجبّارين يقال له عوج[2] بن عناق[3]، فأخذ الاثني عشر، فحملهم وانطلق بهم إلى امرأته فقال: انظري إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون أنّهم يريدون أن يقاتلونا، وأراد أن يطأهم برِجله؛ فمنعته امرأته وقالت: أَطْلِقْهم ليرجعوا ويخبروا قومَهم بما رأوا، ففعل ذلك، فلمّا خرجوا قال بعضهم لبعض: إنّكم إنْ أخبرتم بني إسرائيل بخبر هؤلاء لا يقدموا عليهم، فاكتموا الأمر عنهم؛ وتعاهدوا على ذلك ورجعوا، فنكث عشرة منهم العهد وأخبروا بما رأوا، وكتم رجلان منهم، وهما: يوشع بن نون، وكالب بن يوفنّا[4] خَتن موسى، ولم يخبروا إلّا موسى وهارون، فلّما سمع بنو إسرائيل الخبر عن الجبّارين امتنعوا عن المسير إليهم. فقال لهم موسى: **﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الّتي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ. قَالُوا: يَا مُوسَى إنّ فِيهَا قَوْماً جَبّارِينَ وَإنّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتّى يَخْرُجُوا مِنْهَا، فَإنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإنّا دَاخِلُونَ. قَالَ رَجُلَانِ - وهما يوشع وكالب - مِنَ الّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا: ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ البَابَ فَإذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإنّكُمْ غَالِبُونَ﴾**[5]. **﴿قَالُوا: يَا مُوسَى إنّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا، فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا، إنّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾**[6].

---

(١) تاريخ الطبري ١/٤٢٩، عرائس المجالس ١٩٣، البدء والتاريخ ٣/٨٧، تاريخ اليعقوبي ١/٣٦، تاريخ سنيّ ملوك الأرض والأنبياء ٧٩، مروج الذهب ١/٤٩، مرآة الزمان ٤٢٨، تاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٨، نهاية الأرب للنويري ١٣/٢٥٧، البداية والنهاية لابن كثير ١/٢٨٠.

(٢) في تاريخ الطبري ١/٤٢٩ «عاج»، والمثبت يتّفق مع عرائس المجالس ١٩٣ ومرآة الزمان ١/٤٢٩.

(٣) في عرائس المجالس «عنق»، والمثبت يتّفق مع مرآة الزمان.

(٤) في تاريخ الطبري ١/٤٣٠ «كالوب بن يوفنّة»، وقيل «كلاب».

(٥) المائدة/٢١ - ٢٣. وفي النسخة (ر) زيادة بعد (غالبون): «وعلى الله فتوكّلوا إن كنتم مؤمنين، قالوا يا موسى إنّ فيها قوماً جبّارين فإنّا لن...».

(٦) المائدة/٢٤.

فغضب موسى فدعا عليهم فقال: ﴿رَبِّ إنّي لا أَمْلِكُ إلاّ نَفْسِي وَأَخِي، فَأفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ القَوْمِ الفَاسِقِينَ﴾[1]، وكانت عجلة من موسى. فقال الله تعالى: ﴿فَإنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ في الأَرْضِ﴾[2]. فندم موسى حينئذ. فقالوا له: فكيف لنا بالطعام؟ فأنزل الله المنّ والسلوى.

فأمّا المنّ فقيل هو كالصمغ، وطعمه كالشهد، يقع على الأشجار.

وقيل: هو الترنجبين[3].

وقيل: هو الخبز الرقاق.

وقيل: هو عسل كان ينزل، لكلّ إنسان صاع.

وأمّا السَّلْوَى فهو طائر يشبه السُّمانَى. فقالوا: أين الشراب؟ فأمر موسى فضرب بعصاه الحجر ﴿فَٱنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾[4] لكلّ سِبطٍ عين. فقالوا: أين الظلّ؟ فظلّل عليهم الغمام. فقالوا: أين اللّباس؟ فكانت ثيابهم تطول معهم[5] ولا يتمزّق لهم ثوب. ثمّ قالوا: ﴿يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا. قَالَ: أَتَسْتَبْدِلُونَ الّذِي هُوَ أَدْنَى بِالّذِي هُوَ خَيْرٌ؟ اهْبِطُوا مِصْراً فَإنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾[6]. فلمّا خرجوا من التيه رفع عنهم المنّ والسلوى[7].

ثمّ إنّ موسى التقى هو وعوج بن عناق، فوثب موسى عشرة أذرع، وكانت عصاه عشرة أذرع، وكان طوله عشرة أذرع، فأصاب كعب عوجَ فقتله.

وقيل: عاش عوج ثلاثة آلاف سنة[8].

ثمّ إنّ الله أوحى إلى موسى: إنّي متوفٍّ هارون. فأتِ به جبلَ كذا وكذا. فانطلقا نحوه، فإذا هم فيه بشجرةٍ لم يروا مثلها، وفيه بيت مبنيّ وسرير عليه فرش، وريح طيّبة،

---

(١) المائدة/٢٥.

(٢) المائدة/٢٦.

(٣) في النسختين (ب) و(ت): «الطرنجبين»
والترنجبين: طلّ يقع من السماء، وهو ندى شبيه بالعسل جامد متحبّب. تأويله عسل الندى، وأكثر ما يقع بخراسان على شجر الحاج. (المعتمد في الأدوية المفردة ٣٥).

(٤) البقرة/٦٠.

(٥) في النسخة (ب): «عليهم».

(٦) البقرة/٦١.

(٧) الطبري ١/٤٢٩ - ٤٣١، عرائس المجالس ١٩٢، ١٩٣.

(٨) الطبري ١/٤٣١.

فلمّا رآه هارون أعجبه، قال: يا موسى إنّي أريد أن أنام على هذا السرير. فقال له موسى: نمْ. قال: إنّي أخاف ربَّ هذا البيت أن يأتي فيغضب عليّ. قال موسى: لا تخف أنا أكفيك. قال: فنمْ معي. فلمّا ناما أخذ هارونَ الموتُ، فلمّا وجد حسّه قال: يا موسى خدعتني! فتُوُفّي ورُفع على السرير إلى السماء. ورجع موسى إلى بني إسرائيل، فقال له بنو إسرائيل: إنّك قتلتَ هارونَ لحبّنا إيّاه. فقال: ويحكم أفترون أنّي أقتل أخي! فلمّا أكثروا عليه صلّى ودعا الله، فنزل بالسرير حتى نظروا إليه ما بين السماء والأرض، فأخبرهم أنّه مات، وأنّ موسى لم يقتله، فصدّقوه، وكان موته في التيه[1].

(١) الطبري ٤٣٢/١، وانظر عرائس المجالس ١٩٥ ومرآة الزمان ٤٤١/١ والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. (٥٧٩/٢).

ذكر وفاة موسى عليه السلام(١)

قيل: بينما موسى، عليه السلام، يمشي ومعه يوشع بن نون فتاه، إذ أقبلت ريح سوداء، فلمّا نظر إليها يوشع ظنّ أنّها الساعة، فالتزم موسى وقال: لا تقوم الساعة وأنا ملتزم نبيَّ الله. فاستلّ موسى من تحت القميص، وبقي القميص في يدي يوشع. فلمّا جاء يوشع بالقميص أخذه بنو إسرائيل وقالوا: قتلتَ نبيَّ الله! فقال: ما قتلتُه ولكنّه استُلّ منّي. فلم يصدّقوه. قال: فإذا لم تصدّقوني فأخّروني ثلاثة أيّام، فوكّلوا به مَنْ يحفظه، فدعا الله، فأُتِيَ كلّ رجل كان يحرسه في المنام، فأُخبر أنّ يوشع لم يقتل موسى، وأَنَّا [قد] رفعناه إلينا، فتركوه(٢).

وقيل: إنّ موسى كره الموت، فأراد الله أن يحبّب إليه الموت، فأوحى الله إلى يوشع بن نون، وكان يغدو عليه ويروح، ويقول له موسى: يا نبيّ الله ما أحدث الله إليك؟ فقال له يوشع بن نون: يا نبيّ الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة، فهل كنتُ أسألك عن شيءٍ ممّا أحدث الله لك؟ ولا يذكر له شيئاً. فلمّا رأى موسى ذلك كره الحياة وأحبّ الموت(٣).

وقيل: إنّه مرّ منفرداً برهط من الملائكة يحفرون قبراً، فعرفهم فوقف عليهم، فلم يرَ أحسن منه، ولم يرَ مثل ما فيه من الخُضْرة والبهجة. فقال لهم: يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر؟ فقالوا: نحفره لعبدٍ كريم على ربّه. فقال: إنّ هذا العبد له منزلٌ كريم ما رأيتُ مضجعاً ولا مدخلاً مثله. فقالوا: أتحبّ أن يكون لك؟ قال: وددتُ. قالوا: فانزل واضطّجع فيه، وتوجّه إلى ربّك، وتنفّس أسهل تنفّس تتنفّسه. فنزل فيه وتوجّه إلى ربّه ثمّ تنفّس، فقبض الله روحه ثمّ سوّت الملائكة عليه التراب(٤).

---

(١) الطبري ١/٤٣٢، عرائس المجالس ١٩٤، مرآة الزمان ١/٤٤٢، نهاية الأرب ١٣/٢٧٥، تاريخ اليعقوبي ١/٤٥، المعارف ٤٤، البداية والنهاية ١/٣١٦.

(٢) الطبري ١/٤٣٢، ٤٣٣.

(٣) الطبري ١/٤٣٣.

(٤) الطبري ١/٤٣٣، ٤٣٤ وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٥٨٠.

وكان، صلّى الله عليه وسلّم، زاهداً في الدنيا راغباً فيما عند الله[1]، إنّما كان يستظلّ في عريش، ويأكل ويشرب من نقير من حجر تواضعاً إلى الله تعالى[2].

وقال النبيّ، ﷺ: «إنّ الله أرسل مَلَكَ الموت ليقبض روحه، فلطمه ففقأ عينه، فعاد وقال: يا ربّ أرسلتني إلى عبد لا يحبّ الموت. قال الله: ارجعْ له وقلْ له يضع يده على ظهر ثور، وله بكلّ شعرة تحت يده سنة، وخيِّره بين ذلك وبين أن يموت الآن. فأتاه مَلَكُ الموت وخيّره، فقال له: فما بعد ذلك؟ قال: الموت. قال: فالآن إذن. فقبض روحه». وهذا القول صحيح قد صحّ النقل به عن النبيّ، ﷺ[3]، فكان موته في التيه أيضاً.

وقيل: بل هو الذي فتح مدينة الجبّارين على ما نذكره.

وكان جميع عمر موسى مائة وعشرين سنة، من ذلك في ملك أفريدون عشرون، وفي ملك مِنُوجهر[4] مائة سنة، وكان ابتداء أمره منذ بعثه الله إلى أن قبضه في ملك مِنُوجِهر[5].

ثمّ نُبّيء بعده يوشع بن نون، فكان في زمن مِنُوجِهر عشرين سنة، وفي زمن أفراسياب سبع سنين.

---

(١) الطبري ١/٤٣٤ وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٥٨٠.

(٢) الطبري ١/٤٣٣ وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٥٨٠.

(٣) أخرجه البخاري في الجنائز ٦٩، ومسلم في الفضائل ١٥٧، ١٥٨، والحاكم في المستدرك ٢/٥٧٨ من طريق عليّ بن جمشاد العدل، عن حمّاد بن سلمة، عن عمار بن أبي عمار، عن أبي هريرة، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأخرجه أحمد في المسند ٢/٢٦٩، و ٣١٥ وانظر تاريخ الطبري ١/٤٣٤، ومرآة الزمان ١/٤٤٢، وعرائس المجالس ١٩٤.

(٤) في تاريخ الطبري، ومرآة الزمان «منوشهر».

(٥) الطبري ١/٤٣٤، مرآة الزمان ١/٤٤٤.

ذكر يوشع بن نون عليه السلام[1] وفتح مدينة الجبّارين

لما توفّي موسى، بعث الله يوشع بن نون بن إفرائيم[2] بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، عليه السلام، نبيّاً إلى بني إسرائيل وأمره بالمسير إلى أريحا مدينة الجبّارين، واختلف العلماء في فتحها على يد مَنْ كان.

فقال ابن عبّاس: إنّ موسى وهارون تُوُفّيا في التيه، وتوفّي فيه كلّ مَنْ دخله، وقد جاوز العشرين سنة، غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنّا[3]، فلمّا انقضى أربعون سنة أوحى الله إلى يوشع بن نون فأمره بالمسير إليها وفتْحها، ففتحها[4]. ومثله قال قتادة والسُّدَيّ وعِكْرِمة.

وقال آخرون: إنّ موسى عاش حتى خرج من التّيهِ، وسار إلى مدينة الجبّارين، وعلى مقدّمته يوشع بن نون ففتحها؛ وهو قول ابن إسحاق[5].

قال ابن إسحاق: سار موسى بن عمران إلى أرض كنعان لقتال الجبّارين، فقدّم يوشع بن نون وكالب بن يوفنّا، وهو صهره على أخته مريم بنت عمران، فلمّا بلغوها اجتمع الجبّارون إلى بلعم بن باعور، وهو من ولد لوط، فقالوا له: إنّ موسى قد جاء ليقتلنا ويُخرجنا من ديارنا فادْعُ الله عليهم. وكان بلعم يعرف اسم الله الأعظم، فقال لهم: كيف أدعو على نبيّ الله والمؤمنين ومعهم الملائكة! فراجعوه في ذلك، وهو يمتنع عليهم، فأتوا امرأته وأهدوا لها هديّة، فقبلتْها، وطلبوا إليها أن تحسّن لزوجها أن يدعو

---

(١) تاريخ الطبري ١/٤٣٥، عرائس المجالس ١٩٥، ١٩٦، مرآة الزمان ١/٤٥٢، الكسائي ٢٤٠، ابن وثيمة ٥١، تاريخ اليعقوبي ١/٤٦، البدء والتاريخ ٣/٩٦، المعارف ٤٤، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٧٩، مروج الذهب ١/٥٠ تاريخ مختصر الدول ٢١، نهاية الأرب للنويري ١٤/١ البداية والنهاية ١/٣١٩، العهد القديم ـ سفر يشوع ـ الإصحاح الأول ـ ص ٣٣٧.

(٢) يُقال «إفرائيم» و«إفراييم» و«إفرايم». وفي مرآة الزمان ١/٤٥٢ «افراثم» بالثاء، وهو تحريف.

(٣) في تاريخ الطبري ١/٤٣٧: «كلاب بن يوفنّة».

(٤) الطبري ١/٤٣٥ والمثبت يتفق مع المقدسي في البدء والتاريخ ٣/٩٧.

(٥) الطبري ١/٤٣٦.

على بني إسرائيل، فقالت له في ذلك، فامتنع، فلم تزل به حتى قال: أستخير الله. فاستخار الله تعالى، فنهاه في المنام، فأخبرها بذلك، فقالت: راجع ربّك. فعاود الاستخارة فلم يُرد إليه جواب. فقالت: لو أراد ربّك لنهاك، ولم تزل تخدعه حتى أجابهم، فركب حماراً له متوجّهاً إلى جبل مشرف على بني إسرائيل، ليقف عليه ويدعو عليهم، فما سار عليه إلّا قليلاً حتى ربض الحمار، فنزل عنه وضربه حتى قام فركبه، فسار به قليلاً فبرك، فعل ذلك ثلاث مرّات، فلمّا اشتدّ ضرْبه في الثالثة أنطقه الله فقال له: ويحك يا بلعم أين تذهب؟ أما ترى الملائكة تردّني؟ فلم يرجع، فأطلق الله الحمارَ حينئذٍ، فسار عليه حتى أشرف على بني إسرائيل، فكان كلّما أراد أن يدعو عليهم ينصرف لسانه إلى الدعاء لهم، وإذا أراد أن يدعو لقومه انقلب دعاؤه عليهم، فقالوا له في ذلك، فقال: هذا شيء غَلَبَنا الله عليه، واندلع لسانُه فوقع على صدره، فقال: الآن قد ذهبت منّي الدنيا والآخرة، ولم يبقَ غير المكر والحيلة.

وأمرهم أن يزيّنوا نساءهم، ويعطوهنّ السلع للبيع، ويرسلوهنّ إلى العسكر، ولا تمنع امرأة نفسها ممّن يريدها. وقال: إن زنَى منهم رجل واحد كُفيتموهم، ففعلوا ذلك، ودخل النساء عسكرَ بني إسرائيل، فأخذ زمرى بن شلوم، وهو رأس سِبط شمعون بن يعقوب، امرأة وأَتَى بها موسى فقال له: أظنّك تقول هذا حرام، فوالله لا نطيعك، ثمّ أدخلها خيمته فوقع عليها، فأنزل الله عليهم الطاعون، وكان فنحاص بن العزار[1] بن هارون صاحب أمر[2] عمّه موسى غائباً، فلمّا جاء رأى الطاعون قد استقرّ في بني إسرائيل، وأُخبر الخبر. وكان ذا قوّة وبطش، فقصد زمرى، فرآه وهو مضاجع المرأة، فطعنهما بحربة في يده فانتظمهما، ورُفع الطاعون، وقد هلك في تلك الساعة عشرون ألفاً، وقيل: سبعون ألفاً، فأنزل الله في بلعم: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ**﴾[3].

ثمّ إنّ موسى قدّم يوشع إلى أريحا في بني إسرائيل، فدخلها وقتل بها الجبّارين، وبقيت منهم بقيّة، وقد قاربت الشمس الغروب، فخشي أن يدركهم اللّيل فيُعْجِزوه، فدعا الله تعالى أن يحبس عليهم[4] الشمس، ففعل وحبسها حتى استأصلهم، ودخلها موسى، فأقام بها ما شاء الله أن يقيم، وقبضه الله إليه، لا يعلم بقبره أحد من الخلق[5].

---

(١) في تاريخ الطبري ١/٤٣٩ «العيزار».

(٢) في النسخة (ب): «امرأة» وهو وهْم.

(٣) الأعراف/١٧٥.

(٤) في النسخة (ب): «عليه».

(٥) الخبر في تاريخ الطبري ١/٤٣٧ - ٤٣٩.

وأمّا مَن زعم أنّ موسى كان قد توفّي قبل ذلك فقال: إنّ الله أمر يوشع بالمسير إلى مدينة الجبّارين، فسار ببني إسرائيل، ففارقه رجل يقال له بلعم بن باعور، وكان يعرف الاسم الأعظم، وساق من حديثه نحو ما تقدّم.

فلمّا ظفر يوشع بالجبّارين أدركه المساء ليلة السبت، فدعا الله فردّ الشمس عليه، وزاد في النهار ساعة، فهزم الجبّارين، ودخل مدينتهم، وجمع غنائمهم ليأخذها القربان، فلم تأتِ النّار، فقال يوشع: فيكم غلول[1] فبايعوني، فبايعوه، فلصقت يده في يد مَنْ غلّ، فأتاه برأس ثور من ذهب مكلّل بالياقوت، فجعله في القربان، وجعل الرجل معه، فجاءت النّار فأكلتهما[2].

وقيل: بل حصرها ستّة أشهر، فلمّا كان السابع تقدّموا إلى المدينة وصاحوا صيحةً واحدةً، فسقط السور، فدخلوها وهزموا الجبّارين[3]، وقتلوا فيهم فأكثروا[4].

ثمّ اجتمع جماعة من ملوك الشام، وقصدوا يوشع، فقاتلهم وهزمهم، وهرب الملوك إلى غار، فأمر بهم يوشع بن نون فقُتلوا وصُلبوا. ثمّ ملك الشام جميعه، فصار لبني إسرائيل، وفرّق عمّاله فيه. ثمّ توفّاه الله فاستخلف على بني إسرائيل كالب بن يوفنّا.

وكان عمر يوشع مائة وستّاً وعشرين سنة، وكان قيامه بالأمر بعد موسى سبعاً وعشرين سنة[5].

وأمّا مَنْ بقي من الجبّارين، فإنّ إفريقش[6] بن قيس بن صيفيّ بن سبأ بن كعب بن زيد بن حمير بن سبأ بن يشجُب بن يعرُب بن قحطان مرّ بهم متوجّهاً إلى إفريقية، فاحتملهم من سواحل الشام، فقدِم بهم إفريقية، فافتتحها، وقتل ملكها جرجير[7] وأسكنهم إيّاها، فهم البرابرة.

وأقام من حِمْيَر في البربر صنْهاجَة وكُتَامة، فهم فيهم إلى اليوم[8].

---

(١) في النسخة (ر): «إن فيكم غلولاً».
(٢) الطبري ١/٤٤٠.
(٣) في النسخة (ر) زيادة: «أقبح هزيمة».
(٤) الطبري ١/٤٤١.
(٥) الطبري ١/٤٤٢.
(٦) في تاريخ الطبري ١/٤٤٢ «إفريقيس».
(٧) في النسخة (ب): «ابن حمير» وقد رُسمت «برحير».
(٨) الطبري ١/٤٤٢.

ذكر أمر قارون[1]

وكان قارون بن يصهر بن قاهث، وهو ابن عمّ موسى بن عمران بن قاهث.

وقيل: كان عمّ موسى؛ والأوّل أصحّ.

وكان عظيم المال كثير الكنوز.

قيل: إنّ مفاتيح خزائنه كانت تُحمل على أربعين بغلاً[2]، فبغى على قومه بكثرة ماله، فوعظوه ونهوه، وقالوا له ما قصّ الله تعالى في كتابه: ﴿**لا تَفْرَحْ إنّ الله لاَ يُحِبُّ الفَرِحِينَ، وَآبْتَغِ فِيمَا آتاكَ الله الدّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا وَأحْسِنْ كَمَا أحْسَنَ الله إلَيْكَ وَلا تَبْغِ الفَسَادَ في الأرْضِ إنّ الله لا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ**﴾[3]؛ فأجابهم جواب مغترٍّ لحلم الله عنه فقال: إنّما أوتيتُه، يعني المال والخزائن، على عِلمٍ عندي.

قيل على خبرٍ ومعرفة منّي.

وقيل: لولا رِضى الله عنّي ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا.

فلم يرجع عن غيّه، ولكنّه تمادى في طغيانه، حتى ﴿**خَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ في زِينَتِهِ**﴾[4]، وهي أنّه ركب بِرْذَوْناً أبيض بمراكب الأرجوان المذهبّة، وعليه الثياب المعصفرة، وقد حمل معه ثلاثمائة جارية على مثل برذونِهِ، وأربعة آلاف من أصحابه، وبنى داره وضرب عليها صفائح الذهب، وعمل لها باباً من ذهب، فتمنّى أهلُ الغفلة والجهل مثل ماله، فنهاهم أهل العلم بالله[5].

---

(١) تاريخ الطبري ١/٤٤٣، وعرائس المجالس ١٦٧، البدء والتاريخ ٣/٨٦، تفسير الطبري (سورة القَصَص)، زاد المسير ٦/٢٣٩ ـ ٢٤٥، الدّرر المنثور/١٣٦، مرآة الزمان ١/٤٤٩، نهاية الأرب ١٣/٢٣٢، تفسير ابن كثير ٥/٢٩٧، البداية والنهاية ١/٣٠٩.

(٢) تاريخ الطبري ١/٤٤٥، تفسير الطبري ٢٠/٦٨ وقيل كانت تُحمَل على ستين بغلاً.

(٣) القصص/٧٦ ـ ٧٧.

(٤) القصص/٧٩.

(٥) الطبري ١/٤٤٦.

وأمره الله تعالى بالزكاة، فجاء إلى موسى من كلّ ألف دينارٍ دينارٌ، وعلى هذا من كلّ ألف شيءٍ شيءٌ، فلمّا عاد إلى بيته وجده كثيراً، فجمع نفراً يثق بهم من بني إسرائيل فقال: إنّ موسى أمركم بكلّ شيء فأطعتموه، وهو الآن يريد أخْذَ أموالكم. فقالوا: أنت كبيرنا وسيّدنا فمُرنا بما شئتَ. فقال: آمركم أن تُحضِروا فلانة البَغِيّ، فتجعلوا لها جُعلاً فتقذفه بنفسها، ففعلوا ذلك، فأجابتهم إليه.

ثمّ أتَى موسى فقال: إنّ قومك قد اجتمعوا لك لتأمرهم وتنهاهم. فخرج إليهم فقال: من سرق قطعناه، ومن افترى جلدناه، ومَن زنَى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة، وإن كانت له امرأة رجمناه حتى يموت. فقال له قارون: وإن كنتَ أنتَ؟ فقال: نعم. قال: فإنّ بني إسرائيل يزعمون أنّك فَجَرْتَ بفلانة. فقال: ادعوها فإنْ قالت فهو كما قالت.

فلمّا جاءت قال لها موسى: أقسمتُ عليك بالذي أنزل التوراة إلّا صدقتِ: أنا فعلتُ بك ما يقول هؤلاء؟ قالت: لا، كذبوا، ولكن جعلوا لي جُعلاً على أن أقذفك. فسجد ودعا عليهم، فأوحى الله إليه: مُرِ الأرضَ بما شئتَ تُطِعْك. فقال: يا أرض خُذيهم[1].

وقيل: إنّ هذا الأمر بلغ موسى، فدعا الله تعالى عليه، فأوحى الله إليه: مُرِ الأرضَ بما شئتَ تُطِعْك. فجاء موسى إلى قارون، فلمّا دخل عليه عرف الشرّ في وجهه فقال له: يا موسى ارحمني. فقال موسى: يا أرض خُذيهم. فاضطربت داره وساخت بقارون وأصحابه إلى الكعبَين، وجعل يقول: يا موسى ارحمني. قال: يا أرض خذيهم. فأخذتهم إلى رُكَبُهم. فلم يزل يستعطفه وهو يقول: يا أرض خذيهم، حتى خسف بهم، فأوحي الله إلى موسى: ما أفظّك! أما وعزّتي لو إيّاي نادى لأجبته، ولا أعيد الأرض تُطيع أحداً أبداً بعدك، فهو يخسف به كلّ يوم[2]، فلمّا أنزل الله نقمته حمدَ المؤمنونَ اللهَ، وعرف الذين تمنّوا مكانه بالأمس خطأ أنفسهم واستغفروا وتابوا[3].

---

(١) الطبري ١/٤٤٧ وانظر عرائس المجالس ١٦٩، ١٧٠.

(٢) في النسختين (ب) و(ر): «كل يوم قامة».

(٣) عرائس المجالس ١٧٠، تاريخ الطبري ١/٤٥٠.

ذكر من ملك من الفرس بعد مِنُوجِهْر[1]

لما هلك مِنُوجِهرْ ملك فارس، سار أفراسياب[2] بن فشنج بن رستم ملك الترك إلى مملكة الفرس، واستولى عليها، وسار إلى أرض بابل، وأكثر المقام بها، وبِمِهْرِجانقذَق[3]، وأكثر الفساد في مملكة فارس، وعظُم ظلمُه، وأخرب ما كان عامراً، ودفن الأنهار والقِنيّ، وقحط النّاس سنة خمسٍ من ملكه، إلى أن خرج عن مملكة فارس، ولم يزل النّاس منه في أعظم البليّة إلى أنّ ملك زوّ بن طهْماسَب.

وكان مِنُوجِهر قد سخط على ولده طهْماسَب ونفاه عن بلاده، فأقام في بلاد الترك عند ملِكٍ لهم يقال لهم وامن، وتزوّج ابنته، فولدت له «زوّ بن طهْماسَب»، وكان المنجّمون قد قالوا لأبيها: إن ابنته تلد ولداً يقتله، فسجنها، فلمّا تزوّجها طهْماسَب وولدت منه، كتمت أمرَها وولدها، ثمّ إنّ مِنوجِهر رضي عن طهْماسَب وأحضره إليه، فاحتال في إخراج زوجته وابنه زوّ من محبسهما، فوصلت إليه.

ثمّ إنّ زوّاً فيما ذُكر قتل جدّه، وأمّن في بعض الحروب [التُّرك]، وطرد أفراسيابَ التركيّ عن مملكة فارس، حتى ردّه إلى الترك بعد حروبٍ جرت بينهما، فكانت غَلَبَة أفراسياب على أقاليم بابل ومملكة الفرس اثنتي عشرة سنة، من لدن توفّي مِنوجِهر، إلى أن أخرجه عنها زوّ، وكان إخراجه عنها في روزابان من شهر ابان ماه، فاتّخذ لهم هذا اليوم عيداً، وجعلوه الثالث لعيدَيهم النوروز والمِهرجان.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١/١٥٨، تاريخ الطبري ١/٤٥٣، مروج الذهب ١/٢٢٤، أخبار الزمان للمسعودي ١٠١، البدء والتاريخ للمقدسي ١/١٤٧، تاريخ سنيّ ملوك الأرض للأصفهاني ١٤، نهاية الأرب للنويري ١٥/١٤٩، تاريخ الخميس ١/١٦٢.

(٢) في تاريخ الطبري ١/٤٥٣، ومروج الذهب ١/٢٢٥ «فراسياب» من غير ألف في أوله، والمثبت يتفق مع تاريخ اليعقوبي، وتاريخ سنيّ الملوك، والبدء والتاريخ.

(٣) مِهْرِجان قَذَق: ثلاث كلمات، بكسر أوله، وسكون ثانيه ثم راء. فهذا معناه الشمس أو المحبّة والشفقة، ثم جيم، وبعد الألف نون. وهذا معناه النفس أو الروح، ثم قاف مفتوحة وقد تُضَمّ، وذال معجمة وقاف أخرى. كورة حسنة واسعة ذات مدن وقرى قرب الصيمرة من نواحي الجبال عن يمين القاصد من حُلوان العراق إلى همذان في تلك الجبال. (معجم البلدان ٥/٢٣٣).

وكان زوّ محموداً في ملكه، محسناً إلى رعيّته، فأمر بإصلاح ما كان أفراسياب أفسده من مملكتهم، وبعمارة الحصون، وإخراج المياه التي غوّر طُرُقَها، حتى عادت البلادُ إلى أحسنَ ما كانت، ووضع عن النّاسِ الخراج سبع سنين، فعمرتِ البلادُ في ملكه، وكثُرت المعايشُ، واستخرج بالسواد نهراً وسمّاه الزاب[1]، وبنى عليه مدينة، وهي التي تسمّى العتيقة، وجعل لها طسّوج[2] الزاب الأعلى، وطسّوج الزاب الأوسط، وطسّوج الزاب الأسفل، وكان أوّل من اتخذ ألوان الطبيخ وأمر بها وبأصناف الأطعمة، وأعطى جنوده ما غنم من الترك وغيرهم.

وكان جميع ملكه إلى أن انقضت مدّته ثلاثَ سنين.

وكان كرشاسب بن أنوط[3] وزيره في ملكه ومُعينه فيه.

وقيل: كان شريكه في الملك؛ والأوّل أصحّ؛ وكان عظيم الشأن في فارس إلاّ أنّه لم يملك[4].

---

(١) أنظر مادّة «الزاب» في معجم البلدان ١٢٣/٣.

(٢) الطسُّوج: فارسيّ معرَّب بمعنى الناحية.

(٣) في تاريخ الطبري ٤٥٥/١ «أثرط»، والمثبت يتفق مع نسختين أُخريين من تاريخ الطبري. أنظر الحاشية رقم (٤).

(٤) الخبر في تاريخ الطبري ٤٥٣/١ - ٤٥٦.

ذكر ملك كَيْقَبَاذ[1]

ثمّ ملك بعد زوّ كَيْقَبَاذ بن راع[2] بن ميسرة[3] بن نوذر[4] بن مِنُوجِهر[5]، وقدّر مياه الأنهار والعيون لشرب الأرض، وسمّى البلادَ بأسمائها، وحدّها بحدودها، وكوّر الكُوَر، وبيّن حيّز كلّ كورة، وأخذ العُشر من غلّاتها لأرزاق الجند، وكان ـ فيما ذُكر ـ كيقباذ حريصاً على عمارة البلاد، ومنعها من العدوّ، كثير الكنوز.

وقيل: إنّ الملوك الكيانيّة[6] وأبناءَهم من نسله.

وجرت بينه وبين الترك حروب كثيرة، فكان مقيماً بالقرب من نهر بَلْخ، وهو جَيْحُون، لمنع الترك من تطرّق شيءٍ من بلاده[7].

وكان ملكه مائة سنة[8].

---

(١) تاريخ الطبري ١/٤٥٦، البدء والتاريخ للمقدسي ٣/١٤٧، تاريخ اليعقوبي ١/١٥٨، مروج الذهب ١/٢٢٦، نهاية الأرب ١٥/١٥٠، تاريخ الخميس ١/١٦٢.

(٢) في النسخة (ر): «راع». وفي تاريخ الطبري ١/٤٥٦ «زاغ».

(٣) في تاريخ الطبري «منشو».

(٤) في النسخة (ر): «نودرر».

(٥) في تاريخ الطبري: «كيقباذ بن زاغ بن نوحياه بن منشو بن نوذر بن منوشهر».

(٦) في تاريخ الطبري «الكيية».

(٧) الطبري ١/٤٥٦.

(٨) تاريخ اليعقوبي ١/١٥٨، البدء والتاريخ ٣/١٤٧، تاريخ الطبري ١/٤٥٦.

ذكر الأحداث في بني إسرائيل في عهد زو وكَيْقَبَاذ ونُبوة حِزْقِيل

لما توفّي يوشع بن نون قام بأمر بني إسرائيل بعده كالب بن يوفنّا، ثمّ حِزْقِيل بن نورى[1]، وهو الذي يقال له ابن العجوز، وإنّما قيل له ذلك لأنّ أمّه سألت الله الولدَ وقد كَبُرَت، فوهبه الله لها، وهو الذي دعا للقوم الموتَى فأحياهم الله.

وكان سبب ذلك: أنّ قرية يقال لها دَاوَرْدان[2] وقع بها الطاعون، فهرب عامّة أهلها ونزلوا ناحية، فهلك أكثر من بقي بالقرية، وسلِم الآخرون، فلمّا ارتفع الطاعون رجعوا. فقال الذين بقوا: أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منّا، ولو صنعنا كما صنعوا بقينا. فوقع الطاعون من قابل[3]، فهرب عامّة أهلها، وهم بضعة وثلاثون ألفاً، وقيل: ثلاثة آلاف، وقيل: أربعة آلاف، وقيل غير ذلك، حتى نزلوا ذلك المكان، فصاح بهم ملَك فماتوا ونخرت عظامهم، فمرّ بهم حزقيل[4] فلمّا رآهم جعل يتفكّر في بعثهم، فأوحى الله إليه: أتريد أن أريك كيف أحييهم؟ قال: نعم. فقيل: نادِ، فنادى: يا أيّتها العظام البالية إنّ الله يأمرك أن تجتمعي، فجعلت العظامُ تطير بعضها إلى بعض، حتى صارت أجساداً من عظام. ثمّ نادى: يا أيّتها العظام إنّ الله أمرك أن تكتسي [فاكتست][5] لحماً ودماً وثيابها التي ماتت فيها. ثمّ نادى: يا أيّتها الأرواح إنّ الله يأمرك أن تعودي إلى أجسادك. فعادت وقامت الأجسادُ أحياء، وقالوا حين أُحيوا: سبحانك ربّنا وبحمدك لا إله إلّا أنت! فرجعوا إلى قومهم أحياء يعرفون أنّهم كانوا موتَى، سُحْنَة الموت على وجوههم، لا يلبسون ثوباً إلّا عاد كَفَناً دسماً، ثمّ ماتوا، ثمّ مات حِزْقِيل؛ ولم تُذكر مدّته في بني إسرائيل.

---

(١) في تاريخ الطبري ١/٤٥٧ «بُوذَى».

(٢) في النسخة (ب): «واوودان»، وفي (ت): «اوودان»، وفي (ر): «راوودان»، وفي الطبعتين الأوربية وصادر ١/٢١٠: «راوردارة»، وقد أثبتنا ما جاء في تاريخ الطبري ١/٤٥٨ حيث يتفق مع معجم البلدان لياقوت ٢/٤٣٤ الذي ضبطها: بفتح الواو، وسكون الراء وآخره نون. من نواحي شرقي واسط بينهما فرسخ. ثم ذكر قصة الطاعون وحزقيل.

(٣) في النسخة (ب): «في بابل»، والمثبت يتفق مع الطبري وفيه «في قابل».

(٤) في تاريخ الطبري «هزفيل»، والمثبت يتفق مع تفسير الطبري ٥/٤٦٨.

(٥) في طبعة أوربة، وصادر: «فالبست» وأثبتنا ما يتفق مع الطبري.

وقيل: كانوا قوم حِزْقِيل، فلمّا أن ماتوا بكى حِزْقِيل وقال: يا ربّ كنتُ في قومٍ يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيداً! فقال الله: أتحبّ أن أحييهم؟ قال: نعم. قال: فإنّي قد جعلتُ حياتهم إليك. فقال حزقيل: احيوا بإذن الله تعالى، فعاشوا[1].

(١) الخبر في تاريخ الطبري ١/٤٥٧ ـ ٤٦٠، وفي تفسيره ٥/٢٧٢، ٢٧٣، وفي نهاية الأرب ١٤/٦ ـ ٩، وفي مرآة الزمان ١/٤٥٤ ـ ٤٥٦.

ذكر إلياس عليه السلام[1]

لما توفّي حزقيل كثرت الأحداثُ في بني إسرائيل، وتركوا عهدَ الله وعبدوا الأوثان، فبعث الله إليهم إلياس بن ياسين بن فِنْحاص بن العزار[2] بن هارون بن عمران نبيّاً.

وكان الأنبياء في بني إسرائيل بعد موسى بن عمران يُبعثون بتجديد ما نسوا من التوراة.

وكان إلياس مع ملك من ملوكهم يقال له أَخاب[3]، وكان يسمع منه ويصدقه، وكان إلياس يقيم له أمره، وكان بنو إسرائيل قد اتّخذوا صنماً يعبدونه يقال له بعل، فجعل إلياس يدعوهم إلى الله وهم لا يسمعون إلّا من[4] ذلك الملك، وكان ملوك بني إسرائيل متفرّقة، كلّ ملك قد تغلّب على ناحية يأكلها، فقال ذلك الملك الذي كان إلياس معه: والله ما أرى الذي تدعو إليه إلّا باطلاً لأنّي أرى فلاناً وفلاناً - يعدّ ملوك بني إسرائيل - قد عبدوا الأوثان فلم يضرّهم ذلك شيئاً، يأكلون ويشربون ويتمتّعون، ما يُنقص ذلك من دنياهم، وما نرى لنا عليهم من فضل.

ففارقه إلياس وهو يسترجع، فعبد ذلك الملك الأوثان أيضاً، وكان للملك جار صالح مؤمن يكتم إيمانه، وله بستان إلى جانب دار الملك والملك يحسن جواره، وللملك زوجة عظيمة الشرّ والكفر، فقالت له: ليأخذ بستان الرجل، فلم يفعل، فكانت تخلف زوجها إذا سار عن بلده وتظهر للنّاس، فغاب مرّة، فوضعت امرأته على صاحب البستان مَنْ شهد عليه أنّه سبّ الملك، فقتلته وأخذت بستانه، فلمّا عاد الملك غضب من ذلك واستعظمه وأنكره فقالت: فات أمره. فأوحى الله إلى إلياس يأمره أن يقول للملك وامرأته أن يردّا البستان على وَرَثَة صاحبه، فإن لم يفعلا غضب عليهما وأهلكهما في

---

(١) تاريخ الطبري ٤٦١/١، عرائس المجالس ١٩٨، الكسائي ٢٤٣، ابن وثيمة ٦٣، تهذيب تاريخ دمشق ٩٨/٣، مرآة الزمان ٤٥٩/١، نهاية الأرب ٩/١٤، البدء والتاريخ ٩٩/٣، البداية والنهاية ٣٢٥/١، المعارف لابن قتيبة ٥١.

(٢) تاريخ الطبري ٤٦١/١ وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ٢٢ «اليعازر». «والعيزار».

(٣) في الأصل «أجاب» وفي تاريخ الطبري «أحاب».

(٤) «من» مستدركة من النسخة (ر).

البستان، ولم يتمتّعا به إلاّ قليلاً. فأخبرهما إلياس بذلك، فلم يراجعا الحقّ.

فلمّا رأى إلياس أنّ بني إسرائيل قد أبوا إلاّ الكفرَ والظُّلْمَ دعا عليهم، فأمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين، فهلكتِ الماشيةُ والطيورُ والهوامّ والشجر، وجهد النّاسُ جهداً شديداً، واستخفى إلياس خوفاً من بني إسرائيل، فكان يأتيه رزقُه، ثمّ إنّه أوى ليلة إلى امرأة من بني إسرائيل لها ابن يقال له أليسع بن أخطوب[1]، به ضرّ شديد، فدعا له فعوفي من الضرّ الذي كان به، واتّبع إلياس، وكان معه وصَحِبَه وصدّقه، وكان إلياس قد كبر، فأوحى الله إليه: إنّك قد أهلكتَ كثيراً من الخلق من البهائم والدوابّ والطير وغيرها، ولم يعصِ سوى بني إسرائيل. فقال إلياس: أي ربّي، دعني أكن أنا الذي أدعو لهم وأبتهج بالفرج لعلّهم يرجعون. فجاء إلياس إليهم وقال لهم: إنّكم قد هلكتم وهلكت الدوابّ بخطاياكم، فإن أحببتم أن تعلموا أنّ الله ساخط عليكم بفعلكم، وأنّ الذي أدعوكم إليه هو الحقّ، فاخرجوا بأصنامكم وادعوها، فإن استجابت لكم، فذلك الحقّ كما تقولون، وإن هي لم تفعل علمتم أنّكم على باطل فنزعتم ودعوتُ الله ففرّج عنكم.

قالوا: أنصفتَ: فخرجوا بأصنامهم فدعوها، فلم يُستجب لهم، ولم يفرَّج عنهم. فقالوا: لإلياس: إنّا قد هلكنا فادعُ الله لنا. فدعا لهم بالفرج وأن يُسقوا، فخرجت سحابةٌ مثل الترس، وعظُمت وهم ينظرون، ثمّ أرسل الله منها المطرَ، فحييت بلادُهم، وفرَّج الله عنهم ما كانوا فيه من البلاء، فلم ينزعوا[2] ولم يراجعوا الحقّ، فلمّا رأى ذلك إلياس سأل الله أن يقبضه فيُريحه منهم، فكساه الله الرّيشَ، وألبسه النور، وقطع عنه لذّة المطعم والمشرب، فصار ملكيّاً إنسيّاً سماويّاً أرضيّاً[3].

وسلّط الله على الملك وقومه عدوّاً فظفر بهم، وقتل الملك وزوجته بذلك البستان وألقاهما فيه حتى بليت لحومهما[4].

---

(١) يقال إن اليسع هو: ذو الكِفْل، وقيل هو الخضر، وقيل هو ابن العجوز. (البدء والتاريخ ٣/١٠٠).

(٢) في النسخة (ب): «يرتدوا»، والمثبت عن النسخ الأخرى، والطبري ١/٤٦٣.

(٣) الخبر في تفسير الطبري ٢٣/٦٠، وتاريخ الطبري ١/٤٦٢ ـ ٤٦٤، والبدء والتاريخ ٣/٩٩، ١٠٠، وعرائس المجالس ٢٠٤، ٢٠٥، ونهاية الأرب ١٤/٢٦، ٢٧.

(٤) نهاية الأرب ١٤/٢٨.

ذِكر نُبوة أليَسَع عليه السلام[1]
وأخْذ التابوت من بني إسرائيل

فلمّا انقطع إلياس عن بني إسرائيل بعث الله أليَسَع، فكان فيهم ما شاء الله، ثمّ قبضه الله وعظمت فيهم الأحداث، وعندهم التابوت يتوارثونه، فيه السكينة، وبقيّةٌ ممّا ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة، فكانوا لا يلقاهم عدوّ فيقدّمون التابوت إلّا هزم الله العدوّ، وكانت السكينة شبه رأس هرّ، فإذا صرخت في التابوت بصراخ هرّ أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتحُ.

ثمّ خلف فيها ملك يقال له إيلاف، وكان الله يمنعهم ويحميهم، فلمّا عظمت أحداثُهم نزل بهم عدوّ فخرجوا إليه وأخرجوا التابوت، فاقتتلوا، فغلبهم عدوّهم على التابوت وأخذه منهم وانهزموا، فلمّا علم ملكُهم أنّ التابوت أُخِذ مات كَمَداً، ودخل العدوّ أرضهم ونهب وسبَى وعاد، فمكثوا على اضطرابٍ من أمرهم واختلاف، وكانوا يتمادون أحياناً في غيّهم، فيسلّط الله عليهم مِن ينتقم منهم، فإذا راجعوا التوبةَ كفّ الله عنهم شرّ عدوّهم، فكان هذا حالهم من لَدُن تُوفّي يوشع بن نون إلى أن بعث الله اشمويل وملكهم طالوت وردّ عليهم التابوت[2].

وكانت مدّة ما بين وفاة يوشع، الذي كان يلي أمرَ بني إسرائيل بعضها القضاة وبعضها الملوك وبعضها المتغلّبون إلى أن ثبت الملك فيهم ورجعت النبوّة إلى اشمويل، أربعمائة سنة وستّين سنة[3].

فكان أوّل من سُلّط عليهم رجل من نسل لوط يقال له كوشان[*]، فقهرهم وأذلّهم

---

(١) عرائس المجالس ٢٠٥ ـ ٢٠٧، تاريخ الطبري ١/٤٦٤، المعارف ٥٢، البدء والتاريخ ٣/١٠٠، مرآة الزمان ١/٤٦٦، نهاية الأرب ١٤/٢٨، البداية والنهاية ٢/٤.

(٢) الخبر في تفسير الطبري ٥/٢٩٥، ٢٩٦، وتاريخ الطبري ١/٤٦٤، ٤٦٥ وانظر مرآة الزمان ١/٤٦٦، تاريخ سنيّ ملوك الأرض للأصفهاني ٧٩.

(٣) الطبري ١/٤٦٥.

(*) يقال: «كوشان الأثيم» (مروج الذهب ١/٥٣).

ثماني سنين، ثمّ أنقذهم من يده أخ لكالب الأصغر يقال لـه عتنيل، فقـام بأمـرهم أربعين سنة[1].

ثمّ سُلّط عليهم ملك يقـال له عجلون[2] فملكهم ثمـانيَ عشرة سنـة، ثمّ استنقـذهم منه رجل من سبط بنيامين يقال له أهوذ[3]، وقام بأمرهم ثمانين[4] سنة.

ثمّ سُلّط عليهم ملك من الكنعـانيّين يقـال لــه يـابين[5]، فملكهم عشــرين سنـة، واستنقذهم منه امرأة من بني أنبيائهم يقال لها دبـوراً، ودبّر الأمـر رجل من قِبَلِهـا يقال لـه باراق أربعين سنة[6].

ثمّ سُلّط عليهم قوم من نسل لوط، فملكوهم سبع سنين، واستنقذهم رجل يقال لـه جدعون بن يواش من ولد نفتالى بن يعقوب، فدبّر أمرهم أربعين سنة وتوفّي، ودبّر أمرهم بعده ابنه ابيمالخ[7] ثلاث سنين، ثمّ دبّرهم بعده فولع[8] بن فوّا ابن خال ابيمالخ[9]، ويقال إنّه ابن عمّه، ثلاثاً وعشرين سنة، ثمّ دبّر أمرهم بعده رجل يقـال له يـائير اثنتين وعشـرين سنة[10].

ثمّ ملكهم قـوم من أهلِ فلسـطين بني عمون ثمـانيَ عشرة سنـة، ثـم قام بـأمرهم رجـل منهم يقال لـه يفتح ستّ سنين. ثمّ دبّـرهم بعده يبحسـون[11] سبع سنين. ثمّ بعـده آلـون عشـر سنين. ثمّ بعـده لتـرون[12]، ويسمّيـه بعضهم عكـرون[13]، ثمـانيَ سنين. ثمّ قهرهم أهلُ فلسطين وملوكهم أربعين سنة. ثمّ وليهم شمسون عشرين سنة. ثمّ بقوا بعـده

---

(١) الطبري ١/٤٦٥، وفي مروج الذهب ١/٥٣ هو «عنيائيل بن يوقنا».

(٢) في الأصل، وفي تاريخ الطبري «جعلون». والمثبت يتفق مع نسخة للطبري. أنظر حاشيـة (٥) من الطبـري ١/٤٦٥، وفي المروج «أعلون» ١/٥٣.

(٣) هو «أهود بن جيرا» وقيل «أعور بن حنا»، أنظر الطبري، المتن والحاشية.

(٤) في النسخة (ت): «ثلثين»، والمثبت يتفق مع الطبري. وعند المسعودي ٥٥ عاماً.

(٥) في الطبري «يافين»، وقيل «يا قيس». والمثبت يتفق مع المسعودي ١/٥٣.

(٦) الطبري ١/٤٦٥، مروج الذهب ١/٥٣.

(٧) في النسختين (ب) و(ت): «اسمل»، وفي تاريخ الطبري «أبيملك» والمثبت يتفق مع المسعودي ١/٥٣.

(٨) في تاريخ الطبري «تولغ»، وفي مروج الذهب ١/٥٤ «تولع».

(٩) في الأصل «أتميل».

(١٠) الطبري ١/٤٦٥، ٤٦٦، وفي مروج الذهب ١/٥٤ «يامين» بدل «يائير».

(١١) في الطبري «يجشون» وفي نسخة أخرى له «يخشون»، وفي طبعة المنيرية من الكامل «يتحسون»، والمثبت عن النسخة الأوربية، وصادر ١/٢١٥ وفي مروج الذهب «نحشون».

(١٢) في الطبري ١/٤٦٦ «كيرون»، وفي نسخة «ليزون»، وفي مروج الذهب ١/٥٤ «عجران».

(١٣) تاريخ المنبجي ١/٧٠.

عشر سنين[1] بغير مدبّر ولا رئيس.

ثمّ قام بأمرهم بعد ذلك عالي الكاهن. وفي أيّامه غلب أهلُ فلسطين على التابوت في قولٍ، فلمّا مضى من وقت قيامه أربعون سنة بُعث اشمويل[2] نبيّاً فدبّرهم عشر سنين. ثمّ سألوا اشمويل أن يبعث لهم ملكاً يقاتل بهم أعداءهم[3].

(١) في النسخة (ت): «عشرين سنة»، والمثبت يتفق مع الطبري ١/٤٦٦.
(٢) في الطبري «شمويل». بحذف الألف من أوله، وفي نسخة «سمويل».
(٣) مجموع هذه الأخبار ينقلها المؤلّف عن الطبري ١/٤٦٥، ٤٦٦ وقارن بما كتبه المسعودي في مروج الذهب ١/٥٣، ٥٤، وابن العبري في تاريخ مختصر الدول ٢٢ ـ ٢٦، واليعقوبي في تاريخه ١/٤٧، ٤٨، والأصفهاني في تاريخ سنيّ ملوك الأرض والأنبياء، ٨٠، ٨١، وتاريخ المنبجي ١/٦٩، ٧٠.

ذكر حال اشمويل وطالوت[1]

كان من خبر اشمويل[2] بن بالي أنّ بني إسرائيل لما طال عليهم البلاء، وطمع فيهم الأعداء، وأُخذ التابوت منهم، فصاروا بعده لا يلقون ملكاً إلّا خائفين، فقصدهم جالوت ملك الكنعانيّين، وكان ملكه ما بين مصر وفلسطين، فظفر بهم، فضرب عليهم الجِزية، وأخذ منهم التوراة، فدعوا الله أن يبعث لهم نبيّاً يقاتلون معه، وكان سبط النبوّة هلكوا، فلم يبقَ منهم غير امرأة حُبْلَى، فحبسوها في بيت خيفة[3] أن تلد جارية فتبدّلها بغلام، لِما ترى من رغبة بني إسرائيل في ولدها، فولدت غلاماً سمّته اشمويل، ومعناه: سمع الله دعائي[4].

وسبب هذه التسمية أنّها كانت عاقراً، وكان لزوجها امرأة أخرى قد ولدت له عشرة أولاد، فبَغَتْ عليها بكثرة الأولاد، فانكسرت العجوز ودعت الله أن يرزقها ولداً، فرحمَ الله انكسارَها وحاضت لوقتها، وقرب منها زوجها، فحملت، فلمّا انقضت مدّة الحمل ولدت غلاماً فسمّته اشمويل، فلمّا كبر أسلمته في بيت المقدس يتعلّم التوراة، وكفله شيخ من علمائهم وتبنّاه[5].

فلمّا بلغ أن يبعثه الله نبيّاً أتاه جبرائيلُ وهو يصلّي، فناداه بصوتٍ يشبه صوتَ الشيخ، فجاء إليه، فقال: ما تريد؟ فكره أن يقول: لم أَدْعُكَ، فيفزع، فقال: ارجعْ

---

(١) تاريخ الطبري ١/٤٦٧، عرائس المجالس ٢٠٦ وما بعدها، ابن وثيمة ٨٢، تفسير الطبري ٥/٢٩١ - ٣٧٢، زاد المسير ١/٢٩١ - ٣٠٠، الدر المنثور ١/٣١٣، مرآة الزمان ١/٤٦٧، نهاية الأرب ١٤/٣٨، تهذيب تاريخ دمشق ٥/١٩٠ (في ترجمة داود عليه السلام) و٧/٤٥، البداية والنهاية ٢/٥، تفسير ابن كثير ١/٥٣٣، البدء والتاريخ ٣/١٠٠، مروج الذهب ١/٥٤، ٥٥ تاريخ مختصر الدول لابن العبري ٢٧، تاريخ اليعقوبي ١/٤٨، تاريخ سنيّ ملوك الأرض والأنبياء للأصفهاني ٨١.

(٢) هو «صموئيل» في التوراة - العهد القديم - سفر صموئيل الأول - الإصحاح الأول - ص ٤٢٦، وتاريخ المنبجي ١/٧٣.

(٣) في النسخة (ت): «رهبة» وكذلك في تاريخ الطبري ١/٤٦٧.

(٤) عبارة الطبري: «فسمّته سمعون تقول: «الله سمع دعائي».

(٥) قارن بعرائس المجالس ٢٠٧.

فنمْ. فرجع، فعاد جبرائيل لمثلها، فجاء إلى الشيخ، فقال له: يا بنيّ عُدْ فإذا دعوتُك فلا تُجبْني. فلمّا كانت الثالثة ظهر له جبرائيل وأمره بإنـذار قومـه وأعلمه أنّ الله بعثـه رسولاً، فدعاهم، فكذّبوه، ثمّ أطاعوه[1].

وأقام يدبّر أمرهم عشر سنين[2].

وقيل: أربعين سنة[3].

وكان العمالقة مع ملكهم جالوت قـد عظمت نكـايتهم في بني إسرائيـل حتى كادوا يُهلكونهم، فلمّا رأى بنو إسرائيل ذلك قالوا: ﴿**ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيـلِ اللهِ. قَالَ: هَلْ عَسَيْتُمْ إنْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ القِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا؟ قَالُوا: وَمَا لَنَـا أَلاَّ نُقَاتِـلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَـدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا**﴾[4].

فدعا الله فأرسل إليه عصاً وقرناً فيـه دُهْن، وقيل لـه: إنّ صاحبكم يكـون في طولـه طـولَ هذه العصـا[5]، وإذا دخل عليـك رجل فنشّ الـدُهْن الذي في القـرن فهو ملك بني إسرائيل، فادهن رأسه به وملّكه عليهم، فقاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا مثلها[6].

وكان طالوت دبّاغاً[7].

وقيـل: كان سقّـاء يسقي الماء ويبيعـه، فضلّ حمـاره فانـطلق يطلبـه، فلمّـا اجتاز بالمكان الـذي فيه اشمـويل[8] دخـل يسألـه أن يدعـو له ليـردّ الله حماره، فلمّـا دخل نشّ الدُّهن، فقاسوه بالعصـا فكان مثلهـا[9]، فـ ﴿**قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إنّ اللهَ قَـدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُـوتَ مَلِكاً**﴾[10].

وهو بالسريانيّة: شاول بن قيس بن أنمـار بن ضرار بن يحـرف بن يفتح بن ايش بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق[11].

---

(١) الطبري ١/٤٦٧، ٤٦٨، عرائس المجالس ١٠٨.
(٢) عرائس المجالس ١٠٨.
(٣) مرآة الزمان ١/٤٦٨، عرائس المجالس ١٠٨.
(٤) البقرة/٢٤٦.
(٥) الطبري ١/٤٦٨، عرائس المجالس ٢٠٩.
(٦) الطبري، عرائس المجالس.
(٧) عرائس المجالس ٢٠٩.
(٨) وورد «اشمويال» وهو تصحيف.
(٩) الطبري ١/٤٦٨، عرائس المجالس ٢٠٩.
(١٠) البقرة/٢٤٧.
(١١) اسمـه في عرائس المجـالس ٢٠٩: «شاول بن قيش بن أفيـل بن صـارو بن نحورت بن أفيـح بن أنيس بن=

فقالوا لـه: ما كنت قطّ أكـذب منك السـاعة، ونحن من سبط المملكـة، ولم يؤتَ طالوت سَعَةً من المال فنتبعه [1].

فقـال اشمـويـلٍ: ﴿إِنَّ اللهَ ٱصْـطَفَـاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْـطَةً فِي العِلْمِ وَالجِسْمِ﴾[2]. فقالوا: إن كنتَ صادقاً فأتِ بآية. فقال: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُـوتُ فِيهِ سَكِينَـةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ المَلائِكَةُ﴾[3].

والسكينـة رأس هرّ، وقيـل طشت من ذهب يُغسل فيهـا قلوب الأنبيـاء، وقيـل غيـر ذلك، وفيه الألواح وهي من درّ وياقوت وزبرجد، وأمّا البقيّـة فهي عصا مـوسى ورُضاضـة الألواح.

فحملته الملائكةُ وأتت به إلى طالوت نهـاراً بين السماء والأرض والنـاس ينظرون، فأخرجه طالوت إليهم، فأقرّوا بملكه ساخطين وخرجوا معـه كارهين، وهم ثمـانون ألفـاً. فلمّا خرجوا قال لهم طالوت: ﴿إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي، وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾[4].

وهو نهر فلسطين، وقيل: الأردنّ.

فشربوا منه إلّا قليلاً، وهم أربعة آلاف، فمن شرب منه عطش، ومن لم يشرب منه إلّا غرفة روي، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُـوَ وَالَّذِينَ آمَنُـوا مَعَهُ﴾[4]. لقيهم جـالوت، وكـان ذا بأس شديد، فلمّا رأوه رجع أكثرهم و ﴿قَالُوا لا طَاقَـةَ لَنَا اليَـوْمَ بِجَالُـوتَ وجُنُودِهِ﴾[4]، ولم يبقَ معه غير ثلاثمائة وبضعة عشر[5] عدد أهـل بدر، فلمّـا رجع مَنْ رجـع قالـوا: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ، وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[6].

وكان فيهم إيشى[7] أبو داود، ومعه من أولاده ثلاثة عشر ابناً، وكان داود أصغر بنيه، وقد خلّفه يرعى لهم ويحمل لهم الطعام، وكان قد قـال لأبيه ذات يـوم: يا أبتـاه ما أرمي

بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل».

(١) الطبري ١/٤٦٨، تفسير الطبري ٥/٣١٩.

(٢) البقرة/٢٤٧.

(٣) البقرة/٢٤٨.

(٤) سورة البقرة/٢٤٩.

(٥) في تاريخ الطبري ١/٤٦٩ «وتسعة عشر عدّة أهل بدر». وفي عرائس المجالس ٢١٢: «ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً» وفي حديث البراء بن عازب: «ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً».

(٦) البقرة/٢٤٩.

(٧) في مرآة الزمان ١/٤٧٢ «إيشا بن عويد».

بقذّافتي شيئاً إلاّ صرعتُهُ. ثمّ قال له: لقد دخلتُ بين الجبال فوجدتُ أسداً رابضاً فركبتَ عليه وأخذتُ بأذنيه فلم أخفه، ثمّ أتاه يوماً آخر فقال: إنّي لأمشي بين الجبال فأسبّح فلا يبقى جبل إلاّ سبّح معي. قال له: أبشِر فإنّ هذا خيرٌ أعطاكه الله.

فأرسل الله إلى النبيّ الذي مع طالوت قرناً فيه دُهن وتَنّور من حديد، فبعث به إلى طالوت وقال له: إنّ صاحبكم الذي يقتل جالوت يوضع هذا الدُهن على رأسه فيغلي حتى يسيل من القرن، ولا يجاوز رأسه إلى وجهه، ويبقى على رأسه كهيئة الإكليل، ويدخل في هذا التنّور فيملأه. فدعا طالوت بني إسرائيل فجرّبهم، فلم يوافقه منهم أحد، فأحضر داود من رعيه، فمرّ في طريقه بثلاثة أحجار، فكلّمته وقلن: خذنا يا داود تقتل بنا جالوت، فأخذهنّ فجعلهنّ في مخلاته.

وكان طالوت قد قال: مَنْ قتل جالوت زوّجتُه ابنتي وأجريت خاتمه في مملكتي.

فلمّا جاء داود وضعوا القرن على رأسه، فَغَلى حتى ادّهن منه ولبس التنّور فملأه، وكان داود مسقاماً أزرقَ مصفارّاً، فلمّا دخل في التنّور تضايق عليه حتى ملأه، وفرح اشمويل وطالوت وبنو إسرائيل بذلك، وتقدّموا إلى جالوت وتصافّوا للقتال، وخرج داود نحو جالوت وأخذ الأحجار ووضعها في قذّافته ورمى بها جالوت، فوقع الحجر بين عينيه فنقب[1] رأسه فقتله، ولم يزل الحجر يقتل كلّ مَن أصابه ينفذ منه إلى غيره، فانهزم عسكر جالوت بإذن الله، ورجع طالوت فأنكح ابنته داود وأجرى خاتمه في ملكه، فمال النّاس إلى داود وأحبّوه.

فحسده طالوت وأراد قتله غِيلةً، فعلم ذلك داود ففارقه وجعل في مضجعه زقّ خمر وسجّاه، ودخل طالوت إلى منام داود، وقد هرب داود، فضرب الزقّ ضربة خرقه، فوقعت قطرة من الخمر في فيه، فقال: يرحم الله داودَ ما كان أكثر شربَه الخمر[2]!.

فلمّا أصبح طالوت علم أنّه لم يصنع شيئاً، فخاف داود أن يغتاله فشدّد حجّابه وحرّاسه.

ثمّ إنّ داود أتاه من القابلة[3] في بيته وهو نائم، فوضع سهمَين عند رأسه وعند رِجلَيه[4]، فلمّا استيقظ طالوت بصُر بالسهام فقال: يرحم الله داود! هو خير منّي، ظفرتُ

---

(١) في النسخة (ر): «فثقب». والمعنى فَتّ. وفي طبعة صادر بالحاشية ١/٢٢٠ «فنقبت»، وهو يتفق مع الطبري ١/٤٧٣.

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ١/٤٧٢، ٤٧٣، وتفسير الطبري ٥/٣٠٨، ٣٠٩.

(٣) في طبعة صادر ١/٢٢١ «المقابلة» وهو خطأ، والتصحيح من الطبري ١/٤٧٣.

(٤) في النسخة (ر): «عند رجليه ونزل».

به وأردتُ قتله، وظفر بي فكفَّ عنّي[1]. وأذكى عليه العيون فلم يظفروا به.

وركب طالوت يوماً فرأى داودَ، فركض في أثره، فهرب داود منه واختفى في غارٍ في الجبل، فعمّى الله أثره على طالوت.

ثمّ إنّ طالوت قتل العلماء حتى لم يبقَ أحد إلّا امرأة كانت تعرف اسمَ الله الأعظم، فسلّمها إلى رجلٍ[2] يقتلها، فرحِمَها وتركها وأخفى أمرها.

ثمّ إنّ طالوت ندِم وأراد التوبة، وأقبل على البكاء حتى رحِمه النّاس، فكان كلّ ليلة يخرج إلى القبور فيبكي ويقول: أنشد الله عبداً علم لي توبةً إلّا أخبرني بها. فلمّا أكثر ناداه منادٍ من القبور: يا طالوت أما رضيتَ قتلتَنا أحياءً حتى تؤذينا أمواتاً! فازداد بكاءً وحزناً، فرحمه الرجل الذي أمره[3] بقتل تلك المرأة فقال له: إن دللتُك على عالم لعلّك تقتله! قال: لا. فأخذ عليه العهود والمواثيق، ثمّ أخبره بتلك المرأة فقال: سلْها هل لي من توبة؟ فحضر عندها وسألها هل له من توبة؟ فقالت: ما أعلم له من توبة، ولكن هل تعلمون قبر نبيّ؟ قالوا: نعم، قبر يوشع بن نون. فانطلقت وهم معها، فدعت، فخرج يوشع، فلمّا رآهم قال: ما لكم؟ قالوا: جئنا نسألك هل لطالوت من توبة؟ قال: ما أعلم له توبة إلّا أن يتخلّى من ملكه، ويخرج هو وولده فيقاتلوا في سبيل الله، حتى تُقتل أولاده، ثمّ يقاتل هو حتى يُقتل، فعسى أن يكون له توبة. ثمّ سقط ميتاً.

ورجع طالوت أحزن ممّا كان، يخاف أن لا يتابعه ولده، فبكى حتى سقطت أشفار عينَيْه، ونَحَل جسمُه، فسأله بنوه عن حاله، فأخبرهم فتجهّزوا للغزو[4] فقاتلوا بين يديه حتى قُتلوا، ثمّ قاتل هو بعدهم حتى قُتل.

وقيل: إنّ النبيّ الذي بُعث لطالوت حتى أخبره بتوبته أَلْيَسَع.

وقيل: اشمويل، والله أعلم.

وكانت مدّة ملك طالوت إلى أن قُتل أربعين سنة[5].

---

(١) الطبري ١/٤٧٣.

(٢) كان خبّازاً، كما في تاريخ الطبري.

(٣) في النسختين (ت) و(ر): «وكله».

(٤) في النسخة (ر): «للغزو معه».

(٥) الخبر في تاريخ الطبري ١/٤٧٣ ـ ٤٧٥ وانظر: تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨١.

ذكر ملك داود[1]

هو داود بن إيشى بن عويد بن باعز بن سلمون بن نحشون[2] بن عمّي نوذب[3] بن رام بن حصرون بن فارض[4] بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق[5].

وكان قصيراً أزرق قليلَ الشعر[6].

فلمّا قُتل طالوت أتَى بنو إسرائيل داودَ، فأعطوه خزائن طالوت وملّكوه عليهم.

وقيل: إنّ داود ملك قبل أن يُقتل جالوت[7]؛ وسبب ملكه حينئذٍ، أنّ الله أوصى إلى اشمويل ليأمر طالوت بغزو مَدْيَن وقتْل مَنْ بها، فسار إليها وقتل مَنْ بها إلّا ملكهم، فإنّه أخذه أسيراً، فأوحى الله إلى اشمويل: قلْ لطالوت آمرك بأمر فتركتَه! لأنزعنّ الملك منك ومن بنيك، ثُمّ لا يعود فيكم إلى يوم القيامة، وأمر اشمويل بتمليك داود، فملّكه وسار إلى جالوت فقتله، والله أعلم.

---

(١) تاريخ الطبري ١/٤٧٦، تفسير الطبري ٥/٣٦٦، عرائس المجالس ٢١٦، ابن وثيمة ٩١، الكسائي ٣٥٨، تاريخ اليعقوبي ١/٥١، البدء والتاريخ ٣/١٠٠، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨١، المعارف لابن قتيبة ٤٥، تاريخ مختصر الدول ٣٠، أخبار الزمان للمسعودي ٨٧، مروج الذهب ١/٥٦، مرآة الزمان ١/٤٧٥، تهذيب تاريخ دمشق ٥/١٩٠، زاد المسير ١/٣٠٠، و٢/٤٠٥، ٤٠٦، و٥/٣٧١ - ٣٧٤ و٧/١١٠ - ١٢٤، الدرّ المنثور ٥/٢٩٧ - ٣٠٨، نهاية الأرب للنويري ١٤/٤٥، البداية والنهاية ٢/٩، تفسير ابن كثير ١/٥٣٧ - ٥٣٩ و٤/٥٧٥ - ٥٧٩ و٦/٥٠ - ٥٢، العهد القديم - سفر صموئيل الأول - الإصحاح ١٧/١٢ - ص ٤٥٤، تاريخ المنبجي ١/٧٥.

(٢) في الأصل «يحسون»، والتصحيح من الطبري.

(٣) في تاريخ الطبري ١/٤٧٦ «نادب» بالدال المهملة.

(٤) في تاريخ الطبري «فارص» بالصاد المهملة.

(٥) راجع نسب داود عليه السلام في المصادر المذكورة بالحاشية (١).

(٦) أخرج الحاكم في المستدرك ٢/٥٨٥ نسبه وصفته، فقال: أخبرنا الحسن بن محمد الإسفرايني، ثنا محمد بن محمد بن أحمد بن البراء، ثنا عبد المنعم بن ادريس، عن أبيه، عن وهب بن منبه قال: وكان نبي الله داود بن إيشا بن عويد بن باعر بن سلمون بن يحسون بن يارب بن رام بن حضرون بن فارص بن يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، وكان رجلًا قصيراً أزرق قليل الشعر، طاهر القلب، فقيهاً». وانظر: الطبري ١/٤٧٦.

(٧) الطبري ١/٤٧٨.

فلمّا ملك بني إسرائيل جعله الله نبيّاً وملكاً، وأنزل عليه الزَّبُور، وعلّمه صنعة الدروع، وهو أوّل مَنْ عملها، وألان له الحديد، وأمر الجبال والطير يسبّحون معه إذا سبّح، ولم يعطِ الله أحداً مثل صوته، كان إذا قرأ الزّبورَ تدنو الوحوش حتى يأخذ بأعناقها، وإنّها لَمُصِيخةٌ تسمع صوته.

وكان شديد الاجتهاد، كثير العبادة والبكاء، وكان يقوم اللّيل ويصوم نصف الدّهر[1]. وكان يحرسه كلّ يوم وليلة أربعة آلاف[2]، وكان يأكل من كسْب يده.

وفي ملكه مُسخ أهل أَيْلَة[3] قِردة؛ وسبب ذلك أنّهم كانوا تأتيهم يوم السبت حيتان البحر كثيراً، فإذا كان غير يوم السبت لا يجيء إليهم منها شيء، فعملوا على جانب البحر حياضاً كبيرة وأجروا إليها الماء، فإذا كان آخر نهار يوم الجمعة فتحوا[4] الماء إلى الحياض فتدخلها الحيتان ولا تقدر على الخروج عنها، فيأخذونها يوم الأحد، فنهاهم بعضُ أهلها فلم ينتهوا، فمسخهم الله قِردةً، وبقوا ثلاثة أيّام وهلكوا[5].

ذكر فتنته بزوجة أوريّا

ثمّ إنّ الله ابتلاه بزوجة أوريّا.

وكان سبب ذلك أنّه قد قسم زمانه ثلاثة أيّام، يوماً يقضي فيه بين النّاس، ويوماً يخلو فيه للعبادة، ويوماً يخلو فيه مع نسائه، وكان له تسع وتسعون امرأة، وكان يحسد[6] فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فقال: أي ربّي أرى الخير قد ذهب به آبائي، فأعطني مثلَ ما أعطيتهم! فأوحى الله إليه: إنّ آباءك ابتُلوا ببلاء فصبروا، ابتُلي إبراهيم بذبح ابنه، وابتُلي إسحاق بذهاب بصره، وابتُلي يعقوب بحزنه على يوسف. فقال: ربّ ابتَلِني بمثل ما ابتليتهم، وأعطني مثلَ ما أعطيتهم. فأوحى الله إليه: إنّك مبتلىً[7] فاحترِسْ[8].

---

(١) إلى هنا الخبر في تفسير الطبري ٢٣/٨٦.

(٢) الطبري ١/٤٧٩.

(٣) أَيْلَة: بالفتح. مدينة على ساحل بحر القُلْزُم مما يلي الشام. وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام. (معجم البلدان ١/٢٩٢) وهي الآن ميناء العقبة الأردني.

(٤) في النسخة (ر): «يتحول» بدل «فتحوا».

(٥) الخبر مطوّلاً في عرائس المجالس ٢٢٦، ٢٢٧.

(٦) في النسخ: (ب) و (ت) و (ر): «يحد». والمثبت عن النسخة الأوربية. وفي تاريخ الطبري ١/٤٧٩ «وكان فيما يقرأ من الكتب يجد فيه فضل إبراهيم..»
وما في تاريخ الطبري يتفق مع ما في «المستدرك على الصحيحين» للحاكم ٢/٥٨٦.

(٧) في النسخة الأوربية «مبتل»، والتصحيح من «المستدرك» ومن طبعة صادر ١/٢٢٤.

(٨) الطبري ١/٤٧٩، ٤٨٠، والخبر أخرجه الحاكم في المستدرك من طريق أحمد بن نصر، عن عمرو بن طلحة، عن أسباط، عن السُّدّي (٢/٥٨٦).

وقيل: كان سبب البليّة أنّه حدّث نفسه أنّه يطيق أن يقطع يوماً بغير مقارفة سوء، فلمّا كان اليوم الذي يخلو فيه للعبادة عزم على أن يقطع ذلك اليوم بغير سوء، وأغلق بابه وأقبل على العبادة، فإذا هو بحمامةٍ من ذهب، فيها كلّ لون حَسَن، قد وقعت بين يديه، فأهوى ليأخذها، فطارت غير بعيدٍ من غير أن ييأس من أخْذها، فما زال يتبعها وهي تفرّ منه، حتى أشرف على امرأةٍ تغتسل، فأعجبه حُسنُها، فلمّا رأت ظلّه في الأرض جلّلت نفسها بشعرها فاستترت به، فزاده ذلك رغبةً، فسأل عنها، فأُخبر أنّ زوجها بثغر كذا، فبعث إلى صاحب الثغر بأن يقدّم أوريّا بين يدي التابوت في الحرب، وكان كلّ مَنْ يتقدّم بين يديّ التابوت لا ينهزم، إمّا أن يظفر أو يُقْتَل، ففعل ذلك به فقُتل[1].

وقيل[2]: إنّ داود لما نظر إلى المرأة فأعجبته، سأل عن زوجها، فقيل: إنّه في جيش كذا، فكتب إلى صاحب الجيش أن يبعثه في سريّة إلى عدوّ كذا، ففعل ذلك، ففتح الله عليه، فكتب إلى داود، فأمر [داود] أن يُرسل[3] أيضاً إلى عدوّ كذا أشدّ منه، ففعل، فظفر، فأمر داود أن يُرسل إلى عدوّ ثالث، ففعل، فقُتل أوريّا في المرّة الثالثة، فلمّا قُتل تزوّج داود امرأته.

وهي أمّ سليمان في قول قتادة[4].

وقيل: إنّ خطيئة داود كانت، أنّه لما بلغه حُسْن امرأة أوريّا تمنّى[5] أن تكون له حلالاً، فاتّفق أنّ أوريّا سار إلى الجهاد، فقُتل، فلم يجد له من الهمّ ما وجده لغيره، فبينما داود في المحراب يوم عبادته، وقد أغلق الباب، إذ دخل عليه مَلَكان أرسلهما الله إليه من غير الباب، فراعه ذلك فقالا: **﴿لا تَخَفْ، خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالحَقّ[6]، إنّ هَذَا أخي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ، فَقَالَ: أكْفِلْنِيهَا وَعَزَّني في الخِطَابِ﴾**[7]، أي قهرني، وأخذ نعجتي[8]، فقال للآخر: ما تقول؟ قال: صدق، إنّي أردتُ أن أُكمل نعاجي مائة، فأخذتُ نعجته. فقال داود: إذاً لا ندعك

---

(١) الطبري ١/٤٨٢ و٤٨٣ ومرآة الزمان ١/٤٨٠، والمستدرك ٢/٥٨٦، ٥٨٧.

(٢) الخبر في عرائس المجالس ٢٢٠.

(٣) في النسخة الأوربية «يرسله»، والمثبت من نسخة صادر ١/٢٢٥.

(٤) عرائس المجالس ٢٢٠، وانظر العهد القديم - سفر صموئيل الثاني - الإصحاح ١١/٢ - ص ٤٩٨.

(٥) في النسخة الأوربية «فتمنّى»، والتصحيح من طبعة صادر ١/٢٢٥.

(٦) في النسخة (ر): «بالحق ولا تشطط» وهو يتفق مع ما في «المستدرك».

(٧) صَ/٢٢ - ٢٣.

(٨) قال الثعلبي: «وهذا من أحسن التعريض حيث كنى بالنعاج عن النساء والعرب تفعل ذلك كثيراً، وتورّي عن النساء وتكني عنها بألقابٍ كالظباء والنعاج والبقر، وهو كثير فاشٍ في أشعارهم». (عرائس المجالس ٢٢١).

وذاك، فقال الملك: ما أنت بقادر عليه. قال داود: فإن لم تردّ عليه ماله ضربنا منك هذا وهذا، وأومأ إلى أنفه وجبهته. قال: يا داود أنتَ أحقّ أن يُضْرب منك هـذا وهذا، حيث لك تسعٌ وتسعون امرأة، ولم يكن لأوريّا إلّا امرأة واحدة، فلم تزل به حتى قُتل وتزوّجت امرأته. ثمّ غابا عنه[1].

فعرف ما ابتُلي به وما وقع فيه، فخرّ ساجداً أربعين يوماً، لا يرفع رأسه إلّا لحاجةٍ لا بدَّ منها، وأدام البكاء حتى نبت من دموعه عشب غطّى رأسه، ثمّ نادى: يا ربّ قَرِح الجبينُ، وَجَمَدَت العينُ، وداود لم يُرجَع إليه في خطيئته بشيء. فنودي: أجائع فتطعَم، أم مريضٌ فتُشفَى[2] أم مظلوم فتُنصر؟ قال: فنحِب نَحْبةً هاج ما كان نَبَت[3]، فعند ذلك قبل الله توبته[4]. وأوحى إليه: ارفع رأسك فقد غفرتُ لك. قال: يا ربّ كيف أعلم أنّك قد غفرتَ لي؟ وأنتَ حَكَم عدْل لا تحيف في القضاء، إذا جاء أوريّا يوم القيامة آخذاً رأسَه بيمينه، تشخب أوداجُه دماً قِبَلَ عرشك يقول: يا ربّ سلْ هذا فيمَ قتلني. فأوحى الله إليه: إذا كان ذلك دَعَوْتُه وأستوهِبك منه، فيهبك لي، فأهبه بذلك الجنّة. قال: يا ربّ الآن علمتُ أنّك قد غفرتَ لي.

قال: فما استطاعَ داود بعدها أن يملأ عينه من السماء حياءً من ربّه حتى قُبض. ونقش خطيئته في يده، فكان إذا رآها اضطربت يده، وكان يؤتى بالشراب في الإناء ليشربه، فكان يشرب نصفه أو ثُلُثَيْه فيذكر خطيئته، فينتحب حتى تكاد مفاصله يزول بعضُها من بعض، ثمّ يملأ الإناء من دموعه.

وكان يقال: إنّ دمعة داود تعدِل دموع الخلائق، وهو يجيء يوم القيامة وخطيئته مكتوبةٌ بكفّه فيقول: يا ربّ ذنبي قدِّمني، فيُقدَّم، فلا يأمن فيقول: يا ربّ أخّرني، فلا يأمن[5].

وأزالت الخطيئة طاعةَ داود عن بني إسرائيل، واستخفّوا بأمره، ووثب عليه ابن له يقال له إيشى، وأمّه ابنة طالوت، فدعا إلى نفسه، فكثر أتباعُه من أهل الزَّيغ من بني إسرائيل، فلمّا تابَ الله على داود اجتمع إليه طائفة من النّاس، فحارب ابنه حتى هزمه،

---

(١) عرائس المجالس ٢٢١ وانظر، العهد القديم - سفر صموئيل الثاني - الإصحاح ١٢، وتفسير الطبري ٩٤/٢٣، ٩٥

(٢) في النسخة الأوربية «فتسقى»، والتصويب من تاريخ الطبري وطبعة صادر.

(٣) في الأصل «بيت» وهو تحريف. والمثبت يتفق مع الطبري.

(٤) إلى هنا الخبر في تاريخ الطبري ٤٨٣/١.

(٥) الخبر في تاريخ الطبري ٤٨٣/١، وتفسير الطبري ٩٦/٢٣ وانظر عرائس المجالس ٢٢٥.

ووجّه إليه بعض قوّاده وأمره بالرّفق بـه والتلطّف لعلّه يأسـره ولا يقتله، وطلبه القـائد وهـو منهزم فاضطّره إلى شجرة فقتله، فحزن عليه داود حزناً شديداً وتنكّر لذلك القائد[١].

ذكر بناء بيت المقدس ووفاة داود، عليه السلام

قيـل: أصاب النّـاسَ في زمان داود طـاعونٌ جـارف، فخـرج بهم إلى مـوضع بيت المقدس، وكان يرى الملائكة تعرج منه إلى السماء، فلهذا قصده ليـدعو فيـه، فلمّا وقف موضعُ الصخرة دعا اللَّهَ تعالى في كشف الطاعون عنهم، فاستجـابَ له ورفـع الطاعـون، فاتّخذوا ذلك الموضعَ مسجداً، وكان الشروع في بنائه لإحدى عشر سنة مضت من ملكه، وتـوفّي قبل أن يستتمّ بناءَه، وأوصى إلى سليمان بـإتمامـه وقتْل القـائـد الـذي قتـل أخـاه إيشى بن داود[٢].

فلمّـا توفّي داود ودَفَنـه سليمـان، تقـدّم بـإنفـاذ أمـره، فقتـل القـائـدَ، واستتمّ بنـاءَ المسجد، بناه بالرخام وزَخْرَفَه بالذّهب ورصّعه بالجواهر، وقوي على ذلك جميعه بـالجنّ والشياطين، فلمّا فرغ اتخذ ذلك اليوم عيداً عظيماً وقرّب قربانـاً، فتقبّله[٣] الله منه، وكـان ابتداؤه أوّلاً ببناء المدينة، فلمّا فرغ منها ابتدأ بعمارة المسجد، وقـد أكثر النّـاس في صفة البناء ممّا يُستبعد ولا حاجة إلى ذكره.

وقيل: إنّ سليمان هو الذي ابتدأ بعمارة المسجـد، وكان داود أراد أن يبنيـه فأوحى الله إليه: إنّ هذا بيت مقدّس، وإنّك قد صبغتَ يدك في الدماء فلستَ ببانيه، ولكنّ ابنك سليمان يبنيه لسلامته من الدّماء. فلمّا ملك سليمان بناه[٤].

ثمّ إنّ داود توفّي، وكان له جارية تغلق الأبواب كلّ ليلة وتأتيه بالمفـاتيحَ فيقـوم إلى عبادته، فأغلقتها ليلةً، فرأت في الدار رجـلاً فقالتْ: مَنْ أدخلك الـدار؟ فقال: أنـا الذي أدخل على الملوك بغير إذن. فسمع داود قوله فقال: أنتَ مَلَكُ الموت؟ قال: نعم. قال: فهلّا أرسلتَ إليّ لأستعدّ للموت؟ قال: قد أرسلتُ إليك كثيـراً. قال: مَنْ كـان رسولـكَ؟ قال: أين أبوكَ وأخوكَ وجارُكَ ومعارفُك؟ قال: ماتـوا. قال: فهم كـانوا رسلي إليـك لأنّك تموتُ كما ماتوا! ثمّ قبضه[٥]. فلمّا مات ورث سليمان ملَكه وعلمه ونبوّته[٦].

---

(١) تاريخ الطبري ١/٤٨٤، عرائس المجالس ٢٢٦.

(٢) الطبري ١/٤٨٤، ٤٨٥، مرآة الزمان ١/٤٨٩.

(٣) في النسخة (ر): «فقبله».

(٤) الطبري ١/٤٨٥.

(٥) الخبر في عرائس المجالس ٢٢٩، ٢٣٠، وقد أخرج الإمام أحمد نحوه في المسند ٢/٤١٩.

(٦) عرائس المجالس ٢٣٠.

وكان له تسعة عشر ولداً[1]، فورثه سليمان دونهم.

وكان عمر داود لما توفّي مائة سنة[2]، صحّ ذلك عن النبيّ، ﷺ، وكانت مـدّة ملكه أربعين سنة[3].

(١) عرائس المجالس ٢٣٠.
(٢) الطبري ١/٤٨٥ وفي تاريخ اليعقوبي ١/٥٦ (١٢٠ سنة).
(٣) الطبري ١/٤٨٥، عرائس المجالس ٢٣٠، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨١، تاريخ اليعقوبي ١/٥٦.

ذِكْر مُلْك سليمان بن داود عليه السلام(1)

لما تُوفّي داود ملك بعده ابنُه سليمان على بني إسرائيل، وكان ابن ثلاث عشرة سنة، وآتاه [الله] مع الملك النُّبُوَّة، وسأل الله أن يؤتيه(2) ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فاستجابَ له(3)، وسخّر له الإنس والجنّ والشياطين والطير والريح(4)، فكان إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير، وقام له الإنس والجنّ حتى يجلس(5).

وقيل: إنّما سخّر له الريح والجنّ والشياطين والطير وغير ذلك، بعد أن زال ملكه، وأعاده الله سبحانه إليه، على ما نذكره.

وكان أبيض جسيماً، كثير الشعر، يلبس البياض، وكان أبوه يستشيره في حياته ويرجع إلى قوله(6)، فمن ذلك ما قصّه الله في كتابه في قوله: **﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾**(7)؛ الآية.

وكان خبره: أنّ غنماً دخلت كرْماً فأكلت عناقيده وأفسدته، فقضى داود بالغنم لصاحب الكرْم. فقال سليمان: أوَغير ذلك، أن تسلّم الكرْم إلى صاحب الغَنَم، فيقوم

---

(1) تاريخ الطبري ١/٤٨٦، تفسير الطبري ٢٢/٤٨، عرائس المجالس ٢٣٠، المعارف ٤٦، ٤٧، تاريخ اليعقوبي ١/٥٧، تاريخ سِنيّ ملوك الأرض ٨١، البدء والتاريخ ٣/١٠٣، مروج الذهب ١/٥٧، تاريخ مختصر الدول لابن العبري ٣١، المستدرك على الصحيحين ٢/٥٨٧، تلخيص المستدرك للذهبي ٢/٥٨٧، زاد المسير ٥/٣٧١ - ٣٧٥ و٦/١٥٩ - ١٨٠، ٤٣٨ - ٢٤٢، الدرّ المنثور ١/٩٥ و٤/٣٢٤ و٥/١٠٣، ٢٢٧، ٣٠٨، ابن وثيمة ١٢٧، الكسائي ٢٦٧، مرآة الزمان ١/٤٩٨، تهذيب تاريخ دمشق ٦/٢٥٢، نهاية الأرب ١٤/٧٦، البداية والنهاية ٢/١٨، العهد القديم - سفر الملوك الأول - الإصحاح الأول - ص ٥٢٨، تاريخ المنبجي ١/٧٧.

(2) في النسخة الأوربية «يأتيه».

(3) الطبري ١/٤٨٦.

(4) أخرج الحاكم في المستدرك ٢/٥٨٩ من طريق ابن إسحاق، عن الزهري، عن الشعبي، حديثاً فيه «فسخّر له الجنّ والإنس والطير والريح».

(5) الطبري ١/٤٨٦.

(6) الطبري ١/٤٨٦، مرآة الزمان ١/٤٩٨.

(7) الأنبياء/٧٨.

عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرْم، فيصيب منها إلى أن يعود كرمه إلى حاله، ثمّ يأخذ كرمه ويدفع الغنم إلى صاحبها. فأمضى داود قوله. وقال الله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً﴾[1].

قال بعض العلماء: في هذا دليل على أنّ كلّ مجتهد في الأحكام الفروعيّة مصيب، فإنّ داود أخطأ الحكم الصحيح عند الله تعالى، وأصابه سليمان، فقال الله تعالى: ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً﴾[1].

وكان سليمان يأكل من كسْب يده، وكان كثير الغزو، وكان إذا أراد الغزوَ أمر بعمل بساط من خشب يسع عسكره، ويركبون عليه هم ودوابّهم وما يحتاجون إليه، ثمّ أمر الريح فحملته، فسارت في غدوته مسيرةَ شهر، وفي رَوْحَته كذلك[2].

وكان له ثلاثمائة زوجة وسبعمائة سُرّيّة، وأعطاه الله أجراً[3]، أنّه لا يتكلّم أحد بشيء إلّا حملته الريح إليه، فيعلم ما يقول[4].

ذكر ما جرى له مع بِلقيس

نذكر أوّلاً ما قيل في نسبها ومُلْكها، ثمّ ما جرى له معها، فنقول: قد اختلف العلماء في اسم آبائها.

فقيل: إنّها[5] هي بلقمة ابنة ليشرح[6] بن الحارث بن قيس بن صيفيّ بن سبأ بن يشجب بن يعرُب بن قحطان.

وقيل: هي بلقمة ابنة هادد[7]، واسمه ليشرح بن تُبّع ذي الأذعار[8] بن تُبّع ذي المنار بن تُبّع الرايش[9].

وقيل في نسبها غير ذلك لا حاجة إلى ذِكره.

---

(١) قرآن كريم - سورة الأنبياء/ ٧٩.
(٢) تاريخ الطبري ١/ ٤٨٧، عرائس المجالس ٢٣٠، ٢٣١، مرآة الزمان ١/ ٤٩٨.
(٣) في النسخة (ب): «خيراً».
(٤) الطبري ١/ ٤٨٨، عرائس المجالس ٢٣١.
(٥) في النسخة الأوربية «إن»، والمثبت عن طبعة صادر ١/ ٢٣٠.
(٦) في تاريخ الطبري ١/ ٤٨٩ «يلمقة ابنة اليشرح»، وقيل «ابنة أيلي شرح». وفي النسخة (ر): «ابنة أنيشرح».
(٧) في النسخة (ب) «الهندباد»، وفي النسخة (ت) «هاد ساد»، وفي النسخة (ر) «ابنة الهدهاد»، وفي البدء والتاريخ ٣/ ١٠٨ «بنت هدّاد».
(٨) في النسخة الأوربية «الأعذار»، والتصحيح من طبعة صادر.
(٩) في البدء والتاريخ «هدّاد بن شراحيل بن عمرو بن الحارث بن الرياش» (٣/ ١٠٨).

وقد اختلف النّاس في التبابعة وتقديم بعضهم على بعض، وزيادة في عددهم ونقصان، اختلافاً[1] لا يحصل الناظر فيه على طائل، وكذا أيضاً اختلفوا في نسبها اختلافاً كثيراً.

وقال كثير من الرُّواة: إنّ أمّها جنّيّة ابنة ملك الجنّ، واسمها رواحة بنت السكن[*].

وقيل: اسم أمّها يلقمة بنت عمرو بن عُمَير الجنّيّ، وإنّما نكح أبوها إلى الجنّ لأنّه قال: ليس في الإنس لي كفوة، فخطب إلى الجنّ، فزوّجوه.

واختلفوا في سبب وصوله إلى الجنّ حتى خطب إليهم فقيل: إنّه كان لَهِجاً بالصيد، فربّما اصطاد الجنّ على صُوَر الظّباء، فيخلّي عنهنّ، فظهر له ملك الجنّ وشكره على ذلك واتّخذه صديقاً، فخطب ابنته، فأنكحه على أن يعطيه ساحلَ البحر[2] ما بين يَبْرين[3] إلى عدن.

وقيل: إنّ أباها خرج يوماً متصيّداً، فرأى حيّتين تقتتلان، بيضاء وسوداء، وقد ظهرت السوداء على البيضاء، فأمر بقتل السوداء، وحمل البيضاء وصبّ عليها ماء، فأفاقت، فأطلقها وعاد إلى داره، وجلس منفرداً، وإذا معه شابّ جميل، فذعر منه، فقال له: لا تخف أنا الحيّة التي أنجيتني، والأسود الذي قتلته غلامٌ لنا تمرّد علينا وقتل عدّة من أهل بيتي؛ وعرض عليه المال[4] وعلم الطبّ، فقال: أمّا المال فلا حاجة لي به، وأمّا الطبّ فهو قبيح بالملك، ولكن إن كان لك بنت فزوّجنيها، فزوّجه على شرط أن لا يغيّر عليها شيئاً تعمله، ومتى غيّر عليها فارقته، فأجابه إلى ذلك، فحملت منه[5]، فولدت له غلاماً، فألقته في النّار، فجزع لذلك وسكت للشرط، ثمّ حملت منه، فولدت جاريةً، فألقتها إلى كلبة فأخذتها، فعظُم ذلك عليه وصبر للشرط، ثمّ إنّه عصى عليه بعض أصحابه، فجمع عسكره، فسار إليه ليقاتله وهي معه، فانتهى إلى مفازة، فلمّا توسّطها

---

(١) في النسخة الأوربية «اختلافاتهم»، والتصحيح من طبعة صادر ١/٢٣١.

(*) في الطبعة الأوربية وطبعة صادر ١/٢٣١ «السكر»، والتصحيح من مرآة الزمان ١/٥١٥.

(٢) في النسخة (ب) و(ت) و(ر): «الشحر».

(٣) في النسخة (ب): «هرمز».
وَيْبرِين: بالفتح ثم السكون، وكسر الراء. قيل هو رمل لا تُدرك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حَجْر اليمامة. وقال السكري: يبرين بأعلى بلاد بني سعد. وفي كتاب نصر: يبرِين من أصقاع البحرين.. (معجم البلدان ٥/٤٢٧).

(٤) في الطبعة الأوربية «وعرض على أبيها المال»، والتصحيح من طبعة صادر ١/٢٣١.
وانظر الخبر باختصار في مروج الذهب ٢/٧٥، ومرآة الزمان ١/٥١٥

(٥) في الطبعة الأوربية «إليه»، والتصحيح من طبعة صادر ١/٢٣٢.

رأى جميع ما معهم من الزاد يُخلط بالتراب، وإذا الماء يُصبّ من القِرَب والمَزَاوِد، فأيقنوا بالهلاك، وعلموا أنّه من فعال الجنّ عن أمر زوجته، فضاق ذرعاً عن حمل ذلك، فأتاها وجلس وأومأ إلى الأرض وقال: يا أرض صبرتُ لكِ على إحراق ابني وإطعام الكلبة ابنتي، ثمّ أنتِ الآن قد فجعتنا[1] بالزاد والماء، وقد أشرفنا على الهلاك!.

فقالت المرأة: لو صبرتَ لكان خيراً لك، وسأخبرك: إنّ عدوّك خدع وزيرك، فجعل السمّ في الأزواد والمياه ليقتلك وأصحابك، فمُرْ وزيرك ليشرب ما بقي من الماء ويأكل من الزاد، فأمره فامتنع، فقتله.

ودلّتهم على الماء والميرة من قريب وقالت: أمّا ابنك فدفعتُه إلى حاضنة تربّيه وقد مات، وأمّا ابنتك فهي باقية، وإذا بجُوَيرية قد خرجت من الأرض، وهي بلقيس، وفارقته امرأتُه، وسار إلى عدوّه فظفر به.

وقيل في سبب نكاحه إليهم غير ذلك، والجميع حديث خرافة لا أصل له ولا حقيقة.

وأمّا ملْكها اليمن فقيل: إنّ أباها فوّض إليها المُلك فملكت بعده.

وقيل: بل مات من غير وصيّة بالملك لأحد. فأقام النّاس[2] ابن أخ له، وكان فاحشاً خبيثاً فاسقاً، لا يبلغه عن بنت قَيْل ولا ملك ذات جمال إلّا أحضرها وفضحها، حتى انتهَى إلى بلقيس بنت عمّه، فأراد ذلك منها، فوعدته أن يحضر عندها إلى قصرها، وأعدّت له رجلَين من أقاربها، وأمرتهما بقتله إذا دخل إليها وانفرد بها، فلمّا دخل إليها وثبا عليه فقتلاه، فلمّا قُتل أحضرت وزراءَه فقرّعتهم فقالت: أما كان فيكم من يأنف لكريمته وكرائم عشيرته! ثمّ أرتهم إيّاه قتيلاً وقالت: اختاروا رجلاً تملّكونه. فقالوا: لا نرضى بغيرك؛ فملّكوها.

وقيل: إنّ أباها لم يكن ملكاً وإنّما كان وزير الملك، وكان الملك خبيثاً، قبيح السيرة يأخذ بنات الأقيال والأعيان والأشراف، وأنّها قتلته، فملّكها النّاس عليهم.

وكذلك أيضاً عظّموا ملكها وكثرة جندها فقيل: كان[3] تحت يدها أربعمائة ملك، كلّ ملك منهم على كورة، مع كلّ ملك منهم أربعة آلاف مقاتل، وكان لها ثلاثمائة وزير يدبّرون ملكها، وكان لها اثنا عشر قائداً، يقود كلّ قائد منهم اثني عشر ألف مقاتل.

---

(١) في الطبعة الأوربية «فجعتينا»، والتصحيح من طبعة صادر.
(٢) في النسخة (ت): «فملك الجند»
(٣) في الطبعة الأوربية «كانت» والتصحيح من طبعة صادر ١/٢٣٣.

وبالغ آخرون مبالغةً تدلّ على سخف عقولهم وجهلم، قالوا: كان لها اثنا عشر ألف قَيْل[1]، تحت يد كلّ قَيْل مائة ألف مقاتل، مع كلّ مقاتل سبعون ألف جيش، في كلّ جيش سبعون ألف مبارز[2]، ليس فيهم إلاّ أبناء خمسٍ وعشرين سنة، وما أظنّ الساعةَ راويَ هذا الكذِب الفاحش عرف الحسابَ حتي يعلم مقدارَ جهله، ولو عرف مبلغ العدد لأقصر عن إقدامه على هذا القول السخيف، فإنّ أهل الأرض لا يبلغون جميعهم، شبابهُم وشيوخُهم وصبيانُهم ونساؤهم هذا العدد، فكيف أن يكونوا أبناء خمسٍ وعشرين سنة! فيا ليت شِعري كم يكون غيرهم ممّن ليس من أسنانهم، وكم تكون الرعيّة وأرباب الحِرَف والفلاحة وغير ذلك، وإنّما الجند بعض أهل البلاد، وإن كان الحاصل من اليمن قد قلّ في زماننا فإنّ رقعة أرضه لم تصغر، وهي لا تسع هذا العدد قياماً كلّ واحد إلى جانب الآخر.

ثمّ إنّهم قالوا: أنفقتْ على كوّة بيتها التي تدخل الشمس منها فتسجد لها ثلاثمائة ألف أوقيّة من الذهب، وقالوا غير ذلك، وذكروا من أمر[3] عرشها ما يناسب كثرَة جيشها، فلا نطوِّل بذِكره.

وقد تواطأُوا على الكذِب والتلاعب بعقول الجُهّال، واستهانوا بما يلحقهم من استجهال العقلاء لهم، وإنّما ذكرنا هذا على قبحه ليقف بعض مَن كان يصدق به عليه فينتهي إلى الحقّ.

وأمّا سبب مجيئها إلى سليمان وإسلامها، فإنّه طلب الهُدْهُد فلم يره، وإنّما طلبه لأنّ الهدهد يرى الماء من تحت الأرض، فيعلم هل في تلك الأرض ماءً أم لا، وهل هو قريبٌ أم بعيد، فبينما سليمان في بعض مغازيه احتاج[4] إلى الماء، فلم يعلم أحد ممّن معه بُعده، فطلب الهدهدَ ليسأله عن ذلك فلم يره.

وقيل: بل نزلت الشمس إلى سليمان، فنظر ليرى من أين نزلت، لأنّ الطير كانت تظلّه، فرأى موضع الهدهد فارغاً، فقال: ﴿**لَأُعَذِّبَنَّه عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ**﴾[5].

---

(١) في النسختين (ب) و(ت): «قايد»، وهو تصحيف. وانظر الخبر في عرائس المجالس ٢٤٥. وعن «القيْل» أنظر: الروض الأنف للسهيلي ١/٤٣، ٤٤.

(٢) في عملية حسابية يتبيّن أن الرقم الإجمالي هو: ....٥,٨٨٠ وهذا رقم خيالي، وقد أصاب المؤلف في نقده.

(٣) في النسخة (ت): «عظم»، والمثبت من طبعة صادر.

(٤) في الطبعة الأوربية «فاحتاج»، والمثبت من طبعة صادر.

(٥) النمل/٢١، والخبر باختصار عن تاريخ الطبري ١/٤٨٩، ٤٩٠.

وكان الهدهد قد مرّ على قصر بلقيس فرأى بستاناً لها خلف قصرها، فمال إلى الخضرة، فرأى فيه هدهداً فقال له: أين أنت عن سليمان وما تصنع هاهنا؟ فقال له: ومَنْ سليمان؟ فذكر له حاله، وما سُخّر له من الطير وغيره، فعجب من ذلك. فقال له هدهد سليمان: وأعجب من ذلك أنّ كثرة هؤلاء القوم تملكهم امرأة **﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾**[1]، وجعلوا الشكر لله أن سجدوا للشمس من دونه[2].

وكان عرشها سريراً من ذهب مكلّل بالجواهر النفيسة من اليَوَاقيت والزبرجد واللّؤلؤ[3].

ثمّ إنّ الهدهد عاد إلى سليمان فأخبره بعذره في تأخيره، فقال له: اذهب بكتابي هذا فَأَلْقِهْ إليها، فوافاها وهي في قصرها، فألقاه في حجْرها، فأخذته وقرأته وأحضرت قومها وقالت: **﴿إنّي أُلْقِيَ إليَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ، إنّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ، وَإنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ ألاّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾**[4] **﴿يَا أيُّهَا المَلأُ... مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾**[5].

﴿قَالُوا: نَحْنُ أُولُوا قُوّةٍ وَأُولُوا بَأسٍ شَدِيدٍ، وَالأَمْرُ إلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأمُرِينَ﴾[6]. قَالَتْ: **﴿إنّي مُرْسِلَةٌ إلَيْهِمْ بِهَدِيّةٍ﴾**[7] فإن قبلها فهو من ملوك الدنيا، فنحن أعزّ منه وأقوى، وإنْ لم يقبلْها فهو نبيّ من الله[8].

فلمّا جاءت الهديّة إلى سليمان قال للرُسُل: **﴿أتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِمّا آتَاكُمْ﴾** ـ إلى قوله: ـ **﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾**[9]؛ فلمّا رجع الرّسلُ إليها سارت إليه، وأخذت معها الأقْيال من قومها، وهم القوّاد، وقدِمَتْ عليه، فلمّا قاربته وصارت منه على نحو فرسخ قال لأصحابه: **﴿أيُّكُمْ يَأتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ؟ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ**

---

(١) النمل/٢٣.
(٢) الخبر إلى هنا في تاريخ الطبري ١/٤٩٠.
(٣) أنظر: عرائس المجالس ٢٤٧.
(٤) النمل/٢٩ ـ ٣١.
(٥) النمل/٣٢.
(٦) النمل/٣٣.
(٧) النمل/٣٥.
وفي النسخة (ر) تكملة للآية الكريمة: «فناظرة بم يرجع المرسلون».
(٨) الطبري ١/٤٩١.
(٩) النمل/٣٦ ـ ٣٧.

الجِنّ: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾[1]، يعني قبل أن تقوم في الوقت الذي تقصد فيه بيتك للغداء. قال سليمان: أريد أسرع من ذلك. فـ ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ - وهو آصف بن برخيّا، وكان يعرف اسم الله الأعظم -: أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[2]، وقال له: انظر إلى السماء وأدِم النَّظَرَ، فلا تردّ طرفك حتى أُحْضره[3] عندك. وسجد ودعا، فرأى سليمان العرش قد نبع من تحت سريره، فقال: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ﴾[4] إذ أتاني به قبل أن يرتدّ إليّ طرْفي ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾[5]، إذ جعل تحت يدي من هو أقدر منّي على إحضاره.

فلمّا جاءت قيل: ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكِ؟ قَالَتْ: كَأَنَّهُ هُوَ﴾[5] ولقد تركتُه في حصون، وعنده جنوده تحفظه، فكيف جاء إلى هاهنا؟.

فقال سليمان للشياطين: ابنوا لي صرحاً تدخل عليّ فيه بِلْقيس. فقال بعضهم: إنّ سليمان قد سُخّر له ما سُخّر، وبلقيس ملكة سبأ ينكحها، فتلد غلاماً، فلا ننفكّ من العبوديّة أبداً، وكانت امرأة شَعْراء الساقين، فقال للشياطين: ابنوا له بنياناً[6] يرى ذلك منها، فلا يتزوّجها، فبنوا له صَرْحاً من قوارير خُضْرٍ[7]، وجعلوا له طوابيق من قوارير بِيض[8]، فبقي كأنّه الماء، وجعلوا تحت الطوابيق صُوَر دوابّ البحر من السمك وغيره، وقعد سليمان على كرسيّ، ثمّ أمر فأُدخِلَت بلقيس عليه، فلمّا أرادت أن تدخله ورأت صُوَر السمك ودوابّ الماء حَسِبَتْه[9] لجّةَ ماءٍ، فكشفت عن ساقيها لتدخل، فلمّا رآها سليمان صرف نظره عنها و ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ، قَالَتْ: رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾[10].

فاستشار سليمان في شيءٍ يزيل الشعرَ ولا يضرّ الجسدَ، فعمل له الشياطين النُّورة، فهي أوّل ما عملت النُّورة[11].

---

(١) النمل/٣٨ - ٣٩.

(٢) النمل/٤٠.

(٣) في النسخة الأوربية «أحضر»، والتصحيح من طبعة صادر ١/٢٣٦

(٤) النمل/٤٠.

(٥) النمل/٤٢.

(٦) في النسختين (ب) و(ت): «بيتاً»، والمثبت من نسخة (ر)، وهو يتفق مع الطبري ١/٤٩٣.

(٧) في الطبعة الأوربية «أخضر»، والتصحيح من طبعة صادر ١/٢٣٧.

(٨) في الطبعة الأوربية «أبيض».

(٩) في الطبعة الأوربية «فحسبته».

(١٠)النمل/٤٤.

(١١)الطبري ١/٤٩٣، ٤٩٤ وانظر عرائس المجالس ٢٥٣.

ونكحها سليمان وأحبّها حبّاً شديداً، وردّها إلى مُلكها باليمن، فكان يزورها كلّ شهر مرّة، يقيم عندها ثلاثة أيّام[1].

وقيل: إنّه أمرها أن تنكِحَ رجلاً من قومها، فامتنعت وأَنِفَت من ذلك، فقال: لا يكون في الإسلام إلّا ذلك. فقالت: إن كان لا بدّ من ذلك فزوّجْني ذا تُبَّع ملك هَمْدان، فزوّجه إيّاها ثمّ ردّها إلى اليمن، وسلّط زوجها ذا تُبَّع على الملك، وأمر الجنّ من أهل اليمن بطاعته، فاستعملهم ذو تبّع، فعملوا له عدّة حصون باليمن، منها سُلْحين[2] ومراوح[3] وفليون[4] وهُنَيْدَة وغيرهما[5]، فلمّا مات سليمان لم يطيعوا ذا تُبَّع. وانقضى مُلك ذي تُبّع ومُلك بِلقيس مع مُلك سليمان[6].

وقيل: إنّ بِلقيس[7] ماتت قبل سليمان بالشام، وإنّه دفنها بتَدْمُرْ، وأخفَى قبرها.

ذكر غزوته أبا زوجته جرادة ونكاحها وعبادة الصنم في داره وأخذ خاتمه وعَوْده إليه

قيل: سمع سليمان بملكٍ في جزيرة من جزائر البحر، وشدّة ملكه وعِظَم شأنه، ولم يكن للنّاس إليه سبيل، فخرج سليمان إلى تلك الجزيرة، وحملته الريح حتى نزل بجنوده بها، فقتل ملكها، وغنم ما فيها، وغنم بنتاً للملك لم يرَ النّاس مثلها حُسناً وجمالاً، فاصطفاها لنفسه، ودعاها إلى الإسلام، فأسلمت على قلّة رغبةٍ فيه، وأحبّها حبّاً شديداً، وكانت لا يذهب حزنها ولا تزال تبكي، فقال لها: ويحك ما هذا الحزن والدمع الذي لا يرقأ؟ قالت: إنّي أذكر أبي وملكه وما أصابه، فيُحزنني ذلك. قال: فقد أبدلكِ الله مُلْكاً خيراً من ملكه، وهداك إلى الإسلام. قالت: إنّه كذلك، ولكنّي إذا ذكرتُه أصابني ما ترى، فلو أمرتَ الشياطين فصوّروا صورته في داري، أراها بُكْرةً وعشيّة، لرجوتُ أن يُذهِب ذلك حزني.

---

(١) عرائس المجالس ٢٥٣.

(٢) في الطبعة الأوربية «سلخين»، والتصحيح من معجم البلدان ٣/٢٣٥ حيث قال: بفتح أوله، وسكون ثانيه ثم حاء مهملة مكسورة وياء مثناة من تحت ساكنة وآخره نون. حصن عظيم بأرض اليمن كان للتبابعة ملوك اليمن..

(٣) في تاريخ الطبري ١/٤٩٥ «مراح»، وفي معجم البلدان «مرواح»، ولم يُفْرد له مادّة، بل ذكره في مادّة «سَلْحِين» (٣/٢٣٥).

(٤) في تاريخ الطبري ومعجم البلدان ٣/٢٣٥ «بَيْنون».

(٥) راجع الطبري ١/٤٩٥ ومعجم البلدان ٣/٢٣٥ و ٥/٤١٩.

(٦) الطبري ١/٤٩٥، عرائس المجالس ٢٥٣.

(٧) في النسخة (ر): «وقيل بل بقيا».

فأمر الشياطين فعملوا لها مثل صورته لا تُنكر[1] منها شيئاً، وألبستها ثياباً مثل ثياب أبيها، وكانت إذا خرج سليمان من دارها، تغدو عليه في جواريها فتسجد له، ويسْجدن معها، وتروح عشيّةً ويرُحْن، فتفعل مثل ذلك، ولا يعلم سليمان بشيءٍ من أمرها أربعين صباحاً.

وبلغ الخبر آصفَ بن برخيّا، وكان صِدِّيقاً، وكان لا يُردّ من منازل سليمان أيَّ وقتٍ أراد، من ليل أو نهار، سواء كان سليمان حاضراً أو غائباً، فأتاه فقال: يا نبيّ الله قد كبُرَ سِنّي ودقّ[2] عظمي، وقد حان منّي ذهاب عمري[3]، وقد أحببتُ أن أقوم مقاماً أذكر فيه أنبياءَ الله، وأُثني عليهم بعلمي فيهم، وأعلّم النّاس بعضَ ما يجهلون. قال: افعل. فجمع له سليمان النّاس، فقام آصفُ خطيباً فيهم، فذكر من مضى من الأنبياء وأثنى عليهم، حتى انتهى إلى سليمان فقال: ما كان أحلمك في صغرك، وأبعدك من كلّ ما يُكره في صِغَرك. ثمّ انصرف.

فمُلىء سليمان غضباً، فأرسل إليه وقال له: يا آصف لمّا ذكرتَني جعلتَ تثني عليّ في صِغَري، وسكتَّ عمّا سوى ذلك، فما الذي أحدثتُ في آخر أمري؟ قال: إنّ غيرَ الله ليُعبد في دارك أربعين يوماً في هوى امرأة. قال: ﴿إنَّا لله وَإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[4]، لقد علمتُ أنّك ما قلتَ إلاّ عن شيءٍ بَلَغَكَ، ودخل داره وكسر الصنم، وعاقب تلك المرأة وجواريها. ثمّ أمر بثياب الطهارة فأُتي بها، وهي ثياب تغزلها الأبكار اللائي لم يحضْن، ولم تمسّها امرأة ذات دم[5]، فلبسها وخرج إلى الصحراء، وفرش الرماد، ثمّ أقبل تائباً إلى الله وتمعّك في الرمادِ بثيابه تَذلّلاً لله تعالى وتضرّعاً، وبكى واستغفر يومه ذلك، ثمّ عاد إلى داره.

وكانت أمّ ولد له لا يثق إلاّ بها، يسلّم خاتمه إليها، وكان لا ينزعه إلاّ عند دخول الخلاء، وإذا أراد أن يصيب امرأة فيسلّمه إليها حتى يتطهّر، وكان ملكه في خاتمه، فدخل في بعض تلك الأيّام الخلاء، وسلّم خاتمه إليها، فأتاها شيطان اسمُه صخر الجنّيّ في صورة سليمان، فأخذ الخاتم، وخرج إلى كرسيّ سليمان، وهو في صورة سليمان، فجلس عليه، وعكفت عليه الإنس والجنّ والطير. وخرج سليمان وقد تغيّرت حاله وهيئته، فقال: خاتمي! فقالت: ومَنْ أنت؟ قال: أنا سليمان. قالت: كذبتَ لستَ

---

(١) في الطبعة الأوربية، وطبعة صادر ١/٢٣٩ «ينكر»، والتصحيح من تاريخ الطبري، وعرائس المجالس.

(٢) في النسخة (ر): «رق» بالراء، والمثبت يتفق مع الطبري والثعلبي.

(٣) في الطبعة الأوربية «بصري»، والمثبت يتفق مع الطبري والثعلبي.

(٤) البقرة/١٥٦.

(٥) في الطبعة الأوربية «الدم»، والمثبت من طبعة صادر ١/٢٤٠.

بسليمان! قد جاء سليمان وأخذ خاتمه منّي، وهو جالس على سريره! فعرف سليمان خطيئته، فخرج وجعل يقول لبني إسرائيل: أنا سليمان، فيحْثُون عليه التراب، فلمّا رأى ذلك قصد البحر، وجعل ينقل سمك الصيّادين، ويعطونه كلَّ يوم سمكتَين، يبيع إحداهما بخبز، ويأكل الأخرى، فبقي كذلك أربعين يوماً.

ثمّ إنّ آصف وعظماء بني إسرائيل، أنكروا حكم الشيطان المتشبّه بسليمان، فقال آصف: يا بني إسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم سليمان ما رأيتُ؟ قالوا: نعم. قال: أمهِلوني حتى أدخل على نسائه، وأسألهنّ هل أنكرن ما أنكرنا منه. فدخل عليهنّ وسألهنّ، فذكرن أشدّ ممّا عنده، فقال: **﴿إنّا لله وإنّا إليه راجعون﴾**[1]، **﴿إنّ هذا لهو البلاءُ المُبِينُ﴾**[2].

ثمّ خرج إلى بني إسرائيل فأخبرهم، فلمّا رأى الشيطان أنّهم قد علموا به، طار من مجلسه، فمرّ بالبحر فألقى الخاتم فيه، فبلعته سمكة، واصطادها صيّادٌ، وعمل[3] له سليمان يومه ذلك، فأعطاه سمكتَين، تلك السمكة إحداهما، فأخذها فشقّها ليصلحها ويأكلها، فرأى خاتمه في جوفها، فأخذه وجعله في إصبعه، وخرّ لله ساجداً، وعكفت عليه الإنسُ والجنّ والطير، وأقبل عليه النّاسُ، ورجع إلى ملكه، وأظهر التوبةَ من ذنْبه، وبثّ الشياطين في إحضار صخر الذي أخذ الخاتم، فأحضروه، فنقب له صخرة وجعله فيها، وسدّ النقَب بالحديد والرصاص، وألقاه في البحر[4].

وكان مقامه في الملك أربعين يوماً، بمقدار عبادة الصنم في دار سليمان.

وقيل: كان السبب في ذهاب ملكه، أنّ امرأة له كانت أَبَرَّ نسائه عنده تسمّى جرادة، ولا يأتمن على خاتمه سواها، فقالت له: إنّ أخي بينه وبين فلان حكومة، وأنا أحبّ أن تقضي له. فقال: أفعل، ولم يفعل، فابتُلي، وأعطاها خاتمه ودخل الخلاء، فخرج الشيطان في صورته فأخذه، وخرج سليمان بعده فطلب الخاتم، فقالت: ألم تأخذه؟ قال: لا، وخرج من مكانه تائهاً، وبقي الشيطان أربعين يوماً يحكم بين النّاس، ففطِنوا له وأحدقوا به، ونشروا التوراة فقرأوها، فطار من بين أيديهم، وألقى الخاتم في البحر، فابتلعه حوت، ثمّ إنّ سليمان قصد صيّاداً وهو جائع فاستطعمه وقال: أنا سليمان، فكذّبه وضربه فشجّه، فجعل يغسل الدّم، فلام الصيّادون صاحبَهم، وأعطوه سمكتَين،

---

(١) البقرة/١٥٦.

(٢) الصافات/١٠٦.

(٣) في الطبعتين الأوربية وصادر «حمل»، والتصويب من تاريخ الطبري ١/٤٩٩، وعرائس المجالس ٢٥٥.

(٤) الخبر في تاريخ الطبري ١/٤٩٦ ـ ٤٩٩، وعرائس المجالس ٢٥٣ ـ ٢٥٥.

إحداهما التي ابتلعت الخاتم، فشقّ بطنها وأخذ الخاتم، فردّ الله إليه ملكه، فاعتذروا إليه، فقال: لا أحمدكم على عُذركم ولا ألومكم على ما كان منكم.

وسخّر الله له الجنّ والشياطين والريح، ولم يكن سخّرها له قبل ذلك، وهو أشبه بظاهر القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إنّك أنْتَ الوَهَّابُ، فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوّاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ﴾[1].

وقيل في سبب زوال ملكه غير ذلك[2]، والله أعلم.

ذِكر وفاة سليمان

لمّا ردّ الله إلى سليمان المُلْك، لبث فيه مُطاعاً، والجنّ تعمل له ﴿مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَماثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾[3] وغير ذلك، ويعذّب من الشياطين من شاء، ويطلب من شاء، حتى إذا دنا أجلُه، وكان عادته إذا صلّى كلَّ يوم رأى شجرةً نابتة بين يديه، فيقول: ما اسمك؟ فتقول: كذا. فيقول: لأيّ شيء أنت[4]؟ فإن كانت لغرس غُرست، وإن كانت لدواء كُتبت، فبينما هو يصلّي[5] ذات يوم، إذ رأى شجرة بين يديه، فقال لها: ما اسمك؟ فقالت: الخرنوبة. فقال لها: لأيّ شيءٍ أنتِ؟ قالت: لخراب هذا البيت، يعني بيت المقدس. فقال سليمان: ما كان الله ليخرّبه وأنا حيّ، أنتِ التي على وجهك هلاكي وخراب البيت! وقلعها، ثمّ قال: اللهمّ عَمِّ على[6] الجنّ موتي حتى يعلم النّاسُ أنّ الجنّ لا يعلمون الغيب.

وكان سليمان يتجرّد للعبادة في بيت المقدس السنة والسنتين، والشهر والشهرين، وأقلّ وأكثر، يُدخل معه طعامه وشرابه، فأدخله في المرّة التي توفّي فيها، فبينما هو قائم يصلّي متوكّئاً على عصاه أدركه أجله فمات، ولا تعلم به الشياطين ولا الجنّ، وهم في ذلك يعملون خوفاً منه، فأكلت الأَرَضَةُ عصاه، فانكسرت فسقط، فعلموا أنّه قد مات، وعلم النّاس أنّ الجنّ لا يعلمون الغيب، ولو علموا ﴿الغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي العَذَابِ

---

(١) صٓ/٣٥ ـ ٣٨.

(٢) يُراجع الخبر في تاريخ الطبري ١/٤٩٩ ـ ٥٠١، وعرائس المجالس ٢٥٥، ٢٥٦، وتهذيب تاريخ دمشق ٦/٢٦٠، ٢٦١.

(٣) سبأ/١٣.

(٤) في الطبعة الأوربية «لأيّ شيء غرست أنت»، والمثبت يتفق مع الطبري ١/٥٠١، وعرائس المجالس ٢٥٧.

(٥) في الطبعة الأوربية «فبينما هو قد صلى»، والمثبت يتفق مع الطبري.

(٦) في الطبعة الأوربية «عن»، والمثبت يتفق مع الطبري ١/٥٠١ وعرائس المجالس ٢٥٧.

المُهِينِ﴾[1] ومقاساة الأعمال الشاقّة.

ولما سقط أراد بنو إسرائيل أن يعلموا منذ كم مات، فوضعوا الأَرَضَة على العصا يوماً وليلة، فأكلت منها، فحسِبوا بنسبته، فكان أكْل تلك العصا في سنة، ثمّ إنّ الشياطين قالوا للأرضة: لو كنتِ تأكلين الطعام لأتيناكِ بأطيب الطعام، ولو كنتِ تشربين الشراب لأتيناك بأطيب الشراب، ولكنّا سننقل لكِ الماء والطين، فهم ينقلون إليها [ذلك] حيث كانت. ألم ترَ إلى الطين يكون في وسط الخشبة؟ فهو ما ينقلونه لها[2].

قيل: إنّ الجنّ والشياطين شكوا ما يلحقهم من التعب والنصب إلى بعض أولي التجربة منهم.

وقيل: كان إبليس، فقال لهم: ألستم تنصرفون بأحمال وتعودون بغير أحمال؟ قالوا: بلى. قال: فلكم في كلّ ذلك راحة، فحملت الريح الكلامَ فألقته في أُذُن سليمان، فأمر الموكّلين بهم أنّهم إذا جاءوا بالأحمال والآلات التي يُبنَى بها إلى موضع البناء والعمل، يحمِّلهم مَنْ هناك في عَودهم ما يُلقونه من المواضع التي فيها الأعمال، ليكون أشقّ عليهم وأسرع في العمل، فاجتازوا بذلك الذي شكوا إليه حالهم، فأعلموه حالهم، فقال لهم: انتظروا الفرج، فإنّ الأمور إذا تناهت تغيّرت، فلم تطُل مدّة سليمان بعد ذلك حتى مات[3].

وكان مدّة عمره ثلاثاً وخمسين سنة، ومُلكه أربعين سنة[4].

---

(١) سبأ/١٤.
(٢) الخبر في تاريخ الطبري ١/٥٠٢، ٥٠٣، وعرائس المجالس ٢٥٧، ٢٥٨.
(٣) أنظر عرائس المجالس ٢٥٧.
(٤) عرائس المجالس ٢٥٨.

ذكر من ملك من الفرس بعد كيقباذ[1]

لما توفي كَيْقُبَاذ ملك بعده ابنه كيكاووس بن كينية[2] بن كَيْقُباذ، فلمّا ملك حمى بلادَه، وقتل جماعةً من عظماء البلاد المجاورة له، وكان يسكن بنواحي بَلْخ، ووُلد له ولد سمّاه سياوخش، وضمّه إلى رستم الشديد بن داستان بن نريمان[3] بن جوذنك بن كرشاسب، وكان إصبَهْبَذ[4] سِجِسْتان وما يليها، وجعله عنده ليربّيه، فأحسن تربيته وعلّمه العلوم والفروسيّة والآداب وما يحتاج الملوك إليه، فلمّا كمل ما أراد حمله إلى أبيه، فلمّا رآه سرّ به صورةً ومعنى.

وكان أبوه كيكاووس قد تزوّج ابنة أفراسياب[5] ملك التُرك.

وقيل: إنّها ابنة ملك اليمن، فهويت سياوخش ودعته إلى نفسها، فامتنع، فسعت به إلى أبيه حتى أفسدته عليه، فسأل سياوخش رستم الشديد ليتوصّل مع أبيه، لينفذه إلى محاربة أفراسياب، بسبب منعه بعض ما كان قد استقرّ بينهما، وأراد البُعْدَ عن أبيه ليأمن كيدَ امرأته، ففعل ذلكِ رستم، فسيّره أبوه وضمّ إليه جيشاً كثيفاً، فسار إلى بلاد الترك للقاء أفراسياب، فلمّا سار إلى تلك الناحية جرى بينهما صلح، فكتب سياوخش إلى أبيه يعرِّفه ما جرى بينه وبين أفراسياب من الصلح، فكتب إليه والده يأمره بمناهضة أفراسياب ومحاربته وفسْخ الصلح، فاستقبح سياوخش الغدرَ وأنِف منه، فلم ينفّذ ما أمره به، ورأى أنّ ذلك من فِعل زوجة والده ليقبّح فِعله، فراسل أفراسياب في الأمان لنفسه لينتقل إليه،

---

(١) تاريخ الطبري ١/٥٠٤، البدء والتاريخ ٣/١٤٧، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٣٥، مروج الذهب ١/٢٢٧، تاريخ اليعقوبي ١/١٥٨، نهاية الأرب ١٥/١٥١.

(٢) في تاريخ الطبري ١/٥٠٤ «كيبيه»، وفي البدء والتاريخ ٣/١٤٧ «كايونه»، وفي نهاية الأرب ١٥/١٥١ «كينة»

أما «كيكاووس»، أو «كيكاوس»، أو «كيقاوس»، فهو «قابوس» بالعربية. (غُرر أخبار ملوك الفرس وسِيَرهم).

(٣) في تاريخ الطبري «بريمان» بالباء.

(٤) سبق التعريف بهذا المُصْطَلَح.

(٥) في الأصل «فراسياب» والتصحيح من نسختي (ت) و(ر).

فأجابه أفراسياب إلى ذلك، وكان السفير في ذلك قيران بن ويسعان[1]، ودخل سياوَخش إلى بلاد التُرك، فأكرمه أفراسياب وأنزله، وأجرى عليه، وزوّجه بنتاً له يقال لها وسفافريد[2]، وهي أمّ كيخسرو[3]، فظهر له من أدب سياوَخش ومعرفته بالملك وشجاعته ما خاف على مُلْكه منه، وزاد الفساد بينهما بسعيِ ابنَيْ أفراسياب وأخيه كيدر[4] حسداً منهم لسياوَخش، فأمرهم أفراسياب بقتله، فقتلوه ومثّلوا به، وكانت زوجته ابنة أفراسياب حاملة منه بابنه كيخسرو، فطلبوا الحيلة في إسقاط ما في بطنها، فلم يسقط، فأنكر قيران[5] الذي كان أمان سياوخش على يده قتله، وحذر عاقبته والأخذ بثأره من والده كيكاووس، ومن رستم، وأخذ زوجة سياوَخش إليه لتضع ما في بطنها ويقتله، فلمّا وضعت رقّ قيران لها وللمولود ولم يقتله، وستر أمره حتى بلغ، فسيّر كيكاووس إلى بلاد الترك مَنْ كشف أمره وأخذه إليه[6].

وحين بلغ خبر قتْله إلى فارس، لبس شادوس[7] بن جَوْدرز السوادَ حُزناً، وهو أوّل من لبسه، ودخل على كيكاووس فقال له: ما هذا؟ فقال: إنّ هذا اليوم يوم ظلام وسواد.

ثمّ إنّ كيكاووس لما علم بقتل ابنه، سيّر الجيوش مع رستم الشديد، وطوس إصبَهْبذ أصبهان، لمحاربة أفراسياب، فدخلا بلاد التُرك، فقتلا وأسرا وأثخنا فيها، وجرى لهما مع أفراسياب حروب شديدة، قُتل فيها ابنا[8] أفراسياب وأخوه الذين أشاروا بقتل سياوَخْش.

وزعمت الفرس أنّ الشياطين كانت مسخَّرة له، وأنها بَنَت له مدينةً، طولها في زعمهم ثلاثمائة فَرْسخ، وبنوا عليها سوراً من صُفر، وسوراً من شَبَهٍ[9] وسوراً من فضّة، وكانت الشياطين تنقلها بين السماء والأرض وما بينهما، وأنّ[10] كيكاووس لا يأكل ولا يشرب ولا يُحْدِث. ثمّ إنّ الله أرسل إلى المدينة من يخرّبها، فعجزت الشياطين عن

---

(١) في النسخة (ر): «بن وكسعان»، وفي تاريخ الطبري ١/٥٠٦ «فيران بن ويسغان».

(٢) في النسختين (ب) و(ت): «وسفامريد»، وهو تحريف، والمثبت من نسخة (ر) وتاريخ الطبري ١/٥٠٦، والطبعة الأوربية، وطبعة صادر.

(٣) في تاريخ الطبري ١/٥٠٦ «كيخسرونَه».

(٤) في النسخة (ر) «كندو»، وفي تاريخ الطبري «كندر».

(٥) في تاريخ الطبري «فيران» بالفاء.

(٦) الخبر في تاريخ الطبري ١/٥٠٤ - ٥٠٦، ونهاية الأرب ١٥/١٥١، ١٥٢، وانظر مروج الذهب ١/٢٢٧، والبدء والتاريخ ٣/١٤٧.

(٧) في النسختين (ب) و(ت): «سادرس».

(٨) في تاريخ الطبري ١/٥٠٧ هما «شهر وشهرة».

(٩) الشَبَه: هو النحاس الأصفر، سُمّي به لأنّه عندما يُصَفَّر يشبه الذهب بلونه.

(١٠) في النسخة (ر): «وأن فيها».

المنع عنها، فقتل كيكاووس جماعةً من رؤسائهم.

وقال بعض العلماء بأخبار المتقدّمين: إنّما سخّر له فعل[1] الشياطين أمر سليمان بن داود، وكان مظفّراً لا يناوئه أحدٌ من الملوك إلاّ ظهر عليه، فلم يزل كذلك حتى حدّثته نفسُه بالصعود إلى السماء، فسار من خراسان إلى بابل، وأعطاه الله تعالى قوّة ارتفع بها هو ومن معه حتى بلغوا السّحاب، ثمّ سلبهم الله تلك القوّة، فسقطوا وهلكوا وأفلت بنفسه وأحدث يومئذ[2].

وهذا جميعُه من أكاذيب الفرس الباردة.

ثمّ إنّ كيكاووس بعد هذه الحادثة تمزّق ملكُه، وكثرت الخوارج عليه وصاروا يغزونه، فيظفر مرّةً ويظفرون أخرى.

ثمّ غزا بلاد اليمن، وملكها يومئذٍ ذو الأذعار بن أبرهة ذي المنار بن الرايش، فلمّا ورد اليمن خرج إليه ذو الأذعار، وكان قد أصابه الفالج، فلم يكن يغزو، فلمّا وطيء كيكاووس بلادَه، خرج إليه بنفسه وعساكره، وظفر بكيكاووس، فأسره واستباح عسكره، وحبسه في بئر وأطبق عليه، فسار رستم من سِجستان إلى اليمن، وأخرج كيكاووس وأخذه، وأراد ذو الأذعار منعه، فجمع العساكر وأراد القتال، ثمّ خاف البوار، فاصطلحا على أخذ كيكاووس والعَوْد إلى بلاد الفرس، فأخذه وأعاده إلى ملكه، فأقطعه كيكاووس سِجِسْتان وزَابُلِسْتان[3]، وهي [من] أعمال غزنة، وأزال عنه اسم العبودية[4].

ثمّ توفّي كيكاووس، وكان ملكه مائة وخمسين سنة[5].

---

(١) في النسختين (ت) و(ر): «بعض».
(٢) الخبر في تاريخ الطبري ١/٥٠٧.
(٣) زابُلِسْتان: بعد الألف باء موحّدة مضمومة، ولام مكسورة، وسين مهملة ساكنة، وتاء مثنّاة من فوق، وآخره نون. كورة واسعة قائمة برأسها جنوبي بلخ وطخارستان، وهي زابل، والعجم يزيدون السين وما بعدها في أسماء البلدان شبيهاً بالنسبة، وهي منسوبة إلى زابل جدّ رستم بن دَستان. وهي البلاد التي قصبتها غزنة البلد المعروف العظيم (معجم البلدان ٣/١٢٥).
(٤) الطبري ١/٥٠٨، نهاية الأرب.
(٥) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٧.

ذكر ملك كيخسرو بن سياوَخْش بن كيكاووس[1]

لما مات كيكاووس ملك بعده ابنُ ابنه كيخسرو بن سياوَخْش بن كيكاووس، وأمّه وسفافريد ابنة أفراسياب ملك التُرك، فلمّا ملك كتب إلى الإصبهبذِين جميعهم أن يأتوا بعساكرهم جميعها، فلمّا اجتمعوا جهّز ثلاثين ألفاً مع طوس، وأمره بدخول بلاد التُرك، وأن لايمرّ بقرية ولا مدينة لهم إلاّ قتل كلّ من فيها، إلاّ مدينة من مدنهم، كان بها أخٌ له اسمه فيروزد[2] بن سياوَخْش، كان أبوه قد تزوّج أمّه في بعض مدائن الترك، فاجتاز طوس بها، فجرى بينه وبين فيروزد حرب، قُتل فيها فيروزد، فبلغ خبره كيخسرو، فعظُم عليه، وكتب إلى عمٍّ له كان مع طوس، يأمره بالقبض على طوس، وإرساله[3] مقيَّداً، والقيام بأمر الجيش، ففعل ذلك، وسار بالعسكر نحو أفراسياب، فسيّر أفراسياب العساكر إليه، فاقتتلوا قتالاً شديداً، كثُرت فيه القتلى، وانحازت الفرس إلى رؤوس الجبال، وعادوا إلى كيخسرو، فوبّخ عمّه ولامه، واهتمّ بغزو الترك، فأمر بجمع العساكر جميعها، وأن لا يتخلّف أحدٌ، فلمّا اجتمعوا أعلمهم أنّه يريد قصد بلاد التُرك من أربعة وجوه، فسيّر جودرز[4] في أعظم العساكر، وأمره بالدخول إلى بلاد التُرك ممّا يلي بلخ، وأعطاه دِرْفش[5] كابيان، وهو العَلَم الأكبر الذي لهم، وكانوا لا يرسلونه إلاّ مع بعض أولاد الملوك لأمر عظيم، وسيّر عسكراً آخر من ناحية الصين، وسيّر عسكراً آخر ممّا يلي الخزر، وعسكراً آخر بين هذين العسكرين، فدخلت العساكر بلاد التُرك من كلّ جهاتها وأخربتها، لا سيّما جودرز، فإنّه قتل وأخرب وسبى، وتبعه كيخسرو بنفسه في طريقه، فوصل إليه وقد قتل جماعةً كثيرة من أهل أفراسياب وأثخن فيهم، ورآه قد قتل خمسمائة ألف ونيّفاً وستين

---

(١) تاريخ الطبري ١/٥٠٩، البدء والتاريخ ٣/١٤٩، مروج الذهب ١/٢٢٧، تاريخ اليعقوبي ١/١٥٨، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٣٦، نهاية الأرب ١٥/١٥٤.

(٢) في تاريخ الطبري ١/٥١٠ «فروذ»، وفي النسختين (ت) و(ر): «فرورد».

(٣) في النسخة (ر): «وإرساله إليه».

(٤) في النسختين (ب) و(ت): «كودرز».

(٥) في نهاية الأرب ١٥/١٥٥ «دِرَفْس» بالسين المهملة. والمثبت يتفق مع الطبري، بالشين المعجمة (١/٥١١).

ألفاً، وأسر ثلاثين ألفاً، وغنم ما لا يُحدّ ولا يُحصى، وعرض عليه من قتل من أهل أفراسياب وطراخنته[1]، فعظُم جودرز عنده وشكره، وأقطعه أصبهان وجُرجان، ووردت عليه الكتبُ من عساكره الداخلة من تلك الوجوه إلى التُرك بما قتلوا وغنموا وأخربوا، وأنّهم هزموا لأفراسياب عسكراً بعد عسكر، فكتب إليهم أن يجِدُّوا في محاربتهم، ويوافوه بموضعٍ سمّاه لهم.

فلمّا بلغ أفراسيابَ قَتْلُ مَنْ قُتل من طراخنته وأهله وعساكره، عظُم ذلك عليه، فسُقِط في يديه، ولم يكن بقي عنده من أولاده غير ولده شيده[2]، فوجّهه في جيشٍ نحو كيخسرو، فسار إليه، واقتتلوا قتالاً شديداً أربعة أيّام، ثمّ انهزمت التُرك، وتبِعَهم الفُرس يقتلونهم ويأسرون، وأدركوا ابنَ أفراسياب فقتلوه، وسمع أفراسياب بالحادثة وقتل ابنه، فأقبل فيمن عنده من العساكر، فلقي كيخسرو، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يُسمع بمثله، واشتدّ الأمر، فانهزم أفراسياب، وكثُر القتل في التُرك، فقُتل منهم مائة ألف، وجدّ كيخسرو في طلب أفراسياب، ولم يزل يهرب من بلد إلى بلد، حتى بلغ أَذْرَبَيْجَان فاستتر، وظُفر به، وأُتي به إلى كيخسرو، فلمّا حضر عنده سأله عن غدره بأبيه، فلم يكن له حجّة ولا عذْر، فأمر بقتله، فذُبح كما ذُبح سياوَخْش، ثمّ انصرف من أَذْرَبَيْجَان مظفّراً منصوراً فرحاً.

فلمّا قُتل أفراسياب، مَلَكَ الترك[3] بعد أخوه كي سواسف[4]، فلمّا توفّي مَلَك بعده ابنه جرازسف[5]، وكان جبّاراً عاتياً.

فلمّا فرغ كيخسرو من الأخذ بثأر أبيه، واستقرّ في مُلكه، زهد في الدنيا، وترك المُلْك وتنسّك، واجتهد أهلُه وأصحابُه به ليلازم المُلْك، فلم يفعل، فقالوا له: فاعهدْ إلى مَنْ يقوم بالمُلْك بعدك. فعهِد إلى لهراسب[6]، وفارقهم كيخسرو وغاب عنهم، فلا يُدرى ما كان منه ولا أين مات. وبعض يقول غير ذلك.

وكان مُلْكه ستّين سنة، وملك بعده لهراسب[7].

---

(١) الطراخنة، خراسانية، مفردها طَرْخان: الرئيس الشريف.

(٢) في الطبعة الأوربية: «إلّا ولد وسيّره»، والمثبت يتفق مع النويري في نهاية الأرب ١٥/١٥٦ وفيه انه مقدّم عسكر فراسياب. وانظر الطبري ١/٥١٤.

(٣) في النسخة (ر): «ملك بلاد الترك».

(٤) في تاريخ الطبري ١/٥١٥ «كي شراسف».

(٥) في تاريخ الطبري ١/ ٥١٥ «خرزاسف» بالخاء المعجمة من فوق.

(٦) في النسختين (ب) و(ت): «بهراسب».

(٧) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ١/٥٠٩ ـ ٥١٦، وانظر نهاية الأرب ١٥/١٥٤ ـ ١٥٧.

ذكر أمر بني اسرائيل بعد سليمان[1]

قيل: ثمّ مَلَك بعد سليمان على بني إسرائيل ابنُه رُحُبْعُم[2] بن سليمان، وكان ملكه سبع عشرة سنة.

ثمّ افترقت ممالك بني إسرائيل بعد رُحُبْعُم، فملك أبيّا بن رُحُبْعُم سِبط يهوذا وبنيامين، دون سائر الأسباط، وذلك أنّ سائر الأسباط ملّكوا عليهم يوربعم[3] بن بايعا[4] عبد سليمان، بسبب القُربان الذي كانت جرادةُ زوجةُ سليمان فيما زعموا قرّبته في داره للصنم، فتوعّده الله تعالى أن ينزع بعضَ المُلْك عن ولده، فكان مُلك أَبيّا[5] بن رُحُبْعُم ثلاث سنين.

ثمّ ملك أُسا[6] بن أَبيّا أمرَ السِبْطَيْن اللذَيْن[7] كان أبوه يملكهما إحدى وأربعين سنة؛

---

(1) تاريخ اليعقوبي ١/٦١، تاريخ الطبري ١/٥١٧، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨١، مروج الذهب ١/٥٨، نهاية الأرب ١٤/١٤١، مرآة الزمان ١/٥٣٨، البداية والنهاية ٢/٣٢، تاريخ مختصر الدول ٣٣، العهد القديم - سفر الملوك الأول، الإصحاح الثاني عشر - ص ٥٥٦، تاريخ ابن خلدون ٢/١٠١، عرائس المجالس ٢٥٨.

(2) اختلفوا في اسمه، وضبطه ابن خلدون في تاريخه ٢/١٠١ براء مهملة وحاء مهملة مضمومتين وباء موحّدة ساكنة وعين مهملة مضمومة وميم. وضُبط في العهد القديم «رَحُبْعام» بفتح الراء، وضمّ الحاء المهملة، وباء موحّدة ساكنة، وعين بعدها أِلف، وميم (ص ٥٥٦). وفي مرآة الزمان ١/٥٣٨ «رجيعم» - بجيم - وياء مثنّاة. وفي تاريخ سنيّ ملوك الأرض والأنبياء للأصفهاني ٨١ «ارحبعم» بألف في أوّله. وفي مروج الذهب ١/٥٨ «أرخبعم» بألِفٍ مهموزةٍ في أوله، وخاء معجمة.

(3) ضبطه ابن خلدون بالقلم، «يربعم» بفتح، وضمّ الراء وسكون الباء. وفي العهد القديم (٥٥٥) ضُبط «يَرُبعام» بالفتح وضم الراء، وسكون الباء، وعين مهملة مفتوحة بعدها ألِف. وهو في مرآة الزمان «نورغم» (١/٥٣٨)، وفي مروج الذهب ١/٥٨ «بوريعم» بالباء الموحّدة في أوله، وبعد الراء ياء مثنّاة من تحتها. والمثبت يتفق مع الطبري ١/٥١٧.

(4) هكذا في الأصل، والطبعة الأوربية، وطبعة صادر ١/٢٥١، وفي تاريخ الطبري والعهد القديم «نابط»، وفي تاريخ مختصر الدول ٣٣ «ناباط»، وفي تاريخ ابن خلدون «نباط».

(5) في تاريخ ابن خلدون ٢/١٠١ «أفيا» وضبطه بهمزة مفتوحة ومتوسّطة بين الفاء والذال من لغتهم وياء مثنّاة من تحت مشدّدة وألِف.

(6) في النسختين (ب) و(ت): «أشا». والمثبت يتفق مع الطبري وابن خلدون الذي ضبطه بضمّ الهمزة وفتح =

وكان رجلاً صالحاً، وكان أعرج[1].

ذكر محاربة أُسا بن أبيّا ورزح[2] الهندي

قيل: كان أُسَا بن أَبيّا رجلاً صالحاً، وكان أبوه قد عبد الأصنام ودعا النّاسَ إلى عبادتها، فلمّا ملك ابنُه أُسَا أمر منادياً فنادى: ألا إنّ الكفر قد مات وأهلُه، وعاش الإيمانُ وأهلُه، فليس كافر في بني إسرائيل يطلُع رأسهُ بكفر إلاّ قتلتُهُ، فإنّ الطوفان لم يُغرق الدنيا وأهلَها، ولم يَخْسف بالقرى، ولم تُمطر الحجارة والنّار من السماء والأرض، إلاّ بترك طاعة الله والعمل بمعصيته! وشدّد في ذلك.

فأتَى بعضُهم ممّن كان يعبد الأصنام ويعمل بالمعاصي إلى أمّ أُسَا الملك، وكانت تعبد الأصنام، فشكوا إليها، فجاءتْ إليه ونهتْه عمّا كان يفعله، وبالغت في زجره، فلم يُصغِ إلى قولها بل تهدّدها على عبادة الأصنام، وأظهر البراءة منها، فحينئذٍ أيس النّاسُ منه، وانتزح مَن كان يخافه وساروا إلى الهند[3].

وكان بالهند ملك يقال له رزح[4]، وكان جبّاراً عاتياً عظيم السلطان، قد أطاعه أكثر البلاد، وكان يدعو النّاسَ إلى عبادته، فوصل إليه أولئك النفرُ من بني إسرائيل، وشكوا إليه مُلكهم، ووصفوا له البلاد وكثرتَها، وقلّة عسكرها، وضَعْفَ ملِكِها، وأطمعوه فيها.

فأرسل الجواسيسَ، فأتوه بأخبارها، فلمّا تيقّن[5] الخبر، جمع العساكر وسار إلى الشام في البحر، وقال له بنو إسرائيل: إنّ لأُسَا صديقاً ينصره ويعينه، قال: فأين أُسا وصديقه من كثرة عساكري وجنودي![6].

= السين المهملة وألِف بعدها.

(٧) في الطبعة الأوربية «الذين» وهو خطأ.

---

(١) الطبري ١/٥١٧، مرآة الزمان ١/٥٣٨، عرائس المجالس ٢٥٨، مروج الذهب ١/٥٨، نهاية الأرب ١٤/١٤١، تاريخ اليعقوبي ١/٦١، ٦٢، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨١، وتاريخ مختصر الدول ٣٣ و ٣٤، تاريخ ابن خلدون ١/١٠١.

(٢) في النسخة (ب): «رَوْحِ»، وكذا في النسخة (ت) دون ضبط. وفي تاريخ الطبري ١/٥١٧ «زرح» بتقديم الزاي على الراء. وفي مرآة الزمان ١/٥٣٩ «أزرج» بألف مهموزة في أوله، وزاي، وراء، وجيم في آخره، وفي عرائس المجالس ٢٥٨ «روح»، وفي تاريخ المنبجي مثل الطبري ٦/٨٠.

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ١/٥١٧ ـ ٥٢٠، وهو مختصر في مرآة الزمان ١/٥٣٩.

(٤) في النسختين (ب) و(ت): «روح»، وفي النسخة (ر): «ررح». وفي نهاية الأرب ١٤/١٤١ «زَرَج» بالزاي والراء والجيم.

(٥) في النسخة (ر): «تبين».

(٦) الخبر في تاريخ الطبري مطوّلاً ١/٥٢٠ ـ ٥٢٢.

وبلغ خبرُه إلى أُسَا، فتضرّع إلى الله تعالى، وأظهر الضَّعْفَ والعجز عن الهنديّ، وسألَ اللهَ النُّصْرةَ عليه، فاستجابَ الله له وأراه في المنام: إنّي سأُظهر من قدرتي في رزح الهنديّ وعساكره، ما أكفيك شرّهم، وأغنمكم أموالَهم، حتى يعلم أعداؤك أنّ صديقك لا يُطاق وليُّه، ولا ينهزم جندُه[1].

ثمّ سار رزح حتى أرسى بالساحل، وسار إلى بيت المقدس، فلمّا صار على مرحلتَين منه فرّق عساكره، فامتلأت منهم تلك الأرض، ومُلئت[2] قلوب بني إسرائيل رُعباً، وبعث أُسَا العيون، فعادوا وأخبروه من كثرتهم بما لم يُسمع بمثله، وسمع الخبر بنو إسرائيل، فصاحوا وبكوا، وودّع بعضُهم بعضاً، وعزموا على أن يخرجوا إلى رزح، ويستسلموا إليه، وينقادوا له. فقال لهم ملكهم: إنّ ربّي قد وعدني بالظَّفَر، ولا خُلف لوعده، فعاوِدوا الدعاءَ والتضرُّع. ففعلوا ودعوا جميعُهم وتضرّعوا، فزعموا أنّ الله أوحى إليه: يا أُسَا إنّ الحبيب لا يُسلِم حبيبه، وأنا الذي أكفيك عدوّك، فإنّه لا يَهون مَنْ توكّل عليّ، ولا يضعف مَنْ تقوّى بي، وقد كنتَ تذكرني في الرخاء، فلا أُسلِمك في الشدّة، وسأرسل بعض الزبانية يقتلون أعدائي. فاستبشر وأخبر بني إسرائيل. فأمّا المؤمنون فاستبشروا، وأمّا المنافقون فكذّبوه[3].

وأمره الله بالخروج إلى رزح في عساكره، فخرج في نفر يسير، فوقفوا على رابية من الأرض ينظرون إلى عساكره، فلمّا رآهم رزح احتقرهم واستصغرهم وقال: إنّما خرجتُ من بلادي وجمعتُ عساكري، وأنفقت أموالي لهذه الطائفة! ودعا النفرَ من بني إسرائيل الذين قصدوه، والجواسيسَ الذين أرسلهم ليختبروا له وقال: كَذَبتموني وأخبرتموني بكثرة بني إسرائيل، حتى جمعتُ العساكر وفرّقتُ أموالي! ثمّ أمر بهم فقُتلوا، وأرسل إلى أُسَا يقول له: أين صديقك الذي ينصرك ويخلّصك من سطوتي؟ فأجابه أُسا: يا شقيّ إنّك لا تعلم ما تقول! أتريد أن تغالب الله بقوّتك، أم تكاثره بقلّتك؟ وهو معي في موقفي هذا، ولن يُغلَب أحد كان الله معه، وستعلم ما يحلّ بك[4]!

فغضب رزح من قوله، وصفّ عساكره، وخرج إلى قتال أُسَا، وأمر الرُّماة فرموهم بالسّهام، وبعث الله من الملائكة مَدَداً لبني إسرائيل، فأخذوا السهام ورموا بها الهنود، فقتلت كلَّ إنسان منهم نشّابتُه، فقُتل جميع الرماة، فضجّ بنو إسرائيل بالتسبيح والدّعاء، وتراءت الملائكة للهنود، فلمّا رآهم رزح ألقى الله الرعب في قلبه وسُقِط في يده، ونادى

---

(١) الطبري ١/٥٢٥.

(٢) في الطبعة الأوربية «ملأت»، وفي تاريخ الطبري ١/٥٢٥ «امتلأت».

(٣) الطبري ١/٥٢٧، مرآة الزمان ١/٥٣٩.

(٤) الطبري ١/٥٢٨، ٥٢٩، مرآة الزمان ١/٥٣٩، ٥٤٠.

في عساكره يأمرهم بالحملة عليهم، ففعلوا، فقتلتهم الملائكة، ولم يبقَ منهم غير رزح وعبيده ونسائه، فلمّا رأى ذلك ولّى هارباً وهو يقول: قتلني صديق أُسَا.

فلمّا رآه أُسَا مُدْبِراً قال: اللهمّ إنّك إنْ لم تهلكْه استنفرَ علينا ثانية[1]. وبلغ رزح ومن معه إلى البحر، فركبوا السفن، فلمّا سارت بهم، أرسل الله عليهم الرياح فغرّقتهم أجمعين[2].

ثمّ مَلَك بعد أُسا ابنُه سافاط[3]، إلى أن هلك خمساً وعشرين سنة.

ثمّ مَلَكَت عزليا[4] بنت عمرم أم[5] أخزيا[6]، وكانت قتلت أولاد ملوك بني إسرائيل، ولم يبقَ منهم إلاّ يواش بن أخزيا[7]، وهو ابن ابنها، فإنّه سُتر عنها، ثمّ قتلها يواش وأصحابه، وكان ملكها سبع سنين.

ثمّ مَلَك يواش[8]، أربعين سنة، ثمّ قتله أصحابه، وهو الذي قتل جدّته.

[ثمّ مَلَك أموصيا بن يواش إلى أن قتله أصحابه تسعاً وعشرين سنة][9].

ثمّ ملك عوزيا بن أَمَصْيا[10] بن يواش، ويقال له غوزيا، إلى أن توفّي اثنتين وخمسين سنة.

---

(١) في النسخة (ب): «بابنه». وفي النسخة (ر): «باينة»، وفي الطبعة الأوربية، وطبعة صادر ١/٢٥٤ «نائبه»، وقد أثبتنا ما يتفق مع الطبري ١/٥٣٠ حيث قال: «استنفر علينا قومه ثانية».

(٢) الطبري ١/٥٣٠.

(٣) في تاريخ الطبري ١/٥٣٠ «يهوشافاظ». وفي مرآة الزمان ١/٥٤٠ «يهوشافاط» بالطاء المهملة، وفي تاريخ مختصر الدول ٣٤ «يوشافاط» وفي تاريخ ابن خلدون ٢/١٠١، ١٠٢ «يهوشاظ»، وضبطه: بياء مفتوحة مثناة تحتانية وهاء مضمومة، وواو ساكنة، وشين معجمة بعدها ألِف، ثم ظاء بين الذال والظاء المعجمتين.

(٤) في تاريخ الطبري ١/٥٣١ «غزليا» بالغين المعجمة، وكذا في مرآة الزمان ١/٥٤٠، وفي تاريخ مختصر الدول ٣٥ «عثليا».

(٥) في النسختين: (ب) و(ت): «أخت»، وكذا في الطبعة الأوربية وطبعة صادر ١/٢٥٤، وما أثبتناه عن النسخة (ر)، وتاريخ الطبري ١/٥٣١. وتاريخ مختصر الدول ٣٥.

(٦) في تاريخ ابن خلدون ٢/١٠٢ «أحزيا، بهمزة مفتوحة وحاء مهملة مضمومة وزاي معجمة ساكنة، ثم ياء مثناة تحتية، بفتحة تجلب ألِفاً، ثم هاء مضمومة تجلب واواً» وأمّه غثليا بنت عمرى أخت أجاب.

(٧) في تاريخ مختصر الدول ٣٥ «أحزيا». بالحاء المهملة.

(٨) في تاريخ ابن خلدون «يؤاش».

(٩) ما بين الحاصرتين إضافة من الطبري ١/٥٣١، وانظر مرآة الزمان ١/٥٤٠.

(١٠) في النسخة (ر): «موضيا»، وفي تاريخ الطبري ١/٥٣١ «أموصيا»، والمثبت يتفق مع مرآة الزمان ١/٥٤٠، وتاريخ ابن خلدون ٢/١٠٣ وضبطه بفتح الهمزة والميم وسكون الصاد المشمة بالزاي بعدها ياء مثنّاة تحتانية بفتحة تجلب ألِفاً، ثم هاء مضمومة تجلب واواً».

ثمّ مَلَك يوثام[1] بن عوزيا إلى أن توفّي ستّ عشرة[2] سنة.

ثمّ مَلَك حزقيا بن أحاز إلى أن تُوفّي. فيقال: إنّه صاحب شعيا الذي أعلمه شعيا انقضاءَ عُمره، فتضرّع إلى ربّه فزاده، وأمر شعيا بإعلامه ذلك.

وقيل: إنّ صاحب شعيا في هذه القصّة اسمه صدقيا[3]، على ما يرِد ذِكره[4].

---

(١) في تاريخ ابن خلدون ٢/١٠٤ «يؤام»، وفي تاريخ مختصر الدول ٣٦ «يوثم»، وفي تاريخ الطبري ١/٥٣١ «يوتام» بالتاء المثنّاة، والمثبت يتفق مع تاريخ سني ملوك الأرض ٨١، وتاريخ المنبجي ١/٨٦.

(٢) في الطبعة الأوربية «ستة عشر» وهو غلط نحوي.

(٣) في تاريخ الطبري «صدبقة».

(٤) راجع الطبري ١/٥٣٠، ٥٣١، وتاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨١، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ٣٤ - ٣٦، وتاريخ اليعقوبي ١/٦٢، ٦٣، وابن خلدون ٢/١٠٢ - ١٠٤.

ذكر شعيا والملك الذي معه من بني اسرائيل ومسير سنحاريب إلى بني إسرائيل(١)

قيل: كان الله تعالى قد أوحى إلى موسى ما ذكر في القرآن: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً، ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً. إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا المَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً﴾(٢).

فكثُر في بني إسرائيل الأحداث والذنوب، وكان الله يتجاوز عنهم متعطّفاً عليهم، وكان من أوّل ما أنزل الله عليهم عقوبةً لذنوبهم، أنّ مِلكاً منهم يقال له صدقية(٣)، وكانت عادتهم إذا ملك عليهم رجلٌ بعث الله إليه نبيّاً يرشده، ويوحي إليه ما يريد، ولم يكن لهم غير شريعة التوراة، فلمّا ملك صدقية بعث الله تعالى إليه شعيا، وهو الذي بشّر بعيسى وبمحمّد، عليهما السلام، فلمّا قارب أن ينقضي ملكُه، عظُمت الأحداث في بني إسرائيل، فأرسل الله عليهم سَنْحَارِيب ملك بابل، في عساكر يغصّ بها الفضاء، فسار حتى نزل بيتَ المقدس، وأحاط به، وملكُ بني إسرائيل مريض، في ساقه قُرْحة، فأتاه النبيّ شعيا وقال له: إنّ الله يأمرك أن توصي وتعهد، فإنّك ميّت، فأقبل الملك على الدعاء والتضرّع، فاستجابَ الله له، فأوحى الله إلى شعيا أنّه قد زاد في عمر الملك

(١) تاريخ اليعقوبي ١/٦٤، البدء والتاريخ ٣/١١٣، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨١، تاريخ الطبري ١/٥٣٢، المعارف ٤٦، عرائس المجالس ٢٥٩، ابن وثيمة ٢٣٧، نهاية الأرب ١٤/١٤٢، مرآة الزمان ١/٥٤١، تاريخ مُختصر الدول ٣٨، البداية والنهاية ٢/٣٢، تاريخ ابن خلدون ٢/١٠٤، التوراة، العهد القديم - سفر الملوك الثاني - الإصحاح ١٩ تاريخ المنبجي ١/٨٦ و٩٢.

(٢) الإسراء/٤ - ٨.

(٣) في تاريخ الطبري ١/٥٣٢ «صديقة».

صدقية خمس عشرة سنة، وأنجاه من عدوّه سَنْحَاريب، فلمّا قال له ذلك، زال عنه الألم، وجاءته الصحّة.

ثمّ إنّ الله أرسل على عساكر سَنْحَارِيب ملَكاً صاح بهم، فماتوا، غير ستّة نفر، منهم: سَنْحاريب وخمسة من كُتّابه، أحدهم بخت نصّر في قول بعضهم. فخرج صدقية وبنو إسرائيل إلى معسكرهم، فغنموا ما فيه والتمسوا سَنْحاريب فلم يجدوه، فأُرسل الطلب في أثره، فوجدوه ومعه أصحابه، فأخذوهم وقيّدوهم وحملوهم إليه، فقال لسَنْحاريب: كيف رأيت صنع ربّنا بك؟ فقال: قد أتاني خبر ربِّكم ونصره إيّاكم، فلم أسمع ذلك، فطاف بهم حول بيت المقدس، ثمّ سجنهم.

فأوحى الله إلى شعيا يأمر الملك بإطلاق سنحاريب ومَنْ معه، فأطلقهم، فعادوا إلى بابل، وأخبروا قومهم بما فعل الله بهم وبعساكرهم، وبقي بعد ذلك سبع سنين، ثمّ مات[1].

وقد زعم بعضُ أهل الكتاب أنّ بني إسرائيل سار إليهم قبل سنحاريب ملك من ملوك بابل، يقاله له كفرو[2]، وكان بُخْتَ نَصَّر ابن عمّه وكاتبه، وأنّ الله أرسل عليهم ريحاً، فأهلكت جيشه، وأفلَتَ هو وكاتبه، وأنّ هذا البابليّ قتله ابنٌ له، وأنّ بخت نصّر غضب لصاحبه، فقتل ابنه الذي قتله، وأنّ سَنْحَاريب سار بعد ذلك، وكان مُلْكه بنِينَوَى، وغزا مع ملك أَذْرَبَيْجَان يومئذٍ بني إسرائيل، فأوقع بهم، ثم اختلف سنحاريب وملك أَذْرَبَيْجَان، وتحاربا حتى تفانَى عسكراهما، فخرج بنو إسرائيل وغنِموا ما معهم[3].

وقيل: كان مُلك سنحاريب إلى أن توفّي تسعاً وعشرين سنة[4].

وكان ملك بني إسرائيل الذي حصره سَنْحاريب حِزْقِيّاً[5]، فلمّا تُوفّي حِزْقِيّاً ملك بعده ابنه مِنَشّى[6] خمساً وخمسين سنة.

---

(١) الخبر في تفسير الطبري ١٥/١٨، ١٩، وتاريخ الطبري ١/٥٣٢ - ٥٣٥ مطوّلاً عمّا هنا. وانظر عرائس المجالس ٢٥٩ وما بعدها.

(٢) في النسختين (ب) و(ت): «كيفرو»، وفي النسخة (ر): «كيفو». وورد في تاريخ الطبري ١/٥٣٥ «ليفر» وفي نسخة أخرى «أليفر». أنظر حاشية رقم (٣) من الصفحة المذكورة.

(٣) الطبري ١/٥٣٥.

(٤) الطبري.

(٥) ضبطه ابن خلدون في تاريخه ٢/١٠٤ حِزْقِيّا هو، بحاء مهملة مكسورة وزاي معجمة ساكنة وقاف مكسورة وياء مثنّاة تحتانية مشدّدة تجلب ألفاً وهاء مضمومة تجلب واواً.

(٦) ضبطه ابن خلدون ٢/١٠٥ «منشا بميم مكسورة ونون مفتوحة وشين معجمة مشدّدة وألِف».

ثمّ ملك بعده آمون، إلى أن قتله أصحابه اثنتي عشرة سنة[1].

ثمّ ملك ابنُه يوشيا، إلى أن قتله فرعون مصر الأجدع[2] إحدى وثلاثين سنة[3].

ثمّ ملك بعده ابنُه ياهو أحاز بن يُوشِيا، فعزله فرعون الأجدع واستعمل بعده يوياقيم[4] بن ياهو أحاز، ووظّف عليه خراجاً يحمله إليه، وكان ملكه اثنتي عشرة سنة.

ثمّ مَلَك بعده ابنه يوياحين، فغزاه بُخْتَ نَصَّر، وأشخصه إلى بابل بعد ثلاثة أشهر من ملكه.

وَمَلَك بعده يقونيا[5] ابن عمّه، وسمّاه صدقية، وخالفه فغزاه وظفر به، وحمله إلى بابل، وذبح ولده بين يديه، وسمل عينيه، وخرّب بيتَ المقدس والهيكل، وسبَى بني إسرائيل وحملهم إلى بابل، فمكثوا إلى أن عادوا إليه، على ما نذكره إن شاء الله؛ وكان جميع ملك صدقية إحدى عشرة سنة[6].

وقيل: إنّ شعيا أوحى الله إليه ليقوم في بني إسرائيل يذكّرهم بما يوحي الله على لسانه، لما كثُرت فيهم الأحداث، ففعل، فَعَدوْا عليه ليقتلوه، فهرب منهم، فلقيته شجرة فانفلقت له، فدخلها، وأخذ الشيطان بهُدب ثوبه، وأراه بني إسرائيل، فوضعوا المنشار على الشجرة، فنشروها حتى قطعوه في وسطها[7].

وقيل: في أسماء ملوكهم غير ذلك، تركناه كراهة التطويل، ولعدم الثقة بصحّة النقل به.

---

(١) الطبري ٥٣٥/١.
(٢) في النسخة (ر): «الأجذع» بالذال المعجمة، وتكرّر ثانية.
(٣) الطبري ٥٣٦/١.
(٤) ضبطه ابن خلدون ١٠٦/٢ «ألياقيم» بهمزة مفتوحة ولام ساكنة وياء مثنّاة تحتانية يجلب فتحها ألِفاً وقاف مكسورة تجلب ياء ثم ميم.
(٥) في تاريخ الطبري ٥٣٦/١ «وملّك مكانه مَتّنيا عمّه وسمّاه صديقياً» وانظر ابن خلدون ١٠٦/٢.
(٦) في تاريخ الطبري ٥٣٦/١ «إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر».
(٧) الطبري ٥٣٧/١، وانظر تاريخ المنبجي ٩٤/١ ـ ٩٧، وتاريخ ابن خلدون ١٠٥/٢ ـ ١٠٧.

ذكر ملك لهراسب[1] وابنه بشتاسب وظهور زَرَادُشْت[2]

قد ذكرنا أنّ كيخسرو لما حَضَرَتْهُ الوفاة، عهد إلى ابن عمّه لهراسب بن كيوخى[3] بن كيكاووس، فهو ابن ابن كيكاووس، فلمّا مَلَكَ اتّخذ سريراً من ذَهَب، وكلّله بأنواع الجواهر، وبُنيت له بأرض خُرَاسان مدينة بَلْخ، وسمّاها الحسناء، ودوّن الدواوين، وقَوّى مُلْكه بانتخابه الجنود، وعمر الأرض، وجبَى الخراج لأرزاق الجُنْد.

واشتدَّت شوكة التُرك في زمانه، فنزل مدينة بلْخ لقتالهم، وكان محموداً عند أهل مملكته، شديد القمع لأعدائه[4] المجاورين له، شديد التفقّد لأصحابه، بعيد الهمّة، عظيم البنيان، وشقّ عدّة أنهار، وعمر البلاد، وحمل إليه ملوك الهند والروم والمغرب الخَراج، وكاتبوه بالتمليك هيبةً له وحذراً منه.

ثمّ إنّه تنسّك وفارق المُلْك، واشتغل بالعبادة، واستخلف ابنه بشتاسب[5] في المُلْك، وكان مُلكه مائة وعشرين سنة.

ومَلَك بعده ابنُه بشتاسب، وفي أيّامه ظهر زَرَادُشْت بن سقيمان[6] الذي ادّعى

---

(١) في النسخة (ر): «بهراسب».

(٢) تاريخ اليعقوبي ١/١٥٨، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٣٦، تاريخ الطبري ١/٥٣٨، مروج الذهب ١/٢٢٧، البدء والتاريخ ٣/١٤٩، تاريخ مختصر الدول ٤٩، نهاية الأرب ١٥/١٥٧، تاريخ ابن خلدون ٢/١٦٠.

(٣) في تاريخ الطبري ١/٥٣٨ «كيوجى»، وفي تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٣٦ «كيا وجان»، وفي مروج الذهب ١/٢٢٧ «قنوج».

(٤) في النسخة)ب) و(ر): «للملوك».

(٥) في النسخة (ر): «كيشتاسب»، والمثبت يتفق مع الطبري. وهو في تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٣٦ «كي كشتاسب». وفي نهاية الأرب ١٥/١٦٠ «كي بشتاسف».

(٦) في مروج الذهب ١/٢٢٩ «أسبيمان». وهو نبيّ المجوس الذي أتاهم بالكتاب المعروف بالزمزمة عند عوامّ الناس، واسمه عند المجوس بستاه.. وكتب هذا الكتاب في اثني عشر ألف مجلّد بالذهب، فيه وعد ووعيد، وأمر ونهي، وغير ذلك من الشرائع والعبادات، فلم تزل الملوك تعمل بما في هذا الكتاب إلى عهد الإسكندر... ثم عمل زرادشت تفسيراً عند عجزهم عن فهمه، وسمّوا التفسير زنداً، ثم عمل للتفسير تفسيراً وسمّاه بازند، ثم عمل علماؤهم بعد وفاة زرادشت تفسيراً لتفسير التفسير وشرحاً لسائر ما ذكرنا، وسمّوا هذا التفسير بارده، فالمجوس إلى هذا الوقت يعجزون عن حفظ كتابهم المُنْزَل، فصار علماؤهم =

النُّبُوَّة، وتبِعَه المجوس.

وكان زَرَادُشْت فيما يزعم أهلُ الكتابَ من أهل فلسطين، يخدم لبعض تلامذة إرميا النّبيّ خاصّاً به، فخانه وكذب عليه، فدعا الله عليه فبرص، ولحق ببلاد أَذْرَبَيْجَان، وشرع بها دينَ المجوس.

(وقيل: إنّه من العجم. وصنّف كتاباً وطاف به الأرض، فما عرف أحد معناه، وزعم أنّها لغة سماويّة خوطب بها، وسمّاه: اشتا، فسار من أَذْرَبَيْجَان إلى فارس، فلم يعرفوا ما فيه ولم يقبلوه، فسار إلى الهند وعرضه على ملوكها، ثمّ أتَى الصينَ والتُرك، فلم يقبله أحد، وأخرجوه من بلادهم، وقصد فرغانة، فأراد ملكها أن يقتله، فهرب منها، وقصد بشتاسب بن لهراسب، فأمر بحبسه، فحُبس مدّة[1].

وشرح زَرَادُشْت كتابه وسمّاه: زند، ومعناه: التفسير، ثمّ شرح الزند بكتاب سمّاه: بازند، يعني: تفسير التفسير. وفيه علوم مختلفة كالرياضيات وأحكام النجوم والطبّ، وغير ذلك من أخبار القرون الماضية وكتب الأنبياء.

وفي كتابه: تمسّكوا بما جئتكم به إلى أن يجيئكم صاحب الجمل الأحمر، يعني محمّداً، ﷺ، وذلك على رأس ألف سنة وستّ مائة سنة.

وبسبب ذلك وقعت البغضاء بين المجوس والعرب[2].

ثمّ يذكر عند أخبار سابور ذي الأكتاف، أنّ من جملة الأسباب الموجِبة لغزوة العرب هذا القول؛ والله أعلم)[3].

ثمّ إنّ بشتاسب أحضر زَرَادُشْتَ، وهو ببلْخ، فلمّا قدِم عليه شرع له دينه، فأعجبه واتّبعه، وقهر الناس على اتّباعه وقتل منهم خلقاً كثيراً حتى قبلوه ودانوا به[4].

وَمَوابذتهم يأخذون كثيراً منهم بحفظ أسباع من هذا الكتاب وأرباع وأثلاث، فيبتديء كل واحد بما حفظ من جزئه فيتلوه، ويبتديء الثاني منهم فيتلو جزءاً آخر، والثالث كذلك، إلى أن يأتي الجميع على قراءة سائر الكتاب، لعجز الواحد منهم عن حفظه على الكمال، وقد كانوا يقولون: إنّ رجلاً منهم بسجستان بعد الثلاثمائة مستظهر بحفظ هذا الكتاب على الكمال. (١/ ٢٢٩، ٢٣٠) وانظر: تاريخ ابن خلدون ٢/ ١٦١.

(١) تاريخ الطبري ١/ ٥٤٠.

(٢) وقيل: هو عرّف الفرس بظهور السيد المسيح، وأمرهم بحمل القرابين إليه، وأخبرهم أن في آخر الزمان بكراً تحمل بجنين من غير أن يمسّها رجُل.. (تاريخ مختصر الدول ٤٩).

(٣) القول بين القوسين كله من النسختين (ب) و(ت)، وهو ليس من النسخة (ر).

(٤) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٣٧، الطبري ١/ ٥٤٠.

وأمّـا المجوس فيـزعمون أنّ أصله من أَذْرَبَيْجـان، وأنّه نـزل على الملك من سقف إيوانه، وبيده كُبّة من نار يلعب بها ولا تحرقه، وكـلّ مَنْ أخذهـا من يده لم تحـرقه، وأنّـه اتّبعه الملك ودان بدينـه، وبنى بيوتَ النيـران في البلاد، وأشعـل من تلك النّار في بيـوت النّيران[1]، فيزعمون أنّ النّيران التي في بيوت عباداتهم من تلك إلى الآن.

وكـذبـوا، فـإنّ النّـار التي للمجـوس، طُفِئت في جميـع البيـوت، لمـا بعث الله محمّداً، ﷺ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

وكان ظهور زَرَادُشْت بعد مضيّ ثلاثين سنة من ملك بشتاسب[2]، وأتـاه بكتاب زعم أنّـه وحي من الله تعالى، وكُتب في جلد اثني عشـر ألف بقـرة، حفْـراً ونقْشـاً بـالـذَّهَب، فجعله بشتاسب في موضع بإصطَخْر، ومنع من تعليمه العامّة.

وكان بشتاسب وآباؤه قبله يدينون بدين الصابئة. وسيرِد باقي أخباره.

---

(١) في النسخة (ب): «وانتقل من تلك نار بيوت النيران».

(٢) ذكر المسعوديّ في مروج الذهب ١/ ٢٣٠ «كـانت مدّة نُبـوَّة زرادشت فيهم خمساً وثـلاثين سنة، وهلك وهـو ابن سبعٍ وسبعين سنة».

ذكر مسير بُخْتَ نَصـر إلى بني إسرائيل[1]

قد اختلف العلماء في الوقت الذي أُرسل فيه بخت نصّر[2] على بني إسرائيل.

فقيل: كان في عهد إرْمِيا النبيّ[3]، ودانيال[4] وحنانيا[5] وعزاريا[6] وميشائيل[7].

وقيل: إنّما أرسله الله على بني إسرائيل لما قتلوا يحيَى بن زكريّا.

والأوّل أكثر.

وكان ابتداء أمر بخت نصّر ما ذكره سعيد بن جبير قال: كان رجل من بني إسرائيل يقرأ الكتب، فلمّا بلغ إلى قوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولي بَأْسٍ شَديدٍ﴾[8]. قال: أيْ ربّ، أرِني هذا الرجلَ الذي جعلتَ هلاك بني إسرائيل على يده، فأُري في المنام مسكيناً يقال له بخت نصّر ببابل، فسار على سبيل التجارة إلى بابل، وجعل يدعو المساكين ويسأل عنهم، حتى دلّوه على بخت نصّر، فأرسل من يحضره، فرآه صعلوكاً مريضاً، فقام عليه في مرضه يعالجه حتى برىء[9]،فلما برِىء أعطاه نفقة وعزم على السفر، فقال له بخت نصّر وهو يبكي: فعلتَ معي ما فعلتَ ولا أقدر على مجازاتك! قال

---

(١) المعارف لابن قتيبة ٤٧، تاريخ اليعقوبي ١/٦٥، تاريخ الطبري ١/٥٤٥، تفسير الطبري ١٥/٢٢، ٢٣، مروج الذهب ١/٦١ و٢٢٨، البدء والتاريخ ٣/١١٤، تاريخ المنبجي ١/٩٧، تاريخ مختصر الدول ٤١، ٤٢، مرآة الزمان ١/٥٤٧ وما بعدها، عرائس المجالس ٢٦٣، نهاية الأرب ١٥/١٥٨، غرر أخبار الفرس وسيرهم للثعالبي ـ طبعة باريس ٤٤، البداية والنهاية ٢/٣٤، تاريخ ابن خلدون ٢/١٦٠.

(٢) ويقال إن اسمه بالفارسية «بخترشه». (الغرر للثعالبي ٤٤).

(٣) أنظر عنه في عرائس المجالس ٢٦٢.

(٤) أنظر عنه في عرائس المجالس ٢٦٦.

(٥) في الطبعة الأوربية «حننيا» مثل الطبري ١/٥٤٤.

(٦) في تاريخ الطبري ١/٥٤٤ «عازريا»، وهو «عزير» في عرائس المجالس ٢٧٢.

(٧) في النسختين (ب) و(ت): «ميلسابيل».

(٨) الإسراء/٥.

(٩) في الطبعة الأوربية، وطبعة صادر ١/٢٦١ «برأ»، وهو خطأ.

الإسرائيليّ: بلى تقدر عليه، تكتب لي كتاباً إن ملكتَ أطلقتني[1]. فقال: أتستهزيء بي؟ فقال: إنّما هذا الأمر لا محالة كائن[2].

ثمّ إنّ ملك الفرس أحبّ أن يطّلع على أحوال الشام، فأرسل إنساناً يثق به[3]، ليتعرّف له أخبارَه وحالَ مَنْ فيه، فسار إليه ومعه بخت نصّر فقير، لم يخرج إلّا للخدمة. فلمّا قدِم الشامَ رأى أكبر بلاد الله خيلاً ورجالاً وسلاحاً، ففتّ ذلك في ذَرْعه، فلم يسأل عن شيء، وجعل بخت نصّر يجلس مجالس أهل الشام، فيقول لهم: ما يمنعكم أن تغزوا بابل، فلو غزوتموها ما دون بيت مالها شيء! فكلّهم يقول له: لا نحسن القتال ولا نراه. فلمّا عادوا أخبر الطليعة بما رأوا من الرجال والسلاح والخيل، وأرسل بخت نصّر إلى الملك يطلب إليه أن يحضره ليعرّفه جليّة الحال، فأحضره، فأخبره بما كان جميعه.

ثمّ إنّ الملك أراد أن يبعث عسكراً إلى الشام، أربعة آلاف راكب جريدة، واستشار فيمن يكون عليهم، فأشاروا ببعض أصحابه، فقال: لا بل بخت نصّر، فجعله عليهم، فساروا فغنموا، وأوقعوا ببعض البلاد، وعادوا سالمين[4].

ثمّ إنّ لهراسب استعمله إصبهبذ على ما بين الأهواز إلى أرض الروم، من غربيّ دجلة.

وكان السبب في مسيره إلى بني إسرائيل، أنّه لما استعمله لهراسب كما ذكرنا، سار إلى الشام، فصالحه أهلُ دمشق وبيت المقدس، فعاد عنهم وأخذ رهائنهم، فلمّا عاد من القدسِ إلى طبرية وثب[5] بنو إسرائيل على مَلكهم الذي صالح بخت نصّر فقتلوه وقالوا: داهنتَ أهلَ بابل وخذلتَنا، فلمّا سمع بخت نصّر [بذلك]، قَتَل الرهائنَ الذين معه، وعاد إلى القدس فأخربه[6].

وقيل: إنّ الذي استعمله إنّما كان الملك بَهْمن بن بشتاسب بن لهراسب[7]، وكان بخت نصّر قد خدم جدّه وأباه، وخدمه، وعُمّر عمراً طويلاً. فأرسل بهمن رُسُلاً إلى ملك بني إسرائيل ببيت المقدس، فقتلهم الإسرائيليّ، فغضب بهمن من ذلك، واستعمل

---

(١) في تاريخ الطبري ٥٤٦/١ «أطعتني»، وهو أصحّ.
(٢) الطبري ٥٤٥/١، ٥٤٦، وانظر عرائس المجالس ٢٦٥.
(٣) في الطبعة الأوربية «يثق إليه».
(٤) تاريخ الطبري ٥٤٦/١، ٥٤٧، تفسير الطبري ٢٢/١٥، ٢٣.
(٥) في الطبعة الأوربية «وثبوا» وهو غلط.
(٦) نهاية الأرب ١٥٨/١٥.
(٧) في البدء والتاريخ ١١٥/٣ «بهمن بن اسفنديار».

بخت نصّر على أقاليم[1] بابل وسيّره في الجنود الكثيرة، فعمل بهم ما نذكره.

هذه الأسباب الظاهرة.

وإنّما السبب الكلّيّ الذي أحدث هذه الأسباب الموجبة للانتقام من بني إسرائيل، هو معصية الله تعالى، ومخالفة أوامره، وكانت سُنّة الله تعالى في بني إسرائيل أنّه إذا ملّك عليهم ملكاً، أرسل معه نبيّاً يرشده ويهديه إلى أحكام التوراة. فلمّا كان قبل مسير بخت نصّر إليهم، كثُرت فيهم الأحداث والمعاصي، وكان الملك فيهم يقونيا بن يوياقيم[2]، فبعث الله إليه إرميا[3].

قيل: هو الخضر، عليه السلام، فأقام فيهم يدعوهم إلى الله وينهاهم عن المعاصي، ويذكر لهم نعمةَ الله عليهم بإهلاك سَنْحاريب، فلم يرعووا، فأمره الله أن يحذّرهم عقوبته، وأنّه إن لم يراجعوا الطاعةَ، سلّط عليهم مَنْ يقتلهم ويسبي ذراريَّهم ويخرّب مدينتهم، ويستعبدهم، ويأتيهم بجنود ينزع من قلوبهم الرأفة والرحمة، فلم يراجعوها، فأرسل الله إليه: لأقيّضنّ لهم فتنة تَذَر الحليمَ[4] حيرانَ[5]، ويضلّ فيها رأي ذي الرأي وحكمةُ الحكيم، ولأسلّطنّ عليهم جبّاراً قاسياً عاتياً، أُلبسه الهيبة، وأنزع من صدره الرحمة، يتبعه عددٌ مثل سواد اللّيل، وعساكر مثل قطع السحاب، يُهلك بني إسرائيل، وينتقم منهم، ويخرّب بيت المقدس.

فلمّا سمع إرميا ذلك صاح وبكى وشقّ ثيابَه. وجعل الرمادَ على رأسه، وتضرّع إلى الله في رفْع ذلك عنهم في أيّامه.

فأوحى الله إليه: وعزّتي لا أُهلك بيتَ المقدس وبني إسرائيلَ، حتى يكون الأمر من قبلك في ذلك. ففرح إرميا، وقال: لا والذي بعث موسى وأنبياءه[6] بالحقّ، لا آمر بهلاك بني إسرائيل أبداً.

وأتَى ملكَ بني إسرائيل فأعلمه بما أُوحي إليه، فاستبشر وفرح، ثمّ لبثوا بعد هذا الوحي ثلاث سنين، ولم يزدادوا إلّا معصيةً وتمادياً في الشرّ، وذلك حين اقترب هلاكهم،

---

(١) في النسخة (ر): «إقليم».

(٢) هو «يواخيم بن يواقيم» في تاريخ المنبجي ١/٩٧، ويوياخين، في تاريخ ابن العبري ٤١.

(٣) في عرائس المجالس ٢٦٢ «أرميا بن خلقيا».

(٤) في النسخة (ر): «الحكيم» وهو تحريف. وفي تاريخ الطبري ١/٥٥٠ «يتحيّر فيها الحليم».

(٥) في الطبعة الأوربية «حيرانا». وصُحّحت في طبعة صادر ١/٢٦٣.

(٦) في النسخة (ب): «وتبناه».

فقلّ[1] الوحي، حيث لم يكونوا هم يتذكّرون. فقال لهم ملكهم: يا بني إسرائيل انتهوا عمّا أنتم عليه، قبل أن يأتيكم عذابُ الله! فلم ينتهوا، فألقى الله في قلب بخت نصّر أن يسير إلى بني إسرائيل ببيت المقدس، فسار في العساكر الكثيرة التي تملأ الفضاء.

وبلغ ملكَ بني إسرائيل الخبرُ، فاستدعى إرميا النبيّ، فلمّا حضر عنده قال له: يا إرميا أين ما زعمتَ أنّ ربّك أوحى إليك أن لا يهلك بيت المقدس حتى يكون الأمر منك؟ فقال إرْمِيا: إنّ ربّي لا يُخلف الميعاد، وأنا به واثقٌ.

فلمّا قرُب الأجل، ودنا انقطاع مُلكهم، وأراد الله إهلاكهم، أرسل الله مَلكاً في صورة آدميّ إلى إرميا، وقال له: استفتِه، فأتاه وقال له: يا إرميا أنا رجل من بني إسرائيل، أستفتيك في ذوي رَحِمِي، وصلتُ أرحامهم بما أمرني الله به، وأتيتُ إليهم حُسناً وكرامة، فلا تزيدهم كرامتي إيّاهم إلّا سخطاً لي، وسوءَ سيرةٍ معي، فأَفْتِني فيهم. فقال له: أحسِنْ فيما بينك وبين الله، وصِلْ ما أمرك الله به أن تصله. فانصرف عنه الملَك، ثمّ عاد إليه بعد أيّام في تلك الصورة، فقال له إرْميا: أَمَا طَهُرَتْ أخلاقهم، وما رأيتَ منهم ما تريد؟ فقال: والذي بعثك بالحقّ ما أعلم كرامةً يأتيها أحدٌ من النّاس إلى ذوي رحِمه إلّا وقد أتيتُها إليهم، وأفضل من ذلك. فلم يزدادوا إلّا سوء سيرة. فقال: إرجع إلى أهلك وأحسِن إليهم. فقام المَلَكُ من عنده. فلبث أيّاماً.

ونزل بخت نصّر على بيت المقدس بأكثر من الجراد، ففزع منهم بنو إسرائيل، وقال ملكهم لإرميا: أين ما وعدك ربّك؟ فقال: إنّي بربّي واثق.

ثمّ إنّ المَلك الذي أرسله الله يستفتي إرميا، عاد إليه وهو قاعد على جدار بيت المقدس، فقال مثل قوله الأوّل، وشكا أهله وجَورهم، وقال له: يا نبيّ الله كلّ شيء كنت أصبر عليه قبل اليوم، لأنّ ذلك كان فيه سُخْطي، وقد رأيتهم اليوم على عمل عظيم من سَخَط الله تعالى، فلو كانوا على ما كانوا عليه اليوم لم يشتدّ عليهم غضبي، وإنّما غضبتُ اليومَ لله وأتيتُك لأخبرك خبرهم، وإنّي أسألك بالله الذي بعثك بالحقّ، إلّا ما دعوتَ الله عليهم أن يهلكوا. فقال إرميا: يا ملك السموات والأرض، إن كانوا على حقّ وصواب فأبقهم، وإن كانوا على سخطك وعملٍ لا ترضاه فأهلكهم. فلمّا خرجت الكلمة من فيه، أرسل الله صاعقةً من السماء في بيت المقدس، والتهب مكانُ القُربان، وخُسِف بسبعة أبواب من أبوابها.

فلمّا رأى ذلك إرميا صاح وشقّ ثيابه، ونبذ الرمادَ على رأسه، وقال: يا ملِك

---

(١) في النسخة (ب): «فقد». والمثبت يتفق مع الطبري ١/٥٥٠.

السموات والأرض، يا أرحم الراحمين! أين ميعادك، أيا ربّ، الذي وعدتَني به؟ فأوحى الله إليه، أنّه لم يُصبْهم ما أصابهم إلاّ بفتياك التي أفتيتَ رسولَنا؛ فاستيقن أنّها فُتْياه، وأنّ السائل كان من عند الله، وخرج إرْميا حتى خالط الوحشَ.

ودخل بخت نصّر وجنودُه بيتَ المقدس، فوطيء الشامَ، وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم، وخرّب بيت المقدس، وأمر جنوده، فحملوا التراب وألقوه فيه حتى ملأوه، ثمّ انصرف راجعاً إلى بابل، وأخذ معه سبايا بني إسرائيل، وأمرهم، فجمعوا من كان في بيت المقدس كلّهم، فاجتمعوا، واختار منهم مائة ألف صبيّ، فقسمهم على الملوك والقوّاد الذين كانوا معه، وكان من أولئك الغلمان دانيال النبيّ، وحنانيا، وعزاريا، وميشائيل، وقسّم بني إسرائيل ثلاث فِرَق[1]، فقتل ثُلثاً، وأقرّ بالشام ثلثاً، وسبى ثلثاً، ثمّ عمّر الله بعد ذلك إرميا، فهو الذي رُئي بفلوات الأرض والبلدان.

ثمّ إنّ بخت نصّر عاد إلى بابل وأقام في سلطانه ما شاء الله أن يقيم. ثمّ رأى رؤيا، فبينما هو قاعد قد أعجبه ما رأى، إذ رأى شيئاً أنساه ما رأى، فدعا دانيال، وحنانيا، وعزاريا، وميشائيل، وقال: أخبروني عن رؤيا رأيتُها فأُنسيتُها، ولئن لم تخبروني بها وبتأويلها لأنزعنّ أكتافكم! فخرجوا من عنده، ودعوا الله وتضرّعوا إليه، وسألوه أن يُعلمهم إيّاها، فأعلمهم الذي سألهم [عنه]، فجاءوا إلى بخت نصّر فقالوا: رأيتَ تمثالاً. قال: صدقتم. قالوا: قدماه وساقاه من فُخّار، ورُكْبتاه وفخِذاه من نحاس، وبطنه من فضّة، وصدره من ذَهَب، ورأسه وعُنقه من حديد، فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك أرسل الله عليه صخرة من السماء فدقّته، وهي التي أنستْك الرؤيا! قال: صدقتم، فما تأويلها؟ قالوا: أُريتَ مُلْكَ الملوك، وبعضهم كان ألْين مُلكاً من بعض، وبعضهم كان أحسن مُلكاً من بعض، وبعضهم أشدّ، وكان أوّل الملك الفخّار، وهو أضعفه وألْينه، ثمّ كان فوقه النحاس، وهو أفضل منه وأشدّ، ثمّ كان فوق النحاس الفِضّة، وهي أفضل من ذلك وأحسن، ثمّ كان فوقها الذهب، وهو أحسن من الفضّة وأفضل، ثمّ كان الحديد، وهو ملكك، فهو أشدّ الملوك وأعزّ[2]، وكانت الصخرة التي رأيتَ قد أرسلَ الله من السماء فيدقّ ذلك أجمع[3] نبيّاً يبعثه الله من السماء ويصير الأمر إليه[4].

فلمّا عبّر دانيال ومن معه رؤيا بخت نصّر، قرّبهم وأدناهم واستشارهم في أمره،

---

(١) في النسخة (ب) وردت العبارة على هذا النحو: «قسم أي ثلاث فرق».

(٢) في النسخة (ر): «وأعزّ ممن كان قبله»، وفي تاريخ الطبري ١/٥٥٥ «وأعزّ مما كان قبله».

(٢) في النسخة (ب): «فدقته»، وفي الطبعة الأوربية «أرسل الله ملكاً من السماء فدقّ ذلك جميعه». وفي طبعة صادر ١/٢٦٦ «فدقّت ذلك جميعه». وأثبتنا ما في نسختي (ت) و(ر)، والطبري ١/٥٥٥.

(٤) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ١/٥٥٠ ـ ٥٥٥، وانظر عرائس المجالس ٢٦٢ ـ ٢٦٥.

فحسدهم أصحابه[1] وسعوا بهم إليه، وقالوا عنهم ما أوحشه منهم، فأمر، فحُفر لهم أخدود وألقاهم فيه[2]، وهم ستّة رجال، وألقى معهم سَبُعاً ضارياً ليأكلهم، ثمّ قال[3] أصحاب بخت نصّر: انطلقوا فلْنأكل ولنشرب، فذهبوا فأكلوا وشربوا، ثمّ راحوا فوجدوهم جلوساً، والسّبعُ مفترشٌ ذراعيه بينهم، لم يخدش منهم أحداً، ووجدوا معهم رجلاً سابعاً، فخرج إليهم السابع، وكان ملَكاً من الملائكة، فلطم بخت نصّر لطمةً فمسخه، وصار في الوحش في صورة أسد، وهو مع ذلك يعقل ما يعقله الإنسان، ثمّ ردّه الله إلى صورة الإنس، وأعاد عليه مُلكه، فلمّا عاد إلى مُلكه كان دانيال وأصحابه أكرم النّاس عليه، فعاد[4] الفرس وسعَوا بهم إلى بخت نصّر، وقالوا له في سعايتهم: إنّ دانيال إذا شرب الخمر لا يملك نفسه من كثرة البَوْل، وكان ذلك عندهم عاراً؛ فصنع لهم بخت نصّر طعاماً، وأحضره عنده، وقال للبوّاب: انظر أوّل من يخرج ليبول فاقتله، وإن قال لك: أنا بخت نصّر[5]، فقل له: كذبتَ، بخت نصّر أمرني بقتلك، [واقتله].

فحبسَ الله عن دانيال البولَ، وكان أوّل مَن قام من الجمع بخت نصّر، فقام مدلاًّ أنّه الملك[6]، وكان ذلك ليلاً، فلمّا رآه البوّاب شدّ عليه ليقتله، فقال له: أنا بخت نصّر! فقال: كذبتَ، بخت نصّر أمرَني بقتلك، وقتله[7].

وقيل[8] في سبب قتْله: إنّ الله أرسل عليه بعوضةً، فدخلت في منخره، وصعدت إلى رأسه، فكان لا يقرّ ولا يسكن حتى يدقّ رأسه، فلمّا حضره الموت قال لأهله: شقوا رأسي، فانظروا ما هذا الذي قتلني. فلمّا مات شقّوا رأسه، فوجدوا البعوضة بأُمّ[9] رأسه، ليُري الله العبادَ قدرته وسلطانه[10]، وضعْفَ بخت نصّر، لما تجبّر قَتَلَه بأضعف مخلوقاته، تبارك الذي بيده ملكوت كلّ شيء، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

وأمّا دانيال فإنّه أقام بأرض بابل، وانتقل عنها، ومات ودُفن بالسوس من أعمال خوزستان[11].

---

(١) في الطبعة الأوربية «فحسده أصحابهم».

(٢) في الطبعة الأوربية «فيها».

(٣) في الطبعة الأوربية «قالوا»، وهو غلط.

(٤) في الطبعة الأوربية «فعادوا»، وهو غلط.

(٥) في الطبعة الأوربية بعد بخت نصر «فقتله».

(٦) في النسخة (ر) إضافة «لا يقدم أحد عليه».

(٧) الخبر في عرائس المجالس ٢٦٦ ـ ٢٦٨.

(٨) القول لابن إسحاق.

(٩) في النسخة (ر): «البعوضة عاضّة بأمّ»، وكذلك في عرائس المجالس.

(١٠) الخبر في عرائس المجالس ١٦٨، وتاريخ الطبري ١/٥٥٥، ٥٥٦، ومرآة الزمان ١/٥٥٠.

(١١) عرائس المجالس ٢٦٩، مرآة الزمان ١/٥٥٧.

ولما أراد الله تعالى أن يردّ بني إسرائيل إلى بيت المقدس كان بخت نصّر قد مات، فإنّه عاش بعد تخريب بيت المقدس أربعين سنة[١]، في قول بعض أهل العلم.

ومَلَك ابنٌ له يقال [له] أولمردج[٢]، فملك الناحية ثلاثاً وعشرين سنة[٣].

ثمّ هلك، ومَلَك ابنٌ لـه بلتاصـر سنةً[٤]، فلمّـا ملك تخلّط في أمـره، فعـزلـه ملك الفرس حينئذٍ؛ وهو مختلَف فيه على ما ذكرناه.

واستعمل بعده داريوش[٥] على بابل والشام، وبقي ثلاثين سنة [٦].

ثمّ عزله، واستعمل مكانه أخشويرش[٧]، فبقي أربع عشرة سنة.

ثمّ ملك ابنُه كيرش العلميّ[٨]، وهـو ابن ثلاث عشـرة سنة، وكـان قد تعلّم التـوراة ودان باليهوديّة، وفهم عن دانيال ومن معه، مثل حنـانيا، وعـزاريا، وغيـرهما، فسـألوه أن يـأذن لهم في الخـروج إلى بيت المقـدس، فقـال: لـوكـان بقي منكم ألف نبيّ مـا فـارقتكم [٩]، وولّى دانيالَ القضـاءَ، وجعل إليـه جميعَ أمـره، وأمره أن يقسم مـا غنمـه[١٠] بخت نصّر من بني إسرائيـل عليهم، وأمره بعمـارة بيت المقدس، فعُمّـر في أيّامـه، وعاد إليه بنو إسرائيل[١١].

وهــذه المـدّة لهؤلاء الملوك معــدودة من خـراب بيت المقــدس، منســوبــة إلى بخت نصّر، وكان مُلك كيرش اثنتين وعشرين سنة[١٢].

وقيل: إنّ الذي أمر بعَود بني إسرائيل إلى الشـام بشتاسب بن لهـراسب، وكان قـد

---

(١) وقيل إنّ مدة مُلك بختنصـر خمس وأربعون سنـة، منها تسـع عشرة سنة قبل تخـريبه بيت المقـدس، وست وعشرون سنة بعد ذلك، (تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨٢).
(٢) في تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨٢ «اوكردوج»، وفي الطبري ١/٥٤٣ «أو لمرودخ».
(٣) في تاريخ سنيّ الملوك «اثنتين وعشرين سنة».
(٤) في تاريخ سنيّ الملوك «ملك بلشصر ثلاث سنين».
(٥) في تاريخ الطبري ١/٥٤٣ «داريوش، الماذويّ».
(٦) في النسختين (ب) و(ت): «ثلاث سنين»، وفي تاريخ مختصر الدول ٤٨ ملك إحدى وثلاثين سنة.
(٧) في تاريخ الطبري ١/٥٤٣ «أخشوارش».
(٨) في الطبري «الغيلميّ».
(٩) في النسختين (ب) و(ت): «بما فارقني».
(١٠) في النسخة (ر): «يقسم جميع ما بقي مما غنمه».
(١١) الطبري ١/٥٤٤، ٥٤٥.
(١٢) الطبري ١/٥٤٥.

بلغه خراب بلاد الشام، وأنّها لم يبقَ بها من بني إسرائيل أحد، فنادى في أرض بابل: مَنْ شاء من بني إسرائيل أن يرجع إلى الشام فليرجع. وملّك عليهم رجلاً من آل داود، وأمره أن يعمّر بيت المقدس، فرجعوا وعمّروه[1].

وكان إرميا بن خلقيا[2] من سِبط هارون بن عمران، فلمّا وطيء بخت نصّر الشام، وخرّب بيتَ المقدس، وقتل بني إسرائيل وسباهم، فارق البلاد واختلط بالوحش، فلمّا عاد بخت نصّر إلى بابل، أقبل إرميا على حمارٍ له، معه عصير عنب، وفي يده سلّة تين، فرأى بيتَ المقدس خراباً فقال: **﴿أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا! فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ﴾**[3]، ثمّ أمات حماره وأعمى عنه العيون، فلمّا انعمر بيت المقدس، أحيا الله من إرميا عينيه، ثمّ أحيا جسده، وهو ينظر إليه، وقيل له: **﴿كَمْ لَبِثْتَ؟ قَالَ: لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾**[3]. قيل: **﴿بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ، فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ** ـ ويتغيّر[4] ـ **وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾**[5] فنظر إلى عظام حماره وهي تجتمع بعضها إلى بعض، ثمّ كُسي لحماً، ثمّ قام حيّاً بإذن الله[6]، ونظر إلى المدينة وهي تُبنى، وقد كثُر فيها بنو إسرائيل، وتراجعوا إليها من البلاد، وكان عهدَها خراباً، وأهلها ما بين قتيل وأسير، فلمّا رآها عامرة **﴿قَالَ: أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[7].

وقيل: إنّ الذي أماته الله مائة عام ثمّ أحياه كان عُزيراً، فلمّا عاش قصد منزله[8] من بيت المقدس، على وهْمٍ منه، فرأى عنده[9] عجوزاً عمياء زَمِنَةً، كانت جاريةً له، ولها من العمر مائة وعشرون سنة، فقال لها: هذا منزل عُزير؟ قالت: نعم، وبكت، وقالت: ما أرى أحداً يذكر عُزَيراً غيرك! فقال: أنا عُزَير. فقالت: إنّ عزيراً كان مُجاب الدعوة، فادعُ الله لي بالعافية، فدعا لها، فعاد بصرُها، وقامت ومشت، فلمّا رأته عرفته.

وكان لعُزير ولدٌ وله من العمر مائة وثماني[10] عشرة سنة، وله أولاد شيوخ، فذهبت

---

(١) الطبري ١/٥٤٠.
(٢) في بعض النسخ «حزقيا».
(٣) البقرة/٢٥٩.
(٤) في النسخة (ر): «لم يتسنّه أي لم يتغيّر».
(٥) البقرة/٢٥٩.
(٦) الخبر في عرائس المجالس ٢٧١.
(٧) البقرة/٢٥٩.
(٨) في الطبعة الأوربية «منزلته».
(٩) في الطبعة الأوربية «عندها».
(١٠) في النسختين (ت) و(ر): «ثلاث»، وكذلك في الطبعتين: الأوربية، وصادر ١/٢٧٠، والتصحيح من النسخة (ب) وعرائس المجالس ٢٧٢.

إليهم الجارية وأخبرتهم به، فجاؤوا[1]، فلمّا رأوه عرفه ابنُه بِشَامةٍ كانت في ظهره[2].

وقيل: إنّ عُزيراً كان مع بني إسرائيل بالعراق، فعاد إلى بيت المقدس فجدّد لبني إسرائيل التوارة، لأنّهم عادوا إلى بيت المقدس، ولم يكن معهم التوراة، لأنّها كانت قد أُخذت فيما أُخذ، وأُحرقت وعُدمت، وكان عُزيرٌ قد أُخذ مع السبْي، فلمّا عاد عُزير إلى بيت المقدس مع بني إسرائيل، جعل يبكي ليلاً ونهاراً[3]، وانفرد عن النّاس، فبينما هو كذلك في حزنه[4] إذ أقبل إليه رجل، وهو جالس، فقال: يا عُزير ما يُبكيك؟ فقال: أبكي لأنّ كتاب الله وعهده كان[5] بين أظهُرنا فعُدِم. قال: فتريد أن يردّه الله عليكم؟ قال: نعم. قال: فارجعْ وصُمْ وتطهّر، والميعاد بيننا غداً هذا المكان. ففعل عُزير ذلك، وأتَى المكان فانتظره، وأتاه ذلك الرجل بإناءٍ فيه ماء، وكان ملَكاً بعثه الله في صورة رجل، فسقاه من ذلك الإناء، فتمثّلت التوارة في صدره، فرجع إلى بني إسرائيل، فوضع لهم التوراة يعرفونها بحلالها وحرامها وحدودها، فأحبّوه حبّاً شديداً لم يحبّوا شيئاً قطّ مثله، وأصلح أمرهم، وأقام عُزَير بينهم، ثمّ قبضه الله إليه على ذلك، وحدثت فيهم الأحداثُ، حتى قال بعضهم: عُزير ابن الله[6].

ولم يزل بنو إسرائيل ببيت المقدس، وعادوا وكثُروا، حتى غلبت عليهم الرومُ زمن ملوك الطوائف، فلم يكن لهم بعد ذلك جماعة.

وقد اختلف العلماء في أمر بخت نصّر وعمارة بيت المقدس اختلافاً كثيراً، تركنا ذكره اختصاراً.

ذكر غزو بخت نصّر العرب[7]

قيل: أوحى الله إلى برخيا بن حنيا[8] يأمره أن يقول لبخت نصّر، ليغزو العرب، فيقتل مقاتلتهم، ويسبي ذراريَّهم، ويستبيح أموالهم، عقوبةً لهم على كُفرهم. فقال برخيا لبخت نصّر ما أُمر به، فابتدأ بمن في بلاده من تجّار العرب، فأخذهم وبنى لهم حَيْراً[9]

---

(١) في النسخة (ر): «فجاؤوا إليه».
(٢) الخبر في عرائس المجالس ٢٧٢.
(٣) في النسختين (ت) و(ر): «ليله ونهاره».
(٤) في النسخة (ب) «خربة».
(٥) في الطبعة الأوربية «وعهده الذي كان».
(٦) الخبر في تاريخ الطبري ١/٥٥٦، ٥٥٧.
(٧) تاريخ الطبري ١/٥٥٨، عرائس المجالس ٢٧٤، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨٦، مرآة الزمان ١/٥٥٢.
(٨) في تاريخ الطبري ١/٥٥٨ «أحنيا».
(٩) الحَيْر: شبه الحظيرة. وفي الأصل «حرّان». وانظر مادّة «الحيرة» في معجم البلدان ٢/٣٢٨، ٣٢٩.

بالنّجف، وحبسهم فيه، ووكّل بهم، وانتشر الخبرُ في العرب، فخرجت إليه طوائف منهم مستأمنين، فقبلهم وعفا عنهم، فأنزلهم السواد[1]، فابتنوا الأنبار[2]، وخلّى عن أهل الحيرة، فاتّخذوها منزلاً حياة بخت نصّر[3].

فلمّا مات انضمّوا إلى أهل الأنبار، وهذا أوّل سُكْنَى العرب السوادَ بالحيرة والأنبار.

وسار إلى العرب بنجد والحجاز، فأوحى الله إلى برخيا وإرميا يأمرهما أن يسيرا إلى معدّ بن عدنان، فيأخذاه ويحملاه إلى حرّان، وأعلمهما أنّه يخرج من نسله محمّد، ﷺ، الذي يختم به الأنبياء؛ فسارا تُطوى لهما المنازل والأرض، حتى سبقا بخت نصّر إلى مَعَدّ، فحملاه إلى حرّان في ساعتهما، ولمعَدّ حينئذٍ اثنتا عشرة سنة.

وسار بخت نصّر فلقي جموع العرب، فقاتلهم، فهزمهم وأكثر القتل فيهم، وسار إلى الحجاز. فجمع عدنان العرب، والتقى هو وبخت نصّر بذات عِرْق، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم عدنان، وتَبِعه بخت نصّر إلى حصون هناك، واجتمع عليه العرب، وخَنْدَقَ كلّ واحد من الفريقَين على نفسه وأصحابه، فكمّن بخت نصّر كميناً، وهو أوّل كمين عُمل، وأخذتهم السيوف، فنادوا بالويل، ونُهي عدنان عن بخت نصّر، وبخت نصّر عن عدنان، فافترقا.

فلمّا رجع بخت نصّر خرج مَعَدّ بن عدنان مع الأنبياء حتى أتَى مكّة، فأقام أعلامها، وحجّ، وحجّ معه الأنبياء، وخرج معدّ حتى أتَى رَيْسُوت[4] وسأل عمّن بقي من ولد الحرث بن مضاض[5] الجُرْهُميّ، فقيل له: بقي جوشم بن جُلهمة، فتزوّج مَعَدّ ابنته معانة، فولدت له نزار بن مَعَدّ[6].

---

(١) السواد: رستاق العراق.

(٢) الأنبار: بفتح أوله. مدينة قرب بلخ، وهي قصبة ناحية جُوزَجان، وبها كان مقام السلطان، وهي على الجبل. وهي أكبر من مَرْو الرّوز وبالقرب منها. (معجم البلدان ١/٢٥٧).

(٣) العبارة مطابقة لعبارة الطبري ١/٥٥٨، ٥٥٩، وعبارة ياقوت في معجم البلدان ٢/٣٢٩: «وخلّى عن أهل الحير فابتنوا في موضعه وسمّوها الحيرة لأنه كان حيراً مبنياً، وما زالوا كذلك مدّة حياة بخت نصّر».

(٤) في الأصل «ريشوب». وفي تاريخ الطبري ١/٥٦٠ «ريسوب» والمثبت يتّفق مع ياقوت في معجم البلدان ٢/١١٢ «رَيْسُوت: قال ابن الحائك: وفي منتصف الساحل ما بين عُمان وعَدَن رَيْسُوت وهو موئل كالقلعة، بل قلعة مبنيّة بنياناً على جبل والبحر محيط بها إلّا من جانب واحد».

(٥) في النسخة (ب) «ميعاض».

(٦) الخبر في الطبري ١/٥٥٩، ٥٦٠، عرائس المجالس ٢٧٤، معجم البلدان ٢/٣٢٩.

ذكر بشتاسب والحوادث في ملكه وقتل أبيه لهراسب[1]

لما ملك بشتاسب بن لهراسب ضبط المُلْك وقرّر قوانينه، وابتنى بفارس مدينة فَسَا[2]، ورتّب سبعةً من عظماء أهل مملكته مراتب، وملّك كلّ واحدٍ منهم مملكة على قدر مرتبته، ثمّ إنّه أرسل إلى ملك التُرك، واسمه خرزاسف، وهو أخو أفراسياب، وصالحه، واستقرّ الصلح على أن يكون لبشتاسب دابّة واقفة على باب ملك التُرك، لا تزال على عادتها على أبواب الملوك، فلمّا جاء زَرَادُشْت إلى بشتاسب، واتّبعه على ما ذكرناه، أشار زَرَادُشْت على بشتاسب بنقض الصُلح مع ملك التُرك، وقال: أنا أعيّن لك طالعاً تسير فيه إلى الحرب فتظفر؛ وهذا أوّل وقت وُضِعت [فيه] الاختيارات للملوك بالنجوم.

وكان زرادشت عالماً بالنّجوم جيّد المعرفة بها، فأجابه[3] بشتاسب إلى ذلك، فأرسل إلى الدابّة التي بباب ملك التُرك، وإلى الموكَّل بها فصرفهما، فغضب ملك التُرك، وأرسل إليه يتهدّده وينكر عليه ذلك، ويأمره بإنفاذ زَرَادُشْت إليه، وإن لم يفعل غزاه وقتله وأهلَ بيته.

فكتب إليه بشتاسب كتاباً غليظاً يؤذِنه فيه بالحرب، وسار كلّ واحد منهما إلى صاحبه، والتقيا واقتتلا قتالاً شديداً، فكانت الهزيمة على التُرك، وقُتلوا قتْلاً ذريعاً، ومرّوا منهزمين، وعاد بشتاسب إلى بلخ، وعظُم أمر زرادشت عند الفرس، وعظُم شأنه حيث كان هذا الظفر بقوله.

وكان أعظم النّاس غنَاء في هذه الحرب إسفنديار بن بشتاسب، فلمّا انجلت

---

(١) تاريخ الطبري ١/٥٦١، وانظر مروج الذهب ١/٢٢٧، ونهاية الأرب ١٥/١٦٠، والبدء والتاريخ ٣/١٤٩، وتاريخ ابن خلدون ٢/١٦٠.

(٢) فَسَا: بالفتح، والقصر، كلمة عجمية، وعندهم بَسَا، بالباء، وكذا يتلفّظون بها وأصلها في كلامهم الشمال من الرياح. مدينة بفارس أنْزَه مدينة بها فيما قيل، بينها وبين شيراز أربع مراحل.. (معجم البلدان ٤/٢٦٠، ٢٦١) وقد وردت في النسخة (ت): «بسا».

(٣) في الطبعة الأوربية «فأجابها».

الحربُ سعى النّاس بين بشتاسب وابنه إسفنديار، وقالوا[1]: يريد المُلْك لنفسه، فندبه لحربٍ بعد حرب، ثمّ أخذه وحبسه مقيَّداً.

ثمّ إنّ بشتاسب سار إلى ناحية كَرْمان وسِجِسْتان، وسار إلى جبل يقال له طمبدر[2]، لدراسة دينه والتنسُّك هناك، وخلَّف أباه لهراسب ببلْخ شيخاً قد أبطله الكِبَرُ، وترك بها خزائنه وأولاده ونساءه، فبلغت الأخبار إلى ملك الترك خرزاسف، فلمّا تحقّقها[3] جمع عساكره وحشد، وسار إلى بلْخ، وانتهز الفرصة بغيبة بشتاسب عن مملكته، ولما بلغ بلْخ مَلَكَها، وقتل لهراسب، وولدَين لبشتاسب، والهرابذة[4]، وأحرق الدواوين، وهدم بيوت النيران، وأرسل السرايا إلى البلاد، فقتلوا وسبوا وأخربوا، وسبَى ابنتَين لبشتاسب إحداهما خُمانَى، وأخذ علَمهم الأكبر المعروف بدِرَفْش كابيان، وسار متّبعاً لبشتاسب، وهرب بشتاسب من بين يدَيْه، فتحصّن بتلك الجبال ممّا يلي فارس، وضاق ذَرْعاً بما نزل به.

فلمّا اشتدّ عليه الأمر أرسل إلى ابنه إسفنديار مع عالمهم جاماسب، فأخرجه من محبسه واعتذر إليه، ووعده أن يعهد إليه بالمُلْك من بعده، فلمّا سمع إسفنديار كلامه سجد له ونَهض من عنده، وجمع مَنْ عنده من الجند، وبات ليلته مشغولاً بالتجهّز، وسار من الغد نحو عسكر التُرك وملكهم، والتقوا واقتتلوا، والتحمت الحرب وحمي الوطيس، وحمل إسفنديار على جانب من العسكر فأثّر فيه ووهّنه، وتابع الحملات، وفشا في التُرك أنّ إسفنديار هو المتولّي لحربهم، فانهزموا لا يلوون على شيء، وانصرف إسفنديار وقد ارتجع دِرَفْش كابيان.

فلمّا دخل على أبيه استبشر به، وأمره باتّباع التُرك، ووصّاه بقتل ملكهم ومَنْ قدر عليه من أهله، ويقتل من التُرك من أمكنه قتْله، وأن يستنقذ السبايا والغنائم التي أُخذت من بلادهم، فسار إسفنديار ودخل بلاد التُرك، وقتل وسبَى وأخرب، وبلغ مدينتَهم العظمى، ودخلها عَنْوَةً، وقتل الملك وإخوته ومقاتلته، واستباح أمواله وسبَى نساءه، واستنقذ أختَيْه، ودوّخ البلاد، وانتهَى إلى آخر حدود بلاد التُرك، وإلى التُّبّت، وأقطع بلاد التُرك، وجعل كلّ ناحيةٍ إلى رجل من وجوه التُرك، بعد أن آمنهم ووظّف عليهم خراجاً يحملونه كلّ سنة إلى أبيه بشتاسب.

---

(١) في الطبعة الأوربية «وقال».

(٢) في النسختين (ب) و(ر): «طميدر»، وفي تاريخ الطبري ١/٥٦٢ «طميذر».

(٣) في الطبعة الأوربية «تحققه».

(٤) في النسخة (ب): «جهابذته»، والمثبت يتفق مع الطبري، وهو الصحيح والهرابذة: فارسية، واحدها هِرْبِذ، وهو خادم نار المجوس.

ثمّ عاد إلى بلْخ. فحسده أبوه بما ظهر منه من حفظ المُلْك والظفر بالتُرك، وأسرّ ذلك في نفسه، وأمر بالتجهّز والمسير إلى قتال رستم الشديد بسِجِسْتان، وقال له: هذا رستم متوسّط بلادَنا، ولا يعطينا الطاعة، لأنّ الملك كيكاووس أعتقه فأقطعه إيّاها؛ وقد ذكرنا ذلك في ملك كيكاووس؛ وكان غرض بشتاسب أن يقتله رستْم أو يقتل هو رستمَ، فإنّه كان أيضاً شديد الكراهة لرستم، فجمع العساكر وسار إلى رستم لينزع سِجِستان منه، فخرج إليه رستم وقاتله، فقُتل إسفنديار، قتله رستم.

ومات بشتاسب، وكان ملكه مائة سنة واثنتي عشرة سنة[1].

وقيل: مائة وعشرين سنة[2].

وقيل: مائة وخمسين سنة[3].

* * *

وقيل: إنّه جاءه رجل من بني إسرائيل، زعم أنّه نبيّ أُرسل إليه واجتمع به ببلْخ، فكان يتكلّم بالعبريّ، وَزَرَادُشْت نبيّ المجوس يعبّر عنه، وجاماسب العالم هو حاضر معهم، يترجم أيضاً عن الإسرائيليّ.

وكان بشتاسب ومَنْ قبله من آبائه وسائر الفرس يدينون بدين الصابئة قبل زرادشت.

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ١/٥٦١ ـ ٥٦٤، وانظر تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٣٦، ٣٧ وتاريخ ابن خلدون ٢/١٦٢.

(٢) مروج الذهب ١/٢٣٠، ابن خلدون ٢/١٦٢.

(٣) الطبري ١/٥٦٥.

ذكر الخبر عن ملوك بلاد اليمن
من أيام كيكاووس إلى أيام بهمن بن إسفنديار[1]

قد مضى ذكر الخبر عَمَّنْ زعم أنّ كيكاووس كان في عهد سليمان بن داود، وقد ذكرنا مَنْ كان في عهد سليمان من ملوك اليمن، والخبر عن بِلقيس بنت ايلشرح[2]، وصار المُلك بعد بِلقيس إلى ياسر بن عمرو بن يعفر، الذي يقال له أنعم لإنعامه[3].

قال أهل اليمن: إنّه سار غازياً نحو المغرب، حتى بلغ وادياً يقال له وادي الرمل. ولم يبلغْه أحد قبله، فلمّا انتهى إليه لم يجد وراءه مجازاً لكثرة الرمل، فبينما هو مقيم عليه، إذ انكشف الرمل، فأمر رجلاً يقال له عمرو أن يعبر هو وأصحابُه، فعبروا، فلم يرجعوا، فلمّا رأى ذلك أمر بنصْب صنم نحاس، فصُنع، ثمّ نُصب على صخرة على شفير الوادي، وكتب على صدره بالمُسْنَد: «هذا الصنم لياسر أنعم الحِمْيَرِيّ، ليس وراءه مذهب، فلا يتكلّفنّ أحد ذلك فيُعْطب»[4].

وقيل: إنّ وراء ذلك الرمل قوماً من أمّة موسى، وهم الذين عنى الله بقوله ﴿**وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾[5]؛ والله أعلم.

ثمّ ملك بعده تُبَّع، وهو تُبّان[6]، وهو أسعد، وهو أبو كرب بن ملكيكربَ[7] تبّع بن

---

(١) تاريخ الطبري ١/٥٦٦، مروج الذهب ٢/٧٦، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٠٨، تاريخ اليعقوبي ١/١٩٦، نهاية الأرب ١٥/٢٩٤: تاريخ ابن خلدون ٢/٥٢، البداية والنهاية ٢/١٦٣.

(٢) في النسخة (ب): «المنشرح». وفي تاريخ الطبري ١/٥٦٦ «إيليشرح». وفي نهاية الأرب ١٥/٢٩٤ «ابنة ذي أشْرَح».

(٣) قيل في اسمه: ياسر ينعم بن عمرو بن يعفر بن عمرو بن شرحبيل». (تاريخ اليعقوبي ١/١٩٦) وقيل: «ناشر ينعم بن شراحيل» وهو عمّ بلقيس. (تاريخ سنيّ ملوك الأرض للأصفهاني ١٠٨) وقيل: «ناشر النعم بن عمرو بن يعفر». (مروج الذهب ٢/٧٦) وقيل «ياسر بن عمرو بن شرحبيل، وهو ناشر النِعَم». (نهاية الأرب ١٥/٢٩٤) وقيل: «ناشر بن عمرو ذي الأذعار ويعرف بناشر النعم. لفظين مركّبين جُعلا اسماً واحداً. كذا ضبطه الجرجاني». (ابن خلدون ٢/٥٢) وقيل: «ناشر بن عمرو» و«ناشر النِعَم». (الروض الأُنُف للسهيلي ١/٣٤).

(٤) في تاريخ الطبري ١/٥٦٦: «يتكلّفنّ ذلك أحد فيعطب».

(٥) الأعراف/١٥٩.

(٦) في الأصل: «بنان»، وهو تحريف.

زيـد بن عمرو بن تُبَّـع، وهو ذو الأذعـار بن أبرهَـة تُبَّع ذي المنـار بن الرايش بن قيس بن صيفيّ بن سبأ، وكان يقال له الزايد[1].

وكان تُبَّع هـذا في أيّام بشتـاسب، وأردشير بهمن بن إسفنـديار بن بشتـاسب، وإنّه شخص متـوجّهـاً من اليمن في الـطريق الـذي سلكـه الـرايش[2]، حتى خـرج على جبلَيْ طيّء، ثمّ سـار يريـد الأنبار، فلمّـا انتهَى إلى موضـع الحِيرة تحيّـر، وكـان ليـلاً، فـأقـام بمكانه، فسُمِّي ذلك المكان بالحِيرة، وخلّف به قوماً من الأزد، ولخْم، وجُذام، وعاملة، وقُضاعة، فبنوا وأقاموا به. ثمّ انتقـل إليهم بعد ذلـك ناس من طيّـء، وكلب، والسَّكُـون، وبلْحـرث بن كعب، وإيـاد، ثمّ تـوجّـه إلى المَـوْصِـل، ثمّ إلى أَذْرَبَيْجـان، فلقي التُـرك فهزمهم، فقتل المقاتلة وسبَى الذرّيّة، ثمّ عاد إلى اليمن، فهابته الملوك وأهدوا إليه.

وقدمت عليه هديّة ملك الهند، وفيها تحف كثيرة من الحرير والمِسْك والعود وسائـر طُرَف الهند، فرأى ما لم يرَ مثله، فقال للرسول: كلّ هذا في بلدكم؟ فقال: أكثره من بلد الصين، ووُصف لـه بلد الصين، فحلف ليغزونّهـا، فسار بحِمْيَـر حتى أتَى إلى الركـائـك وأصحاب القلانس السُّود، ووجّه رجلاً من أصحابه، يقال له ثابت نحو الصين، في جمع عظيم، فأُصيب، فسـار تُبَّع حتى دخـل الصين، فقتل مقـاتلتها واكتسـح[3] ما وجـد فيها. وكان مسيره ومقامه ورجعته في سبع سنين.

ثمّ إنّه خلّف بالتُّبَّت[4] اثني عشر ألف فارس من حِمْيَر، فهم أهل التُّبَّت، ويـزعمون

---

(٧) في النسخة (ب) «ملككرب»، وفي النسخة (ت) «ملكيكرب».

---

(١) في تاريخ الطبري ١/٥٦٦ «الرائد». واختُلف في اسمه، فقيل: تُبَّع بن حسّان بن كليكرب» (مروج الـذهب ٢/٧٦) وهو «تُبَّع الأوسط» (تـاريخ سنيّ ملوك الأرض ١١٠) وقيـل: تُبَّع بن حسّـان بن بحيلة (أو بجيلة) بن ملكيكـرب بن تُبَّع الأقـرن». (تاريـخ اليعقوبي ١/١٩٧) وقيـل: «تُبَّان أسعـد هـو: تُبَّـع الآخـر، ابن كُلْكي كرِب بن زيد» (سيرة ابن هشام ١/٣٣).
قال السهيلي: تُبَّان أسعد، اسمان جُعِلا اسماً واحداً، وإن شئت أضفتَ كما تضيف معدي كرب، وإن شئت جعلت الإعـراب في الإسم الآخر. وتُبَّـان من التبانـة: وهي الذكـاء والفطنـة. يقـال: رجـل تَبِن وطبن. . . ومعنى تُبَّـع في لغـة اليمن: الملك المتبـوع. وقـال المسعـودي: لا يقـال للملك: تُبَّـع، حتى يغلب اليمن والشِحْر وحضرموت. (الروض الأنف ١/٣٣ و٣٤) وانظر عنه في: المعارف ٦٠، والعقد الفريد ٢/١٩٣.
(٢) أنظر عن الرائش في: الروض الأنف ٣٤٨.
(٣) في النسخة (ب) «واكتسب»، والمثبت يتفق مع الطبري ١/٥٦٧.
(٤) التُبَّت: بـالضم. بلد بأرض التـرك، في الإقليم المتاخم لبـلاد الهنـد. وقيـل هي مملكـة متـاخمـة لمملكـة الصين، ومتاخمة من إحدى جهاتها لأرض الهند ومن جهة المشرق لبلاد الهياطلة، ومن جهـة المغرب لبـلاد الترك. (معجم البلدان ٢/١٠).

أنّهم عرب، وألوانهم ألوان[1] العرب وخلقهم[2].

هكذا ذُكر، وقد خالف هذه الرواية كثير من أصحاب السِّيَر والتـواريخ، وكـلّ واحد منهم خالف الآخر، وقدّم بعضهم مَنْ أخّره الآخـر، فلم يحصل منهم كثيـر فائـدة، ولكن ننقل ما وجدنا مختصراً.

(١) في النسختين (ب) و(ر): «وألوانهم وخلقهم ألوان».
(٢) الخبر في تاريخ الطبري ١/٥٦٦، ٥٦٧.

ذكر خبر أردشير بَهْمَن وابنته خُمَاني[1]

ثمّ مَلَك بعد بشتاسب ابن ابنه أردشير بَهْمَن بن إسفنديار، وكان مظفَّراً في مغازيه، ومَلَك أكثر من أبيه.

وقيل: إنّه ابتنى بالسواد مدينة، وسمّاها أياوان أردشير، وهي القرية المعروفة بِهُمَيْنِيا[2] بالزّاب الأعلى، وابتنى بِكُوَر دِجلة الأُبُلَّة[3]، وسار إلى سِجِستان طالباً بثأر أبيه، فقتل رستم وأباه دِستان، وابنه فرامرز.

وبَهْمَن هو أبو دارا الأكبر، وأبو ساسان أبي ملوك الفرس الأحرار[4] أردشير بن بابك وولده، وأمّ دار خُماني[5] ابنة بهمن، فهي أخته وأمّه.

وغزا بَهْمَن رومية الداخلة في ألف ألف مقاتل، وكان ملوك الأرض يحملون إليه الإتاوة، وكان أعظم ملوك الفرس شأناً، وأفضلهم تدبيراً.

وكانت أمّ بَهْمَن من نسل بنيامين بن يعقوب، وأمّ ابنه ساسان من نسل سليمان بن داود.

---

(١) تاريخ الطبري ١/٥٦٨، تاريخ ابن خلدون ٢/١٦٢، البدء والتاريخ ٣/١٥٠، تاريخ اليعقوبي ١/١٥٨، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٣٧، أخبار الزمان للمسعودي ١٠١، مروج الذهب ١/٢٣٠، نهاية الأرب ١٥/١٦٣، تاريخ مختصر الدول ٥١ وفيه «أرطحشثت الطويل اليدين».

(٢) في النسخة (ب): «بهمشنا»، وفي تاريخ الطبري ١/٥٦٨ «بهُمِينا». وهي: هُمَانِيَة: قرية كبيرة كالبلدة بين بغداد والنعمانية في وسط البرّية ليس بقربها شيء من العمارات، وهي في ضفّة دجلة.. والنسبة إليها هُمانيّ وربما قيل هُمَنِيّ، بغير ألف. (معجم البلدان ٥/٤١٠) وقيل: هُمَيْنِيا. كان أول من بناها بَهْمَن بن اسفنديار ملك الفرس. (معجم البلدان ٥/٤١٧).

(٣) الأُبُلَّة: بضمّ أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها.. بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة. (معجم البلدان ١/٧٦، ٧٧).

(٤) في تاريخ الطبري ١/٥٦٨ «ملوك الفرس الآخَر»، والمثبت في الكامل هو الأصحّ على الأرجح.

(٥) في نهاية الأرب ١٥/١٦٣ «جُمانى» بالجيم، وهي جماز هرازاد. والمثبت يتفق مع الطبري، وتاريخ اليعقوبي ١/١٥٨ وفيه «خماني بنت جهرزاد».

وكان مُلْك بَهْمَن مائة وعشرين سنة[1].

وقيل: ثمانين سنة[2].

وكان متواضعاً مرضيّاً فيهم، وكانت كتبه تخرج: «من عبد الله، خادِم الله، السائسِ لأموركم».

ثمّ ملكت بعده ابنته خُماني، ملّكوها حبّاً لأبيها ولعقلها وفروسيّتها، وكانت تلقَّب بشهرزاد.

وقيل: إنّما ملكت لأنّها حين حملت منه دارا الأكبر، سألته أن يعقد التاج له في بطنها، ويُؤثِره بالمُلْك، ففعل بَهْمَن، وعقد التاجَ عليه حَمْلاً في بطنها، وساسان بن بَهْمَن رجل يتصنّع للملك، فلمّا رأى فِعل أبيه لحِق بإصطَخْر، وتزهّد، ولحِق برؤوس الجبال، واتّخذ غنماً، وكان يتولّاها بنفسه، فاستبشعت العامّة ذلك منه.

وهلك بَهْمَن وابنه دارا في بطن أمّه، فملّكوها، ووضعته بعد أشهر من مُلْكِها، فأنِفَتْ من إظهار ذلك، وجعلته في تابوت، وجعلت معه جواهر، وأجْرَتْه في نهر الكرّ من إصطَخْر.

وقيل: بنهر بلْخ.

وسار التابوت إلى طحّان من أهل إصطخر، ففرح لما فيه من الجوهر، فحضنته امرأتُه، ثمّ ظهر أمرُه حين شبّ، فأقرّت خُماني بإساءتها[3]، فلمّا تكامل امتُحن، فوُجد على غاية ما يكون أبناء الملوك، فحوّلت التاج إليه، وسارت إلى فارس وبنت مدينة إصطَخْر، وكانت قد أوتيت ظَفَراً، وأغزت الروم، وشغلت الأعداء عن تطرّق بلادها، وخفّفت عن رعيّتها الخراجَ؛ وكان مُلْكها ثلاثين سنة[4].

وقيل: إنّ خُماني أمّ دارا حضنته حتى كبر، فسلّمت المُلْك إليه، وعزلت نفسها، فضبط المُلْك بشجاعة وحزم.

ونرجع إلى

---

(١) ينفرد المؤلّف بهذا القول. وأكثر المؤرّخين يُجمعون على أن بَهْمَن ملك مائة واثنتي عشرة سنة. (الطبري ١/٥٦٩، مروج الذهب ١/٢٣١، تاريخ اليعقوبي ١/١٥٨، نهاية الأرب ١٥/١٦٣).

(٢) الطبري ١/٥٦٩، تاريخ ابن خلدون ٢/١٦٣.

(٣) في النسخة (ب): «بأنه ابنها»، والمثبت يتفق مع الطبري ١/٥٧٠.

(٤) الطبري ١/٥٧٠، مروج الذهب ١/٢٣١، تاريخ اليعقوبي ١/١٥٨، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٣٨، نهاية الأرب ١٥/١٦٣، ١٦٤، تاريخ ابن خلدون ٢/١٦٣.

ذكر بني إسرائيل، ومقابلة تاريخ أيّامهم إلى حين تصرُّمها، ومدّة من كان في أيّامهم من ملوك الفرس

قد ذكرنا فيما مضى سببَ انصراف مَن انصرف إلى بيت المقدس من سبايا بني إسرائيل الذين كان بُخْتَ نصّر سباهم، وكان ذلك في أيّام كيرش ابن اخشويرش، ومُلْكه ببابل من قِبَل بَهْمَن، وأربع سنين بعد وفاته في ملك ابنته خُماني، وكانت مدّة خراب بيت المقدس من لَدُن خرّبه بخت نصّر مائة سنة[1]، كلّ ذلك في أيّام بَهْمَن بعضه، وفي أيّام ابنته خُماني بعضه.

وقيل غير ذلك. وقد تقدّم ذِكر الاختلاف.

وقد زعم بعضهم أنّ كيرش هو بشتاسب[2]، وأنكر عليه قوله ولم يملك[3] كيرش منفرداً قطّ[4].

* * *

ولما عُمر بيت المقدس، ورجع إليه أهله، كان فيهم عُزَيْر، وكان الملك عليهم بعد ذلك من قبَل الفرس إمّا رجل منهم، وإمّا رجل من بني إسرائيل، إلى أن صار المُلْك بناحيتهم لليونانيّة والروم، لسبب غَلَبَة الإسكندر على الناحية، حين قتل دارا بن دارا[5]. وكان جملة مدّة ذلك فيما قيل ثمانياً وثمانين سنة[6].

---

(١) في تاريخ الطبري ١/٥٧١ «سبعين سنة»، وكذلك في مروج الذهب ١/٢٣١.

(٢) في النسختين (ب) و(ت) «كشتاسب».

(٣) في النسخة (ب) «يذكر».

(٤) الخبر للطبري ١/٥٧١، وانظر حول «كورش» في مروج الذهب ١/٢٣١ حيث قال المسعودي: «وكانت مدة ملك كورش ثلاثاً وعشرين سنة، وفي وجهٍ آخر من الروايات أنّ كورشاً كان ملكاً برأسه لا من قِبَل بَهْمَن، وذلك بعد انقضاء ملك بَهْمَن: وأنّ كورشاً من ملوك الفرس الأولى، وليس هذا عامّاً في كتب التواريخ القديمة».

(٥) الطبري ١/٥٧١، المسعودي ١/٢٣٢ وفيه: «وكان ملكه إلى أن قُتل ثلاثين سنة».

(٦) الطبري ١/٥٧١.

ذكر خبر دارا الأكبر وابنه دارا الأصغر[1] وكيف كان هلاكه مع خبر ذي القرنين

ومَلَك دارا بن بَهْمَن بن إسفنديار، وكان يلقّب جهرازاد، يعني كريم الطبع، فنزل ببابل، وكان ضابطاً لمُلْكه، قاهراً لمن حوله من الملوك، يؤدّون إليه الخراج، وبنى بفارس مدينة سمّاها دارابِجِرْد[2]، وحذّف[3] دوابّ البُرُد[4] ورتّبها[5]، وكان معجَباً بابنه دارا، ومن حُبّه له سمّاه باسم نفسه، وصيّر له المُلْكَ بعده.

وكان ملكه اثنتي عشرة سنة[6].

ثمّ مَلَك بعده ابنه دارا، وبنى بأرض الجزيرة بالقرب من نَصِيبِين[7] مدينة دارا[8]، وهي مشهورة إلى الآن، واستوزر إنساناً لا يَصلُح لها، فأفسد قلبه على أصحابه، فقتل رؤساء عسكره، واستوحش منه الخاصّة والعامّة، وكان شابّاً غِرّاً جميلاً حقوداً جبّاراً سيّء السيرة في رعيّته.

وكان ملكه أربع عشرة سنة[9].

---

(١) تاريخ الطبري ١/٥٧٢، مروج الذهب ١/٢٣١، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٣٨، البدء والتاريخ ٣/١٥٢، نهاية الأرب ١٥/١٦٤ و ٢٣٥ وما بعدها، تاريخ المنبجي ١/٤١، تاريخ اليعقوبي ١/١٤٣ و١٥٨، تاريخ مختصر الدول ٥٤، تاريخ ابن خلدون ٢/١٦٤.

(٢) دارابْجِرْد: بعد الألف الثانية باء موحّدة ثم جيم ثم راء، ودال مهملة. (معجم البلدان ٢/٤١٩).

(٣) حذّف الشيءَ: أخذ من نواحيه وهذّبه حتى يستوي. وهنا قطع ذَنَب الدّابّة.

(٤) البُرُد: جمع بريد.

(٥) في النسخة (ب): «الردى وزينها».

(٦) في طبعة صادر ١/٢٨١ «اثنتين وعشرين». وما أثبتناه عن النسختين (ت) و(ر)، وهو ما يتفق مع الطبري ١/٥٧٢، والمسعودي ١/٢٣١، والمقدسي في البدء والتاريخ ٣/١٥٢، واليعقوبي في تاريخه ١/١٥٨.

(٧) نصيبين: بالفتح ثم الكسر ثم ياء علامة الجمع الصحيح.. مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام. (معجم البلدان ٥/٢٨٨).

(٨) دارا: بلدة في لحف جبل بين نصيبين وماردين.. من بلاد الجزيرة. (معجم البلدان ٢/٤١٨).

(٩) الطبري ١/٥٧٢، تاريخ ابن خلدون ٢/١٦٣.

ذِكر اسكندر ذي القرنين[1]

كان فيلفوس[2] أبو الإسكندر اليونانيّ من أهل بلدة يقال لها مقدونية، كان ملكاً عليها وعلى بلاد أخرى، فصالح دارا على خراج يحمله إليه في كلّ سنة. فلمّا هلك فيلفوس مَلَك بعده ابنُه الإسكندر، واستولى على بلاد الروم أجمع، فقوي على دارا، فلم يحمل إليه من الخراج شيئاً، وكان الخراج الذي يحمله بيضاً من ذهب، فسخط عليه دارا، وكتب إليه يؤنّبه بسوء صنيعه في تَرْك حمل الخراج، وبعث إليه بصَوْلجان وكُرة وقفيز من سمسم، وكتب إليه: إنّه صبيّ، وإنّه ينبغي له أن يلعب بالصَّوْلَجان والكرة، ويترك المُلْك، وإن لم يفعل ذلك، واستعصى عليه، بعث إليه مَنْ يأتيه به في وثاق، وإنّ عدّة جنوده كعدّة حبّ السمسم الذي بعث به إليه.

فكتب إليه الإسكندر: إنّه قد فهم ما كتب به، وقد نظر إلى ما ذكر في كتابه إليه، من إرساله الصَّوْلَجان والكُرَّة، وتيمّن[3] به لإلقاء الملقي الكرة إلى الصَّوْلَجان، واحترازه إيّاها؛ وشبّه[4] الأرض بالكرة، وأنّه يجرّ مُلْك دارا إلى مُلْكه. وتيمّنه[5] بالسمسم الذي بعث، كتيمّنه[6] بالصَّوْلَجان والكُرة لدَسَمه وبُعْده من المرارة والحَرَافَة، وبعث إليه بصُرَّة فيها خردل، وأعلمه في ذلك أنّ ما بعث به إليه قليل، ولكنّه مرّ حرّيف، وأنّ جنوده مثله. فلمّا وصل كتابه إلى دارا تأهّب لمحاربته[7].

---

(١) تاريخ الطبري ١/٥٧٢، تاريخ اليعقوبي ١/١٤٣، تاريخ المنبجي ١/٤١، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٣٩، البدء والتاريخ ٣/١٥٢، تاريخ مختصر الدول ٥٧، نهاية الأرب ١٥/٢٣٥، مروج الذهب ١/٢٨٨، تاريخ ابن خلدون ٢/١٨٧، المعارف ٦٥٣، تاريخ الخميس ١/١١٣، الفرج بعد الشدّة ٢/٣١٥ و ٣٤٠ - ٣٤٢، والمستجاد من فعلات الأجواد ٤٦ ـ ٤٩.

(٢) في النسخة (ت): «فيلقوس».

(٣) في الطبعة الأوربية «ويتمنّ».

(٤) في الطبعة الأوربية «ويشبّه».

(٥) في الطبعة الأوربية «ويتمنّه».

(٦) في الطبعة الأوربية «كيتمنّه».

(٧) الطبري ١/٥٧٣، ٥٧٤، البدء والتاريخ ٣/١٥٢، ١٥٣، نهاية الأرب ١٥/٢٣٥، ٢٣٦، عرائس المجالس ٢٨٤.

وقد زعم بعض العلماء بأخبار الأوّلين، أنّ الإسكندر الذي حارب دارا بن دارا، هو أخو دارا الأصغر الذي حاربه، وأنّ أباه دارا الأكبر كان تزوّج أمّ الإسكندر، وهي ابنة ملك الروم، فلمّا حُملت إليه، وجد نَتَنَ رِيحها وسَهَكها[1]، فأمر أن يُحتال لذلك منها؛ فاجتمع رأيُ أهل المعرفة في مداواتها على شجرة يقال لها بالفارسيّة «سندر»، فغُسلت بمائها، فأذهب ذلك كثيراً من نَتَنها، ولم يذهب كلّه، وانتهت نفسُه عنها، فردّها إلى أهلها، وقد علقت منه، فولدت في أهلها غلاماً، فسمّته باسم الشجرة التي غُسلت بمائها، مضافاً إلى اسمها[2].

وقد هلك أبوها، وَمَلَكَ الإسكندر بعده، فمنع الخراج الذي كان يؤدّيه جدّه إلى دارا، فأرسل يطلبه، وكان بيضاً من ذهب، فأجابه: إنّي قد ذبحتُ الدجاجة التي كانت تبيض ذلك البيض، وأكلتُ لحمها، فإنْ أحببتَ وادعناك، وإن أحببتَ ناجزناك.

ثمّ خاف الإسكندر من الحرب، فطلب الصُلح، فاستشار دارا أصحابه، فأشاروا عليه بالحرب لفساد قلوبهم عليه، فعند ذلك ناجزه دارا القتال، فكتب الإسكندر إلى حاجبَيْ دارا، وحكّمهما على الفتْك بدارا، فاحتكما شيئاً، ولم يشترطا أنفسهما. فلمّا التقيا للحرب، طعن دارا حاجباه في الوقعة، وكانت الحرب بينهما سنة، فانهزم أصحاب دارا، ولَحِقَه الإسكندر وهو بآخر رمق[3].

وقيل: بل فتك به رجلان من حَرَسه من أهل همذان، حبّاً للراحة من ظلمه، وكان فتْكهما به لما رأيا عسكره قد انهزم عنه، ولم يكن ذلك بأمر الإسكندر.

وكان قد أمر الإسكندر منادياً ينادي عند هزيمة عسكر دارا، أن يؤسرا دارا ولا يقُتل، فأُخبر بقتله، فنزل إليه ومسح التراب عن وجهه، وجعل رأسه في حِجْره وقال له: إنّما قتلك أصحابك، وإنّني لم أُهِمَّ بقتلك قطّ، ولقد كنتُ أرغبُ بك يا شريف الأشراف، ويا ملك الملوك، وحُرَّ الأحرار، عن هذا المصرع، فأوص بما أحببتَ. فأوصاه دارا أن يتزوّج ابنته «روشنك»، ويرعى حقّها، ويعظّم قدرها، ويستبقي أحرار فارس، ويأخذ له بثأره ممّن قتله. ففعل الإسكندر ذلك أجمع، وقتل حاجبَيْ دارا، وقال لهما: إنّكما لم تشترطا نفوسكما، فقتلهما بعد أن وفَى لهما بما ضمن لهما، وقال: ليس ينبغي أن يُستبقى قاتل الملوك، إلاّ بذمّة لا تُخفر[4].

---

(١) السَّهَك: ريح كريهة تجدها ممن عرق.

(٢) وهو «هلاي سندروس» كما في تاريخ الطبري ١/٥٧٥.

(٣) الطبري ١/٥٧٥، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٣٨، نهاية الأرب ١٥/٢٣٧.

(٤) الطبري ١/٥٧٥، لطف التدبير للإسكافي ١٨٧، ١٨٨، غرر السير ٤١٧.

وكان التقاؤهما بناحية خُراسان ممّا يلي الخَزَر.

وقيل: ببلاد الجزيرة عند دارا.

وكان مُلك الرّوم قبل الإسكندر متفرّقاً فاجتمع، ومُلك فارس مجتمعاً فتفرّق.

وحمل الإسكندر كتباً وعلوماً لأهل فارس، من علوم ونجوم وحكمة[1]، ونقله إلى الرومية.

وقد ذكرنا قول من قال: إنّ الإسكندر أخو دارا لأبيه، وأمّا الروم وكثير من أهل الأنساب فيزعمون أنه الإسكندر بن فيلفوس.

وقيل فيلبوس بن مطريوس[2].

وقيل: ابن مصريم بن هرمس بن هردس[3] بن ميطون[4] بن رومي بن ليطى بن يوناق[5] بن يافث بن ثوبة بن سرحون بن روميط بن زنط بن توقيل[6] بن رومي بن الأصفر بن اليفز[7] بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم.

فجمع بعد هَلْك دارا مُلك دارا، فملك العراق، والشام، والروم، ومصر، والجزيرة، وعرض جُنده، فوجدهم على ما قيل ألف ألف وأربعمائة ألف رجل[8]، منهم من جنده ثمانمائة ألف رجل، ومن جُند دارا ستّمائة ألف رجل، وتقدّم بهدم حصون فارس، وبيوت النيران، وقَتَل الهرابذة، وأحرق كتبهم، واستعمل على مملكة فارس رجالاً، وسار قُدُماً إلى أرض الهند، فقتل ملكها، وفتح مدنَها، وخرّب بيوت الأصنام، وأحرق كُتُب علومهم[9].

ثمّ سار منها إلى الصين، فلمّا وصل إليها أتاه حاجبه في اللّيل وقال: هذا رسول ملك الصين، فأحضره فسلّم، وطلب الخلوة، ففتّشوه فلم يروا معه شيئاً، فخرج من كان

---

(١) في الطبعة الأوربية «حكم»، والمثبت يتفق مع الطبري ١/٥٧٧.
(٢) في الأصل «مطربوس» بالباء الموحدة، والمثبت عن الطبري.
(٣) في النسخة (ب) «هورس».
(٤) في طبعة صادر ١/٢٨٤ «منطون»، والمثبت عن النسخة (ر)، والطبري.
(٥) في النسخة (ب) «ثوباق»، والنسخة (ر) «يونان» كما في الطبري.
(٦) في النسخة (ر) «توفيل».
(٧) في الأصل «ايلفر»، والمثبت عن الطبري.
(٨) في تاريخ الطبري ١/٥٧٧ «ألف ألف وأربعمائة رجل» وما في الكامل هو الأصحّ، حيث يوثّقه ما بعده، وما في عرائس المجالس ٢٨٦.
(٩) إلى هنا ينتهي الخبر في تاريخ الطبري ١/٥٧٧.

عند الإسكندر، فقال: أنا ملك الصين جئت أسألك عن الذي تريده، فإن كان ممّا يمكن عمله[1] عملتُه، وتركتُ الحرب. فقال له الإسكندر: ما الذي آمنك منّي؟ قال: علمتُ أنّك عاقل حكيم، ولم يكن بيني وبينك عداوة ولا ذَحْل[2]، وأنت تعلم أنك إنْ قتلتني، لم يكن قتلي سبباً لتسليم أهل الصين مُلكي إليك، ثمّ إنّك تُنسب إلى الغدر.

فعلم أنّه عاقل، فقال له: أريد منك ارتفاع مُلكك لثلاث سنين عاجلاً، ونصف الارتفاع[3] لكلّ سنة. قال: قد أجبتُك، ولكن اسألني[4] كيف حالي، قال: قُلْ كيف حالك؟ قال: أكون أوّل قتيلٍ لمحارب، وأوّل أكلةٍ لمفترس، قال: [فإن] قنعتُ منك بارتفاع سنتين؟ قال: يكون حالي أصلح قليلاً. قال: [فإن] قنعتُ منك بارتفاع سنة؟ قال: يبقى مُلكي، وتذهب لذّاتي. قال: وأنا أترك لك ما مضى، وآخذ الثُلُثُ لكلّ سنة، فكيف يكون حالك؟ قال: يكون السُدُس للفقراء والمساكين ومصالح البلاد، والسُدُس لي، والثُلُث للعسكر، والثُلُث لك. قال: قد قنعتُ منك بذلك. فشكره وعاد، وسمع العسكر بذلك ففرحوا بالصلح.

فلمّا كان الغد خرج ملك الصين بعسكر عظيم، أحاط بعسكر الإسكندر، فركب الإسكندر والنّاس، فظهر ملك الصين على الفيل وعلى رأسه التاج، فقال له الإسكندر: أغَدَرْتَ؟ قال: لا، ولكنّي أردتُ أن تعلم أنّي لم أطعك من ضَعْف، ولكنّي لما رأيتُ العالم العُلويّ مقبلاً عليك، أردتُ طاعته بطاعتك، والقرب منه بالقرب منك. فقال له الإسكندر: لا يسام[5] مثلك[6] الجِزية، فما رأيتُ بيني وبينك مَن يستحقّ الفضل والوصف بالعقل غيرك، وقد أعفيتُك من جميع ما أردتُه منك، وأنا منصرف عنك. فقال له ملك الصين: فلستَ تخسر، وبعث إليه بضعف ما كان قرّره معه، وسار الإسكندر عنه من يومه، ودانت له عامّة الأرَضِين في الشرق والغرب، وملك التُبَّت وغيرها[7].

(١) في الطبعة الأوربية «كان ما يمكنه عمله». والمثبت يتفق مع غرر أخبار ملوك الفرس للثعالبي ٤٣٧، ونهاية الأرب ١٥/ ٢٥٠.

(٢) الذَحْل: الثأر. وفي ثمرات الأوراق ١٧٣: «ولا مطالبة بدخْل»، وفي الفرج بعد الشدّة ٢/ ٣٤١، والمستجاد من فعلات الأجواد ٤٣ «ولا مطالة بذحل» الحاء المهملة.

(٣) الإرتفاع: هو ما يُرفع من خراج إلى بيت المال.

(٤) في الطبعة الأوربية «ولكنك سئلني».

(٥) في النسخة (ب): «نستأم»، والمثبت يتفق مع الغُرر للثعالبي ٤٣٩، ونهاية الأرب ١٥/ ٢٥٢.

(٦) في النسخة (ت) «منك».

(٧) إلى هنا ينتهي الخبر في نهاية الأرب ١٥/ ٢٥١، ٢٥٢ وهو في ثمرات الأوراق ١٧٣، ١٧٤.
وفي: غرر أخبار ملوك الفرس وسِيَرهم، إحصاء للهدايا التي بعثها ملك الصين إلى الإسكندر، وهي: «ألف حريرة، وألف فرند، وألف ديباجة، وألف من فضّة، ومن كل جلود السمّور والفنك والفاقم والسنجاب والخزّ ألف جلدة، وألف مثقال عنبراً، وألف نافجة مسكاً، وألف رطل عوداً، وألف طاس ذهباً وفضّة، ومائة سيف =

فلمّا فرغ من بـلاد المغرب والمشـرق وما بينهمـا، قصد بـلاد الشمال، وملك تلك البلاد، ودان له من بها من الأمم المختلفة، إلى أن اتّصـل بديـار يأجـوج ومأجـوج، وقد اختلفت الأقـوال فيهم، والصحيح أنّهم نـوع من التُـرك، لهم شـوكـة، وفيهم شـرّ، وهم كثيرون، وكانوا يفسدون فيما يجاورهم من الأرض، ويخربون مـا قدروا عليـه من البلاد، ويُؤْذُون من يقرب منهم. فلمّا رأى أهلُ تلك البلاد الإسكندَر، شكوا إليه من شرّهم، كما أخبر الله عنهم في قوله: ﴿**ثُمّ أَتْبَعَ سَبَباً حَتّى إذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ**[١] **وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَـوْماً لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً؛ قَالُوا يَا ذَا القَرْنَيْنِ إنّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ في الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَـدّاً؟ قَالَ مَـا مَكَّنّي فِيهِ رَبّي خَيْـرٌ فأَعِينُـونِي بِقُـوّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمـاً**﴾[٢] يقول: مـا مكّنّي فيـه ربّي خيـر من خـرجكم، ولكن أعينوني بالقوّة.

والقوّة: الفَعَلَة والصُّنّاع والآلة التي يُبنى بها.

فقال: ﴿**آتُوني زُبَرَ الحَدِيدِ**﴾[٢]، أي قطع الحديد، فأتوه بهـا، فحفر الأسـاس حتى بلغ المـاء، ثمّ جعل الحـديد والحـطب صفوفـاً بعضها فـوق بعض ﴿**حَتّى إذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّـدَفَيْنِ**﴾[٢]، وهما جبـلان، أشعـل النّـار في الحـطب فحمي الحـديـد، وأفـرغ عليـه القِطْرَ[٣]، وهو النحاس المُذَاب، فصار موضع الحطب وبين قطع الحديد، فبقي كأنّـه بُرْد محبَّر[٤] من حُمرة النحاس وسواد الحديد، وجعل أعلاه شُرَفاً من الحديد، فامتنعت يأجوج ومـأجوج من الخـروج إلى البلاد المجـاورة لهم. قـال الله تعـالى: ﴿**فَمَـا اسْـطَاعُـوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً**﴾[٥].

فلمّـا[٦] فرغ من أمـر السدّ، دخـل الظلمـات ممّا يلي القـطب الشمـاليّ، والشمس

= هندية محلاّة بالذهب والجوهر، ومائة سرج، ومائة لجام صينية مذهّبة، ومـائة درع سـابغة. والتـزم الضريبـة كل سنة». (ص ٤٣٩).

(١) في النسخة (ر) زيادة بعد كلمة «السَّدَّين» هي: «وهما جبلان متقابلان لا يُرتقى فيهما، وليس لهما مخرج إلاّ من الفرجة التي بينهما، فلما بلغ إلى تلك وقارب بين «السَّدَّين».

(٢) الكهف/٩٢ ـ ٩٦.

(٣) في الطبعة الأوربية «القسطر».

(٤) في النسخة (ب): «جمرمحمر».

(٥) الكهف/٩٧.

وانظر حول السدّ ما جاء في كتاب المسـالك والممـالك لابن خـرداذبه ١٦٤ ـ ١٦٨، وتـاريخ مختصـر الدول لابن العبري ٥٨ والخبر بطوله ليس في تاريخ الطبري؛ بل هو في عرائس المجالس ٢٨٨.

(٦) من هنا يعود الخبر إلى الطبري ٥٧٨/١ وهو في عرائس المجالس ٢٩١.

جنوبيّة، فلهذا كانت ظُلمة، وإلّا فليس في الأرض موضع إلّا تطلع الشمس عليه أبداً. فلمّا دخل الظُلُمات أخذ معه أربعمائة من أصحابه يطلب عين الخُلد، فسار فيها ثمانية عشر يوماً، ثمّ خرج ولم يظفر بها، وكان الخضر على مقدّمته، فظفر بها، وسبح فيها، وشرب منها، والله أعلم.

ورجع إلى العراق فمات في طريقه بشَهْرَزُور[1] بعلّة الخوانيق، وكان عمره ستّاً وثلاثين سنة في قول، ودُفن في تابوت من ذهب مرصّع بالجوهر، وطُلي بالصبر لئلّا يتغيّر، وحُمل إلى أمّه بالإسكندريّة[2].

وكان مُلْكه أربع عشرة سنة، وقُتل دارا في السنة الثالثة من ملكه.

وبنى اثنتي عشرة مدينة، منها: أصبهان، وهي التي يقال لها جَيّ، ومدينة هَرَاة، ومَرْو، وسمرْقَنْد، وبنى بالسواد مدينة لروشنك ابنة دارا، وبأرض اليونان مدينة، وبمصر الإسكندريّة.

فلمّا مات الإسكندر أطاف به مَنْ معه من الحكماء اليونانيّين والفُرس والهند وغيرهم، فكان يجمعهم ويستريح إلى كلامهم، فوقفوا عليه، فقال كبيرهم: ليتكلّم كلّ واحد منكم بكلام يكون للخاصّة معزيّاً، وللعامّة واعظاً[3]، ووضع يده على التابوت وقال: أصبح آسر الأسراء أسيراً.

وقال آخر: هذا الملك كان يخبيء[4] الذهب فقد صار الذهب يخبؤه[5].

وقال آخر: ما أزهد النّاس في هذا الجسد، وما أرغبهم في التابوت.

وقال آخر: من أعجب العجب أنّ القويّ قد غُلب، والضعفاء لاهون مُغْتَرُّون.

وقال آخر: هذا الذي جعل أجله ضماناً[6] وجعل أمله عياناً، هلّا باعدتَ من أجلك لتبلغ بعضَ أملك، بل هلّا حقّقت[7] من أملك بالامتناع من فوت[8] أجلك.

---

(١) شَهْرَزُور: بالفتح ثم السكون، وراء مفتوحة، بعدها زاي، وواو ساكنة وراء، كورة واسعة في الجبال بيْن إربل وهمذان.. ومعنى شهر بالفارسية المدينة. (معجم البلدان ٣/٣٧٥).

(٢) عرائس المجالس ٢٩٢.

(٣) القول إلى هنا في تاريخ اليعقوبي ١/١٤٤، وهو كله في مروج الذهب ١/٢٨٩.

(٤) في طبعة صادر ١/٢٨٨ «يخبأ».

(٥) في طبعة صادر «يخبأه»، والمثبت عن مروج الذهب ١/٢٨٩.

(٦) في طبعة صادر «ضماراً»، والتصحيح من مروج الذهب.

(٧) في النسخة (ر): «خففت»، والمثبت يتفق مع المسعودي ١/٢٩٠.

(٨) في النسخة (ر) «وقت»، وفي طبعة أوربا وصادر «وفور» وما أثبتناه عن المسعودي.

وقال آخر: أيّها الساعي المنتصب، جمعتَ ما خذلك عند الاحتياج إليه، فغودِرَتْ عليك أوزارُه، وقارفت آثامه[1]، فجمعتَ لغيرك وإثمه عليك.

وقال آخر: قد كنتَ لنا واعظاً، فما وعظتنا موعظة أبلغ من وفاتك، فمن كان له عقل[2] فليعقلْ، ومن كان معتبراً فليعتبر.

وقال آخر: رُبّ هائب لك يخافك من ورائك، وهو اليوم بحضرتك ولا يخافك.

وقال آخر: رُبّ حريصٍ على سكوتك، إذ لا تسكت، وهو اليوم حريص على كلامك إذ لا تتكلّم.

وقال آخر: كم أماتت هذه النفس لئلّا تموت، وقد ماتت.

وقال آخر، وكان صاحب كُتُب الحكمة: قد كنتَ تأمرني أن لا أبعد عنك، فاليوم لا أقدر على الدّنو منك.

وقال آخر: هذا يوم عظيم، أقبل من شرّه ما كان مُدْبِراً، وأدبر من خيره ما كان مقبلاً، فمن كان باكياً على مَنْ زال ملكه فليبكِ[3].

وقال آخر: يا عظيم السلطان، اضمحلّ سلطانك، كما اضمحلّ ظلّ السحاب، وعفتْ آثار مملكتك، كما عفت آثار الذُباب.

وقال آخر: يا مَنْ ضاقت عليه الأرض طولاً وعرضاً، ليت شِعْري كيف حالك بما احتوى عليك منها!.

وقال آخر: اعجبوا ممّن كان هذا سبيله، كيف شهر نفسه بجمع الأموال الحطام البائد[4] والهشيم النافد[5].

وقال آخر: أيُّها الجمع الحافل، والملقى الفاضل، لا ترغبوا فيما لا يدوم سروره، وتنقطع لذتّه، فقد بان لكم الصلاح والرشاد من الغيّ والفساد.

وقال آخر: [انظروا إلى حلم النائم كيف انقضى، وظلّ الغمام كيف انجلى][6].

وقال آخر: يا من كان غضبُه[7] الموتَ هلّا غضبتَ على الموت!.

---

(١) في مروج الذهب: «فارقتك أيامه».

(٢) في الطبعة الأوربية، وصادر ١/٢٨٨ «معقول»، وما أثبتناه عن المسعودي.

(٣) هذا القول في تاريخ اليعقوبي ١/١٤٤ وفيه زيادة.

(٤) في النسخة (ر) «النابذ».

(٥) العبارة في مروج الذهب ١/٢٩٠ «كيف شرهت نفسه بجمع الحطام البائد والهشيم الهامد»، وهي أصحّ.

(٦) ما بين الحاصرتين من النسخة (ر)، ومن مروج الذهب ١/٢٩٠.

(٧) في الطبعة الأوربية «غصبه»، والتصويب من مروج الذهب.

وقال آخر: قد رأيتم هذا الملك الماضي، فليتّعظ به هذا الملك الباقي.

وقال آخر: إنّ الذي كانت الآذان تُنصت له قد سكت، فليتكلّم الآن كلّ ساكت.

وقال آخر: سيلحق بك مَنْ سرّه موتك، كما لحقتَ بمن سرّك موته.

وقال آخر: مالك [لا] تُقِلّ عضواً من أعضائك، وقد كنت تستقلّ بملك الأرض! بل ما لك لا ترغب عن ضِيق المكان الذي أنت فيه، وقد كنتَ ترغب عن رُحْب البلاد!.

وقال آخر[1]: إنّ دنيا يكون هذا في آخرها، فالزُّهد أولى أن يكون في أوّلها.

وقال صاحب مائدته: قد فُرِشَتْ النمارق، ونُضِدَتْ النضائد[2]، ولا أرى عميد القوم.

وقال صاحب بيت مَاله: قد كنتَ تأمرني بالادّخار، فإلى من أدفع ذخائرك[3]؟.

وقال آخر: هذه الدنيا الطويلة العريضة قد طُويتَ منها في سبعة أشبار، ولو كنتَ بذلك مُوقناً، لم تحمل على نفسك في الطلب[4].

وقالت زوجته روشنك: ما كنتُ أحسب أنّ غالِب دارا يُغلب[5]، فإنّ الكلام الذي سمعتُ منكم فيه شماتة، فقد خلف الكأسَ الذي شرب به ليشربه الجماعة.

وقالت أمّه حين بلغها موته[6]: لئن فقدتُ من ابني أمرَه، لم يُفْقَد من قلبي ذكره.

فهذا كلام الحكماء فيه مواعظ وحِكَم حسنة، فلهذا أثبتُّها.

ومن حِيَل الإسكندر في حروبه، أنّه لما حارب دارا، خرج إلى بين الصفّين، وأمر منادياً فنادى: يا معشر الفرس قد علمتم ما كتبتم إلينا، وما كتبنا إليكم من الأمان، فمن كان منكم على الوفاء فليعتزل، فإنّه يرى منّا الوفاء. فاتّهمت الفرسُ بعضها بعضاً واضطربوا.

ومن حِيَله، أنّه تلقّاه ملك الهند بالفِيَلَة، فنفرت خيلُ أصحابه عنها، فعاد عنه، وأمر باتخاذ فِيَلَة من نحاس[7]، وألبسها السلاح، وجعلها مع الخيل حتى أَلِفَتْها، ثمّ عاد إلى

---

(١) من نُسّاك الهند وحكمائها، كما في مروج الذهب ١/ ٢٩١.

(٢) في المروج بعدها «وهُيِّئت الموائد».

(٣) في مروج الذهب بعد هذا القول قول لخازن من خزائنه: هذه مفاتيح خزائنك، فمن يقبضها قبل أن أوخذ بما لم آخذ منها»؟.

(٤) أنظر أقوالاً أخرى في تاريخ اليعقوبي ١/ ١٤٤، ١٤٥، والقول في مروج الذهب ١/ ٢٩١.

(٥) لطف التدبير، للإسكافي ١٨٨.

(٦) أنظر قولاً آخر لها في تاريخ اليعقوبي ١/ ١٤٥، والقول في مروج الذهب ١/ ٢٩١.

(٧) في غرر أخبار ملوك الفرس ٤١٦ (طبعة باريس ١٩٠٠): «فتقدّم بصنعة تماثيل مجوّفة من النحاس والحديد=

الهند، فخرج إليهم ملك الهند، فأمر الإسكندر بتلك الفِيَلَة فمُلِئَت بطونها من النِّفْط والكبريت، وجُرّتْ على العجل إلى وسط المعركة، ومعها جمعٌ من أصحابه، فلمّا نشبت الحربُ أمر بإشعال النّار في تلك الفِيَلة، فلمّا حميت انكشف أصحابه عنها، وغشِيَتْها فِيَلَةُ الهند، فضربتها بخراطيمها، فاحترقت وولّت هاربةً راجعةً على الهند، فانهزموا بين يديها[1].

ومن حِيَله، أنّه نزل على مدينة حصينة، وكان بها كثير من الأقوات، وبها عيون ماء، فعاد عنها، فأرسل إليها قوماً على هيئة التجّار، ومعهم أمتعة يبيعونها، وأمرهم بمُشْتَرَى الطعام والمُغَالاة في ثمنها، فإذا صار عندهم أحرقوه وهربوا، ففعلوا ذلك وهربوا إليه، فأنفذ السرايا إلى سواد تلك المدينة، وأمرهم بالغارة مرّة بعد أخرى، فهربوا ودخلوا البلد ليحتموا به، فسار الإسكندر إليهم، فلم يمتنعوا عليه[2].

وكتب إلى أرسطاطاليس[3] يذكر له، أنّ من خاصّة الروم جماعة لهم هِمَم بعيدة، ونفوس كبيرة وشجاعة، وأنّه يخافهم على نفسه، ويكره قتلهم بالظِّنّة. فكتب إليه أرسطاطاليس: فهمتُ كتابك، فإنّ ما ذكرتَ من بُعْد هِمَمهم، فإنّ الوفاء من بُعد الهمّة وكبر النفس، والغدر من دناءة النفس وخسّتها، وأمّا شجاعتهم ونقْص عقولهم، فمَنْ كانت هذه حاله فرفِّهْهُ في معيشته، واخصُصْه بحِسان النساء، فإنّ رفاهية العيش تُميت الشجاعة، وتحبّب السلامة، وإيّاك والقتل، فإنّه زَلّة لا تُستقال، وذنب لا يُغْفر، وعاقبْ بدون القتل تكنْ قادراً على العفو، فما أحسن العفو من القادر، وليحسن خُلُقُك، تُخلص لك النيّات بالمحبّة، ولا تؤثِر نفسَك على أصحابك، فليس مع الاستئثار محبّة، ولا مع المؤآساة بُغْضة[4].

وكتب إلى أرسطاطاليس أيضاً لما ملك بلاد فارس، يذكر له أنّه رأى بإيران شهر[5]، رجالاً ذوي رأي، وصرامة، وشجاعة، وجمال، وأنساب رفيعة، وأنّه إنّما ملكهم بالحظّ

= تحكي صُوَر الرجال».

(١) أنظر تاريخ المنبجي ١/١١٢ و ١١٥، لطف التدبير ١٧ و٢١٢.

(٢) لطف التدبير ١٨.

(٣) أرسطاطاليس، أو «أرسطو»، الفيلسوف اليوناني الكبير، ولد عام ٣٨٤ ق. م. وتوفي عام ٣٢٢ ق. م. تَتَلمذ عليه الفيلسوف اليوناني أفلاطون في أثينا، كما تتلمذ عليه الإسكندر الأكبر، ثم انصرف إلى التعليم والتأليف في شتى فنون المعرفة وسمّى تلاميذه بالرواقيين أو المشّائين. (القاموس الإسلامي ١/٦٦).

(٤) الوزراء والكُتّاب ٩، لطف التدبير للإسكافي ٤، ٥، التذكرة الحمدونية ٢/٤٢٩ رقم ١١٢٥.

(٥) إيران شهر: هي بلادُ العراق وفارس والجبال وخراسان يجمعها كلها هذا الاسم.

والإنفاق، وأنّه لا يأمن، إنْ سافر عنهم فأفرغهم، وَثُوبهم، وأنّه لا يُكفى شرَّهم إلاّ ببوارهم[1].

فكتب إليه: قد فهمتُ كتابك في رجال فارس، فأمّا قتْلهم فهو من الفساد والبغي الذي لا يؤمَن عاقبته، ولو قتلتهم لأنبت أهلُ البلد أمثالهم، وصار جميع أهل البلد أعداءك بالطبع، وأعداء عقبك، لأنّك تكون قد وترتَهم في غير حرب، وأمّا إخراجك إيّاهم من عسكرك، فمخاطرة بنفسك وأصحابك، ولكنّي أشير عليك برأيٍ هو أبلغ من القتل، وهو أن تستدعي منهم أولادَ الملوك، ومَن يصلح للملك، فتقلّدهم البلدان، وتجعل كلّ واحد منهم ملكاً برأسه، فتتفرّق كلمتهم، ويقع بأسهم بينهم، ويجتمعون على الطاعة والمحبّة لك، ويرون أنفسهم صنيعتك[2]. ففعل الإسكندر ذلك، فهُم ملوك الطوائف.

وقيل في ملوك الطوائف غير هذا السبب، ونحن نذكره إن شاء الله.

---

(١) أنظر هذه الأقوال في كتاب: غُرر أخبار ملوك الفرس وسِيَرهم، للثعالبي ٤١٦ ـ ٤١٨، ونهاية الأرب للنويري ١٥/٢٣٨ ـ ٢٤١، وانظر تاريخ سنيّ ملوك الأرض ـ ص ٣٩، ٤٠، وتاريخ المنبجي ١/١٢١، ولطف التدبير ١٦.

(٢) أنظر رسالة أرسطاطاليس في: سرح العيون لابن زيدون ٦٧، ٦٨، والتذكرة الحمدونية ٢/٣٩٨ رقم ١٠٤٤.

ذكر من ملك من قومه بعد الاسكندر(١)

لما مات الإسكندر عُرض المُلك على ابنه الإسكندروس(٢)، فأبَى واختار العبادة، فملّكت اليونان فيما قيل بطلميوس(٣) بن لاغوس(٤)، وكان مُلكه ثمانياً وثلاثين سنة(٥).

ثمّ ملك بعده بطلميوس فليوذفوس(٦)، وكان ملكه أربعين سنة(٧).

ثمّ ملك بعده بطلميوس أوراغاطس(٨) أربعاً وعشرين سنة(٩).

ثمّ ملك بعده بطلميوس فيلافطر(١٠) إحدى وعشرين سنة(١١).

ثمّ ملك بعده بطلميوس افيفانس(١٢) اثنتين وعشرين سنة(١٣).

---

(١) تاريخ الطبري ١/٥٧٨، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٥٨، تاريخ اليعقوبي ١/١٤٥، تاريخ المنبجي ١/٤٢، مروج الذهب ١/٣٠١، تاريخ مختصر الدول ٦٠، نهاية الأرب ١٥/٢٥٣، تاريخ ابن خلدون ٢/١٨٩، تاريخ المنبجي ٥٠.

(٢) في النسخة (ب) «الإسكندر»، وفي الطبعتين الأوربية وصادر ١/٢٩٢ «الإسكندرون»، وما أثبتناه عن النسخة (ت) وعن الطبري ١/٥٧٨.

(٣) ويقال «بطليموس» كما في النسخة (ر): وفي غيرها.

(٤) أي ابن الأرنب. (أنظر تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٥٨، وتاريخ مختصر الدول ٥٨، وتاريخ المنبجي ١/٥٠ وفيه المنطقي).

(٥) الطبري ١/٥٧٨، وقيل إنه ملك أربعين عاماً، وقيل عشرين. (أنظر تاريخ اليعقوبي ١/١٤٥، وتاريخ سنيّ ملوك الأرض ٥٨، ومروج الذهب ١/٣٠١، وتاريخ مختصر الدول ٥٨).

(٦) في تاريخ الطبري ١/٥٧٨ «دينايوس»، وفي تاريخ اليعقوبي «فيلفوس» وفي تاريخ مختصر الدول «فيلاذ لفوس»، وهو محبّ أخيه.

(٧) هكذا في الطبري. وفي المصادر الأخرى (٣٨ سنة).

(٨) في تاريخ الطبري «أورغاطس»، وفي تاريخ ابن العبري «أورغاطيس». وهو «الصانع»، أي المحسن.

(٩) هكذا في الطبري. وفي تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٥٨، ومروج الذهب ١/٣٠٣، وتاريخ ابن العبري (٢٦ سنة)، وانظر: تاريخ المنبجي ٥١.

(١٠) أي محب أبيه. (ابن العبري، والمنبجي ١/٥١).

(١١) هكذا في الطبري. وفي تاريخ اليعقوبي، وتاريخ سنيّ ملوك الأرض، وتاريخ ابن العبري (١٧ سنة)، وفي المروج ١/٣٠٣ (١٩ سنة).

(١٢) أي المظهّر. ومعناه الشهير الشريف.

ثمّ ملك بعده بطلميوس أوراغاطس[1] تسعاً وعشرين سنة[2].

ثمّ ملك بعده بطلميوس ساطر سبع عشرة سنة[3].

ثمّ ملك بعده بطلميوس الاخشندر[4] إحدى عشرة سنة.

ثمّ ملك بعده بطلميوس الذي اختفى عن ملكه ثماني سنين.

ثمّ ملكت بعده قالوبطرى سبع عشرة سنة[5]، وكانت من الحكماء.

وهؤلاء كلّهم من اليونان، وكلّ مَنْ كان بعد الإسكندر كان يدعى بطلميوس، كما كانت تُدعى ملوك الفرس أكاسرة، وملوك الروم قياصرة.

وقد ذكر بعض العلماء أنّ بطلميوس صاحب «المجسطي» وغيره من الكتب، لم يكن من هؤلاء الملوك، وإنّما كان أيّام ملوك الروم، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ثمّ ملك الشام فيما بعد قالوبطرى ملوك الروم، فكان أوّل مَن ملك منهم جايوس يوليوس[6] خمس سنين[7].

ثمّ ملك بعده أغسطوس ستّاً وخمسين سنة[8]، فلمّا مضى من ملكه اثنتان وأربعون سنة وُلد عيسى بن مريم، عليه السلام.

وقيل: كان بين مولده وقيام الإسكندر ثلاثمائة وثلاث سنين[9].

---

(١٣) هكذا في الطبري. وفي تاريخ اليعقوبي، وتاريخ سنيّ ملوك الأرض، ومُروج الذهب وتاريخ المنبجي (٢٤ سنة). وفي تاريخ ابن العبري (٢١ سنة).

---

(١) يعرف بابن الهشيم.

(٢) الطبري، وابن العبري ٦١، وتاريخ سنيّ ملوك الأرض ٥٩، وعند المسعودي ١/٣٠٤ (٢٧ سنة).

(٣) الطبري ١/٥٧٨، تاريخ ابن العبري ٦١، وفي تاريخ المنبجي «اثنتي عشرة سنة».

(٤) في تاريخ الطبري ١/٥٧٩، وفي تاريخ ابن العبري ٦٢ «الاكسندروس»، وفي تاريخ المنبجي: «الإسكندراني».

(٥) هكذا في الطبري ١/٥٧٩ أما في مروج الذهب (٢٢ سنة) ١/٣٠٤ وكذلك في تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٥٩، وتاريخ ابن العبري ٦٣، وفي تاريخ المنبجي: (١٥ سنة) وفيه أن كليوباترا تعني: الصخرة الفاخرة.

(٦) في طبعة صادر ١/٢٩٢ «يولوس»، وما أثبتناه عن الطبري ١/٥٧٩، وتاريخ ابن العبري ٦٣، وتاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٠.

(٧) هكذا في الطبري. وفي تاريخ سنيّ ملوك الأرض (٧ سنين)، وفي تاريخ اليعقوبي (٢٢ سنة)، وفي مروج الذهب ١/٣٠٩ (١٨ سنة) وقيل (٧ سنين ونصف).

(٨) هكذا في الطبري، وتاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٠، وتاريخ ابن العبري ٦٣، ومروج الذهب ١/٣٠٩ أما في تاريخ اليعقوبي ١/١٤٦ فملك ٤٣ سنة.

(٩) في النسخة (ر): «ثلاثمائة سنة».

ذكر أخبار ملوك الفرس
بعد الاسكندر وهم ملوك الطوائف[1]

لما مات الإسكندر، مَلَك بلادَ الفرس بعده ملوكُ الطوائف، وقد تقدّم ذكر السبب في تمليكهم.

وقيل: كان السبب في ذلك أنّ الإسكندر لما مَلَك بلاد الفرس، ووصل إلى ما أراد، كتب إلى أرسطاطاليس الحكيم: إنّي قد وَتَرْتُ جميع مَنْ في بلاد المشرق، وقد خشيتُ أن يتّفقوا بعدي على قصد بلادنا وإيذاء قومنا، وقد هممتُ أن أقتل أولاد من قتلتُ من الملوك، وألحقهم بآبائهم، فما ترى؟.

فكتب إليه: إنّك إن قتلتَ أبناء الملوك أفضى الملك إلى السفل والأنذال، والسّفل إذا ملكوا قدروا، وإذا قدروا طغوا وبغوا وظلموا، وما يخشى من معرّتهم[2] أكثر، والرأي أن تجمع أبناء الملوك فتملّك كلّ واحد منهم بلداً واحداً، وكورة واحدة، فإنّ كلّ واحد منهم يقوم في وجه الآخر، يمنعه عن بلوغ غرضه، خوفاً على ما بيده، فتتولّد العداوة بينهم، فيشتغل بعضهم ببعض، فلا يتفرّغون إلى مَنْ بَعُد عنهم.

فعندها قسّم الإسكندر بلاد المشرق على ملوك الطوائف، ونقل عن بلدانهم النجوم والحكمة[3]، وكان من حالهم بعد الإسكندر ما ذكره أرسطاطاليس، واشتغلوا عن قصد اليونان.

وكان أرسطاطاليس من أفضل الحكماء وأعلمهم، وكان الإسكندر يصدر عن رأيه، وأخذ الحكمة عن أفلاطون تلميذ سقراط، وسقراط تلميذ أوسيلاوس في الطبيعيات[4] دون غيرها، ومعناه رأس السباع، وكان أوسيلاوس تلميذ انكساغورس، إلّا أنّ أرسطاطاليس

---

(١) تاريخ الطبري ١/٥٨٠.

(٢) في النسخة (ب): «مضرّتهم».

(٣) إلى هنا ينتهي نقل المؤلّف من كتاب تاريخ سنيّ ملوك الأرض للأصفهاني ٣٩، ٤٠، وانظر كتاب: غرر أخبار ملوك الفرس وسِيَرهم للثعالبي ٤١٨، ونهاية الأرب للنويري ١٥/٢٤١، والبدء والتاريخ للمقدسي ٣/١٥٣، وسرح العيون ٦٧، ٦٨، والتذكرة الحمدونية ٢/٣٩٨.

(٤) في الطبعة الأوربية «الطبيعات».

خالف أستاذه في عدّة مسائل، فلمّا قيل له في ذلك قال: أفلاطون صديق، والحقّ صديق، إلّا أنّ الحقّ أولى بالصداقة منه.

وقد اختلف العلماء في الملك الذي كان بسواد العراق بعد الإسكندر، وعدد ملوك الطوائف الذين ملكوا إقليم بابل.

فقال هشام بن الكلبيّ وغيره: مَلَك بعد الإسكندر بلاقس سلبقس[1].

ثمّ انطيخس[2]، وهو الذي بنى مدينة أنطاكية[3].

وكان في أيدي هؤلاء الملوك سواد الكوفة أربعاً وخمسين سنة، وكانوا يتطرّقون الجبال وناحية الأهواز وفارس.

ذِكْر ملك أشك بن أشكان

ثمّ خرج رجل يقال له أشك، وهو من ولد دارا الأكبر، وكان مولده ومنشؤه[4] بالريّ، فجمع جمْعاً كبيراً وسار يريد أنطيخس، وزحف إليه أنطيخس والتقيا ببلاد الموصل، فقُتل أنطيخس، وملك أشك السواد، وصار بيده من الموصل إلى الرّيّ وأصبهان، وعظّمته سائر ملوك الطوائف لنسبه[5] وشرفه وفعله، وبدأوا به كُتُبَهم، وسمّوه ملكاً من غير أن يعزل أحداً منهم[6].

ثمّ ملك بعده ابنه سابور بن أشك[7].

ذِكْر ملك جودرز[8]

ثمّ مَلَك بعد سابور جودرز بن أشكان، وهو الذي غزا بني إسرائيل في المرّة الثانية.

---

(١) في النسخة (ر) «سبلقيس»، وفي النسخة (ت): «بلاقش بن سبلقش». وفي تاريخ الطبري ١/ ٥٨٠ «يلاقس سلقيس». وفي تاريخ المنبجي ١/١٢٢ «سليقوس».

(٢) في تاريخ الطبري ١/ ٥٨٠ «انطيحس» بالحاء المهملة.

(٣) تاريخ سنيّ ملوك الأرض والأنبياء ٦٤، تاريخ المنبجي ١/١٢٢.

(٤) في طبعة صادر ١/٢٩٤ «منشأه».

(٥) في النسخة (ب) «لهيبته»، وفي طبعة صادر «لسنّه»، وما أثبتناه عن الطبري ١/ ٥٨٠.

(٦) أنظر عنه في البدء والتاريخ ٣/١٥٥.

(٧) ستأتي أخباره بعد قليل.

(٨) تاريخ الطبري ١/ ٥٨٠، البدء والتاريخ ٣/١٥٥، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٤١، مروج الذهب ١/٢٣٦، نهاية الأرب ١٥/١٦٥، تاريخ ابن خلدون ٢/١٦٨.

وسبب تسليط الله إيّاه عليهم، قتْلهم يحيى بن زكريّاء، فأكثر القتْلَ فيهم، فلم يعد لهم جماعة كجماعتهم الأولى، ورفع الله منهم النُّبوَّة، ونزل[1] بهم الذّلّ.

وقيل: إنّ الذي غزا بني إسرائيل طيطوس بن اسفيانوس ملك الروم، فقتلهم وسباهم، وخرّب بيت المقدس[2]، وقد كانت الروم غزت بلاد فارس يطلبون ثأر أنطيخس، ومَلَك بابل حينئذٍ «بلاش أبو أردوان» الذي قتله «أردشير بن بابك»، فكتب بلاش إلى ملوك الطوائف يُعلِمهم ما أجمعت عليه الروم من غزو بلادهم، وما حشدوا وجمعوا، وأنّه إن عجز منهم ظفروا بهم جميعاً.

فوجّه كلُّ ملك من ملوك الطوائف إلى بلاش من الرجال والسلاح والمال بقدر قوّته، فاجتمع عنده أربعمائة ألف رجل، فولّى عليهم صاحب الحَضْر، وكان له ما بين السواد والجزيرة، فلقي الروم، وقتل ملكهم، واستباح عسكرهم، وذلك الذي هيّج الروم على بناء القسطنطينيّة ونقْل الملك من رومية إليها، وكان الذي أنشأها قسطنطين الملك، وهو أوّل مَن تنصّر من ملوك الرّوم وأجلى مَن بقي من بني إسرائيل عن فلسطين والشام، لقتْلهم عيسى بزعمهم، وأخذ الخشبة التي يزعمون أنّهم صلبوا المسيح عليها، فعظّمها الروم وأدخلوها خزائنهم، وهي عندهم إلى اليوم.

ولم يزل مُلك فارس متفرّقاً، حتى ملك أردشير بن بابك. ولم يبيّن هشام مدّة ملكهم[3].

وقال غيره من أهل العلم بأخبار فارس: مَلَك بلادهم بعد الإسكندر ملوكٌ من غير الفرس، كانوا يطيعون كلّ من مَلَك بلاد الجبل، وهم الأشغانيّون الذين يُدعون ملوك الطوائف، وكان مُلكهم مائتَيْ سنة.

وقيل: كان مُلكهم ثلاثمائة وأربعين سنة، مَلَك من هذه السنين أشك بن أشكان عشرين سنة[4].

ثمّ ابنه سابور ستّين سنة[5]، وفي إحدى وأربعين سنة من مُلكه ظهر المسيح

---

(١) في النسخة (ر): «وأنزل».
(٢) مروج الذهب ١/٢٣٦.
(٣) الطبري ١/٥٨١.
(٤) في النسختين (ت) و(ر): «عشر سنين»، وهو يتفق مع الطبري ١/٥٨١، والمقدسي في البدء والتاريخ ٣/١٥٥، والمثبت يتفق مع المسعودي في مروج الذهب ١/٢٣٥.
(٥) الطبري ١/٥٨١، البدء والتاريخ ٣/١٥٥، مروج الذهب ١/٢٣٥.

عيسى بن مريم، عليه السلام، وإنّ «تيطوس بن اسفيانوس»[1] ملك رومية غزا بيت المقدس، بعد ارتفاع المسيح بنحوٍ من أربعين سنة، فَمَلَك المدينة، وقتل وسبَى وأخرب المدينة.

ثمّ مَلَك جودرز بن أشغانان الأكبر عشر سنين.

ثمّ مَلَك بيرن[2] الأشغاني إحدى وعشرين سنة.

ثمّ ملك جودرز الأشغاني تسع عشرة[3] سنة.

ثمّ مَلَك نَرْسي الأشغانيّ أربعين سنة.

ثمّ مَلَك هرمز الأشغانيّ سبع عشرة سنة.

ثمّ ملك أردوان الأشغانيّ اثنتي عشرة[4] سنة.

ثمّ مَلَك كسرى الأشغانيّ أربعين سنة[5].

ثمّ ملك بلاش[6] الأشغانيّ أربعاً وعشرين سنة.

ثمّ مَلَك أردوان الأصغر ثلاث عشرة سنة.

ثمّ ملك أردشير بن بابك[7].

وقال بعضهم: مَلَك بلادَ الفرس بعد الإسكندر ملوك الطوائف الذين فرّق الإسكندر المملكة بينهم، وتفرّد بكلّ ناحية مَنْ ملك عليها، من حين ملّكه عليها، ما خلا السواد، فإنّه كان أربعاً وخمسين سنة بعد هلاك الإسكندر في يد الروم.

---

(١) في تاريخ الطبري «أسفسيانوس»، وفي البدء والتاريخ «ططوس بن اسفيانوس»، وفي مروج الذهب ١/٢٣٦ «تطوس بن أسفانيوس».

(٢) في النسخة (ر): «تيري»، وفي الطبري ١/٥٨٢ «بيزن» وكذا في البدء والتاريخ ٣/١٥٥ وفي مروج الذهب ١/٢٣٦ «نيزر».

(٣) في الأصل والمطبوع ١/٢٩٦ «تسعاً وثمانين سنة»، وما أثبتناه عن الطبري ١/٥٨٢، والمسعودي ١/٢٣٦، والمقدسي ٣/١٥٦.

(٤) في الأصل والمطبوع «اثنتين وعشرين»، وفي مروج الذهب «خمس عشرة سنة». وما أثبتناه عن الطبري، والمقدسي.

(٥) هكذا عند الطبري، والمسعودي. وعند المقدسي ١/١٥٦ «أربعاً وأربعين سنة».

(٦) هكذا عند الطبري، والأصفهاني في تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٤١، وفي البدء والتاريخ ٣/١٥٦ ومروج الذهب ١/٢٣٦ «بلاس» بالسين المهملة.

(٧) الطبري ١/٥٨١، ٥٨٢، مروج الذهب ١/٢٣٥، ٢٣٦، البدء والتاريخ ٣/١٥٥، ١٥٦، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٤٠، ٤١، نهاية الأرب ١٥/١٦٥، ١٦٦، تاريخ اليعقوبي ١/١٥٩، تاريخ ابن خلدون ٢/١٦٨.

وكان في ملوك الطوائف رجل من نسل الملوك قد مَلَك الجبال وأصبهان، ثمّ غلب ولده بعد ذلك على السواد، وكانوا ملوكاً عليها، وعلى الماهات والجبال، وأصبهان كالرئيس على سائر ملوك الطوائف، لأنّ العادة جرت بتقديمه وتقديم ولده، ولذلك قُصِد لذكرهم في كتب سِيَر الملوك، فاقتصرنا على ذكرهم دون غيرهم، فكانت مدّة ملوك الطوائف مائتي سنة وستّين سنة[1].

وقيل: ثلاثمائة وأربعاً وأربعين سنة.

وقيل: خمسمائة وثلاثاً وعشرين سنة، والله أعلم.

فمن الملوك الذين مَلَكوا الجبال، ثمّ تهيّأت بعد أولادهم الغَلَبة على السواد: أشك بن حره[2]، وهو من ولد إسفنديار بن بشتاسب في قول، وبعض الفرس زعم أنّ أشك بن دارا.

وقال بعضهم: أشك بن أشكان الكبير، هو من ولد كيكاووس[3]، وكان مُلكه عشرين سنة.

ثمّ مَلَك بعد أشك ابنه إحدى وعشرين سنة.

ثمّ مَلَك ابنه سابور ثلاثين سنة.

ثمّ مَلَك ابنه جودرز عشر سنين.

ثمّ مَلَك ابنه بيرن[4] إحدى وعشرين سنة.

ثمّ ملك ابنه جودرز الأصغر تسع عشرة سنة.

ثمّ ابنه نَرْسي[5] أربعين سنة.

ثمّ هرمز بن بلاش بن أشكان سبع عشرة سنة.

ثمّ أردوان الأكبر بن أشكان اثنتي عشرة سنة.

---

(١) في الطبري ١/٥٨٢، «مائتين وستاً وستين سنة».
وما هنا يتفق مع ابن خلدون ٢/١٦٨، وفي البدء والتاريخ مائتين وسبعين سنة. (١٥٦/٣).
(٢) في المطبوع «جزه»، وما أثبتناه عن النسخ (ب) و(ت) و(ر)، والطبري ١/٥٨٣.
(٣) في النسختين (ب) و(ت) «كيقباد». وفي الطبري «كيبيه بن كيقباذ».
(٤) في الأصل، والنسخة (ر) «تيري»، والمثبت يتفق مع الطبري.
(٥) في الطبري «نرسه».

ثمّ كسرى بن أشكان أربعين سنة[1].

ثمّ أردوان الأصغر بن بلاش ثلاث عشرة سنة، وكان أعظم ملوك الأشكانيّة، وأظهرهم وأعزّهم قهراً للملوك.

ثمّ مَلَك أردشير بن بابك، وجمع مملكة الفرس، على ما نذكره إن شاء الله.

وقد عدّ بعضهم في أسماء الملوك غيرَ ما ذكرنا، لا حاجة إلى الإطالة بذكره، وقد ذكرنا بعض ما قيل عند مُلْك أردشير بن بابك.

---

(١) في الطبري بعد ذلك: «ثم بها فريد الأشكاني، تسع سنين. ثم بلاش الأشكاني، أربعاً وعشرين سنة».

ذكر الأحداث أيام ملوك الطوائف فمن ذلك ذكر المسيح عسيى بن مريم ويحيى بن زكرياء عليهم السلام[1]

إنّما جمعنا هذين الأمرين العظيمين في هذه الترجمة لتعلُّق أحدهما بالآخر، فنقول: كان عِمران بن ماثان من ولد سليمان بن داود، وكان آل ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم، وكان متزوّجاً بحنّة بنت فاقود[2]، وكان زكريّاء بن برخيا متزوّجاً بأختها إيشاع[3].

وقيل: كانت إيشاع أخت مريم بنت عِمران، وكانت حنّة قد كبرت وعجزت، ولم تلد ولداً، فبينما هي في ظلّ شجرة، أبصرت طائراً يزقّ فرخاً له، فاشتهت الولد، فدعت الله أن يهبَ لها ولداً، ونذرت إن يرزقْها ولداً، أن تجعله من سَدَنَة بيت المقدس وخَدَمه، فحرّرت ما في بطنها، ولم تعلم ما هو، وكان النذر المحرّر عندهم أن يُجعل للكنيسة، يقوم بخدمتها، ولا يبرح منها حتى يبلغ الحُلُم، فإذا بلغ خُيِّر، فإن أحبّ أن يقيم فيها أقام، وإن أحبّ أن يذهب ذهب حيث شاء. ولم يكن يحرّر إلّا الغلمان، لأنّ الإناث لا يصلحن لذلك، لِما يصيبهنّ من الحَيض والأذى[4].

ثمّ هلك عِمران وحنّة حامل بمريم، فلمّا وضعتها إذا [هي] أنثى[5]، فقالت عند ذلك: ﴿رَبِّ إنّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ، وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَىٰ﴾[6] في

---

(١) تاريخ الطبري ١/٥٨٥، تاريخ اليعقوبي ١/٦٨، عرائس المجالس ٢٩٣، مروج الذهب ١/٦٢، البدء والتاريخ ٣/١١٦، المستدرك على الصحيحين ٢/٥٩٠، المعارف لابن قتيبة ٥٢، تاريخ ابن وثيمة ٢٩٨، زاد المسير ١/٣٧٨ و ٥/٢٠٦، مرآة الزمان ١/٥٦٦، الدر المنثور ٢/٢٠ و ٤/٢٥٨ و ٣٣٤، تهذيب تاريخ دمشق ٥/٣٨١، تاريخ ابن العبري ٦٥، نهاية الأرب ١٤/١٩٥، البداية والنهاية ٢/٤٧، تاريخ ابن خلدون ٢/١٤٣، تفسير ابن كثير ٢/٣٤ و ٤/٤٣٧.

(٢) في المطبوع «فاقور» بالراء، وهو تحريف. وما أثبتناه عن نسختي (ب) و(ت)، والطبري ١/٥٨٥، ومرآة الزمان ١/٥٦٦ وغيرهما.

(٣) هكذا في الأصل والمطبوع. وفي تاريخ الطبري، ومرآة الزمان وغيرهما «أشباع». وهي أم يحيى.

(٤) الخبر في عرائس المجالس ٢٩٣.

(٥) في الطبعة الأوربية «إذ أنثى».

(٦) آل عمران/٣٦.

خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها، ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾[1]، وهي بلُغتهم العبادة[2].

ثمّ لفّتها في خرقة، وحملتها إلى المسجد، ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون، وهم يلون من بيت المقدس ما يلي بنو شَيبة من الكعبة. فقالت: دونكم هذه المنذورة. فتنافسوا فيها لأنّها بنت إمامهم وصاحب قربانهم. فقال زكريّاء: أنا أحقّ بها لأنّ خالتها عندي. فقالوا: لكنّا نقترع عليها. فألقوا أقلامهم في نهر جارٍ، قيل هو نهر الأردنّ، فألقوا فيه أقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة، فارتفع قلمُ زكريّاء فوق الماء ورسبت أقلامُهم، فأخذها وكفلها، وضمّها إلى خالتها أمّ يَحيى، واسترضع لها حتى كبرت، فبنى لها غرفة في المسجد، لا يُرقى إليها إلّا بسُلّم، ولا يَصعد إليها غيره، وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، فيقول: أنّى لكِ هذا؟ فتقول: هو من عند الله. فلمّا رأى زكريّاء ذلك منها دعا الله تعالى، ورجا الولَد، حيث رأى فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، فقال: إنّ الذي فعل هذا بمريم قادر على أن يصلح زوجتي حتى تلد. فـ ﴿قَالَ: رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[3].

فبينما هو يصلّي في المذبح الذي لهم، إذا[4] هو برجل شابّ، وهو جبرائيل، ففزع زكريّاء منه، فقال له: ﴿إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ﴾[5]، يعني عيسى بن مريم، عليه السلام، ويحيَى أوّل مَن آمن بعيسى وصدّقه، وذلك أنّ أمّه كانت حاملاً به، فاستقبلت مريم وهي حامل بعيسى فقالت لها: يا مريم أحامل أنتِ؟ فقالت: لماذا تسأليني؟ قالت: إنّي أرى ما في بطني يسجد لِما في بطنك، فذلك تصديقه[6].

وقيل: صدّق المسيحَ، عليه السلام، وله ثلاث سنين، وسمّاه الله تعالى [يحيى] ولم يكن قبله مَن تسمّى هذا الاسم، قال الله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً﴾[7].

وقال تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً﴾[8].

قيل: أوحش ما يكون ابن آدم في هذه الأيام الثلاثة، فسلّمه الله تعالى من وحشتها، وإنّما وُلد يحيَى قبل المسيح بثلاث سنين، وقيل بستّة أشهر[9]، وكان لا يأتي

---

(١) آل عمران/ ٣٦.
(٢) في عرائس المجالس ٢٩٣ «العابدة».
(٣) آل عمران/٣٨. والخبر في عرائس المجالس ٢٩٤، والبدء والتاريخ ١١٩/٣.
(٤) في الطبعة الأوربية «فإذا».
(٥) آل عمران/٣٩.
(٦) عرائس المجالس ٢٩٥، ٢٩٦، الطبري ٥٩٩/١، البدء والتاريخ ١١٨/٣.
(٧) مريم/٧.
(٨) مريم/١٥.
(٩) عرائس المجالس ٢٩٦.

النساءَ ولا يلعب مع الصبيان.

﴿قَالَ: رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾[1]؟ وكان عمره اثنتين وتسعين سنة.

وقيل: مائة وعشرين سنة.

وكانت امرأته ابنة ثمان وتسعين سنة. فقيل له: ﴿كَذَلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[2]. وإنّما قال ذلك استخباراً، هل يُرْزق الولد من امرأته العاقر أم غيرها، لا إنكاراً لقدرة الله تعالى. ﴿قَالَ: رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً، قَالَ: آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً﴾[3]. قال: أمسك الله لسانه عقوبة لسؤاله الآية، والرمز الإشارة.

فلمّا وُلد رآه أبوه حَسَن الصورة، قليل الشعر، قصير الأصابع، مقرون الحاجبين، دقيق الصوت، قويّاً في طاعة الله مذ كان صبيّاً، قال الله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيّاً﴾[4].

قيل: إنّه قال له يوماً الصبيان أمثاله: يا يحيَى اذهبْ بنا نلعب. فقال لهم: ما للعب خُلقتُ. وكان يأكل العشب وأوراق الشجر.

وقيل: كان يأكل خبز الشعير، ومرّ به إبليس ومعه رغيف شعير فقال: أنتَ تزعم أنّك زاهد، وقد ادّخرتَ رغيفَ شعير؟ فقال يحيَى: يا ملعون هو القوت. فقال إبليس: إنّ الأقلّ من القوت يكفي لمن يموت. فأوحى الله إليه: اعقِل ما يقول لك.

ونبّيء صغيراً، فكان يدعو النّاسَ إلى عبادة الله، ولبس الشَّعْر، فلم يكن له دينار ولا درهم ولا مسكن يسكن إليه، أينما جنّه الليل أقام، ولم يكن له عبد ولا أمةَ، واجتهد في العبادة[5]، فنظر يوماً إلى بدنه وقد نحل، فبكى، فأوحى الله إليه: يا يحيَى أتبكي لما نحل من جسمك؟ وعزّتي وجلالي لو اطّلعتَ في النّار اطلاعةً، لتدرّعتَ الحديد عِوَضَ الشعر! فبكى حتى أكلت الدموع لحمَ خدّيْه، وبدت أضراسه للنّاظرين. فبلغ ذلك أمَّه، فدخلت عليه وأقبل زكريّاء ومعه الأحبار فقال: يا بُنيّ ما يدعوك إلى هذا؟ قال: أنت أمرتني بذلك حيث قلتَ: إنّ بين الجنّة والنّار عَقَبة، لا يجوزها إلّا الباكون من خشية

---

(١) آل عمران/٤٠.

(٢) آل عمران/٤٠.

(٣) آل عمران/٤١.

(٤) مريم/١٢.

(٥) وفي نسخة «الطاعة».

الله. فقال: فابكِ واجتهدْ إذن. فصنعتْ له أمّه قطعتَيْ لبِدٍ على خدّيْه، تواريان[1] أضراسه، فكان يبكي حتى يبلّهما[2]، وكان زكريّاء إذا أراد يعظ النّاس نظر، فإنْ كان يحيَى حاضراً لم يذكر جنّة ولا ناراً.

وبعث الله عيسى رسولاً نسخ بعضَ أحكام التوراة، فكان ممّا نسخ أنّه حرّم نكاح بنت الأخ، وكان لملكهم، واسمه هيرودس، بنت أخ تعجبه يريد أن يتزوّجها، فنهاه يحيَى عنها، وكان لها كلّ يوم حاجة يقضيها لها. فلمّا بلغ ذلك أمّها، قالت لها: إذا سألك الملك ما حاجتك، فقولي أن تذبح يحيَى بن زكريّاء. فلمّا دخلت عليه وسألها ما حاجتك، قالت: أريد أن تذبح يحيَى بن زكريّاء. فقال: اسألي غير هذا. قالت: ما أسألك غيره. فلمّا أبت دعا بيحيَى ودعا بطست فذبحه[3]، فلمّا رأت الرأس قالت: اليوم قَرّت عيني! فصعدت إلى سطح قصرها، فسقطت منه إلى الأرض، ولها كلاب ضارية تحته، فوثبت الكلابُ عليها فأكلتها وهي تنظر، وكان آخر ما أُكل منها عيناها لتعتبر. فلمّا قُتل بذرت[4] قطرة من دمه على الأرض، فلم تزل تغلي حتى بعث الله بخت نصّر عليهم، فجاءته امرأة فدلّته، على ذلك الدم، فألقى الله في قلبه أن يقتل منهم على ذلك الدم حتى يسكن، فقتل منهم سبعين ألفاً حتى سكن الدّم[5].

وقال السُّدِّيّ نحو هذا، غير أنّه قال: أراد الملك أن يتزوّج بنت امرأة له، فنهاه يحيَى عن ذلك، فطلبت المرأة من الملك قتل يحيَى، فأرسل إليه فقتله، وأحضر رأسه في طست وهو يقول له: لا تحلّ لك، فبقي دمه يغلي، فطُرح عليه تراب حتى بلغ سور المدينة، فلم يسكن الدّم[6]. فسلّط الله عليهم بخت نصّر في جمْعٍ عظيم، فحصرهم فلم يظفر بهم، فأراد الرجوع، فأتته امرأة من بني إسرائيل فقالت: بلغني أنّك تريد العَوْد! قال: نعم، قد طال المقام، وجاع النّاسُ، وقلّت الميرة بهم، وضاق عليهم. فقالت: إن فُتحت لك المدينة، أتقتل مَنْ آمرك بقتْله، وتكفّ إذا أمرتُك؟ قال: نعم. قالت: اقسمْ جندك أربعة أقسام على نواحي المدينة، ثمّ ارفعوا أيديكم إلى السّماء وقولوا: اللهمَّ إنّا نستفتحك على دم يحيَى بن زكريّاء، ففعلوا، فخرب سور المدينة، فدخلوها، فأمرتهم العجوز أن يقتلوا على دم يحيَى بن زكريّاء حتى يسكن، فلم يزل يقتل حتى قتل سبعين

---

(١) في الطبعة الأوربية «تواري».

(٢) في الطبعة الأوربية «يبلّها».

(٣) إلى هنا ينتهي الخبر في عرائس المجالس ٢٩٩ والطبري ٥٨٧/١.

(٤) في النسخة (ب): «تبدّدت».

(٥) عرائس المجالس ٢٩٩، الطبري ٥٨٨/١، البدء والتاريخ ١١٨/٣.

(٦) إلى هنا ينتهي الخبر في عرائس المجالس، وهو بطوله في تاريخ الطبري.

ألفاً وسكن الدم، فأمرته بالكفّ، وكفّ[1].

وخرّب بيت المقدس، وأمر أن تُلقى فيه الجيف، وعادَ ومعه دانيال وغيره من وجوه بني إسرائيل، منهم عزريا وميشائيل ورأس الجالوت. فكان دانيال أكرم النّاس عليه، فحسدهم المجوس وسعوا بهم إلى بخت نصّر، وذكر نحو ما تقدّم من إلقائهم إلى السبُع، ونزول الملك عليهم، ومسْخ بخت نصّر، ومقامه في الوحش سبع سنين[2].

وهذا القول، وما لم نذكره من الروايات من أنّ بخت نصّر هو الذي خرّب بيت المقدس، وقتل بني إسرائيل، عند قتْلهم يحيَى بن زكريّاء، باطل عند أهل السِّيَر والتاريخ، وأهل العلم بأمور الماضين، وذلك أنّهم أجمعين[3] مجمعون على أنّ بخت نصّر غزا بني إسرائيل، عند قتْلهم نبيّهم شعيا، في عهد إرْميا بن حلقيا، وبين عهد إرميا وقتْل يحيَى أربعمائة سنة وإحدى وستّون سنة عند اليهود والنصارى، ويذكرون أنّ ذلك في كتبهم وأسفارهم مُبَيَّن، وتوافقهم المجوسُ في مدّة غزو بخت نصّر بني إسرائيل، إلى موت الإسكندر، وتخالفهم في مدّة ما بين موت الإسكندر ومولد يحيَى، فيزعمون أنّ مدّة ذلك كانت إحدى وخمسين سنة[4].

وإمّا ابن إسحاق فإنّه قال: الحقّ أنّ بني إسرائيل عمروا بيتَ المقدس، بعد مرجعهم من بابل، وكثروا، ثمّ عادوا يُحْدثون الأحداث، ويعود الله سبحانه عليهم، ويبعث فيهم الرسل، ففريقاً يكذّبون وفريقاً يقتلون، حتى كان آخر من بعث الله فيهم زكريّاء، وابنه يحيَى، وعيسى بن مريم، عليهم السلام، فقتلوا يحيىَ، وزكريّاء، فابتعث

---

(١) أخرج الحاكم نحوه في المستدرك ٢/٥٩٢ من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: بُعث عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا في اثني عشر ألفاً من الحواريّين يعلّمون الناس. قال: وكان فيما ينهونهم عنه نكاح ابنة الأخ. قال: وكانت لملكهم ابنة أخ تعجبه يريد أن يتزوجها، فكانت لها كل يوم حاجة يقضيها فلما بلغ ذلك أمها قالت لها: إذا دخلتِ على الملك فسألكِ حاجَتَك فقولي حاجتي أن تذبح لي يحيى بن زكريا، فلما دخلت عليه سألها حاجتها، فقالت: حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا، فقال: سليني غير هذا، فقالت: ما أسألك إلا هذا، فقال: فلما أبت عليه دعا يحيى بن زكريا، ودُعي بطشت فذبحه، فندرّت قطرة من دمه على الأرض، فلم تزل تغلي حتى بعث الله بخت نصّر عليهم، فجاءته عجوز من بني إسرائيل فدلّته على ذلك الدم، فألقى الله في قلبه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن، فقتل سبعين ألفاً منهم من سنّ واحدة حتى سكن.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح إسناده على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ١/٥٨٧ - ٥٨٩.

(٣) في الطبعة الأوربية «أجمعون».

(٤) الطبري ١/٥٨٩، ٥٩٠.

الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال لـه جودرس[1]، فسـار إليهم حتى دخل عليهم الشـام، فلمّا دخل عليهم بيتَ المقدس قال لقائد عظيم من عسكره اسمه نبوزاذان[2]، وهو صاحب الفيل[3]: إنّي كنتُ حلفتُ لئن أنا ظفرتُ ببني إسرائيـل، لأقتلنّهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري، إلى[4] أن لا أجد من أقتله؛ وأمره أن يدخـل المدينـة ويقتلهم، حتى يبلغ ذلك منهم، فدخل نبوزاذان[5] المدينةَ، فأقام في المدينة التي يقرّبون فيها قربانهم، فوجد فيها دماً يغلي، فقال: يا بني إسرائيل ما شأن هذا الدم يغلي؟ فقـالوا: هـذا دم قربـان لنا لم يُقْبَل، فلذلك هو يغلي. فقال: ما صدقتموني الخبر! فقالوا: إنّه قد انقـطع منّا المُلْكُ والنُّبـوَة، فلذلك لم يُقبـل منّا. فـذبح منهم على ذلـك الدم سبعمـائـة وسبعين رجـلاً من رؤوسهم، فلم يهدأ، فأمر بسبعمائـة من علمائهم، فـذُبحوا على الـدم، فلم يهدأ. فلمّـا رأى الدّم لا يبرد قال لهم: يا بني إسرائيل اصدقُوني واصبروا على أمر ربّكم، فقد طال ما ملكتم في الأرض تفعلون مـا شئتم، قبـل أن لا أدعَ منكم نـافـخ نـار، أنثى ولا ذكـراً إلاّ قتلته[6].

فلمّا رأوا الجهد وشدّة القتل صدقوه الخبر وقالوا: هذا [دم] نبيّ كان ينهانا عن كثير مما[7] يُسْخط الله ويخبرنا بخبركم، فلم نصدّقه وقتلنـاه فهذا دمـه. فقال: مـا كان اسمـه؟ قـالوا: يحيَى بن زكريّاء. قـال: الآن صـدقتمـوني، لمثـل هـذا انتقم ربّكم منكم، وخـرّ سـاجـداً، وقـال لمن حـولـه: أغلِقـوا أبـواب المـدينـة، وأخـرجـوا مَنْ هـاهنـا مِنْ جيش جودرس[8]. ففعلوا، وخلا في بني إسرائيل، ثمّ قال للدّم: يا يحيَى قد علم ربّي وربّك ما قد أصاب قـومك من أجلك، ومـا قُتل منهم، فـاهدأ بـإذن الله قبل أن لا يبقى من قـومك أحـد. فسكن الدمُ، ورفـع نبوزاذان[9] القتـل، وقال: آمنتُ بمـا آمنت به بنـو إسـرائيـل، وصـدّقتُ به، وأيقنت أنّـه لا ربّ غيره، ثمّ قـال لبني إسرائيـل: إنّ جودرس[10] أمـرني أن

---

(١) في النسختين (ب) و(ت): «جردوس»، وفي النسخة (ر): «حاورس»، وورد «حردوش» و«حـردوس». وفي تاريخ الطبري ١/٥٩١ «خردوس».

(٢) في تاريخ الطبري «نبوزراذان».

(٣) في تاريخ الطبري «القتل» بدل «الفيل».

(٤) في الطبعة الأوربية «إلاّ».

(٥) في تاريخ الطبري «نبوزراذان».

(٦) في الطبعة الأوربية «نافخ ناراً ولا ذكر إلا قتلته».

(٧) في الطبعة الأوربية «ما».

(٨) في الطبري ١/٥٩١ «خردوس».

(٩) في تاريخ الطبري ١/٥٩٢ «نبوزراذان».

(١٠) في تاريخ الطبري «خردوس».

أقتل فيكم، حتى تسيل دماؤكم في عسكره، ولستُ أستطيع أن أعصيه. قالوا: افعل. فأمرهم أن يحفروا حفيرة، وأمر بالخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والإبل فذبحها، حتى كثُر الدّم، وأجرى عليه ماء، فسال الدّم في العسكر، فأمر بالقتلى الذين كان قتلهم، فأُلقوا فوق المواشي، فلمّا نظر جودرس إلى الدم قد بلغ عسكره، أرسل إلى نبوزاذان: أن ارفع القتْل عنهم، فقد انتقمتُ منهم بما فعلوا[1].

وهي الوقعة الأخيرة التي أنزل الله ببني إسرائيل، يقول الله تعالى لنبيّه محمّد، ﷺ: ﴿وَقَضَيْنَا إلى بَني إسْرائِيلَ في الكِتَابِ لَتُفْسِدُنّ في الأرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنّ عُلُوّاً كَبِيراً، فإذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولي بَأسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ، وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً، ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ الكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأمْدَدْنَاكُم بِأمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أكْثَرَ نَفِيراً، إنْ أحْسَنْتُمْ أحْسَنْتُمْ لأنْفُسِكُمْ وَإنْ أسَأْتُمْ فَلَهَا، فَإذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا المَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أوّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً، عَسَى رَبُّكُمْ أنْ يَرْحَمَكُمْ، وَإنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً﴾[2]؛ و: «عسى» [وعدٌ] من الله حَقّ[3].

وكانت الوقعة الأولى بخت نصّر وجنوده، ثمّ ردّ الله سبحانه لهم الكَرَّة، ثمّ كانت الوقعة الأخيرة جودرس[4] وجنوده، وكانت أعظم الوقعتين، فبها كان خراب بلادهم وقتْل رجالهم وسبْي ذراريّهم ونسائهم، يقول الله تعالى: ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً﴾[5].

وزعم بعضُ أهل العلم أنّ قتل يحيَى كان أيّام أردشير بن بابك.

وقيل: كان قتْله قبل رفع المسيح، عليه السلام، بسنةٍ ونصف؛ والله أعلم.

ذِكْر قتْل زكرياء

لما قُتل يحيَى، وسمع أبوه بقتله، فرّ[6] هارباً، فدخل بستاناً عند بيت المقدس، فيه أشجار، فأرسل الملك في طلبه، فمرّ زكرياء بالشجرة، فنادته: هلمّ إليّ يا نبيّ الله! فلمّا أتاها انشقّت فدخلها، فانطبقت عليه، وبقي في وسطها، فأتى عدوّ الله إبليس، فأخذ

---

(١) الطبري ١/٥٩١، ٥٩٢.

(٢) الإسراء/٤ - ٨.

(٣) الطبري ١/٥٩٢.

(٤) في تاريخ الطبري «خردوس».

(٥) الإسراء/٧ والخبر في تاريخ الطبري ١/٥٩٢، ٥٩٣.

(٦) في الطبعة الأوروبية «مرّ».

هدْب ردائه، فأخرجه من الشجرة ليصدّقوه إذا أخبرهم، ثمّ لقي الطلب فأخبرهم، فقال لهم: ما تريدون؟ فقالوا: نلتمس زكريّاء. فقال: إنّه سحر هذه الشجرة، فانشقّت له، فدخلها. قالوا: لا نصدّقك! قال: فإنّ لي علامة تصدّقوني بها؛ فأراهم طرف ردائه، فأخذوا الفؤوس وقطعوا الشجرة باثنتين، وشقّوها بالمنشار، فمات زكريّاء فيها، فسلّط الله عليهم أخبثَ أهل الأرض، فانتقم به منهم[1].

وقيل: إنّ السبب في قتله، أنّ إبليس جاء إلى مجالس بني إسرائيل، فقذف زكريّاء بمريم، وقال لهم: ما أحبلها غيره، وهو الذي كان يدخل عليها، فطلبوه فهرب، وذكر من دخوله الشجرة نحو ما تقدّم[2].

---

(١) عرائس المجالس ٣٠٠.

(٢) عرائس المجالس ٣٠٠.

ذكر ولادة المسيح عليه السلام ونُبُوته إلى آخر أمره[1]

كانت ولادة المسيح أيّام ملوك الطوائف.

قالت المجوس: كان ذلك بعد خمس وستّين من غَلَبَة الإسكندر على أرض بابل، وبعد إحدى وخمسين سنة مضت من ملك الأشكانيّين.

وقالت النصارى: إنّ ولادته كانت لمضيّ ثلاثمائة وثلاث وستّين سنة، من وقت غَلَبَة الإسكندر على أرض بابل، وزعموا أنّ مولد يحيَى كان قبل مولد المسيح بستّة أشهر، وأنّ مريم، عليها السلام، حملت بعيسى، ولها ثلاث عشرة سنة.

وقيل: خمس عشرة.

وقيل: عشرون[2]، وأنّ عيسى عاش إلى أن رُفع اثنتين وثلاثين سنة وأيّاماً، وأنّ مريم عاشت بعده ستّ سنين، فكان جميع عمرها إحدى وخمسين سنة، وأنّ يحيَى قُتل قبل أن يُرْفَع المسيح، وأتت المسيحَ النبوّة والرسالةُ وعمره ثلاثون سنة[3].

وقد ذكرنا حال مريم في خدمة الكنيسة، وكانت هي وابن عمّها يوسف بن يعقوب بن ماثان النجّار يليان خدمةَ الكنيسة، وكان يوسف حكيماً نجّاراً يعمل بيديه ويتصدّق بذلك.

وقالت النصارى: إنّ مريم كان قد تزوّجها يوسف ابن عمّها، إلاّ أنّه لم يقربها إلاّ بعد رفع المسيح، والله أعلم.

وكانت مريم إذا نفد ماؤها وماء يوسف ابن عمّها، أخذ كلّ واحد منهما قُلّته،

---

(١) تاريخ الطبري ١/٥٩٣، عرائس المجالس ٣٠١، تاريخ اليعقوبي ١/٦٨، البدء والتاريخ ٣/١٢٠، المستدرك على الصحيحين ٢/٥٩٢، مروج الذهب ١/٦٣، المعارف ٥٣، مرآة الزمان ١/٥٧١، تاريخ ابن العبري ٦٥، نهاية الأرب ١٤/٢١٣، البداية والنهاية ٢/٥٦.

(٢) في الطبعة الأوربية «عشرين».

(٣) الطبري ١/٥٨٥.

وانطلق إلى المغارة التي فيها الماء يستعذبان منه، ثمّ يرجعان إلى الكنيسة، فلمّا كان اليوم الذي لقيها فيه جبرائيل نفد ماؤها، فقالت ليوسف ليذهب معها إلى الماء، فقال: عندي من الماء ما يكفيني إلى غد، فأخذت قلّتها، وانطلقت وحدها حتى دخلت المغارة، فوجدت جبرائيل قد مثّله الله ﴿لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾[1]، فقال لها: يا مريم إنّ الله قد بعثني إليك ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً﴾[2]. ﴿قَالَتْ: إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً﴾[3] أي مطيعاً لله، وقيل: هو اسم رجل بعينه، وتحسبه رجلاً، ﴿قَالَ: إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً. قَالَتْ: أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً - أي زانية - قَالَ: كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾، إلى قوله: ﴿أَمْراً مَقْضِيّاً﴾[4].

فلمّا قال[5] ذلك استسلمت لقضاء الله، فنفخ في جيب درعها، ثمّ انصرف عنها وقد حملت بالمسيح، وملأت قُلّتها[6] وعادت، وكان لا يُعلم في أهل زمانها أعبد منها ومن ابن عمّها يوسف النجّار، وكان معها، وهو أوّل مَن أنكر حمْلَها، فلمّا رأى الذي بها استعظمه، ولم يدرِ على ماذا يضع ذلك منها، فإذا أراد يتّهمها ذكر صلاحها، وأنّها لم تغبْ عنه ساعة قطّ، وإذا أراد يبرّئها، رأى الذي بها، فلمّا اشتدّ ذلك عليه، كلّمها، فكان أوّل كلامه لها أن قال لها: إنّه قد وقع من أمرك شيء قد حرصتُ على أن أميته وأكتمه فغلبني. فقالت: قلْ قولاً جميلاً. فقال: حدّثيني هل ينبت زرع بغير بذر؟ قالت: نعم. قال: فهل ينبت شجر بغير غيث يصيبه؟ قالت: نعم، قال: فهل يكون ولد بغير ذَكر؟ قالت له: نعم، ألم تعلم أنّ الله أنبتَ الزّرعَ يومَ خلقَه بغير بذر! ألم تعلم أن الله خلق الشجر من غير مطرِ! وأنّه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجرة، بعدما خلق كلّ واحد منهما وحده! أوَتقول لن يقدر الله على أن يُنْبِت، حتى يستعين[7] بالبذر والمطر! قال يوسف: لا أقول هكذا، ولكنّي أقول إنّ الله يقدر على ما يشاء، إنّما يقول لذلك كن فيكون. قالت له: ألم تعلم أنّ الله خلق آدم وحوّاء من غير ذَكرٍ ولا أنثى! قال: بلى، فلمّا قالت له ذلك وقع في نفسه أنّ الذي بها شيء من الله، لا يسعه أن يسألها عنه، لما رأى من كتمانها له[8].

---

(١) مريم/١٧.

(٢) مريم/١٩.

(٣) مريم/١٨.

(٤) مريم/١٩ - ٢١.

(٥) في الطبعة الأوربية «قالت».

(٦) إلى هنا ينتهي الخبر في الطبري ١/٥٩٣ وهو بطوله في عرائس المجالس ٣٠١.

(٧) في النسختين (ت) و(ر): «استعان».

(٨) عرائس المجالس ٣٠١، ٣٠٢، الطبري ١/٥٩٤، ٥٩٥.

وقيل: إنّها خرجت إلى جانب الحُجُرات[1]، لحيض أصابها، فاتّخذت من دونهم حجاباً من الجدران، فلمّا طَهُرَت إذا برجل معها، وذكر الآيات، فلمَّا حملت أتتها خالتُها امرأة زكريّاء ليلةً تزورها، فلمّا فتحت لها البابَ التزمتها، فقالت امرأة زكريّاء: إنّي حُبْلى. فقالت لها مريم: وأنا أيضاً حُبْلى. قالت امرأة زكريّاء: فإنّي وجدتُ ما في بطني يسجد لِما في بطنك[2].

وولدت امرأة زكريّاء يحيى.

وقل اختُلف في مدّة حمْلها، فقيل: تسعة أشهر، وهو قول النصارى.

وقيل: ثمانية أشهر، فكان ذلك آية أخرى لأنّه لم يعشْ مولودٌ لثمانية أشهر غيره.

وقيل ستّة أشهر.

وقيل: ثلاث ساعات، .

وقيل: ساعة واحدة، وهو أشبه بظاهر القرآن العزيز لقوله تعالى: ﴿**فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً**﴾[3].

عقِبة بالفاء[4].

فلمّا أحسّت مريمُ خرجتْ إلى جانب المحراب الشرقيّ، فأتت أقصاه ﴿**فَأَجَاءَهَا المَخَاضُ إلى جِذْعِ النَّخْلَةِ، قَالَتْ** - وهي تطلق من الحبل استحياء من النّاس - **يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتَ نَسْياً مَنْسِيّاً**﴾[5]، يعني نُسي ذِكري وأثري، فلا يُرى لي أثر ولا عين.

قالت مريم: كنتُ إذا خلوتُ حدّثني عيسى وحدّثتُه، فإذا كان عندنا إنسان سمعتُ تسبيحه في بطني. ﴿**فَنَادَاها**﴾[6] جبرائيل ﴿**مِنْ تَحْتِهَا** - أي من أسفل الجبل - **ألَّا تَحْزَني قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً**﴾[6]، وهو النهر الصغير، أجراه تحتها، فمن قرأ: مِن تحتِها، بكسر الميم، جعل المنادي جبرائيل، ومن فتحها قال إنّه عيسى، أنطقه الله، ﴿**وَهُزّي**

(١) في المستدرك ٢/٥٩٣ «المحراب».
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٥٩٣ من طريق محمد بن إسحاق الصفّار العدل، عن أحمد بن نصر، عن عمرو بن حمّاد، عن اسباط، عن السُّدّي، عن أبي مالك، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعن مُرّة، عن عبد الله. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وتابعه الذهبي في تلخيصه ٢/٥٩٣.
(٣) مريم/٢٢، والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٥٩٦، والثعلبي في عرائس المجالس ٣٠٢.
(٤) في الطبعة الأوربية «عقبة بالقاء».
(٥) مريم/٢٣.
(٦) مريم/٢٤.

إلَيْك بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾[1]، كان جِذعاً مقطوعاً، فهزّته فإذا هو نخلة.

وقيل: كان مقطوعاً فلمّا أجهدها[2] الطَّلْقُ احتضنته، فاستقام واخضرّ وأرطب، فقيل لهـا: ﴿وَهُزِّي إلَيْـكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾[3]، فهـزّته، فتسـاقط الـرُّطَبُ، فقـال لهـا: ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً، فَإِمَّـا تَرَيِنَّ مِنَ البَشَـرِ أَحَداً فَقُـولي: إنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَـوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ اليَوْمَ إنْسِيّاً﴾[4]، وكان مَنْ صام في ذلك الزمان لا يتكلّم حتى يُمسي.

فلمّا وَلَدَته ذهب إبليس، فأخبـر بني إسرائيـل أنّ مريم قـد وَلَدَت، فـأقبلوا يشتدّون بدعوتها[5]، ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾[6].

وقيل: إنّ يوسف النجّار تركها في مغارة أربعين يوماً، ثمّ جـاء بها إلى أهلهـا، فلمّا رأوها قالوا لها: ﴿يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً، يـا أُخْتَ هَارُونَ مَـا كَانَ أَبُـوكِ امْرَأَ سَـوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً﴾[7] فما بالك أنت؟ وكانت من نسل هارون أخي موسى، كذا قيل[8].

قلت: إنّها ليست من نسل هارون، إنّما هي من سِبط يهـوذا بن يعقوب، من نسـل سليمان بن داود، وإنّما كانوا يُدعون بالصالحين، وهارون من ولد لاوي بن يعقوب.

قالت لهم ما أمرها الله به، فلمّا أرادوها بعد ذلـك على الكلام ﴿أَشَـارَتْ إلَيْهِ﴾[9]، فغضبوا وقالوا: لَسُخريّتها بنا أشدّ علينا من زنائها. ﴿قَالُوا: كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيّاً﴾[9]. فتكلَّمَ عيسى فقال: ﴿إنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ آتَانِيَ الكِتَـابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً وَجَعَلَنِي مُبَـارَكاً أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَـا دُمْتُ حَيّاً﴾[10]. فكان أوّل ما تكلّم بـه العبوديّـة، ليكون أبلغ في الحجّة على مَنْ يعتقد أنّه إله.

---

(١) مريم/٢٥.

(٢) في الطبعة الأوربية «أخذها».

(٣) مريم/٢٥.

(٤) مريم/٢٦.

(٥) في النسخة (ر): «يدعونها».

(٦) مريم/٢٧ والخبر في عرائس المجالس ٣٠٣.

(٧) مريم/٢٧ ـ ٢٨.

(٨) في الطبعة الأوربية «قال».

(٩) مريم/٢٩.

(١٠) مريم/٣٠؛ ٣١.

وكان قومها قد أخذوا الحجارة ليرجموها، فلمّا تكلّم ابنُها تركوها. ثمّ لم يتكلّم بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان[1].

وقال بنو إسرائيل: ما أحبلها غير زكريّاء، فإنّه هو الذي كان يدخل عليها ويخرج من عندها، فطلبوه ليقتلوه، ففرّ منهم، ثمّ أدركوه فقتلوه.

وقيل في سبب قتله غير ذلك، وقد تقدّم ذِكره.

وقيل: إنّه لما دنَا نِفاسُها أوحى الله إليها: أن اخرُجي من أرض قومك، فإنّهم إن ظفِروا بكِ عيّروكِ وقتلوك وولدَك. فاحتملها يوسفُ النجّار، وسار بها إلى أرض مصر، فلمّا وصلا إلى تخوم مصر أدركها المخاضُ، فلمّا وضعت وهي محزونة قيل لها: ﴿لَا تَحْزَنِي﴾ الآية إلى ﴿إِنْسِيّاً﴾[2]، فكان الرُّطَبُ يتساقط عليها، وذلك في الشتاء، وأصبحت الأصنام منكوسة على رؤوسها، وفزعت الشياطين، فجاؤوا إلى إبليس، فلمّا رأى جماعَتهم سألهم فأخبروه، فقال: قد حدث في الأرض حادث، فطار عند ذلك وغاب عنهم، فمرّ بالمكان الذي وُلد فيه عيسى، فرأى الملائكة مُحدِقين به، فعلم أنّ الحدث فيه، ولم تمكّنه الملائكة من الدُّنُوّ من عيسى، فعاد إلى أصحابه وأعلمهم بذلك، وقال لهم: ما وَلَدَت امرأة إلاّ وأنا حاضر، وإنّي لأرجو أن أُضِلّ به أكثر ممّن يهتدي[3].

واحتملته مريم إلى أرض مصر[4]، فمكثت اثنتي عشرة سنة تكتمه من النّاس، فكانت تلتقط السنبل والمهد في منكبيها[5].

قلتُ: والقول الأوّل في ولادته بأرض قومها للقرآن أصحّ، لقول الله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾[6]، وقوله: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً﴾[7].

وقيل: إنّ مريم حملت المسيح إلى مصر بعد ولادته، ومعها يوسف النّجار، وهي الربوة التي ذكرها الله تعالى، وقيل: الربوة دمشق، وقيل: بيت المقدس، وقيل غير ذلك[8]، فكان سبب ذلك الخوف من ملك بني إسرائيل، وكان من الروم، واسمه

---

(١) الخبر في عرائس المجالس ٣٠٤.
(٢) مريم/٢٤.
(٣) الطبري١/٥٩٥، ٥٩٦.
(٤) زيادة في النسخة (ر) بعد مصر: «وهو الربوة».
(٥) في الأصل «مكسها». والخبر في الطبري ١/٥٩٧.
(٦) مريم/٢٧.
(٧) مريم/٢٩.
(٨) عرائس المجالس ٣٠٥.

هيرودس، فإنّ اليهود أغروه بقتله، فساروا إلى مصر، وأقاموا بها اثنتي عشرة سنة، إلى أن مات ذلك الملك، وعادوا إلى الشام.

وقيل: إنّ هيرودس لم يرد قتله، ولم يسمع به إلّا بعد رفعه، وإنّما خافوا اليهودَ عليه[1]، والله أعلم.

ذِكْر نُبُوَّة المسيح وبعض معجزاته

لما كانت مريم بمصر نزلت على دِهْقان، وكانت داره يأوي إليها الفقراء والمساكين، فسُرق له مال، فلم يتّهم المساكين، فحزنت مريمُ، فلّما رأى عيسى حُزنَ أمّه قال: أتريدين أن أدلّه على ماله؟ قالت: نعم قال: إنّه أخذه الأعمى والمقعَد، اشتركا فيه، حمل الأعمى المقعَد فأخذه، فقيل للأعمى ليحمل المقعد، فأظهر العجز، فقال له المسيح: كيف قوَيت على حمله البارحة لما أخذتما المال؟ فاعترفا وأعاداه[2].

ونزل بالدِّهقان أضياف، ولم يكن عنده شراب، فاهتمّ لذلك، فلمّا رآه عيسى دخل بيتاً للدِهقان فيه صفّان من جِرار، فأمَرَّ عيسى يده[3] على أفواهها، وهو يمشي، فامتلأت شراباً، وعمره حينئذٍ اثنتا عشرة سنة[4].

وكان في الكُتّاب يحدّث الصبيان بما يصنع أهلوهم، وبما كانوا يأكلون[5].

قال وهب: بينما عيسى يلعب مع الصبيان إذ وثب غلام على صبيّ فضربه برِجله[6]، فقتله، فألقاه بين رِجْلَي المسيح متلطّخاً بالدم، فانطلقوا به إلى الحاكم في ذلك البلد فقالوا: قتل صبيّاً، فسأله الحاكم، فقال: ما قتلتُه. فأرادوا أن يبطشوا به، فقال: إيتوني بالصبيّ حتى أسأله منْ قتله، فتعجّبوا من قوله، وأحضروا[7] عنده القتيل، فدعا الله فأحياه، فقال: مَنْ قتلك؟ فقال: قتلني فلان، يعني الذي قتله. فقال بنو إسرائيل للقتيل: مَنْ هذا؟ قال: هذا عيسى بن مريم، ثمّ مات الغلام من ساعته[8].

وقال عطاء: سلّمت مريم عيسى إلى صبّاغٍ يتعلّم عنده، فاجتمع عند الصبّاغ ثياب

---

(١) أنظر عرائس المجالس ٣٠٥.
(٢) الطبري ١/٥٩٧، ٥٩٨، عرائس المجالس ٣٠٦.
(٣) في الأصل «بيده».
(٤) الطبري ١/٥٩٨، عرائس المجالس ٣٠٦.
(٥) عرائس المجالس ٣٠٦.
(٦) في الطبعة الأوربية «على رِجله».
(٧) في الطبعة الأوربية «وأحضروه».
(٨) عرائس المجالس ٣٠٧.

وعَرض له حاجة، فقال للمسيح: هذه ثياب مختلفة الألوان وقد جعلتُ في كلّ ثوب منها خيطاً على اللّون الذي يُصْبَغُ به، فاصبغها حتى أعود من حاجتي هذه. فأخذها المسيحُ وألقاها في جُبٍّ[1] واحد، فلمّا عاد الصبّاغ سأله عن الثياب فقال: صبغتُها. فقال: أين هي؟ قال: في هذا الجُبّ[1]، قال: كلّها؟ قال: نعم. قال: لقد أفسدتَها على أصحابها! وتغيّظ عليه. فقال له المسيح: لا تعجلْ وانظرْ إليها، وقام وأخرجها كلّ ثوب منها على اللّون الذي أراد صاحبه، فتعجّب الصبّاغُ منه، وعلم أنّ ذلك من الله تعالى[2].

ولما عاد عيسى وأمّه إلى الشام نزلا[3] بقرية يقال لها ناصرة، وبها سُمّيت النصارى، فأقام إلى أن بلغ ثلاثين سنة، فأوحى الله إليه أن يبرز للنّاس، ويدعوهم إلى الله تعالى، ويداوي المرضى والزَّمْنَى والأكمَه والأبرَصَ وغيرهم من المرضى، ففعل ما أمر به، وأحبّه النّاسُ، وكثُر أتباعُه، وعلا ذِكْره[4].

وحضر يوماً طعامَ بعض الملوك كان دعا النّاسَ إليه، فقعد على قصعة يأكل منها ولا تنقص، فقال الملك: مَنْ أنت؟ قال: أنا عيسى بن مريم. فنزل المَلِكُ عن مُلكه واتّبعه في نفر من أصحابه، فكانوا الحواريّين[5].

وقيل: إنّ الحواريّين هم الصَّبّاغ الذي تقدّم ذِكره، وأصحابٌ له، وقيل: كانوا صيّادين، وقيل: قصّارين، وقيل: ملاّحين، والله أعلم[6]. وكانت عدّتهم اثني عشر رجلاً، وكانوا إذا جاعوا أو عطشوا قالوا: يا روح الله قد جُعْنا وعطشنا، فيضرب يده[7] إلى الأرض، فيُخرج لكلّ إنسان منهم رغيفين وما يشربون. فقالوا: مَنْ أفضل منّا، إذا شئنا أطعمتنا وسقيتنا! فقال: أفضل منكم مَنْ يأكل من كسْب يده، فصاروا يغسلون الثياب بالأجرة[8].

ولما أرسله الله أظهر من المعجزات أنّه صوّر من الطين صورة طائر، ثمّ نفخ فيه،

---

(١) في النسخة (ر): «خبت»، وفي طبعة صادر ١/٣١٤ «حب» بالحاء المهملة، وما أثبتناه عن عرائس المجالس ٣٠٧.

(٢) عرائس المجالس ٣٠٧.

(٣) في الأصل «نزلوا».

(٤) عرائس المجالس ٣٠٨.

(٥) عرائس المجالس ٣٠٩.

(٦) أنظر في ذلك عرائس المجالس ٣٠٨.

(٧) في النسخة (ر): «بيده».

(٨) عرائس المجالس ٣٠٨.

فيصير طائراً بإذن الله، قيل هو الخفّاش[1].

وكان غالباً[2] على زمانه الطبّ، فأتاهم بما أبرأ الأكمَه والأبرَص، وأحيا الموتى تعجيزاً لهم، فممّن أحياه «عازر»، وكان صديقاً لعيسى، فمرض، فأرسلت أختُه إلى عيسى أنّ عازر يموت، فسار إليه وبينهما ثلاثة أيّام، فوصل إليه وقد مات منذ ثلاثة أيّام، فأتَى قبرَه، فدعا له فعاش، وبقي حتى وُلد له.

وأحيا امرأةً وعاشت ووُلِد لها.

وأحيا سام بن نوح، كان يوماً مع الحواريّين يذكر نوحاً والغرق والسفينة فقالوا: لو بعثتَ لنا مَنْ شهد ذلك! فأتَى تلّاً وقال: هذا قبر سام بن نوح، ثمّ دعا الله فعاش، وقال: قد قامت القيامة؟ فقال المسيح: لا، ولكنْ دعوتُ الله فأحياك، فسألوه فأخبرهم، ثمّ عاد ميتاً.

وأحيا عُزَيْراً النّبيّ، قال له بنو إسرائيل: أحيِ لنا عُزَيراً وإلّا أحرقناك. فدعا الله فعاش، فقالوا: ما تشهد لهذا الرجل؟ قال: أشهد أنّه عبدُ الله ورسوله.

وأحيا يحيى بن زكريّاء[3].

وكان يمشي على الماء[4].

ذِكْر نزول المائدة

وكان من المعجزات العظيمة نزول المائدة.

وسبب ذلك: أنّ الحواريّين قالوا له: يا عيسى ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ؟﴾[5]، فدعا عيسى فقال: ﴿اللّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾[6]، فأنزلَ الله المائدةَ، عليها خبز ولحم يأكلون منها ولا تنفد. فقال لهم: إنّها مقيمة ما لم تدّخروا منها. فما مضى يومهم حتى ادّخروا[7].

---

(١) عرائس المجالس ٣٠٩.

(٢) في الأصل «غالب».

(٣) في النسختين (ت) و(ر): «وأحيا غير من ذكرنا».

(٤) عرائس المجالس ٢١١.

(٥) المائدة/١١٢.

(٦) المائدة/١١٤.

(٧) عرائس المجالس ٣١٢، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٧٢/٦.

وقيل: أقبلت الملائكة تحمل المائدةَ، عليها سبعة أرغفة، وسبعة أحوات[1] حتى وضعوها بين أيديهم، فأكل منها آخر النّاس، كما أكل أوّلهم[2].

وقيل: كان عليها من ثمار الجنّة.

وقيل: كانت تُمدّ بكلّ طعام، إلاّ اللّحم[3].

وقيل: كانت سمكة، فيها طعْم كلّ شيء، فلمّا أكلوا منها، وهم خمسة آلاف، وزادت حتى بلغ الطعام رُكَبَهُم، قالوا: نشهد أنّك رسول الله، ثمّ تفرّقوا فتحدّثوا بذلك. فكذَّب به مَنْ لم يشهده، وقالوا: سحر أعينكم، فافتتن بعضهم وكفر، فمُسخوا خنازير، ليس فيهم امرأة ولا صبيّ، فبقوا ثلاثة أيّام، ثمّ هلكوا ولم يتوالدوا[4].

وقيل: كانت المائدة سفرة حمراء، تحتها غمامة، وفوقها غمامة، وهم ينظرون إليها تنزل حتى سقطت بين أيديهم، فبكى عيسى وقال: اللهمّ اجعلني من الشاكرين! اللّهم اجعلها رحمةً ولا تجعلها مُثلة ولا عقوبة! واليهود ينظرون إلى شيء لم يروا مثله، ولم يجدوا ريحاً أطيب من ريحها. فقال شمعون: يا روح الله، أمِن طعام الدنيا، أم من طعام الجنّة؟ فقال المسيح: لا من طعام الدنيا ولا من طعامِ الآخرة، إنّما هو شيء خلقه الله بقدرته. فقال لهم: كُلوا ممّا سألتم. فقالوا له: كُلْ أنتَ يا روحَ الله. فقال: مَعَاذ الله أن آكل منها! فلم يأكل ولم يأكلوا منها، فدعا المرضى والزَّمْنَى والفقراء، فأكلوا منها، وهم ألف وثلاثمائة، فشبعوا، وهي بحالها لم تنقص، فصحّ المرضى والزَّمْنَى، واستغنى الفقراء، ثمّ صعدت، وهم ينظرون إليها حتى توارت، وندم الحواريّون حيث لم يأكلوا منها[5].

وقيل: إنّها نزلت أربعين يوماً، كانت تنزل يوماً، وتنقطع يوماً، وأمر الله عيسى أن يدعو إليها الفقراء دون الأغنياء، ففعل ذلك فاشتدّ على الأغنياء وجحدوا نزولها، وشكّوا في ذلك، وشكّكوا غيرهم فيها، فأوحى الله إلى عيسى: إنّي شرطتُ أن أعذّبَ المكذّبين عذاباً لا أعذّب به أحداً من العالمين، فمسخ منهم ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين رجلاً فأصبحوا خنازير. فلمّا رأى النّاسُ ذلك فزعوا إلى عيسى، وبكوا، وبكى عيسى على الممسوخين. فلمّا أبصرتِ الخنازيرُ عيسى بكوا، وطافوا به، وهو يدعوهم بأسمائهم، ويشيرون

---

(١) في النسخة (ب): «اخوان»، والمثبت عن عرائس المجالس، وأحوات: جمع حوت.

(٢) عرائس المجالس ٣١٢.

(٣) عرائس المجالس ٣١٢.

(٤) عرائس المجالس ٣١٤.

(٥) عرائس المجالس ٣١٥.

برؤوسهم ولا يقدرون على الكلام، فعاشوا ثلاثة أيّام، ثمّ هلكوا[1].

ذِكْر رفع المسيح إلى السماء ونزوله إلى أُمّه وعَوْده إلى السماء

قيل: إنّ عيسى استقبله ناسٌ من اليهود، فلمّا رأوه قالوا: قد جاء الساحر ابن[2] الساحرة الفاعل ابن[2] الفاعلة! وقذفوه وأُمّه، فسمع ذلك ودعا عليهم، فاستجابَ الله دعاءه، ومسخهم خنازير، فلمّا رأى ذلك رأسُ بني إسرائيل فزع وخاف، وجمع كلمةَ اليهود على قتْله، فاجتمعوا عليه، فسألوه، فقال: يا معشرَ اليهود إنّ الله يبغضكم، فغضبوا من مقالته، وثاروا إليه ليقتلوه، فبعث إليه جبرائيل فأدخله في[3] خوخة[4] إلى بيتٍ فيها رَوْزَنَة[5] في سقفها، فرفعه إلى السماء من تلك الرَّوْزَنَة، فأمر رأسُ اليهود رجلاً من أصحابه اسمه «قطيبانوس»[6] أن يدخل إليه فيقتله، فدخل فلم يرَ أحداً، وألقى الله عليه شبه المسيح، فخرج إليهم فظنّوه عيسى، فقتلوه وصلبوه[7].

وقيل: إنّ عيسى قال لأصحابه: أيّكم يحبّ أن يُلقى عليه شبهي وهو مقتول؟ فقال رجل منهم: أنا يا روح الله. فأُلقي عليه شبهه، فقُتل وصُلب[8].

وقيل: إنّ الذي شُبّه بعيسى وصُلب، رجل إسرائيليّ اسمه يوشع أيضاً[9].

وقيل: لما أعلم الله المسيحَ أنّه خارج من الدنيا، جزع من الموت، فدعا الحواريّين، فصنع لهم طعاماً، فقال: احضروني اللّيلة فإن لي إليكم حاجة، فلمّا اجتمعوا عشّاهم وقام يخدمهم. فلمّا فرغوا، أخذ يغسل أيديهم بيده، ويمسحها بثيابه، فتعاظموا ذلك وكرهوه. فقال: من يردّ عليّ اللّيلة شيئاً ممّا أصنع فليس منّي، فأقرّوه حتى فرغ من ذلك، ثمّ قال: أمّا ما خدمتُكم على الطعام وغسلتُ أيديكم بيدي، فلْيكنْ لكم بي أُسوة، فلا يتعاظم بعضكم على بعض، وأمّا حاجتي التي أستغيثكم عليها فتدْعون الله

---

(١) عرائس المجالس ٣١٥.

(٢) في الأصل «من».

(٣) في النسخة (ر): «من».

(٤) في النسخة (ب): «مزخرفة». والخوخة: الباب الصغير الذي يفتح في الباب الكبير.

(٥) الروزنة: الكُوَّة.

(٦) في النسخة (ت): «قلطيانوس». وفي النسخة (ر): «تطليانوس»، وفي عرائس المجالس ٣١٦ «فلطيانوس».

(٧) عرائس المجالس ٣١٦، مرآة الزمان ١/٥٨١.

(٨) عرائس المجالس ٣١٧.

(٩) في تاريخ الطبري ١/٦٠٥: «أيشوع بن فنديرا»، وفي عرائس المجالس ٣١٧ «أشيوع بن قنديرا».

لي، وتجتهدون في الدعاء أن يؤخّر أجلي. فلمّا نصبوا أنفسهم للدّعاء أخذهم النومُ، حتى ما يستطيعون الدعاء، فجعل يوقظهم ويقول: سبحان الله ما تصبرون لي ليلة! قالوا: والله ما ندري ما لنا، لقد كنّا نَسْمُر فنكثِر السَمَر، وما نقدر عليه اللّيلة، وكلّما أردنا[1] حِيل بيننا وبينه. فقال: يُذهب بالراعي ويتفرّق الغنم؛ وجعل ينعَى نفسه، ثمّ قال: ليكفرنّ بي أحدكم، قبل أن يصيح الديكُ ثلاث مرّات. وليبيعني أحدُكم بدراهم يسيرة، وليأكلنّ ثمني.

فخرجوا وتفرّقوا، وكانت اليهود تطلبه، فأخذوا شمعون، أحد الحواريّين، وقالوا: هذا صاحبه[2].

واختلف العلماء في موته قبل رفعه إلى السماء، فقيل: رُفع ولم يمت.

وقيل: توفّاه الله ثلاث ساعات[3].

وقيل سبع ساعات، ثمّ أحياه ورفعه، ولما رُفع إلى السماء قال الله له: انزل[4]، فلمّا قالوا لشمعون عن المسيح جحد[5] وقال: ما أنا صاحبه! فتركوه. فعلوا ذلك ثلاثاً، فلمّا سمع صياحَ الديك بكى، وأحزنه ذلك.

وأتَى أحد الحواريّين إلى اليهود، فدلّهم على المسيح، وأعطوه ثلاثين درهماً، فأتَى معهم إلى البيت الذي فيه المسيح، فدخله، فرفع الله المسيحَ، وألقى شبهه على الذي دلّهم عليه، فأخذوه وأوثقوه وقادوه، وهم يقولون له: أنتَ كنتَ تُحيي الموتَى، وتفعل كذا وكذا، فهلّا تنجي نفسك؟ وهو يقول: أنا الذي دلّكم عليه، فلم يُصْغُوا إلى قوله، ووصلوا به إلى الخشبة وصلبوه عليها[6].

وقيل: إنّ اليهود، لما دلّهم عليه الحواريّ اتّبعوه، وأخذوه من البيت الذي كان فيه ليصلبوه، فأظلمت الأرض، وأرسل الله ملائكةً، فحالوا بينهم وبينه، وألقى شَبَه المسيح على الذي دلّهم عليه، فأخذوه ليصلبوه، فقال: أنا الذي دلّكم عليه، فلم يلتفتوا إليه، فقتلوه وصلبوه عليها. ورفع الله المسيحَ إليه، بعد أن توفّاه ثلاث ساعات[7].

---

(١) في الأصل «نريد».
(٢) الطبري ١/٦٠١ وفيه تكملة.
(٣) الطبري ١/٦٠٢، عرائس المجالس ٣١٧.
(٤) حتى هنا ينتهي الخبر في الطبري ١/٦٠٢.
(٥) في الأصل «فجحد».
(٦) عرائس المجالس ٣١٦.
(٧) عرائس المجالس ٣١٦، ٣١٧.

وقيل: سبع ساعات، ثمّ أحياه ورفعه، ثمّ قال له: انزل إلى مريم، فإنّه لم يبك عليك أحد بكاءها، ولم يحزن أحد حُزْنها. فنزل عليها بعد سبعة أيام، فاشتعل الجبل حين هبط نوراً، وهي عند المصلوب تبكي، ومعها امرأة كان أبرأها من الجنون، فقال: ما شأنكما تبكيان؟ قالتا: عليك! قال: إنّي رفعني الله إليه، ولم يُصبني إلاّ خير، وإنّ هذا شيء شُبّه لهم، وأمرها فجمعت له الحواريّين، فبثّهم في الأرض رسلاً عن الله، وأمرهم أن يبلّغوا عنه ما أمرَه الله به، ثمّ رفعه الله إليه وكساه الريشَ، وألبسه النّور، وقطع عنه لذّة المَطْعَم والمشرب، وطار مع الملائكة، فهو معهم، فصار إنسيّاً ملكيّاً سماويّاً أرضيّاً.

فتفرّق الحواريّون حيث أمرهم، فتلك الليلة التي أهبطه الله فيها، هي التي تدخن فيها النصاري[1].

وتعدّى اليهود على بقيّة الحواريّين يعذّبونهم ويشتمونهم، فسمع بذلك ملك الروم، واسمه «هيرودس»، وكانوا تحت يده، وكان صاحب وثن، فقيل له: إنّ رجلاً كان في بني إسرائيل، وكان يفعل الآيات، من إحياء الموتى، وخلق الطَّيْر من الطين، والإخبار عن الغيوب، فعَدَوْا[2] عليه فقتلوه، وكان يخبرهم أنّه رسول الله. فقال الملك: ويحكم ما منعكم أن تذكروا هذا من أمره، فوالله لو علمتُ، ما خلّيتُ بينهم وبينه! ثمّ بعث إلى الحواريّين، فانتزعهم من أيدي اليهود، وسألهم عن دين عيسى، فأخبروه، وتابعهم على دينهم، واستنزل[3] المصلوبَ الذي شُبّه لهم، فغَيَّبَه، وأخذ الخشبة التي صُلب عليها، فأكرمها وصانها، وعدا على بني إسرائيل، فقتل منهم قتلى كثيرة، فمن هناك كان أصل النصرانيّة في الروم[4].

وقيل: كان هذا الملك هيرودس ينوب عن ملك الروم الأعظم الملقّب قيصر، واسمه طيباريوس، وكان هذا أيضاً يسمّى ملكاً.

وكان مُلْك طيباريوس ثلاثاً وعشرين سنة، منها إلى ارتفاع المسيح ثماني عشرة سنة وأيّام[5].

---

(١) الطبري ١/٦٠٢، ٦٠٣ وانظر عرائس المجالس ٣١٧.

(٢) في النسختين (ت) و(ر): «وقد عدوا». وفي الطبعة الأوربية «فغدروا» وما أثبتناه عن طبعة صادر ١/٣٢٠، والطبري، والثعلبي.

(٣) وفي النسخة (ر) زيادة بعدها: «سرخس»، وفي الأصل «جرجس».

(٤) الطبري ١/٦٠٤، عرائس المجالس ٦١٨.

(٥) في الطبعة الأوربية «أياماً»، والتصحيح من الطبري ١/٦٠٥.

ذكر من ملك من الروم بعد رفع المسيح إلى عهد نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم[1]

زعموا أنّ مُلك الشام جميعه صار بعد طيباريوس، إلى ولده جايوس[2]، وكان مُلْكه أربع سنين.

ثمّ مَلَك بعده ابنٌ[3] له آخر اسمه قلوديس أربع عشرة سنة[4].

ثمّ مَلَك بعده نيرون، الذي قتل بطرس وبولس، فصلبهما منكّسين، أربع عشرة سنة[5].

ثمّ مَلَك بعدَه بوطلايس أربعة أشهر[6].

ثمّ مَلَك اسفسيانوس[7]، وهذا الذي وجّه ابنه طيطوس إلى البيت المقدس، فهدمه، وقتل من بني إسرائيل، غضباً[8] للمسيح.

ثمّ مَلَك ابنُه طيطوس[9].

ثمّ مَلَك أخوه دومطيانوس ستّ عشرة سنة[10].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١/١٤٦، تاريخ الطبري ١/٦٠٦، تاريخ ابن العبري ٦٦، مروج الذهب ١/٣١٠، نهاية الأرب ١٥/٢٦٤، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٠، تاريخ ابن خلدون ٢/٢٠٠، تاريخ المنبجي ١/١٦٦.

(٢) في تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٠ «طباريس عابس»، وفي تاريخ المنبجي ١/١٧١ «غابيوس»، وفي تاريخ اليعقوبي ١/١٤٦، وفي مروج الذهب ١/٣١٠ «طباريس غانس»، والمثبت يتفق مع الطبري ١/٦٠٦.

(٣) في النسخة (ت) «أخ»، والمثبت يتفق مع الطبري.

(٤) تاريخ اليعقوبي ١/١٤٦، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٠، الطبري ١/٦٠٦، تاريخ المنبجي ١/١٧١، مروج الذهب ١/٣١٠، تاريخ ابن خلدون ٢/٢٠١، نهاية الأرب ١٥/٢٦٤.

(٥) في تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٠ مَلَك (٢٤ سنة)، وفي تاريخ المنبجي ١/١٧١ (١٣ سنة)، والمثبت يتفق مع الطبري، والمسعودي، والنويري، وغيره.

(٦) الطبري ١/٦٠٦ وفي تاريخ المنبجي ١٧٢ ثلاثة أشهر، ويسميّه «غلباس».

(٧) مَلَك عشر سنين. (الطبري ١/٦٠٦، اليعقوبي ١/١٤٦) وفي تاريخ المنبجي ١/١٧٢ (٩ سنين) وفي مروج الذهب ١/٣١٢، ونهاية الأرب ١٥/٢٦٤ اشترك مع ابنه في الملك (١٣ سنة).

(٨) في النسخة (ب): «تعصّباً».

(٩) مدّة ثلاث سنين. (تاريخ اليعقوبي ١/١٤٦).

(١٠) الطبري ١/٦٠٦ وفي تاريخ المنبجي ١/١٧٤ وتاريخ اليعقوبي ١/١٤٦، ومروج الذهب ١/٣١٣، وتاريخ =

ثمّ مَلَك بعده نارواس ستّ سنين[1].
ثمّ مَلَك من بعده طرايانوس تسع عشرة سنة[2].
ثمّ مَلَك بعده هدريانوس إحدى وعشرين سنة[3].
ثمّ مَلَك من بعده أنطونينوس[4] بن بطيانوس اثنين وعشرين سنة[5].
ثمّ مَلَك مرقوس وأولاده تسع عشرة سنة[6].
ثمّ مَلَك بعده قومودوس ثلاث عشرة سنة[7].
ثمّ مَلَك من بعده فرطيناجوس ستّة أشهر[8].
ثمّ مَلَك بعده سيواروش[9] أربع عشرة سنة[10].
ثمّ مَلَك بعده انطيناوس سبع سنين[11].
ثمّ مَلَك من بعده مرقيانوس ستّ سنين[12].
ثمّ مَلَك من بعده أنطينانوس أربع سنين[13]. وفي مُلكه مات جالينوس الطبيب[14].

= سنيّ ملوك الأرض ٦٠، ونهاية الأرب ١٥/٢٦٥، وتاريخ ابن خلدون ٢/٢٠٣ (١٥ سنة).

(١) الطبري ١/٦٠٦ وفي تاريخ المنبجي ١/١٧٤، وتاريخ اليعقوبي ١/١٤٧، ومروج الذهب ١/٣١٣، ونهاية الأرب ١٥/٢٦٥ (سنة واحدة).

(٢) الطبري ١/٦٠٦، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٠، مروج الذهب ١/٣١٣، المنبجي ١/١٧٤، اليعقوبي ١/١٤٧، النويري ١/٢٦٥، ابن خلدون ٢/٢٠٣.

(٣) الطبري ١/٦٠٦، اليعقوبي ١/١٤٧، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٠، وفي مروج الذهب ١/٣١٣، ونهاية الأرب ١٥/٢٦٥ (١١ سنة)، وفي تاريخ المنبجي ١/١٧٤ (٢٠ سنة).

(٤) في الطبري «ططورس».

(٥) الطبري ١/٦٠٦، المنبجي ١/١٧٥ وفي مروج الذهب ١/٣١٣ ونهاية الأرب ١٥/٢٦٥، وتاريخ سنيّ ملوك الأرض (٢٣ سنة). وفي تاريخ اليعقوبي ١/١٤٧ (٣٣ سنة).

(٦) الطبري ١/٦٠٦، مروج الذهب ١/٣١٣، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٠، وفي تاريخ اليعقوبي ١/١٤٧ (٢٥ سنة).

(٧) الطبري ١/٦٠٦ وفيه «قوذوسوس»، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٠، نهاية الأرب ١٥/٢٦٥ وفي تاريخ المنبجي ١/١٨٠ (١٢ سنة).

(٨) الطبري ١/٦٠٧.

(٩) في تاريخ الطبري ١/٦٠٧ «سيروس»، وفي مروج الذهب، وتاريخ سنيّ ملوك الأرض «سويرس» وكذا في تاريخ المنبجي.

(١٠) الطبري ١/٦٠٧ وفي تاريخ المنبجي ١/١٨٥ (١٥ سنة) وفي مروج الذهب ١/٣١٣، وتاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٠، ونهاية الأرب ١٥/٢٦٥ (١٨ سنة).

(١١) الطبري ١/٦٠٧، مروج الذهب ١/٣١٣، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٠ وفي تاريخ المنبجي ١/١٨٥ (٦ سنين)، وفي نهاية الأرب ١٥/٢٦٥ (٩ سنين).

(١٢) الطبري ١/٦٠٧ وفي تاريخ المنبجي ١/١٨٥ (سنة واحدة).

(١٣) الطبري ١/٦٠٧، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٠، مروج الذهب ١/٣١٤ وفي تاريخ المنبجي ١/١٨٥ (٣ سنين).

ثمّ مَلَك الخسندروس ثلاث عشرة سنة[1].
ثمّ مَلَك مكسيمانوس ثلاث سنين[2].
ثمّ مَلَك جورديانوس ستّ سنين[3].
ثمّ فيلفوس سبع سنين[4].
ثمّ مَلَك داقيوس ستّ سنين[5].
ثمّ مَلَك قالوس ستّ سنين[6].
ثمّ مَلَك والريبانوس وقالينوس خمس عشرة سنة[7].
ثمّ مَلَك قلوديوس سنة[8].
ثمّ مَلَك قريطاليوس شَهْرَيْن[9].
ثمّ مَلَك أورليانوس خمس سنين[10].
ثمّ مَلَك طيقطوس ستّة أشهر[11].
ثمّ مَلَك فولورنوس خمسة وعشرين يوماً[12].
ثمّ مَلَك فروبوس ستّ سنين[13].

---

(١٤) مروج الذهب ١/٣١٤ وتاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٠.

---

(١) الطبري ١/٦٠٧، المسعودي ١/٣١٤، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٠، المنبجي ١/١٨٥، اليعقوبي ١/١٤٧، النويري ١٥/٢٦٥.
(٢) في الطبري ١/٦٠٧ «غسميانوس». المسعودي ١/٣١٤، اليعقوبي ١/١٤٧، وتاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦١.
(٣) الطبري ١/٦٠٧، المسعودي ١/٣١٤، المنبجي ١/١٨٥، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦١ وفي تاريخ اليعقوبي ١/١٤٧ (٣ سنين).
(٤) الطبري ١/٦٠٧ وفي تاريخ اليعقوبي ١/١٤٧ (سنتين)، وفي تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦١ (٦ سنين).
(٥) الطبري ١/٦٠٧ وفي تاريخ المنبجي ١/١٨٥ (سنتين) وكذلك في تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦١، وفي تاريخ اليعقوبي ١/١٤٧ (سنة واحدة)، أما في مروج الذهب ١/٣١٤ (ستين سنة) وهذا تصحيف واضح.
(٦) الطبري ١/٦٠٧ وفي تاريخ المنبجي ١/١٨٥ (سنتين)، وفي تاريخ اليعقوبي ١/١٤٧ (٣ سنين)، وفي تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦١ (١٥ سنة).
(٧) الطبري ١/٦٠٧ وانظر: تاريخ اليعقوبي ١/١٤٧ «ولريانوس».
(٨) الطبري ١/٦٠٧، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦١.
(٩) الطبري ١/٦٠٧.
(١٠) الطبري ١/٦٠٧.
(١١) الطبري ١/٦٠٧.
(١٢) الطبري ١/٦٠٧.
(١٣) الطبري ١/٦٠٧.

ثمّ مَلَك دقلطيانوس ستّ سنين[1].
ثمّ مَلَك مخسيميانوس عشرين سنة[2].
ثمّ قسطنطين ثلاثين سنة[3].
ثمّ مَلَك يليانوس سنتَين[4].
ثمّ مَلَك يويانوس سنة.
ثمّ مَلَك والنطيانوس[5] وغرطيانوس عشر سنين.
ثمّ مَلَك خرطيانوس ووالنطيانوس الصغير سنة.
ثمّ مَلَك تياداسيس الأكبر سبع عشرة سنة.
ثمّ ارقاديوس وانوريوس عشرين سنة.
ثمّ مَلَك تياداسيس الأصغرو والنطيانوس ستّ عشرة سنة.
ثمّ مَلَك مرقيانوس سبع سنين.
ثمّ لاو ستّ عشرة سنة.
ثم ملك زانون ثماني عشرة سنة.
ثم ملك أنسطاس سبعاً وعشرين سنة.
ثمّ مَلَك يوسطنيانوس سبع سنين[6].
ثمّ مَلَك يوسطنيانوس الشيخ عشرين سنة.
ثمّ مَلَك يوسطينس اثنتي عشرة سنة.
ثمّ مَلَك طيباريوس ست سنين.
ثمّ مريقيش[7] وتاداسيس ابنه عشرين سنة.
ثمّ مَلَك فوقا الذي قُتل، سبع سنين وستّة أشهر.
ثمّ هِرَقْل الذي كتب إليه النبيّ، ﷺ، ثلاثين سنة[8].
فمن لدن عُمِرَ البيت المقدس بعد أن أخربه بخت نصرّ إلى الهجرة، على قولهم،

---

(١) الطبري ١/٦٠٧.
(٢) الطبري، وفي تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦١ (١٩ سنة).
(٣) الطبري ١/٦٠٧ وبعده: «ثم قسطنطين، ثلاثين سنة، ثم قسطنطين عشرين سنة».
(٤) في الطبري ١/٦٠٨ «اليانوس المنافق».
(٥) في الطبري «والمطيانوس».
(٦) في طبعة صادر ١/٣٢٣ «تسع»، وما أثبتناه يتفق مع جميع نُسخ الأصل، والطبري ١/٦٠٨.
(٧) في الطبري «مريقيس» بالسين المهملة.
(٨) في طبعة صادر ١/٣٢٣ «ثلاث سنين»، والتصويب من الطبري ١/٦٠٨ ويراجع تاريخ اليعقوبي ١/١٥٥، ١٥٦ في أسماء الملوك وتواريخهم. وكذلك تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٢، ومروج الذهب ١/٣٢٢ - ٣٢٧.

ألف سنة ونيف، ومن مُلك الإسكندر إليها تسعمائة ونيف وعشرون سنة، فمن ذلك من وقت ظهوره إلى مولد عيسى، عليه السلام، ثلاثمائة سنة وثلاث سنين، ومن مولده إلى ارتفاعه اثنتان وثلاثون سنة، ومن وقت ارتفاعه إلى الهجرة خمسمائة وخمس وثمانون سنة وأَشْهُر.

هذا الذي ذكره أبو جعفر[1] من عدد ملوك الروم، وقد أخلى ذِكْرَهم عن شيء من الحوادث التي كانت في أيّامهم، وقد سطرها غيره من العلماء بالتاريخ، وخالفه في كثير منها، ووافقه في الباقي، مع مخالفة الاسم، وأضاف إلى أسمائهم ذِكرَ شيءٍ من الحوادث في أيّامهم، وأنا أذكره مختصراً، إن شاء الله.

(١) أي الطبري في تاريخه ١/٦٠٦ ـ ٦٠٨.

ذكر ملوك الروم، وهم ثلاث طبقات
فالطبقة الأولى الصابئون[1]

ذكر غير واحد من علماء التاريخ أنّ الروم غَلَبَت اليونان، وهم ولد صوفير[2]، والإسرائيليّون يدّعون أنّ صوفير[2] هو الأصفر بن نفر[3] بن عيص[4] بن إسحاق بن إبراهيم، وكانوا ينزلون رومية قبل غَلَبَتهم على اليونان، وكانوا يدينون قبل النصرانيّة بمذهب الصابئين، ولهم أصنام يعبدونها على عادة الصابئين. فكان أوّل ملوكهم برومية غاليوس، وكان مُلْكه ثماني عشرة سنة[5].

وقيل: كان مَلَك قبله روملس وأرمانوس، وهما بنياها، وإليهما نُسبت، وأضيف الروم إليها، وإنّما غاليوس أوّل من يُعدّ في التاريخ لشُهرته.

ثمّ مَلَك بعده يوليوس أربع سنين وأربعة أشهر[6].

ثمّ مَلَك أوغسطس، ومعناه الصباء، وهو أوّل مَن سُمّي قيصر. وتفسير ذلك أنّه شُقّ عنه بطن أمّه لأنّها ماتت وهي حامل به، فأُخرج من بطنها، ثمّ صار ذلك لَقَباً لملوكهم. وكان مُلْكه ستّاً وخمسين سنة وخمسة أشهر، وأكثر المؤرّخين يبتدئون باسمه لأنّه أوّل مَنْ خرج من رومية، وسيّر الجنود برّاً وبحراً، وغزا اليونانيّين، واستولى على مُلْكهم، وقتل قلوبطرة آخر ملوكهم، واستولى على الإسكندريّة ونقل ما فيها إلى رومية، ومَلَك الشام، واضمحلّ ملك اليونانيّين، ودخلوا في الروم، واستخلف على البيت المقدس هيرودس بن أنطيقوس؛ ولاثنتين وأربعين سنة من ملكه كانت ولادة المسيح، وهو الذي بنى قيصارية[7].

---

(١) هذا الموضوع ليس في تاريخ الطبري، والمؤلّف ينقل عن مصادر أخرى، سنشير إلى بعضها في موضعه.

(٢) في النسختين (ت) و(ر): «صوفر».

(٣) في الأصل، والنسختين (ب) و(ت): «يعز».

(٤) في تاريخ اليعقوبي ١٤٦/١: «هم ولد روم بن سماحير بن هويا بن علقا بن عيصو..».

(٥) في تاريخ اليعقوبي «اثنتين وعشرين سنة».

(٦) في تاريخ المنبجي ١٦٣/١ «وثمانية شهور».

(٧) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٥، تاريخ المنبجي ١٦٥/١، ١٦٦، تاريخ ابن العبري ٦٥ وفي تاريخ اليعقوبي ١٤٦/١ اتصل ملكه «ثلاثاً وأربعين سنة».

ثمّ مَلك بعده طيباريوس ثلاثاً وعشرين سنة، وهو الذي بنى مدينة طبرية، فأُضيفت إليه، وعرّبها العرب؛ وفي مُلكه رُفع المسيح، عليه السلام، وملك بعد رفعه ثلاث سنين[1].

ثمّ مَلَك بعده ابنه غايوس أربع سنين، وهو الذي قتل اصطفنوس رئيس الشمامسة عند النصارى، ويعقوب أخا يوحنا بن زبدي، وهما من الحواريّين، وقتل خلقاً من النصارى، وهو أوّل الملوك من عبّاد الأصنام قتل النصارى[2].

ثمّ مَلَك قلوديوس بن طيباريوس أربع عشرة سنة[3]، وفي مُلْكه حُبس شمعون الصفا، ثمّ خلص شمعون من الحبس وسار إلى أنطاكية، فدعا إلى النصرانيّة، ثمّ سار إلى رومية فدعا أهلها أيضاً، فأجابته زوجة الملك، وسارت إلى البيت المقدس، وأخرجت الخشبة التي تزعم النصارى أنّ المسيح صُلب عليها، وكانت في أيدي اليهود، فأخذتها وردّتها إلى النصارى.

ثمّ ملك نيرون ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر، وفي آخر مُلْكه قتل بطرس وبولس بمدينة رومية، وصلبهما منكّسين. وفي أيّامه ظفرت اليهود بيعقوب بن يوسف[4]، وهو أوّل الأساقفة بالبيت المقدس، فقتلوه وأخذوا خشبة الصليب فدفنوها. وفي أيّامه كان مارينوس الحكيم صاحب كتاب الجغرافيا في صورة الأرض.

ثمّ مَلَك بعده غلباس سبعة أشهر[5].

ثمّ مَلَك أوثون ثلاثة أشهر.

ثمّ مَلَك بيطاليس أحد عشر شهراً.

ثمّ مَلَك اسباسيانوس تسع[6] سنين وسبعة أشهر، وفي أيّامه خالف أهل البيت المقدس قيصر، فحصرهم وافتتح المدينة عَنوةً، وقتل كثيراً من أهلها من اليهود

---

(١) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٥، تاريخ اليعقوبي ١/١٤٦، تاريخ المنبجي ١/١٦٦، مروج الذهب ١/٣١٠، تاريخ ابن العبري ٦٦.

(٢) الخبر في تاريخ المنبجي ١/١٧١، وتاريخ ابن العبري ٦٨، ومروج الذهب ١/٣١٠، وتاريخ اليعقوبي ١/١٤٦، وتاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٥ وفيه ينسب قتل النصارى إلى «قلودفس».

(٣) تاريخ اليعقوبي ١/١٤٦، تاريخ المنبجي ١/١٧١، مروج الذهب ١/٣١٠، ٣١١، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٥، وفي تاريخ ابن العبري «خمس عشرة سنة» (ص ٦٨).

(٤) الخبر في تاريخ المنبجي ١/١٧١، ومروج الذهب ١/٣١٢، وتاريخ ابن العبري ٦٩.

(٥) في تاريخ المنبجي ١/١٧٢ «ثلاثة شهور».

(٦) في طبعة صادر ١/٣٢٥ «سبع» وما أثبتناه عن تاريخ المنبجي ١/١٧٢ وفي تاريخ اليعقوبي ١/١٤٦ وابن العبري ٦٩ (عشر سنين).

والنصارى، وعمّهم الأذى في أيّامه[1].

ثمّ مَلَك ابنه طيطوس[2] سنتين وثلاثة أشهر. وفي أيّامه أظهر مرقيون مقالته بالاثنين، وهما: الخير والشرّ، وبعد ثالث بينهما، وإليه تُنسب المرقونيّة؛ وهو من أهل حرّان.

ثمّ مَلَك ذومطيانش بن اسباسيانوس خمس عشرة سنة وعشرة أشهر، ولتسع سنين من مُلكه نفى يوحنّا الحواريّ كاتب الإنجيل إلى جزيرة في البحر، ثمّ ردّه[3].

ثمّ مَلَك نرواس سنة وخمس أشهر[4].

ثمّ ملك طرايانوس تسع عشرة سنة[5]، وفي السادسة من مُلكه توفّي يوحنّا[6] كاتب الإنجيل بمدينة أفسيس.

ثمّ مَلَك إيليا اندريانوس عشرين سنة[7]، وقتل من اليهود والنصارى خلقاً كثيراً لخلاف كان منهم عليه، وأخرب البيت المقدس، وهو آخر خرابه، فلمّا مضى من ملكه ثماني سنين عمره أيضاً وسمّاه إيليا، فبقي الاسمُ عليه، فكان قبل ذلك يسمّى أورشلم[8]، وأسكن المدينة جماعةً من الروم واليونان، وبنى هيكلاً عظيماً للزُّهَرة، وكان عالي البنيان، فهُدم من أعلاه كثير[9].

وهو باقٍ [إلى] يومنا هذا، وهو سنة ثلاث وستّمائة، وقد رأيتُه، وهو مُحكَم البناء، ولا أدري كيف نُسب إلى داود وقد بُني بعده بدهر طويل، على أنّني سمعتُ بالبيت المقدّس من جماعة يذكرون أنّ داود بناه وكان يتفرّغ فيه لعبادته.

وفي أيّام هذا الملك كان ساقيدس الفيلسوف الصامت.

---

(١) تاريخ المنبجي ١/١٧٢، مروج الذهب ١/٣١٢، ٣١٣، تاريخ اليعقوبي ١/١٤٦، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٥، وتاريخ ابن العبري ٦٩، ٧٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١/١٤٦، المنبجي ١/١٧٤، مروج الذهب ١/٣١٢، ٣١٣، ابن العبري ٧٠.

(٣) الخبر في مروج الذهب ١/٣١٣، وتاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٥، وتاريخ ابن العبري ٧٠، وانظر: تاريخ اليعقوبي ١/١٤٦، ١٤٧، وتاريخ المنبجي ١/١٧٤.

(٤) المنبجي ١/١٧٤، المسعودي ١/٣١٣، اليعقوبي ١/١٤٧ وفيه اسمه «يهودس»، ابن العبري ٧٠ وفيه نارون».

(٥) تاريخ اليعقوبي ١/١٤٧، وفي نسخة للمسعودي - ص ٣١٣ حاشية ٢، وابن العبري ٧١.

(٦) في مروج الذهب ١/٣١٣ مات يوحنّا لتسع سنين خَلَت من مُلك طريانوس.

(٧) في مروج الذهب ١/٣١٣: إحدى عشرة سنة.

(٨) الخبر في تاريخ المنبجي ١/١٧٤.

(٩) المنبجي ١/١٧٤، اليعقوبي ١/١٤٧، المسعودي ١/٣١٣، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٥، ابن العبري ٧١، ٧٢.

ثمّ مَلَك أنطنينس بيوس اثنتين وعشرين سنة[1].

وفي أيّامه كان بطلميوس صاحب المجسطي والجغرافيا وغيرهما[2].

وقيل: إنّه من ولد قلوديوس، ولهذا قيل له القلوديّ نسبة إليه، وهو السادس من ملوك الروم. ودليل كونه في هذا الزمان، وليس من ملوك اليونان، أنّه ذكر في كتاب المجسطي أنّه رصد الشمس بالإسكندريّة سنة ثمانمائة وثمانين لبُخْتَ نَصَّر، وكان من مُلْك بُخْتَ نَصَّر إلى قتل دارا أربعمائة وتسع وعشرون سنة، وثلاثمائة وستّة عشر يوماً، ومن قَتْل دارا إلى زوال ملك قلوبطرة الملكة، آخر ملوك اليونان، على يد أوغسطس مائتا سنة وستّ وثمانون سنة، ومُذْ غَلَبَة أوغسطس إلى أنطنينوس مائةٌ وسبعٌ وستّون[3] سنة، فمُذْ مَلَك بُخْت نَصَّر إلى أدريانوس ثمانمائة وثلاث وثمانون سنة تقريباً، وهذا موافق لما حكاه بطلميوس.

قال: ومن زعم أنّ[4] ابن قلوبطرة آخر ملوك اليونانيّين، فقد أبطل ذِكَر هذا بعض العلماء بالتاريخ، وعدّ ملوك اليونان، وذكر مدّة مُلكهم على ما قال.

وأمّا أبو جعفر الطبريّ[5] فإنّه ذكر في مدّة مُلكهم مائتي سنة وسبعاً وعشرين سنة، على ما تقدّم ذكره.

ثمّ مَلَك بعده مرقس، ويسمّى أورليوس[6]، تسع عشرة سنة، وفي ملكه أظهر ابنُ ديصان مقالته[7]، وكان أسقفاً بالرُّهاء، وهو من القائلين بالاثنين، ونُسب إلى نهر على باب الرُّهاء يسمّى ديصان، وجد عليه منبوذاً، وبنى على هذا النهر كنيسة.

ثمّ مَلَك قومودوس اثنتي عشرة سنة[8]، وفي أيّامه كان جالينوس[9] قد أدرك

---

(١) المنبجي ١/١٧٥، ابن العبري ٧٢ وفي تاريخ اليعقوبي ١/١٤٧ (ثلاثاً وثلاثين سنة). وينسب إليه الأصفهاني في تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٥ والمسعودي ١/٣١٣ إعادة بناء بيت المقدس وسمّاه إيليا. وقد مرّ عند المؤلّف أن البناء والتسمية للملك إيليا اندريانوس.

(٢) تاريخ ابن العبري ٧٣.

(٣) في النسختين (ب) و(ت): «وسبعون».

(٤) في الطبعة الأوروبية «أنه».

(٥) راجع تايخه ١/٦٠٦ ـ ٦٠٨.

(٦) المنبجي ١/١٧٥ ـ ١٨٠، المسعودي ١/٣١٣، ابن العبري ٧٣.

(٧) ابن العبري ٧٤، المنبجي ١/١٨١ وفيه «برديصان».

(٨) المنبجي ١/١٨٠، ابن العبري ٧٣، المسعودي ١/٣١٣.

(٩) ابن العبري ٧٢، المنبجي ١/١٨٠.

بطلميوس القلوديّ[1]، وكان دين النصرانيّة قد ظهر في أيّامه وذكرهم في كتابه في: جوامع كتاب أفلاطون في السياسة.

ثمّ مَلَك برطينقش ثلاثة أشهر[2].

ثمّ مَلَك يوليانوس شهرين[3].

ثمّ مَلَك سيوارس سبع عشرة سنة[4]، وشملَ اليهودَ والنصارى في أيّامه القتلُ والتشريد[5]، وبنى بالإسكندريّة هيكلاً عظيماً سمّاه هيكل الآلهة.

ثمّ مَلَك أنطونيوس ستّ سنين[6].

ثمّ مَلَك مقرونيوس سنة وشهرين[7].

ثمّ مَلَك أنطونيوس الثاني أربع سنين[8].

ثمّ مَلَك الأكصندروس، ويلقّب ماماس، ثلاث عشرة سنة[9].

ثمّ مَلَك مقسيمانوس ثلاث سنين[10].

ثمّ مَلَك مقسموس ثلاثة أشهر[11].

ثمّ مَلَك غرديانوس ستّ سنين[12].

ثمّ مَلَك فليبوس ستّ سنين[13]، وتنصّر وترك دين الصابئين، وَتَبِعه كثيرٌ من أهل مملكته، واختلفوا لذلك، وكان فيمن خالفه بِطْريق يقال له داقيوس، قتل فليبوس واستولى على الملك.

---

(١) ابن العبري ٧٣.

(٢) في تاريخ المنبجي ١/١٨٥ اسمه «برينيكوس»، وفي تاريخ ابن العبري ٧٤ اسمه «فرطيناخس»، وملك ستة أشهر وقتل غيلة في مجلسه.

(٣) المنبجي ١/١٨٥ وفيه اسمه «ديدنوس».

(٤) عند المنبجي ١/١٨٥ (١٥ سنة)، وعند المسعودي ١/٣١٣، وابن العبري ٧٤ (١٨ سنة).

(٥) ابن العبري ٧٤.

(٦) هكذا عند المنبجي ١/١٨٥ وعند المسعودي ١/٣١٣، وابن العبري ٧٤ (٧ سنين).

(٧) المنبجي ١/١٨٥، ابن العبري ٧٤.

(٨) المسعودي ١/٣١٤، ابن العبري ٧٤، وعند المنبجي ١/١٨٥ (٣ سنين).

(٩) اليعقوبي ١/١٤٧، المنبجي ١/١٨٥، المسعودي ١/٣١٤، ابن العبري ٣١٤.

(١٠) المسعودي ١/٣١٤، اليعقوبي ١/١٤٧، ابن العبري ٧٤.

(١١) المنبجي ١/١٨٥ وفي النسخة اضطراب.

(١٢) المنبجي ١/١٨٥، المسعودي ١/٣١٤، ابن العبري ٧٤، وفي تاريخ اليعقوبي ١/١٤٧ (ثلاث سنين).

(١٣) في تاريخ المنبجي ١/١٨٥، وتاريخ ابن العبري ٧٥ (سبع سنين)، وفي تاريخ اليعقوبي ١/١٤٧ (سنتين).

ثمّ مَلَك بعد فيلبوس داقيوس سنتين[1]، وتتبّع النصارى، فهرب منه أصحاب الكهف إلى غارٍ في جبل شرقيّ أفسيس[2]، وقد خربت المدينة، وكان لَبْثُهم فيه مائة[3] وخمسين سنة.

وهذا باطل، لأنّه على هذا السياق من حين[4] رُفع المسيح، إلى الآن، نحو مائتَيْ سنة وخمس عشرة سنة، وكان لبْث أصحاب الكهف، على ما نطق به القرآن المجيد ﴿ثَلَاثَمِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً﴾[5]، فذلك خمسمائة سنة وأربع وعشرون سنة، فعلى هذا يكون ظهورهم قبل الإسلام بنحو ستّين سنة، وقد ذكرنا من لَدُن ظهورهم إلى الهجرة زيادة على مائتَيْ سنة، فهذه الجملة أكثر من الفترة بين المسيح والنبيّ، عليهما الصلاة والسلام، إلّا أنّ هذا الناقل قد ذكر أنّ غيبتهم كانت مائة وخمسين سنة، على ما نراه مذكوراً، وفيه مخالفة للقرآن، ولولا نصّ القرآن لكان استقام له ما يريد[6].

* * *

ثمّ مَلَك بعده غاليوس سنتَين[7]، وكان شريكه في المُلْك يوليانوس، مَلَك خمسَ عشرةَ سنة.

ثمّ مَلَك قلوديوس سنة[8].

ثمّ مَلَك ابنه أورليانوس ستّ سنين[9].

ثمّ مَلَك طافسطوس وأخوه فورس تسعة أشهر[10].

ثمّ بروبس تسع سنين.

---

(١) المنبجي ١/١٨٥، وفي مروج الذهب ١/٣١٤ (ستين سنة) وهذا وهم.

(٢) في النسخة (ر): أفسس، وهي كذلك في تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٥ وفيه الخبر، وانظر: المنبجي ١/١٨٥، والمسعودي ١/٣١٤، وابن العبري ٧٥.

(٣) في النسخة (ب): «ثلث مايه».

(٤) في الطبعة الأوربية «حيث».

(٥) الكهف/٢٥.

(٦) قال الأصفهاني في تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٥: «وفي أخبار نصارى الروم ان الله أنشرهم بعد ثلاثمائة وتسع سنين من موتهم لملك من ملوك الروم كان يشك في النشور». وهذا القول يتفق تماماً مع ما جاء في القرآن الكريم.

(٧) المنبجي ١/١٨٥، ابن العبري ٧٥.

(٨) في الأصل، وبقية النسخ دون السنة، وما أثبتناه عن النسخة (ر).

(٩) اليعقوبي ١/١٤٧، وتاريخ ابن العبري ٧٦.

(١٠) ابن العبري ٧٧ وفيه (ستة أشهر).

ثمّ مَلَك قاروس سنتين وخمسة أشهر [1].

ثمّ مَلَك دقلطيانوس سبع عشرة سنة [2].

ثمّ مَلَك مقسيمانوس وشاركه مقسنطيوس، ثمّ اقتتلا فاقتسما المُلْكَ، فملك الأبُ على الشام وبلاد الجزيرة وبعض الروم، وملك الابنُ رومية وما اتصل بها من أرض الفرنج، وملكا تسع سنين[3].

وتملّك معهما قسطنس أبو قسطنطين بلاد بوزنطيا[4] وما يليها، وهي نواحي القسطنطينيّة، ولم تكن بُنيت حينئذٍ، ثمّ مات قسطنس، ومَلَك بعده ابنه قسطنطين، المعروف بأمّه هيلاني، وهو الذي تنصّر[5].

قال: ومن أوّل ملوك الروم إلى هاهنا، كانوا شبيهاً بملوك الطوائف، لا ينضبط عددهم، وقد اختلف النّاسُ فيهم كاختلافهم في ملوك الطوائف، وإنّما الذي يعوَّل عليه من قسطنطين إلى هِرَقْل، الذي بُعِث محمّد، ﷺ، في أيّامه، ولقد صدق قائل هذا، فإنّ فيه من الاختلاف والتناقض ما ذكرنا بعضه، عند ذكر دقيوس وأصحاب الكهف، ولهذه العلّة لم يذكر الطبريّ[6] أصحاب الكهف في زمان أيّ الملوك كانوا، وإنّما ذكرناه نحن، لِما في أيّام الملوك من الحوادث.

---

(١) المنبجي ١/ ١٩٠، ابن العبري ٧٧ وفي تاريخ اليعقوبي ١/ ١٤٧ (سبع سنين)، وانظر المسعودي ١/ ٣١٥.

(٢) عند المسعودي ١/ ٣١٥ (عشر سنين)، وفي تاريخ اليعقوبي ١/ ١٤٧ وتاريخ ابن العبري ٧٧ (عشرين سنة)، وفي تاريخ المنبجي ١/ ١٩٠ (اثنتين وعشرين سنة).

(٣) المنبجي ١/ ١٩١.

(٤) في طبعة صادر ١/ ٣٢٩ «بورنطيا» بالراء المهملة. والتصحيح من تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٦، ومروج الذهب ١/ ٣١٧.

(٥) المنبجي ١/ ١٩١، والأصفهاني ٦٦، اليعقوبي ١/ ١٥٣، مروج الذهب ١/ ٣١٧، ابن العبري ٧٩.

(٦) أنظر تاريخه ٢/ ٧.

الطبقة الثانية من ملوك الروم المتنصّرة[1]

ثمّ ملك قسطنطين المعروف بأمّه هيلانى في جميع بلاد الروم، وجرى بينه وبين مقسيمانوس وابنه حروب كثيرة، فلمّا ماتا استولى على الملك وتفرّد به، وكان مُلْكه ثلاثاً وثلاثين سنة وثلاثة أشهر، وهو الذي تنصّر من ملوك الروم، وقاتل عليها، حتى قبلها النّاس ودانوا بها إلى هذا الوقت.

وقد اختلفوا في سبب تنصّره، فقيل: إنّه كان به بَرَص، وأرادوا نزعه[2] فأشار عليه بعضُ وزرائه ممّن كان يكتم النصرانيّة، بإحداث دِين يقاتل عليه، ثمّ حسّن له النصرانيّة ليساعده من دان به، ففعل ذلك، فَتَبِعَه النصارى من الروم مع أصحابه وخاصّته، فقوي بهم، وقهر مَنْ خالفه[3].

وقيل: إنّه سيّر عساكر على أسماء أصنامهم، فانهزمت العساكر. وكان لهم سبعة أصنام على أسماء الكواكب السبعة، على عادة الصابئين، فقال له وزير له يكتم النصرانيّة في هذا وأزرى بالأصنام وأشار عليه بالنصرانيّة. فأجابه، فظفر، ودام ملكه؛ وقيل غير ذلك[4].

وهو الذي بنى مدينة القسطنطينية[5] لثلاث سنين خَلَت من مُلكه، بمكانها الآن، اختاره لحصانته، وهي على الخليج الآخذ من البحر الأسود[6] إلى بحر الروم، والمدينة

---

(١) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٦، تاريخ اليعقوبي ١٥٣/١، تاريخ المنبجي ١٩٢/١، مروج الذهب ٣١٧/١، نهاية الأرب ٢٧٣/١٥، تاريخ ابن العبري ٧٩، تاريخ ابن خلدون ٢١٠/٢ ويُراجَعُ كتاب: الروم وصِلاتهم بالعرب للدكتور أسد رستم ٥٣/١ وما بعدها.

(٢) في النسخة (ب): «برءه».

(٣) لطف التدبير ٤٨.

(٤) راجع قولاً آخر حول سبب تَنصّره في: تاريخ اليعقوبي ١٥٣/١، ومروج الذهب ٣١٨/١، وتاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٦، وتاريخ المنبجي ١٩٢/١، وتاريخ ابن العبري ٧٩.

(٥) المصادر المذكورة، ولطف التدبير ٤٩.

(٦) في النسخة (ب): «الخزر».

على البرّ المتّصل برومية وبلاد الفرنج والأندلس؛ والروم تسميّها استنبول، يعني مدينة المُلْك.

ولعشرين سنة مضت من مُلكه كان السنهودس الأوّل بمدينة نيقية، من بلاد الروم، ومعناه الاجتماع، فيه ألفان وثمانية وأربعون أسقفّاً، فاختار منهم ثلاثمئة وثمانية عشر أسْقُفّاً[1]، متّفقين غير مختلفين، فحرموا آريوس الإسكندراني[2] الذي يضاف إليه الآريوسيّة من النصارى، ووضع شرائع النصرانيّة بعد أن لم تكن، وكان رئيس هذا المجمع بَطرق الإسكندريّة.

وفي السنة السابعة من مُلْكه سارت أمّه هيلانى الرُّهاويّة، كان أبوه سباها من الرُّهاء، فأولدها هذا الملك، فسارت إلى البيت المقدس، وأخرجت الخشبة التي تزعمُ النصارى أنّ المسيح صُلب عليها، وجعلت ذلك اليوم عيداً، فهو عيد الصليب[3]، وبنَت الكنيسة المعروفة بقُمامة، وتسمّى القيامة، وهي إلى وقتنا هذا يحجّها أنواعُ النصارى.

وقيل: كان مسيرها بعد ذلك، لأنّ ابنها دان بالنصرانيّة، في قول بعضهم، بعد عشرين سنة من ملكه. وفي السنة الحادية والعشرين من مُلْكه طبَّق جميعَ ممالكه بالبِيَع هو وأمّه، منها: كنيسة حمص[4]، وكنيسة الرُّهاء، وهي من العجائب.

ثمّ مَلَك بعده قسطنطين أنطاكية أربعاً وعشرين سنة[5]، بعهدٍ من أبيه إليه، وسلّم إليه القسطنطينيّة، وإلى أخيه قسطنس أنطاكيةَ، والشامَ، ومصرَ، والجزيرةَ، وإلى أخيه قسطوس رومية وما يليها من بلاد الفرنج والصقالبة، وأخذ عليهما المواثيق بالانقياد لأخيهما قسطنطين.

ثمّ مَلَك بعده يوليانوس ابن أخيه سنتين، وكان يدين بمذهب الصابئين ويخفي ذلك. فلمّا مَلَك أظهرها، وخرّب البِيَع، وقتل النصارى[6]، وهو الذي سار إلى العراق أيّام

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١/١٥٣، ابن العبري ٨٠، وفي تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٦ (ثلاثماية واثنا عشر أسقفاً). والخبر في تاريخ المنبجي ١/٢٠٣، ومروج الذهب ١/٣١٩.

(٢) كان آريوس يقول بعدم أُلوهيّة المسيح عليه السلام، فهو ابن مخلوق، كما أن الروح القُدُس مخلوقة، وقد أثار قوله عاصفة من الانتقاد في العالم المسيحي كله، فكان انعقاد مجمع نيقية من أجل بحث هذا الأمر الخطير. (أنظر: الروم وصِلاتهم بالعرب ١/٥٦، مقارنة الأديان، للدكتور أحمد شلبي ٢/٥٦، وتاريخ المنبجي ١/٢٠٠، وتاريخ اليعقوبي ١/١٥٣، وابن العبري ٨٠).

(٣) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٦، مروج الذهب ١/٣١٧، ابن العبري ٧٩.

(٤) مروج الذهب ١/٣١٧، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٦ والمؤلّف يستعمل بعض ألفاظه.

(٥) مروج الذهب ١/٣٢٢ وانظر عنه: تاريخ المنبجي ١/٢٢٠ وما بعدها، وتاريخ ابن العبري ٨١، وابن خلدون ٢/٢١٢، ٢١٣.

(٦) المنبجي ١/٢٢٠، المسعودي ١/٣٢٢، اليعقوبي ١/١٥٤، الأصفهاني ٦٦، نهاية الأرب ١٥/٢٧٥، ابن=

سابور بن أردشير فقُتل بسهم غَرِب[1].

وقد ذكر أبو جعفر[2] خبر هذا الملك مع سابور ذي الأكتاف، وهو بعد سابور بن أردشير[3].

ثمّ مَلَك بعده يونيانوس[4] سنة، فأظهر دين النصرانيّة ودان بها، وعاد من العراق.

ثمّ مَلَك بعده ولنطيوش[5] اثنتي عشرة سنة وخمسة أشهر.

ثمّ مَلَك والنس[6] ثلاث سنين وثلاثة أشهر.

ثمّ مَلَك والنطيانوس ثلاث سنين[7].

ثمّ مَلَك تدوس[8] الكبير، ومعناه عطيّة الله، تسع عشرة سنة، وفي مُلكه كان السنهودس الثاني بمدينة القسطنطينيّة، اجتمع فيه مائة وخمسون أسقفاً، لَعَنُوا مقدونس وأشياعه، وكان فيه بَطرق الإسكندريّة، وبطرق أنطاكية، وبطرق البيت المقدس، والمدن التي يكون فيها كراسي البطرق أربع: إحداها رومية، وهي لبطرس الحواريّ، والثانية[9] الإسكندريّة، وهي لمُرقس أحد أصحاب الأناجيل الأربعة، والثالثة القسطنطينيّة، والرابعة أنطاكية، وهي لبطرس أيضاً.

ولثماني سنين من مُلْكه ظهر أصحاب الكهف.

ثمّ مَلَك بعده أرقاديوس بن تدوس ثلاث عشرة سنة[10].

ثمّ مَلَك تدوس الصغير بن تدوس الكبير اثنتين وأربعين سنة[11]، ولإحدى وعشرين

---

* خلدون ٢/٢١٣.

(١) تاريخ سنيّ ملوك الأرض للأصفهاني ٦٦، المسعودي ١/٣٢٢.

(٢) في تاريخه ٢/٥٨.

(٣) ذكر ابن العبري في تاريخه (ص ٨١) أن يوليانوس سُمّي بارابطيس، أي المارق، لأنه خلع ربقة النصرانية من عنقه وعبد الأصنام.

(٤) ويقال «يوبيانوس». وانظر عنه: تاريخ المنبجي ١/٢٢٧، مروج الذهب ١/٣٢٢، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٦، تاريخ ابن العبري ٨٢.

(٥) المنبجي ١/٢٢٨ وفيه «والنتانوس»: ابن العبري ٨٣.

(٦) المنبجي ١/٢٢٨ وفيه «والس»، ابن العبري ٨٣.

(٧) في تاريخ اليعقوبي ١/١٥٤ (أربع سنين).

(٨) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٦، ٦٧، تاريخ اليعقوبي ١/١٥٤، مروج الذهب ١/٣٢٣، ٣٢٤، تاريخ المنبجي ١/٢٢٩، ابن العبري ٨٣، نهاية الأرب ١٥/٢٧٦.

(٩) في الأصل «والثاني».

(١٠) تاريخ ابن العبري ٨٤، وفي مروج الذهب ١/٣٢٤ (أربع عشرة سنة).

(١١) مروج الذهب ١/٣٢٤، ٣٢٥، ابن العبري ٨٤، اليعقوبي ١/١٥٥، المنبجي ١/٢٣٠ وعند اليعقوبي:=

سنة من مُلكه كان السنهودس الثالث بمدينة أفسس، وحضر هذا المجمع مائتا أسقف، وكان سببه ما ظهر من نسطورس بَطرق القسطنطينيّة، وهو رأى النسطوريّة من النصارى، من مخالفة مذهبهم، فلعنوه ونفوه[1]، فسار إلى صعيد مصر، فأقام ببلاد إخميم، ومات بقرية يقال لها سيصلح[2]، وكثر أتباعه، وصار بسبب ذلك بينهم وبين مخالفيهم حرب وقتال، ثمّ دثرت مقالته إلى أن أحياها برصوما مطران نَصِيبين قديماً.

ومن العجائب أنّ الشهرستانيّ مصنّف كتاب: «نهاية الإقدام في الأصول»، ومصنّف كتاب؛ «المِلَل والنِّحَل»، في ذكر المذاهب والآراء القديمة والجديدة، ذكر فيه أنّ نسطور كان أيّام المأمون[3]، وهذا تفرّد به، ولا أعلم له في ذلك موافقاً.

ثمّ مَلَك بعده مرقيان[4] ستّ سنين. وفي أوّل سنة من مُلْكه كان السنهودس الرابع على تسقرس[5] بَطرق القسطنطينيّة، اجتمع فيه ثلاثمائة وثلاثون أسقفّاً[6]، وفي هذا المجمع خالفت اليعقوبيّة[7] سائر النصارى.

ثمّ مَلَك ليون الكبير ستّ عشرة سنة[8].

ثمّ مَلَك ليون الصغير سنة[9]، وكان يعقوبيّ المذهب.

ثمّ مَلَك زينون[10] سبع سنين، وكان يعقوبيّاً، فزهد في الملك فاستخلف ابناً له،

= ملك سبعاً وعشرين سنة.

(1) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٦، مروج الذهب ١/٣٢٤، تاريخ اليعقوبي ١/١٥٥، ابن العبري ١/٨٥.

(2) في النسخ (ب) و(ت) و(ر): «سيفلح»، وقد أثبتنا ما في طبعة صادر ١/٣٣٢ حيث لم أجد للقرية ذكراً في المعاجم.

(3) المِلَل والنِّحَل، للشهرستاني ٣/٣٧ طبعة صبيح بالقاهرة. ونَسطور تولّى بطريركية القسطنطينية في سنة ٤٢٨ م. وهو سوري الموطن، أنطاكيّ المذهب، قال: إن المسيح جوهران وكيانان، إله تامّ بجوهره وكيانه، فالأب ولد الإله، ولم يلد إنساناً، والأم ولدت إنساناً، ولم تلد الإله. (اليعقوبي ١/١٥٥).

(4) تاريخ اليعقوبي ١/١٥٥، مروج الذهب ١/٣٢٥، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٦، تاريخ المنبجي ١/٢٣١، نهاية الأرب ١٥/٢٧٧، تاريخ ابن العبري ٨٥.

(5) هكذا في طبعة صادر ١/٣٣٢، والطبعة الأوربية. وفي تاريخ ابن خلدون ٢/٢١٨ «ديسقرس»، وفي تاريخ ابن العبري «ديوسقوروس بطرك الإسكندرية» وكذلك في تاريخ المنبجي ١/٢٣١.

(6) في تاريخ اليعقوبي ١/١٥٥، وتاريخ المنبجي ١/٢٣١، وتاريخ ابن العبري ٨٥ (ستمائة وثلاثون أسقفاً) وكذلك في مروج الذهب ١/٣٢٥.

(7) اليعقوبية: فرقة من فرق النصارى، تُنسب إلى أحد زعمائها وهو يعقوب البراذعي الراهب، وأتباعه هم أتباع المذهب الأرثوذكسي الذي يقول بأنّ للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة. وقد تقرّر ذلك في مجمع أفسس سنة ٤٣١ وهو مذهب الكنائس الشرقية. (أنظر عن البراذعي في مروج الذهب ١/٣٢٥).

(8) مروج الذهب ١/٣٢٥.

(9) مروج الذهب ١/٣٢٥، ابن العبري ٨٦.

(10) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٦، ٦٧، مروج الذهب ١/٣٢٦، تاريخ اليعقوبي ١/١٥٥، نهاية الأرب =

فهلك فعاد إلى المُلْك.

ثمّ مَلَك نسطاس سبعاً وعشرين سنة[1]، وكان يعقوبيّ المذهب، وهو الذي بنى عمّورية[2]، فلمّا حفر أساسها أصاب فيه مالاً وَفَى بالنفقة على بنائها، وفضل منه شيء، بنى به بِيَعاً وأديرة[3].

ثم مَلَك يوسطين سبع سنين[4]، وأكثر القتل في اليعقوبية.

ثمّ مَلَك يوسطانوس تسعاً وعشرين سنة[5]، وبنى بالرُّهاء كنيسة عجيبة[6]. وفي أيّامه كان السنهودس الخامس بالقسطنطينيّة، فحرموا أدريحا أسقف مَنْبج، لقوله بتناسخ الأرواح في أجساد الحيوان، وإنّ الله يفعل ذلك جزاء لما ارتكبوه.

وفي أيّامه كان بين اليعاقبة والملكيّة ببلاد مصر فتن.

وفي أيّامه ثار اليهود بالبيت المقدس، وجبل الخليل، على النصارى، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً؛ وبنى الملك من البِيَع والأديرة شيئاً كثيراً.

ثمّ مَلَك يوسطينوس ثلاث عشرة سنة[7]، وفي أيّامه كان كسرى أنوشروان.

ثمّ ملك طباريوس ثلاث سنين وثمانية أشهر، وكان بينه وبين أنوشِروان مراسلات ومهاداة، وكان مُغْرىً بالبناء وتحسينه وتزويقه[8].

ثمّ ملك مَوْريق عشرين سنة[9] وأربعة أشهر. وفي أيّامه ظهر رجل من أهل مدينة

٢٧٨/١٥، ابن العبري ٨٦.

(١) تاريخ اليعقوبي ١/١٥٦، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٧، ابن العبري ٨٦، نهاية الأرب ٢٧٨/١٥، مروج الذهب ٣٢٦/١ وفيه ملك (تسعاً وعشرين سنة).

(٢) مروج الذهب ٣٢٦/١، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٧، نهاية الأرب ٢٧٨/١٥.

(٣) في الأصل «ديرة». والخبر ينقله المؤلّف عن تاريخ سنيّ ملوك الأرض للأصفهاني - ص ٦٧ وفيه «ديرات».

(٤) في مروج الذهب ٣٢٦/١، (تسع سنين).

(٥) هكذا في تاريخ اليعقوبي ١٥٦/١، وفي مروج الذهب ٣٢٦/١ (تسعاً وثلاثين سنة)، وفي تاريخ ابن العبري ٨٧ (ثماني وثلاثين سنة).

(٦) مروج الذهب ٣٢٦/١، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٧، نهاية الأرب ٢٧٨/١٥.

(٧) مروج الذهب ٣٢٦/١، نهاية الأرب ٢٧٨/١٥، تاريخ ابن العبري ٨٨، وفي تاريخ اليعقوبي ١٥٦/١ (عشرين سنة).

(٨) مروج الذهب ٣٢٦/١، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٧، تاريخ اليعقوبي ١٥٦/١، نهاية الأرب ٢٧٩/١٥، تاريخ ابن العبري ٨٩، تاريخ ابن خلدون ٢٢٠/٢، تاريخ المنبجي ٣٢٥/٢.

(٩) مروج الذهب ٣٢٦/١، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٧، تاريخ ابن العبري ٩٠، نهاية الأرب ٢٧٩/١٥، المنبجي ٣٢٥/٢.

حماة، يُعْرف بمارون، إليه تُنسب المارونيّة من النصارى، وأحدث رأياً يخالف من تقدّمه، وتبعه خلقٌ كثير بالشام، ثمّ إنّهم انقرضوا ولم يُعرف الآن منهم أحد[1].

وهذا مَوْريق هو الذي قصده كسرى أبرويز، حين انهزم من بهرام جوبين[2]، فزوّجه ابنته، وأمدّه بعساكره، وأعاده إلى ملكه، على ما نذكره إن شاء الله.

ثمّ مَلَك بعده فوقاس، وكان من بطارقة مَوْريق، فوثب به، فاغتاله، فقتله[3]، وملك الرومَ بعده، وكان مُلكه ثماني سنين وأربعة أشهر، ولما ملك تتبّع[4] ولدَ موريق وحاشيته بالقتل. فلمّا بلغ ذلك أبرويز غضب، وسيّر الجنود إلى الشام ومصر، فاحتوى عليهما، وقتلوا من النصارى خلقاً كثيراً[5]، وسيرد ذلك عند ذكر أبرويز.

ثمّ ملك هِرَقل[6]، وكان سبب مُلْكه أنّ عساكر الفرس لما فتكت في الروم، ساروا حتى نزلوا على خليج القسطنطينيّة وحصروها، وكان هِرَقْل يحمل الميرة في البحر إلى أهلها، فحسن موقع ذلك من الروم، وبانت شهامتُه وشجاعتُه، وأحبّه الروم، فحملهم على الفتك بفوقاس، وذكّرهم سوءَ آثاره، ففعلوا ذلك، وقتلوه، وملّكوا عليهم هِرَقل.

---

(١) قول المؤلّف هذا مهمّ، فهو إن ثُبِت ينفي وجود طائفة الموارنة في بلاد الشام على أيامه في القرن السابع الهجري، ولكنّنا نرجّح أنه يقصد انقراضهم من مدينة حماة ونواحيها، حيث بقي طائفة منهم في جبل لبنان إلى الآن.

(٢) في النسخة (ب): «جور»، وفي تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٧، «شوبين»، وفي مروج الذهب ١/٣٢٧ «جوبين».

(٣) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٧، تاريخ ابن العبري ٩١، مروج الذهب ١/٣٢٧، نهاية الأرب ١٥/٢٧٩، المنبجي ٢/٣٣٠.

(٤) في الطبعة الأوربية «يتبع».

(٥) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٧.

(٦) مروج الذهب ١/٣٢٧، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٧، تاريخ اليعقوبي ١/١٥٦، تاريخ ابن العبري ٩١، نهاية الأرب ١٥/٢٧٩، تاريخ المنبجي ٢/٣٣٠.

ذكر الطبقة الثالثة من ملوك الروم بعد الهجرة[1]

فأوّلهم هِرَقل، قد ذُكر سبب ملكه، وكان مدّة مُلكه خمساً وعشرين سنة.

وقيلَ: إحدى وثلاثين سنة[2].

وفي أيّامه كان النبيّ، ﷺ، ومنه ملك المسلمون الشام.

ثمّ مَلَك بعده ابنُه قسطنطين، وقيل: هو ابنُ أخيه قسطنطين، وكان مُلْكه تسع سنين وستّة أشهر، وسَيَرِد خبره عند ذكر غزاة الصواري، إن شاء الله.

وفي أيّامه كان السنهودس السادس على لعنِ رجلٍ يقال له قورس الإسكندريّ[3]، خالف الملكيّة[4] ووافق المارونيّة.

ثمّ مَلَك بعده ابنه قسطا خمس عشرة سنة، في خلافة عليّ، عليه السلام، ومعاوية.

ثمّ مَلَك هِرَقْل الأصغر بن قسطنطين أربع سنين وثلاثة أشهر.

ثمّ مَلَك قسطنطين بن قسطا ثلاث عشرة سنة[5]، بعض أيّام معاوية، وأيّام يزيد، وابنه معاوية، ومروان بن الحَكَم، وصدراً من أيّام عبد الملك.

---

(١) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٩، تاريخ اليعقوبي ١/١٥٦، مروج الذهب ١/٣٢٨، تاريخ المنبجي ٢/٣٣١، نهاية الأرب ١٥/٢٧٩، تاريخ ابن خلدون ٢/٢٢٣.

(٢) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٩، اليعقوبي ١/١٥٦، المنبجي ٢/٣٤٥.

(٣) اليعقوبي ١/١٥٦.

(٤) الملكية أو الملكانية، هو المتواتر في الكتب بإحدى الفرقتين الدينيّتين اللّتين نشأتا في مصر المسيحية قبل الإسلام، والثانية هي اليعقوبية، وكان قيامهما نتيجة الخلاف المذهبي الذي قام بها وبسائر بلاد الدولة الرومانية الشرقية حول طبيعة المسيح وجوهره ومشيئته وأقنومه. والملكية على مذهب الكاثوليك وهو مذهب الطبيعتين والمشيئتين الذي اعتنقته كنيسة روما، قرّره مجمع خلقيدونية سنة ٥٤١ الذي حضره الملك فسُمّي المذهب بالملكاني.

(٥) في تاريخ سنّي ملوك الأرض ٦٩ (سبع عشر سنة)، وفي المنتخب من تاريخ المنبجي (بتحقيقنا) (سبعاً وعشرين سنة)، وانظر عنه مروج الذهب وفيه اسمه (قلفط بن مورق) (١/٣٢٩).

. ثمّ مَلَك أسطينان، المعروف بالأخرم، تسع سنين[1] أيّام عبد الملك، ثمّ خلعه الرومُ وخرموا أنفه، وحُمِل إلى بعض الجزائر، فهرب ولحِق بملك الخَزر واستنجده، فلم ينجدْه، فانتقل إلى ملك بُرجان.

ثمّ ملك بعده لونطش ثلاث سنين[2] أيّام عبد الملك، ثمّ ترك المُلْك وترهّب.

ثمّ ملك ابسمير[3]، المعروف بالطرسوسي، سبع سنين[4]، فقصده أسطينان ومعه برجان، وجرى بينهما حروب كثيرة، وظفر به أسطينان، وخلعه وعاد ألى مُلْكه، فكان ذلك أيّام الوليد بن عبد الملك.

واستقرّ أسطينان، وكان قد شرط لملك برجان أن يحمل إليه خراجاً كلّ سنة، فعسف الرومَ، وقتل بها[5] خلقاً كثيراً، فاجتمعوا عليه وقتلوه، فكان مُلْكه الثاني سنتين ونصفاً، وكان قتْله أوّل دولة سليمان بن عبد الملك.

ثمّ ملك نسطاس بن فيلفوس[6]، وكان في أيّامه اختلاف بين الرومَ فخلعوه ونفوه[7].

ثمّ مَلَك تيدوس[8] المعروف بالأرمنيّ في أيّام سليمان بن عبد الملك أيضاً، وهو الذي حصره مَسْلمة بن عبد الملك.

ثمّ مَلَك بعده اليون بن قسطنطين لضَعفه عن المُلْك، وضمن أليون للروم ردّ المسلمين عن القسطنطينيّة، فملّكوه، فكان مُلْكه ستّاً وعشرين سنة[9]، ومات في السنة التي بويع فيها الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

ثمّ مَلَك بعده ابنه قسطنطين إحدى وعشرين سنة[10] وفي أيّامه انقرضت الدولةُ الأمويّة، وتوفّي لعشر سنين مضت من أيّام المنصور.

---

(١) في المنتخب من تاريخ المنبجي ٧٨، وتاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٩ (عشر سنين).

(٢) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٩.

(٣) هو «طبارس» أو «طيباريوس».

(٤) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٩، المنتخب من تاريخ المنبجي ٧٩.

(٥) في النسخة (ر): «منهم».

(٦) في المنتخب من تاريخ المنبجي ٨٢ أثبتناه «فيليفيقوس».

(٧) المنتخب من تاريخ المنبجي (بتحقيقنا). ص ٢٨.

(٨) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٩، المنتخب من تاريخ المنبجي ٨٤.

(٩) في تاريخ سنيّ ملوك الأض ٦٩ (خمساً وعشرين سنة وسبعة أشهر)، وفي المنتخب من تاريخ المنبجي ٩٣ (ثلاثاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر ونصف).

(١٠) في المنتخب من تاريخ المنبجي ٩٣ (أربعاً وثلاثين سنة) وكذلك في ص ١٣٠.

ثمّ مَلَك بعده ابنه اليون تسع عشرة سنة[1] وأربعة أشهر، بقيّة أيّام المنصور، وتوفّي في خلافة المهديّ.

ثمّ مَلَك بعده ريني[2] امرأة اليون بن قسطنطين، ومعها ابنها قسطنطين ابن اليون، وهي تدبّر الأمر، بقيّةَ أيّام المهديّ، والهادي، وصدراً من خلافة الرشيد. فلما كبُر ابنها أفسد ما بينه وبين الرشيد، وكانت أمّه مهادِنةً له، فقصده الرشيد، وجرى له معه وقعة، فانهزم وكاد يؤخذ، فكحّلْته أمّه[3]، وانفردت بالمُلْك بعده خمس سنين، وهادَنَت الرشيد.

ثمّ مَلَك بعدها نقفور[4]، أخذ المُلْك منها، وكان مُلْكه سبع سنين وثلاثة أشهر، وهو نقفور أبو استبراق، وكنتُ قد رأيتُه مضبوطاً بكثير من الكتب بسكون القاف، حتى رأيتُ رجلاً زعم أن اسمه نقَفور، بفتح القاف.

وعهِد نقفور إلى ابنه استبراق بالمُلْك بعده، وهو أوّل مَن فعل ذلك في الروم، ولم يكن يُعْرف قبله، وكانت ملوك الروم قبل نقفور تحلق لحاها، وكذلك ملوك الفرس، فلم يفعله نقفور. وكانت ملوك الروم قبله تكتب: من فلان ملك النصرانيّة، فكتب نقفور: من فلان ملك الروم، وقال: لستُ ملك النصرانيّة كلّها.

وكانت الروم تسمّي العرب سارقيوس، يعني: عبيد سارة، بسبب هاجر أمّ إسماعيل، فنهاهم عن ذلك، وجرى بين نقفور وبين بُرجان حربٌ سنة ثلاثٍ وتسعين ومائة، فقُتل فيها.

ثمّ ملك بعده ابنُه استبراق بعهدٍ من أبيه إليه، وكان ملكه شهرين[5].

ثمّ مَلَك بعده ميخائيل بن جرجس[6]، وهو ابن عمّ تقفور، وقيل: ابن استبراق، وكان مُلْكه سنتين في أيّام الأمين، وقيل أكثر من ذلك، فوثب به اليون المعروف بالبَطْريق، وغلب على الأمر وحبسه.

---

(١) في المنتخب من تاريخ المنبجي ١٣٠ (خمس سنين).
(٢) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٩، مروج الذهب ١/٣٢٩، نهاية الأرب ١٥/٢٨١ وقد ورد اسمها مصحَّفاً ومحرَّفاً فيها.
(٣) مروج الذهب ١/٣٣٠ وكلمة «كحّلته» أو «كحّله» ترد كثيراً في المصادر التاريخية، وهي بمعنى: سمل عينيه، أو أعماه.
(٤) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٩، مروج الذهب ١/٣٣٠، نهاية الأرب ١٥/٢٨١، تاريخ ابن خلدون ٢/٢٢٩.
(٥) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٩.
(٦) في تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٩ «ميخائيل بن نوفل»، وقد ملك ٧ سنين و ٥ أشهر.

ثمّ ملك بعده اليون البَطْريق سبع سنين وثلاثة أشهر، فوثب به أصحابُ ميخائيل في خلاص صاحبهم، وقُتل[1] اليون، ثمّ فتح لهم ذلك، وعاد ميخائيل إلى الملك.

وقيل: إنّه كان قد ترهّب أيّام اليون، وكان مُلْكه هذه الدفعة الثانية تسع سنين، وقيل أكثر من ذلك.

ثمّ مَلَك بعده ابنه توفيل بن ميخائيل أربع عشرة سنة[2]، وهو الذي فتح زِبَطْرة[3]، وسار المعتصم بسبب ذلك وفتح عمّورية[4]، وكان موته أيّام الواثق.

ثمّ مَلَك بعده ابنه ميخائيل ثمانياً وعشرين سنة[5]، وكانت أمّه تدبّر الملك معه، وأراد قتْلَها[6]، فترهّبت، وخرج عليه رجل من أهل عمّورية من أبناء الملوك السالفة، يُعرف بابن بقراط، فلقيه ميخائيل فيمن عنده من أسارى المسلمين، فظفر به ميخائيل، فمثّل به، ثمّ خرج عليه بسيل الصقلبيّ، فاستولى على المُلْك، وقُتِل ميخائيل سنة ثلاث وخمسين ومائتين[7].

ثمّ مَلَك بعده بسيل الصقلبيّ عشرين سنة[8]، أيّام المُعْتزّ، والمهتدي، وصدراً من أيّام المعتمد[9]، وكانت أمّه صقلبيّة فنُسب إليها.

وقد غلط «حمزة الأصفهاني» فيه فقال عند ذِكر ميخائيل: ثمّ انتقل المُلْك عن الروم، وصار في الصقلب، فقتله بسيل الصقلبيّ، ظنّاً منه أنّ أباه كان صقلبيّاً[10].

---

(١) في النسخة (ر): «وقتل وتم له ذلك وعاد».
(٢) في تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٩، (اثنتين وعشرين سنة وثلاثة أشهر).
(٣) زِبَطْرة: بكسر الزاي، وفتح ثانيه، وسكون الطاء المهملة، وراء مهلمة. مدينة بين ملطية وسُمَيْساط والحدث في طرف بلد الروم. (معجم البلدان ٣/ ١٣٠، ١٣١) وانظر تقويم البلدان ٢٣٤.
(٤) مروج الذهب ١/ ٣٣٦.
(٥) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٩.
(٦) في النسخة (ب): «قبضها».
(٧) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٩، ٧٠.
(٨) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٧٠.
(٩) مروج الذهب ١/ ٣٣٧، نهاية الأرب ١٥/ ٢٨٢، ابن خلدون ٢/ ٢٢٩.
(١٠) يقول خادم العلم محقّق هذا الكتاب «عمر عبد السلام التدمريّ الأطرابلسيّ»: إنّ عبارة «حمزة الأصفهاني» في الكتاب الذي وصَلَتْنا طبعته، ليس فيها قوله: «ظنّاً منه أن أباه كان صقلبياً». وفي المطبوع حُرّفت كلمة «قتله» إلى «قبله» وهو خطأ. والنص الكامل في «تاريخ سنيّ ملوك الأرض والأنبياء ـ ص ٦٩، ٧٠» هو: «ثم انتقل الملك عن أهل هذا البيت وصار في يد الصقلب، فقتله بسيل الصقلبي على عهد المعتزّ في سنة ثلاث وخمسين ومائتين».

ثمّ مَلَك بعده ابنه اليون بن بسيل ستّاً وعشرين سنة[1]، أيّام المعتمد، والمعتضد، والمكتفي، وصدراً من أيّام المقتدر[2].

وقيل: إنّ وفاته كانت سنة سبع وتسعين ومائتين.

ثمّ مَلَك أخوه الأكسندروس سنةً وشهرين، ومات بالدُّبَيْلة[3].

وقيل: إنّه اغتيل لسوء سيرته.

ثمّ مَلَك بعده قسطنطين بن اليون، وهو صبيّ، وتولّى الأمر له بَطْريق البحر، واسمه ارمانوس[4]، وشرط على نفسه شروطاً.

منها: أنّه لا يطلب المُلْك، ولا يلبس التاج لا هو ولا أحد من أولاده.

فلم يمضِ غيرُ سنتين، حتى خوطب هو وأولاده بالملوك، وجلس مع قسطنطين على السرير، وكان له ثلاثة من الولد، فخصى أحدَهم، وجعله بَطْرَقاً[5] ليأمن من المنازعة، فإنّ البَطْرق يحكم على الملك، فبقي على حاله إلى سنة ثلاثين وثلاثمائة[6]

(١) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٧٠.

(٢) تاريخ ابن خلدون ٢/٢٢٩، نهاية الأرب ١٥/٢٨٢.

(٣) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٧٠. والدُّبَيْلة: الداهية.

(٤) مروج الذهب ١/٣٣٧، نهاية الأرب ١٥/٢٨٣، ابن خلدون ٢/٢٢٩.

(٥) (البَطْرَق= البَطْريق: هي الصيغة المعرّبة للكلمة اللاتينية «باتريكيوس Patricius»، وقد أنشأ هذه الرتبة الإمبراطور قسطنطين (٣٠٦ - ٣٣٧ م). وهي رتبة لا تتّصل بأيّ وظيفة. وكانت تُمنح لمن يؤدّي للدولة خدمات جليلة. وقد جرى الإصطلاح على أنها تدل على القائد عند البيزنطيّين. (دائرة المعارف الإسلامية - ج ٧/٣١٣).
وفي مروج الذهب ورد اللفظ «بطرك» بالكاف، وهو منصب ديني كبير، بمعنى رئيس الطائفة عند النصارى.
لهذا نقول: إنّ هناك فرقاً واضحاً بين «البَطرق» بالقاف، و«والبطرك» بالكاف. والعبارة في مروج الذهب أصحّ من عبارة المؤلف، خصوصاً وأنّ المؤلّف يقول: «فإنّ البطرق يحكم على الملك»، والصحيح أن الذي يحكم الملك هو «البطرك» لموقعه الديني.
وهذا نصّ المسعودي في مروج الذهب ١/٣٣٧، ٣٣٨: «ثم هلك (لاوي بن اليون بن بسيل الصقلبي) وخلّف ولداً صغيراً يقال له «قسطنطين» فمَلَك وغلب على مشاركته في المُلك «أرمنوس» بطريق البحر وصاحب غزوه وحروبه، فزوّج قسطنطين الصبيّ بابنته، وذلك في بقية أيام المقتدر وأيام القاهر والراضي والمتّقي، إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - في خلافة أبي إسحاق المتّقي لله بن المقتدر.
وملوك الروم في هذا الوقت المؤرّخ ثلاثة، والأكبر منهم والمدبّر للأمور أرمنوس المتغلّب، ثم الثاني وهو قسطنطين بن لاوي بن اليون بن بسيل، والملك الثالث ابنٌ لأرمنوس، يخاطَبُ بالملك، واسمه اسطفنوس، وجعل أرمنوس ابناً له آخر صاحب الكرسيّ بالقسطنطينية، وهو البطرك الأكبر الذي يأخذون عنه دينهم، وقد كان خَصَاه قبل ذلك، وقرّبه إلى الكنيسة».

(٦) في الأصل «مايتين».

من الهجرة، فاتّفق ابناه مع قسطنطين الملك على إزالة أبيهما، فدخلا عليه وقبضاه، وسيّراه إلى دَيرٍ له في جزيرة بالقرب من القسطنطينيّة، وأقام ولداه مع قسطنطين نحو أربعين يوماً، وأرادا الفتك به، فسبقهما إلى ذلك، وقبض عليهما، وسيّرهما إلى جَزيرتَين في البحر، فوثب أحدهما بالموكَّل به فقتله، وأخذه أهل تلك الجزيرة فقتلوه، وأرسلوا رأسه إلى قسطنطين الملك، فجزع لقتله.

وأمّا أرمانوس فإنّه مات بعد أربع سنين من ترهّبه. ودام مُلْك قسطنطين بقيّة أيّام المقتدر، والقاهر، والراضي، والمتّقي[1]، وبعض أيّام المطيع، ثمّ خرج على قسطنطين هذا قسطنطين بن أندرونقس، وكان أبوه قد توجّه إلى المكتفي سنة أربع وتسعين ومائتين وأسلم على يده وتُوفّي. فهرب ابنه هذا على طريق أرمينية وأَذْرَبَيْجان إلى بلاد الروم، فاجتمع عليه خلق كثير، وكثُر أتباعُه، فسار إلى القسطنطينيّة، ونازع الملك قسطنطين في مُلْكه، وذلك سنة إحدى وثلاثمائة، فظفر به الملكُ فقتله[2].

وخرج عن طاعته أيضاً صاحب رومية، وهي كرسيّ ملك الإفرنج، وتسمّى بالملك، ولبس ثياب الملوك. وكانوا قبل ذلك يطيعون ملوك الروم أصحاب القسطنطينيّة ويصدرون عن أمرهم، فلمّا كان سنة أربعين وثلاثمائة قوي ملك رومية، فخرج عن طاعته، فأرسل إليه قسطنطين العساكر يقاتلونه ومَنْ معه من الفرنج، فالتقوا واقتتلوا، فانهزمت الرومُ وعادت إلى القسطنطينيّة منكوبة[3]، فكفّ حينئذٍ قسطنطين عن معارضته ورضي بالمسالمة، وجرى بينهما مصاهرة، فزوّج قسطنطين ابنه أرمانوس بابنة ملك رومية.

ولم يزل أمر الإفرنج بعد هذا يقوى ويزداد ويتّسع مُلْكهم، كالاستيلاء على بعض بلاد الأندلس، على ما نذكره، وكأخْذهم جزيرة صِقلّية، وبلاد ساحل الشام، والبيت المقدّس، على ما نذكره، وفي آخر الأمر ملكوا القسطنطينيّة سنة إحدى وستّمائة، على ما نذكره إن شاء الله.

وممّا ينبغي أن يُلحق بهذا، أنّ الطوائف من التُرك اجتمعت، منهم: البجناك، والبختي وغيرهما، وقصدوا مدينة للروم قديمة، تُسمّى وليدر[4] سنة اثنتين وعشرين

---

(١) في طبعة صادر ١/٣٣٨ «المستكفي»، وهذا وهم. والتصويب من مروج الذهب ١/٣٣٨ والمصادر التاريخية العباسية.

(٢) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٧٠.

(٣) في النسخة (ب): «مكسورين».

(٤) في النسخة (ب): «ولسندر»، وفي النسخة (ت): «ولتدر».

وثـلاثمائـة وحصروهـا، فبلغ خبرهم إلى أرمـانـوس، فسيّـر إليهم عسكـراً كثيفـاً فيهم من المتنصِّرة اثنا عشر ألفاً، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم الرومُ، واستولى التُـرك على المدينـة وخرّبوها، بعد أن أكثروا القتْل فيها والسبْيَ والنهْب، ثمّ ساروا إلى القسطنطينيّة وحصروها أربعين يـوماً، وأغـاروا على بلاد الـروم، واتّصلت غاراتهم إلى بـلاد الإفرنـج، ثمّ عـادوا راجعين.

ذكر وصول قبائل العرب إلى العراق ونزولهم الحيرة[1]

قال ابن الكلبيّ: لما مات بُخْتَ نَصَّر انضمّ الـذين أسكنهم الحيرةَ من العـرب إلى أهل الأنبار، وبقيت الحيرة خراباً دهراً طويلاً، وأهلهـا بالأنبـار لا يطلع عليهم قـادم[2] من العـرب، فلمّا كثُـر أولاد مَعَدّ بن عـدنان، ومن كـان معهم من قبـائـل العـرب، ومـزّقتهم الحروب، خرجوا يطلبون الريفَ، فيما يليهم من اليمن، ومشارف[3] الشام، وأقبلت[4] منهم قبائل حتى نزلوا بالبحرين، وبها جماعة من الأزد.

وكـان الذين أقبلوا من تِهـامة مـالـك وعمـرو ابنـا فَهْم بن تَيْم بن أسـد بن وبَـرة بن قُضـاعة، ومـالـك بن زُهيـر بن عَمْـرو بن فَهْم، في جمـاعـة من قـومهم، والحيقـاد[5] بن الحنق[6] بن عُمير بن قبيص[7] بن معدّ بن عدنان في قبيص[8] كلّهـا، ولحق بهم غطفـان بن عمـرو بن الطَّمثَـان بن عوذ مَنَـاة بن يَقْدُم بن أفصَى بن دُعْمِيّ بن إيـاد بن نزار بن مَعَـدّ بن عدنان، وغيره من إيّاد، فاجتمع بالبحرين قبـائل من العـرب وتحالفـوا على التّنوخ، وهـو المقام، وتعاقدوا على التناصر والتساعد، فصاروا يـداً واحدةً، وضمّهم اسمُ تَنُـوخ، وتَنَخَ عليهم بـطون من نُمـارة بن لخم، ودعـا مـالـكُ بن زُهَيـر جَـذيمـةَ الأبـرش بن مـالـك بن فَهْم بن غانم بن دَوْس الأزديّ إلى التَّنُوخ معه، وزوّجه أخته لَمِيس، فَتَنَخ جَـذِيمة، وكـان

(١) تاريخ الطبري ١/٦٠٩، مروج الذهب ٢/٩٠، نهاية الأرب ١٥/٣١٥، تاريخ ابن خلدون ٢/٢٥٩، تـاريخ اليعقـوبي ١/٢٠٨، البـدء والتـاريـخ ٣/١٩٥، معجم البلدان ٢/٣٢٨، تـاريـخ سنيّ ملوك الأرض ٨٣، المفصّل في تاريخ العرب ٣/١٦٦.

(٢) في النسخة (ب) «قادة». وفي النسخة (ر): «لا يقدم عليهم».

(٣) في الأصل «مشارق» وهو تحريف.

(٤) في الطبعة الأوروبية «أفلت»، وما أثبتناه عن طبعة صادر ١/٣٤٠، وتاريخ الطبري ١/٦٠٩.

(٥) في تـاريخ الـطبري ١/٦١٠ «الحَيْقـار» بالـراء، وكذا في المفصّـل في تاريـخ العرب ٣/١٦٧، وفي معجم البلدان ٢/٣٣٠، «الحيقان» وفي تاريخ ابن خلدون «الخفتار».

(٦) في تاريخ الطبري «الحيق»، وفي معجم البلدان «الحيوة».

(٧) في تاريخ الطبري «قنص».

(٨) في النسخة (ب): «قيس»، وفي تاريخ الطبري «قَنَص» وكذلك في معجم البلدان ٢/٣٣٠.

اجتماعهم أيّام ملوك الطوائف، وإنّما سُمّوا ملوك الطوائف لأنّ كلّ ملك منهم كان مُلْكه على طائفة قليلة من الأرض.

قال: ثمّ تطلّعت أنفُسُ مَن كان بالبحرين إلى ريف العراق، فطمعوا في غَلَبَة الأعاجم على ما يلي[1] بلاد العرب [منه] أو[2] مشاركتهم فيه لاختلاف بين ملوك الطوائف، فأجمعوا على المسير إلى العراق، فكان أوّل من طلع[3] منهم الحيقاد بن الحنق[4] في جماعة من قومه وأخلاط من النّاس، فوجدوا الأرمانيّين، وهم الذين مَلَكوا أرضَ بابلٍ وما يليها إلى ناحية الموصل، يقاتلون الأردوانيين، وهم ملوك الطوائف، وهو ما بين نِفَّر[5]، وهي قرية من سواد العراق إلى الأُبُلّة، فدفعوهم عن بلادهم، والأرمانيّون من بقايا إرم فلهذا سُمّوا الأرمانيّين، وهم نَبَط السواد.

ثمّ طلع مالك وعَمْرو ابنا فَهْم بن تَيْم الله وغيرهما[6] مِن تَنوخ إلى الأنبار على ملك الأرمانيّين، وطلع نُمارة ومن معه إلى نِفَّر على ملك الأردوانيّين، وكانوا[7] لا يدينون للأعاجم، حتى قدِمَها تُبّع، وهو أسعد أبو كَرِب (بن ملكيكرب)[8] في جيوشه، فخلّف بها من لم يكن فيه قوّة من عسكره، وسار تُبّع، ثمّ رجع إليهم فأقرّهم على حالهم، ورجع إلى اليمن وفيهم من كلّ القبائل، ونزلت تَنُوخ من الأنبار إلى الحيرة في الأخبية، لا يسكنون بيوت المَدَر، وكان أوّل مَنْ ملك منهم مالك بن فَهْم، وكان منزله ممّا يلي الأنبار.

ثمّ مات مالك، فملَكَ بعده أخوه عمرو بن فَهْم بن غانم بن دَوس الأزديّ.

ثمّ مات، فمَلَكَ بعده جَذيمة الأبرش بن مالك بن فَهْم.

وقيل: إنّ جَذِيمة من العاديّة الأولى من بني وَبَار[9] بن أميم بن لوذ بن سام بن نوح، عليه السلام؛ والله أعلم.

---

(١) في الأصل «في أن يغلبوا الأعاجم في ما يلي». وما أثبتناه عن الطبري ٦١١/١.
(٢) في النسخة (ر): «العرب من ملكهم أو». وما أثبتناه عن الطبري.
(٣) في طبعة صادر ٣٤١/١ «يطلع»، والتصحيح من تاريخ الطبري.
(٤) في تاريخ الطبري «الحيقار بن الحيق».
(٥) نِفَّر: بكسر أوّله، وتشديد ثانيه، بلد من نواحي بابل بأرض الكوفة. (معجم البلدان ٢٩٥/٥).
(٦) في الأصل «وغيرهم».
(٧) في الأصل «وكان».
(٨) عن النسخة (ت).
(٩) في النسخة (ب) زياد، وفي النسخة (ر): «وباذ»، وفي طبعة صادر ٣٤٢/١ «دمار» وما أثبتناه من النسخة (ت)، والطبري ٦١٣/١.

ذكر جَذيمة الأبرش[1]

قال: وكان جَذيمة من أفضل ملوك العرب رأياً، وأبعدهم مُغاراً، وأشدّهم نكاية، وأوّل من استجمع له المُلْك بأرض العراق، وضمّ إليه العرب، وغزا بالجيوش، وكان به بَرص، فكَنَتِ العرب عنه، فقيل: الوضّاح، والأبرش، إعظاماً له.

وكانت مَنَازله ما بين الحيرة، والأنبار، وبَقَّة[2]، وهِيت[3] وعين التَّمْر[4]، وأطراف البِرّ إلى العُمَير[5]، وخَفيّة[6]، وتُجبَى إليه الأموال، وتفِد إليه الوفود.

وكان غزا طَسْماً وجديساً في منازلهم من اليمامة، فأصاب حسّانَ بن تُبّع أسعد أبي كرب، قد أغار عليهم، فعاد بمن معه، وأصاب حسّان سريّة لجَذِيمة فاجتاحها.

وكان له صنمان يقال لهما الضَّيْزَنان[7].

وكانت إياد بعين أُباغ[8]، فذُكر لجذيمة غلام من لَخْم في أخواله من إياد، يقال له عديّ بن نصر بن ربيعة، له جَمَال وظُرْف، فغزاهم جَذِيمة، فبعثت إياد من سرق صنمَيْه، وحملهما إلى إياد، فأرسلت إليه: إنّ صنميك أصبحا فينا، زُهداً فيك، [ورغبة فينا]، فإنْ أوثقتَ لنا أن لا تغزونا دفعناهما إليك. قال: وتدفعون معهما عديّ بن نصر[9]. فأجابوه

---

(١) أنظر عنه: الطبري ١/٦١٣، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨٤، المحبّر لابن حبيب ٢٩٩، المعارف لابن قتيبة ١٠٨، البدء والتاريخ ٣/١٩٦، تاريخ اليعقوبي ١/٢٠٨، مروج الذهب ٢/٩١، التنبيه والإشراف ١٥٨، العقد الفريد ٥/٣٣٧، وفيات الأعيان ٦/١٨، البرصان والعِرجان للجاحظ ٦٦ و٧٣ و١١٨ و٢٠٨، نهاية الأرب ١٥/٣١٦، تاريخ ابن خلدون ٢/٢٥٩، جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٣٧٩، أسماء المغتالين لابن حبيب ١١٢، الأشتقاق لابن دريد ٢/٢٩١، المفصّل في تاريخ العرب ٣/١٧٨.

(٢) في النسخة (ب): «كيسه»، وفي النسخة (ت) «نفسه». والمثبت يتفق مع الطبري ١/٦١٣ ومعجم البلدان ١/٤٧٣ وفيه: بَقّة: بالفتح، وتشديد القاف. موضع قريب من الحيرة. وقيل: حصن كان على فرسخين من هيت، كان ينزله جذيمة الأبرش ملك الحيرة.

(٣) هيت: بالكسر. بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار، ذات نخل كثير وخيرات واسعة. (معجم البلدان ٥/٤٢١).

(٤) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربيّ الكوفة. (معجم البلدان ٤/١٧٦).

(٥) في تاريخ الطبري «الغُوَير»، والمثبت يتفق مع معجم البلدان ٤/١٥٩ حيث يسمّيها: عُمَير اللصوص: قرية من قرى الحيرة.

(٦) خفيّة: بفتح أوله، وكسر ثانيه، وياء مشدّدة. أجَمَة في سواد الكوفة. (معجم البلدان ٢/٣٨٠).

(٧) في الأصل «الضيرتان»، والمثبت يتفق مع الطبري ١/٦١٤

(٨) قال أبو الفتح التميمي النّسّاب: كانت منازل إياد بن نزار بعين أُباغ، وأُباغ رجل من العمالقة نزل ذلك الماء فنُسِب إليه. قال: وعين أُباغ ليست بعين ماء، وإنّما هو وادٍ وراء الأنبار على طريق الفرات إلى الشام. (معجم البلدان ١/٦١).

(٩) زاد في النسخة (ر): «إليّ» بعد «نصر».

إلى ذلك وأرسلوه مع الصنمَين، فضمّه إلى نفسه وولّاه شرابه.

فأبصرته رَقاشِ أخت جَذِيمة فعشِقَتْه وراسلته ليخطبها إلى جَذِيمة، فقال: لا أجترىء على ذلك، ولا أطمع فيه. قالت: إذا جلس على شرابه فاسْقه صِرْفاً، واسقِ القوم ممزوجاً، فإذا أخذتِ الخمرُ فيه، فاخطبني إليه، فلن يردّك، فإذا زوَّجك فأشْهِدِ القوم.

ففعل عديّ ما أمرته، فأجابه جذيمةُ وأملكه إيّاها. فانصرف إليها، فأعرس بها من ليلته، وأصبح بالخَلوق، فقال له جَذِيمة، وأنكر ما رأى به: ما هذه الآثار يا عديّ؟ قال: آثار العرس. قال: أيّ عرس؟ قال: عرس رَقاشِ. قال: من زوّجكها[1] ويْحك! قال: الملك. فندم جَذِيمة، وأكبّ على الأرض متفكّراً، وهرب عديّ، فلم يُرَ له أثر، ولم يُسمع له بذِكر، فأرسل إليها جذيمة:

خبّريني[2] وأنتِ لا تكذبيني:	أبحُرٍّ زَنَيْتِ أمْ بهَجِينِ
أم بعَبدٍ فأنتِ أهلُ لعَبْدٍ	أم بدونٍ فأنتِ أهلُ لدُونِ

فقالت: لا بل أنت زوّجتني امرأً عربيّاً حسيباً، ولم تستأمِرْني في نفسي. فكفّ عنها وعَذَرَها. ورجع عديّ إلى إياد فكان فيهم. فخرج يوماً مع فِتية متصيّدين، فرمى به فتى منهم في ما بين جبلين، فتنكّس[3] فمات.

فحملتْ رَقَاش فولدتْ غلاماً، فسمّتْه عَمراً، فلمّا ترعرع وشبّ ألبسته وعطّرته وأزارته خَاله، فلمّا رآه أحبّه وجعله مع ولده، وخرج جَذيمة متبدّياً بأهله وولده، في سنةٍ خصيبة، فأقام في روضة ذات زهر وغُدُر[4]، فخرج ولده وعمرو معهم يجتنون[5] الكمْأة، فكانوا إذا أصابوا كمأة جيّدة أكلوها، وإذا أصابها عَمرو خبّأها، فانصرفوا إلى جَذِيمة يتعادوْن، وعمرو يقول:

هذا جَنَايَ وخِيارُهُ[6] فيهِ	إذْ كلّ جانٍ يدُهُ في فيهِ[7]

---

(١) في الأصل «زوّجها»، والمثبت يتفق مع الطبري ٦١٥/١.
(٢) في تاريخ الطبري «حدّثيني». وفي مروج الذهب ٩١/٢ «حدّثيني رقاش لا تكذبيني». وانظر القول في البدء والتاريخ ١٩٧/٣.
(٣) في الأصل «فتكسّر»، والمثبت يتفق مع الطبري ٦١٥/١.
(٤) في الأصل «عذر»، والمثبت يتفق مع الطبري ٦١٥/١ والغُدُر: جمع غدير.
(٥) في النسخة (ت): «يحشون»، والمثبت يتفق مع الطبري.
(٦) في النسخة (ر): «خياري».
(٧) الطبري ٦١٦/١، مروج الذهب ٩٢/٢.

فضمّه جذيمة إليه والتزمه، وسُرّ بقوله [وفعله]، وأمر فجُعل له حليّ من فضة وطوق، فكان أوّل عربيّ أُلبس طوقاً.

فبينا هو على أحسن حالة، إذا استطارته الجنّ، فطلبه جَذِيمة في الآفاق زماناً، فلم يقدر عليه، ثمّ أقبل رجلان من بَلْقَين قُضاعةَ يقال لهما مالك، وعَقيل، ابنا فارِج بن مالك، من الشام يريدان جَذِيمة، وأهْدَيا له طُرَفاً، فنزلا منزلاً، ومعهما قَيْنة[1] لهما تُسمّى أمّ عمرو، فقدّمت طعاماً. فبينما هما يأكلان إذ أقبل فتىً عُريان، قد تلبّد شعرُه، وطالت أظفارُه، وساءت حاله، فجلس ناحيةً عنهما، ومدّ يده يطلب الطعام، فناولته القَيْنة[1] كُراعاً[2]، فأكلها، ثمّ مدّ يده ثانية، فقالت: لا تعطِ العبدَ كُراعاً فيطمع في الذراع! فذهبت مثلاً، ثمّ سقتهما من شراب معها، وأوكَتْ زِقّها[3]، فقال عمرو بن عديّ:

صَددتَ الكأسَ عَنّا أمَّ عمروٍ ... وكانَ الكأسُ مَجراها اليَمِينَا
وَما شرّ الثّلاثةِ أمَّ عمروٍ ... بصاحبك الذي لا تصبحينَا[4]

فسألاه عن نفسه، فقال:

إنْ تُنكِراني أو تُنكِرا نَسَبي، فإنّني أنا عمرو بن عديّ، بن تنُوخيّةَ، اللّخميّ، وغَداً ما تريَاني في نُمارة غير معصيّ.

فنهضا وغسلا رأسه، وأصلحا حاله، وألبساه ثياباً وقالا: ما كنّا لنهدي لجَذِيمة، أنفَسَ من ابن أخته! فخرجا به إلى جَذِيمة، فَسُرّ به سروراً شديداً وقال: لقد رأيتُهُ يوم ذَهَب وعليه طَوْق، فما ذهب من عيني وقلبي إلى الساعة، وأعادوا عليه الطوقَ، فنظر إليه وقال: «شَبَّ[5] عمرو عن الطوق»، وأرسلها مثلاً، وقال لمالك وعَقيل: حُكْمُكما. قالا[6]: حكمنا منادمتك ما بقِينا وبقيتَ؛ فهما نَدْمانا[7] جَذِيمة اللّذان يُضربان[8] مثلاً.

---

(١) في الأصل «فتية» وهو تحريف.
(٢) الكُراع: مستدقّ الساق من البقر والغنم.
(٣) أوكتْ زِقّها: ربطته، وشدّته عليها. والزقّ: السقاء.
(٤) هكذا في الأصل، والمطبوع، ومعلّقة عمرو بن كلثوم ٢١١ بشرح التبريزي، ويُنسب البيتان إليه في المعلّقات، ومروج الذهب ٩٢/٢ وفيه «عدلت الكأس»، ونهاية الأرب ٣١٦/١٥، الأغاني ٧٣/٢٤ بولاق. وفي تاريخ الطبري «تَصْحَبينا» (٦١٦/١).
(٥) في الأصل «كبر»، والتصويب من الطبري ٦١٧/١.
(٦) في الأصل «قال».
(٧) في الأصل «ندماء».
(٨) في الأصل «يضربا بهما».

وكان ملك العرب بأرض الجزيرة ومَشارف الشام عمرو بن الظرب[1] بن حسّان بن أُذينة العمليقيّ، من عاملة العمالقة، فتحارب هو وجَذِيمة، فقُتل عمرو وانهزمت عساكره، وعاد جَذِيمة سالماً.

ومَلَكَت بعد عمرو ابنتُه الزَّبّاء، واسمها نائلة، وكان جنود الزبّاء بقايا العماليق وغيرهم، وكان لها من الفرات إلى تَدْمُر. فلمّا استجمع[2] لها أمرها، واستحكم مُلْكها، اجتمعت لغزو جَذِيمة تطلب بثأر أبيها، فقالت لها أختها ربيبة[3]، وكانت عاقلة: إنْ غزوتِ جَذِيمة فإنّما هو يوم له ما بعده، والحرب سِجال، وأشارت بترك الحرب وإعمال الحيلة. فأجابتها إلى ذلك، وكتبت إلى جَذِيمة تدعوه إلى نفسها ومُلْكها، وكتبت إليه أنّها لم تجد مُلْك النساء إلاّ قُبحاً في السماع، وضعفاً[4] في السلطان، وأنّها لم تجد لمُلكها ولا لنفسها كُفْواً غيره.

فلمّا انتهَى كتاب الزبّاء إليه، استخفّ ما دعته إليه، وجمع إليه ثقاته، وهو ببقّة من شاطىء الفرات، فعرض عليهم ما دعته إليه، واستشارهم؛ فأجمع رأيهم على أن يسير إليها، ويستولي على مُلْكها.

وكان فيهم رجلٌ يقال له قصير بن سعد من لخم، وكان سعد تزوّج أَمَةً لجَذِيمة، فولدت له قصيراً، وكان أريباً[5] حازماً، ناصحاً لجَذِيمة، قريباً منه، فخالفهم فيما أشاروا به عليه، وقال: «رأي فاتر، وغدر[6] حاضر»، فذهبت مَثَلاً؛ وقال لجَذِيمة: اكتب إليها، فإنْ كانت صادقةً، فلتُقبل إليك، وإلاّ لم تمكّنْها من نفسك، وقد وتَرْتها، وقتلتَ أباها.

فلم يوافق جَذِيمة ما أشار به قَصِير، وقال له: لا، ولكنّك امرؤ رأيك في الكِنّ لا في الضّحّ[7]؛ فذهبت مثلاً.

ودعا جذيمةُ ابنَ أخته عمرو بن عديّ فاستشاره، فشجّعه على المسير، وقال: إنّ نُمارة قومي مع الزبّاء فلو رأوك صاروا معك، فأطاعه.

---

(١) في النسخة (ب): «الضرب»، وفي تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨٤، «طرب»، والمثبت يتفق مع الطبري ٦١٧/١، والمسعودي ٩٣/٢.

(٢) في الأصل، والنسخة (ر): «اجتمع»، والمثبت يتفق مع الطبري ٦١٨/١.

(٣) في تاريخ الطبري «زبيبة» بالزاي.

(٤) في الأصل «إلا قبح في السماع وضعف».

(٥) في طبعة صادر ٣٤٦/١ «أديباً» بالدال المهملة، وما أثبتناه عن الطبري ٦١٩/١.

(٦) في الأصل «عدو»، والمثبت يتفق مع الطبري.

(٧) في النسخة (ر): «في الكسر لا في الصح». والمثبت عن النسخ الأخرى، والطبري.

فقال قصير: «لا يُطاع لقصير أمر»[1].

وقالت العرب: «ببقّة أُبرِمَ الأمر»؛ فذهبتا مثلاً.

واستخلف جذيمةُ عمرَو بن عديّ على مُلكه، وعمروَ بن عبد الجنّ على خيوله معه، وسار في وجوه أصحابه، فلمّا نزل الفُرْضَة قال لقصير: ما الرأي؟ قال: «ببقّة تركتَ الرأيَ»[2]؛ فذهبت مثلاً.

واستقبله رُسُلُ الزبّاء بالهدايا والألطاف، فقال: يا قصير، كيف ترى؟ قال: «خطرٌ[3] يسير، وخطْب كبير»؛ فذهبت مثلاً؛ وستلقاك الخيول، فإنْ سارت أمامك، فإنّ المرأة صادقة، وإن أخذتْ جنبيك وأحاطت بك، فإنّ القوم غادرون، فاركب العصا، وكانت فَرَساً لجَذِيمة لا تُجارى، فإنّي راكبها ومسايرك عليها.

فلقيته الكتائب، فحالت بينه وبين العصا، فركبها قصير، ونظر إليه جَذِيمة مولياً على متنها، فقال: «ويل أمّه حَزْماً على متن[4] العصا»! فذهبت مثلاً. وقال: «يا[5] ضُلّ من تجري به العصا»؛ فذهبت مثلاً؛ وجرت به إلى غروب الشمس، ثمّ نَفَقَت، وقد قطعت أرضاً بعيدة، فبنى عليها بُرْجاً يقال له برج العصا.

وقالت العرب: «خيرٌ ما جاءت به العصا»؛ مثل تضربه.

وسار جَذِيمة وقد أحاطت به الخيول، حتى دخل على الزبّاء، فلمّا رأته تكشّفت، فإذا هي مضفورة[6] الإسب.

والإسب بالباء الموحّدة هو شَعْر الإست.

وقالت له: يا جَذِيمة «أَدأب[7] عروس ترى»؟ فذهبت مثلاً. فقال: «بلغ المَدَى، وجفّ الثّرى، وأمرَ غدْرٍ أرى»؛ فذهبت مثلاً. فقالت له: «أما وإلهي ما بنا من عدم مَوَاس، ولا قلّة أواس، ولكنّها شيمة من[8] أناس»؛ فذهبت مثلاً. وقالت له: أُنبئْت أنّ

---

(١) لطف التدبير ١٩٢، مجمع الأمثال ٢/٢٣٨ رقم ٣٦٤٦.

(٢) في مجمع الأمثال ١/٩٠ رقم ٤٣١ «ببقّة صُرِم الأمر».

(٣) في مجمع الأمثال للميداني ١/٢٣٣ «خطب».

(٤) في تاريخ الطبري ١/٦٢٠ «ظهر».

(٥) في طبعة صادر ١/٣٤٧ «ما»، والتصويب عن الطبري ومجمع الأمثال ٢/٤١١ رقم ٤٦٤٢.

(٦) في الأصل «مظفورة».

(٧) في النسخة (ر): «أأرب»، والمثبت عن الطبري ١/٦٢١، وتجارب الأمم ٩، وفي أسماء المغتالين من الأشراف ١١٤ «أذات عروس»، وفي مروج الذهب ٢/٩٤ «أي متاع عروس». وزاد بعدها في الأغاني ١٤/٧٤ «بل أرى متاع أمة لكعاء غير ذات خفر».

(٨) في الأصل، والطبري «ما»، والمثبت عن الأغاني ١٤/٧٤.

دماء الملوك شفاء من الكَلَب. ثمّ أجلسته على نِطْع، وأمرت بطَسْتٍ من ذهب، فأُعِدَّ له، وسقته الخمر، حتى أخذت منه مأخذها، ثمّ أمرت براهشَيْه[1] فقُطعا، وقدّمت إليه الطَّسْت، وقد قيل لها: إنْ قَطَرَ من دمه شيء في غير الطَّسْت طُلِب بدمه. وكانت الملوك لا تُقتل بضرب الرقبة إلاّ في قتال، تكرِمةً للمُلك. فلمّا ضعفت يداه سقطتا، فقَطَرَ من دمه في غير الطَّسْت، فقالت: لا تضيّعوا دم الملك! فقال جَذِيمة: «دعوا دماً ضيّعه أهله»[2]! فذهبت مثلاً.

فهلك جَذِيمة، وخرج قَصير من الحيّ الذين هلكت العصا بين أظهُرهم، حتى قدِم على عَمْرو بن عديّ، وهو بالحيرة، فوجده قد اختلف، هو وعمرو بن عبد الجنّ، فأصلح بينهما، وأطاعَ النّاسُ عمرو بن عديّ، وقال له قصير: تهيّأ واستعدّ، ولا تُطِل دم خالك. فقال: «كيف لي بها وهي أمنع من عُقاب الجوّ»؟ فذهبت مثلاً.

وكانت الزبّاء سألت كَهَنَةً عن أمرها وهلاكها، فقالوا لها: نرى هلاكك بسبب عمرو بن عديّ، ولكنّ حتفك بيدك، فحذرت عَمراً، واتّخذت نفقاً من مجلسها، إلى حصنٍ لها داخل مدينتها، ثمّ قالت: إنْ فجأني أمر، دخلتُ النفق إلى حصني، ودعت رجلاً مصوّراً حاذقاً، فأرسلتْه إلى عمرو بن عديّ متنكّراً وقالت له: صوّره جالساً وقائماً ومتفضّلاً[3]، ومتنكّراً، ومتسلّحاً بهيئته ولِبْسه ولَوْنه، ثمّ أقبِل إليّ. ففعل المصوّر ما أوصته الزبّاء وعاد إليها، وأرادت أن تعرف عمرَو بن عديّ، فلا تراه على حال إلاّ عرفته وحَذِرَتْه.

وقال قصير لعمرو: اجدع أنفي، واضرب ظهري، ودعني وإيّاها. فقال عمرو: ما أنا بفاعل. فقال قصير: «خلِّ عنّي إذاً وخَلاَك ذمّ»؛ فذهبت مثلاً. فقال عمرو: فأنت أبصرُ؛ فجدع قصيرٌ أنفه، ودقّ[4] بظهره، وخرج كأنّه هارب، وأظهر أنّ عَمراً فعل ذلك به، وسار حتى قدِم على الزبّاء، فقيل لها: إنّ قصيراً بالباب[5]؛ فأمرتْ به فأُدخل عليها، فإذا أنفُه قد جُدِع، وظهره قد ضُرب، فقالت: «لأمر مَا جدع قصيرٌ أنفه»؛ فذهبت مثلاً. قالت: ما الذي أرى بك يا قصير؟ قال: زعم عَمْرو أنّي غدرتُ خَاله، وزيّنتُ له المسيرَ إليك، ومالأْتُكِ عليه، ففعل بي ما تَرِيْن، فأقبلتُ إليكِ، وعرفتُ أنّي لا أكون مع أحد هو

---

(١) الراهشان: عرقان في باطن الذراعين.

(٢) في مروج الذهب ٢/٩٥ «وما يحزنكِ من دم أضاعه أهله».

(٣) في الأصل: ومنفصلاً. (متفضلاً أي لابساً الفُضْلة وهي الثوب الذي يُبتذل في الشغل أو للنوم أو يتوشّح به الإنسان في بيته).

(٤) هكذا في الأصل، والنُسخ. وفي النسخة (ب)، والطبري ١/٦٢٣ «أثر».

(٥) في النسخة (ب): «أتى الباب».

أثقل عليه منك. فأكرمتْه، وأصابت عنده بعض ما أرادت من الحزم والرأي والتجربة، والمعرفة بأمور المُلْك[1].

فلمّا عرف أنّها قد استرسلت إليه ووثقت به، قال لها: إنّ لي بالعراق أموالاً كثيرة، ولي بها طرائف وعطْر، فابعثيني لأحملِ مالي، وأحملِ إليكِ من طرائفها، وصنوف ما يكون بها من التجارات، فتصيبين أرباحاً، وبعضَ ما لا غَنَاء للملوك عنه. فسرّحْته ودفعتْ إليه أموالاً، وجهّزت معه عِيراً، فسار حتى قدِم العراق، وأتى عَمْرَو بن عديّ متخفيّاً، وأخبره الخبر[2] وقال: جهّزْني بالبزّ والطُّرف وغير ذلك، لعلّ الله يمكّن[3] من الزبّاء، فتصيب ثأرك وتقتل عدوّك. فأعطاه حاجته، فرجع بذلك كلّه إلى الزبّاء فعرضه عليها، فأعجبها وسَرَّها، وازدادت به ثقةً، ثمّ جهّزته بعد ذلك بأكثر ممّا جهّزته به في المرّة الأولى. فسار حتى قدِم العراق، وحمل من عند عَمْرو حاجتَه، ولم يدع طُرفةً ولا متاعاً قدر عليه، ثمّ عاد الثالثة فأخبر عَمراً الخبر، وقال: اجمع لي ثقات أصحابك وجُنْدك وهيّء لهم الغرائر، وهو أوّل من عملها، واحمِل[4] كلّ رجلين على بعير في غرارتَين، واجعل[5] معقد رؤوسهما من باطنهما. وقال له: إذا دخلتُ مدينة الزبّاء، أقمتُك على باب نفقها، وخرجت الرجال من الغرائر، فصاحوا بأهل المدينة، فمن قاتلهم قاتلوه، وإن أقبلت الزبّاء تريد نَفَقَها قتلتَها.

ففعل عمرو ذلك، وساروا، فلمّا كانوا قريباً من الزبّاء، تقدّم قصير إليها فبشّرها، وأعلمها كثرةَ ما حمل من الثياب والطرائف، وسألها أن تخرج وتنظر إلى الإبل وما عليها، وكان قصير يكمن النهار ويسير اللّيل، وهو أوّل من فعل ذلك، فخرجت الزبّاء فأبصرت الإبلَ تكاد قوائمها تسوخ في الأرض، فقالت: يا قصير.

مـا للجِمالِ مَشيُها وئيدَا[6] ... أجندلاً يحملنَ أمْ حديدَا
أم صَرَفاناً بارداً شديدَا[7] ... أم الرّجالَ جُثّماً قُعُودَا[8]

---

(١) الطبري ١/٦٢٣، مروج الذهب ١/٩٥، ٩٦.
(٢) في النسخة (ت): «الخير» وهو تحريف.
(٣) في النسخة (ب): «يمكني».
(٤) في الأصل «وحمل».
(٥) في الأصل «وجعل». والمثبت عن الطبري ١/٦٢٤.
(٦) في الأصل «رويدا» والمثبت يتفق مع الطبري والمسعودي.
(٧) في النسخة (ب): «أم الرحال في الغرار السودا».
(٨) البيتان في مروج الذهب ١/٩٦، والبدء والتاريخ ٣/١٩٨، ونهاية الأرب ١٥/٣١٧ وفيه «ما للمَطَايا». وفي تاريخ الطبري ١/٦٢٥ حتى «بارداً شديداً»، وفي لطف التدبير ١٩٣ «أم الرجال رُبَّضاً..».

ودخلت الإبلُ المدينـة، فلمّا تـوسّطتهـا أُنيخت، وخرج الـرجال من الغـرائر، ودلّ [قصيرٌ] عَمراً على باب النَّفَق، وصاحوا بأهل المدينة، ووضعوا فيهم السلاح، وقام عَمْرو على باب النَّفَق. وأقبلت الزبّاء تريـد الخروجَ من النفق، فلمّـا أبصرت عَمـراً قائمـاً على باب النفق عرفته[1] بالصورة التي عملها المصوِّر، فمصّت سمّاً كـان في خاتمهـا، فقالت: «بيَدي لا بيد عَمْرو»! فذهبت مثلاً[2]. وتلقّاهـا عمرو بـالسيف فقتلها، وأصـاب ما أصـاب من المدينة، ثمّ عاد إلى العراق.

وصار المُلك بعد جَذِيمة لابن أخته عَمْرو بن عـديّ بن نصر بن ربيعـة بن عَمْرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن عَمْـرو بن نُمارة بن لَخْم، وهـو أوّل من اتّخذ الحيـرة منزلاً من ملوك العرب[3]، فلم يزل ملكاً حتى مات، وهو ابن مائة وعشرين سنة[4].

وقيل: مائة وثماني عشرة سنة[5]، منها أيّام ملوك الـطوائف خمس وتسعون سنـة[6]، وأيّام أردشير بن بابك أربع عشرة سنة [وعشرة][7] أشهر، وأيّام ابنه سابور بن أردشير ثماني سنين وشهرَان[8]، وكان منفرداً بمُلْكه يغـزو المغازي، ولا يـدين لملوك الطوائف، إلى أن مَلَك أردشير بن بابك أهلَ فارس[9]. ولم يزل المُلك في ولده إلى أن كان آخرهم النُّعمان بن المنذر، إلى أيّام ملوك كِنْدَة، على ما نذكره إن شاء الله.

وقيل: في سبب مسير ولد نصر بن ربيعة إلى العراق غيـر ما تقـدّم، وهو رؤيـا رآها ربيعة، وسيرِد ذِكرها عند أمر الحبشة، إن شاء الله تعالى.

---

(١) في الأصل «فعرفته».
(٢) لطف التدبير ١٩١ ـ ١٩٤.
(٣) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨٥.
(٤) الطبري ١/٦٢٧ وفي تاريخ سنيّ ملوك الأرض (ابن خمسين وماية سنة).
(٥) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨٦.
(٦) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨٦.
(٧) إضافة من تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨٦.
(٨) في الأصل «وشهرين»، والتصويب من تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨٦.
(٩) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨٥.

ذكر طَسْم وجَديس وكانوا أيام ملوك الطوائف[1]

كان طَسْم بن لَوذ بن إرم[2] بن سام بن نوح، وجَدِيس بن عامر بن أزهر[2] بن سام ابنَيْ عمّ، وكانت مساكنهم موضع اليمامة، وكان اسمها حينئذٍ جَوّاً، وكانت من أخصب البلاد وأكثرها خيراً، وكان ملكهم أيّام ملوك الطوائف عمليق، وكان ظالماً قد تمادى في الظلم والغشم، والسيرة الكثيرة القبح، وإنّ امرأة من جَديس يقال لها هُزَيلة طلّقها زوجُها، وأراد أخْذَ ولدِها منها، فخاصَمَتْه إلى عمليق، وقالت: «أيّها الملك، حملتُه تسعاً، ووضعتُه دفعاً، وأرضعتُه شفعاً؛ حتى إذا تمّت أوصالُه، ودنا فِصاله، أراد أن يأخذه منّي كرهاً، ويتركني بعده ورها[3]. فقال زوجُها: أيّها الملك إنّها أُعطِيَت مهرَها كاملاً، ولم أصبْ منها طائلاً، إلاّ وليداً خاملاً، فافعل ما كنتَ فاعلاً. فأمر الملك بالغلام، فصار في غلمانه، وأن تُباع المرأة وزوجها، فيُعطَى زوجُها خُمس ثمنها، وتُعطى المرأة عُشر ثمن زوجها، فقالت هُزَيْلَة:

أتَينا أخا طَسْمٍ لِيَحكُمَ بَينَنا ... فأنفذ[4] حكماً في هُزَيلة ظالمَا

لعَمري لقَد حكّمْتَ لا متَورّعاً ... وَلا كنتَ فيمن[5] يُبرمُ الحكم عالما

ندمتُ وَلم أندَمْ وأنّي بِعِتْرَتي ... وَأصبَحَ بَعْلي في الحكومةِ نَادِماً[6]

فلمّا سمع عمليق قولَها، أمر أن لا تُزوّج بكرٌ من جديس، وتُهْدى إلى زوجها حتى

---

(١) تاريخ الطبري ١/٦٢٩، مروج الذهب ٢/١٣٤، البدء والتاريخ ٣/٢٧، تاريخ ابن خلدون ٢/٢٤، الأخبار الطوال لابن قتيبة ١٤، الروض الأنف ١/٢٠، المحبّر لابن حبيب ٣٨٤، نهاية الأرب ١٥/٣٣٩، لسان العرب ١٥/٢٥٦، المفصّل في تاريخ العرب ١/٣٣٤.

(٢) في طبعة صادر ١/٣٥١ «أزهر»، وما أثبتناه عن الأصل، والمحبّر ٣٨٤، ونهاية الأرب ١٥/٣٣٩، ومروج الذهب ٢/١٣٤، والأخبار الطوال ١٥، والمفصّل في تاريخ العرب ١/٣٣٤.

(٣) في النسخة (ب): «ولها». والقول في مروج الذهب ٢/١٣٦ مع اختلاف.

(٤) في النسختين (ب) و(ت): «فأبعد».

(٥) في النسخة (ر): «فيما».

(٦) الأبيات في الصبح المنير ٧٥ (طبعة أوربة)، ومروج الذهب ٢/١٣٦، ١٣٧، ونهاية الأرب ١٥/٣٣٩ باختلاف في الألفاظ، وفي الأغاني ١١/١٦٥.

يفترعَها، فلقوا من ذلك بلاءً وجَهداً وذُلّاً، ولم يزل يفعل ذلك حتى زُوّجت الشموس، وهي عُفَيْرَة[١] بنت عفار[٢]، أخت الأسود، فلمّا أرادوا حملها إلى زوجها، انطلقوا بها إلى عمليق لينالها قبله، ومعها الفتيان، فلمّا دخلت عليه افترعها وخلّى سبيلها، فخرجت إلى قومها في دمائها، وقد شقّت درعها من قُبُل ودُبُر، والدم يبين[٣]، وهي في أقبح منظر تقول:

لا أحدَ أذلّ مِن جَديس أهكَذا يُفْعَلُ بالعَرُوس؟
يَرْضَى بذا يا قوْمِ بَعلٌ حُرّ[٤] أهدى وقد أعطى وَسيقَ المُهر[٥]

وقالت أيضاً لتحرّض قومها:

أَيجمُلُ ما يُؤتَى إلى فَتياتِكم وأنتم رِجالٌ فيكُمُ عدَدُ النّمْلِ[٦]
وتُصْبِحُ تمشي في الدِّماء عَفِيرةٌ[٧] جِهاراً وزُفّتْ في النّساء إلى بَعلِ
وَلَوْ أنّنا كُنّا رِجالاً وكنتُمُ نساءً لكُنّا لا نقرُّ بذا[٨] الفِعْلِ
فموتوا كراماً أوْ أميتوا عدوَّكم ودِبّوا لنارِ الحرْبِ بالحطب الجزْلِ
وَإلاّ فخَلُّوا بطنَها وتحمّلوا إلى بَلَدٍ قفرٍ وموتوا منَ الهَزْلِ
فلَلْبَينُ خيرٌ من مُقامٍ على الأذى وَلَلْمَوْتُ خيرٌ من مُقامٍ على الذلّ
وإنْ أنتمُ لم تغضَبوا بعدَ هذِهِ فكونوا نساء لا تُعابُ[٩] من الكحلِ

---

(١) في النسختين: (ب) و(ر): «عقيرة». والمثبت يتفق مع ما جاء في لسان العرب والقاموس في مادّة «عفر»، بضمّ العين وفتح الفاء بصيغة التصغير كجُهَيْنَة. وورد في الأغاني ١١/١٦٥ (طبعة دار الكتب) «عَفِيرة» مضبوطاً بالقلم: بفتح العين وكسر الفاء.

(٢) في طبعة صادر ١/٣٥٢ «عباد»، والتصويب من الأصل، والطبعة الأوربية ١/١٥٤، والصبح المنير ٧٥، ونهاية الأرب ١٥/٣٤٠، وفي مروج الذهب ٢/١٣٧ «غفار»، وكذا في الأخبار الطوال ١٥.

(٣) في النسخة (ر): «ينتثر».

(٤) ورد هذا الشطر في نهاية الأرب: «يرضى بهذا يا لَقومي حُرُّ».

(٥) في النسختين (ب) و(ر) بيت ثالث:

يقبضه الموت كذا بنفسه أصلح أن يصنع ذا بعرسه

والأبيات الثلاثة في نهاية الأرب ١٥/٣٤٠، والأغاني ١١/١٦٥، والبيت الأول فقط في مروج الذهب ٢/١٣٧.

(٦) في النسخة (ب)، ومروج الذهب ٢/١٣٧، ونهاية الأرب ١٥/٣٤٠ «الرمل»، والمثبت يتفق مع الأغاني ١١/١٦٦، والصبح المنير، والأخبار الطوال للدينوري ١٥.

(٧) في الأصل، والنسخة (ر): «عقيرة». والمثبت يتفق مع الأغاني. وقد ورد هذا الشطر في مروج الذهب ٢/١٣٧ ونهاية الأرب ١٥/٣٤٠ على هذا النحو: «أَيَصْلُحُ تمشي في الدماء فتياتكم».

(٨) في الأصل «لذا».

(٩) في الأصل، ونسخة (ر): «لا تغب»، وفي الطبعة الأوربية «تعيب».

ودونَكُمُ طِيبَ النّساء[1] فإنّما خُلقتم لأثْوابِ العرُوسِ ولِلغسْلِ[2]
فبُعداً وسُحقاً للذي ليس دافعاً ويختالُ يمشي بينَنا مِشيةَ الفحلِ[3]

فلمّا سمع أخوها الأسود قولَها، وكان سيّداً مطاعاً، قال لقومه: يا معشر جَديس، إنّ هؤلاء القوم ليسوا بأعزّ منكم في داركم، إلاّ بملك صاحبهم علينا وعليهم، ولولا عجزْنا، لما كان له فضل علينا، ولو امتنعنا لانتصفنا منه، فأطيعوني فيما آمركم، فإنّه عز[4] الدّهر.

وقد حَميَ جَديس لما سمعوا من قولها، فقالوا: نطيعك، ولكنّ القوم أكثر منّا! قال: فإنّي أصنع للملك طعاماً، وأدعوه وأهلَه إليه، فإذا جاؤوا يرفُلون في الحُلَل أخذنا[5] سيوفَنا وقتلناهم. فقالوا: افعلْ. فصنع طعاماً فأكثر، وجعله بظاهر البلد، ودفن هو وقومُه سيوفَهم في الرمل، ودعا الملك وقومَه، فجاؤوا يرفُلون في حُلَلهم، فلمّا أخذوا مجالسهم، ومدّوا أيديهم يأكلون، أخذتْ جَدِيس سيوفَهم من الرمل، وقتلوهم، وقتلوا ملكهم، وقتلوا بعد ذلك السِّفْلة[6].

ثمّ إنّ بقيّة طَسْم قصدوا حسّان بن تُبّع ملك اليمن، فاستنصروه، فسار إلى اليمامة، فلمّا كان منها على مسيرة ثلاث، قال له بعضهم: إنّ لي أختاً متزوّجة في جَدِيس يقال لها اليمامة، تبصر الراكب من مسيرة ثلاث، وإنّي أخاف أن تنذر القوم بك، فمُرْ أصحابَك، فلْيقطع كلّ رجل منهم شجرةً، فليجعلها أمامه[7].

فأمرهم حسّان بذلك، فنظرت اليمامةُ فأبصرتهم، فقالت لجَدِيس: لقد سارت إليكم حِمْيَر. قالوا: وما ترين؟ قالت: أرى رجلاً في شجرة، معه كتف يتعرّقها، أو نعل يخصفها؛ وكان كذلك، فكذّبوها، فصبّحهم حسّان فأبادهم، وأُتي حسّان باليمامة ففقأ عينها، فإذا فيها عروق سود، فقال: ما هذا؟ قالت: حجر أسود كنتُ أكتحل به، يقال له الإثمد، وكانت أوّل من اكتحل به. وبهذه اليمامة سُمّيت اليمامة[8]، وقد أكثر الشعراء ذِكرَها في أشعارهم[9].

---

(١) في الأغاني، ومروج الذهب، ونهاية الأرب «العروس».
(٢) في النسخة (ب): «للعسل» بالعين المهملة، وفي طبعة صادر ١/٣٥٣ «للنسل»، والتصحيح من الطبعة الأوربية، والأغاني، ومروج الذهب، ونهاية الأرب.
(٣) الأبيات في: مروج الذهب ٢/١٣٧، والأغاني ١١/١٦٦، ونهاية الأرب ١٥/٣٤٠.
(٤) في النسخة (ب): «غنى»، والمثبت يتفق مع مروج الذهب ٢/١٣٨، والأغاني ١١/١٦٦.
(٥) العبارة في النسخة (ب): «سيوفهم ثم أخذنا».
(٦) الأغاني ١١/١٦٧.
(٧) مروج الذهب ٢/١٤٠، نهاية الأرب ١٥/٣٤١، البدء والتاريخ ٣/٢٩.
(٨) مروج الذهب ٢/١٤١، نهاية الأرب ١٥/٣٤٢.
(٩) نهاية الأرب ١٥/٣٤٣.

ولما هلكت جديس هرب الأسود قاتل عمليق إلى جَبَلَيْ طيّء، فأقام بهما، ذلك قبل أن تنزلهما طيّء، وكانت طيّء تنزل الجُرْفَ من اليمن، وهو الآن لمُراد وهمدان. وكان يأتي إلى طيّء بعيرٌ أزمان الخريف، عظيم السمن، ويعود عنهم، ولم يعلموا من أين يأتي، ثمّ إنّهم اتّبعوه يسيرون بسيره، حتى هبط بهم على أجأ وسُلْمى جبلَيْ طيّء، وهما بقرب فَيْد، فرأوا فيهما[1] النخل والمراعي الكثيرة، ورأوا الأسود بن عفار[2]، فقتلوه، وأقامت طيّء بالجبلَين بعده، فهم هناك إلى الآن، وهذا أوّل مخرجهم إليهما[3].

(١) في الأصل «فيه».

(٢) في الأغاني ١١/١٦٨ «عباد».

(٣) في الأصل «إليها»، والخبر في الأغاني ١١/٣٦٧ ـ ٣٦٩.

ذكر أصحاب الكهف
وكانوا أيام ملوك الطوائف[1]

كان أصحاب الكهف أيّام ملك اسمه دقيوس[2]، ويقال دقيانوس، وكانوا بمدينة للروم اسمها أفسوس، وملكهم يعبد الأصنام، وكانوا فتيةً آمنوا بربّهم كما ذكر الله تعالى، فقال: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً﴾[3]؛ والرّقيم خبرهم كُتب في لوح، وجُعل على باب الكهف الذي أووا إليه، وقيل: كتبه بعضُ أهل زمانهم وجعله [في البناء]، وفيه أسماؤهم، وفي أيّام مَنْ كانوا، وسبب وصولهم إلى الكهف[4].

وكانت عِدّتهم، فيما ذكر ابن عبّاس، سبعة، وثامنهم كلبهم، وقال: إنّا من القليل الذين تعلمونهم[5].

وقال ابن إسحاقَ: كانوا ثمانية، فعلى قوله يكون تاسعَهم كلبُهم[6].

وكانوا من الروم، وكانوا يعبدون الأوثان، فهداهم الله، وكانت شريعتُهم شريعة عيسى، عليه السلام.

وزعم بعضُهم أنّهم كانوا قبل المسيح، وأنّ المسيح أعلم قومَه بهم، وأنّ الله بعثهم من رقدتهم بعد رفْع المسيح[7]، والأوّل أصح.

وكان سبب إيمانهم أنّه جاء حواريّ من أصحاب عيسى إلى مدينتهم، فأراد أن يدخلها، فقيل له: إنّ على بابها صنماً، لا يدخلها أحد حتى يسجد له، فلم يدخلْها، وأتى حمّاماً قريباً من المدينة، فكان يعمل فيه، فرأى صاحب الحمّام البَرَكة. وعلِقه

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٥، عرائس المجالس ٣٢٤، البدء والتاريخ ٣/١٢٨، مروج الذهب ١/٦٥ و٣١٤ و٣٢٣، نهاية الأرب ١٥/٢٢٦، البداية والنهاية ٢/١١٣، تفسير الطبري ١٥/١٥٠، سورة الكهف.

(٢) في النسخة (ت): «دقينوس»، وهو كذلك في الطبري ٢/٧.

(٣) الكهف/٩.

(٤) في النسخة (ر) زيادة بعد «الكهف»: «وقيل كتبه الملك الذي ظهر عليهم وبنى الكنيسة عليهم».

(٥) تفسير الطبري ١٥/١٥٠، تاريخ الطبري ٢/٥.

(٦) تفسير الطبري ١٥/١٤٨، تاريخ الطبري ٢/٦.

(٧) العبارة من نسختي (ب) و(ت)، والطبري ٢/٧.

الفتية، فجعل يخبرهم خبرَ السماء والأرض، وخبرَ الآخرة، حتى آمنوا به وصدّقوه. فكان على ذلك، حتى جاء ابنُ الملك بامرأة، فدخل بها الحمّام، فعيّره الحواريّ، فاستحيا، ثمّ رجع مرّة أخرى، فعيّره، فسبّه وانتهره، ودخل الحمّام ومعه المرأة، فماتا في الحمّام، فقيل للملك: إنّ الذي بالحمّام قتلهما، فطُلب فلم يُوجد، فقيل: من كان يصحبه؟ فذُكر الفتية، فطُلبوا فهربوا، فمرّوا بصاحبٍ لهم على حالهم في زرع له، فذكروا له أمرهم. فسار معهم وتبِعهُم الكلب الذي له، حتى آواهم اللّيل إلى الكهف، فقالوا: نبيت ههنا حتى نصبح، ثمّ نرى رأينا، فدخلوه فرأوا عنده عينَ ماء وثماراً، فأكلوا من الثمار وشربوا من الماء، فلمّا جنّهم اللّيلُ ضرب الله على آذانهم، ووكّل بهم ملائكة يقلّبونهم ذات اليمين وذات الشمال، لئلاّ تأكل الأرضُ أجسادهم، وكانت الشمس تطلع عليهم.

وسمع الملك دقيانوس خبرهم، فخرج في أصحابه يتبعون أثرهم، حتى وجدهم قد دخلوا الكهف، وأمر أصحابه بالدخول إليهم وإخراجهم. فكلّما أراد رجل أن يدخل أُرعب، فعاد، فقال بعضهم: أليس لو كنتَ ظفرتَ بهم قتلتَهم؟ قال: بلى. قال: فابنِ عليهم باب الكهف، ودعهم يموتوا جوعاً وعطشاً[1]. ففعل، فبقوا زماناً بعد زمان.

ثمّ إنّ راعياً أدركه المطر فقال: لو فتحتُ باب هذا الكهف فأدخلتُ غنمي فيه، ففتحه، فردّ الله إليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا، فبعثوا أحدهم بورِقٍ ليشتري لهم طعاماً، واسمه تلميخا[2]، فلمّا أتَى باب المدينة رأى ما أنكره، حتى دخل على رجل فقال: بِعْني بهذه الدراهم طعاماً. فقال: فمن أين لك هذه الدراهم؟ قال: خرجتُ أنا وأصحاب لي أمس[3]، ثمّ أصبحوا فأرسلوني. فقال: هذه الدراهم كانت على عهد الملك الفلانيّ. فرفعه إلى الملك، وكان ملكاً صالحاً، فسأله عنها، فأعاد عليه حالهم. فقال الملك: أين أصحابك؟ قال: انطلِقوا معي. فانطلقوا معه حتى أتوا بابَ الكهف، فقال: دعوني أدخل إلى أصحابي قبلكم، لئلاّ يسمعوا أصواتكم، فيخافوا[4]، ظنّاً منهم أنّ دقيانوس قد علم بهم. فدخل عليهم وأخبرهم الخبرَ، فسجدوا شكراً لله، وسألوه أن يتوفّاهم، فاستجاب لهم. فضرب على أذنه وآذانهم، وأراد الملك الدخول عليهم، فكانوا كلّما دخل رجل أُرعب، فلم يقدروا أن يدخلوا عليهم، فعاد عنهم، فبنوا عليهم كنيسة يصلّون فيها[5].

---

(١) إلى هنا ينتهي الخبر في تفسير الطبري ١٥/١٣٦ طبعة بولاق.

(٢) في عرائس المجالس ٣٢٩ «تمليخا»، وكذلك في نهاية الأرب ١٥/٢٧١.

(٣) في النسخة (ر) وردت العبارة: «أمس فلما أصبحنا فأرسلوني لأشتري لهم طعاماً».

(٤) في الأصل «فيخافون».

(٥) الخبر في تاريخ الطبري ٢/٧ - ٩ وفيه «مسجداً» بدل «كنيسة».

قال عِكْرِمَة: لما بعثهم الله كان الملك حينئذٍ مؤمناً، وكان قد اختلف أهلُ مملكته في الروح والجسد وَبَعْثِهما، فقال قائل؛ يبعث الله الروحَ دون الجسد. وقال قائل: يُبعثان جميعاً، فشُقّ ذلك على الملك، فلبس المسوح، وسأل الله أن يبيّن له الحقّ، فبعث الله أصحاب الكهف بُكرةً، فلمّا بزغتِ الشمسُ قال بعضهم لبعض: قد غفلنا هذه اللّيلة عن العبادة، فقاموا إلى الماء، وكان عند الكهف عين وشجرة، فإذا العين قد غارت، والأشجارُ قد يبست، فقال بعضهم لبعض: إنّ أمرنا لَعَجَب! هذه العين غارت، وهذه الأشجار يبست في ليلة واحدة! وألقى الله عليهم الجوع، فقالوا: أيّكم يذهب ﴿**إلى المَدِينَة فَلْيَنْظُرْ أيُّهَا أزْكَى طَعَاماً فَلْيَأتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أحَداً**﴾[1].

فدخل أحدهم يشتري الطعام، فلمّا رأى السوق عرف طُرُقها، وأنكر الوجوهَ، ورأى الإيمان ظاهراً بها، فأتى رجلاً يشتري منه، فأنكر الدراهم، فرفعه إلى الملك، فقال الفتى: أليس ملككم فلان؟ فقال الرجل: لا بل فلان! فعجب لذلك. فلمّا أُحضر عند الملك، أخبره بخبر أصحابه، فجمع الملكُ النَّاسَ، وقال لهم: إنّكم قد اختلفتم في الروح والجسد، وإنّ الله قد بعث لكم آيةً، هذا الرجل من قوم فلان، يعني الملك الذي مضى. فقال الفتى: انطلقوا بي إلى أصحابي، فركب الملكُ والنّاسُ معه، فلمّا انتهى إلى الكهف، قال الفتى للملك: ذَرُوني أسبقكم إلى أصحابي أعرِّفهم خبركم، لئلا يخافوا إذا سمعوا وقْع حوافر دوابّكم وأصواتكم، فيظنّوكم دقيانوس. فقال: افعل. فسبقهم إلى أصحابه، ودخل على أصحابه، فأخبرهم الخبرَ، فعلموا حينئذٍ مقدار لبثهم في الكهف، وبكوا فرحاً، ودعوا الله أن يميتهم ولا يراهم أحد ممّن جاءهم، فماتوا لساعتهم، فضرب (الله على أُذُنه وآذانهم معه، فلمّا استبطأوه دخلوا إلى الفتية)[2] فإذا أجسادهم لا ينكرون منها شيئاً، غير أنّها لا أرواح فيها، فقال الملك: هذه آية لكم. ورأى الملك تابوتاً من نحاس مختوماً بخاتم، ففتحه، فرأى فيه لوحاً من رصاص مكتوباً[3] فيه أسماء الفتية، وأنّهم هربوا من دقيانوس الملك، مخافةً على نفوسهم ودينهم، فدخلوا هذا الكهف. فلمّا علم دقيانوس بمكانهم بالكهف، سدّه عليهم. فلْيعلم من يقرأ كتابَنا هذا شأنهم.

فلمّا قرأوه عجبوا، وحمدوا الله تعالى الذي أراهم هذه الآية للبعث، ورفعوا أصواتهم بالتحميد والتسبيح[4].

---

(١) الكهف/١٩.

(٢) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر)، وفيها العبارة: «والفتى معهم ووصل الملك إلى الكهف فأبطأ عليهم الفتى ودخلوا الكهف فرأوا الفتية».

(٣) في الأصل «مكتوب».

(٤) الخبر في تفسير الطبري ١٤٣/١٥ وهو مختصر في تاريخ الطبري ٩/٢، ١٠.

وقيل: إنّ الملك ومن معه، دخلوا على الفتية، فرأوهم أحياء، مشرقةً وجوهُهم، وألوانهم، لم تُبل ثيابهم، وأخبرهم الفتية بما لقوا من ملكهم دقيانوس، واعتنقهم الملكُ، وقعدوا معه يسبّحون الله ويذكرونه، ثمّ قالوا له: نستودعك الله، ورجعوا إلى مضاجعهم كما كانوا، فعمل الملكُ لكلّ رجل منهم تابوتاً من الذهب. فلمّا نام رآهم في منامه وقالوا: إنّنا لم نُخْلق من الذهب، إنّما خُلقنا من التراب وإليه نصير، فعمل لهم حينئذٍ توابيت من خشب، فحجبهم الله بالرعب، وبنى الملك على باب الكهف مسجداً، وجعل لهم عيداً عظيماً[1].

وأسماء الفتية: مكسلمينيا، ويمليخا[2]، ومرطوس، ونيرويس، وكسطومس[3]، ودينموس، وريطوفس[4]، وقالوس، ومخسيلمينيا، وهذه تسعة أسماء[5]، وهي أتم الروايات، والله أعلم، وكلبهم قطمير.

---

(١) الخبر في عرائس المجالس ٣٣٧.

(٢) في النسخة (ر): «مكسملينيا وتمليخا».

(٣) في النسخة (ر): «كسطويس».

(٤) في النسخة (ر): «ربطونس».

(٥) راجع الأسماء في تفسير الطبري ١٤٨/١٥ وتاريخ الطبري ٦/٢، وعرائس المجالس ٣٣٧، والبدء والتاريخ ١٢٨/٣.

ذكر يونس بن متى[1]

وكان أمره من الأحداث أيّام ملوك الطوائف.

قيل: لم يُنسب أحد من الأنبياء إلى أمّه إلاّ عيسى بن مريم، ويونس بن متى، وهي أمّه[2]. وكان من قرية من قرى الموصل، يقال لها نِينَوَى، وكان قومه[3] يعبدون الأصنام، فبعثه الله إليهم بالنهي عن عبادتها، والأمر بالتوحيد، فأقام فيهم ثلاثاً وثلاثين سنة يدعوهم، فلم يؤمن غير رجلين، فلمّا أيس من إيمانهم دعا عليهم، فقيل له: ما أسرع ما دعوتَ على عبادي! ارْجع إليهم فادعهم أربعين يوماً، فدعاهم سبعة وثلاثين يوماً، فلم يجيبوه، فقال لهم: إنّ العذاب يأتيكم إلى ثلاثة أيّام، وآية ذلك أنّ ألوانكم تتغيّر، فلمّا أصبحوا تغيّرت ألوانهم، فقالوا: قد نزل بكم ما قال يونس، ولم نجرّب عليه كذِباً، فانظروا، فإنْ بات فيكم فأْمَنوا من العذاب، وإن لم يَبِتْ فاعلموا أنّ العذاب يُصبّحكم[4].

فلمّا كانت ليلة الأربعين، أيقن يونس بنزول العذاب، فخرج من بين أظهرهم. فلمّا كان الغد تغشّاهم العذاب فوق رؤوسهم، خرج عليهم غيم أسود هائل، يدخّن دخاناً شديداً، ثمّ نزل إلى المدينة، فاسْوَدّت منه سطوحهم، فلمّا رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك، فطلبوا يونس فلم يجدوه، فألهمهم الله التوبةَ، فأخلصوا النيّة في ذلك، وقصدوا شيخاً، وقالوا له: قد نزل بنا ما ترى فما نفعل؟ فقال: آمنوا بالله وتوبوا وقولوا: يا حيّ يا قيوم، يا حيّ حين لا حيّ، يا حيّ محيي الموتى، يا حيّ لا إله إلاّ أنت. فخرجوا من القرية إلى مكان رفيع في بَراز من الأرض، وفرّقوا بين كلّ دابّة وولدها، ثمّ عجّوا إلى الله واستقالوه،

---

(١) تاريخ الطبري ٢/١١، عرائس المجالس ٣٢٨، المستدرك على الصحيحين ٢/٥٨٣، المعارف ٥٢، البدء والتاريخ ٣/١١٠، تفسير الطبري ١٥/٢٠٥، تاريخ ابن وثيمة ٢٢٣، زاد المسير ٤/٦٥ - ٦٧ و٧/٨٦ - ٩٠، الدر المنثور ٣/٣١٧، ٣١٨ و٤/٣٣٢ - ٣٣٤ و٥/٢٨٧ - ٢٩٢، الكسائي ٢٩٦، نهاية الأرب ١٤/١٧١، البداية والنهاية ١/٢٣١، تفسير ابن كثير ٣/٥٢٩ - ٥٣١ و٤/٥٨٦ - ٥٨٩ و٦/٣٥ - ٣٧، مرآة الزمان ١/٥٥٧.

(٢) عرائس المجالس ٣٢١، مرآة الزمان ١/٥٥٧.

(٣) في النسخة (ر) زيادة: «وكان نينوى مدينة تقابل الموصل بينهما دجلة، وكان قومه».

(٤) في الأصل «يصحبكم».

وردّوا المظالم جميعاً، حتى إنْ كان أحدهم ليقلع الحجر من بنائه، فيردّه إلى صاحبه[1].

فكشف الله عنهم العذابَ، وكان [يوم عاشوراء] يوم الأربعاء، وقيل: للنصف من شوّال يوم الأربعاء، وانتظر يونس الخبر عن القرية وأهلها، حتى مرّ به مارّ فقال: ما فعل أهل القرية؟ فقال: تابوا إلى الله فقبل منهم، وأخّر عنهم العذاب. فغضب يونس عند ذلك فقال: والله لا أرجع كذّاباً! ولم تكن قرية ردّ الله عنهم العذاب بعدما غشِيهم إلاّ قوم يونس، ومضى مغاضباً لربّه[2]. وكان فيه حدّة وعَجلة وقلّة صبر، ولذلك نُهِيَ النبيُّ، ﷺ، أن يكون مثله، فقال تعالى: ﴿**وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الحُوتِ**﴾[3].

ولما مضى ظنّ أنّ الله لا يقدر عليه، أي يقضي عليه العقوبة، وقيل: يضيّق عليه الحبس، فسار حتى ركب في سفينة فأصاب أهلها عاصف من الريح[4].

وقيل: بل وقفت فلم تَسِرْ، فقال مَنْ فيها: هذه بخطيئة أحدكم! فقال يونس: هذه بخطيئتي فألقوني في البحر، فأبوا عليه حتى أفاضوا بسهامهم ﴿**فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ المُدْحَضِينَ**﴾[5]، فلم يلقوه، وفعلوا ذلك ثلاثاً، ولم يلقوه، فألقى نفسه في البحر، وذلك تحت اللّيل، فالتقمه الحوت، فأوحى الله إلى الحوت أن يأخذه، ولا يخدش له لحماً، ولا يكسر له عظماً، فأخذه وعاد إلى مسكنه من البحر، فلمّا انتهَى إليه سمع يونس حسّاً، فقال في نفسه: ما هذا؟ فأوحى الله إليه في بطن الحوت: إنّ هذا تسبيح دوابّ البحر، فسبّح وهو في بطن الحوت، فسمعت الملائكة تسبيحه، فقالوا: ربّنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة. فقال: ذلك عبدي يونس، عصاني فحبستُه في بطن الحوت في البحر. فقالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد له كلّ يوم عمل صالح؟ فشفعوا له عند ذلك[6]، ﴿**فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ**ـ ظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وظلمة اللّيل ـ: **أنْ لا إلَـهَ إلاّ أنْتَ سُبْحَانَكَ إنّي كُنْتُ مِنَ الظّالِمِينَ**﴾[7]! وكان قد سبق له من العمل الصالح، فأنزل الله فيه: ﴿**فَلَوْلَا أنّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[8]، وذلك أنّ العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر، ﴿**فَنَبَذْنَاهُ بِالعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ**﴾[9]؛ أُلقي على ساحل البحر،

---

(١) عرائس المجالس ٣٢٢، الطبري ٢/١٣.

(٢) عرائس المجالس ٣٢٣، الطبري ٢/١٢.

(٣) القلم/٤٨.

(٤) تفسير الطبري ١٥/٢٠٨، ٢٠٩، التاريخ ٢/١٤.

(٥) الصافات/١٤١.

(٦) عرائس المجالس ٣٢٣.

(٧) الأنبياء/٨٧.

(٨) الصافات/١٤٣ ـ ١٤٤.

(٩) الصافات/١٤٥.

وهو كالصبيّ المنفوس، ومكث في بطن الحوت أربعين يوماً[1].

وقيل: عشرين يوماً[2].

وقيل: ثلاثة أيّام[3].

وقيل: سبعة أيّام[4]، والله أعلم.

وأنبت [الله] عليه شجرة من يَقْطِين، وهو القرع، يتقطّر إليه منه اللبن[5].

وقيل: هيّأ الله له أرويّة وحشية، فكانت تُرْضِعه بُكْرةً وعشيّة، حتى رجعت إليه قوّته وصار يمشي، فرجع ذات يوم إلى الشجرة، فوجدها قد يبست، فحزن وبكى عليها، فعاتبه الله، وقيل له: أتبكي وتحزن على شجرة، ولا تحزن على مائة ألف وزيادة أردتَ أن تُهلكهم[6]!.

ثمّ إنّ الله أمره أن يأتي قومه فيخبرهم أنّ الله قد تاب عليهم، فعمد إليهم، فلقي راعياً، فسأله عن قومِ يونس، فأخبره أنّهم على رجاء أن يرجع إليهم رسولهم، قال: فأخبِرْهم أنّك قد لقيتَ يونس. قال: لا أستطيع إلاّ بشاهد، فسمّى له عنزاً من غَنمه، والبقعة التي كانا فيها، وشجرةً هناك، وقال: كلّ هذه تشهد لك[7]. فرجع الراعي إلى قومه، فأخبرهم أنّه رأى يونس، فهمّوا به، فقال: لا تعجلوا حتى أصبح. فلمّا أصبح، غدا بهم إلى البقعة التي لقي فيها يونس، فاستنطقها، فشهدت له، وكذلك الشاة والشجرة[8]، وكان يونس قد اختفى هناك. فلمّا شهدت الشاة قالت لهم: إن أردتم نبيَّ الله فهو بمكان كذا وكذا، فأتوه، فلمّا رأوْه قبّلوا يدَيْه ورجلَيْه وأدخلوه المدينة بعد امتناع، فمكث مع أهله وولده أربعين يوماً، وخرج سائحاً، وخرج الملك معه يصحبه، وسلّم المُلك إلى الراعي، فأقام يدبّر أمرهم أربعين سنة بعد ذلك. ثمّ إنّ يونس أتاهم بعد ذلك[9].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٥٨٤ من طريق عمرو بن طلحة، عن أسباط بن نصر، عن السّدّي، عن أبي مالك، عن ابن عباس، قال: «مكث يونس في بطن الحوت أربعين يوماً». وتابعه الذهبي في التلخيص ٢/٥٨٤، وفي عرائس المجالس ٣٢٤ هو قول الكلبي.

(٢) قول الضحّاك. (عرائس المجالس ٣٢٣، ٣٢٤).

(٣) قول مقاتل. (عرائس المجالس ٣٢٣).

(٤) قول عطاء. (عرائس المجالس ٣٢٣).

(٥) تاريخ الطبري ٢/١٤، ١٥، عرائس المجالس ٣٢٤.

(٦) الطبري ٢/١٥، الثعلبي ٣٢٤.

(٧) في الأصل «له» وهو خطأ.

(٨) إلى هنا ينتهي الخبر عند الطبري ٢/١٥.

(٩) عرائس المجالس ٣٢٤.

وقال ابن عبّاس، وشهر بن حَوْشَب: كانت رسالة يونس بعدما نبذه الحوت، وقالا: كذلك أخبر الله تعالى في سورة الصّافّات، فإنّه قال: **﴿فنبَـذْنَاهُ بِـالعَرَاءِ وَهُـوَ سَقِيمٌ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ وَأَرْسَلْنَاهُ إلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾**[1].

وقال شهر: إنَّ جبرائيل أتَى يونس فقال له: انطَلِقْ إلى أهل نِينوى فأنذِرْهم العذابَ، فإنّه قد حضرهم. قال: ألتمِس دابّة. قال: الأمر أعجل من ذلك. قال: ألتمس حذاء. قال: الأمر أعجل من ذلك. قال: فغضب وانطلق إلى السفينة فركب، فلمّا ركب احتبستْ، قال: فساهموا، فسهم، فجاءت الحوت، فنودي الحوت: إنّا لم نجعل يونس من رزقك، إنّما جعلناك له حرزاً، فالتقمه الحوت وانطلق به من ذلك المكان، حتى مرّ به على الأُبُلّة[2]، ثمّ انطلق به على دجلة، حتى ألقاه بنِينَوَى[3].

---

(١) الصافات/١٤٥ ـ ١٤٧.

(٢) في النسخة (ب): «الايلة» وهو تحريف.

(٣) الطبري ٢/١٢.

وممّا كان من الأحداث أيام ملوك الطوائف[1]

إرسالُ الله تعالى الرُّسُلَ الثلاثة إلى مدينة أنطاكية، وكانوا من الحواريّين أصحاب المسيح، أرسل أوّلاً اثنين، وقد اختُلف في أسمائهما، فقدِما أنطاكية، فرأيا عندها شيخاً يرعى غنماً، وهو حبيب النجّار[2]، فسلّما عليه، فقال: مَنْ أنتما؟ قالا: رسولا عيسى، ندعوكم إلى عبادة الله تعالى. قال: معكما آية؟ قالا: نعم، نحن نشفي المرضى، ونُبرىء الأكمه والأبرص بإذن الله. قال حبيب: إنّ لي ابناً مريضاً منذ سنين، وأتى بهما منزله، فمسَحا ابنَه، فقام في الوقت صحيحاً، ففشا الخبرُ في المدينة، وشفى الله على أيديهما كثيراً من المرضى. وكان لهم ملك اسمه أنطيخس يعبد الأصنام، فبلغ إليه خبرهُما، فدعاهما، فقال: مَنْ أنتما؟ قالا: رُسُل عيسى ندعوك إلى الله تعالى. قال: فما آيتكما؟ قالا: نُبرىء الأكمه والأبرص، ونشفي المرضى بإذن الله. فقال: قُومَا حتى ننظر في أمركما، فقاما، فضربهما العامّة[3].

وقيل: إنّهما قدِما المدينة، فبقيا مدّة لا يصلان إلى الملك، فخرج الملكُ يوماً، فكبّرا وذكرا الله، فغضب وحبسهما، وجلد كلّ واحد منهما مائة جلدة، فلمّا كُذّبا بعث المسيحُ شمعون رأس الحواريّين لينصرهما، فدخل البلد متنكّراً، وعاشر حاشية الملك، فرفعوا خبره إلى الملك، فأحضره ورضي عِشْرته، وأنِس به وأكرمه، فقال له يوماً: أيّها الملك بلغني أنّك حبستَ رجلين في السجن، وضربتهما حين دعوَاك إلى دينهما، فهل كلّمتهما وسمعتَ قولهما؟ فقال الملك: حال الغضب بيني وبين ذلك. قال: فإنْ رأى الملك أن يحضرهما حتى نسمع كلامهما، فدعاهما الملك، فقال لهما شمعون: مَنْ أرسلكما؟ قالا: الله الذي خلق كلّ شيء ولا شريك له. قال: فصِفاه وأوجزا. قالا: إنّه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. قال شمعون: فما آيتكما؟ قالا: ما تتمنّاه[4].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١/ ٨٠، تاريخ الطبري ٢/ ١٨، مروج الذهب ١/ ٦٦، البدء والتاريخ ٣/ ١٢٧، عرائس المجالس ٣١٩، معجم البلدان ١/ ٢٦٧، نهاية الأرب ١٤/ ٢٥٠، تفسير الطبري ٢٢/ ١٠١.

(٢) العقد الفريد ٦/ ٢٥٢، البدء والتاريخ ٣/ ١٣٠.

(٣) الخبر في عرائس المجالس ٣١٩.

(٤) في النسخة (ب): «بيناه»، والمثبت يتفق مع عرائس المجالس ٣٢٠.

فأمر الملك، فجيء بغلام مطموس العينين موضعهما كاللحمة[1] فما زالا يدعوان ربّهما حتى انشقّ موضع البصر، واخذا بندقَتين من الطين، فوضعاهما في حدقتَيْه، فصارتا مُقْلَتَين يبصر بهما. فعجب الملكُ لذلك فقال: إنْ قدِر إلهكما الذي تعبدانه على إحياء ميت آمنّا به وبكما. قالا: إنّ إلهنا قادر على كلّ شيء. فقال الملك: إنّ هاهنا ميتاً منذ سبعة أيّام، فلم ندفنه حتى يرجع أبوه، وهو غائب. فأُحضر الميت وقد تغيَّرت ريحُه، فدعَوا الله تعالى علانيةً، وشمعون يدعو سرّاً، فقام الميت، فقال لقومه: إنّي متّ مشركاً، وأُدخلتُ في أودية من النّار. وأنا أحذّركم ما أنتم فيه. ثمّ قال: فُتحت أبواب السماء، فنظرت فرأيتُ شابّاً حسن الوجه، يشفع لهؤلاء الثلاثة. فقال الملك: ومَنْ هم؟ فقال: هذا، وأومأ إلى شمعون، وهذان، وأشار إليهما، فعجب الملكُ، فحينئذٍ دعا شمعون الملك إلى دينه، فآمن قومُه، وكان الملك فيمن آمن وكفر آخرون[2].

وقيل: بل كفر الملك، وأجمع هو وقومه على قتل الرسُل، فبلغ ذلك حبيباً النجّار، وهو على باب المدينة، فجاء يسعى إليهم فيذكّرهم ويدعوهم إلى طاعة الله وطاعة المرسَلين، فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَينِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾[3]، وهو شمعون، فأضاف الله تعالى الإرسال إلى نفسه، وإنّما أرسلهم المسيح، لأنّه أرسلهم[4] بإذن الله تعالى.

فلمّا كذّبهم أهلُ المدينة، حبس الله عنهم المطر، فقال أهلها للرسل: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ - بالحجارة، وقيل: لنقتلنّكم - وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[5]، فلمّا حضر حبيب، وكان مؤمناً يكتم إيمانه، وكان يجمع كسبه كلّ يوم، وينفق على عياله نصفه، ويتصدّق بنصفه، فقال: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾[6]. فقال قومه: وأنت مخالف لربّنا ومؤمن بإله هؤلاء؟ فقال: ﴿وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ؟﴾[7]، فلمّا قال ذلك قتلوه، فأوجب الله له الجنّة، فذلك قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾[8]؛

---

(١) في النسخة (ر): «موضعها كالجبهة»، وفي عرائس المجالس «موضع عينيه كالجبهة».
(٢) عرائس المجالس ٣١٩، ٣٢٠.
(٣) يّس/١٤.
(٤) في الأصل «أرسله».
(٥) يّس/١٨.
(٦) يّس/٢٠.
(٧) يّس/٢٢.
(٨) يّس/٢٧.

وأرسل الله عليهم صيحةً فماتوا[1].

وممّا كان من الأحداث شمسون[2]

وكان من قرية من قرى الروم قد آمن، وكانوا يعبدون الأصنام، وكان على أميال من المدينة، وكان يغزوهم وحده، ويقاتلهم بلَحْي جمل. فكان إذا عطش انفجر له من الحجر الذي فيه ماء عذْب، فيشرب منه، وكان قد أُعطي قوّة، لا يوثقه حديد ولا غيره، وكان على ذلك يجاهدهم ويصيب منهم، ولا يقدرون منه على شيء، فجعلوا لامرأته جُعْلاً لتوثقه لهم، فأجابتهم إلى ذلك، فأعطوها حبلاً وثيقاً، فتركته حتى نام، وشدّت يديه، فاستيقظ وجذبه، فسقط الحبل من يديه، فأرسلتْ إليهم فأعلمتهم، فأرسلوا إليها بجامعة من حديد، فتركتها في يديه وعُنقه وهو نائم، فاستيقظ وجذبها، فسقطت من عنقه ويديه، فقال لها في المرّتين: ما حملكِ على ما صنعتِ؟ فقالت: أريد أجرّب قوّتك، وما رأيتُ مثلك في الدنيا، فهل في الأرض شيء يغلبك؟ قال: نعم شيء واحد، فلم تزل تسأله عنه حتى قال لها: ويحك لا يضبطني إلاّ شعري! فلمّا نام أوثقت يديه بشعر رأسه، وكان كثيراً، فأرسلت إليهم، فجاؤوا فأخذوه، فجدعوا أنفه وأُذُنيه، وفقأوا عينيه، وأقاموه للنّاس.

وجاء الملك لينظر إليه، وكانت المدينة على أساطين، فدعا الله شمسون [أن يسلّطه] عليهم، فأُمر أن يأخذ بعمودَين[3] من عُمُد المدينة فيجذبهما، وردّ إليه بصره وما أصابوه من جسده، وجذب العمودَين، فوقعت المدينة بالملك والنّاس، وهلك من فيها هدْماً[4].

وكان شمسون أيّام ملوك الطوائف.

وممّا كان من الأحداث أيضاً جرجيس[5]

قيل: كان بالموصل ملك يقال له دازانه[6]، وكان جبّاراً عاتياً، وكان جرجيس رجلاً صالحاً من أهل فلسطين يكتم إيمانه، مع أصحاب له صالحين، وكانوا قد أدركوا بقايا من

(١) تاريخ الطبري ٢/١٩، ٢٠، نهاية الأرب ١٤/٢٥٣ ـ ٢٥٥.
(٢) الطبري ٢/٢٢، البدء والتاريخ ٣/١٢٧، عرائس المجالس ٣٤٤.
(٣) في الأصل «عمودين».
(٤) تاريخ الطبري ٢/٢٢، ٢٣.
(٥) عرائس المجالس ٣٣٨، تاريخ الطبري ٢/٢٤، المعارف لابن قتيبة ٥٤، مروج الذهب ١/٦٦، البدء والتاريخ ٣/١٣٤، نهاية الأرب ١٤/٢٥٩.
(٦) في النسخة (ب): «رازانة»، وفي تاريخ الطبري ٢/٢٤ «داذانه»، وفي عرائس المجالس ٣٣٨ «زادانه»، وفي نهاية الأرب «داديه»، والمثبت يتفق مع الطبعة الأوربية ١/٢٦٤.

الحواريّين فأخذوا عنهم، وكان جرجيس كثير التجّارة عظيم الصدقة، وربّما نفد ماله في الصدقة، ثمّ يعود يكتسب مثله، ولولا الصدقة لكان الفقر أحبّ إليه من الغنى، وكان يخاف بالشام أن يُفْتَتَنْ عن دينه، فقصد الموصل، ومعه هديّة لملكها، لئلّا يجعل لأحد عليه سبيلاً، فجاءه حين جاءه، وقد أحضر عظماء قومه، وأوقد ناراً، وأعدّ أصنافاً من العذاب، وأمر بصنم له يقال له أفلّون[1] فنُصب، فمن لم يسجد له عذّبه وأُلقي في النّار.

فلمّا رأى جرجيس ما يُصنَع استعظمه، وحدّث[2] نفسه بجهاده، فعمد إلى المال الذي معه فقسّمه في أهل ملّته، وأقبل عليه وهو شديد الغضب، فقال له: اعلم أنّك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيئاً ولا لغيرك شيئاً، وأنّ فوقك ربّاً هو الذي خلقك ورزقك، فأخذ في ذكر عظمة الله تعالى وعيّب صنمه. فأجابه الملك بأن سأله[3] مَنْ هو ومن أين هو. فقال جرجيس: أنا عبد الله وابن أمّته، من التراب خُلقت وإليه أعود. فدعاه الملك إلى عبادة صنمه، وقال له: لو كان ربّك ملك الملكوت لرؤي[4] عليك أثره، كما ترى على مَن حولي من ملوك قومي. فأجابه جرجيس بتعظيم أمر الله وتمجيده، وقال له: تعبد افلون[5] الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يغني من ربّ العالمين، أم تعبد الذي قامت[6] بأمره السموات والأرض، أم تعبد طرقلينا[7] عظيم قومك من النّاس[8]، عليه السلام، فإنّه كان آدميّاً يأكل ويشرب فأكرمه الله بأن جعله إنسيّاً ملكيّاً، أم تعبد[9] عظيم قومك مخليطيس[10] أيضاً وما نال[11] بولايتك [من] عيسى، عليه السلام! وذكر من معجزاته وما خصّه الله به من الكرامة.

فقال له الملك: إنّك أتيتنا بأشياء لا نعلمها! ثمّ خيّره بين العذاب والسجود

---

(١) في النسخة (ب): «أقلون»، وفي النسخة (ر): «وقال له أين أفلون».
(٢) في النسخة (ر): «وأحدث في نفسه».
(٣) في الأصل «يسأله».
(٤) في الأصل «لرأى».
(٥) في النسخة (ب): «أقلون».
(٦) في النسخة (ر): «يغني برب العالمين الذي قامت».
(٧) في تاريخ الطبري ٢/٢٥ «طرقبلينا»، وفي نسخة أخرى منه «طرقبليننا»، وفي نهاية الأرب ١٤/٢٦٠ «طَرْفَلينا».
(٨) في النسخة (ر): «ام يعدل فلسنا عظيم قومه من الناس».
(٩) في النسخة (ر): «يعدل».
(١٠) في تاريخ الطبري ٢/٦٢ «مجليطيس»، وفي عرائس المجالس ٣٣٩ «مخلطيس» وفي نهاية الأرب ١٤/٢٦١ «مَخْلَنْطِيس».
(١١) في الأصل «قال»، وهو تحريف.

للصنم. فقال جرجيس: إن كان صنمك هو الذي رفع السماء، وعدّد أشياء من قدرة الله، عزّ وجلّ، فقد أصبتَ ونصحتَ، وإلاّ فاخسأ أيها الملعون.

فلمّا سمع الملك أمر بحبسه، ومشّط جسده بأمشاط الحديد، حتى تقطّع لحمه وعروقه، ويُنضح بالخلّ والخردل، فلم يمتْ. فلمّا رأى ذلك لم يقتله أمر بستّة مسامير من حديد، فأُحميت حتى صارت ناراً، ثمّ سمّر بها رأسه، فسال دماغه، فحفظه الله تعالى. فلمّا رأى ذلك لم يقتله، أمر بحوض من نحاس، فأوقد عليه حتى جعله ناراً، ثمّ أدخله فيه وأطبق عليه حتى برد. فلمّا رأى ذلك لم يقتله دعاه وقال له: ألم تجد ألَم هذا العذاب؟ قال: إنّ إلهي حملَ عنّي عذابك، وصبّرني ليحتجّ عليك.

فأيقين الملك بالشرّ وخافه على نفسه ومُلْكه، فأجمع رأيه على أن يخلّده في السجن، فقال الملأ من قومه: إنّك إنْ تركته في السجن طليقاً، يكلّم النّاس ويميل بهم عليك، ولكن يُعذَّب بعذاب يمنعه من الكلام. فأمر به فبُطح في السجن على وجهه، ثمّ أوتد في يديه ورِجْلَيه أوتاداً من حديد، ثمّ أمر بأسطوان من رخام، حمله ثمانية عشر رجلاً، فوُضع على ظهره، فظلّ يومه ذلك تحت الحجر، فلمّا أدركه اللّيل أرسل الله إليه مَلَكاً، وذلك أوّل ما أُيّد بالملائكة، فأوّل ما جاءه الوحي قلع عنه الحجر ونزع الأوتاد، وأطعمه وسقاه، وبشّره وعزّاه، فلمّا أصبح أخرجه من السجن، فقال له: الحقْ بعدوّك فجاهِدْه، فإنّي قد ابتليتُك به سبع سنين يعذّبك ويقتلك فيهنّ أربع مرّات، في كلّ ذلك أردّ إليك روحك، فإذا كانت القِتْلة الرابعة تقبّلتُ روحك، وأوفيتُك أجرك.

فلم يشعر الملك إلاّ وقد وقف جرجيس على رأسه يدعوه إلى الله، فقال له: أجرجيس؟ قال: نعم. قال: من أخرجك من السجن؟ قال: أخرجني مَن سلطانه فوق سلطانك!.

فمُلِيء غيظاً ودعا بأصناف[1] العذاب، ومدّوه بين خشبتَين، ووضعوا على رأسه سيفاً، ثمّ وَشَرُوه[2]، حتى سقط بين رِجْلَيه، وصار جِزْلَتَين[3]، ثمّ قطعوهما قِطعاً، وكان له سبعة أُسد ضارية في جُبّ، فألقوا جسده إليها، فلمّا رأته خضعت[4] برؤوسها، وقامت على براثنها لا تألو[5] أن تقِيه الأذى الذي تحتها، فظلّ يومه تحتها ميتاً، فكانت[6] أوّل مِيتةٍ

---

(١) في النسخة (ب): «بأضعاف»، والمثبت يتفق مع الطبري ٢/ ٢٨.
(٢) في النسخة (ب): «وتروه»، والمثبت يتفق مع الطبري، وهو بمعنى نشروه.
(٣) جِزْلَتَين: أي نصفين.
(٤) في النسخة (ر): «خضعت له».
(٥) في الأصل «شالوا».
(٦) في الأصل «وكان».

ذاقها. فلمّا أدركه اللّيل جمع الله جسده وسوّاه، وردّ فيه روحه، وأخرجه من قعر الجُبّ. فلمّا أصبحوا أقبل جرجيس، وهم في عيد لهم صنعوه فرحاً بموت جرجيس، فلمّا نظروا إليه مقبلاً قالوا: ما أشبه هذا بجرجيس! قال الملك: هو هو! قال جرجيس: أنا هو حقّاً، بئس القوم أنتم! قتلتم ومثّلتم، فردّ الله روحي إليّ! هلمّوا إلى هذا[1] الربّ العظيم الذي أراكم قدرته. فقالوا: ساحر سحر أعينكم وأيديكم عنه، فجمعوا مَن ببلادهم من السَّحَرة، فلمّا جاؤوا قال الملك لكبيرهم: اعرض عليّ من سِحرك ما يُسرَّى به عني. فدعا بثور، فنفخ في أذنيه، فإذا هو ثوران ودعا ببذْر، فحرث، وزرع، وحصد، ودقّ، وذرّى[2] وطحن، وخبز، وأكل في ساعته. فقال له الملك: هل تقدر أن تمسخه كلباً؟ قال: ادعُ لي بقدح من ماء، فأُتيَ به، فنفث فيه الساحر، ثمّ قال [الملك] لجرجيس: اشربه، فشربه جرجيس حتى أَتَى على آخره. فقال له الساحر: ماذا تجد؟ قال: ما أجد إلّا خيراً! كنتُ عطشانَ فلطف الله بي فسقاني. وأقبل الساحر على الملك وقال: لو كنت تقاسي[3] جبّاراً مثلك لغلبته، إنّما تقاسي جبّارَ السماء والأرض[4].

وكانت أتت جرجيس امرأةٌ من الشام، وهو في أشدّ العذاب، فقالت له: إنّه لم يكن لي مال إلّا ثوراً أعيش به من حرثه، فمات، وجئتك لترحمني، وتسأل الله أن يُحييَ ثوري. فأعطاها عصاً وقال: اذهبي إلى ثورك فاضربيه بهذه العصا، وقولي له: احْيَ بإذن الله. فأخذتِ العصا وأتت مصرع الثور، فرأت رَوقَيه[5] وشعر ذَنَبه فجمعتها[6]، ثمّ قرعتها بالعصا، وقالت ما أمرَها به جرجيس، فعاش ثورُها، وجاء الخبرُ بذلك.

فلمّا قال الساحرُ ما قال، قال رجل من أصحاب الملك، وكان أعظمهم بعد الملك: اسمعوا منّي. قالوا: نعم. إنكم قد وضعتم أمره على السحر، وإنّه لم يُعذَّب ولم يُقتل، فهل رأيتم ساحراً قطّ، قدر أن[7] يدفع عن نفسه الموت أو أحيا ميتاً؟ وذكر الثور وإحياءه. فقالوا له: إنّ كلامك كلام رجل قد أصغى إليه. فقال: قد آمنتُ به، وأُشهدُ الله أنّي بريء ممّا تعبدون! فقام إليه الملكُ وأصحابُه بالخناجر، فقطعوا لسانه بالخناجر، فلم يلبث أن مات[8].

---

(١) في الأصل «هلموا إلى عذاب هذا». وفي تاريخ الطبري ٢/ ٢٨ «هلمّ».

(٢) في الأصل «ذرّ».

(٣) في النسخة (ر): «أقاسي».

(٤) تاريخ الطبري ٢/ ٢٤ - ٢٩، عرائس المجالس ٣٣٨ - ٣٤٠، نهاية الأرب ١٤/ ٢٥٩ - ٢٦٤.

(٥) الرَّوق: القرن من كل ذي قرن».

(٦) في الأصل «وأتت مصرع أذنيه وجمعتها».

(٧) في الأصل، والطبعة الأوربية «قط على أن».

(٨) تاريخ الطبري ٢/ ٢٩، ٣٠، عرائس المجالس ٣٤٠، ٣٤١، نهاية الأرب ١٤/ ٢٦٤.

وقيل: أصابه الطاعون، فأعجله قبل أن يتكلّم، وكتموا شأنه، فكشفه جرجيس للنّاس، فاتّبعه أربعة آلاف وهو ميّت، فقتلهم الملك بأنواع العذاب حتى أفناهم[1].

وقال له رجل من عظماء أصحاب الملك: يا جرجيس إنّك زعمتَ أنّ إلٰهك يبدأ الخلق ثمّ يعيده، وإنّي سائلك أمراً إنْ فعله إلٰهك آمنتُ به وصدّقتك، وكفيتك قومي. هذا تحتنا أربعة عشر منبراً ومائدة وأقداح وصحاف من خشب يابس، وهو من أشجار شتّى، فادعُ ربّك أن يعيدها خُضْراً كما بدأها، يُعرف كلّ عود بلونه وورقه وزهره وثماره.

قال جرجيس: قد سألتَ أمراً عزيزاً عليّ وعليك، وإنّه على الله يسير، ودعا الله، فما برِحوا حتى اخضرّت وساخت عروقُها، وتشعّبت، وَنَبَت[2] ورقها وزهرها، حتّى عرفوا كلّ عود باسمه.

فقال الذي سأله هذا: أنا أتولّى عذابه، فعمد إلى نحاس فصنع منه صورة ثور مجوّف، ثمّ حشاها نِفطاً ورصاصاً وكبريتاً وزَرنيخاً، وأدخل جرجيس في وسطها، ثمّ أوقد تحت الصورة النّار حتى التهبت، وذاب كلّ شيء فيها، واختلط، ومات جرجيس في جوفها. فلمّا مات، أرسل الله ريحاً عاصفاً ورعداً وبرقاً وسحاباً مظلماً، وأظلم ما بين السماء والأرض، وبقوا أيّاماً متحيّرين، فأرسل الله ميكائيل، فاحتمل تلك الصورة، فلمّا أقلّها ضرب بها الأرض، ففزع من روعتها كلّ من سمعها، وانكسرت، وخرج منها جرجيس حيّاً، فلمّا وقف وكلّمهم انكشفت الظُّلْمةُ وأسفر[3] ما بين السماء والأرض.

قال له عظيم من عظمائهم: ادعُ الله بأن يِحْييَ موتانا من هذه القبور. فأمر جرجيس بالقبور فنُبشت وهي عظام رفات، ثمّ دعا، فلم يبرحوا[4] حتى نظروا إلى سبعة عشر إنساناً، تسعة رجال، وخمس نسوة، وثلاثة[5] صِبْية، وفيهم شيخ كبير. فقال له جرجيس: متى متّ؟ فقال: في زمان كذا كذا، فإذا هو أربع مائة عام.

فلمّا رأى ذلك الملك قال: لم يبقَ من عذابكم شيء إلاّ وقد عذّبتموه وأصحابَه به، إلاّ الجوع والعطش، فعذِّبوه بهما[6]. فعمدوا إلى بيت عجوز فقيرة، وكان لها ابن أعمى أبكم مُقْعَد، فحصروه فيه، فلا يصل إليه طعام ولا شراب. فلمّا جاع قال للعجوز: هل

---

(١) الطبري ٢/٣٠، عرائس المجالس ٣٤١، نهاية الأرب ١٤/٢٦٤.
(٢) في الأصل «ونبتت».
(٣) في النسخة (ر): «أشرق».
(٤) في الأصل، والطبعة الأوربية «فما يبرحوا».
(٥) في الأصل «وثلاث».
(٦) في الطبعة الأوربية «به»، وكذا في طبعة صادر ١/٣٧٣ والمثبت عن الطبري ٢/٣٢.

عندك طعام أو شراب؟ قالت: لا والذي يُحلف به، ما لنا عهد بالطعام من كذا وكذا، وسأخرج فألتمس لك شيئاً. فقال لها: هل تعبدين الله؟ قالت: لا. فدعاها فآمنت، وانطلقت تطلب له شيئاً، وفي بيتها دعامة [من] خشبة يابسة، تحمل خشب البيت، فدعا الله فاخضرّت تلك الدعامة، وأنبتت كلّ فاكهة تؤكل وتُعرف، فظهر للدعامة فروع من فوق البيت تُظلّه وما حوله، وعادت العجوز وهو يأكل رَغَداً. فلمّا رأت الذي [حدث] في بيتها قالت: آمنتُ بالذي أطعمك في بيت الجوع[1]، فادعُ هذا الربَّ العظيم أن يشفي ابني. قال: أدنيه منّي، فأدنته، فبصق في عينيه فأبصر، فنفث في أُذُنيه فسمع. قالت له: أطلقْ لسانَه ورِجلَيْه. قال لها: أخّريه فإنّ له يوماً عظيماً[2].

ورأى الملكُ الشجرةَ فقال: أرى شجرة ما كنتُ أعهدها! قالوا: تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذي أردتَ أن تعذّبه بالجوع، وقد شبع منها وأشبعت العجوز، وشفى لها ابنها.

فأمر بالبيت فهُدم، وبالشجرة أن تُقطع، فلمّا همّوا بقطعها أيبسها الله، وتركوها. وأمر بجرجيس فبُطح على وجهه، وأمر بعَجَل فأُوقر أسطواناً، وجعل في أسفل العَجَل خناجر وشفاراً، ثمّ دعا بأربعين ثوراً، فنهضت بالعَجَل، نهضة واحدة، وجرجيس تحتها، فانقطع ثلاث قطع، ثمّ أمر بقطعه فأُحرقت، حتى صارت رماداً، وبعث بالرماد مع رجال فذرّوه في البحر، فلم يبرحوا حتى سمعوا صوتاً من السماء: يا بحر إنّ الله يأمرك أن تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيّب، فإنّي أريد أن أعيده. فأرسل الرياح فجمعته كما كان، قبل أن يذرّوه، والذين ذرّوه قيام لم يبرحوا، وخرج جرجيس حيّاً مُغبّراً، فرجعوا ورجع معهم، وأخبروا الملك خبرَ الصوت والرياح. فقال له الملك: هل لك فيما هو خير لي ولك؟ ولولا أن يُقال إنّك غلبتَني لآمنت بك، ولكن اسجد لصنمي سجدة واحدة، أو اذبحْ له شاة واحدة، وأنا أفعل ما يسرّك. فطمع جرجيس في إهلاك الصنم حين يراه وإيمان الملك عند ذلك، فقال له: أفعل ـ خديعة منه ـ وأدخلْني على صنمك أسجد له وأذبح.

ففرح الملكُ بذلك، وقبّل يديه ورِجْلَيه، وطلب منه أن يكون يومه وليلته عنده، ففعل، فأخلى له الملك بيتاً، ودخله جرجيس، فلمّا جاء اللّيلُ قام يصلّي ويقرأ الزَّبور، وكان حَسَن الصوت، فلمّا سمعته امرأةُ الملك استجابت له وآمنت به، وكتمت إيمانها، فلمّا أصبح غدا به إلى بيت الأصنام ليسجد لها.

---

(١) في النسخة (ب): «العجوز»، والمثبت عن بقية النسخ، والطبري.
(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٠ ـ ٣٢، عرائس المجالس ٣٤٢.

وقيل للعجوز: إنّ جرجيس قد افتتن وطمع في الملك بعد الملك. فخرجت تحمل ابنها على عاتقها في أعراضهم[1] توبّخ جرجيس، فلمّا دخل بيت الأصنام نظر، فإذا العجوز وابنها أقرب النّاس إليه، فدعا ابنها، فأجابه وما تكلّم قبل ذلك قطّ، ثمّ نزل عن عاتق أمّه يمشي على قدميه سويّتين، وما وطيء الأرضَ قطّ. فلمّا وقف بين يدي جرجيس قال له: ادعُ لي هذه الأصنام، وهي على منابر من ذهب واحد وسبعون صنماً، وهم يعبدون الشمس والقمر معها، فدعاها، فأقبلت تتدحرج إليه. فلمّا انتهت إليه ركض برِجْله الأرض، فخُسف بها وبمنابرها، فقال له الملك: يا جرجيس خدَعتَني وأهلَكتَ أصنامي! فقال له: فعلتُ ذلك عمداً لتعتبر، وتعلم أنّها لو كانت آلهة لامتنعت منّي. فلمّا قال هذا قالت امرأةُ الملك وأظهرت إسلامها، وعدّت عليهم أفعال جرجيس وقالت: ما تنتظرون من هذا الرجل إلاّ دعوة فتهلكون كما هلكت أصنامكم. فقال الملك: ما أسرع ما أضلّك هذا الساحر! ثمّ أمر بها فعُلّقت على خشبة، ثمّ مشّط لحمها بمشاط الحديد، فلمّا آلمها العذابُ قالت لجرجيس: ادعُ الله أن يخفّف عنّي الألم. فقال: انظري فوقك. فنظرت فضحكت. فقال لها الملكُ: ما يضحكك؟ قالت: أرى على رأسي ملَكين، معهما تاج من حُليّ الجنّة، ينتظران خروج روحي ليزيّناني به، ويصعدا[2] بها إلى الجنّة. فلمّا ماتت أقبل جرجيس على الدعاء وقال: اللهمّ أكرمتني بهذا البلاء لتعطيني أفضل منازل الشهداء، وهذا آخر أيّامي، فأسألك أن تُنزل بهؤلاء المنكرين من سطواتك وعقوبتك، ما لا قِبَلَ لهم به، فأمطرَ الله عليهم النّارَ فأحرقتهم. فلمّا احترقوا بحرّها عمدوا إليه، فضربوه بالسيوف فقتلوه، وهي القتْلة الرابعة. فلمّا احترقت المدينةُ بجميع ما فيها رُفعت من الأرض، وجُعل عاليها سافلَها، فلبثت زماناً، يخرج من تحتها دخان مُنْتِن.

وكان جميع مَن آمن به وقُتل معه أربعة وثلاثين ألفاً، وامرأة الملك[3].

---

(١) في الأصل، والطبعة الأوربية «أغراضها»، والمثبت يتفق مع الطبري ٢/ ٣٤.

(٢) في الأصل، والطبعة الأوربية «يصعدان»، وهو غلط.

(٣) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٢/ ٣٢ ـ ٣٦، عرائس المجالس ٣٤٢ ـ ٣٤٤، نهاية الأرب ١٤/ ٢٦٥ ـ ٢٧٠.

ذكر (*) خالد بن سنان العبسي(1)

وممّن كان في الفترة خالد بن سِنان العبسيّ.

قيل: كان نبيّاً، وكان من معجزاته أنّ ناراً ظهرت بأرض العرب، فافتتنوا بها وكادوا يتمجّسون، فأخذ خالد عصاه ودخلها حتى توسّطها ففرّقها، وهو يقول: بَدّا بَدّا، كلّ هدى مؤدّى(2)، لأدخلنّها وهي تلظّى، ولأخرجنّ منها وثيابي تندّى. ثمّ إنّها طُفئت وهو في وسطها(3).

فلمّا حَضَرَتْه الوفاةُ قال لأهله: إذا دُفنتُ، فإنّه ستجيء عانة(4) من حمير، يقدُمُها عَيْر أبتر، فيضرب قبري بحافره، فإذا رأيتم ذلك فانبشوا عنّي، فإنّي سأخبركم بجميع ما هو كائن. فلمّا مات ودفنوه رأوا ما قال، فأرادوا نبشه، فكرِه ذلك بعضهم قالوا: نخاف إنْ نبشناه أن تسبّنا العرب بأنّا نبشنا ميتاً لنا. فتركوه(5).

فقيل إنّ النبيّ، ﷺ، قال فيه: «ذلك نبيّ ضيّعه قومه»(6).

(*) هذا الموضوع ليس في تاريخ الطبري.

(1) البدء والتاريخ ٣/١٣٤، مروج الذهب ١/٦٧، المعارف لابن قتيبة ٦٢، أسد الغابة ٢/٨٤، الإصابة ١/٤٦٦ رقم ٢٣٥٥، المفصّل في تاريخ العرب ١/٤٨ و٤/٢٥٣ و٦/٤٦٣ و٥٤٦ و٦٩٨، القاموس الإسلامي ٢/٢٠٥.

(2) في النسخة (ر): «كل هذا مود إلى»، وفي مروج الذهب ١/٦٨ «كل هدى، مؤدٍّ إلى الله الأعلى»، وفي الأصل «بداً بداً، كل هادي مورا إلى الله الأعلى... وثيابي تندى»، والمثبت عن كتاب الأعلام للزركلي في ترجمته، وفي الأصابة ١/٤٦٨ «بدا بد بدا كل هدى يردا زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج منها وثيابي تندى».

(3) البدء والتاريخ ٣/١٣٤، مروج الذهب ١/٦٨، الإصابة ١/٤٦٨.

(4) العانة: القطيع من حمر الوحش.

(5) المعارف ٦٢، البدء والتاريخ ٣/١٣٤، ١٣٥، محاضرات الأبرار ١/٧٧، مروج الذهب ١/٦٨، نزهة الجليس ٢/٤٠٦، نهاية الأرب ١/١٠٩، الإصابة ١/٤٦٨.

(6) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/٢٩٦، البدء والتاريخ ٣/١٣٥، مروج الذهب ١/٦٧، أسد الغابة ٢/٨٤، نهاية الأرب ١٨/١٧، الإصابة ١/٤٦٨، المفصّل في تاريخ العرب ١/٣٤٨ و٤/٢٥٣.

وأتت ابنتُه النبيّ، ﷺ، فآمنت به[1].

كذا قيل إنّه آخر الحوادث أيّام ملوك الطوائف، ولا وجه له، فإنّ من أدركت ابنته النبيّ، ﷺ، يكون بعد اجتماع المُلك لأردشير بن بابك بدهر طويل.

ونرجع إلى أخبار ملوك الفرس لسياق التاريخ، ونقدّم قبل ذكرهم عدد الملوك الأشغانيّة[2]، من ملوك الطوائف وطبقات ملوك الفرس، إن شاء الله تعالى.

(١) أسد الغابة ٢/٨٤، مروج الذهب ١/٦٨، البدء والتاريخ ٣/١٣٥، الإصابة ١/٤٦٧.

(٢) في النسخة (ب): «الاشكانية».

ذكر طبقات ملوك الفرس[1]

الطبقة الأولى الفيشداذيّة

ملوك الأرض بعد جيومرت[2] أوشهنج ؛ [ومَلَك] فيشداذ أربعين سنة[3]، ومعنى فيشداذ أوّل حاكم.

مَلَك بعده طهمورث بن يوجهان[4] ثلاثين سنة[5].

ثمّ مَلَك أخوه جمشيد سبعمائة وستّ عشرة سنة[6].

ثمّ مَلَك بيوراسف بن أروندداسف ألف سنة[7].

ثمّ مَلَك أفرِيدون بن أثغيان[8] خمسمائة سنة[9].

ثمّ مَلَك منوجهر مائة وعشرين سنة[10].

ثمّ مَلَك أفراسياب التركيّ اثنتي عشرة سنة[11].

---

(١) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٣، تاريخ اليعقوبي ١/١٥٨، المعارف ٦٥٢، مروج الذهب ١/٢٣٧، أخبار الزمان للمسعودي ١٠٠، التنبيه والإشراف ٧٥، الأخبار الطوال ١٠، البدء والتاريخ ٣/١٣٨، تاريخ مختصر الدول ٧، نهاية الأرب ١٥/١٤٢، تاريخ ابن خلدون ٢/١٥٤.

(٢) ويقال: «شيومرث» و«كيومرث». ويتفق الفرس على أنه هو آدم الذي هو أول الخليقة. (ابن خلدون ٢/١٥٤).

(٣) اليعقوبي ١/١٥٨، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٦.

(٤) في النسخة (ب): «نوجهان»، وفي النسخة (ر): يونحهان»، وفي تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٦ «ويونجهان».

(٥) اليعقوبي ١/١٥٨، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٦، البدء والتاريخ ٣/١٣٩، التنبيه والإشراف ٧٥.

(٦) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٦، ١٧، وفي التنبيه والإشراف ٧٥ (سبعمائة سنة وثلاثة أشهر)، وفي تاريخ اليعقوبي ١/١٥٨ (سبعمائة سنة).

(٧) التنبيه والإشراف ٧٥، تاريخ اليعقوبي ١/١٥٨، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٧ (وهو: الضحّاك).

(٨) في النسخة (ب): «اقنيان».

(٩) التنبيه والإشراف ٧٧، تاريخ اليعقوبي ١/١٥٨، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٧، البدء والتاريخ ٣/١٤٥.

(١٠) التنبيه والإشراف ٧٨، تاريخ اليعقوبي ١/١٥٨، البدء والتاريخ ٣/١٤٦، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٧.

(١١) التنبيه والإشراف ٧٩، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٧، وفي تاريخ اليعقوبي ١/١٥٨ (مائة وعشرين سنة).

ثمّ مَلَك زوّ بن تهماسف [1] ثلاث سنين [2].
ثمّ مَلَك كرشاسب تسع سنين [3].

الطبقة الثانية الكيانية

ثمّ مَلَك كَيْقُباذ مائة وستّاً وعشرين سنة [4].
ثم مَلَك كَيكاووس مائة وخمسين سنة[5].
ثم مَلَك كيخسرو ثمانين سنة[6].
ثمّ مَلَك كَيْ لُهْرَاسب مائة وعشرين سنة [7].
ثمّ مَلَك كَيْ بشْتاسبْ مائة وعشرين سنة [8].
ثمّ مَلَك كَيْ بهمن مائة واثنتي عشرة سنة [9].
ثمّ مَلَكت[10] خُماني[11] جهرزاد ثلاثين سنة[12].
ثمّ مَلَك أخوها دار بن بهمن اثنتي عشرة سنة[13].
ثمّ مَلَك ابنُه دارا بن دارا أربع عشرة سنة[14]، وهو الذي أخذ الأسكندر المُلكَ منه.

---

(١) في النسخة (ب): «زه بن يوراسف»، وفي النسخة (ت): «زره بن بيوراسف». وفي تاريخ اليعقوبي ١٥٨/١ «زو طهماسب»، وفي تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٧ «زاب بن سوماسب»، وفي البدء والتاريخ ١٤٧/٣ «زر بن طهماسب».
(٢) التنبيه والإشراف ٧٩، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٧، وفي تاريخ اليعقوبي ١٥٨/١ (خمس سنين).
(٣) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٧، وفي التنبيه والإشراف ٧٩ (ثلاث سنين).
(٤) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٧، وفي تاريخ اليعقوبي ١٥٨/١ (مائة سنة)، وكذلك في البدء والتاريخ ١٤٧/٣، أما في التنبيه والإشراف ٧٩ (مائة سنة وعشرين سنة).
(٥) التنبيه والإشراف ٧٩، البدء والتاريخ ١٤٩/٣، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٧، وفي تاريخ اليعقوبي ١٥٨/١ (مائة وعشرين سنة).
(٦) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٧، وفي التنبيه والإشراف ٧٩ وتاريخ اليعقوبي ١٥٨/١ والبدء والتاريخ ١٤٩/٣ (ستين سنة).
(٧) البدء والتاريخ ١٤٩/٣، التنبيه والإشراف ٧٩، تاريخ اليعقوبي ١٥٨/١، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٧.
(٨) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٧، التنبيه والإشراف ٧٩، وفي تاريخ اليعقوبي ١٥٨/١ (مائة واثنتي عشرة سنة).
(٩) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٧، التنبيه والإشراف ٨٢، تاريخ اليعقوبي ١٥٨/١ وفيه (كي أردشير)، البدء والتاريخ ١٥٠/٣.
(١٠) في الطبعة الأوربية، وصادر ٣٧٧/١ «ملك» وهو خطأ.
(١١) في البدء والتاريخ ١٥٠/٣ «هماي بنت بهمن». وفي تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٧ «هماي».
(١٢) تاريخ اليعقوبي ١٥٨/١، التنبيه والإشراف ٨٢، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٧.
(١٣) تاريخ اليعقوبي ١٥٨/١، البدء والتاريخ ١٥٢/٣، التنبيه والإشراف ٨٢، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٧.
(١٤) التنبيه والإشراف ٨٢، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٧.

وكان مُلك الإسكندر بعده أربع عشرة سنة[1].

الطبقة الثالثة الأشغانية[2]

وهم الذين استولوا على العراق والجبال، وكان سائر ملوك الطوائف يعظّمونهم.

فأوّل ملوك الأشغانيّين أيّام ملوك الطوائف أشك، مَلَك اثنتين وخمسين سنة[3].

ثمّ مَلَك ابنه شابور بن أشك أربعاً وعشرين سنة[4].

ثمّ مَلَك ابنُه جوذرز بن شابور، وهو الذي غزا بني إسرائيل بعد قتْل يحيى بن زكريّاء، خمسين سنة[5].

ثمّ مَلَك ابنُ أخيه وبحن[6] بن بلاش إحدى وعشرين سنة[7].

ثمّ مَلَك جوذرز بن وبحن[8] تسع عشرة سنة[9].

ثمّ مَلَك أخوه نَرْسي ثلاثين سنة[10].

ثمّ مَلَك عمّه هرمزان[11] بن بلاش بن شابور تسع عشرة سنة[12].

ثمّ مَلَك ابنه فيروز[13] بن هرمزان[14] اثنتي عشرة سنة[15].

ثمّ مَلَك ابنُه خسرو أربعين سنة[16].

---

(١) البدء والتاريخ ٣/١٥٣، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٧.

(٢) في النسختين (ب) و(ت): «الأشكانية».

(٣) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٨، وفي البدء والتاريخ ٣/١٥٥، والتنبيه والإشراف ٨٣ (عشر سنين).

(٤) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٨، وفي البدء والتاريخ ٣/١٥٥ والتنبيه والإشراف ٨٣ (ستين سنة).

(٥) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٨، وفي البدء والتاريخ ٣/١٥٥ والتنبيه والإشراف ٨٣ (عشر سنين).

(٦) في النسخة (ب): «ونجها»، وفي النسخة (ر): «ويجن». وفي تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٨ مضبوطاً بالشكل «وَنْحَنْ».

(٧) التنبيه والإشراف ٨٣، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٨، البدء والتاريخ ٣/١٥٦ وفيه «بيزن» وكذا في التنبيه.

(٨) في النسخة (ب): «ويحا»، وفي النسخة (ر): «نرسه بن ويجن».

(٩) في النسخة (ر): «سبع عشرة». والمثبت يتفق مع التنبيه والإشراف ٨٣، والبدء والتاريخ ٣/١٥٦، وتاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٨.

(١٠) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٨، وفي البدء والتاريخ ٣/١٥٦ والتنبيه والإشراف ٨٣، (أربعين سنة).

(١١) في الأصل «هرمز»، وهكذا في بعض المصادر، والمثبت عن تاريخ سنيّ ملوك الأرض.

(١٢) التنبيه والإشراف ٨٣، ٨٤، وفي تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٨ والبدء والتاريخ ٣/١٥٦ (سبع عشرة).

(١٣) في النسختين (ب) و(ت): «ميروان» وفي النسخة (ر): «فيرزان» وفي الأصل «فرزان». وفي تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٨: «فيروزان». وفي البدء والتاريخ «اردوان» وكذا في التنبيه.

(١٤) في الأصل «هرمز».

(١٥) البدء والتاريخ ٣/١٥٦، التنبيه والإشراف ٨٤، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٨.

(١٦) التنبيه والإشراف ٨٤، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٨، وفي البدء والتاريخ ٣/١٥٦ (أربعاً وأربعين سنة).

ثمّ مَلَك أخوه بلاش بن فيروز [1] أربعاً وعشرين سنة [2].
ثمّ مَلَك ابنه أردوان بن بلاش خمساً وخمسين سنة [3].
وقد ذكر بعضهم أنّه مَلَك بعد هرمزان بن بلاش أردوان الأكبر اثنتي عشرة سنة.

وقيل في عدد ملوك الطوائف غير ذلك، والفرس تعترف باضطراب التاريخ عليهم في أيّام ملوك الطوائف، وملك بيوراسف، وملك أفراسياب التركيّ، لأنّهم زال المُلْك عنهم، ولم يمكن ضبطه[4].

الطبقة الرابعة الساسانيّة

فأوّلهم أردشير بن بابك.

---

(١) أنظر الحاشية رقم (١٥).
(٢) البدء والتاريخ ١٥٦/٣، التنبيه والإشراف ٨٤، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٨.
(٣) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٨.
(٤) قال المسعودي في التنبيه والإشراف ٨٤: «وقد كانت لهم ملوك لم تُعرف أسماؤهم ومدّة سنيّ ملكهم، ولم يذكروا في شيء من كتب الفرس وغيرها من كتب سِيَر الملوك لاضطراب أمر المُلك في تلك الأعصار، والتنازع الواقع من اختلاف الكلمة، والتحزّب وغلبة كل واحد منهم على صقعه».

ذكر أخبار أردشير بن بابك[1]
وملوك الفرس

قيل: لما مضى من لَدُن مَلَك الإسكندر أرضَ بابل، في قول النصارى وأهلِ الكتب الأُول، خمسمائة سنة وثلاث وعشرون سنة، وفي قول المجوس: مائتان وستّ وستّون، وثب أردشير بن بابك بن ساسان الأصغر بن بابك بن ساسان بن بابك بن مهرمس[2] بن ساسان بن بهمن الملك ابن إسفندِيار بن بِشتاسْب.

وقيل في نسبته غير ذلك، يريد الأخذ بثأر الملك دارا بن دارا، وردَّ المُلْك إلى أهله، وإلى ما لم يزل عليه أيّام سلفه الذين مضوا قبل ملوك الطوائف، وجمعه لرئيس واحد.

وذُكر أنّ مولده كان بقرية من قرى إصْطَخْر، يقال لها طيزوده[3] من رستاق إصطخر، وكان جدّه ساسان شجاعاً مغرىً بالصيد، وتزوّج امرأة من نسل ملوك فارس، يُعرفون بالبادرنجيين[4]، وكان قيّماً على بيت نار بإصطخر، يقال له بيت نارهيد[5]، فولدت له بابك، فلمّا كبر قام بأمر النّاس بعد أبيه، ثمّ ولد له ابنه أردشير.

وكان مَلِكَ إصْطَخْر يومئذ رجل من البادرنجيين، يقال له جُوزِهْر، وكان له خصيّ اسمه تِيرَى[6]، قد صيّره أرْجَبذاً[7] بدارَبَجِرْد. فلمّا أتى لأردشير سبع سنين قدّمه أبوه إلى

---

(١) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٨ و٢٣ و٢٨، التنبيه والإشراف ٨٧، مروج الذهب ١/٢٤٣، أخبار الزمان ١٠١، تاريخ اليعقوبي ١/١٥٩، تاريخ الطبري ٢/٣٧، البدء والتاريخ ٣/١٥٦، المعارف ٦٥٣، الأخبار الطوال ٤٢، تاريخ مختصر الدول ٤٧، نهاية الأرب ١٥/١٦٦، تاريخ ابن خلدون ٢/١٦٩.

(٢) في النسخة (ب): «هرمسن».

(٣) في النسخة (ب): «طبرزد»، وفي تاريخ الطبري ٢/٣٧ «طيروده».

(٤) في الطبري «البازرنجين».

(٥) أثبت محقّق تاريخ الطبري ٢/٣٨ «نار أناهيذ»، وفي نسخة «نار أهيذ»، والمثبت هنا يتفق مع نسخة أخرى من تاريخ الطبري.

(٦) في النسخة (ب): «بترى».

(٧) في تاريخ الطبري «أرجبذا»، و«هرجبذا» (٢/٣٨ و٤٤).

جوزِهْر، وسأله أن يضمّه إلي تِيرَى ليكـون ربيباً لـه وارجيداً[1] بعـده في موضعـه، فأجـابه وأرسله إلى تِيرَى، فقبله وتبنّاه.

فلمّـا هلك تِيرَى تقلّد أردشيـر الأمر وحَسُن قيـامـه بـه، وأعلمـه قـوم من المنجّمين صلاحَ مولده، وأنّه يملك[2] [البلاد]، فازداد في الخيـر، ورأى في منامـه مَلكاً جلس عنـد رأسه، فقال له: إن الله يُملكّك البلاد؛ فقويت نفسُه قوّةً لم يعهَدْها؛ وكان أوّل ما فعل أنّه سار إلى موضع من دارابْجِرْد يسمّى خوبابان[3] فقتل ملكها، واسمه فاسين[4]، ثمّ سار إلى موضع يقال له كوسن[5]، فقتل ملكَهـا، واسمه مِنُـوجِهْر، ثمّ إلى مـوضع يقـال له لـزويز[6] فقتل ملكها، واسمه دارا، وجعل في هذه المواضع قوماً من قِبَله، وكتب إلى أبيه بما كان منه، وأمره بالوثوب بجوزِهْر، وهو بالبيضاء، ففعل ذلك وقتل جوزِهْر وأخذ تاجه، وكتب إلى أردوان ملك الجبال وما يتّصـل بها، يتضـرّع إليه ويسـأله في تتـويج ابنـه سابـور بتاج جوزِهْر، فمنعه من ذلك وهدّده، فلم يحفلْ بابك بذلك، وهلك في ثلاثة[7] أيّام، فتتوّج[8] سابور بن بابك بالتاج، ومَلَك مكـان أبيه، وكتب إلى أردشيـر يستدعيـه، فامتنـع، فغضب سابور وجمع جموعاً وسار بهم نحوه ليحاربه، وخرج من إصْطَخْر، وبها عدّة من أصحـابه وأخوانه[9] وأقاربه، وفيهم من هو أكبر سنّاً منه، فـأخذوا التـاج والسريـر وسلّموهمـا[10] إلى أردشير، فتتوّج وافتتح أمره بجدّ وقوّة، وجعل له وزيـراً ورتّب مَوْبَـذان مَوْبَـذ، وأحسّ من إخوته وقوم كانوا معه بالفتك به، فقتل جمـاعةً كثيـرة منهم، وعصى عليه أهلُ دارابْجِرْد، فعاد إليهم فافتتحها وقتل جماعةً من أهلها، ثّم سار إلى كَرْمان وبهـا ملك يقال لـه بلاش فاقتتلا قتالاً شديداً، وقاتل أردشير بنفسه وأسر بلاش، فاستولى على المدينة، وجعل فيهـا ابناً له اسمه أردشير أيضاً.

وكان في سواحل بحر فارس ملك اسمه اسيون[11] يُعظَّم[12]، فسار إليه أردشير فقتله،

---

(١) في تاريخ الطبري ٢/٣٨ «أرجَبَذا».
(٢) في الأصل «تملك».
(٣) في تاريخ الطبري «جوبانات».
(٤) في الأصل «فاسي»، وفي النسخة (ر): «قاسين»، والمثبت يتفق مع الطبري.
(٥) في تاريخ الطبري «كونس».
(٦) في تاريخ الطبري: «لروير» وفي نسخة أخرى «لزوير» وفي أخرى «لزون».
(٧) في النسختين (ب) و(ر): «تلك».
(٨) في الأصل «فتوّج».
(٩) في النسختين (ب) و(ر): «واخوته».
(١٠) في الأصل «سلّموه».
(١١) في النسختين (ب) و(ت)؛ «اسبون»، وفي النسخة (ر): «اسنون»، وفي تاريخ الطبري ٢/٣٩ «أبتنبود».
(١٢) في النسخة (ب) «معظم».

يقتل مَنْ معه، واستخرج له أموالاً عظيمة.

وكتب إلى جماعة من الملوك، منهم: مِهْرَك[1] صاحب ابرساس[2] من أردشير خُرّه، يدعوهم إلى الطاعة، فلم يفعلوا، فسار إليهم فقتل مِهْرَك، ثمّ سار إلى جور فأسّسها وبنى الجَوْسق[3] المعروف بالطِّرْبال[4]، وبيت نار هناك.

فبينا هو كذلك إذ ورد عليه رسول أردوان بكتاب، فجمع النّاس فقرأه عليهم، فإذا فيه: إنّك عدوْت قدرَك، واجتلبت حتْفَك أيّها الكرديّ! مَنْ أذن لك في التاج والبلاد؟ ومَنْ أمرك ببناء المدينة؟ وأعلمه أنّه قد وجّه إليه ملك الأهواز ليأتيه به في وثاق.

فكتب إليه: إنّ الله حباني بالتاج، وملّكني البلاد، وأنا أرجو أن يمكّنني منكَ، فأبعث برأسك إلى بيت النّار الذي أسّستهُ.

وسار أردشير نحو إصْطَخْر، وخلّف وزيره أبرسام بأردشير خُرّة، فلم يلبث إلّا قليلاً حتى ورد عليه كتاب أبرسام بموافاة ملك الأهواز وعَوْده منكوباً[5]، ثمّ سار إلى أصبهان فَمَلكها وقتل[6] ملكها، وعاد إلى فارس وتوجّه إلى محاربة نيروفر[7] صاحب الأهواز، وسار إلى أرّجان[8] وإلى مَيْسان وطاسار[9]، ثمّ إلى سُرَّق[10]، فوقف على شاطىء دُجَيْل، فظفر بالمدينة، وابتنى مدينة سوق الأهواز، وعاد إلى فارس بالغنائم، ثمّ عاد من فارس إلى الأهواز على طريق جِرِه[11]، وكازَرون، وقتل ملك مَيْسان، وبنى هناك كرْخ مَيْسان، وعاد إلى فارس.

فأرسل إلى أردوان يُؤْذِنه بالحرب، ويقول له ليعيّن موضعاً للقتال. فكتب إليه أردوان: إنّي أوافيك في صحراء هُرْمُزجان لانسلاخ مِهْرَماه، فوافاه أردشير قبل الوقت،

---

(١) في الأصل «بهرك»، وفي النسخة (ب) «مهزل». والمثبت يتفق مع الطبري.

(٢) في تاريخ الطبري ٢/ ٣٩ «إيراسستان».

(٣) الجوسق: معرّب الكلمة الفارسية «كوسك» ومعناها القصر، والجمع جواسق.

(٤) في الأصل والطبعة الأوربية «الطوبال»، والمثبت يتفق مع معجم البلدان ٢/ ١٨١ (مادة جور)، والطبري ٢/ ٣٩.

(٥) في النسخة (ب): «منكوساً».

(٦) في الطبعة الأوربية «وقيل».

(٧) في النسخة (ب): «بيروفرّ»، وفي النسخة (ت): «نيروقر»، والمثبت يتفق مع الطبري.

(٨) أرّجان: بفتح أوله وتشديد الراء. مدينة كبيرة.. بينها وبين شيراز ستون فرسخاً. (معجم البلدان ١/ ١٤٣).

(٩) في تاريخ الطبري ٢/ ٤٠ «طاشان».

(١٠) سُرَّق: بضم أوله، وفتح ثانيه وتشديده. إحدى كُوَر الأهواز. (معجم البلدان ٣/ ٢١٤).

(١١) في طبعة صادر ١/ ٣٨٣ «خرّه»، وما أثبتناه عن معجم البلدان ٢/ ١٣١ وهي بكسر الجيم والراء وهاء خالصة، اسم لصقع بفارس، والعامّة تقول: كِره. والمثبّت يتفق مع الطبري أيضاً ٢/ ٤٠.

وخندق على نفسه واحتوى على الماء، ووافاه أردوان وملك الأرمانيّين، وكانا يتحاربان على المُلك، فاصطلحا على أردشير وحارباه، وهما متساندان، يقاتله هذا يوماً وهذا يوماً، فإذا كان يوم بابا ملك الأرمانيّين لم يقم له أردشير، وإذا كان يوم أردوان لم يقم لأردشير، فصالح أردشير بابا ملك الأرمانيّين، على أن يكفّ عنه ويفرّغ أردشير لأردوان، فلم يلبث أن قتله واستولى على ما كان له، وأطاعه بابا وسُمّي أردشير: شَاهَنْشَاه.

ثمّ سار إلى همذان فافتتحها، وإلى الجبل، وإِذْرَبَيْجَان، وأرمينية، والمَوْصِل، ففتحها عَنْوةً، وسار إلى السواد من الموصل فملكه، وبنى على شاطىء دجلة قبالة طيسفون[1]، وهي المدينة التي في شرق المدائن مدينة غربيّة، وسمّاها به أردشير، وعاد من السواد إلى إِصْطَخْر، وسار منها إلى سِجِسْتان، ثمّ إلى جُرْجان، ثمّ إلى نَيْسابور، ومَرْو، وبلْخ، وخُوارِزْم، وعاد إلى فارس ونزل جور. فجاءه رُسُل ملك كوسان، وملك طُوران، وملك مُكران بالطاعة.

ثمّ سار من جُور إلى البحرين، فاضطّر ملكها إلى أن رمى نفسه من حصنه فهلك. وعاد إلى المدائن فتوّج ابنه سابور بتاجه في حياته، وبنى ثماني مدن، منها: مدينة الخطّ بالبحرين، ومدينة بهرسير مقابل المدائن. وكان اسمه بِهْ أردشير فعرّبت به سير، وأردشير خُرّة، هي مدينة فيروزاباذ، سمّاها عضُد الدولة بن بُوَيْه كذلك، وبنى بكرمان مدينة أردشير أيضاً فعُرّبت بِردشير، وبنى بهمن أردشير على دجلة عند البصرة، والبصريّون يسمّونها بهمن شير، وفُرات مَيْسان أيضاً، وبنى رامَهُرمُز بخوزستان، وبنى سوق الأهواز، وبالموصل بودر[2] أردشير، وهي حَزّة.

ولم يزل محمود السيرة مظفَّراً منصوراً لا تُردّ له راية، ومدّن المدن، وكوّر الكُوَر، ورتّب المراتب وعمر البلاد.

وكان مُلْكَه من قتْله أردوان إلى أن هلك أربع عشرة سنة[3].

وقيل: أربع عشرة سنة وعشرة أشهر[4].

ولما استولى أردشير على العراق كره كثير من تَنوخ المقام في مملكته، فخرج مَنْ كان منهم[5] من قُضاعة إلى الشام، ودان له أهل الحيرة والأنبار، وقد كانت الحيرة

---

(١) في الطبعة الأوربية «طهيسور»، وما أثبتناه عن معجم البلدان ٤/٥٥.

(٢) في النسخة (ب): «بودن»، وفي النسخة (ر): «بوردا». وفي تاريخ الطبري ١/٤١: «بودرأردشير».

(٣) مروج الذهب ١/٢٤٧، تاريخ اليعقوبي ١/١٥٩.

(٤) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٢٩ وفي موضع منه ـ ص ١٨ (أربع عشرة سنة وستة أشهر)، وموضع آخر ـ ص ٢٣ (تسع عشرة سنة وستة أشهر). وفي البدء والتاريخ ٣/١٥٦ (أربع عشرة سنة وستة أشهر).

(٥) في النسخة (ت): «كبير».

والأنبار، بُنِيَتا زمن بُخْت نصّر، فخرِبت الحيرة لتحوُّل أهلها إلى الأنبار، وعُمرت الأنبار خمسمائة سنة وخمسين سنة، إلى أن عُمرت الحيرة زمن عمرو بن عديّ، فعمرت خمسمائة وبضعاً وثلاثين سنة، إلى أن وُضِعت الكوفة ونزلها أهل الإسلام.

ذكر ملك سابور بن أردشير بن بابك[1]

ولما هلك أردشير بن بابك قام بالمُلك بعده ابنُه سابور، وكان أردشير قد أسرف في قتل الأشكَانيّة، حتى أفناهم بسبب أليَّة آلاها جدّه ساسان بن أردشير بن بَهْمَن، فإنّه أقسم أنّه إنْ مَلَك يوماً من الدهر لم يستبقِ من نسل أشَك بن خرّة[2] أحداً، وأوجب على عَقِبه، فكان أوّل مَنْ مَلَكَ من عَقِبه أردشير، فقتلهم جميعاً نساءهم ورجالهم، غير أنّ جارية وجدها في دار المملكة فأعجبته، وكانت ابنةً للملك المقتول، فسألها عن نسبها، فذكرت أنّها خادم لبعض نساء الملك. فسألها: أبِكْرٌ أم ثَيِّب، فأخبرته أنّها بِكْر، فاتّخذها لنفسه وواقَعَها، فعلقت منه، فلمّا آمنت منه بحبلها، أخبرته أنّها من ولد أشَك، فنفر منها ودعا هرجد بن اسام[3]، وكان شيخاً مُسِنّاً، فأخبره الخبر، وقال له ليقتلها ليبرّ قسم جدّه. فأخذها الشيخ ليقتلها، فأخبرته أنّها حُبْلى، فأتى بالقوافل فشهدْن بحَبَلها، فأودعها سَرَباً في الأرض، ثمّ قطع مذاكيره، ووضعها في حُقّ، وختم عليه، وحضر عند الملك فقال: ما فعلتَ؟ فقال: استودعتُها بطنَ الأرض، ودفع الحُقّ إليه، وسأله أن يختمه بخاتمه ويُودِعه بعض خزائنه[4]، ففعل.

ثمّ وضعت الجاريةُ غلاماً، فكره الشيخ أن يُسمّى ابنَ الملك دونه، وخاف [أن][5] يُعلمه به وهو صغير، فأخذ له الطالعَ، وسمّاه شابور، ومعناه: ابن الملك، فيكون اسماً وصفة، وهو أوّل من سُمّي بهذا الاسم.

وبقي أردشير لا يولد له، فدخل عليه الشيخ الذي عنده الصبيّ يوماً، فوجده محزوناً، فقال له: ما يُحزن الملك؟ فقال: ضربتُ بسيفي ما بين المشرق والمغرب حتّى ظفرتُ، وصفا لي مُلك آبائي، ثمّ أُهْلَك وليس لي عَقِب فيه. فقال له الشيخ: سَرَّك الله أيّها الملك وعَمَّرك! لك عندي ولد طيّب نفيس، فادعُ لي بالحُقّ الذي استودعتُك، أُرِك

---

(١) البدء والتاريخ ٣/١٥٧، تاريخ الطبري ٢/٤٤، التنبيه والإشراف ٨٧، مروج الذهب ١/٢٤٩، تاريخ اليعقوبي ١/١٥٩، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و٢٣ و٢٩، المعارف ٦٥٤، الأخبار الطوال ٤٦، نهاية الأرب ١٥/١٦٨، تاريخ ابن خلدون ٢/١٧٠.

(٢) في الأصل، والنسخ «جزه»، في الطبعة الأوربية «حرة». والمثبت عن النسخة (ر) والطبري ٢/٤٤.

(٣) في تاريخ الطبري ٢/٤٤ «هرجبذا أبرسام».

(٤) في النسخة (ب): «حراسه».

(٥) إضافة على المطبوع.

برهان ذلك. فدعا أردشير بالحُقّ وفتحه، فوجد فيه مذاكير الشيخ، وكتاباً فيه: لما أخبرتْني[1] ابنةُ أشَك التي علقت من ملك الملوك حين أمر بقتلها، لم أستحلّ[2] إتلاف زرع الملك الطيِّب، فأودعتها بطنَ الأرض كما أمر، وتبرّأنا إليه من أنفسنا، لئلاّ يجد عاضِه[3] [إلى عَضَهها] سبيلاً.

فأمره أردشير أن يجعل مع سابور مائة غلام.

وقيل: ألف غلام، من أشباهه في الهيئة والقامة، ثمّ يُدْخِلهم عليه جميعاً، لا يفرّق بينهم زيّ، ففعل الشيخ. فلمّا نظر إليهم أردشير قَبِلتْ نفسُه ابنَه من بينهم، ثمّ أُعطُوا صوالجة وكُرَة، فلعبوا بالكُرة وهو في الإيوان، فدخلت الكُرةُ الإيوان، فهاب الغلمانُ أن يدخلوه، وأقدم سابور من بينهم ودخل، فاستدلّ بإقدامه مع ما كان من قبوله له حين رآه أنّه ابنه، فقال له أردشير: ما اسمك؟ قال: شاه بور.

فلمّا ثُبت عنه أنّه ابنُه شهْر، أمَّره، وعقد له التاج من بعده، وكان عاقلاً بليغاً فاضلاً، فلمّا مَلَك ووضع التاج على رأسه، فرّق الأموال على النّاس، مَن قَرُبَ ومَنْ بَعُد، وأحسن إليهم، فبانَ فضلُ سيرته، وفاق جميعَ الملوك[4].

وبنى مدينة نَيْسَابُور، ومدينة سابور بفارس، وبنى فيروز سابور، وهي الأنبار، وبنى جُنْدَيْسَابُور.

وقيل: إنّه حاصر الروم بنصِيبين، وفيها جمع من الروم مدّة، ثمّ أتاه من ناحية خُراسان ما احتاج إلى مشاهدته، فسار إليه وأحكم أمرها، ثمّ عاد إلى نَصِيبين، فزعموا أنّ سورها تصدّع، وانفرجت منه فُرجة، دخل منها، وقتل وسبَى وغنم، وتجاوزها إلى بلاد الشام، فافتتح من مدائنها مدناً كثيرة، منها فالوقية[5] وقدوقية[6]، وحاصر ملكاً للروم بأنطاكية، فأسره وحمله وجماعةً كثيرة معه، فأسكنهم مدينة جُنْدَيسَابُور[7].

---

(١) في تاريخ الطبري ٤٥/٢ «اختبرنا».
(٢) في الأصل، والطبعة الأوربية «يستحلّ».
(٣) في الأصل: «أنسنا لئلا يجد عاصه».
والعاضه: المفتري والرامي بالبُهتان.
(٤) تاريخ الطبري ٤٥/٢، ٤٦.
(٥) في النسخة (ب): «قالونية»، وفي تاريخ الطبري ٤٧/٢ «قالوقية».
(٦) في النسخة (ب): «قدرفية»، وفي تاريخ الطبري «قذوقية».
(٧) الطبري ٤٦/٢، ٤٧.

ذِكْر خبر مدينة الحَضْر[1]

كانت بجبال تكريت، بين دجلة والفرات مدينة يقال لها الحَضْر، وكان بها ملك يقال له الساطِرون، وكان من الجرامقة، والعرب تسمّيه الضَّيْزَن، وهو من قُضاعة، وكان قد مَلَك الجزيرة وكثُر جُنده، وإنّه تطرّق بعضَ السواد، إذ كان سابور بخُراسان، فلمّا عاد سابور أُخبر بما كان منه، فسار إليه وحاصره أربع سنين.

وقيل: سنَتَين.

لا يقدر على هدْم حصنه، ولا الوصول إليه.

وكان للضَّيْزَن بنت تُسمّى النَّضيرة، فحاضت، فأُخرجت إلى رَبَض[2] المدينة، وكذلك كان يُفعل بالنساء، وكانت من أجمل النساء، وكان سابور من أجمل النّاس، فرأى كلّ واحد منهما صاحبه، فتعاشقا[3]، فأرسلت إليه: ما تجعل لي إنْ دللتك على ما تهدم به سور المدينة؟ فقال: أحكّمكِ[4] وأرفعك على نسائي. فقالت: عليك بحمامة ورقاء مطوّقة، فاكتب على رِجْلها بحَيْض جارية بِكْرٍ زرقاء، ثمّ أرسِلْها، فإنّها تقع على سور المدينة فيخرب، وكان ذلك طلْسم ذلك البلد. ففعل وتداعت المدينة، فدخلها عَنوةً وقتل الضَّيْزَن وأصحابه، فلم يبقَ منهم أحد يُعرف اليوم، وأخرب المدينة، واحتمل النَّضيرة، فأعرس بها بعين التَّمْر، فلم تزل ليلتَها تتضوّر، فالتمس ما يؤذيها، فإذا ورقة آس ملتزقة بعُكْنةٍ من عُكَن بطنها، فقال لها: ما كان يغذوك به أبوك؟ قالت: بالزُّبْد والمُخّ، وشَهْد الأبكار من النحل، وصفْو الخمر. فقال: وأبيك لأنا[5] أحدث عهداً [بك]، وآثر[6] لك من أبيك! فأمر رجلاً فركب فرساً جَمُوحاً، ثمّ عصّب غدائرها بذَنَبه، ثمّ استركضها، فقطّعها قِطَعاً.

وقد أكثر الشعراء ذِكْرَ الضَّيْزَن في أشعارهم.

---

(١) الحَضْر: بفتح الحاء المهملة، وسكون الضاد المعجمة. أنظر عنها: معجم البلدان ٢/٢٦٨، المعارف ٦٥٣، الأغاني ٢/١٤٠ ـ ١٤٤، تاريخ الطبري ٢/٤٧، نهاية الأرب ١/٢٨١ و١٥/١٦٨، البدء والتاريخ ٣/١٥٧، ١٥٨ المسالك والممالك لابن خرداذبه ٩٤ و٩٥، ديوان أبي داود الإيادي ٣٤٧، ديوان عديّ بن زيد العباديّ ٨٨، وفيات الأعيان ٥/١٦٤ ـ ١٦٦، المشترك وضعاً لياقوت ١٣٧، عيون الأخبار ٣/١١٥ و٤/١١٩، أخبار النساء لابن الجوزي ٨٧.

(٢) الرَّبَض: بالتحريك. ضواحي المدينة، أو الأراضي المحيطة بها.

(٣) في النسخة (ر): «فعشقه».

(٤) في النسخة (ر): «حكمك».

(٥) في الأصل «لأيّنا».

(٦) في الأصل «وأوثر».

وفي أيّام سابور ظهر ماني[1] الزِّنْديق، وادّعى النُّبُوَّة، وتبِعَه خلقٌ كثير، وهم الذين يُسَمّون المانويّة.

وكان مُلْكه ثلاثين سنة وخمسة عشر يوماً.

وقيل: إحدى وثلاثين سنة وستّة أشهر[2] وتسعة أيّام[3].

ذِكْر ملك ابنه هُرمُز بن سابور بن أردشير بن بابَك[4]

وكان يشبَّه في خلقه بأردشير، غير لاحقٍ بـه في تدبيـره، وكان من البطش والجُرأة على أمر عظيم، وكانت أمّه من بنات مِهْرَك الملك الذي قتله أردشير، وتتبّع نسْله فقتلهم، لأنّ المنجّمين أخبروه أنّه يكون من نسْله من يملك، فهربت أمّه إلى البادية، وأقامت عند بعض الرعاء، وخرج سابور متصيّداً، فاشتدّ به العطش، وارتفعت له الأخبية التي فيها أمّ هرمز، فقصدها وطلب الماء، فناولته المرأة، فرأى منها جمالاً فائقاً، فلم يلبث أن حضر[5] الرعاء، فسألهم سابور عنها، فقال بعضُهم: إنّها ابنته، فتزوّجها وسار بها إلى منزله، وكُسِيت ونُظِّفت، فأرادها فامتنعت عليه مدّة، فلمّا طال عليه سألها عن سبب ذلك، فأخبرته أنّها ابنة مِهْرَك، وأنّها تفعل ذلك إبقاءً عليه من أردشير، فعاهدها على سَتْر أمرها، ووطِئها فولَدت له هرمز، فستر أمره حتى صار له سنون.

فركب أردشير يوماً إلى منزل ابنه سابور، لشيءٍ أراد ذِكْره له، فدخل منزله مفاجأة، فلمّا استقرّ خرج هرمز وبيده صَوْلَجان، وهو يصيح في أثر الكُرة، فلمّا رآه أردشير أنكره، ووقف على المَشابه التي فيه من[6] حُسْن الوجه وعَبَالة الخَلْق[7] وأمور غيرها، فاستدناه أردشير، وسأل عنه سابور، فخرج مفكّراً على سبيل الإقرار بالخطأ، وأخبر أباه أردشير الخبَر، فسُرّ، وأخبره أنّه قد تحقّق الذي ذكره المنجّمون في ولد مِهْرَك، وأنّ ذلك قد

---

(١) هو: ماني بن حمّاد. كان يقول: إن مدبّر العالم اثنان، وهما شيئان قديمان: نور وظُلْمة، خالقان، فخالق خير، وخالق شرّ. (أنظر تفصيل ذلك في تاريخ اليعقوبي ١/١٥٩، ١٦٠).

(٢) التنبيه والإشراف ٨٧.

(٣) في النسخ: (ب) و(ت) و(ر): «تسعة عشر يوماً»، وكذلك في تاريخ الطبري ٢/٥١.

(٤) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و٢٣ و٢٩، مروج الذهب ١/٢٥٠، التنبيه والإشراف ٨٧، البدء والتاريخ ٣/١٥٨، الأخبار الطوال ٤٧، تاريخ الطبري ٢/٥١، تاريخ اليعقوبي ١/١٦١، المعارف ٦٥٤، نهاية الأرب ١٥/١٦٨، تاريخ ابن خلدون ٢/١٧١.

(٥) في النسخة (ر): «يحضر».

(٦) في النسخة (ر): «منهم من».

(٧) عَبَالة الخلق: ضخامة الجسم. وأصله في الذراعين.

سلّى ما[1] كان في نفسه وأذهبه.

فلمّا ملك سابور، ولّى هرمز خُراسان، وسيّره إليها، فقهر الأعداء واستقلّ بالأمر، فوشى به الوُشاة إلى سابور، أنّه على عزم أن يأخذ المُلْك منه، وسمع هرمز بذلك، فقيل إنّه قطع يده وأرسلها إلى أبيه، فكتب إليه بما بلغه، وأنّه فعل ذلك إزالةً للتهمة، لأنّ رسْمهم أنّهم كانوا لا يملّكون ذا عاهة، فلمّا وصلت يده إلى سابور، تقطّع أسفاً، وأرسل إلى هرمز يُعلمه ما ناله لذلك، وعقد له على المُلْك وملّكه، ولما مَلَك عدل في رعيّته، وكان صادقاً، وسلك سبيل آبائه وكوّر كورة رامَهُرْمُز.

وكان مُلْكه سنة وعشرة أيّام[2].

ذِكْر ملْك ابنه بَهْرام بن هرمز بن سابور[3]

وكان حليماً متأنّياً، حسن السيرة، وقتل ماني الزنديق وسلخه وحشا جلده تبناً، وعُلّق على بابٍ من أبواب جُنْدَيْسابور يُسمّى باب ماني.

وكان مُلْكه ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيّام[4].

وكان عامل سابور بن أردشير وابنه هرمز وبهرام بن هرمز - بعد مهلك عمرو بن عديّ على ربيعة ومُضر وسائر مَن ببادية العراق والحجاز والجزيرة يومئذٍ - ابن لعمرو بن عديّ، يقال له امرؤ القيس البَدْء[5]، وهو أوّل مَن تنصّر من آل نصر بن ربيعة وعُمّال الفرس، وعاش مملّكاً في عمله مائة سنة وأربع عشرة سنة، منها في زمن سابور بن أردشير ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً، وفي زمن هرمز بن سابور سنة وعشرة أيّام، وفي زمن بهرام ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيّام، وفي زمن بهرام بن بهرام بن هرمز ثماني عشرة سنة[6].

---

(١) في النسخة (ر): «قد سرّى ما».

(٢) أنظر: مروج الذهب ١/ ٢٥٠، وتاريخ اليعقوبي ١/ ١٦١، والتنبيه والإشراف ٨٧، والبدء والتاريخ ٣/ ١٥٨، وتاريخ سنيّ ملوك الأرض والأنبياء ١٩، وتاريخ الطبري ٢/ ٥٣، والمعارف ٦٥٤ وغيره.

(٣) البدء والتاريخ ٣/ ١٥٨، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و٢٣ و٢٩، تاريخ اليعقوبي ١/ ١٦١، تاريخ الطبري ٢/ ٥٣، مروج الذهب ١/ ٢٥٠، التنبيه والإشراف ٨٧، الأخبار الطوال ٤٧، المعارف ٦٥٥، نهاية الأرب ١٥/ ١٦٨، تاريخ ابن خلدون ٢/ ١٧١.

(٤) الطبري ٢/ ٥٣، التنبيه والإشراف ٨٧، مروج الذهب ١/ ٢٥٠ (دون ذكر الأشهر والأيام)، وكذلك في تاريخ اليعقوبي ١/ ١٦١، وفي تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ والبدء والتاريخ ٣/ ١٥٨ كما عند المؤلّف، وينفرد الدينوري في الأخبار الطوال ٤٧ فيقول إنه ملك سبع عشرة سنة.

(٥) في الأصل «الكندي».

(٦) الطبري ٢/ ٥٣.

ذِكْر مُلْك ابنه بهرام بن بهرام بن سابور بن أردشير[1]

وكان مُلْكه حسناً، وكان عالماً بالأمور، فلمّا عُقد له التاج وعدهم بحُسن السيرة، واختُلف في سِنّي مُلكه، فقيل ثماني عشرة سنة، وقيل سبع عشرة سنة، والله أعلم.

ذِكْر مُلْك ابنه بهرام بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور[2]

فلمّا عقد التاج على رأسه دعا له العظماء، فأحسن الردّ، وكان قبل أن يُفْضي إليه الأمر مملَّكاً على سجستان.

وكان مُلْكه أربع سنين[3].

ذِكْر مُلْك نَرْسي بن بهرام[4]

وهو أخو بهرام الثالث، فلمّا عقد التاج على رأسه دخل عليه الأشراف والعظماء فدعوا له، فوعدهم خيراً، وسار فيهم بأعدل السيرة[5]، وقال: لن نضيع شكر ما أنعم الله به علينا.

وكان مُلْكه تسع سنين.

ذِكْر مُلْك هرمز بن نَرْسي بن بهرام بن بهرام بن هرمز[6]

وكان النّاس قد وجلوا منه لفظاظته، فأعلمهم أنّه قد علم بما كانوا يخافون من شدّة

---

(١) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و٢٣ و ٢٩، التنبيه والإشراف ٨٨، مروج الذهب ١/٢٥١، تاريخ اليعقوبي ١/١٦١، تاريخ الطبري ٢/٥٤، الأخبار الطوال ٤٧، المعارف ٦٥٥، نهاية الأرب ١٥/١٦٩، تاريخ ابن خلدون ٢/١٧٢.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٥٤، تاريخ اليعقوبي ١/١٦١، المعارف ٦٥٥، مروج الذهب ١/٢٥٤، التنبيه والإشراف ٨٨، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و٢٣ و٢٩، نهاية الأرب ١٥/١٧١، تاريخ ابن خلدون ٢/١٧٢.

(٣) الطبري ٢/٥٤ وتاريخ اليعقوبي ١/١٦١ وفي التنبيه والإشراف ٨٨ ومروج الذهب ١/٢٥٤ (أربع سنين وأربعة أشهر). وفي البدء والتاريخ ٣/١٥٩ والمعارف ٦٥٥ (أربعة أشهر فقط)، وكذلك في تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ وفي موضع منه - ص ٢٣ (ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر) وفي موضع آخر - ص ٢٩ (أربعين سنة وأربعة أشهر).

(٤) تاريخ اليعقوبي ١/١٦١، تاريخ اليعقوبي ١/٥٤، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و٢٣ و ٢٩، مروج الذهب ١/٢٥٤، التنبيه والإشراف ٨٨، المعارف ٦٥٥، الأخبار الطوال ٤٧، البدء والتاريخ ٣/١٥٩، نهاية الأرب ١٧١، تاريخ ابن خلدون ٢/١٧٢.

(٥) في النسخة (ر): «سيرة».

(٦) تاريخ الطبري ٢/٥٤، الأخبار الطوال ٤٧، المعارف ٦٥٥، التنبيه والإشراف ٨٨، مروج الذهب ١/٢٥٤، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و٢٣ و ٢٩، تاريخ اليعقوبي ١/١٦١، البدء والتاريخ ٣/١٥٩، نهاية الأرب ١٥/١٧٢، تاريخ ابن خلدون ٢/١٧٢.

ولايته، وأنّ الله قد أبدل ما كان فيه من الفظاظة رقّةً ورأفةً، وساسهم أرفق سياسة، وكان حريصاً على انتعاش الضعفاء وعمارة البلاد والعدل، ثمّ هلك ولا ولد له، فشقّ ذلك على النّاس، فسألوا عن نسائه، فذكر لهم أنّ بعضهنّ حُبْلَى.

وقيل: إنّ هرمز كان أوصى بالملك لذلك الحَمْل، وولدت المرأة سابور ذا الأكتاف.

وكان مُلْك هرمز ستّ سنين وخمسة أشهر.

وقيل سبع سنين وخمسة أشهر[1].

وأسماء الملوك من سابور بن أردشير إلى ههنا لم يُحذَف منها شيء.

ذِكْر ملْك ابنه سابور ذي الأكتاف[2]

وهو سابور بن هرمز بن نَرْسي بن بهرام[3] بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك.

وقيل: مَلَك بوصيّة أبيه له، فاستبشر النّاس بولادته، وبثّوا خبره في الآفاق، وتقلّد الوزراء والكُتّاب ما كانوا يعملونه في مُلْك أبيه.

وسمع الملوك أنّ ملك الفرس صغير في المهد، فطمعت في مملكتهم التُرْك والعرب والروم، وكانت العرب أقرب إلى بلاد فارس، فسار جمعٌ عظيم منهم في البحر من عبد القيس والبحرين إلى بلاد فارس، وسواحل أردشير خُرّة، وغلبوا أهلها على مواشيهم ومعايشهم، وأكثروا الفساد، وغلبت إياد على سواد العراق، وأكثروا الفساد فيهم، فمكثوا حيناً لا يغزوهم أحد من الفرس لِصِغَر ملكهم.

فلمّا ترعرع سابور وكَبُر كان أوّل ما عُرف من حسن فهمه، أنّه سمع في البحر[4] ضوضاء وأصواتاً، فسأل عن ذلك فقيل: إنّ النّاس يزدحمون في الجسر الذي على دجلة مقبلين ومدبرين، فأمر بعمل جسر آخر يكون أحدهما للمقبلين والآخر للمدبرين، فاستبشر النّاس بذلك.

---

(١) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ وقيل (ثلاث عشرة سنة) ص ـ ٢٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١/١٦١، تاريخ الطبري ٢/٥٥، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و٢٣ و ٢٩، البدء والتاريخ ٣/١٥٩، مروج الذهب ١/٢٥٤، التنبيه والإشراف ٨٨، المعارف ٦٥٦، الأخبار الطوال ٤٨، نهاية الأرب ١٥/١٧٢، تاريخ ابن خلدون ٢/١٧٣.

(٣) في النسخة (ر): «بهرام بن بهرام بن هرمز».

(٤) في النسختين (ت) و(ر): «السحر».

فلمّا بلغ ستّ عشرة سنة، وقوي على حمل السلاح جمع رؤساء أصحابه، فذكر لهم ما اختلّ من أمرهم، وأنّه يريد الذبّ عنهم، ويشخص إلى بعض الأعداء. فدعا له النّاسُ، وسألوه أن يقيم بموضعه، ويوجّه القوّاد والجنود ليكفوه ما يريد، فأَبَى واختار من عسكره ألف رجل، فسألوه الازدياد، فلم يفعل، وسار بهم ونهاهم عن الإبقاء على أحد من العرب، وقصد بلاد فارس، فأوقع بالعرب وهم غارّون، فقتل وأسر وأكثر. ثمّ قطع البحر إلى الخطّ، فقتل من بالبحرين لم يلتفتْ إلى غنيمة، وسار إلى هَجَر وبها ناس من تميم، وبكر بن وائل، وعبد القيس، فقتل منهم حتى سالت دماؤهم على الأرض، وأباد عبد القيس، وقصد اليمامة، وأكثر في أهلها القتل، وغوّر مياه العرب، وقصد بكراً وتغلب فيما بين مناظر الشام والعراق، فقتل وسبَى وغوّر مياههم، وسار إلى قرب المدينة ففعل كذلك، وكان ينزع أكتاف رؤسائهم ويقتلهم[1] إلى أن هلك، فسمّوه سابور ذا الأكتاف لهذا.

وانتقلت إياد حينئذٍ إلى الجزيرة، وصارت تغير على السواد، فجهّز سابور إليهم الجيوش، وكان لَقيط الإياديّ[2] معهم، فكتب إلى إيّاد:

سَلامٌ فِي الصَّحِيفَةِ مِن لَقِيطٍ ... إلى مَن بالجزيرة[3] من أيادِ
بأنّ اللّيثَ كسرَى قَد أتاكُم[4] ... فَلا يشغلْكُمُ سوق النِّقادِ[5]

---

(١) في الأصل والطبعة الأوربية «ويقتل».

(٢) هو لقيط بن بكر، شاعر جاهلي قديم مُقِلّ. قال أبو الفرج الأصفهاني: ليس يُعرف له شعر غير هذه القصيدة وقِطع من الشعر لِطافٍ متفرّقة. (الأغاني ٢٢/٣٥٥) وانظر عنه في: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم للآمدي - ص ١٧٥ طبعة مصر، الاشتقاق لابن دُرَيْد - ص ١٠٤ طبعة أوربة، وفيه «لقيط بن معبد الإيادي»، منتهى الطلب من أشعار العرب (مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٥٣ أدب (ش) - ص ٣٥٠ - ٣٥٩ - لمحمد بن المبارك.

(٣) في الأصل «بالبحرين»، والمثبت يتفق مع الأغاني، ونهاية الأرب. وفي مروج الذهب: «في الجزيرة».

(٤) هكذا في الأغاني، ومنتهى الطلب. وفي مروج الذهب:

بأن الليث يأتيكم دلاقا

وفي نهاية الأرب، والمؤتلف والمختلف، وشرح القاموس:

بأن الليث آتيكم دَلِيفا

وقوله: «آتيكم دليفا»: يمشي مشيَ المعيَّد.

(٥) في النسختين (ب) و(ر): «النفاد» بالفاء. وورد الشطر في مروج الذهب:

فلا يحسبكم شوكُ القَتاد

وفي بقية المصادر: «يحبسكُمُ». و«النِّقاد»: جنس من الغنم قبيح الشكل، مفرده: نقد، بالتحريك.

أتاكُم منهُمُ سَبعونَ[1] ألفاً يَزجّونَ[2] الكَتائبَ كالجَرادِ[3]

فلم يقبلوا منه وداموا على الغارة، فكتب إليهم أيضاً:

أَبلِغْ إياداً وطَوِّلْ[4] في سراتِهُم أنّي أرَى الرّأيَ إن لم أُعصَ قد نصعَا[5]

وهي قصيدة مشهورة من أجود ما قيل في صفة الحرب. فلم يحذروا، وأوقع بهم سابور وأبادهم قتْلاً، إلاّ مَن لحق بأرض الروم. فهذا فِعْله بالعرب.

وأمّا الروم، فإنّ سابور كان هادن ملكَهم، وهو قسطنطين، وهو أوّل من تنصّر من ملوك الرّوم، ونحن نذكر سبب تنصّره عند الفراغ من ذكر سابور إن شاء الله.

ومات قسطنطين، وفُرّق مُلكه بين ثلاثة بنين كانوا له، فملكوا، وملّكت الروم عليهم رجلاً من أهل بيت قسطنطين يقال له اليانوس[6]، وكان على ملّة الروم الأولى ويكتم ذلك، فلمّا ملك أظهر دينه، وأعاد ملّة الروم، وأخرب البِيَع، وقتل الأساقفة. ثمّ جمع جموعاً من الروم والخَزَر، وسار نحو سابور.

واجتمعت العربُ للانتقام من سابور، فاجتمع في عسكر اليانوس منهم خلق كثير. وعادت عيون سابور إليه فاختلفوا في الأخبار، فسار سابور بنفسه مع جماعة من ثقاته نحو الروم، فلمّا قرب من يوسانوس[7]، وهو على مقدّمة اليانوس، اختفى وأرسل بعض مَنْ معه إلى الروم، فأُخذوا، وأقرّ بعضهم على سابور، فأرسل يوسانوس إليه سرّاً ينذره، فارتحل سابور إلى عسكره، وتحارب هو والعرب والروم، فانهزم عسكره وقُتل منهم مقتلة عظيمة، وملكتِ الرومُ مدينة طَيْسَفُون[8]، وهي المدائن الشرقيّة، وملكوا أيضاً أموال سابور وخزائنه[9].

---

(١) في المؤتلف والمختلف، ومنتهى الطلب: «ستون».

(٢) في مروج الذهب: «يجرّون».

(٣) الأبيات في: المؤتلف والمختلف ١٧٥، مروج الذهب ١/٢٥٥، شرح القاموس (مادة دلف)، نهاية الأرب ١٥/١٧٣، منتهى الطلب ٣٥٠، وفي الأغاني ٢٢/٣٥٨ ورد البيتان الأولان فقط.

(٤) في مروج الذهب ١/٢٥٥: «وحلل».

(٥) في النسخة (ب): «بضعا». وورد البيت في الأغاني ٢٢/٣٥٨ على هذا النحو:

هذا كتابي إليكمْ والنذير لكمْ لمن رأى الرأي بالإبرام قد نَصَعا

(٦) في تاريخ الطبري ٢/٥٨ «لُليانوس». وفي الأخبار الطوال ـ ص ٥٠ «اليوبيانوس»

(٧) في الأصل «يوبيانوس».

(٨) في الأصل «طيسور»، وفي الطبعة الأوربية «طيستور»، والمثبت يتفق مع معجم البلدان ٤/٥٥ وهي بفتح الطاء وسكون الياء، وسين مهملة. مدينة كسرى التي فيها الإيوان، بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ.

(٩) الطبري ٢/٥٨، ٥٩.

وكتب سابور إلى جنوده وقوّاده يُعلِمهم ما لقي من الروم والعرب، ويستحثّهم على المسير إليه، فاجتمعوا إليه، وعاد واستنقذ مدينة طَيْسَفون، ونزل اليانوس مدينة بَهُرَسِير[1]، واختلف الرسُل بينهما، فبينما اليانوس جالس، أصابه سهم لا يُعرف راميه فقتله، فسُقِط في أيدي الروم، ويئسوا من الخلاص من بلاد الفرس، فطلبوا من يوسانوس أن يملك عليهم، فلم يفعل، وأبَى إلاّ أن يعودوا إلى النصرانيّة، فأخبروه أنّهم على ملّته، وإنّما كتموا ذلك خوفاً من اليانوس. فملك عليهم.

وأرسل سابور إلى الروم يتهدّدهم، ويطلب الذي مُلّك عليهم ليجتمع به. فسار إليه يوسانوس في ثمانين رجلاً، فتلقّاه سابور وتساجدا وطعِما، وقوّى سابور أمر يوسانوس بجهده، وقال للروم: إنّكم أخربتم بلادنا وأفسدتم فيها، فإمّا أن تُعطونا قيمة ما أهلكتم، وإمّا أن تعوّضونا نَصِيبين، وكانت قديماً للفرس، فغلبت الروم عليها، فدفعوها إليهم، وتحوّل أهلها عنها، فحوّل إليها سابور اثني عشر ألف بيت من أهل إصْطَخْر وأصبهان وغيرهما، وعادت الروم إلى بلادهم، وهلك ملكهم بعد ذلك بيسير[2].

وقيل: إنّ سابور سار إلى حدّ الروم، وأعلم أصحابه أنّه على قصد الروم مختفياً لمعرفة أحوالهم وأخبار مدنهم، وسار إليهم، فجال فيهم حيناً، وبلغه أن قيصر أوْلَم وجمع النّاس، فحضر بزيّ سائل لينظر إلى قيصر على الطعام، ففُطن به وأُخذ، وأُدرج في جلد ثور.

وسار قيصر بجنوده إلى أرض فارس، ومعه سابور على تلك الحال، فقتل وأخرب حتى بلغ جُنْدَيْسابور، فتحصّن أهلها وحاصرها، فبينما هو يحاصرها إذ غفل الموكَّلون بحراسة سابور، وكان بقربه قوم من سبي الأهواز، فأمرهم أن يلقوا على القدّ الذي عليه زيتاً كان بقربهم، ففعلوا، ولان الجلد وانسلّ منه، وسار إلى المدينة وأخبر حرّاسها فأدخلوه، فارتفعت أصوات أهلها، فاستيقظ الروم، وجمع سابور مَنْ بها وعبّاهم، وخرج إلى الروم سَحَر تلك اللّيلة، فقتلهم وأسر قيصر وغنِم أمواله ونساءه، وأثقله بالحديد، وأمره بعمارة ما أخرب، وألزمه بنقل التراب من بلد الروم، ليبني به ما هدم المنجنيق من جُنْدَيْسابور، وأن يغرس الزيتون مكان النخل، ثمّ قطع عَقِبه، وبعث به إلى الروم على حمار وقال: هذا، جزاؤك ببغْيك علينا؛ فأقام مدّة، ثمّ غزا فقتل وسبَى سبايا أسكنهم مدينة بناها بناحية السوس، سمّاها إيران شهر سابور، وبنى مدينة نَيْسابور بخُراسان في

---

(1) بَهُرَسِير: بالفتح ثم الضمّ، وفتح الراء، وكسر السين. من نواحي سواد بغداد قرب المدائن. (معجم البلدان 1/515).

(2) الطبري 2/59، 60.

قول، وبالعراق بُزُرْجَ[1] سابور[2].

وكان مُلْكه اثنتين وسبعين سنة[3].

وهلك في أيّامه امرؤ القيس بن عمرو بن عديّ عامله على العرب[4]، فاستعمل ابنه عمرو بن امريء القيس[5]، فبقي في عمله بقيّة ملك سابور، وجميع أيّام أخيه أردشير بن هرمز، وبعض أيّام سابور بن سابور.

وكانت ولايته ثلاثين سنة[6].

[سبب تنصُّر قسطنطين][7]

وأمّا سبب تنصّر قسطنطين، فإنّه كان قد كبر سنّه، وساء خُلُقُه، وظهر به وَضَح[8] كبير، فأرادات الروم خلعه وترك ماله عليه، فشاور نصحاءه، فقالوا له: لا طاقة لك بهم، فقد أجمعوا على خلْعك، وإنّما تحتال عليهم بالدِّين. وكانت النصرانيّة قد ظهرت، وهي خفيّة.

وقالوا له: استمهلْهم حتى تزور البيت المقدّس، فإذا زرتَه دخلتَ في دين النصرانيّة، وحملتَ النّاس عليه، فإنّهم يعترفون، فتقاتل مَنْ عصاك بمن أطاعك، وما قاتل قوم على دِينٍ إلاّ نُصروا. ففعل ذلك، فأطاعه عالم عظيم، وخالفه خلق كثير، وأقاموا على دين اليونانيّة، فقاتلهم وظفر بهم، فقتلهم فأحرق كتبهم وحكمتهم، وبنى القسطنطينيّة، ونقل النّاس إليها، وكانت رومية دار مُلكهم، وبقي مُلكه عليه، وغلب على الشام[9].

---

(١) في الأصل والطبعة الأوربية «تزوّج».

(٢) بُزُرْجَسَابور: بضمّتين وراء ساكنة، وجيم مفتوحة: من طساسيج بغداد، (معجم البلدان ١/ ٤١٠).

(٣) تاريخ الطبري ٢/ ٦١، مروج الذهب ١/ ٢٥٤، تاريخ اليعقوبي ١/ ١٦٢، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و٢٣ و ٢٩، التنبيه والإشراف ٨٨.

(٤) قال المسعودي في مروج الذهب ٢/ ٩٨ انه ملك ستين عاماً.

(٥) هو: محرّق العرب.

(٦) الطبري ٢/ ٦٢ وفي مروج الذهب ٢/ ٩٨ (خمساً وعشرين سنة).

(٧) العنوان إضافة على الأصل.

(٨) في الطبعة الأوربية «وضخ» بالخاء المعجمة. وهو تحريف.

(٩) سبق أن ذكر المؤلّف هذا الخبر تحت عنوان (الطبقة الثانية من ملوك الروم المتنصّرة) وانظر في ذلك: تاريخ اليعقوبي ١/ ١٥٣، لطف التدبير ٤٨، مروج الذهب ١/ ٣١٨، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٦٦، تاريخ المنبجي ١/ ١٩٢، تاريخ ابن العبري ٧٩.

وكان الأكاسرة قبل سابور ذي الأكتاف ينزلون طيسفون[1]، وهي المدينة الغربيّة من المدائن، فلمّا نشأ سابور بنى الإيوان بالمدائن الشرقيّة، وانتقل إليه، وصار هو دار المُلْك، وهو باقٍ إلى الآن، ونحن في سنة خمس وعشرين[2] وستّمائة[3].

ذِكْر ملْك أردشير بن هرمز بن نرسي بن بهرام بن سابور بن أردشير بن بابك أخي سابور[4]

فلما مَلَك واستقرّ له المُلْك عطف على العظماء وذوي الرئاسة، فقتل منهم خلقاً كثيراً، فخلعه الناس بعد أربع سنين من ملكه[5].

ذِكْر ملْك سابور بن سابور ذي الأكتاف[6]

فلمّا مَلَك بعد خلْع عمّه، استبشر النّاس بعَود مُلك أبيه إليه، وكتب إلى العمّال بالعدل والرفق بالرعيّة، وأمر بذلك وزراءه وحاشيته، وأطاعه عمّه المخلوع وأحبّته رعيّته، ثمّ إنّ[7] العظماء وأهل الشرف قطعوا أطناب[8] خيمة كان فيها، فسقطت عليه فقتلته.

وكان مُلْكه خمس سنين[9].

ذِكْر ملْك أخيه بهرام بن سابور ذي الأكتاف[10]

وكان يلقَّب كَرْمان شاه، لأنّ أباه ملّكه كَرْمان في حياته، فكتب إلى القوّاد كتاباً

---

(١) في الأصل «طَيسور»، وفي الطبعة الأوربية «طيستور». والمثبت يتفق مع معجم البلدان ٤/٥٥.

(٢) في النسخة (ت): «عشرة».

(٣) أي السنة التي كان يكتب فيها المؤلّف كتابه هذا.

(٤) تاريخ اليعقوبي ١/١٦٢، البدء والتاريخ ٣/١٦٣، التنبيه والإشراف ٨٨، مروج الذهب ١/٢٦٠، المعارف ٦٥٩، تاريخ الطبري ٢/٦٢، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و٢٣ و ٢٩، نهاية الأرب ١٥/١٧٧، تاريخ ابن خلدون ٢/١٧٤.

(٥) تتفق مصادر ترجمته على مدّة ملكه، عدا كتاب البدء والتاريخ ٣/١٦٣ ففيه (إحدى عشرة سنة)، كما أثبت محمد محيي الدين عبد الحميد في متن مروج الذهب ١/٢٦٠ عن إحدى نسخه أنه مَلَك (أربعين سنة)، وأشار في الحاشية رقم (٣) إلى نسخة فيها (أربع سنين).

(٦) التنبيه والإشراف ٨٨، مروج الذهب ١/٢٦٠، تاريخ اليعقوبي ١/١٦٢، تاريخ الطبري ٢/٦٢، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و٢٣ و ٢٩، الأخبار الطوال ٥٠، ٥١، المعارف ٦٥٩، نهاية الأرب ١٥/١٧٧، تاريخ ابن خلدون ٢/١٧٤.

(٧) في الأصل «وإن».

(٨) أطناب: جمع طُنُب (بضمّتين)، وهو حبل طويل يُشدّ به السرادق والقباب.

(٩) هكذا في مصادر ترجمته، وفي بعضها يقال (خمس سنين وأربعة أشهر). وينفرد حمزة الأصفهاني في موضع من تاريخ سنيّ ملوك الأرض ـ ص ٢٣ بالقول إنه ملك (اثنتين وثمانين سنة).

(١٠) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و٢٣ و ٢٩، المعارف ٦٥٩، الأخبار الطوال ٥١، تاريخ اليعقوبي ١/١٦٢، =

يحثّهم على الطاعة، وكان محموداً في أموره، وبنى بكَرْمان مدينة. وثار به ناس من الفُتّاك، فقتله أحدهم بنشّابة.

وكان ملكه إحدى عشرة سنة[1].

ذكر ملك يَزْدَجِرْد الأثيم بن بهرام ابن سابور ذي الأكتاف[2]

ومن أهلِ العلم مَن يقول إنّ يَزْدَجِرْد هذا هو أخو بهرام كَرْمان شاه بن سابور، لا ابنه، وكان فظّاً[3] غليظاً، ذا عيوب كثيرة، يضع الشيء في غير مواضعه، كثير الرؤية في الصغائر، واستعمال[4] كلّ ما عنده في المواربة والدهاء والمخاتلة، مع فطنة بجهات الشرّ وعُجْب به، وكان غَلِقاً[5] سيِّء الخُلُق، لا يغفر الصغيرة من الزلّات، ولا يقبل شفاعة أحد من النّاس، وإن كان قريباً منه، كثير التهمة، ولا يأتمن أحداً على شيء، ولم يكن يكافىء أحداً على حسن البلاء، وإنْ هو أَولى الخسيسَ من العُرْف[6] استعظمه، وإذا بلغه أنّ أحداً من أصحابه صافَى أحداً من أهل صناعته نحّاه عن خدمته. وكان فيه مع ذلك ذكاء ذِهن، وحُسْن أدب، وقد مهر في صنوفٍ من العلم، واستوزر نَرْسي حكيمَ زمانه، وكان فاضلاً قد كمُل أدبُه، ولقّبه هزار بِيده، فأمل النّاس أن يصلح نَرْسي منه، فكان ما أملوه بعيداً.

فلمّا استوى له المُلك، واشتدّت شوكته، هابته[7] الأشراف والعظماء، وحمل على الضعفاء، فأكثر من سفْك الدّماء.

فلمّا ابتُليت الرعيّة به شكوا ما نزل بهم منه إلى الله تعالى، وسألوه تعجيل إنقاذهم

= التنبيه والإشراف ٨٨، مروج الذهب ١/٢٦١، تاريخ الطبري ٢/٦٢، نهاية الأرب ١٥/١٧٧، تاريخ ابن خلدون ٢/١٧٤.

(١) تكاد المصادر تتفق على مدّة ملكه هذه، وقيل: عشر سنين كما في مروج الذهب، وفي موضع من تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٢٣ ملك (اثنتي عشرة سنة). وفي الأخبار الطوال ٥١ ملك (ثلاث عشرة سنة).

(٢) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و٢٣ و٢٩، المعارف ٦٥٩، ٦٦٠، الأخبار الطوال ٥١، مروج الذهب ١/٢٦١، التنبيه والإشراف ٨٨، تاريخ اليعقوبي ١/١٦٢، البدء والتاريخ ٣/١٦٣، تاريخ الطبري ٢/٦٣، نهاية الأرب ١٥/١٧٧، تاريخ ابن خلدون ٢/١٧٤.

(٣) في النسخة (ب): «فطناً».

(٤) في الطبعة الأوربية «واستعمل».

(٥) الغَلِق: الضجر السّيّء الخُلُق. وورد في الطبعة الأوربية «علقاً» بالعين المهملة.

(٦) العُرْف: الجود والمعروف. وورد في الطبعة الأوربية «العرق» وهو تحريف.

(٧) في الطبعة الأوربية «أهانته».

منه، فزعموا أنّه كان بجُرجان، فرأى ذات يوم في قصره فرساً عائراً[1]، لم يُرَ مثله، فأُخبر به، فأمر أن يُسرج ويُلجم ويُدخل عليه، فلم يقدر أحد على[2] ذلك، فأعلم بذلك، فخرج إليه بنفسه وألجمه بيده وأسرجه، فلمّا رفع ذنبه ليُثفره[3] رَمَحه على فؤآده رمحةً هلك منها مكانه، وملأ الفرس فروجه جرْياً، ولم يُعلم له خبر، وكان ذلك من صُنع الله ورأفته بهم.

وكان مُلكه اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر وستّة عشر يوماً.

وأمّا العرب، فقيل إنّه لما هَلَك عمرو بن امريء القيس البَدْء[4] بن عمرو بن عديّ في عهد سابور، استخلف سابور على عمله أوسَ بن قلّام، وهو من العماليق، فمَلَك خمس سنين، وقُتل في عهد بهرام بن سابور.

فاستُخلف بعده في عمله امرؤ القيس بن عمرو بن امرىء القيس البَدْء، فبقي خمساً وعشرين سنة، وهلك أيّام يَزْدَجِرد الأثيم.

فاستخلف بعده في عمله ابنه النعمان، وأمّه شقيقة ابنة أبي ربيعة بن ذُهْل بن شيبان، وهو صاحب الخَوَرْنَق[5]. وسبب بنائه له أنّ يَزْدَجِرد الأثيم كان لا يبقى له ولد، فسأل عن منزل مريء[6] صحيح، فدُلّ على ظاهر الحِيرة، فدفع ابنه بهرام جور إلى النعمان هذا، وأمره ببناء الخَوَرْنَق مسكناً له، وأمره بإخراجه إلى بوادي[7] العرب.

وكان الذي بنى الخَوَرْنَق رجلاً اسمه سِنِمَّار. فلمّا فرغ من بنائه تعجّبوا منه، فقال: لو علمتُ أنّكم تُوفُونني أجرى لعملته يدور مع الشمس. فقال: وإنّك لتقدر على ما هو أفضل منه! ثمّ أمر به فألقي من رأس الخَوَرْنَق فهلك، فضربت العرب بجزائه المَثَل، وهو مذكور في أشعارها[8].

وغزا النعمان هذا الشام مراراً، وأكثرَ المصائبَ في أهلها، وسبَى وغنِم، وجعل معه

---

(١) العائر: الهائم على وجهه لا يثنيه شيء. وفي الطبعة الأوربية «غائراً».
(٢) في الطبعة الأوربية «عليه».
(٣) يثفره: أي يضع الثّفر، وهو سير من الجلد في مؤخّر السرْج، تحت ذَنَب الفرس.
(٤) في الطبعة الأوربية «الندى» وهو وهم. والتصويب من: تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨٦، وتاريخ الطبري ٢/٦٥.
(٥) الخَوَرْنق: بفتح أوله وثانيه، وراء ساكنة، ونون مفتوحة. أصله: خُوَرْنْكاه أي موضع الشرب والأكل. قرية على نصف فرسخ من بَلْخ يقال لها خبنك. (المشترك وضعاً لياقوت ١٦٣).
(٦) في تاريخ الطبري ٢/٦٥ «منزل بريء مريء».
(٧) في النسخة (ر): «بداد بداد».
(٨) أنظر الأغاني ٢/١٤٤ و١٤٥، معجم البلدان ٢/٤٠١ و٤٠٢، تاريخ الطبري ٢/٦٦، ٦٧.

ملكُ فارس كتيبتين، يقال لإحداهما دَوْس وهي لتَنوخ، وللأخـرى الشهباء وهي لفـارس، فكان يغزو بهما الشام ومَنْ لم يطعه من العرب.

ثمّ إنّه جلس يوماً في مجلسه من الخَوَرْنَق، فأشرف منه على النَّجف، ومـا يليه من البساتين والأنهار، في يوم من أيّام الربيع، فـأعجبه ذلـك، فقال لـوزيره: هـل رأيتَ مثل هـذا المنظر قطّ؟ قـال: لا لو كـان يدوم. قـال: فما الـذي يدوم؟ قـال: مـا عنـد الله في الآخرة. قال: فبِمَ يُنال ذلك؟ قال: بتركك الدنيا وعبادة الله. فترك مُلكه من ليلتـه، ولبس المُسُوح، وخرج هارباً لا يُعلم به، فأصبحَ النّاسُ فلم يروه[1].

وكان مُلكه إلى أن تركه وساح تسعاً وعشـرين سنة وأربعـة أشهر، من ذلـك في أيّام يَزْدَجِرْد خمس عشرة سنة، وفي زمن بهرام جور بن يَزْدَجِرْد أربع عشرة سنة[2].

وأمّا علماء الفرس فإنّهم يقولون غير هذا، وسيرِد ذِكْره.

ذِكْر ملْك بهرام بن يزدجرد الأثيم[3]

لما ولد يَـزْدَجِرْد بهـرام جور اختـار لحضانتـه العرب، فـدعا بـالمنذر بن النُّعمـان، واستحضنه بهرام، وشرّفه وملّكه على العرب، فسار به المنذر، واختار لرضاعه ثلاث نِسوة ذوات أجسام صحيحة، وأذهـان ذكيّة، وآداب حَسَنـة من بنات الأشـراف، منهنّ عربيّتـان وعجميّة، فأرضعنه ثلاث سنين. فلمّـا بلغ خمس سنينٍ أحضر لـه مؤدّبين فعلّموه الكتـابةَ والرميَ والفقه بطلبٍ من بهرام بـذلك، وأحضـر حكيماً من حكمـاء الفرس، فتعلّم ووعى كـلَّ ما علّمـه بأدنى تعليم. فلمّـا بلغ اثنتي عشرة سنـة تعلّم كلّ مـا أفيـد وفـاق معلّميـه، فأمرهم المنذر بالإنصراف، وأحضر معلّمي الفروسيّة، فـأخذ عنهم كـلَّ ما ينبغي لـه، ثمّ صرفهم، ثمّ أمر، فأُحضرت خيل العرب للسباق، فسبقها فرس أشقر للمنذر، وأقبل بـاقي الخيل بَدَادِ [بَـدَاد][4]، فقرّب المنـذر الفرس بيـده إليه، فقبّله وركبـه يومـاً للصيد، فبُصـر بعانةٍ[5] حُمرٍ وحش، فرمى عليها وقصدها، وإذا هو بأسد قد أخذ عيراً منها، فتنـاول ظهره

---

(١) الخبر في: تاريـخ الطبـري ٢/٦٧، والبدء والتـاريخ ٣/٢٠٠، ومعجم البلدان ٢/٤٠٢، والمعـارف ٦٤٧، والأغـاني ٢/١٤٦، وبلوغ الأرب للآلـوسي ٢/١٩١ طبعة بغـداد ١٣١٤ هـ، وتـاريخ اليعقـوبي ١/٢٠٩، ٢١٠، وتاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨٨، ٨٩.

(٢) أنظر: تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨٨.

(٣) تـاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و٢٣ و٢٩، المعـارف ٦٦٠، الأخبار الـطوال ٥١، تاريـخ اليعقوبي ١/٦٢، البدء والتاريخ ٣/١٦٣، تاريخ الطبري ٢/٦٨، مروج الذهب ١/٢٦١، التنبيه والإشراف ٨٨، نهاية الأرب ١٥/١٧٨، تاريخ ابن خلدون ٢/١٧٤.

(٤) بدادِ بدادِ: أي مرتين.

(٥) العانة: القطيع من حُمر الوحش.

بفيه، فرماه بهرام بسهم، فنفذ في الأسد والعير، ووصل إلى الأرض، فساخ السهم إلى ثُلُثه، فرآه مَن معه فعجِبوا منه، ثمّ أقبل على الصيد واللّهو والتلذّذ.

فمات أبوه وهو عند المنذر، فتعاهد العظماء وأهل الشرف على أن لا يملّكوا أحداً من ذرّيّة يَزْدَجِرْد لسوء سيرته، فاجتمعت الكلمةُ على صرف المُلْك عن بهرام، لنشوئه في العرب، وتخلّقه بأخلاقهم، ولأنّه من ولد يَزْدَجِرْد، وملّكوا رجلاً من عقِب أردشير بن بابك، يقال له كسرى. فانتهى هلاكُ يَزْدَجِرْد وتمليك كسرى إلى بهرام، فدعا بالمنذر وابنه النعمان وناسٍ من أشراف العرب، وعرّفهم إحسانَ والده إليهم، وشدّته على الفرس، وأخبرهم الخَبر. فقال المنذر: لا يهولنّك ذلك حتى أُلطف الحيلة فيه، وجهّز عشرة آلاف فارس، ووجّههم مع ابنه النعمان إلى طيسفون[1] وبَهُرَسِير مدينَتَيْ الملك، وأمره أن يعسكر قريباً منهما، ويرسل طلائعه إليهما، وأن يقاتل من قاتله، ويغير على البلاد، ففعل ذلك، وأرسل عظماء فارس حوابَى[2] صاحب رسائل يَزْدَجِرْد إلى المنذر، يُعْلِمه أمرَ النعمان، فلمّا ورد حوابَى قال له: الْقَ الملك بهرام. فدخل عليه، فراعه ما رأى منه، فأغفل السجود دَهشاً، فعرف بهرام ذلك، فكلّمه ووعده أحسن الوعد، وردّه إلى المنذر وقال له: أَجِبْه. فقال له: إنّ الملك بهرام أرسل النعمان إلى ناحيتكم، حيث ملّكه الله بعد أبيه. فلمّا سمع حوابَى مقالة المنذر، وتذكّر ما رأى من بهرام علم أنّ جميع من تشاور في صرف المُلْك عن بهرام محجوج، فقال للمنذر: سرْ إلى مدينة الملوك، فيجتمع[3] إليك الأشراف والعظماء، وتشاوروا في ذلك فلن يخالفوا[4] ما تشير به.

وسار المنذر بعد عَوْد حوابَى من عنده بيومٍ، في ثلاثين ألفاً من فرسان العرب، إلى مدينتي الملك بهرام، فجمع النّاسَ، وصَعِد بهرام على منبر من ذهب مكلّل بالجوهر، وتكلّم عظماء الفرس، فذكروا فظاظة يَزْدَجِرْد أبي بهرام، وسوء سيرته، وكثْرة قتْله وإخراب البلاد، وأنّهم لهذا السبب صرفوا المُلْك عن ولده.

فقال بهرام: لستُ أكذّبكم، وما زلتُ زارياً عليه ذلك، ولم أزل أسأل الله أن يملّكني لأصلح ما أفسد، ومع هذا فإذا أتَى على مُلكي سنة ولم أفِ بما أعِد، تبرّأتُ من المُلك طائعاً، وأنا راضٍ بأن تجعلوا التاج وزينة الملك بين أسدَين ضاريين، فمن تناولهما[5] كان المُلْكُ له. فأجابوه إلى ذلك، ووضعوا التاج والزينة بين أسدين، وحضر

---

(١) في الأصل «طيسور»، وفي الطبعة الأوربية «طيستور»، والتصحيح من معجم البلدان. وقد مرّ.

(٢) في النسخة (ب) «حواري»، وفي النسخة (ر): «حواي»، وفي تاريخ الطبري ٧٢/٢ «جواني».

(٣) في الطبعة الأوربية «وتجمع».

(٤) في الطبعة الأوربية «تخالفوا».

(٥) في الطبعة الأوربية «تناولها».

مَوْبَذان مُوْبَذ[1]، فقال بهرام لكسرى: دونك التاج والزينة. فقال كسرى: أنت أَوْلى، لأنّك تطلب المُلْك، بوراثة، وأنا فيه مغتصب. فحمل بهرام جُرْزاً[2]، وتوجّه نحو التاج، فبدر إليه أحد الأسدين، فوثب بهرام فعلا ظهره، وعصر جنبَي الأسد بفخِذيه، وجعل يضرب رأسه. بالجُرْز الذي معه، ثمّ وثب الأسد الآخر عليه، فقبض أُذُنيه بيده، ولم يزل يضرب رأسه برأس الأسد الآخر الذي تحته حتى دَمَغَهما، ثمّ قتلهما بالجُرْز الذي معه، وتناول بعد ذلك التاج والزينة. فكان أوّل مَن أطاعه كسرى، وقال جميع مَن حضر: قد أذعنّا لك ورضينا بك ملكاً، وإنّ العظماء والوزراء والأشراف سألوا المنذر ليكلّم بهرام في العفو عنهم. فسأل المنذر الملك بهرام ذلك فأجابه.

ومَلَك بهرام وهو ابن عشرين سنة، وأمر أن يلزم رعيّته راحة ودَعَة، وجلس للنّاس يعدهم بالخير ويأمرهم بتقوى الله، ولم يزل مدّة ملكه[3] يؤثر اللّهو على ما سواه، حتى طمع فيه مَنْ حوله من الملوك في بلاده.

وكان أوّل من سبق إلى قصده خاقان ملك التُرْك فإنّه غزاه في مائتي ألف وخمسين ألفاً من الترك، فعظُم ذلك على الفرس، ودخل العظماء على بهرام وحذّروه، فتمادى في لهوه، ثمّ تجهّز وسار إلى أَذْرَبَيْجان ليتنسّك في بيت نارها، ويتصيّد بأرمينية[4] في سبعة رَهْط من العظماء، وثلاثمائة من ذوي البأس والنجدة، واستخلف أخاه نَرْسي، فما شكّ النّاس في أنّه هرب من عدوّه، فاتّفق رأي جمهورهم على الانقياد[5] إلى خاقان، وبذْل الخراج له خوفاً على نفوسهم وبلادهم.

فبلغ ذلك خاقان، فأمِن ناحيتهم، وسار بهرام من أَذْرَبَيْجان إلى خاقان في تلك العدّة، فثبت للقتال، وقتل خاقان بيده، وقتل جنده، وانهزم من سلم من القتل، وأمعن بهرام في طلبهم يقتل ويأسر ويغنم ويسبي، وعاد وجنده سالمين، وظفر بتاج خاقان وإكليله، وغلب على طرف من بلاده، واستعمل عليها مَرْزُباناً[6]، وأتاه رُسُل التُرك خاضعين مطيعين، وجعلوا بينهم حدّاً لا يَعْدُونه، وأرسل إلى ما وراء النهر قائداً من قوّاده، فقتل وسبَى وغنم، وعاد بهرام إلى العراق، وولّى أخاه نَرْسي خراسان، وأمره أن ينزل مدينة بلْخ.

---

(١) المُوَبذ والمُوبَذان: فقيه الفرس وحاكم المجوس. (معجم الألفاظ الفارسية لأدّي شير ص ١٤٨).
(٢) الجُرْز: العمود من حديد.
(٣) في الطبعة (ر): «يزل مذ ملك».
(٤) في الطبعة الأوربية «بأمنيته»، والتصحيح عن الطبري ٢/٧٦.
(٥) في النسخة (ر): «فاتفق القواد على الانقياد». وفي تاريخ الطبري ٢/٧٦: «وتآمروا في إنفاذ وفد».
(٦) المُرْزبان: رئيس الفرس مركّب من مَرْز ومن بان أي حافظ الحدود. (معجم الألفاظ الفارسية ١٤٥).

واتّصل به أنّ بعض رؤساء الدّيلم جمع جمعاً كثيراً، وأغار على الريّ وأعمالها، فغنِم وسبَى وخرّب البلاد، وقد عجز أصحابه في الثغر عن دفعه، وقد قرّروا عليهم إتاوة يدفعونها إليه، فعظُمَ ذلك عليه، وسيّر مَرْزُباناً إلى الرّيّ في عسكر كثيف، وأمره أن يضع على الديلميّ من يُطمعه في البلاد ويُغريه بقصْدها، ففعل ذلك، فجمع الديلميّ جموعه وسار إلى الرّيّ، فأرسل المَرْزُبان إلى بهرام جور يُعلمه خبَرَه، فكتب إليه يأمره بالمسير نحو الديلميّ، والمقام بموضع سمّاه له، ثمّ سار جريدةً في نفر من خواصّه، فأدرك عسكره بذلك المكان، والديلميّ لا يعلم بوصوله، وهو قد قوي طمعه لذلك، فعبّى بهرام أصحابه، وسار نحو الديلم، فلقِيهم وباشر القتالَ بنفسه، فأخذ رئيسهم أسيراً، وانهزم عسكره، فأمر بهرام بالنداء فيهم بالأمان لمن عاد إليه، فعاد الديلم جميعهم، فآمنهم ولم يقتل منهم أحداً، وأحسن إليهم، وعادوا إلى أحسن طاعة، وأبقى على رئيسهم، وصار من خواصّه.

وقيل: كانت هذه الحادثة قبل حرب التُرك، والله أعلم.

ولما ظفر بالدّيلم أمر ببناء مدينة سمّاها فيروز بهرام، فبُنيت له هي ورستاقها[1]. واستوزر نَرْسي، فأعلمه أنّه ماضٍ إلى الهند متخفّياً، فسار إلى الهند وهو لا يعرفه أحد، غيرِ أنّ الهند يرون شجاعته وقتْله السباع. ثمّ إنّ فيلاً ظهر وقطع السبيل، وقتل خلقاً كثيراً، فاستدلّ عليه، فسمع الملكُ خبره، فأرسل معه مَن يأتيه بخبره. فانتهَى بهرام والهنديّ معه إلى الأجمة، فصعد الهنديّ شجرةً، ومضى بهرام فاستخرج الفيل، وخرج له صوت شديد، فلمّا قرُب منه رماه بسهم بين عينيه كاد يغيب، ووقذه بالنشّاب، وأخذِ مِشْفَرَه[2]، ولم يزل يطعنه حتى أمكن من نفسه، فاحتزّ رأسه وأخرجه.

وأعلم الهنديّ ملكهم بما رأى، فأكرمه وأحسن إليه وسأله عن حاله، فذكر أنّ ملك فارس سخط عليه، فهرب إلى جواره، وكان لهذا الملك عدوّ فقصده، فاستسلم الملك، وأراد أن يطيع ويبذل الخراج، فنهاه بهرام، وأشار بمحاربته، فلمّا التقوا قال لأساورة[3] الهنديّ[4]: احفظوا لي ظهري، ثمّ حمل عليهم، فجعل يضرب في أعراضهم، ويرميهم

(١) الرستاق أو الرزْداق: السواد والقرى. (معجم الألفاظ الفارسية ـ ص ٧١).

(٢) في النسخة (ر): «مستقره».

(٣) الأساورة: جمع سِوار أو إسوار. وهو في اصطلاح الفرس: القائد أو الرئيس، ربّما كانوا قوّاداً قبل ابتداء الدولة الساسانية فلُقّبوا بذلك أو ربّما استحدثهم أردشير بن بابك أول ملوك الدولة الساسانية ولقّبهم بهذا اللقب، إمّا لكونهم كانوا حُماة الحرب مخصوصين بقيادة الجيش، أو لأنهم كانوا في مجلس الطبقة الأولى من أصحاب الرُتَب يجلسون مع أبناء الملوك عن يمين الملك. (دائرة معارف البستاني ٤/٣٢١).

(٤) في تاريخ الطبري ٢/٧٩ «لأساورة الهند».

بـالنشّاب حتى انهـزموا، وغنِم أصحـاب بهرام مـا كان في عسكـر عدوّه، فـأعطى بهـرامَ الدَّيْبُل[1] ومُكْران، وأنكحه ابنته، فأمر بتلك البلاد فضُمّت إلى مملكة الفرس.

وعاد بهرام مسروراً، وأغزى نَـرْسي بلادَ الـروم في أربعين ألفاً، وأمـره أن يطالب[2] ملك الروم بالإتاوة، فسار إلى القسطنطينيّة، فهادنه ملك الروم، فانصرف بكلّ ما أراد إلى بهرام.

وقيـل: إنّه لمـا فرغ من خـاقان والـروم سار بنفسـه إلى بـلاد اليمن، ودخـل بـلاد السودان[3] فقتل مقاتلتهم، وسبَى لهم خلقاً كثيراً، وعاد إلى مملكته.

ثمّ إنّـه في آخر مُلكـه خـرج إلى الصيـد[4]، فشـدّ على عنـز[5]، فـأمعن في طلبـه، فارتطم في جُبّ فغرِق، فبلغ والدته ذلك، فسارت إلى ذلك المـوضع وأمـرت بإخـراجه، فنقلوا من الجُبّ طيناً كثيراً حتى صار إكاماً عظاماً، ولم يقدروا عليه.

وكان مُلْكه ثماني عشرة سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً[6].

وقيل: ثلاثاً وعشرين سنة[7].

هكذا ذكر أبو جعفر[8] في اسم بهـرام جور أنّ أبـاه أسلمه إلى المنـذر بن النعمان، كما تقدّم، وذكر عند يَزْدَجِرْد الأثيم أنّـه سلّم ابنه بهـرام إلى النعمان بن امـريء القيس، ولا شـكّ أنّ بعض العلماء قـال هذا وبعضهم قـال ذلك، إلاّ أنّـه لم ينسب كلّ قـول إلى قائله.

---

(١) الدَّيْبُل: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وباء مـوحّدة مضمـومة، ولام، مـدينة مشهـورة على ساحـل بحر الهنـد. (معجم البلدان ٢/٤٩٥).

(٢) في الطبعة الأوربية «يطلب».

(٣) في النسختين (ب) و(ت): «السواد».

(٤) في النُسخ (ب) و(ت) و(ر): «إلى ماء للصيد».

(٥) في النسخة (ر): «عير».

(٦) وقيل ١٩ سنة في أكثر المصادر، وقيل (تسع عشرة سنة وأحد عشر شهراً): تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٢٩.

(٧) زاد في النسخة (ر): «وعشرة أشهر وعشرين يوماً».

(٨) في تاريخه ٢/٦٨، ٦٩.

ذِكْر ملْك ابنه يَزْدَجِرْد بن بهرام جور[1]

لما لبس التّاج جلس للنّاس ووعدهم وذكر أباه ومناقبه، وأعلمهم أنّهم إنْ فقدوا منه طول جلوسه لهم فإنّ خلوته في مصالحهم وكيد أعدائهم، وأنه قد استوزر نَـرْسي صاحب أبيه. وعدل في رعيّته وقمع أعداءه، وأحسن إلى جُنْده.

وكان له ابنان يقال، لأحدهما هرمز، وللآخر فيروز، وكان لهـرمز سجستـان، فغلب على المُلْك بعد هلاك أبيه يَزْدَجِرْد، فهرب فيروز ولحِق ببلاد الهياطلة، واستنجد ملكَهم، فأمدّه بعد أن دفع إليه الطالقان، فأقبل بهم فقتل أخاه بالرّيّ، وكانا من أمٍّ واحدة، وقيـل لم يقتله، وإنّما أسره، وأخذ المُلْك منه.

وكان الروم منعوا الخراجَ عن يَزْدَجِرْد، فوجّه إليهم نَرْسي في العدّة التي أنفـذه أبوه فيها، فبلغ إرادته.

وكان مُلك يزدجرد ثماني عشرة سنة وأربعة أشهر[2].

وقيل: تسع[3] عشرة سنة.

ذِكْر ملْك فيروز بن يَزْدَجِرْد بن بهرام بعد أن قتل أخاه هُرْمُز وثلاثة من أهل بيته[4]

ولما ظفر فيروز بأخيه ومَلَك أظهر العدل وأحسن السيرة، وكـان يتديّن، إلاّ أنّـه كان محدوداً مشؤوماً على رعيّته، وقحطت البلادُ في زمانه سبع سنين متـوالية، وغـارت الأنهار والقُنِيّ، وقلّ ماء دجلة، ومَحَلَت[5] الأشجار، وهاجت عامّةُ الزروع في السهل والجبل من بلاده، وماتت الـطيورُ والـوحوشُ، وعمّ أهـلَ البلاد الجـوعُ والجهدُ الشـديد، فكتب إلى

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١٦٣/١، الأخبار الطوال ٥٨، المعارف ٦٦١، البـدء والتاريخ ١٦٥/٣، تاريـخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و٢٣ و ٢٩، مروج الذهب ٢٦٢/١، التنبيه والإشراف ٨٨، تاريخ الطبري ٨١/٢، نهاية الأرب ١٨٣/١٥، تاريخ ابن خلدون ١٧٥/٢.

(٢) زاد المسعـودي في التنبية والإشـراف ٨٨ (سبعة أيـام)، وفي مروج الـذهب ٢٦٢/١ (وثمانيـة عشر يـوماً)، وكذلك في تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ والبدء والتاريخ.

(٣) في النسخ (ب) و(ت) و(ر)، وفي تاريخ الطبـري ٨٢/٢ «سبع»، والمثبت من الأصـل والطبعتين الأوروبيـة وصادر ٤٠٧/١ ومصادر ترجمته.

(٤) مـروج الذهب ٢٦٣/١، التنبيـه والإشـراف ٨٨، المعـارف ٦٦١، الأخبـار الـطوال ٥٩، تـاريـخ اليعقـوبي ١٦٣/١، تاريخ الطبري ٨٢/٢، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و٢٣ و ٢٩، نهاية الأرب ١٨٤/١٥، تـاريخ ابن خلدون ١٧٥/٢.

(٥) في تاريخ الطبري ٨٢/٢ «قَحَلت».

جميع رعيّته [يعلمهم] أنّه لا خراج عليهم ولا جزية ولا مؤونة، وتقدّم إليهم بأنّ كلّ مَنْ عنده طعام مذخور يواسي به النّاسَ، وأن يكون حال الغنيّ والفقير واحداً، وأخبرهم أنّه إنْ بلغه أنّ إنساناً مات جوعاً بمدينة أو قرية عاقبهم ونكّل بهم، وساسَ النّاسَ سياسةً لم يعطب أحد جوعاً، ما خلا رجلاً واحداً من رستاق أردشير خُرّة، وابتهل فيروز إلى الله بالدّعاء، فأزال ذلك القحط، وعادت بلادُه إلى ما كانت عليه.

فلمّا حيي النّاسُ والبلادُ وأثخن في أعدائه، سار مُريداً حربَ الهياطلة، فلمّا سمع إخشنوار[1] ملكهم خافه، فقال له بعض أصحابه: اقطعْ يدي ورِجلي وألقِني على الطريق، وأحسِن إلى عيالي لأحتال على فيروز. ففعل ذلك، واجتاز به فيروز، فسأله عن حاله، فقال له: إنّي قلتُ لإخشنوار لا طاقة لك بفيروز، ففعل بي هذا، وإنّي أدلّك على طريق لم يسلكها ملك، وهي أقرب. فاغترّ فيروز بذلك وتبِعه، فسار به وبجنده، حتى قطع بهم مفازة بعد مفازة، حتى إذا علم أنّهم لا يقدرون على الخلاص أعلمهم حاله. فقال أصحاب فيروز لفيروز: حذّرناك فلم تحذر، فليس إلاّ التقدّم على كلّ حال، فتقدّموا أمامهم، فوصلوا إلى عدوّهم وهم هلكى عطشى، وقتل العطشُ منهم كثيراً. فلمّا أشرفوا على تلك الحال صالحوا إخشنوار، على أن يخلّي سبيلهم إلى بلادهم، على أن يحلف له فيروز أنّه لا يغزو بلاده، فاصطلحا، وكتب فيروز كتاباً بالصلح وعاد.

فلمّا استقرّ في مملكته حملته الأَنَفَةُ على معاودة إخشنوار، فنهاه وزراؤه عن نقض العهد، فلم يقبل وسار نحوه، فلمّا تقاربا أمر إخشنوار فحفر خلف عسكره خندقاً، عرضه عشرة أذرُع، وعمقه عشرون ذراعاً، وغطّاه بخشب ضعيف وتراب، ثمّ عاد وراءه، فلمّا سمع فيروز بذلك اعتقده هزيمه، فتبعه، ولا يعلم عسكر فيروز بالخندق، فسقط هو وأصحابه فيه فهلكوا، وعاد إخشنوار إلى عسكر فيروز، وأخذ كلّ ما فيه، وأسر نساءه ومَوْبذان مَوْبَذ، ثمّ استخرج جثّة فيروز [وجثّة كلّ] من سقط معه، فجعلها في النواويس.

وقيل: إنّ فيروز لما انتهى إلى الخندق الذي حفره إخشنوار، ولم يكن مغطًّى، عقد عليه قناطر، وجعل عليها أعلاماً له ولأصحابه، يقصدونها في عَوْدهم، وجاز إلى القوم. فلمّا التقى العسكران احتجّ عليه إخشنوار بالعهود التي بينهما، وحذّره عاقبةَ الغدر، فلم يرجع، فنهاه أصحابه فلم ينتهِ، فضعفت نيّاتهم في القتال. فلمّا أبَى إلاّ القتال رفع إخشنوار نسخة العهد على رمح، وقال: اللهمّ خذْ بما في هذا الكتاب وقلِّدْه بغيه.

---

(١) في النسخة (ب): «احثوار»، وفي النسخة (ت): «اخشوار»، والمثبت يتفق مع الطبري ٢/٨٤، ونهاية الأرب ١٥/١٨٤، وفي البدء والتاريخ ٣/١٦٦ «اشنوار». وفي الأخبار الطوال ٦٠ «أَخْشُوَان»، وفي مروج الذهب ١/٢٦٣ «اخشنواز».

فقاتله، فانهزم فيروز وعسكره، فضلّوا عن مواضع القناطر، فسقطوا في الخندق، فهلك فيروز وأكثرُ عسكره، وغنم إخشنوار أموالهم ودوابّهم، وجميع ما معهم، وغلب إخشنوار على عامّة خُراسان. فسار إليهم رجل من أهل فارس، يقال له سوخرا[1]، وكان فيهم عظيماً، وخرج كالمحتسب[2].

وقيل: بل كان فيروز استخلفه على مُلْكه لما سار، وكان له سجستان، فلقي صاحب الهياطلة، من خُراسان، واستعاد منه كلَّ ما أخذ من عسكر فيروز، ممّا هو في عسكره من السبْي وغيره، وعاد إلى بلاده، فعظّمته الفرس إلى غاية لم يكن فوقه إلّا الملك، وكانت مملكة الهياطلة طخارستان، فكان فيروز قد أعطى ملكهم لما ساعده على حرب أخيه الطالقان.

وكان مُلْك فيروز ستّاً وعشرين سنة.

وقيل: إحدى وعشرين سنة[3].

---

(١) في النسخة (ب): «سوخد»، وفي الأخبار الطوال ٦٠ «شوخر»، وفي نسخة من المعارف ٦٦٢ «شوخرا»، والمثبت يتفق مع الطبري ٢/ ٨٥ ومتن المعارف ٦٦٢.

(٢) في النسخة (ب): «كالمختبر».

(٣) الطبري ٢/ ٨٨، وفي تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٢٩ (سبع عشرة سنة) وفي موضع منه ٢٣ (تسعاً وعشرين سنة ويوماً واحداً) وفي موضع آخر منه ـ ص١٩ (سبعاً وعشرين سنة ويوماً). وفي التنبيه والإشراف ٨٨ (سبعاً وعشرين سنة) وكذلك في مروج الذهب ١/ ٢٦٣، وتاريخ اليعقوبي ١/ ١٦٣، والمعارف ٦٦٢، وفي البدء والتاريخ ٣/ ١٦٧ (تسعاً وعشرين سنة).

ذكر الأحداث في العرب أيام يزدجرد وفيروز[1]

كان يخدم ملوك حِمْير أبناء الأشراف من حِمْير وغيرهم، وكان ممّن يخدم حسّانَ بن تُبّع: عَمْرو بن حُجْر الكنديّ سيّد كِنْدة، فلمّا قتل عمرو بن تبّع أخاه حسّان بن تُبّع اصطنع عمرو بن حُجْر، وزوّجه ابنة أخيه حسّان، ولم يطمع في التزوّج إلى ذلك البيت أحد من العرب، فولدت الحارث بن عمرو.

وملك بعد عمرو بن تُبّع: عبدُ كُلال بن مُثَوِّب[2]، وإنّما ملّكوه لأنّ أولاد عمرو كانوا صغاراً، وكان الجنّ قبل ذلك قد استهامت تُبّع بن حسّان، وكان عبد كُلال على دين النصرانيّة الأولى ويكتم ذلك، ورجع تُبّع بن حسّان من استهامته، وهو أعلم النّاس بما كان قبله، فَمَلَك اليمن، وهابته حِمْير، فبعث ابن أخته الحارث بن عمرو بن حُجْر في جيش إلى الحيرة، فسار إلى النعمان بن امرىء القيس، وهو ابن الشقيقة، فقاتله، فقتل النعمان وعدّةً من أهل بيته، وأفلت المنذر بن النعمان الأكبر وأمّه ماء السماء، امرأة من النَّمِر بن قاسط، فذهب مُلك آل النعمان. ومَلَكَ الحارثُ بن عمرو الكنديّ ما كانوا يملكون؛ قاله بعضهم.

وقال ابن الكلبيّ: ملك بعد النعمان: المنذر بن النعمان بن المنذر بن النعمان[3] أربعاً وأربعين سنة[4].

من ذلك في زمن بهرام جور ثماني سنين[5].

وفي زمن يَزْدَجِرْد بن بهرام ثماني عشرة سنة[6].

---

(١) الأخبار الطوال ٤٦ و٥٢، تاريخ اليعقوبي ١/٢١٦، تاريخ الطبري ٢/٨٩، المعارف ٦٣٢، البدء والتاريخ ٣/١٧٩.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٨٩، البدء والتاريخ ٣/١٧٩ المعارف ٦٣٤.

(٣) في النسخة (ر): «النعمان بن المنذر بن النعمان المنذر بن النعمان».

(٤) الطبري ٢/٩٠، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨٩.

(٥) في تاريخ الطبري، وتاريخ سنيّ ملوك الأرض (ثماني سنين وتسعة أشهر).

(٦) الطبري ٢/٩٠ وفي تاريخ سنيّ الملوك (ثمان عشرة سنة وثلاثة أشهر).

وفي زمن فيروز بن يَزْدَجِرْد سبع عشرة سنة[1].
ثمّ مَلَك بعده الأسود بن المنذر عشرين سنة[2].
منها في زمن فيروز بن يزدجرد عشر سنين.
وفي زمن بلاش بن فيروز أربع سنين.
وفي زمن قُباذ بن فيروز ستّ سنين[3].

وهكذا ذكر أبو جعفر[4] هاهنا أنّ الحارث بن عمرو قتل النعمان بن امرىء القيس، وأخذ بلاده، وانقرض مُلك أهل بيته، وذكر فيما تقدّم أنّ المنذر بن النعمان أو النعمان، على الاختلاف المذكور، هو الذي جمع العساكر، وملّك بهرام جور على الفرس، ثمّ ساق فيما بعد ملوك الحيرة من أولاد النعمان هذا إلى آخرهم، ولم يقطع مُلكهم بالحارث بن عمرو، وسبب هذا أنّ أخبار العرب لم تكن مضبوطة على الحقيقة، فقال كلّ واحد ما نُقل إليه من غير تحقيق.

وقيل غير ذلك، وسنذكره في مقتل حُجر بن عمرو والد امرىء القيس، في أيّام العرب، إن شاء الله.

والصحيح أنّ ملوك كِنْدَة: عمرو، والحارث، كانوا بنجد على العرب، وأمّا اللخميّون ملوك الحيرة المَنَاذِرَة، فلم يزالوا عليها، إلى أن ملك قُباذ الفرسَ وأزالهم، واستعمل الحارث بن عمرو الكنديّ على الحيرة. ثمّ أعاد أنوشِروان الحيرة إلى اللخميّين، على ما نذكره، إن شاء الله تعالى.

ذِكْر مُلْك بلاش بن فيروز بن يَزْدَجِرْد[5]

ثمّ ملك بعد فيروز ابنُه بلاش، وجرى بينه وبين أخيه قُباذ منازعة استظهر فيها[6] قُباذ وَمَلَك، فلمّا مَلَك بلاش أكرم سوخرا وأحسن إليه، لما كان منه، ولم يزل حَسَن السيرة حريصاً على العمارة، وكان لا يبلغه أنّ بيتاً خرِب وجلا أهله، إلّا عاقب صاحبَ تلك

---

(١) الطبري، الأصفهاني.
(٢) الطبري، الأصبهاني.
(٣) الطبري ٢/٩٠، الأصبهاني ٨٩، ٩٠.
(٤) الطبري في تاريخه ٢/٨٩.
(٥) تاريخ الطبري ٢/٩٠، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و٢٣ و٢٩، التنبيه والإشراف ٨٨، مروج الذهب ١/٢٦٣، البدء والتاريخ ٣/١٦٧، تاريخ اليعقوبي ١/١٦٣، الأخبار الطوال ٦١، المعارف ٦٦٢، نهاية الأرب ١٥/١٨٦، تاريخ ابن خلدون ٢/١٧٥.
(٦) في النسخة (ب): «عليه».

القرية على تَرْكه سدّ فاقتهم، حتّى لايضطرّوا إلى مفارقة أوطانهم، وبنى مدينة ساباط بقرب المدائن.

وكان مُلكه أربع سنين[1].

ذِكْر ملك قُباذ بن فيروز بن يزدجرد[2]

وكان قُباذ قبل أن يصير المُلك إليه، قد سار إلى خاقان مستنصراً به على أخيه بلاش، فمرّ في طريقه بحدود نَيْسَابور[3] ومعه جماعة من أصحابه متنكّرين، وفيهم زَرْمِهْر ابن سوخرا، فتاقت نفسه إلى النكاح، فشكا ذلك إلى زَرْمِهْر، وطلب منه امرأة، فسار إلى امرأة صاحب المنزل، وكان من الأساورة، وكان لها بنت حسناء، فخطبها منها وأطمعها وزوْجَها، فزوّجا [قُباذ بها]، فدخل بها من ليلته، فحملت بأنوشِروان، وأمر لها بجائزةٍ سنيّة وردّها، وسألتها أمّها عن قُباذ وحاله[4]. فذكرت أنّها لا تعرف من حاله شيئاً، غير أنّ سراويله منسوجة بالذهب، فعلمت أنّه من أبناء الملوك.

ومضى قُباذ إلى خاقان، واستنصره على أخيه، فأقام عنده أربع سنين وهو يَعده، ثمّ أرسل معه جيشاً. فلمّا صار بالقرب من الناحية التي بها زوجته، سأل[5] عنها، فأُحضرت ومعها أنو شروان، وأعلمته أنّه ابنه. وورد الخبرُ إليه بذلك المكان أنّ أخاه بلاش قد هلك، فتيمّن بالمولود، وحمله وأمَّه على مراكب نساء الملوك، واستوثق له المُلْك، وخصّ سوخرا وشكر لولده خدمته. وتولّى سوخرا الأمر، فمال النّاسُ إليه وتهاونوا بقُباذ، فلم يحتمل ذلك. فكتب إلى سابور الرازي[6]، وهو أصبِهْبذ ديار الجبل، ويقال للبيت الذي هو منه مِهران، فاستقدمه ومعه جنده فتقدّم[7] إليه فأعلمه عزمه على قتْل سوخرا، وأمره بكتمان ذلك، فأتاه يوماً سابور وسوخرا عند قُباذ، فألقى في عنقه وَهَقاً[8]، وأخذه وحبسه، ثمّ خنقه قُباذ وأرسله إلى أهله، وقدّم عِوَضه سابور الرازي[9].

---

(١) تتفق جميع المصادر على هذا التاريخ.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٩٠، تاريخ اليعقوبي ١/١٦٣، ١٦٤، الأخبار الطوال ٦٤، التنبيه والإشراف ٨٨، مروج الذهب ١/٢٦٣، البدء والتاريخ ٣/١٦٧، المعارف ٦٦٢، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و ٢٣ و ٢٩، نهاية الأرب ١٥/١٨٧، تاريخ ابن خلدون ٢/١٧٥.

(٣) في النسخة (ر): «سابور».

(٤) في الطبعة الأوربية «وحالها».

(٥) في الطبعة الأوربية «فسأل».

(٦) في النسخة (ر): «الداري»، والمثبت يتفق مع الطبري ٢/٩٢.

(٧) في النسخة (ر): «فقدم».

(٨) الوَهَق: حبْل في طرفه أُنشوطة يُطرح في عنق الدابّة حتى تؤخذ.

(٩) في النسخة (ر): «الداري».

وفي أيّامه ظهر مزدَك[1] وابتدع، ووافق زرادشت في بعض ما جاء به، وزاد ونقص، وزعم أنّه يدعو إلى شريعة إبراهيم الخليل، حسب ما دعا إليه زرادشت، واستحلّ المحارمَ والمنكَرات، وسوّى بين النّاس في الأموال والأملاك والنساء والعبيد والإماء، حتّى لا يكون لأحدٍ على أحد فضل في شيء البتّة، فكثر أتباعُه من السِّفلة والأغتام[2]، فصاروا عشرات ألوف، فكان مزدك يأخذ امرأة هذا فيسلّمها إلى الآخر، وكذا في الأموال والعبيد والإماء، وغيرها من الضياع والعقار، فاستولى وعظُم شأنُه، وتبِعه الملك قُباذ. فقال يوماً لقُباذ: اليوم نوبتي من امرأتك أمّ أنوشِروان. فأجابه إلى ذلك، فقام أنوشروان إليه ونزع خفّيْه بيده وقبّل رِجْليه، وشفع إليه حتّى لا يتعرّض لأمّه، وله حُكمه في سائر مُلكه، فتركها.

وحرّم ذباحة الحيوان وقال: يكفي في طعام الإنسان ما تُنْبته الأرض، وما يتولّد من الحيوان كالبيض واللبن والسمْن والجبْن، فعظُمَت البليّة به على النّاس، فصار الرجل لا يعرف ولده، والولد لا يعرف أباه.

فلمّا مضى عشر سنين من ملك قُباذ اجتمع مَوْبَذان مَوْبَذ والعظماء، وخلعوه، وملّكوا عليهم أخاه جامسب[3] وقالوا له: إنّك قد أثِمْتَ باتّباعك مزدك، وبما عمل أصحابه بالنّاس، وليس يُنْجيك إلّا إباحة نفسك ونسائك، وأرادوه على أن يسلّم نفسه إليهم، ليذبحوه ويقرّبوه إلى النّار، فامتنع من ذلك، فحبسوه وتركوه لا يصل إليه أحد. فخرج زَرْمِهْر بن سوخرا، فقتل من المزدكيّة خلقاً، وأعاد قُباذ إلى مُلكه، وأزال أخاه جامسب. ثمّ إنّ قباذ قتل بعد ذلك زَرْمِهْرْ.

وقيل: لما حُبس قُباذ وتولّى أخوه، دخلت أختٌ لقباذ عليه كأنّها تزوره، ثمّ لفّته في بساط، وحمله غلام، فلمّا خرج من السجن سأله السجّان عمّا معه، فقالت: هو مرحل كنتُ أحيض فيه، فلم يمسّ البساط، فمضى الغلام بقُباذ، وهرب قُباذ فلحِق بملك الهياطلة يستجيشه. فلمّا صار بإيران شهر، وهي نَيْسَابور، نزل برجل من أهلها، له ابنة بِكْر حَسَنة جميلة فنكحها، وهي أمّ كسرى أنوشروان، فكان نكاحه إيّاها في هذه السفرة لا في تلك، في قول بعضهم، وعاد ومعه أنوشروان، فغلب أخاه جامسب على المُلك؛ وكان مُلك جامسب ستّ سنين.

---

(١) مزدَك ويقال: مزدق. وتفسيره: حديد الملك. وإليه تضاف المزدقية. ويقال لهم: العدلية. وكان يقول إنّ الله تعالى إنّما جعل الأرزاق في الأرض مبسوطة ليقسّمها عباده بينهم بالسَّوِيّة.

(٢) الأغتام: واحدها أغتم وغَتَمي: من لا يفصح في كلامه.

(٣) في تاريخ الطبري ٢/٩٤ «جاماسب»، وفي نهاية الأرب ١٥/١٨٨ «جاماسف».

وغزا قُباذ بعد ذلك الروم، ففتح مدينة آمد، وبنى مدينة أَرّجان، ومدينة حُلوان، ومات، فملك ابنُه كسرى أنوشروان بعده، فكان مُلك قُباذ مع سنيّ أخيه جامسب ثلاثاً وأربعين سنة[1]، فتولّى أنوشروان ما كان أبوه أمر له به.

وفي أيّامه خرجت الخَزَر فأغارت على بلاده، فبلغت الدِّينَوَر، فوجّه قُباذ قائداً من عظماء قوّاده، في اثني عشر ألفاً، فوطيء بلاد أرّان، وفتح ما بين النهر المعروف بالرّس[2] إلى شروان، ثمّ إنّ قُباذ لحِق به، فبنى بأرّان مدينة البَيْلَقان[3]، ومدينة بَرْذَعَة[4]، وهي مدينة الثغر كلّه، وغيرهما، وبقي الخَزَر، ثمّ بنى سدّاً للان، فيما بين أرض شروان وباب اللان، وبنى على السدّ مدناً كثيرة، خرِبت بعد بناء الباب والأبواب.

---

(١) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و ٢٤ وفي موضع منه (ص ٢٩) (إحدى وأربعين سنة).

(٢) في الأصل والنسخة (ر): «بارس».

(٣) البَيْلقان: بالفتح ثم السكون وفتح القاف. مدينة قرب الدربند الذي يقال له باب الأبواب، تعدّ في أرمينية الكبرى قريبة من شروان. (معجم البلدان ١/٥٣٣).

(٤) بَرْذَعَة: بلد في أقصى أذربيجان. وهي معرّب بَرْدَه دار، ومعناه بالفارسية موضع السبي. (معجم البلدان ١/٣٧٩).

ذكر حوادث العرب أيام قُباذ[1]

لما مَلَك الحارث بن عمرو بن حُجر الكنديّ العرب، وقتل النُّعمان بن المنذر بن امرىء القيس، كما ذكرناه، بعث إليه قُباذ: إنّه قد كان بيننا وبين الملك الذي كان قبلك عهد، وأحبّ لقاءك. وكان قُباذ زنديقاً يُظهر الخيرَ، ويكره الدماء، ويُداري أعداءه. فخرج إليه الحارثُ والتقيا، واصطلحا على أن لا يجوز الفرات أحدٌ من العرب، فطمع الحارث الكِنْديّ، فأمر أصحابه أن يقطعوا الفرات، ويغيروا على السواد، فسمع قُباذ، فعلم أنّه من تحت يد الحارث، فاستدعاه، فحضر، فقال له: إنّ لصوصاً من العرب صنعت كذا وكذا. فقال: ما علمتُ ولا أستطيعُ ضبط العرب إلّا بالمال والجنود. وطلب منه شيئاً من السواد، فأعطاه ستّة[2] طساسيج[3].

وأرسل الحارث بن عمرو إلى تُبّع، وهو باليمن، يُطمعه في بلاد العجم، فسار تَبّع حتى نزل الحيرة، وأرسل ابن أخيه شَمِراً ذا الجناح إلى قُباذ، فحاربه، فهزمه شَمِرٌ حتى لحِق بالريّ، ثمّ أدركه بها فقتله، ثمّ وجّه تُبّع شَمِراً إلى خُراسان، ووجّه ابنه حسّان إلى السُّغْد، وقال: أيّكما سبق إلى الصين فهو عليها، وكان كلّ واحد منهما في جيش عظيم.

يقال: كانا في ستّمائة ألف وأربعين ألفاً.

وأرسلَ ابنَ أخيه يَعْفُر إلى الروم، فنزل على القسطنطينيّة، فأعطَوه الطاعة والإتاوة، ومضى إلى رومية فحاصرها، فأصاب مَن معه طاعون، فوثبَ الرومُ عليهم فقتلوهم، ولم يفلت منهم أحد.

وسا شَمِر ذو الجناح إلى سمرقَنْد فحاصرها، فلم يظفر بها، وسمع أنّ ملكها أحمق، وأنّ له ابنةً، وهي التي تقضي الأمورَ، فأرسل إليها هديّةً عظيمةً، وقال لها: إنّني إنّما قدِمْتُ لأتزوّج بك، ومعي أربعة آلاف تابوت مملوءة ذهباً وفضّة، أنا أدفعها إليكِ

(١) تاريخ اليعقوبي ٢١٦/١، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩١، المعارف ٦٤٢، تاريخ الطبري ٩٥/٢.

(٢) في النسخة (ر): «فأعطاه منه ستة».

(٣) الطساسيج، جمع طسّوج: الناحية.

وأمضي إلى الصّين، فإنْ ملكتُ كنتِ امرأتي، وإنْ هلكتُ كان المالُ لكِ.

فلمّا بَلَغَتْها الرسالةُ قالت: قد أجبْته فلْيبعث المال؛ فأرسل أربعة آلاف تابوت، في كلّ تابوت رجلان. ولسمرقند[1] أربعة أبواب، ولكلّ باب ألفا رجل، وجعل العلامة بينهم أن يضرب بالجرس، فلمّا دخلوا البلدَ صاح شَمِر في النّاس وضرب بالجرس، فخرجوا وملكوا الأبواب، ودخل المدينة، فقتل أهلها، وحوى ما فيها، وسار إلى الصين، فهزم التُرك، ودخل بلادهم، ولقي حسّان بن تُبّع قد سبقه إليها بثلاث سنين، فأقاما بها حتى ماتا؛ وكان مقامهما فيما قيل إحدى وعشرين سنة.

وقيل: عادا في طريقهما، حتّى قدِما على تُبّع بالغنائم والسبي والجواهر، ثمّ انصرفوا [جميعاً] إلى بلادهم، ومات تُبّع باليمن، فلم يخرج أحد من اليمن غازياً بعده.

وكان مُلْكه مائة وإحدى وعشرين سنة[2].

وقيل تهوّد.

قال ابن إسحاق: كان تُبّع الآخر وهو تُبّان أسعد أبو كرب[3] حين أقبل من المشرق، بعد أن مَلَك البلاد، جعل طريقه على المدينة، وكان حين مرّ بها في بدايته لم يهج أهلها، وخلّف عندهم ابناً له، فقُتل غِيلةً، فقدِمَها عازماً على تخريبها واستئصال أهلها، فجمع له الأنصار حين سمعوا ذلك، ورئيسهم عمرو بن الطلّة[4] أحد بني عمرو بن مبذول من بني النّجّار، وخرجوا لقتاله، وكانوا يقاتلونه نهاراً، ويقرونه[5] ليلاً. فبينما هو على ذلك إذ جاءه حَبْران من بني قُرَيظة عالمان، فقالا له: قد سمعنا ما تريد أن تفعل، وإنّك إن أبيت إلاّ ذلك حِيل بينك وبينه، ولم نأمن عليك عاجلَ العقوبة. فقال: ولِمَ ذلك؟ فقالا: إنّها مَهاجر نبيّ من قريش تكون داره. فانتهَى عمّا كان يريد، وأعجبه ما سمع منهما، فاتّبعهما على دينهما، واسمهما كعب وأسد، وكان تُبّع وقومه أصحاب أوثان.

وسار من المدينة إلى مكّة، وهي طريقه، فكسا الكعبة الوصائل والملاء، وكان أوّل

---

(١) أنظر عنها: البلدان للهمذاني ٢٦٣، ومعجم البلدان ٣/٢٤٦، ٢٤٧، والمسالك والممالك للأصطخري ١٧٧، والأخبار الطوال ٤٦، وتاريخ سنيّ الملوك ١٠٨.

(٢) الطبري ٢/٩٥ ـ ٩٨.

(٣) أنظر عنه في: الأخبار الطوال ٤٦، وتاريخ اليعقوبي ١/١٩٧، وتاريخ الطبري ٢/٩٨، والمعارف ٦٣١، وتاريخ سنيّ ملوك الأرض ١١٠، ومروج الذهب ٢/٧٦، ٧٧، تاريخ الطبري ٢/١٠٥.

(٤) في الأصل «الظلما»، وفي النسختين (ب) و(ر): «الظلة».

(٥) يقرونه: يتتبّعونه. وفي الطبعة الأوربية «يغزونه».

مَن كساها[1]، وجعل لها باباً ومفتاحاً، وخرج متوجّهاً إلى اليمن، فدعا قومه إلى اليهوديّة، فأبوا عليه حتى حاكموه إلى النّار، وكانت لهم نار تحكم بينهم، فيما يزعمون، تأكل الظالم ولا تضرّ المظلوم. فقال لقومه: أنصفتم. فخرج قومه بأوثانهم، وخرج الحَبْران بمصاحفهما في أعناقهما، حتى قعدوا عند مخرج النّار، فخرجتِ النّارُ فغشِيَتهم، وأكلت الأوثانَ وما قرّبوا معها، ومن حمل ذلك من رجال حِمْيَر، وخرج الحَبْران تعرق جباههما لم تضرّهما، فأصفقت[2] حِمْيَر على دينه[3].

وكان قدِم على تُبّع قبل ذلك شافع بن كليب الصَّدَفيّ، وكان كاهناً، فقال له تُبّع: هل تجد لقوم[4] مُلكاً يوازي ملكي؟ قال: لا، إلّا لملك غسّان. قال: فهل تجد ملكاً يزيد عليه؟ قال: أجده لَبَارّ مبرور، أُيِّد بالقَهور، ووُصِف في الزَّبور، وفُضّلت أمّته في السُّفور، يفرِّج الظُّلَم بالنور، أحمد النبيّ، طوبَى لأمّته حين يجيّ، أحد بني لؤيّ، ثم أحد بني قُصيّ! فنظر تُبّع في الزّبور، فإذا هو يجد صفة النبيّ، ﷺ.

ثمّ ملك بعد تُبّع هذا، وهو تُبّان أسعد أبو كرب بن ملكيكرب، ربيعةُ بن نصر اللخْميّ، فلمّا هلك ربيعةُ رجع المُلك باليمن إلى حسّان بن تُبّان أسعد.

فلمّا مَلَك ربيعةُ رأى رؤيا هالتْه، فلم يدعْ كاهناً ولا ساحراً ولا عائفاً[5] إلّا أحضره، وقال لهم: رأيتُ رؤيا هالتني فأخبروني بتأويلها. فقالوا: اقصصْها علينا. فقال: إنْ أخبرتكم بها لم أطمئنّ إلى خبركم بتأويلها[6]، فلمّا قال ذلك قال له رجلٌ منهم: إنْ كان الملك يريد ذلك، فليبعثْ إلى سَطِيح[7] وشِقّ[8]، فهما يخبرانك عمّا سألتَ. واسم سطيح ربيع بن ربيعة[9]، وكان يقال له الذئبيّ، نسبةً إلى ذئب بن عديّ، وشِقّ بن مُصْعَب بن يشكر بن أنمار.

---

(١) أنظر: أخبار مكة للأزرقي ١/١٠٣ و١٣٢، ١٣٣ و٢٤٩، ٢٥٠ و٢٧٧، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لقاضي مكة (بتحقيقنا) ـ ج ١/١٧٠ و١٩٤، ١٩٥ و٣٠٢ ـ ٣٠٥ و٥٧٨ و٥٩٣.

(٢) في النسخة (ب): «فأطبقت». والمثبت يتفق مع الطبري ٢/١٠٩.

(٣) الطبري ٢/١٠٥ ـ ١٠٩.

(٤) في الطبعة الأوربية «لقومك».

(٥) في الطبعة الأوربية «عارفاً».

(٦) في الطبعة الأوربية «بتأويلهم».

(٧) سطيح: هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن. وكان جسماً مُلْقًى لا جوارح له، ولا يقدر على الجلوس إلا إذا غضب انتفخ فجلس. (سيرة ابن هشام، والروض الأنف ١/٢٧).

(٨) هو شقّ بن صعب بن يشكر بن رُهم بن أفرك. وهو شقّ إنسان، إنّما له يد واحدة، ورِجل واحدة، وعين واحدة. (سيرة ابن هشام، والروض الأنف ١/٢٧).

(٩) في النسخة (ر) زيادة بعد ربيعة: «ابن مسعود بن مازن بن ذئب بن عديّ بن غسّان».

فبعث إليهما، فقدِم عليه سَطِيح قبل شِقّ، فلمّا قدِم عليه سَطِيح سأله عن رؤياه وتأويلها. فقال: رأيتَ حُمَمَة[1]، خرجت من ظُلمة، فوقعت بأرض تَهمة[2]، فأكلت منها كلّ ذات جمجمة؟.

قال له الملك: ما أخطأتَ منها شيئاً، فما عندك في تأويلها؟.

فقال أحلِف بما بين الحَرَّتين من حَنَش[3]، ليهبطنّ أرضَكم الحبش[4]، فليملكنّ ما بين أبيَنَ إلى جُرَش.

قال الملك: وأبيك يا سَطِيح إنّ هذا لغائظ موجِع، فمتى يكون، أفي زماني أم بعده؟.

قال: بل بعده بحين ستّين سنة أو سبعين يمضين من السنين.

قال: هل يدوم ذلك من مُلكهم أو ينقطع؟

قال: بل ينقطع لبضعٍ وسبعين يمضين من السنين، ثم يُقتلون بها أجمعون ويخرجون منها هاربين.

قال الملك: ومَن الذي يلي ذلك؟.

قال: يليه إرَم ذي يَزَن، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك أحداً منهم باليمن.

قال: فيدوم ذلك من سلطانه أو ينقطع؟.

قال: بل ينقطع، يقطعه نبيّ زكيّ، يأتيه الوحيُ من العَليّ، وهو رجل من ولد غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر، يكون المُلك في قومه إلى آخر الدهر.

قال: وهل للدّهر من آخر؟.

قال: نعم، يومٌ يُجمع فيه الأوّلون والآخرون، ويَسعَد[5] فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون.

قال: أحقّ ما تُخبرنا يا سَطِيح؟.

قال: نعم والشّفَق، والغَسَق، والفَلَق إذا اتّسق، إنّ ما أنبأتك[6] به لحقّ.

ثمّ قدِم عليه شِق فقال: يا شِقّ إنّي رأيتُ رؤيا هالتني، فأخبِرْني عنها وعن تأويلها!

---

(١) في طبعة صادر ٤١٨/١ «جمجمة»، والمثبت عن (سيرة ابن هشام - بتحقيقنا ٣٢/١).

(٢) في النسخ، وطبعة صادر ٤١٨/١ «بهمة»، والمثبت عن النسخة (ر)، وهو يتفق مع سيرة ابن هشام ٢٨/١.

(٣) في الطبعة الأوربية «جيش»، وهو تحريف.

(٤) في الطبعة الأوربية «الجيش» وهو تحريف.

(٥) في الطبعة الأوربية «وليعد»، والمثبت يتفق مع سيرة ابن هشام ٢٩/١.

(٦) في الطبعة الأوربية «والغسق والغلق إذا اتّسق إن مَا يتيك».

وكتمه ما قال سَطِيح، لينظر هل يتّفقان أم يختلفـان. قال: نعم، رأيتَ جمجمـة، خرجت من ظلمة، فوقعت بين روضة وأكمة، فأكلت منها كلّ ذات نسمة.

فلمّا سمع الملكُ ذلك قال: ما أخطأتَ شيئاً، فما تأويلها؟.

قال: أحلف بما بين الحـرّتين من إنسان[1]، لينـزلنّ أرضكم السودان، وليملكنّ مـا بين أَبْيَن[2] إلى نجران.

قال الملك: وأبيك يا شِقّ! إنّ هذا لغائظ، فمتى هو كائن؟.

قال: بعدك بزمان، ثمّ يستنقذكم منهم عظيم ذو شأن، ويذيقهم أشدّ الهوان، وهـو غلام ليس بدنيٍّ ولا مُزَنّ[3]، يخرج من بيت ذي يزن.

قال: فهل يدوم سلطانه أم ينقطع؟.

قال: بل ينقطع برسـول مرسَـل، يأتي بـالحقّ والعدل، بين أهـل الدين والفضـل، يكون المُلْك في قومه إلى يوم الفصل.

قال: وما يوم الفصل؟.

قـال: يوم تُجـزى فيه الـوُلاة، ويدعى من السمـاء بدعـوات، ويسمع منهـا الأحياء والأموات، ويجتمع فيه النّاسُ للميقات[4].

فلمّـا فرغ من مسـألتهما جهّـز بنيه وأهـل بيته إلى العـراق بما يصلحهم، فمن بقيّـة ربيعة بن نصر كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة، وهو النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن امرىء القيس بن عمرو بن عديّ بن ربيعة بن نصر ذلك الملك[5].

فلمّا هلك ربيعة بن نصر، واجتمع ملكُ اليمن إلى حسّان بن تُبّان بن أبي كرب بن ملكيكرِب بن زيد بن عمرو ذي الأذعار، كـان ممّا هيّـج أمر الحبشـة، وتحوّل المُلْك عن حِمْيَر، أنّ حسّان سار بأهـل اليمن، يريـد أن يطأ بهم أرضَ العـرب والعجم، كما كـانت التبابعة تفعل. فلمّا كان بالعراق كرهت قبائل العرب من اليمن المسير معه، فكلّموا أخـاه عَمراً في قتل حسّان وتمليكه، فـأجابهم إلى ذلـك، إلاّ ما كـان من ذي رُعَين الحِمْيَريّ، فإنّه نهاه عن ذلك، فلم يقبل منه، فعمد ذو رُعَين إلى صحيفة فكتب فيها:

---

(١) في النسخة (ب): «البنيان».

(٢) أَبْيَن: بفتح أوله. موضع في جبل عدن. (معجم البلدان ١/٨٦).

(٣) المُزَنّ: من أزنّه بخير أو شرّ: ظنّه به. وفي الطبعة الأوربية «يدني ولا مدن».

(٤) سيرة ابن هشام ١/٢٦ -٢٩.

(٥) سيرة ابن هشام ١/٣٠ - ٣٢.

ألا مَنْ يَشتري سَهَراً بنَوْمٍ؟ سعيدٌ مَن يبيتُ قَريرَ عَينِ
فإمّا حِمْيَرٌ غَدَرَتْ وخانتّ فمعذرَةُ الإلَهِ لذي رُعَيْنِ[1]

ثم ختمها وأتى بها عمر عَمراً فقال: ضع هذه عندك، ففعل. فلمّا بلغ حسّان ما أجمع عليه أخوه وقبائل اليمن قال لعمرو:

يا عَمْرو لا تُعجِلْ عليَّ مَنِيَّتي فالمُلْكُ تأخُذُهُ بغيرِ حُشودِ[2]

فأَبَى إلّا قتْله، فقتله بموضع رحبة مالك، فكانت تسمّى فرضة نُعْم فيما قيل.

ثمّ عاد إلى اليمن فمُنع النوم منه، فسأل الأطبّاء وغيرهم عمّا به وشكا إليهم السهر، فقال له قائل منهم: ما قتل أحدٌ أخاه أو ذا رَحِمٍ بَغْياً إلّا مُنع منه النوم. فلمّا سمع ذلك قتل كلّ مَن أشار عليه بقتل أخيه، حتّى خلص إلى ذي رُعَين، فلمّا أراد قتْله قال: إنّ لي عندك براءة.

قال: وما هي؟

قال: أَخرِجِ الكتابَ الذي استودعتُك. فأخرجه فإذا فيه البيتان، فكفّ عن قتْله، ولم يلبث عمر أنْ هلك، فتفرّقت حِمْيَر عند ذلك[3].

قلتُ: هذا الذي ذكره أبو جعفر[4] من قتْل قُباذ بالريّ، وملْك تُبّع البلاد من بعد قتْله من النقل القبيح والغلط الفاحش، وفسادُه أشهر من أن يُذكر، فلولا أنّنا شرطنا أن لا نترك ترجمة من تاريخه إلّا ونأتي بمعناها من غير إخلال بشيء لكان الإعراض عنه أولى. ووجه الغلط فيه أنّه ذكر أنّ قُباذ قُتل بالريّ[5]، ولا خلاف بين أهل النقل من الفرس وغيرهم أنّ قُباذ مات حتْف أنفه في زمان معلوم، وكان مُلكه مدّة معلومة، كما ذكرناه قبل، ولم ينقل أحد أنّه قُتل إلّا في هذه الرواية.

ولما مات مَلَك ابنه كسرى أنوشِروان بعده، وهذا أشهر من: «قِفا نبكِ»[6]، ولو كان

---

(١) البيتان في سيرة ابن هشام ١/٤٢، وتاريخ الطبري ٢/١١٥ والبداية والنهاية ٢/١٦٧ وفي الروض الأنف ١/٤٢ البيت الأول فقط. وفي الأغاني ٢٢/٣١٧ ورد البيت الثاني هكذا:
فإن تك حِمْيَر غَدَرَت وخانت ....
(٢) البيت في تاريخ الطبري ٢/١١٥.
(٣) الخبر في الأغاني ٢٢/٣١٦، ٣١٧.
(٤) أنظر تاريخ الطبري ٢/٩٣ وما بعدها.
(٥) الطبري ٢/٩٦.
(٦) مطلع قصيدة مشهورة لأمرىء القيس:
قِفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ

مُلك الفرس انتقل بعد قُباذ إلى حِمْير، كيف كان مَلَكَ ابنه بعده، وتمكّن في المُلْك حتى أطاعه ملوك الأمم، وحملت الروم إليه الخراج!.

ثمّ ذكر أيضاً أنّ تُبّعاً وجّه ابنه حسان إلى الصين، وشَمِراً إلى سمرقند، وابن أخيه إلى الروم، وأنّه ملك القسطنطينيّة، وسار إلى رومية فحاصرها.

فيا ليت شِعْري! ما[1] هو اليمن وحَضْرَمَوت حتى يكون بهما[2] من الجنود ما يكون بعضهم في بلادهم لحفظها، وجيش مع تُبّع، وجيش مع حسّان يسير بهم إلى مثل الصين، في كثرة عساكره ومقاتلته، وجيش مع ابن أخيه تُبّع يلقى به مثل كسرى ويهزمه ويملك بلاده، ويحاصر به مثل سمرقند في كِبَرها وعِظَمها، وكثرة أهلها، وجيش مع يعفُر يسير بهم إلى ملك الروم ويملك القسطنطينيّة! والمسلمون مع كثرة ممالكهم واتّساعها وكثرة عددهم قد اجتهدوا ليأخذوا القسطنطينيّة أو ما يجاورها واليمن من أقلّ بلادهم عدداً وجنوداً فلم يقدروا على ذلك، فكيف يقدر عليه بعض عساكر اليمن مع تُبّع؟.

هذا ممّا تأباه العقول، وتمجّه الأسماع.

ثمّ إنّه قال: إنّ مُلْك تُبّع بلاد الفرس والروم والصين وغيرها كان بعد قتل قُباذ، يعني أيّام ابنه أنوشِروان، ولا خلاف أنّ مولد النبيّ، ﷺ، كان في زمن أنوشِروان، وكان مُلْكه سبعاً وأربعين سنة[3].

ولا خلاف أيضاً أنّ الحبشة لما مَلَكت اليمن انقرض ملك[4] حِمْير منه، وكان آخر ملوكهم ذا نُواس. وكان مُلك حِمْير قد اختلّ قبل ذي نُواس، وانقطع نظامهم حتى طمعتِ الحبشةُ فيه وملكتْه، وكان ملكهم اليمن أيّام قُباذ.

وكيف يمكن أن يكون ملك الحبشة الذي هو مقطوع به أيام قُباذ، ويكون تبّع هو الذي مَلَك اليمن قد قتل قُباذ ومَلَك بلاده قبل أن تملك الحبشة اليمن؟ هذا مردود مُحال وقوعهُ.

وكان ملك الحبشة اليمن سبعين سنة، وقيل أكثر في ذلك، وكان انقراض ملكهم في آخر ملك أنوشِروان، والخبر في ذلك مشهور، وحديث سيف ذي يزن في ذلك ظاهر.

---

(١) في الطبعة الأوربية «كم».
(٢) في الطبعة الأوربية «بها».
(٣) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩.
(٤) في الطبعة الأوربية «انقرضت ملوك».

ولم يزل اليمن بعد الحبشة في يد الفرس إلى أن مَلَكه المسلمون، فكيف يستقيم أن ينقضي ملك تُبّع الذي هو ملك بلاد فارس، ومن بعده من ملوك حِمْيَر وملك الحبشة، وهو سبعون سنة في ملك أنوشِروان، وكان ملكه نيّفاً وأربعين سنة؟ وهذا أعجب أن مدّة بعضها سبعون سنة تنقضي قبل مُضِيّ نيّفٍ وأربعين سنة، ولو فكّر أبو جعفر في ذلك لاستحيا من نقله[1].

وأعجب من هذا أنّه قال: ثمّ مَلَك بعد تُبّع هذا ربيعة بن نصر اللخميّ، وهذا ربيعة هو جدّ عمرو بن عديّ ابن أخت جُذَيمة، وكان ملك عمرو الحيرة بعد خاله جُذَيمة أيّام ملوك الطوائف، قبل ملك أردشير بن بابك بخمس وتسعين سنة[2]، وبين أردشير وقُباذ ما يقارب عشرين مِلِكاً، وكيف يكون جدّ عمرو وقد مَلك بعد قُباذ وهو قبله بهذا الدهر الطويل؟ ولو لم يترجم أبو جعفر على هذه الحادثة بقوله: ذِكْر الحوادث أيّام قباذ[3]، لكان يحتمل تأويلاً فيه، ثمّ[4] ما قنع بذلك حتى قال، بعد أن قصّ مسير تُبّع: وقَتَل قُباذ ومَلَك البلاد[5].

وأمّا ابن إسحاق فإنّه قال[6]: إنّ الذي سار إلى المشرق من التبابعة هو تُبّع الأخير، ويعني بقوله تُبّع الأخير أنّه آخِر من سار إلى المشرق ومَلَك البلاد.

فإنّ ابن إسحاق وغيره يقولون إنّ الذي ملك البلاد المشرقيّة لما تُوفّي مَلَك بعده عدّة تبابعة، ثمّ اختلّ أمرهم زماناً طويلاً، حتى طمعت الحبشة فيهم وخرجت إلى اليمن.

فليت شِعْري إذا كان هذا تُبّع في أيّام قُباذ فلا شكّ أنّ تُبّعاً الأخير الذي أُخذ منه اليمن يكون في زمن بني أُميّة، ويكون مُلك الحبشة اليمن بعد مدّة من مُلك بني العبّاس، ويكون أوّل الإسلام من ثلاثمائة سنة من مُلكهم أيضاً ممّا بعدها، حتّى يستقيم هذا القول.

ثمّ إنّه قال[7]: إنّ عمرو بن طَلَّة[8] الأنصاريّ خرج إلى تُبّع، وعَمرو هذا قيل إنّه أدرك النبيّ، ﷺ، شيخاً كبيراً ومات عند مرجعه من غزوة بدر.

---

(١) في النسخة (ر) زيادة بعدها «وتركه».
(٢) في النسخة (ر) زيادة بعدها: «وملك أيضاً أيام أردشير».
(٣) تاريخ الطبري ٢/٩٥.
(٤) في النسخ (ب) و(ت) و(ر): «بعد».
(٥) الطبري ٢/٩٦.
(٦) القول عند الطبري ٢/٩٨.
(٧) القول في تاريخ الطبري ٢/١٠٥.
(٨) في النسختين (ب) و(ر): «ظله»، وفي الطبعة الأوربية «طلحة». وهو غلط. والمثبت يتفق مع الطبري.

ومن الدليل على بُطلانه أيضا أن المسلمين لما قصدوا بلاد الفرس ما زالت الفرس تقول لهم عند مراسلاتهم ومحاوراتهم في حروبهم: كنتم أقلّ الأمم وأذلّها وأحقرها، والعرب تقرّ لهم بذلك، فلو كان مُلك تُبّع قريب العهد لقالت العرب: إنّنا بالأمس قتلنا ملككم وملكنا بلادكم واستبحنا حريمكم وأموالكم، فسكوت العرب عن ذلك وإقرارها للفرس دليل على بُعد عهده[1] أو عدمه، على أنّ الفرس لا تقرّ بذلك لا في قديم الزمان ولا في حديثه، فإنّهم يزعمون أنّ مُلكهم لم ينقطع من عهد جيومرث، الذي هو آدم في قول بعضهم، إلى أن جاء الإسلام، إلّا أيّام ملوك الطوائف. وكان لملوك الفرس طرف من البلاد في ذلك الزمان لم ينقطع انقطاعاً كلّيّاً، على أنّ أصحاب السِيَر قد اختلفوا في تُبّع الذي سار ومَلَك البلاد اختلافاً كثيراً.

فقيل: شَمِر بن غش.

وقيل: تُبّع أسعد، وإنّه بعث إلى سمرقند شَمِراً ذا الجناح، إلى غير ذلك من الاختلافات التي لا طائل فيها.

وهذا القدْر كافٍ في كشْف الخطإ فيه.

---

(١) في الطبعة الأوربية «هذه».

ذِكر ملْك لَخيْعة[1]

فلمّا هلك عمرو وتفرّقت حِمْيَر وثب عليهم رجل من حِمْيَر، لم يكن من بيوت المملكة، يقال له لَخيْعة نوف[2] ذو شناتر[3] فملكهم، في قول ابن إسحاق[4]، فقتل خيارهم، وعبث ببيوت أهل المملكة منهم، وكان أمراً فاسقاً، يزعمون أنّه كان يعمل عمل قوم لوط، فكان إذا سمع بغلام من أبناء الملوك[5] أنّه قد بلغ، أرسل إليه، فوقع عليه في مَشْرَبه، لئلاّ يُمَلَّك بعد ذلك، ثمّ يطلع إلى حرسه وجنده، قد أخذ سواكاً في فيه، يُعلمهم أنّه قد فرغ منه، ثمّ يخلّي سبيله فيفضحه[6].

ذِكْر ملْك ذي نُواس وقصة أصحاب الأخدود[7]

كان من أبناء الملوك زُرْعة ذو نواس بن تُبّان أسعد بن كرِب، وكان صغيراً حين أصيب أخوه حسّان، فشبّ غلاماً جميلاً ذا هيئة، فبعث إليه لَخْيعة[8] ليفعل به ما كان يفعل بغيره، فأخذ سكّيناً لطيفاً فجعله بين نعله وقدمه، ثمّ انطلق إليه مع رسوله، فلمّا خلا به في المَشْرَبة قتله ذو نُواس بالسكّين، ثمّ احتزّ رأسه، فجعله في كُوّة مَشْرَبته التي يطلع منها، ثمّ أخذ

---

(١) في طبعة صادر ١/٤٢٤ «لختيعة» بالتاء المثنّاة. وما أثبتناه عن الطبري ٢/١١٧ وسيرة ابن هشام ١/٤٤ والروض الأنف ١/٤٤.
قال ابن دُرَيد: لخيعة. هو من اللّخَع، وهو استرخاء في الجسم.

(٢) في طبعة صادر «تنوف» بالتاء. وما أثبتناه عن الأصل والنسخة (ت)، وهو يتفق مع الطبري وابن هشام والأغاني وابن كثير ٢/١٦٧.

(٣) الشناتر: الأصابع بلغة حِمْيَر، واحدها: شُنْتُرة.

(٤) في تاريخ الطبري ٢/١١٧ وسيرة ابن هشام ١/٤٤، والمعارف ٦٣٦.

(٥) في الطبعة الأوربية «الملك».

(٦) كان ملك ذي شناتر سبعاً وعشرين سنة. (تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١١٢، ١١٣).

(٧) تاريخ اليعقوبي ١/١٩٩، ٢٠٠، مروج الذهب ١/٦٧، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١١٣، الأخبار الطوال ٦١، ٦٢، المعارف ٦٣٧، تاريخ الطبري ٢/١١٨، البدء والتاريخ ٣/١٨٢ - ١٨٥، سيرة ابن هشام ١/٤٤، الروض الأنف ١/٤٤، عرائس المجالس ٣٤٥، معجم البلدان ٥/٢٦٦ - ٢٦٨، البداية والنهاية ٢/١٢٩، تاريخ ابن خلدون ٢/٥٩، الأغاني ٢٢/٣١٨.

(٨) في طبعة صادر ١/٤٢٥ «لختيعة»، وقد أثبتناه بالنون لما بيّنّاه من قبل. وفي الأغاني ٢٢/٣١٨ «لُخَيْعة».

سواكه فجعله في فيه، ثمّ خرج، فقالوا له: ذو نُواس أَرَطْبٌ أم يباس[1]؟ فقال: «سلْ نخماس[2]، استرطبان ذو نُواس لا باس»[3].

فذهبوا ينظرون حين قال لهم ما قال، فإذا رأس لَخْيعة مقطوع، فخرجت حِمْير، والحرس في أثر ذي نُواس، حتى أدركوه فملّكوه حيث أراحهم من لخْيعة، واجتمعوا عليه، وكان يهوديّاً، وبنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم على استقامة[4]، لهم رئيس يقال له عبد الله بن الثامر، وكان أصل النصرانيّة بنجران.

قال وهب بن منبّه: إنّ رجلاً من بقايا أهل دين عيسى، يقال له فيميون[5]، وكان رجلاً صالحاً مجتهداً زاهداً في الدنيا مُجاب الدعوة، وكان سائحاً لا يُعرف بقرية إلّا خرج منها إلى غيرها، وكان لا يأكل إلّا من كسْب يده، وكان يعمل الطّين، ويعظّم الأحد، لا يعمل فيه شيئاً، ويخرج إلى الصحراء يصلّي جميع نهاره، فنزل قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفياً، ففطن به رجل اسمه صالح، فأحبه حباً شديداً، وكان يتبعه حيث ذهب لا يفطن به فيميون، حتى خرج مرّة يوم الأحد إلى الصحراء، واتّبعه صالح وفيميون لا يعلم. فجلس صالح منه منظر العين مستخفياً، وقام فيميون يصلّي، فبينما هو يصلّي إذ أقبل نحوه تنّين، فلمّا رآه فيميون دعا عليه فمات، ورآه صالح ولم يدرِ ما أصابه، فخاف على فيميون، فصاح: يا فيميون التنّين قد أقبل نحوك! فلم يلتفتْ إليه، وأقبل على صلاته حتى أمسى، وعرف أنّ صالحاً عرفه، فكلّمه صالح وقال له: يعلم الله أنّني ما أحببتُ شيئاً حبّك قطّ، وقد أردتُ صحبتك حيثما كنتَ. قال: افعل. فلزمه صالح.

وكان إذا ما جاءه العبد به ضُرٌّ شُفِي إذا دعا له، وإذا دُعي إلى أحد به ضُرّ لم يأته. وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير، فجعل ابنه في حجرة، ألقى عليه ثوباً، ثمّ قال لفيميون: قد أردتُ أن تعمل في بيتي عملاً، فانطلِقْ إليه لأشارطك عليه؛ فانطلق معه، فلمّا

---

(١) في الطبعة الأوربية «يابس».

(٢) في النسختين (ب) و(ر): «بحماس»، وفي الطبعة الأوربية «نحاس»، وهو في سيرة ابن هشام ١/٤٥ «نحماس» بالحاء المهملة. وما أثبتناه عن الطبري ٢/١١٨ والروض الأنف ١/٤٥ حيث يقول السهيلي: «يحتمل أن يكون النخماس في لغتهم هو الرأس».

(٣) قال الأصفهاني: كان الغلام إذا خرج من عند لخنيعة، وقد لاط به، قطعوا مشافر ناقته وذَنَبها، وصاحوا به: أرطب أم يَباس؟ فقال: «ستعلم الأحراس اسْت ذي نواس است رطْبان أم يباس» (الأغاني ٢٢/٣١٨، ٣١٩، الروض الأنف ١/٤٥).

(٤) في النسخة (ر) وردت العبارة: «عيسى على الإنجيل أهل استقامة».

(٥) في النسخة (ب): «قيميون». والمثبت يتفق مع ابن هشام ١/٤٥، والطبري ٢/١١٩ وذكره السهيلي في الروض الأنف ١/٤٥، ٤٦ «فيمئون»، وقال: «يذكر عن الطبري أنه قال فيه: قيمئون بالقاف، وشك فيه، وقال القتبي فيه: رجل من آل جفنة من غسان جاءهم من الشام..».

دخل الحجرة ألقى الرجل الثوب عن ابنه، وطلب إليه أن يدعو له، فدعا له فأبصر.

وعرف فيميون أنّه قد عُرف بالقرية، فخرج هو وصالح، ومرّ بشجرة عظيمة بالشام. فناداه رجل وقال: ما زلت أنتظرك، لا تبرح حتى تقوم عليّ فإنّي ميت، قال: فمات، فواراه فيميون، وانصرف ومعه صالح حتى وطئا بعضَ أرض العرب، وأخذهما بعضُ العرب فباعوهما بنجران، وأهل نجران على دين العرب تعبد نخلة طويلة بين أظهُرهم، لها عيد كلّ سنة؛ [إذا كان ذلك العيد علّقوا][1] عليها كلّ ثوب حَسَن وحُليّ جميل[2]، فعكفوا[3] عليها يوماً[4]، فابتاع رجل من أشرافهم فيميون، وابتاع رجل [آخر][5] صالحاً، فكان فيميون إذا قام من اللّيل يصلّي في بيته استسرج له البيت، حتى يصبح من غير مصباحٍ. فلمّا رأى سيّده ذلك أعجبه، فسأله عن دينه فأخبره، وعاب دين سيّده. وقال له: لو دعوتُ إلٰهي الذي أعبد لأهلك النخلة. فقال: افعل، فإنّك إنْ فعلتَ دخلنا في دينك وتركنا ما نحن عليه. فصلّى فيميون ودعا الله تعالى، فأرسل الله عليها ريحاً فجفّفتها وألقتها، فاتّبعه عند ذلك أهلُ نجران على دينه، فحملهم على شريعة من دين عيسى، ودخل عليهم بعد ذلك الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكلّ أرض. فمن هنالك كان أصل النصرانيّة بنجران[6].

وقال محمّد بن كعب القُرَظي: كان أهل نجران يعبدون الأوثان، وكان في قرية من قراها ساحر، كان أهل نجران يرسلون أولادهم إليه يعلّمهم السحر. فلمّا نزلها فيميون [وهو رجل] كان يعبد الله [على دين عيسى بن مريم، عليه السلام]، فإذا عُرف في قرية خرج منها إلى غيرها، وكان مجاب الدعوة، يُبْرِىء المرضى، وله كرامات، فوصل نجران فسكن خيمة بين نجران وبين الساحر، فأرسل الثامر[7] ابنَه عبدَ الله مع الغلمان إلى الساحر، فاجتاز بفيميون، فرأى ما أعجبه من صلاته، فجعل يجلس إليه ويستمع منه، فأسلم معه ووحّد الله تعالى وعبدَه، وجعل يسأله عن الاسم الأعظم [وكان يعلمه]، فكتمه إيّاه وقال: لن تحتمله، والثامر يعتقد أنّ ابنه يختلف إلى الساحر مع الغلمان. فلمّا رأى عبدُ الله أنّ صاحبه قد ضنّ عليه بالاسم الأعظم، عمد إلى قِداحٍ، فكتب عليها أسماء الله جميعها، ثمّ ألقاها في النّار واحداً واحداً، حتى إذا ألقى القدح الّذي عليه الاسم الأعظم وثب منها، فلم تضرّه شيئاً،

---

(١) ما بين الحاصرتين عن الطبري ٢/١٢٠، وفي الأصل وردت العبارة «لها عيد كل سنة تعلق عليها».

(٢) في تاريخ الطبري «حليّ النساء».

(٣) في الطبعة الأوربية «فعلّقوا».

(٤) في النسختين (ب) و(ت): «ثوباً».

(٥) إضافة على الأصل، من الطبري.

(٦) الخبر في سيرة ابن هشام ١/٤٥ ـ ٤٧، الطبري ٢/١١٩ ـ ١٢١.

(٧) في النسخة (ب): «الناصر» وهو تحريف.

فأخذه وعاد إلى صاحبه فأخبره الخبر، فقال له: امسك على نفسك، وما أظنّ أن تفعل، فكان عبدُ الله لا يلقى أحداً إذا أتَى نجران به ضُرّ إلّا قال: يا عبد الله أتدخل في ديني، حتى أدعو الله فيعافيك ممّا أنت فيه من البلاء؟ فيقول: نعم، فيوحّد الله وَيُسْلِم، ويدعو له عبد الله فيشفى، حتى لم يبقَ أحد من أهل نجران ممّن به ضرّ إلّا أتاه واتّبعه، ودعا له فعُوفي.

فرُفع شأنه إلى ملك نجران، فدعاه فقال له: أفسدَت عليَّ أهل قريتي وخالفتَ ديني، لأمثّلنّ بك! فقال: لا تقدر على ذلك. فجعل يرسله إلى الجبل الطويل، فيُلقى من رأسه، فيقع على الأرض ليس به بأسٌ، فأرسله إلى مياه نجران، وهي بحور[1] لا يقع فيها شيء إلّا هلك، فيُلقى فيها، فيخرج ليس به بأسٌ. فلمّا غلبه قال عبد الله بن الثامر: إنّك لا تقدر على قتلي حتى توحّد الله وتؤمن كما آمنت[2]، فإنّك إذا فعلتَ قتلتني. فوحّد الله الملكُ، ثمّ ضربه بعصاً بيده، فشجّه شجّة غير كبيرة فقتله، فهلك الملك مكانه، واجتمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر.

قال: فسار إليهم ذو نُواس بجنوده فجمعهم، ثمّ دعاهم إلى اليهوديّة، وخيّرهم بينها وبين القتل، فاختاروا القتل، فخدّ لهم الأخدود، فحرّق بالنّار وقتل بالسيف، حتّى قتل قريباً من عشرين ألفاً[3].

وقال ابن عبّاس: كان بنجران ملك من ملوك حِمْيَر، يقال له ذو نُواس، واسمه يوسف بن شرَحْبيلٍ، وكان قبل مولد النبيّ، ﷺ، بسبعين سنة، وكان له ساحر حاذق. فلمّا كبُر قال للملك: إني كبرتُ، فابعث إليّ غلاماً أعلّمه السحر، فبعث إليه غلاماً اسمه عبد الله بن الثامر ليعلّمه، فجعل يختلف إلى الساحر، وكان في طريقه راهب حَسَن القراءة، فقعد إلى الغلام، فأعجبه أمره، فكان إذا جاء إلى المعلّم يدخل إلى الراهب فيقعد عنده، فإذا جاء من عنده إلى المعلّم ضربه، وقال له: ما الذي حبسك؟ وإذا انقلب إلى أبيه دخل إلى الراهب فيضربه أبوه ويقول: ما الذي أبطأ بك؟ فشكا الغلامُ ذلك إلى الراهب، فقال له: إذا أتيتَ المعلّمَ فقلْ: حبسني أبي، وإذا أتيتَ أباكَ فقلْ: حبسني المعلّم.

وكان في ذلك البلد حيّة عظيمة قطعتْ طريق النّاس، فمرّ بها الغلامُ فرماها بحجر[4]

---

(١) في الطبعة الأوربية «مجور».

(٢) في الطبعة الأوربية «لعنت».

(٣) في النسختين (ت) و(ر) زيادة: «وهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ والخبر في تاريخ الطبري ٢/١٢١ ـ ١٢٣ وسيرة ابن هشام ١/٤٩ ـ ٥١.

(٤) في النسخة (ر) زيادة: «وقال اللهمَّ إن كان أمر الراهب أحب من أمر الساحر فاقتلها، فلما رماها قتلها».

فقتلها، وأتى الراهبَ فأخبره. فقال له الراهب: إنّ لك لشأناً، وإنّك ستُبتلى، فإنْ ابتُليتَ فلا تدلنّ عليّ. وصار الغلامُ يُبرىء الأكْمَهَ والأبرص، ويشفي النّاس.

وكان للملك ابن عمّ أعمى، فسمع بالغلام وقتْل الحيّة فقال: ادعُ الله أن يردّ عليَّ بصري. فقال الغلام: إن ردّ الله عليك بصرك تؤمن به؟ قال: نعم. قال: اللهمّ إن كان صادقاً فأردد عليه بصره، فعاد بصرُه، ثمّ دخل على الملك، فلمّا رآه تعجّب منه وسأله، فلم يخبره، وألحّ عليه فدلّه على الغلام، فجيء به، فقال له: لقد بلغ من سحرك ما أرى. فقال: أنا لا أشفي أحداً، إنّما يشفي الله مَنْ يشاء، فلم يزل يعذّبه حتى دلّه على الراهب، فجيء به، فقال له[1]: ارجعْ عن دينك، فأبَى، فأمر به فوضع المنشار على رأسه، فشُقّ بنصفَين، ثمّ قال للغلام: ارجعْ عن دينك، فأبَى[2]، فأرسله إلى جبل فقال: اللهمّ اكفِنيهم! فرجف بهم الجبلُ وهلكوا.

ورجع الغلامُ إلى الملك، فسأله عن أصحابه، فقال: كفانيهم الله. فغاظه ذلك وأرسله في سفينة إلى البحر ليُلْقوه فيه، فذهبوا به، فقال: اللهمّ اكفِنيهم! فغرقوا ونجا، وجاء إلى الملك فقال: اقتلوه بالسيف، فضربوه فنبا عنه. وفشا خبرهُ في اليمن، فأعظمه النّاس وعلموا أنّه على الحقّ، فقال الغلام للملك: إنّك لن تقدر على قتلي، إلاّ أن تجمع أهل مملكتك وترميني بسهم وتقول: بسم الله ربّ الغلام. ففعل ذلك فقتله. فقال الناس: آمنا برب الغلام! فقيل للملك: قد نزل بك ما تحذر. فأغلق أبواب المدينة، وخدَّ أخدوداً وملأه ناراً وعرض النّاس، فمن رجع عن دينه تركه، ومن لم يرجع ألقاه في الأخدود فأحرقه.

وكانت امرأة مؤمنة، وكان لها ثلاثة بنين، أحدهم رضيع، فقال لها الملك: ارجعي وإلاّ قتلتك أنتِ وأولادك، فأبتْ، فألقى ابنيها الكبيرين[3]، فأبت، ثمّ أخذ الصغير ليُلْقيه فهمّت بالرجوع. قال لها الصغير: يا أمّاه لا ترجعي عن دينك، لا بأس عليك! فألقاه وألقاها في أثره، وهذا الطفل أحد مَنْ تكلّم صغيراً[4].

قيل: حفر رجل خَربة بنجران في زمن عمر بن الخطّاب، فرأى عبد الله بن الثامر واضعاً يده على ضربة في رأسه، فإذا رُفعت عنها يدُه جرتْ دماً، وإذا أُرسلت يده ردّها إليها وهو قاعد، فكتب فيه إلى عمر، فأمر بتركه على حاله[5].

---

(١) في الطبعة الأوربية «فقيل».

(٢) في النسخة (ر) زيادة: «فدفعه إلى نفر من أصحابه وقال لهم: اذهبوا به إلى جبل كذا فإن رجع وإلاّ فاطرحوه من رأسه، فذهبوا به إلى الجبل فقال: اللهم».

(٣) في الطبعة الأوربية: «فألقى ابنها الكبير والصغير».

(٤) الخبر في عرائس المجالس ٣٤٥، ٣٤٦.

(٥) الخبر في سيرة ابن هشام ٥١/١، ومروج الذهب ٦٧/١، والطبري ١٢٤/٢.

ذِكْر مُلْك الحبشة اليمن[1]

قيل: لما قتل ذو نُواس مَنْ قتل من أهل اليمن في الأخدود لأجل العَوْد عن النصرانيّة، أفلت منهم رجل يقال له دَوْس ذو ثَعْلَبان، حتّى أعجز القوم، فقدِم على قيصر، فاستنصره على ذي نُواس وجنوده، وأخبره بما فعل بهم. فقال له قيصر: بَعُدَتْ بلادك عنّا، ولكنْ سأكتب إلى النجاشيّ ملك الحبشة، وهو على هذا الدين، وقريب منكم. فكتب قيصر إلى ملك الحبشة يأمره بنصره، فأرسل معه ملك الحبشة سبعين ألفاً، وأمّر عليهم رجلاً يقال له أرياط[2]، وفي جنوده فاجتمعوا، ولم يكن [له] حرب، غير أنّه ناوش شيئاً من قتال، ثمّ انهزموا، ودخلها أرياط. فلمّا رأى ذو نُواس ما نزل به وبقومه اقتحم البحر بفرسه فغرق، ووطىء أرياط اليمن، فقتل ثُلث رجالها[3]، وبعث إلى النجاشيّ بثُلُث سباياهم، ثمّ أقام بها وأذلّ أهلها.

وقيل: إنّ الحبشة لما خرجوا إلى المندب[4] من أرض اليمن، كتب ذو نُواس إلى أقيال اليمن يدعوهم إلى الاجتماع على عدوّهم، فلم يجيبوه وقالوا: يقاتل كلّ رجل عن بلاده. فصنع مفاتيح وحملها على عدّة من الإبل، ولقي الحبشة وقال: هذه مفاتيح خزائن الأموال باليمن، فهي لكم، ولا تقتلوا الرجال والذرّيّة، فأجابوه إلى ذلك وساروا معه إلى صنعاء، فقال لكبيرهم: وجّهْ أصحابَك لقبض الخزائن. فتفرّق أصحابه ودفع إليهم المفاتيح، وكتب إلى الأقيال بقتل كلّ ثور أسود، فقُتلت الحبشة، ولم ينجُ منهم إلاّ الشريد[5].

فلمّا سمع النجاشيّ جهّز إليهم سبعين ألفاً مع أرياط والأشرم، فمَلَك البلاد وأقام بها سنين، ونازعه أبرهة الأشرم[6]، وكان في جُنده، فمال إليه طائفة منهم، وبقي أرياط في طائفة، وسار[7] أحدهما إلى الآخر، وأرسل أبرهة: إنّك لن تصنع بأن تلقي الحبشة بعضها على بعض شيئاً، فيهلكوا، ولكنْ ابرز إليّ، فأيّنا قهر صاحبه استولى على جنده.

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٢، تاريخ الطبري ٢/١٢٣، البدء والتاريخ ٣/١٥٨، المعارف ٦٣٧، عرائس المجالس ٣٤٧، الأخبار الطوال ٦٢، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١١٣، مروج الذهب ١/٦٧، تاريخ اليعقوبي ١/١٩٩، البداية والنهاية ٢/١٦٨، تاريخ ابن خلدون ٢/٦٠.

(٢) في الأصل والنسخة (ب) «أرباط» بالباء المفردة. والمثبت عن الطبري وسيرة ابن هشام وبقية المصادر.

(٣) في طبعة صادر ١/٤٣٢ «رجالهم»، وما أثبتناه عن الطبعة الأوربية، والطبري ٢/١٢٥.

(٤) في الأصل والنسخة (ر): المنذر. وهو تحريف.

(٥) الخبر في الروض الأنف ١/٥٤، وتاريخ الطبري ٢/١٢٧، والأخبار الطوال ٦٤.

(٦) أبرهة: بالحبشية هو الأبيض الوجه. قال السهيلي. وفي هذا قوّة لقول من قال: إنّ أبرهة هذا هو أبْرهة بن الصَّبَاح الحِمْيَري، وليس بأبي يكسوم الجيش. (الروض الأنف ٢/٥٤).

(٧) في النسخة (ر) العبارة: «طايفة من الجند وبقي مع أرياط طايفة وتهيّوا للحرب وسار».

فتبارزا، فرفع أرياط الحَرْبة فضرب أبرهة، فوقعت[1] على رأسه، كان قد تركه كميناً من خلف أرياط، على أرياط فقتله، واستولى أبرهة على الجند والبلاد وقال، لعَتْوَدة: احتكِم. فقال: لا تدخل عروس علي زوجها من اليمن حتى أصيبها قبله، فأجابه إلى ذلك، فبقي يفعل بهم هذا الفعل حيناً، ثمّ عدا عليه إنسان من اليمن فقتله، فسُرّ أبرهة بقتله وقال: لو علمتُ أنّه يحتكم هكذا لم أحكِّمه.

ولما بلغ النجاشيَّ قتلُ أرياط غضب غضباً شديداً، وحلف ألّا يدع أبرهة حتى يطأ أرضه ويجزّ ناصيته، فبلغ ذلك أبرهة، فأرسل إلى النجاشيّ من تراب اليمن وجزّ ناصيته، وأرسلها أيضاً، وكتب إليه بالطاعة وإرسال شَعره وترابه، ليبرّ قسمه بوضع التراب تحت قدمَيْه، فرضي عنه وأقرّه على عمله[2].

فلمّا استقرّ باليمن بعث إلى أبي مرّة ذي يَزَن، فأخذ زوجته رَيحانة بنت ذي جَدَن[3] ونكحها، فولدت له مسروقاً، وكانت قد ولدت لذي يَزَن ولداً اسمه معدي كرِب، وهو سيف، فخرج ذو يَزَن من اليمن، فقدِم الحيرةَ على عمرو بن هند، وسأله أن يكتب له إلى كسرى كتاباً يُعلِمه محلَّه وشرفه وحاجته، فقال: إنّي أفِد إلى الملك كلّ سنة، وهذا وقتها، فأقام عنده حتّى وفد معه، ودخل إلى كسرى معه، فأكرمه وعظّمه، وذكر حاجته، وشكا ما يلقون من الحبشة، واستنصره عليهم، وأطمعه في اليمن وكثرة مالها، فقال له كسرى أنوشِروان: إنّي لأحبّ أن أسعفك بحاجتك، ولكنّ المسالك إليها صعبة وسأنظر، وأمر بإنزاله، فأقام عنده حتى هلك.

ونشأ ابنه معدي كرِب بن ذي يَزَن في حجرة أبرهة، وهو يحسب أنّه أبوه، فسبّه ابن لأبرهة وسبّ أباه، فسأل أمّه عن أبيه، فَصَدَقَتْه[4]، وأقام حتى مات أبرهة وابنه يكسوم، وسار عن اليمن، ففعل ما نذكره إن شاء الله.

---

(١) في النسختين (ت) و(ر): «أبرهة يريد يافوخه فوقعت».
(٢) الخبر في تاريخ الطبري ٢/١٢٩، ١٣٠ وانظر البدء والتاريخ ٣/١٨٥، وتاريخ اليعقوبي ١/٢٠٠.
(٣) أنظر عنه في تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١١٣.
(٤) الخبر في تاريخ الطبري ٢/١٤٣.

ذكر[1] ملك كسرى أنوشروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور بن يزدجرد الأثيم[2]

لما لبس التاج خطبَ النّاسَ، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ما ابتُلوا به من فساد أمورهم ودينهم وأولادهم، وأعلمهم أنّه يُصْلح ذلك، ثمّ أمر برؤوس المَزْدَكِيّة فقُتلوا، وقُسمت أموالهم في أهل الحاجة.

وكان سبب قتْلهم أنّ قُباذ كان، كما ذكرنا، قد اتّبع مَزْدَك على دينه وما دعاه إليه، وأطاعه في كلّ ما يأمره به من الزندقة وغيرها، ممّا ذكرنا أيّامَ قُباذ، وكان المنذر بن ماء السماء يومئذٍ عاملاً على الحيرة ونواحيها، فدعاه قُباذ إلى ذلك، فأبَى، فدعا الحارث بن عَمرو الكِنْديّ، فأجابه، فسدّد[3] له مُلْكه وطرد المنذر عن مملكته.

وكانت أمّ أنوشروان يوماً بين يَدي قُباذ، فدخل عليه مَزْدَك. فلمّا رأى أمّ أنوشروان قال لقُباذ: ادفعها إليّ لأقضي حاجتي منها. فقال: دونكها. فوثب إليه أنوشِروان، ولم يزل يسأله ويتضرّع إليه أن يهب له أمّه حتى قبّل رِجْله، فتركها، فحاك[4] ذلك في نفسه.

فهلك قُباذ على تلك الحال، وملك أنوشِروان، فجلس للملك[5]، ولما بلغ المنذَر هلاكُ قُباذ أقبل إلى أنوشِروان، وقد علم خلافه على أبيه في مذهبه واتّباع مَزْدَك، فإنّ أنوشِروان كان منكِراً لهذا المذهب كارهاً له، ثمّ إنّ أنوشِروان أذن للنّاس إذناً عامّاً، ودخل عليه مَزْدَك، ثمّ دخل عليه المنذر، فقال أنوشِروان: إنّي كنت تمنّيتُ أمنيتَين، أرجو أن يكون الله عزّ وجلّ قد جمعهما إليّ.

فقال مَزْدَك: وما هما أيّها الملك؟.

---

(١) العنوان في النسختين (ب) و(ت).

(٢) الأخبار الطوال ٦٧، تاريخ اليعقوبي ١/١٦٤، البدء والتاريخ ٣/١٦٨، تاريخ الطبري ٢/٩٨، المعارف ٦٦٣، التنبيه والإشراف ٨٩، مروج الذهب ١/٦٢٣، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و٢٤ و٢٩، نهاية الأرب ١٥/١٩١، تاريخ ابن خلدون ٢/١٧٦.

(٣) في النسخة (ر): «فشدّد».

(٤) في الطبعة الأوربية «فكان».

(٥) في النسخة (ر): «فجلس في مجلس الملك» وهو في الأغاني أيضاً ٩/٧٩.

قال: تمنّيتُ أن أملك وأستعمل هذا الرجل الشريف، يعني المنذر، وأن أقتل هذه الزنادقة. فقال مَزْدَك: أوَتستطيع أن تقتل النّاس كلّهم؟.

فقال: وإنّك هاهنا يا ابن الزانية! والله ما ذهب نتن ريح جَوْرَبِكَ من أنفي، منذ قبّلت رجلك إلى يومي هذا. وأمر به فقُتل وصُلب. وقتل منهم ما بين جازِر[1] إلى النَّهروان وإلى المدائن في ضحوةٍ واحدة مائة ألف زِنديق وصلبهم، وسُمّي يومئذٍ أنوشروان[*].

وطلب أنوشِروان الحارث بن عَمْرو، فبلغه ذلك وهو بالأنبار، فخرج هارباً في صحابته وماله وولده، فمرّ بالثَّويّة[2]، فتبعه المنذر بالخيل من تغلِب وإياد وبهراء، فلحق بأرض كلْب، ونجا، وانتهبوا ماله وهجائنه، وأخذت بنو تغلِب ثمانية وأربعين نفساً من بني آكل المرار، فقدِموا بهم على المنذر، فضرب رقابهم بجفر الأملاك[3] في ديار بني مَرِين العباديّين بين دير هند[4] والكوفة، فذلك قول عَمْرو بن كلثوم[5]:

فآبوا بالنّهابِ وبالسّبايا وأُبْنا بالمُلوكِ مُصَفَّدينا[6]

وفيهم يقول امرؤ القيس:

ملوكٌ من بني حُجْرِ بن عمروٍ يُساقونَ العَشيّةَ يُقتَلُونَا
فَلو في يومِ مَعركَةٍ أُصِيبُوا ولكن في ديارِ بَني مَرينَا
ولم تُغسلْ جماجمُهم بِغسْلٍ ولكن في الدّماء مُرَمَّلِينَا
تَظَلُّ الطّيرُ عاكِفَةً عَلَيهِم وتَنْتَزِعُ الحواجبَ والعُيُونَا[7]

---

(١) جازِر: بتقديم الزاي المكسورة على الراء. قرية من نواحي النهروان من أعمال بغداد قرب المدائن. وهي قصبة طسّوج الجازر. (ومعجم البلدان ٩٤/٢).

(*) الخبر في الأغاني ٧٩/٩، ٨٠.

(٢) الثوِيَّة: بالفتح ثم الكسر، وياء مشدّدة. موضع قريب من الكوفة، وبالكوفة، وقيل خُرَيْبة إلى جانب الحيرة على ساعة منها. (معجم البلدان ٨٢/٢).

(٣) في النسخة (ر) «بحفر الامال»، وفي بقية النسخ، وطبعة صادر ٤٣٥/١ والطبعة الأوربية «بحفر الأميال»، وكله وهم وتحريف. والصحيح ما أثبتناه «بجفر الأملاك» وهو موضع دير بني مرينا، كما قال ياقوت في معجم البلدان ٥٠١/٢ (مادّة دير بني مرينا).

(٤) هكذا في النسخة (ر). وفي بقية النسخ، وطبعة صادر والأوربية «دير بني هند». وما أثبتناه عن النسخة (ر) ومعجم البلدان ٥٤١/٢ وهو دير هند الصغرى بنت النعمان بن المنذر المعروفة بالحُرَقَة.

(٥) من بني تغلب من بني عتّاب، جاهليّ قديم. وهو قاتل عمرو بن هند ملك الحيرة. أنظر عنه: الشعر والشعراء لابن قتيبة ١٥٧/١، الأغاني ٤٢/١١ (ترجمة الحارث بن حِلّزة)، المعلّقات السبع الطوال بشرح التبريزي ٣٦٨، خزانة الأدب للبغدادي ٥٢/١.

(٦) البيت في المصادر المذكورة. وفي العقد الفريد ٢٤٦/٥.

(٧) الأبيات في ديوان امرىء القيس بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، والأغاني ٨٠/٩، وطبقات ابن سلام =

ولما قتل أنوشروان مَزْدَك وأصحابه أمر بقتْل جماعة ممّن دخل على النّاس في أموالهم وردّ الأموال إلى أهلها، وأمر بكلّ مولود اختلفوا فيه أن يُلحق بمن هو منهم إذا لم يُعرف أبوه، وأن يُعطى نصيباً من ملك الرجل الذي يُسند إليه إذا قبِله الرجل، وبكلّ امرأة غُلبت على نفسها أن يؤخذ مهرها من الغالب، ثمّ تُخيّر المرأة بين الإقامة عنده وبين فراقه، إلّا أن يكون لها زوج فتُردّ إليه.

وأمر بعيال ذوي الأحساب الذي مات قيّمهم، فأنكح بناتهم الأكفاء، وجهّزهنّ من بيت المال، وأنكح نساءهم من الأشراف، واستعان بأبنائهم في أعماله، وعمر الجسور والقناطر، وأصلح الخراب[1]، وتفقّد الأساورة وأعطاهم، وبنى في الطرق القصور والحصون، وتخيّر الوُلاة والعمّال والحكّام، واقتدى بسيرة أردشير، وارتجع بلاداً كانت مملكة الفرس، منها: السند، وسندوست، والرُّخّج[2]، وزَابُلِسْتان، وطَخارستان، وأعظم القتل في البارز[3] وأجلى بقيّتهم عن بلاده.

واجتمع أبخز، وبنجر، وبلنجر، واللان، على قصد بلاده، فقصدوا أرمينية للغارة على أهلها، وكان الطريق سهلاً، فأمهلهم كسرى، حتّى توغّلوا في البلاد، وأرسل إليهم جنوداً، فقاتلوهم فأهلكوهم، ما خلا عشرة آلاف رجل أُسروا، فأُسكِنوا أَذْرَبَيْجان[4].

وكان لكسرى أنوشروان ولد هو أكبر أولاده، اسمه أنوشزاد[5]، فبلغه عنه أنّه زنديق، فسيّره إلى جُنْدَيْسابور، وجعل معه جماعة يثق بدينهم ليصلحوا دينه وأدبه. فبينما هم عنده إذ بلغه خبر مرض والده لما دخل بلاد الروم، فوثب بمن عنده فقتلهم، وأخرج أهل السجون فاستعان بهم، وجمع عنده جُموعاً من الأشرار، فأرسل إليهم نائب أبيه بالمدائن عسكراً، فحصروه بجُنْدَيْسَابُور، وأرسل الخبر إلى كسرى، فكتب إليه يأمره بالجدّ في أمره وأخذه أسيراً، فاشتدّ الحصار حينئذٍ عليه، ودخل العساكرُ المدينة عَنوةً، فقتلوا بها خلقاً كثيراً، وأسروا أنوشزاد[6]، فبلغه خبر جدّه لأمّه الداور الرازي، فوثب بعامل سِجِسْتان

= ٤٤، ومعجم البلدان ٢/٥٠١.

(١) في النسخة (ر): «وأصلح القرايا الخراب».

(٢) الرُّخّج: بتشديد ثانيه. كورة ومدينة من نواحي كابل و(معجم البلدان ٣/٣٨).

(٣) في الأصل «النازور»، وكذا في طبعة صادر ١/٤٣٦ والطبعة الأوربية، وفي النسختين (ت) و(ر): «البارر». وما أثبتناه من النسخة (ب)، والطبري ٢/١٠٠ حيث جاء فيه «وأعظم القتل في أمّة يقال لها البارز».

(٤) الخبر في تاريخ الطبري ٢/١٠٠.

(٥) في النسخة (ر): «أنو شروان»، والمثبت يتفق مع الأخبار الطوال ٦٩ وفيه «أنوش زاد».

(٦) في النسخة (ر): «أنوشروان».

وقاتله، فهزمه العامل، فالتجأ إلى مدينة الرُّخّج، وامتنع[1] بها، ثمّ كتب إلى كسرى يعتذر، ويسأله أن يُنفِذ إليه مَنْ يسلّم له البلد، ففعل وآمنه.

وكان الملك فيروز قد بنى بناحية صُول[2] واللان بناء يحصّن به بلاده، وبنى عليه ابنه قُباذ زيادة، فلمّا ملك كسرى أنوشروان بنى في ناحية صُول وجُرجان بناء كثيراً وحصوناً حصّن بها بلاده جميعها.

وإنّ سيجيور[3] خاقان قصد بلاده، وكان أعظم الترك، واستمال الخَزَر وأبخز وبلنجر، فأطاعوه، فأقبل في عدد كثير، وكتب إلى كسرى يطلب منه الإتاوة، ويتهدّده إنْ لم يفعل، فلم يُجْبه كسرى إلى شيء ممّا طلب لتحصينه بلاده، وانّ ثغر أرمينية قد حصّنه، فصار يكتفي بالعدد اليسير، فقصده خاقان فلم يقدر على[4] شيء منه، وعاد خائباً، وهذا خاقان هو الذي قتل ورد[5] ملك الهياطلة، وأخذ كثيراً من بلادهم[6].

ذِكْر ملْك كسرى بلادَ الروم

كان بين كسرى أنوشروان وبين غطيانوس[7] ملك الروم هدنة، فوقع بين رجل من العرب، كان ملّكه غطيانوس على عرب الشام، يقال له خالد بن جَبَلَة[8]، وبين رجل من لخم، كان ملّكه كسرى علي عُمان[9] والبحرين واليمامة إلى الطائف وسائر الحجاز، يقال له المنذر بن النعمان، فتنةٌ، فأغار خالد على ابن النعمان، فقتل من أصحابه مقتلةً عظيمةً، وغنِم أمواله، فكتب كسرى إلى غطيانوس يذكّره ما بينهما من العهد والصلح، ويُعلمه ما لقي المنذر من خالد، وسأله[10] أن يأمر خالد بردّ ما غنم إلى المنذر، ويدفع له دِية مَنْ قتل من أصحابه، ويُنْصفه من خالد، وإنه إن لم يفعل ينقض الصلح. ووالى الكتب إلى غطيانوس في إنصاف المنذر، فلم يحفل به[11].

---

(١) في الأصل «وأتتبع» وهو وهم.

(٢) صول: بالضم ثم السكون. مدينة في بلاد الخزر في نواحي باب الأبواب وهو الدربند.

(٣) في النسخة (ر): «سجيو»، وفي الطبري ٢/١٠٠ «سِنْجِبُوا».

(٤) وردت العبارة في النسخة (ر) هكذا: «فقصد خاقان البلاد فلم يقدر منها على».

(٥) في الأصل «وزير»، وفي النسخة (ر) «وزد»، وفي تاريخ الطبري ٢/١٠٠ «وزر» وفي نسخة أخرى منه «دوز».

(٦) الطبري ٢/١٠٠، ١٠١.

(٧) في تاريخ الطبري ٢/١٤٨ «يخطيانوس».

(٨) الأخبار الطوال ٦٨.

(٩) في النسخة (ر) العبارة: «كسرى ما بين عمان».

(١٠) في النسخة (ر): «يسأله».

(١١) في النسخة (ر): «بها».

فاستعدّ كسرى، وغزا بلاد غطيانوس في بضعةٍ وتسعين[1] ألفاً، وكان طريقه على الجزيرة، فأخذ مدينة دارا، ومدينة الرُّهاء، وعبر إلى الشام، فمَلَك منبج، وحلب، وأنطاكية، وكانت أفضل مدائن الشام، وفامية، وحمص، ومدناً كثيرة متاخمة لهذه المدائن عَنوةً، واحتوى على ما فيها من الأموال والعروض، وسَبَى أهل مدينة أنطاكية ونقلهم إلى أرض السواد، وأمر فبُنيت لهم مدينة إلى جانب مدينة طيسفون على بناء مدينة أنطاكية، وأسكنهم إيّاها، وهي التي تسمّى اليوم الرومية، وكوّر لها خمسة طساسيج: طسّوج النهروان الأعلى، وطسّوج النهروان الأوسط، وطسّوج النهروان الأسفل، وطسوج بادَرَايا[2]، وطسّوج باكُسايا[3]، وأجرى على السبي الذين نقلهم إليها من أنطاكية الأرزاق، وولّى القيام بأمرهم رجلاً من نصارى الأهواز، ليستأنسوا به لموافقته في الدّين.

وأمّا سائر مدن الشام ومُضَر، فإنّ غطيانوس ابتاعها من كسرى بأموال عظيمة، حملها إليه، وضمن له فدية يحملها إليه كلّ سنة، على أن لا يغزو بلاده، فكانوا يحملونها كلّ عام.

وسار أنوشروان من الروم إلى الخزر فقتل منهم وغنِم، وأخذ منهم بثأر رعيّته. ثمّ قصد اليمن، فقتل فيها وغنِم، وعاد إلى المدائن وقد مَلَك ما دون هرقلة، وما بينه وبين البحرين وعُمان. ومَلَّكَ النعمان بن المنذر على الحيرة وأكرمه، وسار نحو الهياطلة ليأخذ بثأر جدّه فيروز، وكان أنوشروان قد صاهر خاقان قبل ذلك، ودخل كسرى بلادهم فقتل ملكهم، واستأصل أهل بيته، وتجاوز بلْخ وما وراء النهر، وأنزل جنوده فرغانة، ثمّ عاد إلى المدائن. وغزا البُرْجان[4]، ثمّ رجع وأرسل جنده إلى اليمن، فقتلوا الحبشة، وملكوا البلاد[5].

وكان مُلْكه ثمانياً وأربعين سنة[6].

وقيل: سبعاً وأربعين سنة[7].

وكان مولد رسول الله، ﷺ، في آخر مُلْكه.

---

(١) في الأصل، وطبعة صادر ١/٤٣٨ «سبعين»، وما أثبتناه عن النسخ (ب) و(ت) و(ر)، والطبري ٢/١٤٩.

(٢) أنظر معجم البلدان ١/٣١٦.

(٣) باكُسايا: بضم الكاف. بلدة قرب البندنيجين وبادرايا بين بغداد وواسط (١/٣٢٧).

(٤) البُرْجان: بلد من نواحي الخزر. (معجم البلدان ١/٣٧٣).

(٥) الطبري ٢/١٤٨ ـ ١٥٠ وانظر الأخبار الطوال ٦٨.

(٦) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ـ ص ٢٩.

(٧) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و ٢٤ وزاد (سبعة أشهر).

وقيل: وُلد عبد الله بن عبد المطّلب أبو رسول الله، ﷺ لأربعٍ وعشرين سنة مضت من مُلْك أنوشِروان، ووُلد رسول الله، ﷺ، سنة اثنتين وأربعين من ملكه[1].

قال هشام بن الكلبيّ: مَلَك العرب من قِبَل ملوك الفرس بعد الأسود بن المنذر، أخوه المنذر بن المنذر بن النعمان سبع سنين[2].

ثمّ مَلَك بعده النعمان بن الأسود أربع سنين[3].

ثمّ استخلف أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عديّ اللخميّ ثلاث سنين[4].

ثمّ ملّك المنذر بن امرىء القيس البَدْء[5]، ولُقّب ذو القَرْنين، لضفيرتَين كانتا له، وأمّه ماء السماء، وهي ماوية ابنة عمرو[6] بن جُشَم[7] بن النَّمِر بن قاسط، تسعاً وأربعين سنة[8].

ثمّ مَلَك ابنُه عمرو بن المنذر ستّ عشرة سنة[9].

قال: ولثماني سنين وثمانية أشهر[10] من ولايته ولد النبيّ، ﷺ، وذلك أيّام أنوشِروان عام الفيل.

فلمّا دانت لكسرى بلاد اليمن وجه إلى سَرَنْدِيب من بلاد الهند، وهي أرض الجوهر، قائداً من قوّاده في جُند كثيف، فقاتل ملكها، فقتله واستولى عليها، وحمل إلى كسرى منها أموالاً عظيمة وجواهر كثيرة.

ولم يكن ببلاد الفرس بنات آوى، فجاءت إليها من بلاد الترك في مُلْك كسرى أنوشِروان،° فشُقّ عليه ذلك، وأحضر مَوْبَذان مَوْبَذ وقال له: قد بلغنا تساقط هذه السباع إلى بلادنا، وقد تعاظمنا ذلك، فأخبِرْنا برأيك فيها. فقال: سمعتُ فقهاءنا يقولون: متى لم يغلب العدلُ الجورَ في البلاد بل [جار] أهلها، غزاهم أعداؤهم، وأتاهم ما يكرهون. فلم يلبث كسرى أن أتاه أنّ فتياناً من الترك قد غزوا أقصى بلاده، فأمر وزراءه وعمّاله أن

(١) الطبري ٢/١٥٥.
(٢) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩٠.
(٣) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩٠.
(٤) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩٠.
(٥) في الطبعة الأوربية «الندى».
(٦) في تاريخ سنيّ ملوك الأرض «عوف».
(٧) في النسخة (ب): «الخيثم».
(٨) في تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩١ (اثنتين وثلاثين سنة).
(٩) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩٤.
(١٠) في تاريخ سنيّ الملوك (ستة أشهر).

لا يتعدّوا فيما هم بسبيله العدل، ولا يعملوا في شيء منها إلّا به، ففعلوا ما أمرهم، فصرف الله ذلك العدوّ عنهم من غير حرب[1].

ذِكْر ما فعله أنوشِروان بأرمينية وأَذْرَبَيْجان

كانت أرمينية وأَذْرَبَيْجَان بعضها للروم وبعضها للخَزَر، فبنى قُباذ سوراً ممّا يلي بعض تلك الناحية، فلمّا تُوُفّي ومَلَك ابنُه أنوشِروان وقوي أمره وغزا فرغانة والبُرجان، وعاد بنى مدينة الشّابَران، ومدينة مَسْقط، ومدينة الباب. والأبواب، وإنّما سُمّيت أبواباً لأنّها بُنيت على طريق[2] في الجبل، وأسكن المدن قوماً سمّاهم السياسجين[3]، وبنى غير هذه المدن، وبنى لكلّ باب قصراً من حجارة، وبنى بأرض جُرْزان[4] مدينة سغْدبيل، وأنزلها السُّغد[5] وأبناء فارس، وبنى باب اللان، وفتح جميع ما كان بأيدي الروم من أرمينية، وعمر مدينة أَرْدَبيل وعدّة حصون، وكتب إلى ملك التُرك يسألونه الموادعة والاتّفاق، ويخطب إليه ابنته، ورغب في صهره، وتزوّج كلّ واحد بابنة الآخر.

فأمّا كسرى فإنّه أرسل إلى خاقان ملك التُرك بنتاً كانت قد تبنّتها بعض نسائه، وذُكر أنّها ابنته، وأرسل ملك التُرك ابنتَه، واجتمعا، فأمر أنوشِروان جماعةً من ثقاته أن يكبسوا طرفاً من عسكر التُرك ويحرقوا فيه، ففعلوا، فلمّا أصبحوا شكا ملك التُرك ذلك، فأنكر أن يكون له عِلْم به، ثمّ أمر بمثل ذلك بعد ليال، فضجّ التركيّ، فرفق به أنوشِروان، فاعتذر إليه، ثمّ أمر أنوشروان أن تُلقى النار في ناحية من عسكره، فيها أكواخ من حشيش، فلمّا أصبح شكا إلى التركيّ، قال: كافأتني بالتهمة! فحلف التركيّ أنّه لم يعلم بشيء من ذلك، فقال أنوشروان له: إنّ جندنا قد كرهوا صلحنا لانقطاع العطاء والغارات، ولا آمن أن يُحْدِثوا حَدَثاً يُفسد قلوبنا، فنعود إلى العداوة، والرأي أن تأذن لي في بناء سور يكون بيني وبينك، نجعل عليه أبواباً، فلا يدخل إليك إلّا مَنْ تريده، ولا يدخل إلينا إلّا مَنْ نريده. فأجابه إلى ذلك.

وبنى أنوشروان السور من البحر، وألحقه برؤوس الجبال، وعمل عليه أبواب الحديد، ووكّل به مَنْ يحرسه. فقيل لملك التُرك: إنّه خدعك وزوّجك غير ابنته،

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٢/١٥٣، ١٥٤.

(٢) في الطبعة الأوربية «طرف».

(٣) في الأصل «السناسنجيين»، وفي النسخة (ب) «النساجيين»، وفي النسخة (ت): «النشاستجين».

(٤) جُرْزان: بالضم ثم السكون، وزاي. اسم جامع لناحية بأرمينية قصبتها تفليس. (معجم البلدان ٢/١٢٥) وفي الأصل «خراسان» وفي النسخة (ب): «غزوان».

(٥) السُّغْد: بضم أوله وسكون ثانيه. وربما قيلت بالصاد. ناحية فيها قرى كثيرة بين بخارى وسمرقند. (معجم البلدان ٣/٢٢٢).

وتحصّن منك، فلم تقدر له على حيلة.

وملّك أنوشروان ملوكاً رتّبهم على النواحي، فمنهم صاحب السرير، وفيلان شاه[1] واللَكْز[2]، ومسقط، وغيرها، ولم تزل أرمينية بأيدي الفرس حتّى ظهر الإسلام، فرفض كثير من السياسجين حصونهم ومدائنهم حتى خربت، واستولى عليها الخَزَر والروم، وجاء الإسلام وهي كذلك.

ذِكْر أمر الفيل[3]

لما دام مُلك أبرهة باليمن وتمكّن به، بنَى القُلَّيْسَ[4] بصنعاء، وهي كنيسة لم يُرَ مثلها في زمانها بشيء من الأرض، ثمّ كتب إلى النجاشيّ: إنّي قد بنيتُ لك كنيسة لم يُرَ مثلها، ولستُ بمُنْتَهٍ حتى أصرف إليها حاجّ العرب.

فلمّا تحدّثت العرب بذلك غضب رجل من النَّسَأة[5] من بني فُقَيْم، فخرج حتى أتاها، فقعد فيها وتغوّط، ثمّ لحِق بأهله، فأُخبر بذلك أبرهة، وقيل له: إنّه فِعْل رجل من أهل البيت الذي تحجّه العرب بمكّة غضب لما سمع أنّك تريد صرف الحجّاج عنه، ففعل هذا.

فغضب أبرهةُ، وحَلَف ليسيرنّ إلى البيت فيهدمه، وأمر الحبشة فتجهّزت، وخرج معه بالفيل واسمه محمود.

---

(١) فيلان: بلد وولاية قرب باب الأبواب من نواحي الخزر. قال المسعودي: فيلانشاه هو اسم يختص بملك السرير. (معجم البلدان ٤/ ٢٨٩).

(٢) لَكْز: بالفتح ثم السكون، وزاي، بُليدة خلف الدربند تتاخم خزران. (معجم البلدان ٥/ ٢٢).

(٣) تاريخ الطبري ٢/ ١٣١، البدء والتاريخ ٣/ ١٨٦، الأخبار الطوال ٦٣، مروج الذهب ٢/ ١٢٧، تاريخ ابن خلدون ٢/ ٦١، سيرة ابن هشام ١/ ٦٢، الروض الأنف ١/ ٦٣، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١١٤، البداية والنهاية ٢/ ١٧٠، السير والمغازي لابن إسحاق ٦١، أخبار مكة ١/ ١٣٦ و ١٤٨، شفاء الغرام ١/ ٣٠٥.

(٤) في الأصل «القيس»، وكذلك في النسخة (ت). وفي النسخة (ب): «القيسن».
قال السهيلي في الروض الأنف ١/ ٦٣: سُمّيت القُلَّيْس لارتفاع بنائها وعُلُوّها، ومنه القلانس لأنها في أعلى الرؤوس. ويقال: تقلنس الرجل وتقلّس إذا لبس القلنسوة. وقلس طعاماً أي ارتفع من معدته إلى فيه.

(٥) النَّسأة: الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب في الجاهلية، فيحلّون الشهر من الأشهر الحُرُم، ويحرّمون مكانه الشهر من أشهر الحِلّ، ليواطئوا عدّة ما حرّم الله. (سيرة ابن هشام ١/ ٦٢) والذي نسأ الشهور منهم هو «نعيم بن ثعلبة» (الأمالي لأبي علي القالي ١/ ٤).
وكان نسؤهم للشهر على ضربين: أحدهما، ما ذكر ابن إسحاق من تأخير شهر المحرّم إلى صفر لحاجتهم إلى شنّ الغارات، وطلب الثارات. والثاني: تأخيرهم الحج عن وقته تحرّياً منهم للسنة الشمسية، فكانوا يؤخّرونه في كل عام أحد عشر يوماً، أو أكثر قليلاً، حتى يدور الدور إلى ثلاثٍ وثلاثين سنة، فيعود إلى وقته. (الروض الأنف ١/ ٦٤).

وقيل: كان معه ثلاثة عشر فيلاً، وهي تتبع محموداً، وإنّما وحّد الله سبحانه الفيلَ، لأنّه عنى [به] كبيرَها محموداً.

وقيل في عددهم غير ذلك.

فلمّا سار سمعت العرب به فأعظموه، ورأوا جهاده حقّاً عليهم، فخرج عليه رجل من أشراف اليمن يقال له ذو نفر وقاتله، فهُزم ذو نفر وأُخذ أسيراً، فأراد قتله، ثمّ تركه محبوساً عنده، ثمّ مضى على وجهه، فخرج عليه نُفَيْل بن حبيب الخثعميّ فقاتله، فانهزم نُفَيْل وأُخذ أسيراً، فضمن لأبرهة أن يدلّه على الطريق، فتركه وسار حتّى إذا مرّ على الطائف بعثت معه ثقيف أبا رِغالٍ يدلّه على الطريق حتى أنزله بالمُغمَّس[1]، فلمّا نزله مات أبو رِغالٍ، فرجَمَت العرب قبرَه، فهو القبرُ الذي يُرْجَم[2].

وبعث أبرهة الأسود بن مقصود إلى مكّة، فساق أموال أهلها، وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطّلب بن هاشم، ثمّ أرسل أبرهة حُباطة[3] الحِمْيَريّ إلى مكّة فقال: سَلْ: عن سيّد قريش، وقلْ له إنّي لم آتِ لحربكم، إنّما جئتُ لهدم هذا البيت، فإن لم تمنعوا عنه فلا حاجة لي بقتالكم.

فلمّا بلغ عبدَ المطّلب ما أمره قال له: والله ما نريد حربه، هذا بيت الله وبيت خليله إبراهيم، فإنْ يمنعه فهو يمنع بيته وحَرَمَه، وإن يخلّ بينه وبينه فَوَالله ما عندنا من دفْع، فقال له: انطلق معي إلى الملك. فانطلق معه عبد المطّلب حتى أتى العسكر، فسأل عن ذي نفر، وكان له صديقاً، فدُلّ عليه، وهو في محبسه، فقال له: هل عندك غَناء فيما نزل بنا؟ فقال: وما غَناء رجل أسير بيدَيْ ملك ينتظر أن يقتله؟ ولكن أُنَيْس سائس الفيل صديق لي فأوصيه بك وأعظّم حقّك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك، فتكلّمه بما تريد، ويشفع لك عنده إن قدر. قال: حسبي. فبعث ذو نفر إلى أُنَيْس، فحضره وأوصاه بعبد المطّلب، وأعلمه أنّه سيّد قريش. فكلّم أُنَيْس أبرهة وقال: هذا سيّد قريش يستأذن، فأذن له[4].

وكان عبد المطّلب رجلاً عظيماً جميلاً[5] وسيماً، فلمّا رآه أبرهة أجلّه وأكرمه، ونزل

---

(١) المغمَّس: بضمّ أوّله، وفتح ثانيه، بعده ميم أخرى مشدّدة مكسورة، وسين مهملة. موضع في طرف الحرم. وهو الموضع الذي ربض فيه الفيل حين جاءه أبرهة. (معجم ما استعجم ١٢٤٨/٤).

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦٤ - ٦٧.

(٣) في الأصل «حياطة»، وفي النسختين (ب) و(ت): «حماطة». وفي طبعة صادر ٤٤٣/١ والطبعة الأوربية «حُناطة»، وما أثبتناه عن سيرة ابن هشام ١/ ٧٠.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٦٩.

(٥) في الأصل، وطبعة صادر ٤٤٤/١ والطبعة الأوربية «جليلاً». وفي النسخ: (ب) وت) و(ر): «جسيماً، =

عن سريره إليه، وجلس معه على بساط، وأجلسه إلى جنبه، وقال لتَرجُمانه: قلْ له ما حاجتك[1]؟ فقال له الترجمان عن ذلك، فقال عبد المطّلب: حاجتي[2] أن يردّ عليّ مائتي بعير أصابها لي. فقال أبرهة لترجمانه: قلْ له قد كنت أعجبتَني حين رأيتك، ثمّ زهدتُ[3] فيك حين كلّمتني، أتكلّمني في إبِلِك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لهدمه؟.

قال عبد المطّلب: أنا ربّ الإبل، وللبيت ربّ يمنعه.

قال: ما كان ليُمنع مني. وأمر بردّ إبِله، فلمّا أخذها قلّدها وجعلها هدْياً، وبثّها في الحَرَم، لكي يُصاب منها شيء فيغضب الله. وانصرف عبد المطّلب إلى قريش وأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج معه من مكّة، والتحرّز في رؤوس الجبال خوفاً من معرّة الجيش، ثمّ قام عبد المطّلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة، فقال عبد المطّلب، وهو آخذ [بحلقة][4] باب الكعبة.

يا ربِّ لا أرجو لَهمْ سِواكَا ... يا ربّ فامنَع منهُمُ حِماكَا
إنّ عدوّ البيتِ مَنْ عاداكَا ... إمنعهمُ أن يخربُوا قُراكا[5]

وقال أيضاً:

لا هُمَّ إنّ العَبدَ يَمْـ ... ـنَعُ رحلَه فامنَعْ حِلالَك[6]
لا يغلبنّ صَليبُهم[7] ... ومِحالُهم غَدْراً[8] مِحالَك[9]

= جميلًا». وما أثبتناه يتفق مع سيرة ابن هشام ١/٦٩.

(١) في النسخة (ر): «حاجتك إلى الملك».

(٢) في النسخة (ر): حاجتي إلى الملك».

(٣) في النسخة (ر): «ثم ذهب الإعجاب وزهدت».

(٤) إضافة من سيرة ابن هشام ١/٧٠، وفي الطبعة الأوربية «وهو آخذ بباب الكعبة».

(٥) في الأصل، وطبعة صادر ١/٤٤٤ والطبعة الأوربية «فِناكا» وما أثبتناه عن النسختين (ب) و(ت)، والطبري ٢/١٣٤، ومروج الذهب ٢/١٢٨ وفي السير والمغازي لابن إسحاق - ص ٦٤ ورد الشطر الأخير:
إنهم لن يقهروا قواكا

(٦) الحِلال: القوم الحُلول في المكان. والحلال: مركب من مراكب النساء. والحِلال أيضاً: متاع البيت. (الروض الأنف ١/٧٠) وورد في مروج الذهب ١/١٢٨ «يا رب» بدل «لا هُمّ»، وفي السير والمغازي ٦٢ «اللهمّ» بدل «لاهُمّ».

(٧) في السير والمغازي ٦٢ «لا يغلبوا بصليبهم».

(٨) في مروج الذهب ٢/١٢٨ «أبداً»، وفي تاريخ الطبري ٢/١٣٥ وسيرة ابن هشام ١/٧٠ «غدواً»، والمثبت يتفق مع السير والمغازي ٦٢.

(٩) في النسخة (ر) إضافة بيت ثالث هو:
ولئن فعلتَ فربما ... أولا فأمْرٌ ما بدا لك
وهو في تاريخ الطبري ٢/١٣٥ وفيه «أولى». وورد في سيرة ابن هشام: =

ولئِـن فـعَـلتَ أمـرٌ تُـتِمُّ بِـهِ فِـعـالَـكْ
أنـتَ الـذي إن جـاء بـا غٍ نَـرْتجيك لَـهُ كـذلِـكْ
وَلَّـوْا ولـم يـحْـوُوا سِـوَى خـزْيٍ وتُهْلِكهمْ هنـالِـكْ
لـم أسـتَـمِـعْ يـوْمـاً بـأرْ جس منهُمُ يَبغُـوا قتـالَـكْ
جَـرّوا جُـمُـوعَ بـلادِهـمْ والفيـلَ كيْ يَسْبُوا عِيـالَـكْ
عَمَـدُوا حِمَـاكَ بكَيـدِهـم جَهْـلاً ومـا رَقبـوا جـلالَـكْ[1]

ثمّ أرسل عبد المطّلب حلْقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَف الجبال، فتحرّزوا فيها ينتظرون ما يفعل أبرهة بمكّة إذا دخل.

فلمّا أصبح أبرهة تهيّأ لدخول مكّة، وهيّأ فِيله، وكان اسمه محموداً، وأبرهة مُجْمِعٌ لهدم البيت والعَوْد إلى اليمن، فلمّا وجّهوا الفيل أقبل نُفَيْل بن حبيب الخثعميّ فمسك بأذنه وقال: ارجع محمود، ارجع راشداً من حيث جئتَ، فإنّك في بلد الله الحرام! ثمّ أرسل أُذنه، فألقى الفيل نفسه إلى الأرض، واشتدّ نُفَيل فصعد الجبل، فضربوا الفيل، فأَبَى، فوجّهوه راجعاً إلى اليمن، فقام يُهَرْول، ووجّهوه إلى الشام ففعل كذلك، ووجّهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجّهوه إلى مكّة فسقط إلى الأرض.

وأرسل الله عليهم طيراً أبابيلَ من البحر مثل الخطّاطيف، مع كلّ طير منها ثلاثة أحجار تحملها، حجر في منقاره، وحجران في رِجْلَيه، فقذفتهم بها، وهي مثل الحمّص والعدس، لا تصيب أحداً منهم إلاّ هلك، وليس كلّهم أصابت، وأرسل الله سَيلاً ألقاهم في البحر، وخرج من سلِم مع أبرهة هارباً، يبتدرون الطريق الذي جاؤوا منه، ويسألون عن نُفيل بن حبيب ليدلّهم على الطريق إلى اليمن، فقال نُفَيْل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته:

أيـنَ المـفـرّ والإلَـهُ الـطّالِـبْ والأشرَمُ المَغلُوبُ غيرُ[2] الغـالِـبْ

وقال أيضاً:

= إن كـنـت تـاركـهـم وقـبـ ـلتـنـا فـأمُـر مـا بـدا لـك

وفي السير والمغازي:

إن يـدخـلوا الـبـلد الـحـرام غـدا فـأمـر مـا بـدا لـك

(١) الأبيات في تاريخ الطبري ٢/١٣٥ عدا البيتين: الخامس والسادس. وقد جاء في النسخة (ر) زيادة:

إن كـنـت تـاركـهـم وكـعـبـ ـتـنـا فـأمـر مـا بـدا لـك

(٢) في سيرة ابن هشام ١/٦٨ «ليس» بدل «غير». والبيت في تاريخ الطبري ٢/١٣٦.

ألا حُيّيتِ عَنّا يا رُدَيْنا[1] نَعِمناكم مَعَ الإصباحِ عَينا
أتانا قابِسٌ مِنكُمْ عِشاءً فلَم يُقْدَرْ لقابِسكُمْ لَدَيْنا
رُدينةُ[2] لَوْ رَأيتِ وَلم تَرَيْهِ لَدَى جَنبِ المحصَّبِ ما رَأينا
إذاً لعَذَرْتني وحَمِدْتِ رَأيي ولَم تأسَيْ لِما قَد فاتَ بَيْنَا[3]
حمِدْتُ الله إذْ عايَنتُ[4] طَيراً وَخِفْتُ حجارَ تُلقَى عَلَيْنَا
وكلُّ القوْمِ يَسألُ عَن نُفَيْلٍ[5] كأنّ عليّ للحُبْشانِ دَيْنا[6]

وأصيب أبرهة في جسده، فسقطت أعضاؤه عضواً عضواً، حتّى قدِموا به صنعاء، وهو مثل الفرخ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه[7].

فلمّا هلك مَلَك ابنُه يكسوم بن أبرهة، وبه كان يُكنى، وذلّت حِمْير واليمن له، ونكحت الحبشة نساءهم، وقتلوا رجالهم، واتّخذوا أبناءهم تراجمة بينهم وبين العرب[8].

ولما أهلك الله الحبشة، وعاد ملكهم ومعه من سلم منهم، ونزل عبد المطّلب من الغد إليهم لينظر ما يصنعون، ومعه أبو مسعود الثقفي لم[9] يسمعا حسّاً، فدخلا معسكرهم فرأيا القومِ هلكى، فاحتفر عبدُ المطّلب حفرتين ملأهما ذهباً وجوهراً له ولأبي مسعود، ونادى في النّاس، فتراجعوا، فأصابوا من فضلهما شيئاً كثيراً، فبقي عبد المطّلب في غنىً من ذلك المال حتى مات[10].

وبعث الله السيل فألقى الحبشة في البحر[11]. ولما ردّ الله الحبشة عن الكعبة

---

(١) ورد هذا الشطر في مروج الذهب ٢/١٢٩ والسير والمغازي ٦٤ هكذا:
ألا رُدّي جِمَالك يا رُدَيْنا
(٢) في مروج الذهب، والسير والمغازي: «فإنّك» بدل «رُدينة».
(٣) ورد البيت في السير والمغازي هكذا:
إذاً لخشيته وفزعت منه ولم تأسَيْ على ما فات عينا
(٤) في سيرة ابن هشام ١/٧٢ «أبصرت».
(٥) في السير والمغازي: «وكلهم يسائل عن نفيل».
(٦) زاد في النسختين (ت) و(ر): «فخرجوا يتساقطون بكل منهل».
(٧) سيرة ابن هشام ١/٦٨، الطبري ٢/١٣٥ - ١٣٧.
(٨) الطبري ٢/١٣٩.
(٩) في الطبعة الأوربية «فلم».
(١٠) الخبر في النسختين (ب) و(ت).
(١١) في النسخة (ر) زيادة هنا: «وقال كثير من أهل السِيَر إنّ الحصبة والجُدَريّ أول ما رؤيا في العرب بعد الفيل، وكذلك قالوا إن العشر والحرمل والشجر لم تُعرف بأرض العرب إلا بعد الفيل. وهذا مما لا ينبغي أن يعرض عليه، فإنّ هذه الأمراض والأشجار قبل الفيل مذخلق الله العالم».

وأصابهم ما أصابهم عظّمت العرب قريشاً، وقالوا: أهل الله قاتل عنهم.

ثمّ مات يكسوم، وَمَلَك بعده أخوه مسروق[1].

ذِكْر عَود اليمن إلى حِمْيَر وإخراج الحبشة عنه

لما هلك يكسوم مَلَكَ اليمن أخوه مسروق بن أبرهة، وهو الذي قتله وهرز، فلمّا اشتدّ البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن[2] ذي يَزَن، وكنيته أبو مرّة.

وقيل: كنية ذي يَزَن أبو مرّة، حتى قدِم على قيصر، وتنكّب كسرى لإبطائه عن نصر أبيه، فإنّه كان قصد كسرى أنو شِروان لما أُخذت زوجته يستنصره على الحبشة، فوعده، فأقام ذو يَزَن عنده، فمات على بابه. وكان ابنه سيف مع أمّه في حجْر أبرهة، وهو يحسب أنه ابنه، فسبه ولد لأبرهة وسبَّ أباه، فسأل أمّه عن أبيه، فأعلمته خبرَه بعد مراجعة بينهما[3]، فأقام حتى مات أبرهة، وابنه يكسوم.

ثمّ سار إلى الروم، فلم يجد عند ملكهم ما يحبّ، لموافقته الحبشة في الدّين، فعاد إلى كسرى، فاعترضه يوماً وقد ركب فقال له: إنّ لي عندك ميراثاً، فدعا به كسرى لما نزل فقال له: مَنْ أنت وما ميراثك؟ قال: أنا ابن الشيخ اليمانيّ الذي وعدتَهُ النُّصْرَة، فمات ببابك، فتلك العِدَةُ حقّ لي وميراث. فرقّ كسرى له وقال له: بعُدتْ بلادك عنّا، وقلّ خيرُها، والمسلك إليها وعرٌ، ولست أغرّر بجيشي. وأمر له بمال، فخرج وجعل ينثر الدراهم، فانتهبها النّاسُ، فسمع كسرى، فسأله ما حمله على ذلك، فقال: لم آتك للمال وإنّما جئتك للرجال، ولتمنعني من الذلّ والهوان، وإنّ جبال بلادنا ذهب وفضّة.

فأُعجب كسرى بقوله وقال: يظنّ المسكين أنّه أعرف ببلاده منّي؛ واستشار وزراءه في توجيه الجُنْد معه، فقال له مَوْبَذان مَوْبَذ: أيّها الملك إنّ لهذا الغلام حقّاً بنزوعه[4] إليك، وموت أبيه ببابك، وما تقدّم من عِدتَه بالنَّصْرة، وفي سجونك رجال ذَوو نجدة وبأس، فلو أنّ الملك وجّههم معه، فإنْ أصابوا ظَفَراً كان للملك، وإن هلكوا، فقد استراح وأراح أهل مملكته منهم.

فقال كسرى: هذا الرأي. فأمر بمن في السجون، فأُحضروا، فكانوا ثمانمائة، فقوّد عليهم قائداً من أساورته، يقال له وَهْرِز.

= (أنظر مثل هذا القول في سيرة ابن هشام ١/٧٣).

(١) سيرة ابن هشام ١/٨١.

(٢) في النسخة (ر) «ابن».

(٣) الطبري ٢/١٤٣.

(٤) في النسخة (ب): «بنزوله».

وقيل: بل كان من أهل السجون، سخِط عليه كسرى لَحَدَثٍ أحدثه فحبسه، وكان يعدله[1] بألف أسوار[2]، وأمر بحملهم في ثماني سفن، فركبوا البحر، فغرقت[3] سفينتان، وخرجوا بساحل حَضْرَمَوْت، ولحِق بابن ذي يَزَن بشرٌ كثير، وسار إليهم مسروق في مائة ألف من الحبشة وحِمْير والأعراب، وجعل وَهْرِز البحر وراء ظهره، وأحرق السفن لئلاّ يطمع أصحابه في النجاة، وأحرق كلَّ ما معهم من زاد وكسوة، إلاّ ما أكلوا وما على أبدانهم، وقال لأصحابه: إنّما أحرقتُ ذلك لئلاّ يأخذه الحبشة إن ظفروا بكم، وإنْ نحن ظفرنا بهم فسنأخذ أضعافه، فإن كنتم تقاتلون معي وتصبرون أعلمتموني ذلك، وإن كنتم لا تفعلون اعتمدتُ على سيفي حتى يخرج من ظهري، فانظروا ما حالكم إذا فعل رئيسكم هذا بنفسه. قالوا: بل نقاتل معك حتى نموت [عن آخرنا][4] أو نظفر[5]. وقال لسيف بن ذي يزن: ما عندك؟ قال: ما شئت من رجل عربيّ وسيف عربيّ، ثمّ اجعل رِجْلي مع رِجْلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً. قال: أنصفتَ.

فجمع إليه سيف من استطاع من قومه، فكان أوّل من لحقه السكاسك من كِنْدَة. وسمع بهم مسروق بن أبرهة، فجمع إليه جُنْده، فعبّأ وَهْرِز أصحابه، وأمرهم أن يوتروا قسِيَّهُم، وقال: إذا أمرتُكم بالرمي فارموا رَشْقاً.

وأقبل مسروق في جمع لا يُرى طرفاه، وهو على فيل، وعلى رأسه تاج، وبين عينَيْه ياقوتة حمراء مثل البيضة، لا يرى دون الظفر شيئاً.

وكان وهْرِز كَلَّ بصره، فقال: أروني عظيمهم. فقالوا: هذا صاحب الفيل، ثمّ ركبَ فرساً، فقالوا: ركب فرساً، ثمّ انتقل إلى بغلة، فقالوا: ركب بغلة. فقال وهْرِز: ذلّ وذلّ ملكه! وقال وهْرِز: ارفعوا لي حاجبيّ، وكانا قد سقطا على عينَيه من الكِبَر، فرفعوهما له بعصابة، ثمّ جعل نشّابه في كَبِد قوسه وقال: أشيروا إلى مسروق، فأشاروا إليه، فقال لهم: سأرميه، فإنْ رأيتم أصحابه وقوفاً لم يتحرّكوا فاثبتوا حتى أؤذِنكم، فإنّي قد أخطأتُ الرجلَ، وإن رأيتموهم قد استداروا ولاثوا[6] به، فقد أصبتُهُ، فاحملوا عليهم.

ثمّ رماه، فأصاب السهم بين عينيه، ورمى أصحابه، فقُتل مسروق وجماعة من أصحابه، فاستدارت الحبشة بمسروق، وقد سقط عن دابّته، وحملت الفرس عليهم، فلم

---

(١) في الطبعة الأوربية «يقيد»، والتصحيح من الأصول، والطبري ٢/١٤٤.

(٢) سبق التعريف بالإسوار والأساورة. وهو هنا القائد.

(٣) في طبعة صادر ١/٤٤٨ «فغرق»، والتصويب من سيرة ابن هشام ١/٨٣.

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من النسخة (ر)، والطبري ٢/١٤٦.

(٥) الطبري ٢/١٤٤ ـ ١٤٦.

(٦) في النسخة (ب) «لاذوا»، وهما بمعنى.

يكن دون الهزيمة شيء، وغنم الفرس من عسكرهم ما لا يُحدّ ولا يُحصى[1].

وقال وهْرِز: كفّوا عن العرب واقتلوا السودان، ولا تُبقوا منهم أحداً. وهرب رجل من الأعراب يوماً وليلة، ثمّ التفت فرأى في جعبته[2] نشّابة فقال: لأمّك الويل! أبُعْدٌ أم طول مسير!.

وسار وهْرِز حتى دخل صنعاء، وغلب على بلاد اليمن، وأرسل عمّاله في المخاليف[3].

وكان مدّة مُلْك الحبشة اليمنَ اثنتين وسبعين سنة[4]، توارث ذلك منهم أربعةُ ملوك: أرياط، ثمّ أبرهة، ثمّ ابنه يكسوم، ثمّ مسروق بن أبرهة[5].

وقيل: كان مُلْكهم نحواً من مائتي[6] سنة.

وقيل غير ذلك، والأوّل أصحّ.

فلمّا ملك وهْرِز اليمن، أرسل إلى كسرى يُعلمه بذلك، وبعث إليه بأموال، وكتب إليه كسرى يأمره أن يملّك سيف بن ذي يَزَن، وبعضهم يقول معدي كرِب بن سيف [بن ذي يَزَن] على اليمن وأرضها، وفرض عليه كسرى جزية وخراجاً معلوماً في كلّ عام، فملّكه وهرز، وانصرف إلى كسرى.

وأقام سيف على اليمن ملكاً، يقتل الحبشة، ويبقر بطون الحبالى عن الحمل، ولم يترك منهم إلّا القليل، جعلهم خَوَلاً، فاتّخذ منهم جمّازين يسعون بين يديه بالحِراب، فمكث غير كثير، ثمّ إنّه خرج يوماً والحبشة يسعون بين يديه بحِرابهم فضربوه بالحراب حتى قتلوه[7]، فكان مُلْكه خمس عشرة سنة.

ووثب بهم رجل من الحبشة، فقتل باليمن وأفسد، فلمّا بلغ ذلك كسرى بعث إليهم وهْرِز في أربعة آلاف فارس، وأمره أن لا يترك باليمن أسود، ولا وَلَد عربيّة من أسود [إلّا قتله، صغيراً أو كبيراً، ولا يدع رجلاً جعداً قَطَطاً قد][8] شرك فيه السُّودان إلا

(١) الطبري ٢/١٤٦، ابن هشام ١/٨٣.
(٢) في الطبعة الأوربية «حقبيه»، وفي تاريخ الطبري ٢/١٤٧ «الحقيبة».
(٣) الطبري ٢/١٤٧.
(٤) سيرة ابن هشام ١/٨٧، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١١٤.
(٥) سيرة ابن هشام ١/٨٧.
(٦) في النسخة (ب): «ثلاثين». وفي النسخة (ر): «نحو اثنين وثلاثين سنة».
(٧) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١١٥.
(٨) ما بين الحاصرتين عن الطبري ٢/١٤٨.

قتله[1]. وأقبل حتى دخل اليمن، ففعل ما أمره، وكتب إلى كسرى يخبره، فأقرّه على ملك اليمن، فكان يجبيها لكسرى حتى هلك.

وأمّر بعده كسرى ابنه المرزبان بن وهْرِز حتّى هلك.

ثمّ أمّر بعده كسرى التينجان[2] بن المرزْبان.

ثمّ أمّـر بعده خُرَّ خسْرَه بن[3] التينجان[4] بن المرزُبان.

ثمّ إنّ كسـرى أبرويـز غضب عليه، فـأحضره من اليمن، فلمّـا قدِم تلقّـاه رجل من عظماء الفرس، فألقى عليه سيفاً كان لأبي كسرى، فأجاره كسرى بذلك من القتْل، وعزله عن اليمن، وبعث باذان إلى اليمن، فلم يزل عليها حتى بعث الله نبيّه محمداً، ﷺ[5].

وقيل: إنّ أنوشـروان استعمل بعـد وهْرِز زرين[6]، وكـان مسرفـاً، إذا أراد أن يركب قتل قتيلاً، ثمّ سار بين أوصاله، فمات أنوشِروان وهو على اليمن، فعزله ابنُه هُرْمُز.

وقد اختلفوا في وُلاة اليمن للأكاسرة اختلافاً كثيراً، لم أرَ لذكره فائدة[7].

ذِكْر ما أحدثه قريش بعد الفيل

لما كان من أمر أصحاب الفيل ما ذكرناه عـظُمتْ قريش عنـد العرب، فقـالوا لهم: أهـل الله وقَطَنُـه يحامي عنهم، فـاجتمعت قريش بينهـا وقالـوا: نحن بنو إبـراهيم، عليـه السلام، وأهل الحرم ووُلاة البيت وقاطنوا[8] مكّة، فليس لأحد من العرب مثل منزلتنا، ولا يعرف العرب لأحد مثل مـا يُعرف لنـا، فهلمّوا فلنتّفق على ائتـلاف أنّنا لا نعـظّم شيئاً من الحلّ كما يعـظّم الحرم، فـإنّنا إذا فعلنـا ذلك استخفّت العـرب بنا وبحـرمنا وقـالوا: قـد عظّمت قريش من الحِلّ، مثل ما عظّمت من الحرم، فتركوا الوقوف بعَرَفَة والإفاضة منها، وهم يعرفون ويقرّون أنّها من المشاعر والحجّ ودين إبراهيم، وَيَـرْون[9] لسائر[10] العرب أن

---

(1) في الطبعة الأوربية: «من أسود ومن شرك فيه أسود قتله».

(2) في تاريخ الطبري ٢/١٤٨ «البينجان»، والمثبت يتفق مع سيرة ابن هشام ١/٨٧.

(3) في النسخة (ر): «حرحره بن».

(4) في الطبري «البينجان».

(5) سيرة ابن هشام ١/٨٧، الطبري ٢/١٤٨.

(6) في الأصل «رين».

(7) في الأصل بعد ذلك عنوان هو: «ذكر نسب رسول الله ﷺ وذكر بعض أخبار آبائه وأجداده».

(8) في الطبعة الأوربية «وقاطن».

(9) في طبعة صادر ١/٤٥٢ «ويروى»، وهو وهم، والتصحيح من سيرة ابن هشام ١/٢٣٠.

(10) في الأصل، وطبعتي صادر وأوربة «سائر»، والتصحيح من نسختي (ت) و(ر)، وسيرة ابن هشام.

يقفوا عليها وأن يفيضوا منها.

وقالوا: نحن أهل الحَرَم فلا نعظّم غيره، ونحن الحُمُس[1] وأصل الحماسة الشدّة أنّهم تشدّدوا في دينهم، وجعلوا لمن ولد واحدة من نسائهم من العرب ساكني الحِلّ، مثل ما لهم بولادتهم، ودخل معهم في ذلك كِنانة وخُزاعة وعامر لولادةٍ لهم، ثمّ ابتدعوا فقالوا: لا ينبغي للحُمُس أن يعملوا الأقِطَ، ولا يسلأوا السمن وهم حُرم، ولا يدخلوا بيتاً من شَعَر، ولا يستظلّوا إلّا في بيوت الأدم ما كانوا حُرماً.

وقالوا: ولا ينبغي لأهل الحلّ أن يأكلوا من طعام جاؤوا به معهم من الحِلّ في الحَرَم، إذا جاؤوا حُجّاجاً أو عُمّاراً. ولا يطوفون بالبيت طَوَافَهم إذا قدِموا إلّا في ثياب الحُمس[2]، فإن لم يجدوا طافوا بالبيت عُراة، فإن أنِفَ أحد من عظمائهم أن يطوف عرياناً إذا لم يجد ثياب الحُمُس[2] فطاف في ثيابه، ألقاها إذا فرغ من الطواف ولا يمسّها هو، ولا أحد غيره، وكانوا يسمّونها اللَّقَى.

فدانت العربُ لهم بذلك، فكانوا يطوفون كما شرعوا لهم، ويتركون أزوادهم التي جاؤوا بها من الحِلّ، ويشترون من طعام الحَرَم ويأكلونه.

هذا في الرجال.

وأمّا النساء فكانت المرأة تضع ثيابها كلّها إلّا درعها مفرَّجاً، ثمّ تطوف فيه وتقول:

[اليوم يَبْدو بعضُه، أو كلّه ... وما بَدا منهُ فلا أُحِلّهُ][3]

فكانوا كذلك حتى بعث الله محمّداً، ﷺ، فنسخه، فأفاض من عرفاتٍ، وطاف الحجّاج بالثياب التي معهم من الحِلّ، وأكلوا من طعام الحِلّ، في الحَرَم أيّام الحجّ، وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿**ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[4]؛ أراد بالناس العرب، أمر قُريشاً أن يفيضوا من عرفات، وأنزل الله تعالى في اللِّباس والطعام الذي من الحِلّ وتركهم إيّاه في الحرم: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا** ـ إلى قوله: ـ **لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾[5].

---

(١) أنظر معناه في الروض الأنف ١/٢٢٩.
(٢) في النسخة (ب): «الحمر».
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل. والإضافة من سيرة ابن هشام ١/٢٣٢.
(٤) البقرة/١٩٩.
(٥) الأعراف/٣١ ـ ٣٢.
والخبر في سيرة ابن هشام ١/٢٢٩ ـ ٢٣٣.

ذِكْر حلْف المطيّبين والأحلاف

قد ذكرنا ما كان قُصيّ أعطى ولَده عبد الدار من الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، ثمّ إنّ هاشماً وعبد شمس والمطّلب ونوفلاً بني عبد مَناف بن قُصيّ رأوا أنّهم أحقّ بذلك من بني عبد الدار، لشرفهم عليهم، ولفضلهم في قومهم، وأرادوا أخذَ ذلك منهم، فتفرّقت عند ذلك قريش، كانت طائفة مع بني عبد مَناف، وطائفة مع بني عبد الدار يرون أنّه لا يجوز أن يؤخذ منهم ما كان قُصيّ جعله لهم، إذ كان أمر قصيّ فيهم شرعاً متّبعاً، معرفةً منهم لفضله تيمُّناً بأمره.

وكان صاحب أمر بني عبد مَناف بن قُصيّ عبد شمس، لأنّه كان أكبرهم، وكان صاحب بني عبد الدّار الذي قام في المنع عنهم عامر بن هاشم[1] بن عبد مَناف بن عبد الدار، فاجتمع بنو أسد بن عبد العُزّى بن قصيّ، وبنو زُهْرة بن كلاب، وبنو تَيْم بن مُرّة، وبنو الحارث بن فِهْر بن مالك بن النّضْر مع بني عبد مَناف، واجتمع بنو مخزوم، وبنو سهم، وبنو جُمح، وبنو عديّ بن كعب، مع بني عبد الدار، وخرجت عامر بن لؤيّ ومُحارب بن فِهر من ذلك، فلمْ يكونوا مع أحد الفريقين، وعقد كلّ طائفة بينهم حِلْفاً مؤكّداً، على أن لا يتخاذلوا، ولا يُسْلم بعضهم بعضاً ما بلّ بحرٌ صوفةً. فأخرج[2] بنو عبد مَناف بن قُصيّ جفنة مملوءة طِيباً.

قيل: إنّ بعض نساء بني عبد مَناف أخرجتها لهم، فوضعوها في المسجد، وغمسوا أيديهم فيها، وتعاهدوا وتعاقدوا، ومسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم، فسُمّوا بذلك المُطيّبين.

وتعاقد بنو عبد الدار ومَنْ معهم من القبائل عند الكعبة، على أن لا يتخاذلوا، ولا يُسلم بعضهم بعضاً، فسُمّوا الأحلاف، ثمّ تصافّوا للقتال، وأجمعوا على الحرب، فبينما هم على ذلك إذ تداعوا للصلح، على أن يعطوا بني عبد مَناف السقاية والرفادة، وأن تكون الحجابة واللّواء والندوة لبني عبد الدّار، فاصطلحوا ورضي كلّ واحد من الفريقين بذلك، وتحاجزوا على الحرب، وثبت كلّ قوم مع مَن حالفوا حتى جاء الإسلام وهم على ذلك، فقال رسول الله، ﷺ: «ما كان من حلف في الجاهليّة، فإنّ الإسلام لم يزده إلّا شدّةً»[3].

---

(١) في الطبعة الأوربية «هشام»، والتصويب من سيرة ابن هشام ١/١٥٣.

(٢) في طبعة صادر ١/٤٥٤ «فأخرجت»، وما أثبتناه عن سيرة ابن هشام ١/١٥٣.

(٣) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة (٢٥٣٠/٢٠٦) باب مؤآخاة النبي ﷺ بين أصحابه رضي الله عنهم، من طريق عبد الله بن نمير وأبي أسامة، عن زكريا، عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه، عن جبير بن مطعم، قال: =

ولا حلف في الإسلام.

فولي السّقاية والرّفادة هاشم بن عبد مناف، لأنّ عبد شمس كان كثير الأسفار، قليل المال، كثير العيال، وكان هاشم موسِراً جواداً.

وكان ينبغي أن نذكر هذا قبل الفيل وما أحدثه قريش، وإنّما أخّرناه للزوم تلك الحوادث بعضها ببعض.

ذِكْر ما فعله كسرى في أمر الخراج والجُند

كان ملوك الفرس يأخذون من غلّات كُوَرِهم قبل مُلك كسرى الخُمس والسدس، على قدر شَرْبها وعمارتها، ومن الجزية شيئاً معلوماً، فأمر الملك قُباذ بمسح الأرضين ليصحّ الخراج عليها، فمات قبل الفراغ من ذلك، فلمّا ملك أنوشروان أمر باستتمام ذلك، ووضع الخراج على الحنطة والشعير والكرم والرطب والنخل والزيتون والأرزّ، على كلّ نوع من هذه الأنواع شيئاً معلوماً، ويؤخذ في السنة في ثلاثة أنجم[1]، وهي الوضائع[2] التي اقتدى بها عمر بن الخطّاب.

وكتب كسرى إلى القُضاة في البلاد نسخةً بالخراج، ليمتنع العمّال من الزيادة عليه، وأمر أن يوضع عمّن أصابت غلّتَه جائحة بقدر جائحته، وألزموا النّاس الجزية، ما خلا العظماء وأهل البيوتات والجُند والهرابذة والكتّاب، ومَن في خدمة الملك، كلّ إنسان على قدره، من اثني عشر درهماً، وثمانية دراهم، وستّة دراهم، وأربعة دراهم. وأسقطها [عمر] عمّن لم يبلغ عشرين سنة، أو جاوز خمسين سنة[3].

ثمّ إنّ كسرى ولّى رجلاً من الكتّاب ـ من الكُفاة والنبلاء، اسمه بابَك ـ عرْضَ جيشه، فطلب من كسرى التمكّن من شغله إلى ذلك، فتقدّم ببناء مصطبة موضع عرْض الجيش وفرشها، ثمّ نادى أن يحضر الجند بسلاحهم وكُراعهم للعرض، فحضروا، فحيث لم يرَ معهم كسرى أمرهم بالإنصراف، فعل ذلك يومَين، ثمّ أمر فنودي في اليوم الثالث أن لا يتخلّف أحد، ولا مَن أُكرم بتاج، فسمع كسرى، فحضر وقد لبس التاج والسلاح،

= قال رسول الله ﷺ: «لا حلف في الإسلام. وأيّما حلفٍ كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلّا شدّة»: وأخرجه البخاري في الكفالة ٢، والأدب ٦٧، وأبو داود في الفرائض ١٧، والترمذي في السير ٢٩، والدارمي في السير ٨٠، وأحمد في المسند ١/١٩٠ و٣١٧ و٣٢٩ و٢/١٨٠ و٢٠٥ و٢٠٧ و٢١٣ و٢١٥ و٣/١٦٢ و٢٨١ و٤/٨٣ و٥/٦١.

(١) في الطبعة الأوربية «في نية أنجم».

(٢) الوضائع: ما يضعه السلطان ويأخذه من الخراج والعشور.

(٣) الطبري ٢/١٥٠ ـ ١٥٢ وانظر تاريخ اليعقوبي ١/١٦٥ والأخبار الطوال ٧١.

ثمّ أتَى بابَك ليعرض عليه، فرأى سلاحه تامّاً، ما عدا وترين للقوس، كان عادتهم أن يستظهروا بهما، فلم يرهما بابَك معه، فلم يجزْ على اسمه، وقال له: هلمّ كلّ ما يلزمك. فذكر كسرى الوترين فتعلّقهما، ثمّ نادى منادي بابَك وقال: للكُميّ السيّد، سيّد الكُماة[1]، أربعة آلاف درهم، وأجاز على اسمه. فلمّا قام عن مجلسه حضر عند كسرى يعتذر إليه من غِلْظته عليه، وذكر له أنّ أمره لا يتمّ إلّا بما فعل. فقال كسرى: ما غُلِظ علينا أمرٌ نريد[2] به إصلاح دولتنا[3].

ومن كلام كسرى: الشكر والنعمة كفّتان ككفّتي[4] الميزان، أيّهما رجح بصاحبه احتاج الأخفّ إلى أن يُزاد فيه حتى يعادل صاحبه، فإذا كانت النِّعَم كثيرة والشكر قليلاً انقطع الحِمْل[5]، فكثير النِّعَم يحتاج إلى كثير من الشكر، وكلّما زِيد في الشكر ازدادت النِّعَم وجاوزته، ونظرتُ في الشكر فوجدتُ بعضه بالقول وبعضه بالفعل، ونظرتُ أحبَّ الأعمال إلى الله فوجدتُه الشيء الذي أقام به السموات والأرض، وأرسى به الجبال، وأجرى به الأنهار، وبرأ به البريّة، وهو الحقّ والعدل، فلزِمْته.

ورأيتُ ثمرة الحقّ والعدل عمارة البلدان التي بها قِوام الحياة للنّاس والدوابّ والطير وجميع الحيوانات. ولما نظرتُ في ذلك وجدتُ المُقاتِلَة أُجَرَاءَ لأهل العمارة، وأهل العمارة أُجَراء للمُقاتِلة، فأمّا المُقاتِلة فإنّهم يطلبون أجورهم من أهل الخراج وسكّان البلدان لمدافعتهم عنهم ومجاهدتهم مِن[6] ورائهم، فحُقّ على أهل العمارة أن يُوفُوهم أجورهم، فإنّ العمارة والأمن والسلامة في النفس والمال لا يتمّ إلّا بهم.

ورأيتُ أنّ المُقاتِلة لا يتمّ لها المُقام والأكل والشُرب وتثمير الأموال والأولاد إلّا بأهل الخراج والعمارة، فأخذتُ للمقاتلة من أهل الخراج ما يقوم بأَوَدِهم، وتركت على أهل الخراج مِن مُسْتَغَلّاتهم ما يقوم بمؤونتهم وعمارتهم، ولم أجحف بواحد من الجانبَين، ورأيتُ المُقاتِلة وأهل الخراج كالعينَين المبصرتين، واليدَين المتساعدتين،

---

(١) في الطبعة الأوربية «وقال للمكيّ سدّ الكماة»، والتصحيح من الطبري ٢/١٥٣.

(٢) في الطبعة الأوربية «علينا امرء يريد».

(٣) الطبري ٢/١٥٢، ١٥٣، الأخبار الطوال ٧٢، ٧٣.

(٤) في النسخة (ر): «والنعمة عدلان ككفتي».

(٥) في طبعة صادر ١/٤٥٦ «الحمد» بالدال المهملة في الآخر، وقد أشار المصحّح في الحاشية إلى أنّ اللفظ ورد في الطبعة الأوربية خطأ «الحمل» فصحّحه.
وأقول إن ما ورد في الطبعة الأوربية هو الصحيح، وقد أثبتناه. وهو يتفق مع نهاية الأرب ١٥/٢٠٥ حيث وردت العبارة «انقطع الحِمْلُ، وهلك ظهر الحامل».

(٦) في النسخة (ر): «ومجاهدتهم عليهم من».

والرِّجْلين، على أيّهما دخل الضرر تعدّى إلى الأخرى[1].

ونظرنا في سِيَر آبائنا، فلم نترك منها شيئاً يقترن بالثواب من الله، والذِّكر الجميل بين النّاس، والمصلحة الشاملة للجُند والرعيّة إلاّ اعتمدناه، ولا فساداً إلاّ أعرضنا عنه، ولم يدعُنا إلى حبّ ما لا خير فيه حبّ الآباء.

ونظرتُ في سِيَر أهل الروم وأخذنا محمودها، ولم تنازعنا أنفُسُنا إلى ما تميل إليه أهواؤنا، وكتبنا بذلك إلى جميع أصحابنا ونوّابنا في سائر البلدان[2].

فانظر إلى هذا الكلام الذي يدلّ على زيادة العلم وتوفّر العقل والقدرة على منع النفس، ومَنْ كان هذا حاله استحقّ أن يُضرب به المثل في العدل إلى أن تقوم الساعة.

وكان لكسرى أولاد متأدّبون، فجعل المُلك من بعده لابنه هرمز.

وكان مولد رسول الله، ﷺ، عام الفيل، وذلك لمضيّ اثنتين وأربعين سنة من مُلكه، وفي هذا العام كان يوم ذي جَبَلَة، وهو يوم من أيّام العرب المذكورة[3].

---

(١) القول في نهاية الأرب ٥/٢٠٤ ـ ٢٠٦ مع تقديم وتأخير.
(٢) أنظر نهاية الأرب ١٥/٢٠٦ وهو ينقل عن كتاب «تجارب الأمم» لابن مسكويه، في الجزء الذي لم يصلنا.
(٣) تاريخ الطبري ٢/١٥٤.

ذِكْر مولد رسول الله ﷺ

قال قيس بن مخرمة وقَبَاث[1] بن أَشْيَم، وابن عبّاس، وابن إسحاق: إنّ رسول الله، ﷺ، وُلد عام الفيل[2].

قال ابن الكلبيّ: وُلد عبد الله بن عبد المطّلب أبو رسول الله، ﷺ، لأربع وعشرين سنة مضت من سلطان كسرى أنوشِروان، ووُلد رسول الله، ﷺ، سنة اثنتين وأربعين من سلطانه[3]، وأرسله الله تعالى لِمُضّي اثنتين وعشرين سنة من ملك كسرى أَبَرْوِيز بن كسرى هُرْمُز بن كسرى أنوشِروان، فهاجر لاثنتين وثلاثين سنة مضت من ملك أَبَرْوِيز.

قال ابن إسحاق: وُلد رسول الله، ﷺ، يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأوّل، وكان مولده بالدار التي تُعرف بدار ابن يوسف.

قيل: إنّ رسول الله، ﷺ، وهبها عَقِيل بن أبي طالب، فلم تزل في يده حتى تُوُفّي، فباعها ولده من محمّد بن يوسف أخي الحجّاج، فبنى داره التي يقال لها دار ابن يوسف، وأدخل ذلك البيت في الدار حتى[4] أخرجته الخَيْزُران، فجعلته مسجداً يُصلَّى فيه[5].

وقيل: وُلد لعشر خَلَوْن منه[6].

وقيل: لليلتين خَلَتا منه.

(١) في النسخة (ب): «غياث»، وفي طبعة صادر ١/٤٥٨ «قثاث». وهذا وهم. والصحيح ما أثبتناه، وهو بفتح القاف.

(٢) سيرة ابن هشام ١/١٨١، تاريخ الطبري ٢/١٥٥، الطبقات الكبرى لابن سعد ١/١٠١، المستدرك على الصحيحين ٢/٦٠٣، مروج الذهب ٢/٢٧٤، التنبيه والإشراف ١٩٦، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١١٩، نهاية الأرب ١٦/٦٧، عيون الأثر لابن سيّد الناس ١/٢٦، شرح المواهب اللدنيّة للزرقاني ١/١٣٠، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) بتحقيقنا ٢٢، تاريخ خليفة ٥٣.

(٣) تاريخ الطبري ٢/١٥٥.

(٤) في النسخة (ر): «حين».

(٥) الطبري ٢/١٥٦.

(٦) تاريخ الإسلام للذهبي ـ السيرة النبوية (بتحقيقنا) ٢٧.

قال ابن إسحاق: إنّ آمنة ابنة وهب أمّ رسول الله، ﷺ، كانت تحدّث أنّها أُتيتْ في منامها لما حملت برسول الله، ﷺ، فقيل لها: إنّك حملتِ بسيّد هذه الأمّة فإذا وقع بالأرض قولي أُعيذه بالواحد، من شرّ كلّ حاسد، ثمّ سمّيه محمّداً. ورأت حين حملت به أنّه خرج منها نورٌ رأت به قصور بُصرى من أرض الشام[1].

فلمّا وضعته أرسلت إلى جدّه عبد المطّلب: إنّه قد وُلد لك غلام فأتِه فانظر إليه؛ فنظر إليه، وحدّثْته بما رأت حين حملت به، وما قيل لها فيه، وما أُمرت أن تسمّيه[2].

وقال عثمان بن أبي العاص: حدّثتني أمّي أنّها شهدت ولادة آمنة ابنة وهْب رسول الله، ﷺ، فما شيء[3] أنظر إليه من البيت إلا نَوَّرَ[4]، وإنّي لأنظر [إلى] النجوم تدنو حتى إنّي لأقول لتقعنّ عليّ[5].

وأوّل من أرضع رسول الله، ﷺ، ثُوَيْبة مولاة أبي لهب، بلبن ابنٍ له يقال له مسروح[6]، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطّلب، وأرضعت بعده أبا سَلَمَة بن عبد الأسد المخزوميّ[7]. فكانت ثُوَيْبة تأتي رسول الله، ﷺ، بمكّة قبل أن يهاجر، فيُكرمها وتُكرمها خديجة، فأرسلت إلى أبي لهب أن يبيعها إيّاها لتعتقها، فأبى، فلمّا هاجر رسول الله، ﷺ، إلى المدينة أعتقها أبو لهب، فكان رسول الله، ﷺ، يبعث إليها بالصِّلة، إلى أن بلغه خبر وفاتها منصَرَفَه من خيبر، فسأل عن ابنها مسروح[8]، فقيل: توفّي قبلها، فسأل: هل لها من قرابة؟ فقيل: لم يبقَ لها أحد[9].

ثمّ أرضعت رسول الله، ﷺ، بعد ثويبة حليمةُ بنتُ أبي ذُؤَيْب، واسمه عبد الله بن الحارث بن شِجنة من بني سعد بن بكر بن هوازن، واسم زوجها الذي أرضعته بلبنه الحارث بن عبد العُزّى، واسم إخوته من الرضاعة عبد الله، وأُنيْسة، وجُذامة، وهي الشَّيْماء، عُرفت بذلك، وكانت الشَّيْماء تحضنه مع أمّها حليمة[10].

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١٨٠، تاريخ الطبري ٢/ ١٥٦.
(٢) السيرة ١/ ١٨١، الطبري ٢/ ١٥٦.
(٣) في الطبعة الأوربية «فماشيت»، وفي طبعة صادر ١/ ٤٥٩ «شيء أن». وما أثبتناه عن الطبري.
(٤) في الطبعة الأوربية «الاثور».
(٥) الطبري ٢/ ١٥٧.
(٦) في الطبعة الأوربية «مسروج».
(٧) تاريخ الطبري ٢/ ١٥٨، الطبقات الكبرى ١/ ١٠٨، نهاية الأرب ١٦/ ٨٠.
(٨) في الطبعة الأوربية «مسروج».
(٩) الطبقات الكبرى ١/ ١٠٩.
(١٠) الطبقات الكبرى ١/ ١١٠، تاريخ الإسلام (السيرة) ٤٥، نهاية الأرب ١٦/ ٨٣، سيرة ابن هشام ١/ ١٨٣، وفيه «خذامة».

وقدِمت حليمة على رسول الله، ﷺ، بعد أن تزوّج خديجة، فأكرمها ووصلها، وتُوُفّيت قبل فتح رسول الله، ﷺ، مكّة، [فلمّا فتح مكّة] قدِمت عليه أختٌ لها، فسألها عنها، فأخبرته بموتها، فذرفت عيناه، فسألها عمّن خلّفت، فأخبرته، فسألته نِحلةً وحاجةً فوَصَلها.

وقال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: كانت حليمة السعديّة تحدّث أنّها خرجت من بلدها مع نسوة يلتمسن الرُّضعاء، وذلك في سنة شهباء[1] لم تُبقِ شيئاً. قالت: فخرجت على أتانٍ لنا قَمْرَاء، معنا شارفٌ[2] لنا، والله ما تَبِضّ[3] بقطرة، وما ننام ليلتنا أجمع من صبيّنا الذي معي من بكائه من الجوع، وما في ثَدْيَيّ ما يُغنيه، وما في شارفنا ما يغذوه، ولكنّا نرجو الغيث والفرج، فلقد أذمّتْ[4] أتاني بالرَّكْب حتى شقّ عليهم ضعفاً وعَجَفاً، حتى قدِمنا مكّة، فما منّا امرأة إلّا وقد عُرض عليها رسول الله، ﷺ، فتأباه إذا قيل لها إنّه يتيم، وذلك أنّا إنّما نرجو المعروف من أبي الصبيّ. فكنّا نقول: يتيم فما عسى أن تصنع أمّه وجدّه! فما بقيت امرأة معي إلّا أخذتْ رضيعاً غيري، فلمّا أجمعنا الانطلاقَ[5] قلتُ لصاحبي، وكان معي: إنّي لأكره أن أرجع من بين صواحبي[6] ولم آخذْ رضيعاً، والله لأذهبنّ إلى ذلك اليتيم فلآخذنّه! قال: افعلي، فعسى أنّ الله يجعل لنا فيه بركة. قالت: فذهبتُ فأخذتُهُ، فلمّا أخذتُه ووضعتُه في حجْري، أقبل عليه ثدياي ممّا شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى روي ثمّ ناما، وما كان ابني ينام قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك فإذا إنّها حافل، فحلب منها، ثمّ شرب حتى روِي، ثمّ سقاني فشربتُ حتى شبعنا.

قالت: يقول لي صاحبي: تعلمين والله يا حليمة لقد أخذتِ نسمةً مباركةً! قلت: والله لأرجو ذلك. قالت: ثمّ خرجنا، فركبتُ أتاني وحملته عليها، فلم يلحقني شيء من حُمُرهم حتّى إنّ صواحبي[7] لَيَقُلْن لي: يا ابنة أبي ذُؤَيْب اربَعي[8] علينا، أليست هذه أتانك التي كنتِ خرجتِ عليها؟ فأقول: بلى والله لهي هي، فيقلن: إنّ لها شأناً، ثمّ

(١) سنة شهباء: أي سنة قحط وجدب.
(٢) الشارف: الناقة المسنّة.
(٣) تبضّ: ترشح.
(٤) في الطبعة الأوربية «أدمت». وأَذَمّت: أي جاءت بما يُذَمّ عليه.
(٥) في النسخة (ر): «للانطلاق».
(٦) في الأصل، والطبري ٢/١٥٩ «صواحباتي».
(٧) في الأصل «صواحباتي».
(٨) اربَعي: أقيمي وانتظري.

قدِمنا منازلَنا من بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح عليّ حين قدِمنا شباعاً لُبّناً، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة، ولا يجدها في ضرع، حتى إنْ كان الحاضر من قومنا ليقولون لرُعيانهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي ابنة أبي ذُؤَيْب! فتروح أغنامُهم جياعاً ما تبضّ بقطرة من لبن، وتروح غنمي شباعاً لُبّناً.

فلم نزل نتعرّف البركةَ من الله والزيادة في الخير حتى مضت سنتان وفصلتُهُ، وكان يشبّ شباباً لا يشبُّه الغلمان، فلم يبلغ سنتَيْه حتى كان غلاماً جَفْراً[1]، فقدِمْنا به على أمّه ونحن أحرص شيء على مكثه عندنا، لِما كنّا نرى من بركته، فكلّمنا أمّه في ترْكه عندنا، فأجابت.

قالت: فرجعنا به، فوالله إنّه بعد مقدمنا به بأشهر [مرّ] مع أخيه في بَهْم[2] لنا خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه يشتدّ، فقال لي ولأبيه: ذلك أخي القرشيّ قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقّا بطنه وهما يسوطانه! قالت: فخرجنا نشتدّ، فوجدناه قائماً منتقعاً وجهه. قالت: فالتزمتُه أنا وأبوه وقلنا له: ما لك يا بُنيّ؟ قال: جاءني رجلان فأضجعاني فشقّا بطني، فالتمسا به شيئاً لا أدري ما هو. قالت: فرجعنا إلى خبائنا، وقال لي أبوه: والله لقد خشيتُ أن يكون هذا الغلام قد أُصيب، فألحِقِيه بأهله قبل أن يظهر لك.

قالت: فاحتملناه فقدِمنا به على أمّه. فقالت: ما أقدمك يا ظئر به، وقد كنتِ حريصة على مكثه عندك؟ قالت: قلتُ: قد بلغ الله بابني، وقضيتُ الذي عليّ، وتخوّفتُ عليه الأحداث، فأدّيته إليكِ كما تحبّين. قالت: ما هذا بشأنكِ فاصدقيني! ولم تدعني حتى أخبرتها. قالت: فتخوّفتِ عليه الشيطان؟ قلتُ: نعم. قالت: كلاّ والله ما للشيطان عليه سبيل، وإنّ لابني لَشَأناً، أفلا أُخبرك؟ قلتُ: بلى. قالت: رأيتُ حين حملتُ به أنّه خرج منّي نور أضاء لي قصور بُصْرَى من الشام، ثمّ حملتُ به فوالله ما رأيتُ من حمل قطّ كان أخفّ منه ولا أيسر، ثمّ وقع حين وضعته، وإنّه لواضع يديه بالأرض، رافع رأسه إلى السماء. دعيه عنك وانطلقي راشدة[3].

وكانت مدّة رضاع رسول الله، ﷺ، سنتَين[4]، وردّته حليمة إلى أمّه وجدّه

(١) الجفر: الشديد.

(٢) البَهْم: الصغار من الغنم. وفي النسخة (ر): «غنم» بدل «بهم».

(٣) الخبر بطوله في سيرة ابن هشام ١/١٨٤ ـ ١٨٨، تاريخ الطبري ٢/١٥٨ ـ ١٦٠، الطبقات الكبرى ١/١١١، نهاية الأرب ١٦/٨١ ـ ٨٤، سيرة ابن كثير ١/٢٢٥ ـ ٢٢٨، تاريخ الإسلام (السيرة) ٤٦، ٤٧، عيون الأثر ١/٣٣، ٣٤، شرح المواهب اللدنيّة ١/١٤١ ـ ١٥٠.

(٤) وقيل أقام مع حليمة في بني سعد نحو أربع سنين. (نهاية الأرب ١٦/٨٣، ٨٤، تاريخ الإسلام ٤٥).

عبد المطّلب وهو ابن خمس سنين في قول.

وقال شدّاد بن أوس: بينما نحن عند رسول الله، ﷺ، إذ أقبل شيخ من بني عامر، وهو ملك[1] قومه وسيّدهم شيخ كبير، متوكّئاً على عصاً، فمثل قائماً وقال: يا ابن عبد المطّلب إنّي أُنبئتُ أنّك تزعم أنّك رسول الله، ﷺ، أرسلك بما أرسل به إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء، ألا وإنّك فُهتَ بعظيم، ألا وقد كانت الأنبياء من بني إسرائيل وأنت ممّن يعبد هذه الحجارة والأوثان، وما لك وللنبوّة، وإنّ لكلّ قول حقيقة، فما حقيقة قولك وبدء شأنك؟.

فأعجب النبيّ، ﷺ، بمساءلته، ثمّ قال: يا أخي بني عامر اجلس. فجلس، فقال له النبيّ، ﷺ: إنّ حقيقة قولي وبدء شأني أنّي دعوةُ أبي إبراهيم وبُشْرَى أخي عيسى، وكنتُ بِكْر أمّي[2]، وحملتْني كأثقل ما تحمل النساء[3]، ثمّ رأت في منامها أنّ الذي في بطنها نور، [قالت]: فجعلتُ أُتبع بصري النورَ وهو يسبق بصري، حتّى أضاءت لي مشارق الأرض ومغاربها؛ ثمّ إنّها ولدتني فنشأتُ، فلمّا نشأتُ بُغِّضَتْ إليّ الأوثان والشعر، فكنتُ مسترضعاً في بني سعد بن بكر، فبينا أنا ذات يوم منتبذاً من أهلي مع أتراب من الصبيان، إذ أتانا ثلاثة رهط، معهم طَسْتٌ من ذهب مملوء ثلجاً، فأخذوني من بين أصحابي، فخرج أصحابي هُرّاباً حتى انتهوا إلى شفير الوادي، ثمّ أقبلوا على الرهط فقالوا: ما أربكم إلى هذا الغلام، فإنّه ليس له أب، وما يردُّ عليكم قتلُه؟ فلمّا رأى الصبيان الرهط لا يردّون جواباً انطلقوا مسرعين إلى الحيّ يؤذنونهم بي ويستصرخونهم على القوم، فعمد أحدهم فأضجعني على الأرض إضجاعاً لطيفاً، ثمّ شقّ ما بين مفرق صدري إلى منتهَى عانتي، فأنا أنظر إليه لم أجد لذلك مسّاً، ثمّ أخرج أحشاء بطني فغسلها بالثلج فأنعم غسلها ثم أخرجَ قلبي فصدعه، ثمّ أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها، قال بيده يمنة منه كأنّه يتناول شيئاً، فإذا [أنا] بخاتم في يده من نور يحار الناظرون دونه، فختم به قلبي، فامتلأ نوراً، وذلك نور النبوّة والحكمة، ثمّ أعاده مكانه، فوجدتُ برد ذلك الخاتم في قلبي دهراً، ثمّ قال الثالث لصاحبه: تنحّ. فتنحّى عنّي، فأمرّ يده ما بين مفرق صدري إلى منتهَى عانتي، فالتأم ذلك الشقّ بإذن الله تعالى، ثمّ أخذ بيدي فأنهضني إنهاضاً لطيفاً، ثمّ قال للأوّل الذي شقّ بطني: زِنْه بعشرة من أمّته. فوزنوني بهم فرجحتُهم، ثمّ قال: زِنْه بمائة من أمّته. فوزنوني بهم فرجحتُهم. ثمّ قال: زِنْه بألفٍ من

---

(1) في تاريخ الطبري ٢/١٦٠ «مِدْرَه».
(2) في النسخة (ر): «بكر أبي وأمي».
(3) في الطبعة الأوربية: «وحملتني كما حمل ما يثقل النساء».

أمّته. فوزنوني بهم فرجحتُهم. فقال: دعوه فلو وزنته بأمّته كلّهم لرجح بهم. ثمّ ضمّوني إلى صدورهم وقبّلوا رأسي وما بين عينيّ، ثمّ قالوا: يا حبيب، لم تُرَعْ؛ إنّك لو تدري ما يراد بك من الخير لَقَرَّتْ عينك.

قال: فبينا نحن كذلك إذ أنّا بالحيّ قد جاؤوا بحذافيرهم، وإذا ظِئْري أمام الحيّ تهتف بأعلى صوتها وهي تقول: يا ضعيفاه! قال: فانكبّوا عليّ وقبّلوا[1] رأسي وما بين عينيّ وقالوا: حبّذا أنت من ضعيف!.

ثمّ قالت ظِئْري: يا وحيداه! فانكبّوا عليّ فضمّوني إلى صدورهم، وقبّلوا ما بين عينيّ وقالوا: حبّذا أنت من وحيد وما أنت بوحيد! إنّ الله معك!.

ثمّ قالت ظِئْري: يا يتيماه استُضعفت من بين أصحابك فقُتلت لضعفك[2]! فانكبّوا عليّ وضمّوني إلى صدورهم وقبّلوا ما بين عينيّ وقالوا: حبّذا أنت من يتيم! ما أكرمك على الله! لو تعلم ما يراد بك من الخير! قال: فوصلوا بي إلى شفير الوادي. فلمّا بصُرت بي ظِئْري قالت: يا بُنيّ ألا أراك حيّاً بعد! فجاءت حتى انكبّت عليّ وضمّتني إلى صدرها، فوالذي نفسي بيده إنّي لفي حجْرها وقد ضمّتني إليها، وإنّ يدي في يد بعضهم، فجعلت ألتفت إليهم، وظننتُ أنّ القوم يبصرونهم، يقول بعض القوم: إنّ هذا الغلام أصابه لَممٌ أو طائف من الجنّ، انطلقوا به إلى كاهننا حتى ينظر إليه ويداويه. فقلت: ما هذا! ليس بي شيء ممّا يُذكر، إنّ إرادتي سليمة، وفؤآدي صحيح ليس فيَّ قَلَبَةٌ[3]. فقال أبي من الرضاع: ألا ترون كلامه صحيحاً؟ إنّي لأرجو أن لا يكون بابني بأس. فاتّفقوا على أن يذهبوا بي إلى الكاهن، فذهبوا بي إليه، فلمّا قصّوا عليه قصّتي قال: اسكتوا حتى أسمع من الغلام فإنّه أعلم بأمره منكم. فقصصتُ عليه أمري من أوّله إلى آخره، فلمّا سمع قولي وثب إليّ وضمّني إلى صدره، ثمّ نادى بأعلى صوته: يا للعرب اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه! فَوَاللّاتِ والعُزَّى لئن تركتموه فأدرك لَيُبَدِّلَنَّ[4] دينَكم ولَيُخالفنّ أمركم وليأتينّكم بدِينٍ لم تسمعوا بمثله قطّ.

فانتزعتْني ظِئْري منه وقالت: لأنت أجنّ وأعْتَه من ابني هذا، فاطلب لنفسك من يقتلك، فإنّا غير قاتليه!.

---

(١) في النسخة (ر): «علي يعني الرهط وقبلوا».
(٢) في الطبعة الأوربية «من بين أصحابه فقبلت لضعفك».
(٣) القَلَبَة: الداء الذي يتقلّب منه صاحبه على فراشه. وأصله من القُلاب، وهو داء يأخذ الإبل في رؤوسها فيقلبها إلى فوق.
(٤) في الطبعة الأوربية «ليذلّنّ».

ثمّ ردّوني إلى أهلي، فأصبحتُ مُفْزَعاً ممّا فُعل بي وأثر الشقّ ممّا بين صدري إلى عانتي، كأنّه الشراك، فذلك حقيقة قولي وبدء شأني يا أخا بني عامر.

فقال العامريّ: أشهد بالله الذي لا إله إلّا هو أنّ أمرك حقّ. فأنبئْني بأشياء أسألك عنها.

قال: سلْ.

قال: أخبِرْني ما يزيد في العلم؟.

قال: التعلّم.

قال: فما يدلّ على العلم؟.

قال النبيّ، ﷺ: السؤآل.

قال: فأخبِرْني ماذا يزيد في الشيء؟.

قال: التمادي.

قال: فأخبرني هل ينفع البرّ مع الفجور؟

قال: نعم، التوبةُ تغسل الحَوبةَ، والحسناتُ يُذهبن السيّئات، وإذا ذكر العبدُ الله عند الرّجاء أعانه عند البلاء.

فقال العامريّ: فكيف ذلك؟.

قال: ذلك بأنّ الله، عزّ وجلّ، يقول: وعزّتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمنَين، ولا أجمع له خوفَين، إن خافني في الدنيا أمّنته يومَ أجمع عبادي في حظيرة القدس، فيدوم له أمنه ولا أمحقه فيمن أمحق، وإنْ هو أمنني في الدنيا خافني يومَ أجمع عبادي لميقات يوم معلوم، فيدوم له خوفه.

قال: يا ابن عبد المطّلب أخْبِرني إلامَ تدعو؟ .

قال: أدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأن تخلع الأنداد وتكفر باللّاتِ والعُزّى، وتقرّ بما جاء من عند الله من كتاب ورسول، وتصلّي الصلوات الخمس بحقائقهنّ، وتصوم شهراً من السنة، وتؤدّي زكاة مالك يطهّرك الله تعالى بها، ويطيّب لك مالك، وتحجّ البيت إذا وجدتَ إليه سبيلاً، وتغتسل من الجنابة، وتؤمن بالموت والبعث بعد الموت، وبالجنّة والنّار.

قال: يا ابن عبد المطّلب فإذا فعلتُ ذلك فما لي؟.

فقال النبيّ، ﷺ: ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا، وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكّى**﴾[1].

فقال: هل مع هذا من الدنيا شيء؟ فإنّه يعجبني الوطأة من العيش.

---

(١) سورة طه/٧٦.

قال النبيّ، ﷺ: نعم النصر والتمكين في البلاد. فأجاب وأناب[1].

قال ابن إسحاق: هلك عبد الله بن عبد المطّلب أبو رسول الله، ﷺ، وأمّ رسول الله، ﷺ، آمنةُ بنت وهب بن عبد مَناف بن زُهْرة حامل به[2].

قال هشام بن محمّد: توفّي عبد الله أبو رسول الله بعدما أتَى على رسول الله ثمانية وعشرون يوماً[3].

وقال الواقديّ: الثَّبَتُ[4] عندنا أنّ عبد الله بن عبد المطّلب أقبل من الشام في عِير لقريش، ونزل بالمدينة وهو مريض، فأقام [بها] حتى تُوفّي ودُفن بدار النابغة[5]. [في الدار] الصُّغرى[6].

قال ابن إسحاق: وتوفّيت أمّه آمنة وله ستّ سنين بالأبواء، بين مكّة والمدينة، كانت قدِمَت به المدينةَ على أخواله من بني النجّار تُزيره إيّاهم، فماتت وهي راجعة[7].

وقيل: إنّها أتت المدينة تزور قبر زوجها عبد الله، ومعها رسول الله، وأمّ أيمن حاضنة رسول الله، فلمّا عادت ماتت بالأبواء.

وقيل: إنّ عبد المطّلب زار أخواله من بني النجّار وحمل معه آمنة ورسول الله، فلمّا رجع تُوُفّيت بمكّة، ودُفنت في شِعْب أبي ذَرّ[8]؛ والأوّل أصحّ.

ولما سارت قريش إلى أُحُد همّوا باستخراجها من قبرها، فقال بعضهم: إنّ النساء عورة وربّما أصاب محمّد من نسائكم، فكفّهم الله بهذا القول إكراماً لأمّ النبيّ، ﷺ.

قال ابن إسحاق: وتُوُفّي عبد المطّلب ورسول الله، ﷺ، ابن ثماني سنين[9].

وقيل: ابن عشر سنين[10].

---

(١) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٢/١٦٠ - ١٦٥.
(٢) الطبري ٢/١٦٥.
(٣) في النسخة (ب): «سنة».
(٤) في الطبعة الأوربية «أثبت».
(٥) الطبقات الكبرى ١/٩٩، تاريخ الطبري ٢/١٦٥، عيون الأثر ١/٢٦، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٠.
(٦) في الطبعة الأوربية «الصفري».
(٧) الطبقات الكبرى ١/١١٦، تهذيب تاريخ دمشق ١/٢٨٣، نهاية الأرب ١٦/٨٧، تاريخ الإسلام (السيرة) ٥٠، سيرة ابن هشام ١/١٩٤، تاريخ الطبري ٢/١٦٥، ١٦٦.
(٨) الطبري ٢/١٦٦.
(٩) الطبري ٢/١٦٦، سيرة ابن هشام ١/١٩٥.
(١٠)الطبري ٢/١٦٦.

ولما مات عبدُ المطّلب صار رسول الله، ﷺ، في حِجْر عمّه أبي طالب بوصيّة من عبد المطّلب إليه بذلك، لما كان يرى من بِرّه به وشفقته وحُنوّه عليه، فيصبح ولد أبي طالب غُمْصاً رُمْصاً[1]، ويصبح رسول الله صَقيلاً دهيناً[2].

ذِكْر قتْل تميم بالمُشَقَّر[3]

قال هشام: أرسل وَهْرِز بأموال وطُرَف من اليمن إلى كسرى، فلمّا كانت ببلاد تميم دعا صعصعةُ بن ناجية المجاشعيّ، جدّ الفرزدق الشاعر، بني تميم إلى الوثوب عليها، فأبوا، فقال: كأنّي ببني بكر بن وائل قد انتُهبوا، فاستعانوا بها على حربكم، فلمّا سمعوا ذلك وثبوا عليها وأخذوها، وأخذ رجل من بني سَليط يقال له النَّطِف خرْجاً فيه جوهر، فكان يقال: «أصاب [فلان] كنز النَّطِف»، فصار مثلاً.

وصار أصحابُ العير إلى هَوْذَة بن عليّ الحنفيّ باليمامة، فكساهم، وحملهم، وسار معهم حتى دخل على كسرى، فأُعجب به كسرى، ودعا بعِقْدٍ من دُرّ فعُقد على رأسه، فمن ثَمّ سُمّي هَوَذة «ذا التاج»، وسأله كسرى عن تميم هل من قومه أو بينه وبينهم سِلْم، فقال: لا بيننا إلاّ الموت. قال: قد أدركتَ ثأرك، وأراد إرسال الجنود إلى تميم، فقيل له: إنّ ماءهم قليل، وبلادهم بلاد سوء، وأشير عليه أن يرسل إلى عامله بالبحرين، وهو ازاد فيروز بن جُشَيْش[4] الذي سمّته العرب المكعبر[5]، وإنّما سُمّي بذلك لأنّه كان يقطع الأيدي والأرجل، فأمره بقتْل بني تميم، ففعل، ووجّه إليه رسولاً، ودعا هَوْذة وجدّد له كرامة وصِلة، وأمره بالمسير مع رسوله، فأقبلا إلى المكعبِر أيّام اللُّقّاط[6]، وكانت تميم تصير إلى هَجَر للميرة واللُقاط، فأمر المكعبِر منادياً ينادي: ليحضر من كان هاهنا من بني تميم، فإنّ الملك قد أمر لهم بميرة وطعام. فحضروا ودخلوا المُشقّر، وهو حصن، فلمّا دخلوا قتل المكعبِر رجالَهم، واستبقى غلمانَهم، وقُتل يومئذ قَعْنَب الرِّياحيّ، وكان فارس يَرْبُوع، وجعل الغلمان في السفن، وعبر بهم إلى فارس.

---

(١) الغمص والرمص: البياض الذي يجتمع في زوايا الأجفان. (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/١٠٣).

(٢) الطبري ٢/١٦٦.

(٣) المُشَقَّر: بضمّ أوله، وفتح ثانيه، بعده قاف مفتوحة مشدّدة، وراء مهملة، قصر بالبحرين. وقيل: هي مدينة هجر. (معجم ما استعجم ٤/١٢٣٢).

(٤) في الأصل: «خبيس»، وفي النسخة (ب): «خبس». وفي تاريخ الطبري ٢/١٦٩ «آزاذ فيروز بن جُشْنَس».

(٥) في النسخة (ب): «المكشفر»، وفي النسخة (ت): «المكعير».

(٦) اللُّقاط: بالضم. جمع اللقاطة، وهو ما التقط من كرب النخل بعد الصرام.

قال هُبَيْرة بن حُدَيْر العدويّ: رجع إلينا بعدما فُتحت إصْطَخْر عدّة منهم، وشدّ رجل من بني تميم يقال له عُبَيد بن وهْب على سلسلة الباب فقطعها وخرج، واستوهب هَوْذة من المكعبِر مائة أسير منهم، فأطلقهم.

(حُدَيْر: بضمّ الحاء المهملة، وفتح الدال).

ذِكْر ملْك ابنه هُرْمُز بن أنوشِروان[1]

وكانت أمّه ابنة خاقان الأكبر[2]، وكان هُرْمز بن كسرى أديباً، ذا نيّة في الإحسان إلى الضعفاء والحمل على الأشراف، فعادوه وأبغضوه، وكان في نفسه مثل ذلك، وكان عادلاً، بلغ من عدله أنّه ركب ذات يوم إلى ساباط المدائن فاجتاز بكروم، فاطّلع أُسوار من أَساورته في كرْم، وأخذ منه عناقيد حصرم، فلزِمه حافظُ الكروم وصرخ، فبلغ من خوف الأَسْوار من عقوبة كسرى هُرْمز أن دفع إلى حافظ الكرْم، منطقة محلّاة بذهب، عِوَضاً من الحُصْرم، فتركه[3].

وقيل: كان مظفَّراً منصوراً، لا يمدّ يده إلى شيء إلّا ناله[4]، وكان داهياً، رديّ النيّة، قد نزع إلى أخواله التُرك، وإنّه قتل من العلماء وأهل البيوتات والشَرَف ثلاثة عشر ألف رجل وستّمائة رجل، ولم يكن له رأي إلّا في تألّف السَّفِلة. وحبس كثيراً من العظماء وأسقطهم وحطّ مراتبهم، وحرم الجنود، ففسد عليه كثير ممّن كان حوله، وخرج عليه شابه[5] ملك التُرك في ثلاثمائة ألف مقاتل، في سنة إحدى عشرة[6] من مُلْكه، فوصل هَراة وباذغِيس، وأرسل إلى هرمز والفرس[7] يأمرهم بإصلاح الطرق، ليجوز إلى بلاد الروم.

---

(١) الأخبار الطوال ٧٤، مروج الذهب ١/ ٢٧٠، التنبيه والإشراف ٨٩، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و ٢٤ و ٢٩، البدء والتاريخ ٣/ ١٦٩، تاريخ اليعقوبي ١/ ١٦٥، المعارف ٦٦٤، تاريخ الطبري ٢/ ١٧٢، نهاية الأرب ١٥/ ٢١١، تاريخ ابن خلدون ٢/ ١٧٨.

(٢) في النسخة (ر): زيادة بعدها: «لما مات كسرى أنو شروان كان ملكه ثمانياً وأربعين سنة فملك بعده هرمز».

(٣) الطبري ٢/ ١٧٣.

(٤) العبارة في الأخبار الطوال ٧٨.

(٥) في الأصل، وبقية النسخ «شايه» بالياء المثنّاة، وكذلك في الطبعتين: الأوربية، وصادر ١/ ٤٧٠ وما أثبتناه من النسخة (ب)، وتاريخ الطبري ٢/ ١٧٤، وتاريخ اليعقوبي ١/ ١٦٦ ومروج الذهب ١/ ٢٧١.

(٦) في الأصل، والنسخة (ت) وطبعة صادر ١/ ٤٧٠ والطبعة الأوربية: «ست عشرة»، وما أثبتناه عن النسختين (ب) و(ر)، والطبري ٢/ ١٧٤ والأخبار الطوال ٧٨ وهذا هو الصحيح، لأنّ جميع المصادر تقول إن مدّة ملك هرمز لم تزد على اثنتي عشرة سنة. وهذا ما يؤكّده المؤلّف أيضاً.

(٧) في النسخة (ب): «هرمز إلى الفِرس».

ووصل ملك الروم في ثمانين ألفاً إلى الضواحي، قاصداً له، ووصل ملك الخَزَر إلى الباب والأبواب في جمْع عظيم، فإنّ جمْعاً من العرب شنّوا الغارة على السواد. فأرسل هُرْمُز بهرام خُشنش[1]، ويُعرف بجُوبين، في اثني عشر ألفاً من المُقاتِلة، اختارهم من عسكره. فسار مُجِدّاً، وواقع شَابه[2] ملك التُرك، فقتله برمية رماها[3]، واستباح عسكره، ثمّ وافاه برموده[4] بن شابه، فهزمه أيضاً، وحصره في بعض الحصون حتى استسلم، فأرسله إلى هُرْمُز أسيراً، وغنم ما في الحصن، فكان عظيماً.

ثمّ خاف بهرامُ ومَنْ معه هُرْمُز، فخلعوه وساروا نحو المدائن، وأظهروا أنّ ابنه أبرويز أصلح للمُلْك منه، وساعدهم على ذلك بعضُ مَنْ كان بحضرة هُرْمز، وكان غرض بهرام أنْ يستوحش هُرْمُز من ابنه أبرويز، ويستوحش ابنه منه فيختلفا[5]، فإنْ ظفر أبرويز بأبيه كان أمره على بهرام سهلاً، وإنْ ظفر أبوه [به] نجا بهرام والكلمة مختلفة، فينال من هُرْمُز غرضَه، وكان يحدّث نفسه بالاستقلال بالمُلك. فلمّا علم أبرويز ذلك خاف أباه، فهرب إلى أَذْرَبَيْجَان، فاجتمع عليه عدّة من المَرازبة والأَصْبَهْبَذِين، ووثب العظماء بالمدائن، وفيهم بِنْدَوَيْه[6] وبِسْطام خالا أبرويز، فخلعوا هُرْمُز وسملوا عينيه، وتركوه تحرّجاً من قتْله، وبلغ أبرويزَ الخبرُ، فأقبل من أَذْرَبَيْجَان إلى دار الملك[7].

وكان مُلْك[8] هُرْمُز إحدى عشرة سنة وتسعة أشهر[9].

وقيل: اثنتي عشرة سنة[10].

ولم يُسْمَل من ملوك الفرس غيره، لا قبله ولا بعده[*].

ومن محاسن السِّيَر ما حُكي عنه أنّه لما فرغ من بناء داره التي تُشرف على دجلة مقابل المدائن، عمل وليمة عظيمة وأحضر الناسَ من الأطراف، فأكلوا، ثمّ قال لهم: هل

---

(١) في تاريخ الطبري ٢/ ١٧٤ «جُشْنَس».

(٢) في طبعة صادر ١/ ٤٧٠ «شايه». أنظر تعليقنا حولها قبل قليل.

(٣) في الطبعة الأوربية «رماه».

(٤) في النسخة (ب) «ابن موده».

(٥) في الطبعة الأوربية «فيختلفان».

(٦) في الأصل «بَيدى»، وفي الطبعة الأوربية «بندى» وكذلك في تاريخ الطبري ٢/ ١٧٥ والمثبت يتفق مع الأخبار الطوال ٨٣.

(٧) الخبر في الطبري ٢/ ١٧٢ ـ ١٧٥.

(٨) في الطبعة الأوربية «مملكة».

(٩) الطبري ٢/ ١٧٦ وفيه زيادة «وعشرة أيام»، وفي تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩: «إحدى عشرة سنة وسبعة أشهر وسبعة أيام». وانظر البدء والتاريخ ٣/ ١٦٩.

(١٠) الطبري ٢/ ١٧٦، التنبيه والإشراف ٨٩، مروج الذهب ١/ ٢٧٠.

(*) التنبيه والإشراف ٨٩.

رأيتم في هذه الدار عيباً؟ فكلّهم قال: لا عيب فيها. فقام رجل وقال: فيها ثلاثة عيوب فاحشة.

أحدها[1]: أنّ النّاس يجعلون دُورهم في الدنيا، وأنت جعلت الدنيا في دارك، فقد أفرطتَ في توسيع صحونها وبيوتها، فتتمكّن الشمس في الصيف والسَّموم، فيؤذي ذلك أهلَها، ويكثرُ فيها في الشتاء البرد.

والثاني: أنّ الملوك يتوصّلون في البناء على الأنهار، لتزول همومهم وأفكارهم بالنظر إلى المياه، ويترطّب الهواء، وتضيء أبصارهم، وأنتَ قد تركتَ دجلة وبنيتها في القفْر.

والثالث: أنّك جعلتَ حجرة النساء ممّا يلي الشمال من مساكن الرجال، وهو أَدْوَم هُبوباً، فلا يزال الهواء يجيء بأصوات النساء وريح طيبهنّ، وهذا ما تمنعه الغَيْرة والحَمِيَّة.

فقال هُرْمُز: أمّا سعة الصحون والمجالس فخير المساكن ما سافر[2] فيه البصر، وشدّة الحرّ والبرد يُدفعان بالخيش[3] والملابس والنيران.

وأمّا مجاورة الماء فكنتُ عند أبي وهو يشرف على دجلة، فغرقت سفينة تحته، فاستغاث مَنْ بها إليه، وأبي يتأسّف عليهم، ويصيح بالسفن التي تحت داره ليلحقوهم، فإلى أن لحِقوهم غرق جميعهم، فجعلتُ في نفسي أنّني لا أُجاور سلطانا هو أقوى منّي.

وأمّا عمل حجرة النساء في جهة الشمال، فقَصَدْنا به أنّ الشمال أرقّ هواءً وأقلّ وخامة، والنساء يلازمن البيوت، فعُمل لذلك.

وأمّا الغَيرة فإنّ الرجال لا يخلُون بالنساء، وكلّ مَن يدخل هذه الدار إنّما هو مملوك وعبد لقيِّم، وأمّا أنت فما أخرج هذا منك إلاّ بُغْضٌ لي، فأخبِرْني عن سببه.

فقال الرجل: لي قرية ملْك كنتُ أنفق حاصلَها على عيالي، فغلبني المرزُبان فأخذها منّي، فقصدتُك أتظلّم منذ سنين، فلم أصل إليك، فقصدتُ وزيرك وتظلّمتُ إليه، فلم ينصفني، وأنا أؤدّي خراج القرية حتى لا يزول اسمي عنها، وهذا غاية الظلم أن يكون غيري يأخذ دخْلَها، وأنا أؤدّي خراجها.

---

(١) في الطبعة الأوربية «إحداها».
(٢) في النسخة (ب): «سار».
(٣) في النسخة (ب): «بالحس».

فسأل هُرْمُز وزيره فصدَّقه وقال: خفتُ أُعْلِمُك فيؤذيني المرزُبان. فأمر هُرْمُز أن يؤخذ من المرزُبان ضعْف ما أخذ، وأن يستخدمه صاحب القرية في أيّ شُغْل شاء سنتين، وعزل وزيره.

وقال في نفسه: إذا كان الوزير يراقب الظالم، فالأحرى أنّ غيره يراقبه، فأمر باتّخاذ صندوق، وكان يقفله ويختمه بخاتم، ويُترك على باب داره، وفيه خرْقٌ، يُلقَى فيه رقاع المتظلّمين، وكان يفتحه كلّ أسبوع ويكشف المظالم، فأفكر وقال: أريد أعرف ظلم الرعيّة ساعةً فساعة، فاتّخذ سلسلة طرْفها في مجلسه في السقف، والطرف الآخر خارج الدار، في رَوْزَنة وفيها جرس، وكان المتظلّم يحرّك السلسلة فيحرّك الجرس فيحضره ويكشف ظلامته.

ذِكْر ملْك كسرى أَبَرْوِيز بن هُرْمُز[1]

وكان من أشدّ ملوكهم بطشاً، وأنفذهم رأياً، وبلغ من البأس والنجدة وجمع الأموال ومساعدة الأقدار ما لم يبلغه ملك قبله، ولذلك لُقِّبَ أبرويز، ومعناه المظفَّر، وكان في حياة أبيه قد سعى به بهرام جوبين[2] إلى أبيه أنّه يريد المُلْك لنفسه، فلمّا علم ذلك سار ألى أَذْرَبَيْجَان سرّاً، وقيل غير ذلك، وقد تقدّم، فلمّا وصلها بايعه[3] مَن كان [بها] من العظماء، واجتمع مَن بالمدائن على خلع أبيه، فلمّا سمع أبرويز بادر الوصولَ إلى المدائن قبل بهرام جوبين، فدخلها قبله، ولبس التاج وجلس على السرير، ثمّ دخل على أبيه، وكان قد سمُل، فأعلمه أنّه بريء ممّا فُعِل به، وإنّما كان هربه للخوف منه، فصدّقه وسأله أن يرسل إليه كلّ يوم مَن يؤنسه، وأن ينتقم ممّن خلعه وسمل عينَيْه، فاعتذر بقرب بهرام منه في العساكر، وأنّه لا يقدر على أن ينتقم ممّن فعل به ذلك، إلّا بعد الظفر ببهرام.

وسار بهرام إلى النهروان، وسار أبرويز إليه، فالتقيا هناك، ورأى أبرويز من أصحابه فتوراً في القتال، فانهزم ودخل على أبيه، وعرّفه الحال فاستشاره، فأشار عليه بقصد موريق ملك الروم، وجهّز ثانياً[4] وسار في عدّة يسيرة، فيهم خالاه[5] بِنْدَوَيْه وبِسْطام، وكردي أخو بهرام، فلمّا خرجوا من المدائن خاف من معه أنّ بهرام يردّ هُرْمُز إلى المُلْك،

---

(١) المعارف ٦٦٥، الأخبار الطوال ٨٤، مروج الذهب ١/٢٧٣، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و ٢٤ و ٢٩، البدء والتاريخ ٣/١٦٩، التنبيه والإشراف ٨٩، تاريخ اليعقوبي ١/١٦٨، تاريخ الطبري ٢/١٧٦، نهاية الأرب ١٥/٢١٥، تاريخ ابن خلدون ٢/١٧٨.

(٢) في النسخة (ب): «جور».

(٣) في النسخة (ب): «تابعه».

(٤) في النسخة (ب): «خرب ثباه»، وفي النسخة (ت): «فحرساه»، وفي النسخة (ر): «فحرز نساء».

(٥) في النسخة (ب): «سدوم».

ويرسل إلى ملك الروم في ردّهم، فيردّهم إليه، فاستأذنوا أَبَرْوِيز في قتل أبيه هُرمُز، فلم يُحِرْ جواباً، فانصرف بِنْدَوَيْه وبسطام وبعض مَن معهم إلى هُرْمُز، فقتلوه خنْقاً، ثمّ رجعوا إلى أَبَرْوِيز، وساروا مجدّين إلى أن جاوزوا الفرات، ودخلوا ديراً يستريحون فيه، فلمّا دخلوا غشِيَتْهم خيلُ بهرام جوبين، ومقدّمها رجل اسمه بهرام بن سِيَاوش، فقال بِنْدَوَيْه لأَبْرِويز: احتلْ لنفسك.

قال: ما عندي حيلة!.

قال بِنْدَوَيْه: أنا أبذل نَفسي دونك، وطلب منه بزّته فلبسها، وخرج أَبَرْوِيز ومَن معه من الدير وتواروا بالجبل، ووافَى بهرام الدير، فرأى بِنْدَوَيْه فوق الدير عليه بزّة أبرويز فاعتقده هو، وسأله أن يُنظره إلى غد ليصير إليه سلماً، ففعل، ثمّ ظهر من الغد على حيلته، فحمله إلى بهرام جوبين فحبسه. ودخل بهرام جوبين دار الملك وقعد على السرير ولبس التاج، فانصرفت الوجوه عنه، لكنّ النّاس أطاعوه خوفاً، وواطأ بهرام بن سياوش بِنْدَوَيْه على الفتك ببهرام جوبين، فعلم بهرام جوبين بذلك فقتل بهرام، وأفلت بِنْدَوَيْه فلحِق بأَذْرَبَيْجَان.

وسار أَبَرْوِيز إلى أنطاكية، وأرسل أصحابه إلى الملك، فوعده النُّصْرة، وتزوّج أَبَرْوِيز ابنة الملك مَوْرِيق، واسمها مريم، وجهّز معه العساكر الكثيرة، فبلغت عِدّتهم سبعين ألفاً، فيهم رجل يُعدّ بألف مقاتل، فرتّبهم أَبَرْوِيز وسار بهم إلى أَذْرَبَيْجَان، فوافاه بِنْدَوَيْه وغيره من المقدّمين والأساورة، في أربعين ألف فارس من أصبهان وفارس وخُراسان، وسار إلى المدائن. وخرج بهرام جوبين نحوه، فجرى بينهما حرب شديدة، فقُتل فيها الفارس الروميّ الذي يُعدّ بألف فارس[1].

ثمّ انهزم بهرام جوبين وسار إلى التُرك، وسار أَبَرْوِيز من المعركة، ودخل المدائن، وفرّق الأموال في الروم، فبلغت جملتها عشرين ألف ألف، فأعادهم إلى بلادهم.

وأقام بهرام جوبين عند التُرك مكرَّماً، فأرسل أَبَرْوِيز إلى زوجة الملك، وأجزل لها الهديّة من الجواهر وغيرها، وطلب منها قتل بهرام، فوضعت عليه مَنْ قتله، فاشتدّ قتله على ملك التُرك، ثمّ علم أنّ زوجته قتلته فطلّقها. ثمّ إنّ أَبَرْوِيز قتل بِنْدَوَيْه، وأراد قتل بِسطام، فهرب منه إلى طبرستان لحصانتها، فوضع أَبَرْوِيز عليه فقتله.

وأمّا الروم فإنّهم خلعوا ملكهم مَوْرِيق بعد أربع عشرة سنة من مُلك أَبَرْوِيز وقتلوه، وملّكوا عليهم بَطْريقاً اسمه فوقاس[2]، فأباد ذرّيّة مَوْرِيق، سوى ابن له هرب إلى

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٢/١٧٦ - ١٨٠ وانظر تاريخ اليعقوبي ١/١٦٧ - ١٦٩.

(٢) في تاريخ الطبري ٢/١٨١ «قُوقا»، وفي الأخبار الطوال ١٠٦ «كَوْكسان».

كسرى أَبْرَوِيز، فأرسل معه العساكر، وتَوَّجَهُ وملَّكه على الروم، وجعل على عساكره ثلاثة نفر من قوّاده وأساورته.

أمّا أحدهم فكان يقال له براز[1]، وجّهه في جيش منها إلى الشام، فدخلها حتى انتهَى إلى البيت المقدّس، فأخذ خشبة الصليب التي تزعم النصارى أنّ المسيح، عليه السلام، صُلب عليها، فأرسلها إلى كسرى أَبَرْوِيز.

وأمّا القائد الثاني فكان يقال له شاهين، فسيّره في جيش آخر إلى مصر، فافتتحها، وأرسل مفاتيح الإسكندريّة إلى أَبَرْوِيز.

وأمّا القائد الثالث، وهو أعظمهم، فكان يقال له فَرُّخان[2]، وتدعى مرتبته شَهْرَبَراز[3]، وجعل مرجع القائدين الأوّلين إليه.

كانت والدته مُنجبة لا تلد إلاّ نجيباً، فأحضرها أَبَرْوِيز وقال لها: إنّي أريد أن أوجّه جيشاً إلى الروم استعمل عليه بعض بنيك، فأشيري عليّ أيّهم أستعمل.

فقالت: أمّا فلان فأروغ من ثعلب، وأحذر من صقر. وأمّا فَرُّخان فهو أنفذ من سنان. وأمّا شهربراز[3] فهو أحلم من كذا[4].

فقال: قد استعملت الحليم، فولاّه أمر الجيش، فسار إلى الروم فقتلهم، وخرّب مدائنهم وقطع أشجارهم، وسار في بلادهم إلى القسطنطينيّة، حتّى نزل على خليجها القريب منها ينهب ويغير ويخرّب، فلم يخضع لابن مَوْرِيق أحد ولا أطاعه، غير أنّ الروم قتلوا فوقاس[5] لفساده، وملّكوا عليهم بعده هِرَقْل، وهو الذي أخذ المسلمون الشام منه[6].

فلمّا رأى هرقل ما أَهمّ الرومَ من النهب[7] والقتل والبلاء، تضرّع إلى الله تعالى ودعاه، فرأى في منامه رجلاً كثّ اللّحية، رفيع المجلس، عليه بزّة حسنة، فدخل عليهما داخل، فألقى الرجل عن مجلسه وقال لِهرَقْل: إنّي قد أسلمته في يدك؛ فاستيقظ[8]، فلم

---

(١) في تاريخ الطبري ٢/١٨١ «رُميوزان»، وفي الأخبار الطوال ١٠٦ «بوبوذ».

(٢) في تاريخ الطبري ٢/١٨٢ «فرّهان»، وفي الأخبار الطوال ١٠٦ «شَهْرَيار».

(٣) في النسخة (ب): «شهريزار»، وفي الطبعة الأوربية «شهريراز» والمثبت يتفق مع الطبري ٢/١٨٢، وتاريخ اليعقوبي ١/١٧٢.

(٤) في الطبعة الأوربية «كدى» والمثبت عن الطبري ٢/١٨٥.

(٥) عند الطبري «قوفا».

(٦) الطبري ٢/١٨١، ١٨٢، الأخبار الطوال ١٠٦.

(٧) في الطبعة الأوربية وردت العبارة: «ما همّ الروم فيه من النهب».

(٨) في الطبعة الأوربية «فاستنقض».

يقصّ رؤياه، فرأى في الليلة الثانية ذلك الرجل جالساً في مجلسه، وقد دخل الرجل الثالث وبيده سلسلة، فألقاها في عنق ذلك الرجل، وسلّمه إلى هِرَقْل وقال: قد دفعت[1] إليك كسرى برمّته، فأغْزُه، فإنّك مدالٌ عليه، وبالغٌ أُمنيتَك في أعدائك[2]. فقصّ حينئذٍ هذه الرؤيا على عظماء الروم، فأشاروا عليه أن يغزوه، فاستعدّ هرقل واستخلف ابناً له على القسطنطينيّة، وسلك غير الطريق الذي عليه شهربراز، وسار حتى أوغل في بلاد أرمينية، وقصد الجزيرة، فنزل نَصِيبين، فأرسل إليه كسرى جُنداً، وأمرهم بالمقام بالموصل، وأرسل إلى شهربراز يستحثّه على القدوم، ليتضافروا على قتال هِرَقْل[3].

وقيل في مسيره غير هذا، وهو أنّ شهربراز سار إلى بلاد الروم، فوطيء الشام، حتّى وصل إلى أَذْرِعات، ولقي جيوش الروم بها، فهزمها وظفر بها وسبى وغنِم، وعظُم شأنه[4].

ثمّ إنّ فَرّخان أخا شَهْرَبَراز شرب الخمر يوماً وقال: لقد رأيتُ في المنام كأنّي جالس على سرير كسرى، فبلغ الخبر كسرى، فكتب إلى أخيه شَهْرَبَراز يأمره بقتله، فعاوده وأعلمه شجاعته ونكايته في العدوّ، فعاد كسرى وكتب إليه بقتله، فراجعه، فكتب إليه الثالثة، فلم يفعل، فكتب كسرى بعزل شَهْرَبَراز وولاية فَرُّخان العسكر، فأطاع شَهْرَبَراز [فلمّا جلس على سرير الإمارة ألقى أليه القاصد بولايته كتاباً صغيراً من كسرى يأمره بقتل شَهْرَبَراز] فعزم على قتله، فقال له شهربراز: أمهِلني حتى أكتب وصيّتي، فأمهله، فأحضر درجاً، وأخرج منه كتب كسرى الثلاثة، وأطلعه عليها وقال: أنا راجعت فيك ثلاث[5] مرّات ولم أقتلْك، وأنت تقتلني في مرّة واحدة، فاعتذر أخوه إليه وأعاده إلى الإمارة، واتّفقا على موافقة ملك الروم على كسرى، فأرسل شَهْرَبَراز إلى هِرَقْل: إنّ لي إليك حاجةً، لا يبلغها البريد ولا تسعُها الصُّحف، فالقَنِي في خمسين روميّاً، فإنّي ألقاك في خمسين فارسيّاً. فأقبل قيصر في جيوشه جميعها ووضع عيونه تأتيه بخبر شَهْرَبَراز، وخاف أن يكون مكيدة، فأتته عيونُه، فأخبروه أنّه في خمسين فارسيّاً، فحضر عنده في مثلها، واجتمعا وبينهما ترجمان، فقال له: أنا وأخي خرّبنا بلادك وفعلنا ما علمتَ، وقد حسدنَا[6] كسرى وأراد قتْلنا، وقد خلعناه، ونحن نقاتل معك. ففرح هِرَقْل بذلك، واتّفقا

---

(١) في الطبعة الأوربية «دفعته».

(٢) في النسخة (ر): «أعرابك».

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٢/١٨٢، ١٨٣ ونهاية الأرب ١٥/٢٢٠.

(٤) الطبري ٢/١٨٤ و ١٨٥.

(٥) في الطبعة الأوربية «أربع».

(٦) في النسخة (ب): «خبث».

عليه، وقتلا الترجمان لئلاّ يفشي سرّهما، وسار هِرَقْل في جيشه إلى نَصِيبين[1].

وبلغ كسرى أَبَرْوِيز الخبرُ وأرسل لمحاربة هِرَقْل قائداً من قوّاده اسمه راهزار، في اثني عشر ألفاً، وأمره أن يقيم بنِينوى من أرض الموصل على دجلة، يمنع هِرَقْل من أن يجوزها، وأقام هو بدَسْكَرة الملك، فأرسل راهزار العيون، فأخبروه أنّ هِرَقْل في سبعين ألف مقاتل، فأرسل إلى كسرى يُعرّفه ذلك، وأنّه يعجز عن قتال هذا الجمْع الكثير، فلم يعذره وأمره بقتاله، فأطاع وعبّى جُنده، وسار هِرَقْل نحو جنود كسرى، وقطع دجلة من غير الموضع الذي فيه راهزار، فقصده راهزار ولقِيه، فاقتتلوا، فقُتل راهزار وستّة آلاف من أصحابه، وانهزم الباقون.

وبلغ الخبر أبرويز وهو بدَسْكَرة الملك، فهدّه[2] ذلك، وعاد إلى المدائن، وتحصّن بها، لعجزه عن محاربة هِرَقْل، وكتب إلى قوّاد الجند الذين انهزموا يتهدّدهم بالعقوبة، فأحوجهم إلى الخلاف عليه، على ما نذكره إن شاء الله.

وسار هِرَقْل حتى قارب المدائن، ثمّ عاد إلى بلاده.

وكان سبب عَوْده أنّ كسرى لما عجز عن هِرَقْل أعمل الحيلة، فكتب كتاباً إلى شَهْربَراز يشكره ويُثني عليه، ويقول له: أحسنتَ في فِعْل ما أمرتك به من مواصلة ملك الروم وتمكينه من البلاد، والآن فقد أوغل وأمكن من نفسه، فتجيء أنت من خلفه، وأنا من بين يديه، ويكون اجتماعنا عليه يوم كذا، فلا يفلت منهم أحد. ثمّ جعل الكتاب في عكّاز ابنوس، وأحضر راهباً [كان] في دير عند المدائن، وقال له: لي إليك حاجة.

فقال الراهب: الملك أكبر من أن يكون له إليّ حاجة، ولكنّني عبده.

قال: إنّ الروم قد نزلوا قريباً منّا، وقد حفظوا الطُّرُقَ عنّا، وليَ إلى أصحابي الذين بالشام حاجة، وأنت نصرانيّ، إذا جُزت على الروم لا ينكرونك، وقد كتبتُ كتاباً وهو في هذه العكّازة، فتُوصله إلى شَهْربَراز، وأعطاه مائَتَيْ دينار. فأخذ الكتاب وفتحه وقرأه ثمّ أعاده وسار، فلمّا صار بالعسكر ورأى الروم والرهبان والنواقيس رقّ قلبه[3] وقال: أنا شرّ النّاس إن أهلكتُ النصرانيّة! فأقبل إلى سُرادَق الملك وأنهى حاله، وأوصل الكتاب إليه. فقرأه. ثمّ أحضر أصحابه رجلاً قد أخذوه من طريق الشام، قد واطأه كسرى، ومعه كتاب

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٢/١٨٦، وتفسير الطبري ١٣/٢٠، ١٤ طبعة بولاق. وانظر المعرفة والتاريخ للفسوي ٣/٣٠١ - ٣٠٤، نهاية الأرب ١٥/٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) في النسخة (ب): «فهاله»، والمثبت يتفق مع الطبري ٢/١٨٣.

(٣) في الطبعة الأوربية «عليه»، وفي نهاية الأرب ١٥/٢٢٥ «احترق».

قـد افتعله على لسان شَهْـربَراز إلى كسـرى يقول: إنّني مـا زلتُ أُخادع ملكَ الـروم حتى اطمأنّ إليّ، وجاز إلى البلاد كما أمرتني، فيعرّفني الملك في أيّ يـوم يكون لقـاؤه، حتى أهجم أنـا عليه من ورائـه، والملك من بين يديـه، فلا يسلم هـو ولا أصحابـه، وآمره أن يتعمّد طريقاً يؤخذ فيها.

فلمّـا قرأ ملك الـروم الكتاب الثـاني تحقّق الخبر، فعـاد شبه المنهـزم، مبادراً إلى بلاده، ووصل خبر عودة ملك الـروم شَهْربَـراز، فأراد أن يستـدرك ما فـرط منه، فعـارض الـروم، فقتل منهم قتـلاً ذريعاً، وكتب إلى كسـرى: إنّني عملتُ الحيلة على الـروم حتى صاروا في العراق، وأنفذ من رؤوسهم شيئاً كثيراً[1].

وفي هـذه الحادثـة أنزل الله تعـالى: ﴿ا لَم غُلِبَتِ الرُّومُ في أدْنَى الأرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْـدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُـونَ﴾[2]؛ يعني بـأدنَى الأرض أذْرِعـات[3]، وهي أدنَى أرض الـروم إلى العرب، وكانت الروم قد هُزمت بها في بعض حروبها.

وكان النبيّ، ﷺ، والمسلمون قد ساءهم ظَفَرُ الفرس أوّلاً بـالروم، لأنّ الـروم أهل كتاب، وفرح الكفّار، لأنّ المجوس أمّيّون مثلهم، فلمّا نـزلت هذه الآيـات راهن أبو بكـر الصـدّيق أُبيّ بن خَلَف على أنّ الظفـر يكون للروم إلى تسـع سنين، والرهن مـائة بعيـر، فغلبـه أبو بكـر، ولم يكن الـرهن ذلـك الـوقت حـرامـاً، فلمّـا ظفـرت الـروم أتى الخبـر رسول الله، ﷺ، يوم الحُدَيْبِيَة[4].

---

(١) الخبر في نهاية الأرب ١٥/٢٢٤، ٢٢٥.

(٢) الروم/١، ٢.

(٣) أذرِعـات: بالفتـح، ثم السكـون، وكسـر الـراء، وعين مهملة. بلد في أطـراف الشـام يجـاور أرض البلقـاء وعمّان. (معجم البلدان ١/١٣٠).

(٤) الطبري ٢/١٨٤ و١٨٧.

ذكر ما رأى كسرى من الآيات بسبب رسول الله ﷺ

فمن ذلك أنّ كسرى أبرويز سَكَن دجلة العَوْراء[1]، وأنفق عليها من الأموال ما لا يُحصَى كثرةً، وكان طاق مجلسه قد بُني بنياناً لم يُرَ مثله، وكان عنده ثلاثمائة وستّون رجلاً من الحُزاة[2] من بين كاهن وساحر ومنجّم، وكان فيهم رجل من العرب اسمه السايب، بعث به باذان من اليمن، وكان كسرى إذا أحزنه أمر جمعهم فقال: انظروا في هذا الأمر ما هو.

فلمّا بعث الله محمّداً، ﷺ، أصبح كسرى وقد انقصم طاق مُلْكه من غير ثِقْل، وانخرقت عليه دجلة العوْراء، [فلمّا رأى ذلك حزنه فقال: انقصم طاق مُلكي من غير ثقل، وانخرقت دجلة العوراء] «شاهْ بِشْكَسْتْ»، يقول؛ المِلْك انكسر. ثمّ دعا كُهّانه وسُحّاره ومنجّميه، وفيهم السايب، فقال لهم: انظروا في هذا الأمر. فنظروا في أمره فأُخِذت عليهم أقطار السماء وأظلمت الأرض، فلم يمضِ لهم ما راموه، وبات السايب في ليلةٍ ظَلْماء على ربوة من الأرض ينظر، فرأى برقاً من قِبَل الحجاز استطار فبلغ المشرق، فلمّا أصبح رأى تحت قدمَيْه روضة خضراء، فقال فيما يعتاف: إن صدق ما أرى ليخرجنّ من الحجاز سلطان يبلغ المشرق تخصب عليه الأرض كأفضل ما أخصبت على[3] ملك.

فلمّا خلَص الكُهّان والمنجّمون، والسُّحار بعضهم إلى بعض، ورأوا ما أصابهم، ورأى السايب ما رأى، قال بعضهم لبعض: والله ما حيل بينكم وبين عملكم إلّا لأمرٍ جاء من السماء، وإنّه لنبيّ بُعث أو هو مبعوث يسلب هذا الملك ويكسره، ولئن نعيتم لكسرى مُلكه ليقتلنَّكم، فاتّفقوا على أن يكتموه الأمر وقالوا له: قد نظرنا فوجدنا أن وضع دجلة العوراء وطاق الملك قد وضع على النّحوس، فلمّا اختلف الّليلُ والنهارُ وقعت النحوسُ

---

(١) دجلة العوراء: اسم لدجلة البصرة وهو علم لها. (معجم البلدان ٢/٤٤٢).

(٢) الحُزاة: العلماء. (الطبري ٢/١٨٨).

(٣) في تاريخ الطبري ٢/١٨٩ «عن».

مواقعَها، فزال كلُّ ما وضع عليها، وإنّا نحسب لك حساباً تضع عليه بنيانك فلا يزول، فحسبوا وأمروه بالبناء، فبنى دجلة العوراء في ثمانية أشهر، فأنفق عليها أموالاً جليلة، حتى إذا فرغ منها قال لهم: أجلس على سورها؟ قالوا: نعم، فجلس في أساورته، فبينما هو هنالك انتسفت دجلة البنيان من تحته، فلم يخرج إلّا بآخر رمق. فلمّا أخرجوه جمع كهّانه وسُحّاره ومنجّميه، فقتل منهم قريباً من مائة وقال: قرّبتكم وأجريتُ عليكم الأرزاق، ثمّ أنتم تلعبون بي! فقالوا: أيّها الملك أخطأنا كما أخطأ مَن قبلنا.

ثمّ حسبوا له وبناه وفرغ منه، وأمروه بالجلوس عليه، فخاف، فركب فرساً وسار على البناء، فبينما هو يسير انتسفته دجلة، فلم يُدرَك إلّا بآخر رمق، فدعاهم وقال: لأقتلنّكم أجمعين أو لتصدقونني. فصدقوه الأمر، فقال: ويحكم هلّا بيّنتم لي فأرى فيه رأيي؟ قالوا: منعنا الخوف. فتركهم. ولهَا عن دجلة حين غلبته[1].

وكان ذلك سبب البطائح، ولم تكن قبل ذلك، وكانت الأرض كلّها عامرة.

فلمّا كانت سنة ستّ من الهجرة أرسل رسول الله، ﷺ، عبد الله بن حُذافة[2] السهميّ إلى كسرى، فزادت الفرات والدجلة زيادة عظيمة لم يُرَ قبلها ولا بعدها مثلها، فانبثقت البثوق، وانتسفت ما كان بناه كسرى، واجتهد أن يسكّرها فغلبه الماء، كما بيّنا، ومال إلى موضع البطائح، فطما الماء على الزروع وغرق عدّة طساسيج، ثمّ دخلت العربُ أرض الفرس وشغلتهم عن عملها بالحروب واتّسع الخَرْق. فلمّا كان زمن الحَجّاج تفجّرت بثوق أُخر فلم يسدّها مضارّة للدهاقين، لأنّه اتّهمهم بممالأة ابن الأشعث، فعظُم الخطبُ فيها وعجز النّاس عن عملها، فبقيت على ذلك إلى الآن.

وقال أبو سَلَمَة بن عبد الرحمن بن عوف: بعث الله إلى كسرى ملَكاً وهو في بيت إيوانه الذي لا يُدخل عليه فيه، فلم يرُعْه إلّا به قائماً على رأسه في يده عصاً بالهاجرة في ساعته التي يَقيل فيها، فقال: يا كسرى أَتُسْلِم أو أكسر هذه العصا؟ فقال: بِهِلْ بِهِلْ! وانصرف عنه، فدعا بحرّاسه وحجّابه فتغيّظ عليهم وقال: من أدخل هذا الرجل؟ فقالوا: ما دخل علينا أحد ولا رأيناه! حتى إذا كان العام المقبل أتاه في تلك الساعة، وقال له: أَتُسْلِم أو أكسر العصا؟ فقال: بِهِلْ بِهِلْ! وتغيّظ على حجّابه وحرّاسه. فلمّا كان العام

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٢/١٨٨ - ١٩٠.

(٢) في النسخة (ر): «فراقة». وترجمته في: الطبقات الكبرى ٤/١٣٩، الاستيعاب ٣/٨٨٨ رقم ١٥٠٨، تهذيب تاريخ دمشق ٧/٣٥١ - ٣٥٤، أسد الغابة ٣/١٤٢، سِير أعلام النبلاء ٢/٥ رقم ١٠٦، الوافي بالوفيات ١٧/١٢٥ رقم ١٠٩، الإصابة ٢/٢٩٦ رقم ٤٦٢٢، تهذيب التهذيب ٥/١٨٥ رقم ٣١٩، حسن المحاضرة ١/٢١٢.

الثالث أتاه فقال: أَتُسْلِم أو أكسر العصا؟ فقال: بِهِلْ بِهِلْ! فكسر العصا ثمّ خرج. فلم يكن إلّا تهوّر ملكه وانبعاث ابنه والفرس حتى قتلوه[1].

وقال الحَسَن البصْريّ: قال أصحاب رسول الله، ﷺ، [له]: يا رسول الله ما حجّة الله على كسرى فيك؟ قال: بعث إليه ملَكاً فأخرج يده إليه من جدار بيته تلألأ نوراً، فلمّا رآها فزع فقال له: لا تُرَعْ يا كسرى! إنّ الله قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً فاتّبعه تسلم دنياك وآخرتك. قال: سأنظر.

ذِكْر وقعة ذي قار وسببه[2]

ذكروا عن النبيّ، ﷺ، أنّه قال لما بلغه ما كان من ظفر ربيعة بجيش كسرى: «هذا أوّل يوم انتصف[3] العرب [فيه] من العجم وبي نُصروا». فحُفظ ذلك منه، وكان يوم الوقعة.

قال هشام بن محمّد: كان عديّ بن زيد التميميّ[4] وأخواه عمّار، وهو أُبيّ، وعمرو، وهو سُميّ، يكونون مع الأكاسرة، ولهم إليهم انقطاع، وكان المنذر بن المنذر لما مَلَك جعل ابنه النعمان في حجْر عديّ بن زيد، وكان له غير النعمان أحد عشر ولداً، وكانوا يسمّون الأشاهب لجمالهم. فلمّا مات المنذر بن المنذر وخلّف أولاده أراد كسرى بن هرمز أن يملّك على العرب من يختاره، فأحضر عديّ بن زيد، وسأله عن أولاد المنذر، فقال: هم رجال. فأمره بإحضارهم. فكتب عديّ فأحضرهم وأنزلهم، وكان يفضّل إخوة النعمان عليه، ويريهم أنّه لا يرجو النعمان، ويخلو بواحد واحد ويقول له: إذا سألك الملك أتكفونني العرب؟ فقولوا: نكفيكهم إلّا النعمان. وقال للنعمان: إذا سألك الملك عن إخوتك فقلْ له: إذا عجزتُ عن إخوتي فأنا عن غيرهم أعجز[5].

وكان من بني مَرِينا رجل يقال له عديّ بن أوس بن مَرِينا، وكان داهياً شاعراً، وكان

---

(١) الطبري ٢/١٩١.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١/٢٥١ و٢٢٥، تاريخ الطبري ٢/١٩٣، مروج الذهب ١/٢٧٨، نهاية الأرب ١٥/٤٣١، المعارف ٦٠٣.

(٣) في الطبعة الأوربية «انتصرت».

(٤) هو عديّ بن زيد بن حمّاد (وقيل: حمار وحماز وخمار) بن زيد بن أيوب. شاعر فصيح من شعراء الجاهلية، وكان نصرانيّاً، وكذلك كان أبوه وأمّه وأهله، وليس ممّن يُعدّ في الفحول، وهو قرويّ. (أنظر عنه في الأغاني ٢/٩٧ وطبقات الشعراء لابن سلام ١١٧، والشعر والشعراء لابن قتيبة ١٥٠ رقم ١٥، والموشّح ٧٢، ومعجم الشعراء للمرزباني ٢٤٢، ومعاهد التنصيص ١/٣١٥، وخزانة الأدب للبغدادي ١/١٨٤، وتاريخ اليعقوبي ١/٢١٢، والمعارف لابن قتيبة ٦٤٩، وغيره من كتب التاريخ.

(٥) الخبر في تاريخ اليعقوبي ١/٢١٢ و٢١٣، وتاريخ الطبري ٢/١٩٣ - ١٩٥، والأغاني ٢/١٠٧.

يقول للأسود بن المنذر: قد عرفتَ أنّي أرجوك وعيني إليك، وإنّني أريد أن تخالف عديّ ابن زيد، فإنّه والله لا ينصح لك أبداً! فلم يلتفتْ إلى قوله.

فلمّا أمر كسرى عديَّ بن زيد أن يحضرهم، أحضرهم رجلاً رجلاً، وسألهم كسرى: أتكفونني العربَ؟ فقالوا: نعم إلاّ النعمان. فلمّا دخل عليه النعمان رأى رجلاً دميماً أحمر أبرش قصيراً فقال له: أتكفيني إخوتَك والعربَ؟ قال: نعم، وإن عجزتُ عن إخوتي فأنا عن غيرهم أعجز. فملّكه وكساه وألبسه تاجاً قيمته ستّون ألف درهم، فقال عديّ [بن] مرينا للأسود: دونك فقد خالفتَ الرأي[1].

ثمّ صنع عديّ بن زيد طعاماً، ودعا عديَّ [بن] مَرِينا إليه، وقال: إنّي عرفتُ أنّ صاحبك الأسود كان أحبَّ إليك أن يملك من صاحبي النعمان، فلا تلمْني على شيء كنتَ على مثله، وإنّي أُحبّ أن لا تحقد عليّ، وإنّ نصيبي من هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك، وحلف لابن مَرِينا أن لا يهجوه، ولا يبغيه غائلةً أبداً، فقام ابن مَرِينا وحلف أنّه لا يزال يهجوه ويبغيه الغوائل.

وسار النُّعمان حتى نزل الحِيرة، وقال ابن مَرِينا للأسود: إذا فاتك الملك فلا تعجز أن تطلب بثأرك من عديّ، فإنّ مَعدّاً لا ينام مُكْرَهاً، وأمرتك بمعصيته فخالفتني، وأريد أن لا يأتيك من مالك[2] شيء إلّا عرضته عليّ. ففعل[3].

وكان ابن مَرِينا كثير المال، وكان لا يُخْلي النُّعمانَ يوماً من هديّة وطُرفة، فصار من أكرم النّاس عليه، وكان إذا ذكر عديّ بن زيد وصفه وقال: إلّا أنّه فيه مكر وخديعة، واستمال أصحاب النعمان، فمالوا إليه، وواضعهم على أن قالوا للنعمان: إنّ عدي بن زيد يقول إنّك عامله، ولم يزالوا بالنعمان حتى أضغنوه عليه، فأرسل إلى عديّ يستزيره، فاستأذن عديّ كسرى في ذلك، فأذِن له، فلمّا أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه، ومنع من الدخول عليه، فجعل عديّ يقول الشعر وهو في السجن[4]، وبلغ النعمان قوله فندم على حبسه إيّاه، وخاف منه إذا أطلقه.

فكتب عديّ إلى أخيه أُبيّ أبياتاً[5] يُعلمه بحاله، فلمّا قرأ أبياته وكتابه كلّم كسرى فيه، فكتب إلى النعمان، وأرسل رجلاً في إطلاق عديّ، وتقدّم أخو عديّ إلى الرسول بالدخول إلى عديّ قبل النعمان، ففعل ودخل على عديّ، وأعلمه أنّه أُرسل لإطلاقه،

---

(١) اليعقوبي ١/٢١٣، الطبري ٢/١٩٥، الأغاني ٢/١٠٧.

(٢) في النسخة (ر): «من ماني».

(٣) الأغاني ٢/١٠٨، ١٠٩، الطبري ١٩٥، ١٩٦.

(٤) أنظر شعره في الأغاني ٢/١١٠.

(٥) أنظر الأبيات في تاريخ اليعقوبي ١/١١٣، ١١٤، والأغاني ٢/١١٨، والطبري ٢/١٩٨، ١٩٩.

فقال له عديّ: لا تخرج من عندي وأعطِني الكتاب حتى أرسله، فإنّك إن خرجتَ من عندي قتلني، فلم يفعل، ودخل أعداء عديّ على النعمان فأعلموه الحال، وخوّفوه من أطلاقه، فأرسلهم إليه فخنقوه ثمّ دفنوه[1].

وجاء الرسول فدخل على النعمان بالكتاب فقال: نعم وكرامةً، وبعث إليه بأربعة آلاف مثقال وجارية وقال: إذا أصبحتَ ادخلْ إليه فخذْه. فلمّا أصبح الرسول غدا إلى السجن فلم يرَ عديّاً، وقال له الحرس: إنّه مات منذ أيّام. فرجع إلى النعمان وأخبره أنّه رآه بالأمس ولم يره اليوم، فقال: كذبتَ! وزاده رشوة، واستوثق منه أن لا يخبر كسرى، إلّا أنّه مات قبل وصوله إلى النعمان[2].

قال: وندم النعمان على قتله، واجترأ أعداء عديّ على النعمان وهابهم هيبة شديدة. فخرج النعمان في بعض صيده، فرأى ابناً لعديّ يقال له زيد، فكلّمه وفرح به فرحاً شديداً واعتذر إليه من أمر أبيه، وسيّره إلى كسرى ووصفه له، وطلب إليه أن يجعله مكان أبيه، ففعل كسرى، وكان يلي ما يكتب إلى العرب خاصّة، وسأله كسرى عن النعمان، فأحسن الثناء عليه، وأقام عند الملك سنوات بمنزلة أبيه، وكان يكثر الدخول على كسرى.

وكان لملوك الأعاجم صفة للنساء مكتوبة عندهم، وكانوا يبعثون في طلب من يكون على هذه الصفة من النساء، ولا يقصدون العرب، فقال له زيد بن عديّ: إنّي أعرف عند عبدك النعمان من بناته وبنات عمّه أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة. قال: فتكتب فيهنّ. قال: أيّها الملك إنّ شرّ شيء في العرب وفي النعمان أنّهم يتكرّمون بأنفسهم عن العجم، فأنا أكره أن تعنّتهنّ، وإنْ قدمتُ أنا عليه لم يقدر على ذلك، فابعثني وابعث معي رجلاً يفقه العربيّة، فبعث معه رجلاً جَلْداً، فخرجا حتى بلغا الحيرة ودخلا على النعمان. قال له زيد: إنّ الملك احتاج إلى نساء لأهله وولده، وأراد كرامتك فبعث إليك. قال: وما هؤلاء النسوة؟ قال: هذه صفتهنّ قد جئنا بها[3].

وكانت الصفة أنّ المنذر أهدى [إلى] أنوشروان جارية أصابها عند الغارة على الحارث بن أبي شَمِر الغسّانيّ. وكتب يصفها أنّها معتدلة الخلْق نقيّة اللّون والثغر، بيضاء، وَطْفاء[4]، قمراء، دَعْجَاء[5]، حَوْراء، عَيْناء، قَنْواء[6]، شمّاء[7]، زجّاء[8]،

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١/٢١٣، ٢١٤، الطبري ٢/٢٠٠، الأغاني ٢/١٢٠، ١٢١.
(٢) تاريخ اليعقوبي ١/٢١٤، الأغاني ٢/١٢١، الطبري ٢/٢٠٠، معاهد التنصيص ١/٣٢١.
(٣) الخبر في الأغاني ٢/١٢٢، وتاريخ الطبري ٢/٢٠١، ٢٠٢.
(٤) وطْفاء: غزيرة الأهداب وشعر الحاجبين.

بَرْجاء[1]، أسيلة الخد، شهيّة القدّ[2]، جَثْلَة[3] الشعر، بعيدة مهوى القُرط، عَيْطاء[4]، عريضة الصدر، كاعب الثدْي، ضخمة مُشاشة المَنْكِب والعَضُد، حسنة المِعْصَم، لطيفة الكفّ، سَبْطَة البَنان، لطيفة طيّ البطن، خميصة[5] الخَصر، غَرْثى[6] الوشاح، رداح القَبَل[7]، رابية الكَفَل، لَفّاء[8] الفخِذين، ريّا الرّوادف، ضخمة المأكِمَتَيْن[9]، عظيمة الرُكْبة، مُفْعمة[10] الساق، مُشْبَعَة الخَلْخال[11]، لطيفة الكعب والقدم، قَطُوفَ[12] المشي، مِكْسال[13] الضُّحى، بَضَّة[14] المتجرِّد، سموعاً[15] للسيِّد[16]، ليست بخنساء[17] ولا سَفْعاء[18]، ذليلة[19] الأنف، عزيزة النَّفَر[20]، لم تُغَذَّ في بؤس، حَيِيَّة[21]، رزينة، ركينة[22]،

(٥) دَعجاء: الدعج: شدّة سواد العين وشدّة بياض بياضها.
(٦) قنواء: وصف من القنا وهو ارتفاع في أعلى الأنف واحديداب في وسطه وسبوغ في طرفه.
(٧) الشمم في الأنف: ارتفاع القصبة وحُسنها.
(٨) زجّاء: دقيقة الحاجبين في الطول.

(١) البرجاء: الجميلة الحسنة الوجه.
(٢) في الأغاني ٢/١٢٣ «شهيّة المقبَّل».
(٣) في طبعة صادر ١/٤٨٦ «جثيلة»، والتصويب من الأغاني والطبري. والجثلة: كثيفة الشعر سوداؤه.
(٤) العيطاء: الطويلة العُنُق.
(٥) في النسخة (ب): «حمضية».
(٦) غَرْثى الوشاح: دقيقة الخصر.
(٧) الرداح: العجزاء الثقيلة الأوراك التّامّة الخَلْق. والأقبال: ما استقبلك من مشرف. والواحد قَبَل.
(٨) لفّاء: ضخمة الفخذين مكتنزة.
(٩) في طبعة صادر ١/٤٨٦ «المنكبين» وهو وهم، والتصويب من الأغاني والطبري. والمأكمتان: اللحمتان اللتان على رؤوس الوركين. الواحدة مأكمة.
(١٠) مفعمة الساق: ممتلئتها.
(١١) مُشْبَعَة الخلخال: كناية عن السمن. وفي لسان العرب: امرأة شبعى الخلخال: ملأى سُمْناً.
(١٢) القطوف: وصف من القطاف وهو تقارب الخطو.
(١٣) المِكسال: المرأة التي لا تكاد تبرح مجلسها. وهو مدح لها عندهم، مثل قولهم: «نؤوم الضحى».
(١٤) البضّة: الناعمة. يقال: امرأة بضّة المتجرَّد (بالفتح) أي بضّة عند التجرّد.
(١٥) في طبعة صادر ١/٤٨٦ «سموع» وهو غلط.
(١٦) في النسخة (ب): «اليد».
(١٧) في طبعة صادر ١/٤٨٦ «بحلساء». والتصويب من الأغاني والطبري والخنساء من الخَنَس وهو تأخّر الأنف إلى الرأس وارتفاعه عن الشفة وليس بطويل ولا مشرف، وقيل هو قريب من الفطس وهو لصوق القصبة بالوجنة وضخم الأرنبة.
(١٨) السفعاء: من السفع وهوالسواد.
(١٩) في الأغاني ٢/١٢٣ «رقيقة».
(٢٠) في النسخة (ب): «الشعر». وفي الأغاني «النفس»، وفي الطبعة الأوربية «البقر».
(٢١) في الطبعة الأوربية «حنينة».

كـريمة الخـال، تقتصر بنسب أبيهـا دون فصيلتهـا، وبفصيلتهـا دون جِمـاع قبيلتهـا، قـد أحكمتها الأمور في الأدب، فرأيها رأيُ أهل الشرف، وعملها عملُ أهـل الحاجـة، صَنَاع الكفّين، قـطيعـة اللّسان[1]، رَهْـوَة[2] الصـوت، تَـزين البيت[3]، وتشين العـدوّ، إن أردتهـا اشتهتْ، وإن تركتها انتهتْ، تُحَمْلِقُ[4] عيناها[5]، ويحمَرّ خدّاهـا[6]، وتَذَبْـذَبُ[7] شفتاهـا، وتبادرك الوثبة، [ولا تجلس إلّا بأمرك إذا جلستَ].

فقبِلها كسرى وأمر بإثبات هذه الصفة، فبقيت إلى أيّام كسرى بن هُرْمُـز. فقرأ زيـد هذه الصفة على النعمـان، فشقّ ذلك عليـه، وقال لـزيد، والـرسول يسمـع: أما في عِين السواد وفارس[8] ما[9] تبلغون حاجتكم! قال الرسول لزيد: ما العِين؟ قال: البقر.

وأنـزلهما يـومَين، وكتب إلى كسـرى: إنّ الـذي طلب الملك ليس عنـدي. وقـال لزيد: اعذرني عنده.

فلمّا عاد إلى كسرى قال لزيد: أين ما كنت أخبرتني [بـه]؟ قال: قـد قلتُ للملك، وعـرّفته بُخلهم بنسـائهم على غيرهم، وأنّ ذلـك لشقائهم وسـوء اختيـارهم، وسـلْ هـذا الرسول عن الذي قال، فإنّي أُكرم الملك عن ذلك. فسأل الرسول، فقـال: إنّه قـال: أما في بقر السواد [وفارس] ما يكفيه حتى يطلب ما عندنـا؟ فعرف الغضب في وجهـه، ووقع في قلبه وقال: رُبّ عبدٍ قد أراد ما هو أشدّ من هذا، فصار أمره إلى التَّباب[10].

وبلغ هـذا الكلام النعمـانَ، وسكت كسرى على ذلـك أشهراً[11] والنعمان يستعـدّ، حتى أتاه كتاب كسرى يستدعيـه. فحين وصل الكتـاب أخذ سـلاحه ومـا قوي عليـه، ثمّ

---

(٢٢) في طبعة صادر ٤٨٦/١ «زكيّة». والتصحيح من الأغاني والطبري. ففيهما «حليمة ركينة».

---

(١) قطيعة اللسان: أي ليست سليطة.

(٢) رهوة الصوت: رقيقته سهلته. وفي الطبعة الأوربية «زهرة».

(٣) في الأغاني ١٢٤/٢ «الوليّ».

(٤) قال في لسان العرب: المحملق من الأعين: ما حول مقلتيها بيـاض لم يخالـطْه سواد. وفي النسخة (ب) وردت: «يحلو».

(٥) في الطبعة الأوربية «هنياها».

(٦) في الأغاني ١٢٤/٢ والطبري ٢٠٤/٢ «وتَحْمَرّ وجنتاها».

(٧) في الطبعة الأوربية: «وتدبدب».

(٨) في الأغاني ١٢٤/٢ «أما في مَهَا السواد وعين فارس».

(٩) في طبعة صادر ٤٨٧/١ «أما»، والتصحيح من الأغاني والطبري.

(١٠) الطبري ٢٠٤/٢، ٢٠٥، الأغاني ١٢٥/٢.

(١١) في النسخة (ب): «استهزاء».

لحق بجبلَيْ طيّء، وكان متزوّجاً إليهم، وطلب منهم أن يمنعوه. فأبوا عليه خوفاً من كسرى، فأقبل وليس أحد من العرب يقبله، حتّى نزل في ذي قار في بني شيبان سرّاً، فلقي هانىء بن مسعود بن عامر بن عمرو الشيبانيّ، وكان سيّداً منيعاً، والبيت من ربيعة في آل ذي الجدّين لقَيْس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدّين، وكان كسرى قد أطعمه الأُبُلّة، فكره النعمان أن يدفع إليه أهله لذلك، وعلم أنّ هانئاً [يمنعه مما] يمنع منه [أهله[1]، فأودعه] أهله وماله، وفيه أربعمائة درع، وقيل ثمانمائة درع.

وتوجّه النعمان إلى كسرى فلقي زيد بن عديّ على قنطرة ساباط[2]، فقال: انجُ نُعَيْم. فقال: أنت يا زيد فعلتَ هذا! أما والله لئن انفلتُّ لأفعلنّ بك ما فعلتُ بأبيك. فقال [له] زيد: امضِ نُعَيْم، فقد والله وضعتُ لك [عنده] أَخِيّة[3] لا يقطعها المهر الأرِن[4].

فلمّا بلغ كسرى أنّه بالباب بعث إليه فقيّده، وبعث به إلى خانِقين[5]، حتّى وقع الطاعون فمات فيه.

قال: والنّاس يظنّون أنّه مات بساباط[6] ببيت الأعشى[7] وهو يقول:

فذاك وما أنجى منَ المَوْتِ رَبَّهُ بساباط حتّى ماتَ وهوَ مُحَرْزَقُ[8]

---

(١) حتى هنا في تاريخ الطبري ٢/٢٠٥، والأغاني ٢/١٢٥، ١٢٦ وانظر تاريخ اليعقوبي ١/٢١٥.

(٢) ساباط كسرى: بالمدائن موضع معروف. (معجم البلدان ٣/١٦٦).

(٣) الأَخِيَّة، مثل: أبِيَّة. ويقال: أَخية، بتخفيف الياء، وآخِيّة: بالمدّ والتشديد. وهي عُود يعرض في الحائط ويُدفَن طرفاه فيه ويصير وسطه كالعروة تُشَدّ إليه الدابّة. قال ابن السِّكّيت: الأخِيّة: أن يُدفن طرفا قطعة من الحبل في الأرض وفيها عُصَيَّة أو حُجَير ويظهر منه مثل عروة تُشَدّ إليها الدّابّة. وإنّما تؤخى الأخيّة في مهواة الأرضين لأنها أرفق بالخيل من الأوتاد الناشزة عن الأرض. (حاشية الأغاني ٢/١٢٧).

(٤) في الطبعة الأوربية «الإرث». والأرن: النشيط.

(٥) خانِقين: بلدة من نواحي السواد في طريق همَذان من بغداد. (معجم البلدان ٢/٣٤٠).

(٦) الساباط عند العرب: سقيفة بين دارين من تحتها طريق نافذ. والجمع سوابيط وساباطات. (معجم البلدان ٣/١٦٦).

(٧) الأعشى: ميمون بن قيس من سعد بن ضُبَيعة بن قيس. كان أعمى ويُكنى أبا بصير. جاهليّ قديم أدرك الإسلام في آخر عمره. رحل إلى النبيّ ﷺ ليُسْلم، فقيل له: إنّه يحرّم الخمر والزنا. فقال: أتمتّع منهما سنة ثم أسلم. فمات قبل ذلك بقرية باليمامة. أنظر عنه في: الأغاني (طبعة الساسي) ٨/٧٤، الشعر والشعراء ١/١٧٨، معجم الشعراء للمزرباني ٤١، شرح شواهد المغني ٨٥، المؤتلف والمختلف للآمدي ١٢، خزانة الأدب للبغدادي ١/٨٣، طبقات ابن سلام في عدّة مواضع.

(٨) البيت في ديوان الأعشى ـ ص ١٤٧ نشره جايار. وقوله «محرزق»، من حَرْزَق الرجل: أي حبسه. ووردت في الأغاني ٢/١٢٧ «مُحَزْرَق» بتقديم الزاي وبعدها راء. يقال: حَزْرَق الرجل بمعنى حبسه وضيّق عليه. قال التوزي: قلت لأبي زيد الأنصاري: أنتم تنشدون قول الأعشى: «حتى مات وهو محزرق»، وأبو عمر =

وكان موته قبل الإسلام[1].

فلمّا مات استعمل كسرى إياسَ بن قبيصة الطّائي على الحيرة، وما كان عليه النعمان، وكان كسرى اجتاز به لما سار إلى ملك الروم، فأهدى له هديّة، فشكر ذلك له وأرسل إليه، فبعث كسرى أن يجمع ما خلّفه النعمان ويرسله إليه، فبعث إياس إلى هانىء بن مسعود الشيباني يأمره بإرسال ما استودعه النعمان، فأبَى هانىء أن يسلّم ما عنده. فلمّا أبَى هانىء غضب كسرى، وعنده النعمان بن زُرعة التغلبيّ، وهو يحبّ هلاك بكر بن وائل، فقال لكسرى: أمهِلهم حتى يقيظوا ويتساقطوا على ذي قار تساقط الفراش في النّار، فتأخذهم كيف شئتَ.

فصبر كسرى حتى جاؤوا حِنْوَ[2] ذي قار، فأرسل إليهم كسرى النعمانَ بن زُرعة يخيّرهم واحدةً من ثلاث: إمّا أن يُعطوا بأيديهم، وإمّا أن يتركوا ديارهم، وإمّا أن يحاربوا. فولّوا أمرهم حنظلةَ بن ثعلبة العِجليّ، فأشار بالحرب، فآذنوا الملك بالحرب، فأرسل كسرى إياسَ بن قبيصة الطائيّ أمير الجيش ومعه مُرازبة الفرس، والهامَرز التُسْتَرِيّ[3] وغيره من العرب: تغلِب. وإياد، وقيس بن مسعود بن قيس بن ذي الجَدَّين، وكان على طَفِّ سَفَوان[4]، فأرسل الفيول، وكان قد بُعث النبيّ، ﷺ، فقسّم هانىء بن مسعود دروع النعمان وسلاحه.

فلمّا دنت الفرس من بني شيبان قال هانىء بن مسعود: يا معشر بكر، إنّه لا طاقة لكم في قتال كسرى، فاركنوا إلى الفلاة. فسارع النّاسُ إلى ذلك، فوثب حنظلة بن ثعلبة العِجليّ وقال: يا هانىء أردتَ نجاءنا فألقيتنا في الهَلكة، وردّ النّاس وقطّع وُضُن الهوادج، وهي الحُزُم للرِّحال، فسمّي مقطّع الوُضُن، وضرب على نفسه قبّة، وأقسم أن لا يفرّ حتى تفِرّ القبّة، فرجع النّاسُ واستقوا ماء لنصف شهر. فأتتهم العجم، فقاتلتهم بالحِنْو[5]، فانهزمت العجمُ خوفاً من العطش إلى الجُبابات[6]، فتبعهم بَكرٌ، وعِجلٌ، وأبلتْ يومئذٍ بلاءً حسناً، واضطّمت[7] عليهم جنود العجم، فقال النّاسُ: هلكت عِجْل،

الشيباني ينشده «محرزق»، بتقديم الراء على الزاي! فقال: إنها نبطية، وأم أبي عمرو نبطيّة، فهو أعلم بها منّا. (حاشية الأغاني ٢/١٢٧ رقم ٧).

(١) الطبري ٢/٢٠٥، ٢٠٦، الأغاني ٢/١٢٧، ١٢٨.

(٢) في الطبعة الأوربية «جنود» وهو خطأ، والتصحيح من الطبري ٢/٢٠٧.

(٣) في الأصل، والمطبوع «النسويّ»، وما أثبتناه عن النسخة (ب) والطبري ٢/٢٠٧.

(٤) الطّفّ: بالفتح، والفاء مشدّدة. ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق.

(٥) في الطبعة الأوربية «بالجنود».

(٦) في النسخة (ر): «الحمامات».

(٧) اضطمّت: انطوت واشتملت. وفي الطبعة الأوربية «اصطفت».

ثمّ حملت بكر، فوجدت عِجلاً تقاتل، وامرأة منهم تقول:

إنْ يـظفـرُوا يُحـرِّزُوا فينـا الغُـرَلْ أيـهـاً فِـداءُ لـكُـم بـنـي عِـجِـلْ

فقاتلوهم ذلك اليوم، ومالت العجم إلى بطحاء ذي قار خوفاً من العطش، فأرسلت إياد إلى بكر، وكانوا مع الفرس، وقالوا لهم: إن شئتم هربنا اللّيلة، وإن شئتم أقمنا، ونفرّ حين تلاقون النّاس. فقالوا: بل تقيمون وتنهزمون إذا التقينا.

وقال زيد بن حسّان[1] السَّكونيّ، وكان حليفاً لبني شيبان: أطيعوني واكمنوا لهم، ففعلوا ثمّ تقاتلوا وحرّض بعضهم بعضاً.

وقالت ابنة القرين الشيبانيّة:

ويهاً بني شيبان صَفّاً بعد صَفّ إن تُهـزَمـوا يُصَبِّغـوا فينـا القُلَفْ

فقطّع سبعمائةٌ من بني شيبان أيدي أقبيتهم من مناكبهم، لتخفّ أيديهم لضرب السيوف، فجالدوهم. وبارز الهامَرز، فبرز إليه بُرْدُ بن حارثة اليشكُريّ، فقتله بُرْد، ثمّ حملت ميسرة بكر وميمنتها، وخرج الكمين، فشدّوا على قلب الجيش، وفيهم إياس بن قبيصة الطائيّ، وولّت إياد منهزمة كما وعدتهم، فانهزمت الفرس، واتّبعتهم بكر تقتل ولا تلتفت إلى سلب[2] وغنيمة[3].

وقال الشعراء في وقعة ذي قار فأكثروا[4].

---

(١) في تاريخ الطبري ٢/٢٠٩ «يزيد بن حمار».
(٢) في النسخة (ب): «سبي».
(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٢/٢٠٦ ـ ٢١١.
(٤) أنظر بعض أقوال الشعراء في تاريخ الطبري ٢/٢١١، ٢١٢.

ذِكْر ملوك الحيرة بعد عمرو بن هند[1]

قد ذكرنا مَنْ مَلَك مِن آل نصر بن ربيعة، إلى هلاك عمرو بن هند.

فلمّا هلك عمرو مَلَك موضعه أخوه قابوس[2] بن المنذر أربع سنين، من ذلك أيّامَ أنوشِروان ثمانية أشهر، وفي أيّام هُرْمُز ثلاث سنين وأربعة أشهر[3].

ثمّ ولي بعد قابوس السُّهْرَب[4].

ثمّ مَلَك بعده المنذر أبو[5] النعمان أربع سنين[6].

ثمّ ولي بعده النعمان بن المنذر أبو قابوس اثنتين وعشرين سنة، من ذلك في زمان هُرْمُز سبع سنين وثمانية أشهر، وفي زمان ابنه أَبَرْوِيز أربع عشرة سنة وأربعة أشهر[7].

ثمّ ولي إياس بن قبيصة الطائيّ ومعه النَّخيرخان[8]، في زمان كسرى بن هُرْمُز أربع عشرة سنة، ولثمانية أشهر من ولاية إياس بُعث النبيّ، ﷺ[9].

---

(١) المعارف ٦٤٨، الطبري ٢/٢١٣، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩٤ وما بعدها.

(٢) كان فيه لين، وسموّه: «قَيْنة العرس» (المعارف ٦٤٨) وقيل: «فتنة العرس» (تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩٤).

(٣) الطبري ٢/٢١٣.

(٤) الطبري ٢/٢١٣ وفي تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩٤ «فيشهرت الفارسي».

(٥) في طبعة صادر ١/٤٩١ «بن»، وما أثبتناه عن الطبري ٢/٢١٣.

(٦) الطبري ٢/٢١٣ وقد ورد في تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩٤ في التعريف بالمنذر أخي عمرو بن هند أنه ملك أربع سنين، في زمن أنو شروان ثمانية أشهر، وفي زمن هرمز بن كسرى أنو شروان ثلاث سنين وأربعة أشهر. وأقول: إن هذا القول من حقّه أن يأتي في التعريف بقابوس بن المنذر. بالمقارنة مع الطبري ٢/٢١٣.

(٧) الطبري ٢/٢١٣، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩٥.

(٨) في النسخة (ب): «المحرجان»، وفي النسخة (ت) «النحيرخان». وفي تاريخ الطبري (النَّخيرجان»، وفي تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩٦ «البحرجان».

(٩) العبارة في تاريخ الطبري ٢/٢١٣: «ثم ولي إياس بن قبيصة الطائي ومعه النَّخيرجان، تسع سنين في زمن كسرى بن هرمز. ولسنة وثمانية أشهر من ولاية إياس بن قبيصة بُعِث النّبيّ ﷺ فيما زعم هشام بن محمد». والعبارة في تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩٦ «ثم ملك إياس بن قبيصة الطائي ومعه البحرجان الفارسي سبع سنين في زمن أبرويز ولسنة وستة أشهر من ملك إياس بُعث النّبيّ ﷺ، وذلك لست عشرة سنة مضت من ملك أبرويز. ومحمد بن حبيب يقول: مضت لعشرين سنة من ملكه. وهو أعلم بالحقيق».

ثمّ ولي ازادبِه بن مابيان [1] الهمدانيّ سبع عشرة سنة، من ذلك في زمان كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر، وفي زمان شيرويه بن كسرى ثمانية أشهر، وفي زمن أردشير بن شيرويه سنة وسبعة أشهر، وفي زمن بوران دُخْت ابنة كسرى شهراً [2].

ثمّ ولي المنذر بن النعمان بن المنذر، وهو الذي يسمّيه العرب المغرور[3] الذي قُتل بالبحرين يومَ جُواثاء. وكانت ولايته إلى أن قدِم عليه خالد بن الوليد الحيرة ثمانية أشهر، وكان آخر مَن بقي من آل نصر، وانقرض مُلكهم مع انقراض مُلك فارس.

فجميع ملوك آل نصر فيما زعم هشام عشرون ملكاً، ملكوا خمسمائة سنة واثنتين وعشرين سنة وثمانية أشهر[4].

ذِكْر المروزان وولايته من قِبَل هُرْمُز

قال هشام: استعمل كسرى هُرْمُز المروزان بعد عزل زرين[5] عن اليمن، وأقام باليمن حتى وُلِد له فيها، ثمّ إنّ أهل جبل يقال له المضايع[6] منعوه الخراج، فقصدهم، فرأى جبلهم لا يُقدر عليه لحصانته، وله طريق واحد يحميه رجل واحد، وكان يحاذي ذلك الجبل جبل آخر، وقد قارب هذا الجبل، فأجرى فرسه فعبر به ذلك المضيق، فلمّا رأته حِمْير قالوا: هذا شيطان! وَمَلَك حصنهم، وأدّوا الخراج، وأرسل إلى كسرى يُعْلِمه، فاستدعاه إليه، فاستخلف ابنه خُرّخُسْره على اليمن وسار إليه فمات في الطريق، وعزل كسرى خُرَّخُسْره عن اليمن، وولّى باذان، وهو آخر من قدِم اليمن من وُلاة العجم[7].

---

(١) في النسخة (ب): «ساسان»، وفي النسخة (ت): «ماسات». وفي تاريخ الطبري ٢/٢١٣ «ماهان» والمثبت قريب من «ماهبيان» في تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩٦.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٢١٣، وفي تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩٦.

(٣) هكذا في تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩٦، وفي تاريخ الطبري ٢/٢١٣: «الغَرور».

(٤) الطبري ٢/٢١٣، ٢١٤ وفي تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩٦، ٩٧: «فجميع ملوك آل نصر ومن استخلف من العباد والفرس بالحيرة من بعدهم، خمسة وعشرون ملكاً في مدة ستمائة وثلاث وعشرين سنة وأحد عشر شهراً. وقال هشام: كان هؤلاء الستة الذين تقدّم ذكرهمُ دُخلاء في ملك بني نصر وهم: آوْس بن قلام، والحارث بن عمرو بن حجْر الكندي، وأبو يعفِر علقمة، وإياس بن قبيصة، وشهرت، وزاديه الفارسي».

(٥) في النسخة (ت): «رين»، وفي تاريخ الطبري ٢/٢١٤ «وين».

(٦) في تاريخ الطبري «المصانع».

(٧) الطبري ٢/٢١٤، ٢١٥.

ذِكْر قتْل كسرى أَبَرْوِيز[1]

كان كسرى قد طغى لكثرة ماله وما فتحه من بلاد العدوّ ومساعدة الأقدار وشَرَه على[2] أموال النّاس، ففسدت قلوبهم.

وقيل: كانت له اثنا عشر ألف امرأة، وقيل ثلاثة آلاف امرأة، يطؤهنّ، وألوف جوارٍ، وكان له خمسون ألف دابّة، وكان أرغب النّاس في الجوهر والأواني وغير ذلك.

وقيل: إنّه أمر أن يُحصى ما جُبي من خراج بلاده في سنة ثماني عشرة من ملكه، فكان من الوَرِق مائة ألف ألف مثقال وعشرون ألف ألف مثقال، وإنّه احتقر النّاس، وأمر رجلاً اسمه زاذان بقتل كلّ مقيّد في سجونه، فبلغوا ستّة وثلاثين ألفاً، فلم يقدم زاذان على قتلهم، فصاروا أعداء له، وكان أمر بقتل المنهزمين من الروم فصاروا أيضاً أعداء له، واستعمل رجلاً على استخلاص بواقي الخراج، فعسف النّاسَ وظلمهم، ففسدت نيّاتهم، ومضى ناس من العظماء إلى بابل، فأحضروا ولده شيرَوَيْه بن أبرويز، فإنّ كسرى كان قد ترك أولاده بها ومنعهم من التصرّف، وجعل عندهم من يؤدّبهم، فوصل إلى بَهُرَسير، فدخلها ليلاً فأخرج من كان في سجونها، واجتمع إليه أيضاً الذين كان كسرى أمر بقتلهم، فنادوا قُباذ شاهنشاه، وساروا حين أصبحوا إلى رحبة كسرى، فهرب حرسه، وخرج كسرى إلى بستان قريب من قصره هارباً فأُخذ أسيراً، وملّكوا ابنَه، فأرسل إلى أبيه يقرّعه بما كان منه، ثمّ قتلته الفرسُ وساعدهم ابنه[3].

وكان ملكه ثمانياً وثلاثين سنة.

ولمضيّ اثنتين وثلاثين سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوماً هاجر النبيّ، ﷺ، من مكّة إلى المدينة[4].

قيل: وكان لكسرى أبرويز ثمانية عشر ولداً، وكان أكبرهم شَهْرِيار، وكانت شيرين قد تبنّته، فقال المنجّمون لكسرى: إنّه سيولد بعض ولدك غلام يكون خراب هذا المجلس وذهاب الملك على يديه، وعلامته نقْصٌ في بعض بدنه، فمنع ولده عن النساء لذلك، حتّى شكا شِهْرِيار إلى شيرين الشَّبَق، فأرسلت إليه جاريةً كانت تحجمها، وكانت

---

(١) الأخبار الطوال ١٠٧، المعارف ٦٦٥، التنبيه والإشراف ٨٩، البدء والتاريخ ١٧١/٣، تاريخ اليعقوبي ١٧١/١، مروج الذهب ٢٨٠/١، تاريخ الطبري ٢١٥/٢، نهاية الأرب ٢٢٦/١٥، تاريخ ابن خلدون ١٨٠/٢، تاريخ خليفة ٧٩.

(٢) في النسخة (ر): «إلى».

(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٢١٥/٢ - ٢١٧.

(٤) الطبري ٢١٨/٢.

تـظنّ أنّها لا تلد، فلمّـا وطِئها علقت بيَـزْدَجِـرْد، فكتمتـه خمس سنين، ثمّ إنّهـا رأت من كسرى رقّة للصبيان حين كبر فقالت: أيسُرُّك أن ترى لبعض بنيك ولداً؟ قال: نعم، فـأتته بيَزْدَجِرْد، فأحبّه وقرّبه، فبينما هو يلعب ذات يوم ذكر ما قيل، فـأمر بـه، فجُرّد من ثيـابه، فرأى بعض النقص في أحد وَرِكَيْـه فأراد قتله، فمنعتـه شيرين وقـالت: إن كان الأمـر في الملك قد حضر فلا مردّ له، فأمرت به فحُمل إلى سجستان.

وقيل: بل تركته في السواد، في قرية يقال لها خُمَانيَة[1].

ولما قُتل كسرى أبرويز بن هرمز مَلَك ابنه شيرويه.

ذِكْر ملْك كسرى شيرويه بن أَبَرْوِيز ابن هُرمُز بن أنوشِروان[2]

لما ملك شِيرَوَيْه بن أَبَرْوِيز وأمّه مريم ابنة مَوْرِيق ملك الروم واسمه قُباذ، دخل عليه العـظماء والأشـراف فقالـوا: لا يستقيم أن يكون لنـا ملكان، فـإمّا أن تقتـل كسرى ونحن عبيدك، وإمّا أن نخلعك ونطيعه.

فـانسكر شيـرويه ونقـل أباه من دار الملك إلى مـوضع آخـر حبسـه فيـه، ثمّ جمـع العظماء وقال: قـد رأينا الإرسال إلى كسرى بما كان من إساءته ونوقفـه على أشياء منهـا. فأرسل إليه رجلاً يقـال له أستـاذ خشنش[3] كان يلي تـدبير المملكـة، وقال لـه: قلْ لأبينـا الملك على رسالتنا: إنّ سوء أعمالك فعل بك ما ترى، منها جرأتك على أبيك، وسَمْلُك عينيه، وقتْلُك إيّاه، ومنها سوء صنيعك إلينا معشـر أبنائـك في منعنا من مجـالسة النّـاس، وكلّ ما لنا فيه دعةٌ، ومنها إساءتُك إلى مَنْ خلّدتَ في السجون، ومنها إساءتُك إلى النساء تـأخذهنّ لنفسـك، وتركُـك العطف عليهنّ، ومنعهنّ ممّن يعـاشرهنّ ويُـرزقنَ منه الـولد، ومنها ما أتيت إلى رعيّتك عامّةً من العنف والغلظة والفظاظة، ومنها جمع الأموال في شدّة وعنف من أربابها، ومنها تجميرك[4] الجنـود في ثغور الـروم وغيرهـا وتفريقُـك بينهم وبين أهليهم، ومنها غدرُك بمَوْرِيق ملك الروم مع إحسانه إليك، وحُسن بلائه عندك، وتزويجه

---

(١) الطبري ٢/٢١٧، ٢١٨.

(٢) الأخبار الطوال ١٠٧، المعارف ٦٦٥، تاريخ اليعقوبي ١/١٧٢، البدء والتاريخ ٣/١٧١، التنبيه والإشـراف ٨٩، مـروج الذهب ١/٢٨٠، تـاريخ الـطبري ٢/٢١٨، تـاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و٢٤ و٥٤، نهـاية الأرب ١٥/٢٢٩، تاريخ ابن خلدون ٢/١٨١.

(٣) في تاريخ الطبري ٢/٢١٩ «أسفاذ جُشْنَس».

(٤) التجمير: حبس الأمير جنوده في أرض العدوّ فلا يأذن لهم بالعودة والقفل.

إيّاك بابنته، ومنعُك إيّاه خشبة الصليب التي لم يكن بك ولا بأهل بلادك إليها حاجة، فإن كان لك حجّة تذكرها فافعل، وإن لم يكن لك حجّة فتُبْ إلى الله تعالى حتى يأمر فيك بأمره.

قال: فجاء الرسول إلى كسرى أبرويز فأدّى إليه الرسالة، فقال أَبَرْوِيز: قلْ عنّي لشيرويه القصير العمر: لا ينبغي لأحد أن يتوب من أجل الصغير من الذنب، إلّا بعد أن يتيقّنه، فضلاً عن عظيمه[1] ما ذكرتَ وما كثرتَ منّا، ولو كنّا كما تقول لم يكن لك أيّها الجاهل أن تنشر عنّا مثل هذا العظيم الذي يوجب علينا القتْل، لما يلزمك في ذلك من العيوب، فإنّ قضاة[2] أهل ملّتك ينفون ولد المستوجب للقتل من أبيه، وينفونه من مضامة أهل الأخيار ومجالستهم، فضلاً عن أن يُملّك، مع أنّه قد بلغ منّا بحمد الله من إصلاحنا أنفُسَنا وأبناءنا ورعيَّتَنا ما ليس في شيء منه تقصير، ونحن نشرح الحال فيما لزِمَنا من الذنوب، لتزداد علماً بجهلك. فمن جوابنا: أنّ الأشرار أغروا كسرى هُرْمُز والدنا بنا حتى اتّهمَنا، فرأينا من سوء رأيه فينا ما يخوفّنا منه، فاعتزلنا بابه إلى أَذْرَبَيْجَان، وقد استفاض ذلك، فلمّا انتُهك منه ما انتُهك شخَصْنا إلى بابه، فهجم المنافق بهرام علينا فأجلانا عن المملكة، فسرنا إلى الروم وعُدْنا إلى ملكنا، واستحكم أمرنا، فبدأنا بأخذ الثأر ممّن قتل أبانا أو شرِك في دمه.

وأمّا ما ذكرتَ من أمر أبنائنا[3] فإنّنا وكّلنا بكم من يكفّكم عن الانتشار فيما لا يعنيكم، فتتأذّى بكم الرعيّة والبلاد، وكنّا أقمنا لكم النفقات الواسعة وجميع ما تحتاجون إليه، وأمّا أنت خاصّة فإنّ المنجّمين قضوا في مولدك أنّك مثرّب[4] علينا، وأن يكون ذلك بسببك، وإنّ ملك الهند كتب إليك كتاباً وأهدى لك هديّة، فقرأنا الكتابَ، فإذا هو يبشّرك بالملك بعد ثمانٍ وثلاثين سنة من ملكنا، وقد ختمنا على الكتاب وعلى مولدك وهما عند شيرين، فإنْ أحببتَ أن تقرأهما فافعلْ، فلم يمنعنا ذلك عن بِرّك والإحسان إليك فضلاً عن قتلك.

وأمّا ما ذكرتَ عمّن خلّدناه في السجون، فجوابنا: إنّنا لم نحبس إلّا من وجب عليه القتْل أو قطْع بعض الأطراف، وقد كان الموكّلون بهم والوزراء يأمروننا بقتل من وجب قتله قبل أن يحتالوا لأنفسهم، فكنّا بحبّنا الاستبقاء وكراهتنا لسفك الدماء نتأنّى

---

(١) في الطبعة الأوربية «عظيمها».
(٢) في النسخة (ب): «مضاءة».
(٣) في الطبعة الأوربية «الغراء بأبنائنا».
(٤) في النسخة (ب): «شر»، والمثبت يتفق مع الطبري ٢/٢٢٣.

بهم، ونَكِل أمرهم إلى الله تعالى، فإن أخرجتَهم من محبسهم عصيتَ ربّك، ولتجدنّ غبّ ذلك.

وأمّا قولك: إنّا جمعنا الأموال، وأنواع الجواهر والأمتعة بأعنف جمع وأشدّ إلحاح، فاعلمْ أيّها الجاهل أنّه إنّما يقيم الملك بعد الله تعالى الأموال والجنود، وخاصّة ملك فارس الذي قد اكتنفه الأعداء، ولا يُقدر على كفّهم وردعهم عمّا يريدونه إلّا بالجنود[1] والأسلحة والعُدَد، ولا سبيل إلى ذلك إلّا بالمال. وقد كان أسلافنا جمعوا الأموال والسلاح وغير ذلك، فأغار المنافق بهرام ومن معه على ذلك إلّا اليسير، فلمّا ارتجعنا ملكَنا، وأذعن لنا الرعيّة بالطاعة، أرسلنا إلى نواحي بلادنا أَصْبَهْبذين وقامروسانين[2] فكفّوا الأعداء وأغاروا على بلادهم، ووصل إلينا غنائم بلادهم من أصناف الأموال والأمتعة ما لا يعلمه إلّا الله تعالى، وقد بلغنا أنّك هممت بتفريق هذه الأموال على رأي الأشرار المستوجبين للقتل، ونحن نُعلمك أنّ هذه الأموال لم تجتمع إلّا بعد الكدّ والتعب والمخاطرة بالنفوس، فلا تفعل ذلك فإنّها كهف ملكك وبلادك، وقوّة على عدوّك.

فلمّا انصرف أستاذ خشنش[3] إلى شيرويه قصّ عليه جواب أبيه، ثمّ إنّ عظماء الفرس عادوا إلى شيرويه فقالوا: إمّا أن تأمر بقتل أبيك وإمّا أن نطيعه ونخلعك، فأمر بقتله على كُره منه، وانتدب لقتله رجالاً ممّن وَتَرَهم كسرى أَبَرْوِيز، وكان الذي باشر قتله شابّ يقال له مِهْرهُرْمُز بن مَرْدانْشاه من ناحية نيمروذ.

فلمّا قُتل شقّ شيرويه ثيابه وبكى ولطم وجهه، وحُملت جنازته، وتبِعها العظماء وأشراف النّاس، فلمّا دُفن أمر شيرويه بقتل مِهْرهُرْمُز قاتل أبيه. وكان ملكه ثمانياً وثلاثين سنة[4].

ثمّ إنّ شيرويه قتل إخوته، فهلك منهم سبعة عشر أخاً ذوو شجاعة وأدب، بمشورة وزيره فيروز.

وابتُلي شيرويه بالأمراض، ولم يلتذّ بشيء من الدنيا، وكان هلاكه بدَسْكَرة المَلِك، وجزع بعد قتل إخوته جزعاً شديداً.

ويقال: إنّه لما كان اليوم الثاني من قتل إخوته دخلت عليه بوران وازرْميدختْ أختاه

(١) ساقطة من النسخة (ب).

(٢) في النسخة (ر): «فادوسانين». وأثبت محقّق تاريخ الطبري ٢/٢٢٦ «فاذوسبانين» وورد في نسخ أخرى: «قاووسانين» و«فاروسانين» و«قاوسانين».

(٣) في تاريخ الطبري ٢/٢٢٧ «جشنس». وفي النسخة (ب): «أسارحسن».

(٤) المقصود كسرى أبرويز.

فأغلظتا له وقالتا: حملك الحرص على المُلْك الذي لا يتمّ لك، على قتل أبيك وإخوتك. فلمّا سمع ذلك بكى بكاء شديداً ورمى التاجَ عن رأسه ولم يزل مهموماً مُدْنفاً.

ويقال: إنّه أباد من قدر عليه من أهل بيته. وفشا الطاعون في أيّامه[1] فهلك من الفرس أكثرهم، ثمّ هلك هو.

وكان ملكه ثمانية أشهر[2].

ذِكْر ملك أردشير[3]

وكان عمره سبع سنين.

فلمّا تُوُفّي شيرويه ملّك الفرس عليهم ابنَه أردشير، وحضنه رجل يقال له بهادر جُسنس[4]، مرتبته رئاسة أصحاب المائدة، فأحسن سياسة الملك، فبلغ من إحكامه ذلك ما لم يُحَسَّ معه بحداثة سنّ أردشير.

وكان شَهْربراز بثغر الروم في جُنْدٍ ضمّهم إليه كسرى أَبَرْوِيز، وكان قد صلح له بعده ما فعل بالروم مما ذكرناه، وكان يُنْفِذ له الخلَع والهدايا، وكان أَبَرْوِيز وشِيرَوَيْه يكاتبانه ويستشيرانه، فلمّا لم يشاوره عظماء الفرس في تمليك أردشير اتّخذ ذلك ذريعة إلى التعنّت[5]، وبسط يده في القتل، وجعله سبباً للطمع في الملك احتقاراً لأردشير لصِغر سنّه، فأقبل بجنده نحو المدائن، فتحوّل أردشير وبهادر جُسنس ومن بقي من نسل الملك إلى مدينة طيسفون[6]، فحاصرهم شَهْرْبراز ونصب عليهم المجانيق، فلم يظفر بشيء، فأتاها من قبل المكيدة، فلم يزل يخدع رئيس الحراس وأصْبهْبذ[7] نيمروذ حتى فتحا له باب المدينة فدخلها، وقتل جماعةً من الرؤساء وأخذ أموالهم، وقتل بعضُ أصحابه أردشير في إيوان خُسْرَوْشاه قُباذ بأمر شَهْرْبراز.

وكان ملكه سنة وستّة أشهر.

---

(١) تاريخ خليفة ٧٩.

(٢) الخبر بطوله في تاريخ الطبري ٢/٢١٨ - ٢٢٩.

(٣) تاريخ اليعقوبي ١/١٧٢، المعارف ٦٦٥، تاريخ الطبري ٢/٢٣٠، التنبيه والإشراف ٨٩، مروج الذهب ١/٢٨٠، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و ٢٤ و ٥٤، نهاية الأرب ١٥/٢٢٩، تاريخ ابن خلدون ٢/١٨١.

(٤) في تاريخ الطبري «مهآذرْجُشنس». (٢/٢٣٠). وانظر تاريخ اليعقوبي.

(٥) في الطبعة الأوربية «التعتّب».

(٦) في الأصل «طيسور».

(٧) في النسخة (ب): «اصهبذين».

ذِكْر مُلْك شهربراز[1]

ولم يكن من بيت الملك.

لما قُتل أردشير جلس شَهْرَبَراز، واسمه فَرُّخان، على تخت المملكة، فحين جلس عليه ضرب عليه بطنه فاشتدّ ذلك. ثمّ عُوفي.

وتعاهد ثلاثة إخوة من أهلِ إصْطَخْر على قتْله غضباً لقتل أردشير، وكانوا في حرسه، وكان الحرس يقفون سماطَين إذا ركب الملك عليهم السلاح وبأيديهم السيوف والرماح، فإذا حاذى الملك بعضهم وضع جبهته على ترسه فوق الترس كهيئة السجود. فركب شهربراز يوماً فوقف الإخوة الثلاثة بعضهم قريب من بعض، فلمّا حاذاهم طعنوه فسقط ميتاً، فشدّوا في رِجْله حبلاً وجرّوه، وساعدهم بعض العظماء وتساعدوا على قتل جماعة قتلوا أردشير، وكان جميع ملكه أربعين يوماً.

ذِكْر مُلْك بوران ابنة أَبَرْوِيز بن هرمز بن أنوشِروان[2]

لما قُتل شَهْرَبْراز ملّكت الفرس بوران، لأنّهم لم يجدوا من بيت المملكة رجلاً يملّكونه. فلمّا مَلَكت أحسنت السيرة في رعيّتها وعدلت فيهم، فأصلحت القناطر، ووضعت ما بقي من الخراج، وردّت خشبة الصليب على ملك الروم، وكانت مملكتها سنة وأربعة أشهر.

ثمّ مَلَك بعدها رجل يقال له خشنشبنده[3] من بني عمّ أَبَرْوِيز الأبعدين، وكان ملكه أقلّ من شهر، وقتله الجند لأنّهم أنكروا سيرته.

ذِكْر مُلْك آزَرْمِيدُخْت ابنة أَبَرْوِيز[4]

لما قُتل خُشْنَشبنده ملّكت الفرس آزَرْمِيدُخْت ابنة أَبَرْوِيز، وكانت من أجمل النساء، وكان عظيم الفرس يومئذٍ فَرُّخْهُرْمُز أَصْبَهْبذ خُراسان، فأرسل إليها يختطبها، فقالت: إنّ

---

(١) المعارف ٦٦٦، التنبيه والإشراف ٨٩، مروج الذهب ١/ ٢٨٠، تاريخ الطبري ٢/ ٢٣١، نهاية الأرب ١٥/ ٢٣٢، تاريخ ابن خلدون ٢/ ١٨١، البدء والتاريخ ٣/ ١٧٢.

(٢) المعارف ٦٦٦، تاريخ اليعقوبي ١/ ١٧٣، تاريخ الطبري ٢/ ٢٣١، مروج الذهب ١/ ٢٨١، التنبيه والإشراف ٩٠، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و٢٤ و٥٤، الأخبار الطوال ١١١، البدء والتاريخ ٣/ ١٧٢، تاريخ ابن خلدون ٢/ ١٨١.

(٣) في تاريخ الطبري ٢/ ٢٣٢: «جُشْنَسْدِه».

(٤) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و٢٤ و٥٤، التنبيه والإشراف ٩٠، مروج الذهب ١/ ٢٨١، تاريخ اليعقوبي ١/ ١٧٣، المعارف ٦٦٦، نهاية الأرب ١٥/ ٢٣٢، البدء والتاريخ ٣/ ١٧٣، تاريخ ابن خلدون ٢/ ١٨٢.

التزوّج للملكة غير جائز، وغرضك قضاء حاجتك مني، فصرْ إليّ وقت كذا. ففعل وسار إليها تلك الليلة، فتقدّمت إلى صاحب حرسها أن يقتله، فقتله وطُرح في رحبة دار المملكة، فلمّا أصبحوا رأوه قتيلاً فغيّبوه.

وكان ابنه رستم، هو الذي قاتل المسلمين بالقادسيّة، خليفةَ أبيه بخُراسان، فسار في عسكر حتى نزل بالمدائن، وسمل عينيْ آزرميدخت وقتلها.

وقيل: بل سُمّت. وكان ملكها ستّة أشهر.

قيل: ثمّ أتَى رجل يقال له كسرى بن مِهْرُجْسَنَس من عقِب أردشير بن بابك كان ينزل الأهواز، فملّكه العظماء ولبس التاج وقُتل بعد أيّام.

وقيل: إنّ الذي مَلَك بعد آزَرْمِيدُخت خُرَّزاد خُسْرو من ولد أَبَرْوِيز، وأمّه كرديّة أخت بسطام.

قيل: وُجِدَ بحصن الحجارة بقرب نَصِيبين، فمكث أيّاماً يسيرة ثمّ خلعوه وقتلوه. وكان ملكه ستّة أشهر.

وقال الذين قالوا ملك كسرى بن مِهْرجُسْنس: إنّه لما قُتل، طلب عظماء الفرس مَنْ له نسب ببيت المملكة ولو من النساء، فأتوا برجل كان يسكن ميسان يقال له فيروز بن مِهْران جُسْنس، ويسمّى أيضاً جُسْنَسَنْدِه، أمّه صَهَار بُخْت ابنة يزدانزان[1] بن أنوشِروان فملّكوه، وكان ضخم الرأس. فلمّا تُوِّج قال: ما أضيق هذا التاج! فتطيّروا من كلامه فقتلوه في الحال.

وقيل: كان قتْله بعد أيّام[2].

ذِكْر ملْك يَزْدَجِرْد بن شَهريار بن أَبَرْوِيز[3]

ثمّ إنّ الفرس اضطرب أمرهم، ودخل المسلمون بلادهم، فطلبوا أحداً من بيت المملكة ليملّكوه ويقاتلوا بين يديه ويحفظوا بلادهم، فظفروا بيَزْدَجِرْد بن شهريار بن أَبَرْوِيز بإصْطَخْر، فأخذوه وساروا به إلى المدائن فملّكوه واستقرّ في الملك، غير أنّ ملكه كان

---

(١) في تاريخ الطبري ٢/٢٣٣ «يزداندار».

(٢) الطبري ٢/٢٣٣.

(٣) البدء والتاريخ ٣/١٧٣، مروج الذهب ١/٢٨١، التنبيه والإشراف ٩٠، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١٩ و ٢٤ و ٥٥، تاريخ الطبري ٢/٢٣٤، نهاية الأرب ١٥/٢٣٣، تاريخ اليعقوبي ١/١٧٤، المعارف ٦٦٦، تاريخ ابن خلدون ٢/١٨٢.

كالخيال عند ملك أهل بيته. وكان الوزراء والعظماء يدبّرون ملكه لحداثة سنّه وضعف أمر مملكة فارس، واجترأ عليهم الأعداء وتطرّقوا بلادهم، وغزت العرب بلاده بعد أن مضى من ملكه سنتان. وكان عمره كلّه إلى أن قُتل ثمانياً وعشرين سنة.

وبقي من أخباره ما نذكره إن شاء الله في موضعه من فتوح المسلمين.

هذا آخر ملوك الفرس، ونذكر بعده التواريخ الإسلاميّة على سياقة سنيّ الهجرة، ونقدّم قبل ذلك الأيّام المشهورة للعرب في الجاهليّة، ثمّ نأتي بعدها بالحواث الإسلاميّة إن شاء الله تعالى.

ذِكْر أيّام العرب في الجاهلية[1]

لم يذكر أبو جعفر من أيّامها غير يوم ذي قار، وجُذَيْمة الأبرش، والزبّاء، وطَسْم، وجَديس، وما ذكر ذلك إلاّ حيث أنّهم ملوك، فأغفل ما سوى ذلك. ونحن نذكر الأيّامَ المشهورة والوقائع المذكورة التي اشتملت على جمعٍ كثير وقتال شديد، ولم أعرّج على ذكر غارات تشتمل على النفر اليسير، لأنّه يكثُر ويخرج عن الحصر، فنقول، وبالله التوفيق:

ذكر حرب زهير بن جَنَاب[2] الكلبي مع غطفان وبكر وتغلب وبني القين

كان زُهَيْر بن جَناب بن هُبَل بن عبد الله بن كِنانة بن بكر بن عَوْف بن عُذْرة الكلبيّ أحد مَن اجتمعت عليه قُضاعةُ، وكان يُدْعَى الكاهن لصحّة رأيه، وعاش مائتَيْن وخمسين سنة، أوقع فيها مائتَيْ وقعة.

وقيل: عاش أربعمائة وخمسين سنة[3]، وكان شجاعاً مظفّراً ميمون النقيبة.

---

(١) هذا الموضوع من هنا حتى آخر المجلّد ليس في تاريخ الطبري. وقد انفرد المؤلّف هنا بعرضه الموسّع لأيام العرب. وهذا يدلّ على أنه لم يتقيّد بمتابعة الطبري دون أن يَسِم كتابه بمنهجيّته الخاصّة.

(٢) أنظر عنه: «المحبّر لابن حبيب ٢٥٠ و ٤٧١، وأنساب الأشراف للبلاذري ١/ ١٩، وجمهرة أنساب العرب ٤٥٦، ٤٥٧، نسب قريش ٢٠٧، المؤتلف والمختلف للآمدي ١٣٠، المزهر ٢/ ٤٧٥، طبقات الشعراء لابن سلام ٣٠، معجم الشعراء للمرزباني ١٣٠، الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٢٣، رسالة الغفران ٣٥٤، الاشتقاق لابن دُريد ٢٥٩، الأغاني ٥/ ١١٨، و ١٩/ ١٥، أخبار المعمَّرين للسجستاني ٢٧ - ٢٩، المفضّليات ١١٧، أمالي المرتضى ١/ ٢٤٠، معجم ما استعجم ٢/ ٤٩٦، لسان العرب (طبعة صادر) ١٤/ ٢١٦ و ٣٨٥، الإصابة لابن حجر ٢/ ٢٤٩ رقم ٤٤٢٣، تاريخ الآداب العربية لكارلو نالينو ٨٢، المفصّل في تاريخ العرب للدكتور جواد علي (أنظر فهرس الأعلام ١٠/ ١٠٨)، القاموس الإسلامي ٣/ ١١٨ . Encyclopedia of islam - II, P. 688, IV, P. 1237

(٣) من نافلة القول أننا لا يمكن أن نعوّل على هذا القول. ويُلاحَظ لنا أنّ أخبار الجاهليين بشكل خاصّ يكتنفها المبالغة، وعدم الدّقة في المعلومات والتواريخ، إذ ينقصهم التدوين في ذلك الوقت، ومن هنا جاءت المبالغة في أعمار الكثير من الجاهليّين، بحيث عُمّر بعضهم مئات السنين. غير أنّ المبالغة الواقعة هنا ليست من ابتداع المؤلّف، فهو ينقل عن غيره، وأثبت هذه المعلومة دون نقدها، ولهذا اقتضى منّا التنويه.

وكان سبب غَزَاته غطفان أنّ بني بَغيض بن ريْث[1] بن غطفان حين خرجوا من تِهامة ساروا بأجمعهم، فتعرّضت لهم صُداء، وهي قبيلة من مَذْحِج، فقاتلوهم، وبنو بَغيض سائرون بأهليهم وأموالهم، فقاتلوهم عن حريمهم، فظهروا على صُداء وفتكوا فيهم، فعزَّت بغيض بذلك، وأثرت وكثُرت أموالُها. فلمّا رأوا ذلك قالوا: والله لنتّخذنّ حرماً مثل مكّة لا يُقْتَل صيده ولا يُهاج عائذُه، فبنَوا حرماً ووليه بنو مُرّة[2] بن عوف، فلمّا بلغ فعلُهم وما أجمعوا عليه زهيرَ بنَ جَناب قال: والله لا يكون ذلك أبداً وأنا حيّ، ولا أخلّي غطفان تتّخذ حرماً أبداً. فنادى في قومه فاجتمعوا إليه، فقام فيهم فذكر حال غطفان وما بلغه عنهم وقال: إنّ أعظم مأثرة يدَّخرها هو وقومه أن يمنعوهم من ذلك، فأجابوه، فغزا بهم غطفانَ وقاتلهم أبرحَ قتالٍ وأشده[3]، وظفر بهم زهير، وأصاب حاجتَه منهم، وأخذ فارساً منهم في حرمهم فقتله وعطّل ذلك الحرم.

ثمّ مَنّ على غطفان، وردّ النساء وأخذ الأموال؛ وقال زهير في ذلك:

فلم تصبرْ لنا غطفانُ لمّا	تلاقينا وأُحْرِزَتِ النساءُ
فلولا الفضلُ منّا ما رجعتم	إلى عَذْراءَ شيمتُها الحَيَاءُ
فَدُونَكُمُ دُيُوناً فاطْلُبوها	وأوْتاراً[4] ودونكُم اللِّقاءُ
فإنّا حيث لا يَخفى[5] عليكم	ليوثٌ حين يحتضر[6] اللواءُ
فقد أضحى لحيّ بني جَنابٍ	فضاءُ الأرض والماءُ الرَّواءُ[7]
نَفَيْنا نَخْوَةَ الأعداء عنّا	بأرماحٍ أسِنَّتُها ظِماءُ
ولولا صَبْرُنا يومَ التقينا	لَقِينا مثلَ ما لَقِيَتْ صُداءُ
غداةَ تضرّعوا[8] لبني بَغيضٍ	وصِدْقُ الطعن للنَّوْكَى[9] شِفاءُ[10]

وأمّا حربه مع بكر وتغلب ابنَيْ وائل، فكان سببها أنّ أبرهة حين طلع إلى نجد أتاه زهير، فأكرمه وفضّله على مَنْ أتاه من العرب، ثمّ أمّره على بكر وتغلب ابنَيْ وائل،

(١) في الأصل «نقيض بن ريب». (من نسخة Rawilinsonii) وسأرمز إليها بحرف (ي).
(٢) في نسخة (ي) «قرة».
(٣) في نسخة (ي) «شديد».
(٤) في الأصل والنسخة (ب): «أوثارا»، وما أثبتناه عن الأغاني ١٩/١٦.
(٥) في الأغاني ١٩/١٦ «نخفى».
(٦) في مختار الأغاني «يهتصر».
(٧) في الأصل، ونسخة المتحف البريطاني (ت): «الرقاء».
(٨) في النسخة (ي): «تصرعوا»، وما أثبتناه عن الأغاني ١٩/١٧.
(٩) النَّوْكَى: جمع أَنْوَك، وهو الأحمق أو العاجز الجاهل، أو الكسول.
(١٠)الأبيات وغيرها في الأغاني ١٩/١٦، ١٧.

فوليهم حتّى أصابتهم سنةٌ، فاشتدّ عليهم ما يطلب منهم من الخراج، فأقام بهم زهير في الحرب، ومنعهم من النجعة حتّى يؤدّوا ما عليهم، فكادت مواشيهم تهلك. فلمّا رأى ذلك ابن زَيّابة[1] أحد بني تَيْم الله بن ثعلبة، وكان فاتكاً، أتى زهيراً وهو نائم، فاعتمد التيميّ بالسيف على بطن زهير، فمرّ فيها حتى خرج من ظهره مارقاً بين الصِّفاق، وسلمت أمعاؤه وما في بطنه، وظنّ التيميّ أنّه قد قتله، وعلم زهير أنّه قد سلم فلم يتحرّكْ لئلّا يُجْهِز عليه، فسكت. فانصرف التيميّ إلى قومه، فأعلمهم أنّه قتل زهيراً، فسرّهم ذلك.

ولم يكن مع زهير إلّا نفر من قومه، فأمرهم أن يُظْهروا أنّه ميت، وأن يستأذنوا بكراً وتغلب في دفنه، فإذا أذِنوا دفنوا ثياباً ملفوفة، وساروا به مُجِدّين إلى قومهم، ففعلوا ذلك. فأذِنت لهم بكر وتغلِب في دفنه، فحفروا وعمّقوا ودفنوا ثياباً ملفوفة لم يشكّ مَن رآها أنّ فيها ميتاً، ثمّ ساروا مجدّين إلى قومهم، فجمع لهم زهير الجموعَ، وبلغهم الخبرُ. فقال[2] ابن زَيّابة[3]:

طَعْنةً ما طعنتُ في غَلَس[4] الليـ ـل زهيراً وقد توافى الخصومُ
حين يحمي[5] له المواسمَ بكرٌ أين بكرٌ وأين منها الحُلُومُ
خانني السيف[6] إذ طعنتُ زهيراً وَهْوَ سيف[7] مضلَّل مشؤومُ[8]

وجمع زهير من قدر[9] عليه من أهل اليمن، وغزا بكراً وتغلب، وكانوا علموا به، فقاتلهم قتالاً شديداً انهزمت [به] بكر، وقاتلت تغلب بعدها فانهزمت أيضاً، وأُسر كُلَيْب ومُهَلْهِل ابنا ربيعة، وأُخذت الأموال وكثُرت القتلى في بني تغلب، وأُسر جماعة[10] من فرسانهم ووجوههم، فقال زهير في ذلك قصيدة:

أين أين الفِرار من حَذَر المو تِ إذا[11] يتّقون بالأسلابِ

---

(١) في النسخة (ي): «ريانة».
(٢) في طبعة صادر ١/٥٠٤ «بن».
(٣) في النسخة (ي): «ريانة».
(٤) في الشعر والشعراء ١/٢٩٤ «غَبَس»، وفي الأغاني ١٩/١٨ «غَبَش» والمثبت يتفق مع المختار من الأغاني. وكل الألفاظ بمعنى الظُلْمة.
(٥) في الأغاني «تجبي»، وفي النسخة (ر): «يحمى».
(٦) في الشعر والشعراء ١/٢٩٤ «الرمح».
(٧) في الشعر ١/٢٩٤ «رمح».
(٨) في النسخة (ب): «ميشوم».
(٩) في النسخة (ي): «قدم».
(١٠)في النسختين (ي)و(ر): «والأسر بجماعة».
(١١)في الأغاني ١٩/١٩ «وإذ».

إذ أسَرْنا مُهَلْهِلاً وأخاه وابن عمرٍو فِي القيد[1] وابن شهابِ
وسبينا من تغلبٍ كلَّ بيضا ء رَقودِ الضُّحى بَرودَ الرُّضابِ
حين تَدْعُو مُهَلْهِلاً[2] يالَ بَكْرٍ ها أهذِي حفيظةُ الأحسابِ
ويْحَكُم ويْحَكُم أُبيح حِماكُم يا بني تغلبٍ أنا ابن رُضابِ[3]
وهُمُ هاربون في كلّ فَجٍّ كشَريدِ النَّعامِ فَوقَ الرَّوابي
واستدارتْ رُحَى المنايا عليهم بِلُيوثٍ مِنْ عامرٍ وجَنابِ
فَهُمُ بين هاربٍ ليس يَألُوا[4] وقتيلٍ معفَّرٍ في الترابِ
فَضَلَ العِزُّ عِزُّنا حين نسمو مثل فضلِ السماء[5] فوق السحابِ

وأمّا حربه مع بني القَيْن بن جَسْر فكان سببها أنّ أختاً لزهير كانت متزوّجة فيهم. فجاء رسولها إلى زهير ومعه صرّة فيها رمل[6] وصرّة فيها شوك قَتَاد، فقال زهير: إنّها تخبركم أنّه يأتيكم عدوّ[7] كثير ذو شوكة شديدة، فاحتملوا. فقال الجُلاح بن عوف السُّحَميّ[8]: لا نحتمل لقول امرأة، فَظعَنَ[9] زهير وأقام الجُلاح، وصبّحه الجيش فقتلوا عامّة قوم الجلاح، وذهبوا بأموالهم وماله.

ومضى زهير فاجتمع مع عشيرته من بني جَنَاب، وبلغ الجيشَ خبرُه فقصدوه، فقاتلهم وصبر لهم فهزمهم وقتل رئيسهم، فانصرفوا عنه خائبين[10].

ولمّا طال عمر زهير وكبِرت سنّه استخلف ابنَ أخيه عبد الله بن عُلَيْم، فقال زهير يوماً: ألا إنّ الحيّ ظاعنٌ.

فقال عبد الله: ألا إنّ الحيّ مقيمٌ.

فقال زهير: مَنْ هذا المخالف عليّ؟.

---

(١) في النسختين: (ت) و(ر)، والأغاني «القدّ».
(٢) في الأغاني «يدعو مهلهل».
(٣) في النسخة (ر): «ضراب». وفي الأغاني «أما من ضِراب»
(٤) في النسخة (ب): «يلوا».
(٥) في النسخة (ي): «الشتاء».
(٦) في النسخة (ب): «دراهم» والنسخة (ي): «مال».
(٧) في النسخة (ي): «عدد».
(٨) في النسخة (ي): «المسيحي».
(٩) في النسخة (ب): «ففطن».
(١٠) الخبر في الأغاني ١٩/٢٤ ـ ٢٥.

فقالوا: ابن أخيك عبد الله بن عُلَيْم.

فقال: أعْدى الناس للمرء ابنُ أخيه. ثمّ شرب الخمر صرفاً حتى مات[1].

وممّن شرب الخمر صرفاً حتّى مات: عمرو بن كُلْثوم التغلبيّ، وأبو عامر مُلاعِب الأَسِنَّة العامريّ.

ذِكْر يوم البَرَدَان

فكان من حديثه أنّ زِياد بن الهَبُولة[2] ملك الشام، وكان من سَليح[3] بن حُلْوان بن عِمْران بن الحاف بن قُضاعة. فأغار على حُجْر بن عمرو[4] بن معاوية بن الحارث الكِنْديّ ملك عرب بنجد ونواحي العراق، وهو يلقَّب آكل المُرار، وكان حُجْر قد أغار في كِندة وربيعة على البحرين، فبلغ زياداً خبرُهم، فسار إلى أهل حُجر وربيعة وأموالهم وهم خُلوف، ورجالهم في غَزَاتهم المذكورة، فأخذ الحريم، والأموال، وسبى فيهم هنداً بنت ظالم بن وَهْب بن الحارث بن مُعَاوية.

وسمع حُجْر وكِنْدة وربيعة بغارة زياد، فعادوا عن غزوهم في طلب ابن الهَبُولة، ومع حُجْر أشراف ربيعة بن عوف بن مُحَلِّم بن ذُهْل بن شيبان. وعمرو بن أبي ربيعة[5] بن ذُهْل بن شيبان وغيرهما، فأدركوا عَمراً بالبَرَدان[6] دون عين أُباغ[7] وقد أمِن الطلبَ، فنزل حُجْر في سفح جبل، ونزلت بكر وتغلب وكِنْدة مع حُجر دون الجبل بالصَّحْصَحَان على ماء يقال له حفير. فتعجّل عوف بن محلّم وعمرو بن أبي ربيعة بن ذُهْل بن شيبان وقالا لحُجْر: إنّا متعجّلان إلى زياد، لعلّنا نأخذ منه بعض ما أصاب منّا. فسار إليه، وكان بينه وبين عوف إخاء، فدخل عليه وقال له: يا خير الفتيان ارددْ عليّ امرأتي أُمامة. فردّها عليه وهي حامل، فولدت له بنتاً أراد عوف أن يَئِدها[8] فاستوهبها منه عمرو بن أبي ربيعة وقال:

---

(١) الأغاني ١٩/ ٢٤.

(٢) في النسخة (ي): «الهيولة». والمثبت يتفق مع: الاشتقاق لابن دريد ٢/ ٣١٩، وأيام العرب ٤٥، والمفصّل في تاريخ العرب ٣/ ٣٢٠.

(٣) في النسخة (ي): «سليخ».

(٤) أنظر عنه في: تاريخ اليعقوبي ١/ ٢١٦، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩٢، جمهرة أنساب العرب ١٩١ و١٩٣ و٤٢٧، ٤٢٨، المحبّر لابن حبيب ٣٦٨ و ٣٦٩، المعارف ٦٠٩، والمختصر في أخبار البشر ١/ ٧٤.

(٥) في النسخة (ر): «ضليع بن عبد غنم».

(٦) البَرَدان: بالتحريك. جبل مشرف على وادي نخلة قرب مكة. (معجم البلدان ١/ ٣٧٥).

(٧) عين أُباغ: بضم أوّله، وآخره غين معجمة. كانت بها منازل إياد بن نزار. وأُباغ: رجل من العمالقة نزل ذلك الماء فنسب إليه. (معجم البلدان ١/ ٦١).

(٨) في النسخة (ت): «يبيدها»، وفي النسخة (ي): «ينبذها».

لعلّها تلِد أُناساً[1] فسُمّيت أمّ أُناس[1]، فتزوّجها الحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المُرار، فولدت عَمراً، ويُعرف بابن أمّ أُناس[1].

ثمّ إنّ عمرو بن أبي ربيعة قال لزياد: يا خير الفتيان اردُدْ عليّ ما أخذتَ من إبلي. فردّها عليه وفيها فحلها، فنازعه[2] الفحل إلى الإبل، فصرعه عمرو. فقال له زياد: يا عمرو لو صرعتم يا بني شيبان الرجال كما تصرعون الإبل لكنتم أنتم أنتم! فقال له عمرو: لقد أعطيتَ قليلاً، وسَمّيْت[3] جليلاً، وجررتَ على نفسك ويلاً[4] طويلاً! ولتجدنّ منه، ولا والله لا تبرح حتّى أروي سناني من دمك! ثمّ ركض فرسه حتّى صار إلى حُجْر، فلم يوضح له الخبر، فأرسل سَدوس بن شَيْبان بن ذُهْل وصُلَيْع[5] بن عبد غَنْم[6] يتجسّسان له الخبر، ويعلمان علم العسكر، فخرجا حتّى هجما على عسكره ليلاً وقد قسم الغنيمة وجيء بالشمع، فأطعم الناس تمراً وسمناً، فلمّا أكل الناس نادى: مَنْ جاء بحزمة حطب فله قِدْرة[7] تمر. فجاء سدُوس وصُلَيْع بحطب، وأخذا قدرتَيْن[8] من تمر، وجلسا قريباً من قُبّته. ثمّ انصرف صُلَيْع إلى حُجْر فأخبره بعسكر زياد وأراه التمر.

وأمّا سَدُوس فقال: لا أبرح حتّى آتيه بأمرٍ جلّي. وجلس مع القوم يتسمّع ما يقولون، وهند امرأة حُجْر خلف زياد، فقالت لزياد: إنّ هذا التمر أُهْدي إلى حُجْر من هَجَر، والسمن من دُومة الجَنْدل. ثمّ تفرّق أصحاب زياد عنه، فضرب سَدُوس يده إلى جليس له وقال له: مَنْ أنت؟ مخافة أن يستنكره الرجل. فقال: أنا فلان بن فلان. ودنا سدوس من قُبّة زياد بحيث يسمع كلامه، ودنا زياد من امرأة حُجر، فقبّلها وداعبها وقال لها: ما ظنّك الآن بحُجْر؟ فقالت: ما هو ظنّ ولكنّه يقين، إنّه والله لن يَدَع طلبك حتّى تعاين القصور الحمر، يعني قصور الشام، وكأنّي به في فوارس من بني شيبان يذمرهم ويذمرونه، وهو شديدُ الكَلَب، تُزبِد[9] شفتاه كأنّه بعير أكل مُراراً، فالنَّجاء النَّجاء! فإنّ وراءك طالباً حثيثاً، وجمعاً كثيفاً، وكيْداً متيناً، ورأياً صليباً. فرفع يده فلطمها، ثمّ قال لها: ما قلتِ هذا إلّا من عجبك به وحبّك له! فقالت: والله ما أبغضتُ أحداً بغضي له،

---

(١) في النسخة (ي): «إياساً».
(٢) في النسخة (ي): «فصارعه».
(٣) في النسختين (ب) و(ي): «سموت» والنسخة (ر): «شمت».
(٤) في النسخة (ي): «بلاء».
(٥) في النسخة (ي): «ضليع».
(٦) في النسخة (ي): «عمرو».
(٧) في النسخة (ب): «قدح»، وفي النسخة (ي): «قدوة».
(٨) في النسخة (ي): «قدوتين»، وفي النسخة (ب): «قدحين».
(٩) في النسخة (ب): «تزيد»، وفي النسخة (ت): «تريد».

ولا رأيتُ رجلاً أحزم منه نائماً ومستيقظاً، إن كان لَتَنام عيناه فبعض أعضائه مستيقظ! وكان إذا أراد النوم أمرني أن أجعل عنده عُسّاً من لبن، فبينا هو ذات ليلة نائم، وأنا قريب منه أنظر إليه، إذ أقبل أسود سالخ إلى رأسه فنحّى رأسه، فمال إلى يده فقبضها فمال إلى رِجْله فقبضها، فمال إلى العس فشربه ثمّ مجّه. فقلتُ: يستيقظ فيشربه فيموت فأستريح منه. فانتبه من نومه فقال: عليّ بالإناء، فناولتُهُ فشمّه ثمّ ألقاه فهريق. فقال: أين ذهب الأسود؟ فقلتُ: ما رأيته. فقال: كذبتِ والله! وذلك كلّه يسمعه سدوس، فسار حتّى أتى حُجْراً، فلمّا دخل عليه قال:

أتاك المُرْجفون بأمر غيبٍ ... على دهش وجئتُك باليقينِ
فمن يكُ قد أتاك بأمرِ لَبْسٍ ... فقد آتي[1] بأمرٍ مستبينِ

ثمّ قصّ عليه ما سمع، فجعل حُجْر يعبث بالمرار ويأكل منه غضباً وأسفاً، ولا يشعر أنّه يأكله من شدّة الغضب، فلمّا فرغ سَدُوس من حديثه وجد حُجْر المُرار، فسُمّي يومئذ آكل المُرار[2].

والمُرارُ نبت شديد المُرار لا تأكله دابّة إلاّ قتلها.

ثمّ أمر حُجر فنودي في الناس، وركب وسار إلى زياد، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم زياد وأهل الشام وقُتلوا قتلاً ذريعاً، واستنقذتْ بكر وكِنْدة ما كان بأيديهم من الغنائم والسبي، وعرف سَدُوس زياداً فحمل عليه فاعتنقه وصرعه وأخذه أسيراً، فلمّا رآه عمرو ابن أبي ربيعة حسده،فطعن زياداً فقتله. فغضب سَدُوس وقال: قتلتَ أسيري ودِيَتُه دية ملكٍ، فتحاكما إلى حُجْر، فحكم على عمرو وقومه لسَدُوس بدِيةِ ملك وأعانهم من ماله. وأخذ حُجْر زوجته هنداً فربطها في فرسَيْن، ثمّ ركضهما حتّى قطعاها.

ويقال: بل أحرقها، وقال فيها:

إنّ مَن غرّه النساء بشيءٍ ... بعد هندٍ لجاهلٌ مغرورُ
حلوةُ العين والحديث ومُرٌّ[3] ... كلّ شيء أجنّ منها الضميرُ
كلّ أُنْثى وإن بدا لك منها ... آيةُ الحبّ حبُّها خَيْتَعُورُ[4]

ثمّ عاد إلى الحيرة.

---

(١) في النسختين: (ب) و(ت): «واتى».
(٢) الأغاني ٧٨/٩.
(٣) في النسخة (ر) والأصل «ومن».
(٤) الخيتعور: كل ما لا يدوم على حاله

قلتُ: هكذا قال بعض العلماء إنّ زياد بن هَبُولة السّليحيّ ملك الشام غزا حُجراً، وهذا غير صحيح لأنّ ملوك سليح كانوا بأطراف الشام ممّا يلي البرّ من فلسطين إلى قِنّسرين والبلاد للروم، ومنهم أخذت غسّان هذه البلاد، وكلّهم كانوا عُمّالاً لملوك الروم. (كما كان ملوك الحيرة عُمّالاً لملوك الفرس على البرّ والعرب، ولم يكن سليح ولا غسّان)[1] مستقلّين بملك الشام، (ولا بشبر واحد على سبيل التفرّد والاستقلال)[2].

وقولهم: ملك الشام، غير صحيح، وزياد بن هَبولة السّليحيّ ملك مشارف الشام أقدمُ من حُجْر الذي مَلَك الحيرة والعرب بالعراق أيّامَ قُباذ أبي أنوشِروان. وبين مُلك قُبْاذ والهجرة نحو مائة وثلاثين سنة، وقد مَلَكت غسّان أطراف الشام بعد سليح ستّمائة سنة.

وقيل: خمسمائة سنة.

وأقلّ ما سمعتُ فيه ثلاثمائة سنة وستّ عشرة سنة، وكانوا بعد سليح، (ولم يكن زياد آخر ملوك سليح، فتزيد المدّة زيادة أخرى)[3]، وهذا تفاوتٌ كثير، فكيف يستقيم أن يكون ابن هَبُولة الملك أيّامَ حُجْر حتّى يُغير عليه! وحيث أطبقت رواةُ العرب على هذه الغزاة فلا بدّ من توجيهها، وأصلحُ ما قيل فيه: إنّ زياد بن هَبولة المعاصر لحُجْر كان رئيساً على قوم، أو متغلّباً على بعض أطراف الشام حتّى يستقيم هذا القول، والله أعلم.

وقولهم أيضاً: إنّ حُجْراً عاد إلى الحيرة، لا يستقيم أيضاً لأنّ ملوك الحيرة من ولد عديّ بن نصر اللخميّ لم ينقطع مُلكهم لها إلّا أيّام قُباذ، فإنّه استعمل الحارث بن عَمرو ابن حُجْر آكل المُرار كما ذكرناه قبلُ. فلمّا ولي أنوشروان عزل الحارثَ وأعاد اللخميّين، ويُشْبه أن يكون بعض الكِنْديّين قد ذكر هذا تعصّباً، والله أعلم.

إنّ أبا عبيدة ذكر هذا اليوم، ولم يذكر أنّ ابن هَبولة من سَليح بل قال: هو غالب ابن هَبُولة ملك من ملوك غسّان، ولم يذكر عَوْده إلى الحيرة، فزال هذا الوهْم.

(وسَليح بفتح السين المهملة، وكسر اللام، وآخره حاء مهملة)[4].

ذِكْر مقتل حُجر أبي امرىء القيس والحروب الحادثة بمقتله إلى أن مات امرؤ القيس

نذكر أوّلاً سبب ملكهم العرب بنجد، ونسوق الحادثة إلى قتله وما يتّصل به فنقول:

---

(١) العبارة بين القوسين ساقطة من النسخة (ر).

(٢) العبارة بين القوسين ساقطة من النسخة (ر).

(٣) العبارة بين القوسين ساقطة من النسخة (ر).

(٤) في النسخة (ر) ورد بعد ذلك عنوان «ذكر مقتل كليب والأيام بين بكر وتغلب».

كان سفهاء بكر قد غلبوا[1] على عقلائها وغلبوهم على الأمر، وأكل القويُّ الضعيفَ، فنظر العُقلاء في أمرهم، فرأوا أن يملّكوا عليهم ملكاً يأخذ للضعيف[2] من القويّ. فنهاهم العرب وعلموا أنّ هذا لا يستقيم بأن يكون الملك منهم، لأنّه يطيعه قوم ويخالفه آخرون، فساروا إلى بعض تبابعة اليمن، وكانوا للعرب بمنزلة الخلفاء للمسلمين، وطلبوا منه أن يملّك عليهم ملكاً، فملّك عليهم حُجْر بن عمرو آكل المرار، فقدِم عليهم ونزل ببطن عاقل وأغار ببكر، فانتزع عامّة[3] ما كان بأيدي اللخميّين من أرض بكر، وبقي كذلك إلى أن مات، فدُفن ببطن عاقل.

فلمّا مات صار[4] عَمْرو بن حُجر آكل المُرار، وهو المقصور، ملكاً بعد أبيه، وإنّما قيل له المقصور لأنّه قُصِر[5] على ملك أبيه، وكان أخوه معاوية، وهو الجون، على اليمامة. فلمّا مات عمرو مَلَك بعده ابنه الحارث، وكان شديد الملك بعيد الصوت[6]، فلمّا ملك قُباذ بن فيروز الفرس خرج في أيّامه مَزْدك، فدعا الناسَ إلى الزندقة، كما ذكرناه، فأجابه قُباذ إلى ذلك، وكان المنذر بن ماء السماء عاملاً للأكاسرة على الحيرة ونواحيها، فدعاه قُباذ إلى الدخول معه، فامتنع، فدعا الحارث بن عَمْرو إلى ذلك فأجابه، فاستعمله على الحيرة، وطرد المُنْذر عن مملكته[7].

وقيل في تمليكه غير ذلك، وقد ذكرناه أيّام قُباذ.

فبقوا كذلك إلى أن مَلَك كسرى أنوشِروان بن قُباذ بعد أبيه، فقتل مزدكَ وأصحابه، وأعاد المنذرَ بن ماء السماء إلى ولاية[8] الحيرة، وطلب الحارثَ بن عمرو، وكان بالأنبار، وبها منزله، فهرب بأولاده وماله وهجائنه[9]، وتبعه المنذرُ بالخيل من تغلب وإياد وبَهْراء، فلحق بأرض كلب فنجا، وانتهبوا ماله وهجائنه، وأخذت تغلِب ثمانية وأربعين نفساً من بني آكل المُرار، فيهم عمرو ومالك ابنا الحارث، فقدِموا بهم على المنذر، فقتلهم في ديار بني مَرينا[10]، وفيهم يقول عمرو بن كُلْثوم:

---

(١) في الطبعة الأوربية «غلب».
(٢) في الطبعة الأوربية «الضعيف».
(٣) في الطبعة الأوربية «غاية».
(٤) ساقطة من النسخة (ر).
(٥) في النسخة (ي): «تقصر».
(٦) في النسخة (ب): «المقصور».
(٧) الأغاني ٩/٧٩، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩١.
(٨) في النسخة (ي): «بلاد».
(٩) في طبعة صادر ١/٥١٢ «هجانته» وما أثبتناه عن الأغاني.
(١٠) في الأصل «مزين». وبنومرينا قوم من أهل الحيرة.

فآبوا بالنِّهاب وبالسّبايا وأُبْنا[1] بالملوك مصفَّدينا

وفيهم يقول امرؤ القيس:

ملوكٌ من بني حُجْر بن عمرٍو يساقون العشيّةَ يُقتَلُونا
فلو في يوم معركةٍ أُصيبوا ولكن في ديار بني مَرِينا[2]
ولم تُغسل جَماجِمهم[3] بغُسلٍ[4] ولكن في الدماء مرمَّلينا[5]
تظلّ الطّيرُ عاكفةً عليهم وتنتزعُ الحواجبَ والعُيونا[6]

وأقام الحارثُ بديار كلب، فتزعم كلب أنّهم قتلوه، وعلماء كِندةَ تزعم أنّه خرج يتصيّد، فتبع تيساً من الظّباء فأعجزه، فأقسم أن لا يأكل شيئاً إلاّ من كَبِدِه، فطلبته الخيلُ، فأُتِيَ به بعد ثلاثة، وقد كاد يهلك جُوعاً[7]، فشوي له بطنه، فأكل فِلْذةً من كبده حارّة فمات[8].

ولمّا كان الحارث بالحيرة أتاه أشراف عدّة قبائل من نِزار فقالوا: إنّا في طاعتك، وقد وقع بيننا من الشرّ بالقتل ما تعلم، ونخاف الفناء فوَجِّهْ معنا بنيك ينزلون فينا، فيكفّون بعضَنا عن بعض. ففرّق أولاده في قبائل العرب، فملّك ابنَه حُجْراً على بني أسد بن خُزَيمة وغَطَفَان، وملّك ابنَه شُرَحْبيل، وهو الذي قُتل يوم الكُلاب[9]، على بكر بنِ وائل بأسرها وعلى غيرها، وملّك ابنه مَعْدي كَرِب، وهو غَلْفاء، لأنّه كان يغلّف رأسه بالطّيب، على قيس عَيْلان وطوائف غيرهم، وملّك ابنَه سَلَمَة على تَغْلِب، والنَّمِرِ بن قاسِط، وبني سعد بن زيد مَناة من تميم[10].

فبقي حُجْر في بني أسد، وله عليهم جائزة[11] وإتاوة[12] كلّ سنة لِما يحتاج إليه، فبقي كذلك دهراً، ثمّ بعث إليهم من يجبي ذلك منهم، وكانوا بتِهامة، وطردوا رُسُله

---

(١) في النسخة (ب): «واما». والنسخة (ت): «وإذا».
(٢) في الأصل، ونسخة (ر): «مزينا».
(٣) في النسختين (ب) و(ت): «جماجم».
(٤) الغِسْل: ما يُغْسَل به الرأس من خطمى وطين وأشنان ونحوه.
(٥) مرمّلين: ملطّخين.
(٦) الأبيات، وبيت ابن كلثوم قبلها في الأغاني ٩/ ٨٠ وقد مرّت في ذكر ملك كسرى أنو شروان.
(٧) في النسخة (ي): «من الجوع والعطش».
(٨) الخبر في الأغاني ٩/ ٨٠، ٨١.
(٩) سيأتي ذِكره لاحقاً.
(١٠) الأغاني ٩/٨١، ٨٢.
(١١) في النسخة (ر): «اتاوة».
(١٢) في الطبعة الأوربية «أتاه».

وضربوهم[1]، فبلغ ذلك حُجراً، فسار إليهم بجُند من ربيعة، وجُنْد من جُنْد أخيه من قيس وكِنانة، فأتاهم فأخذ سَرَوَاتهم وخيارهم وجعل يقتّلهم بالعصا، وأباح الأموالَ وسيّرهم إلى تِهامة، وحبس منهم جماعة من أشرافهم، منهم عَبيد بن الأبْرص[2] الشاعر[3]، فقال شِعراً يستعطفه لهم، فرّق لهم وأرسل من يردّهم، فلمّا صاروا على يومٍ منه تكهّن كاهنهم، وهو عوف بن ربيعة بن عامر الأسديّ، فقال لهم: مَنِ الملك الأصهب[4]، الغلّاب غير المغلَّب، في الإبل كأنّها الرُبْرَب، هذا دمه، ينثعب[5] وهو غداً أوّل مَنْ يُسْتلب؟ قالوا: وَمَنْ هو؟ قال: لولا تجيّش[6] نفس خاشيه[7]، لأخبرتُكم أنّه حُجْر، ضاحية[8]، فركبوا كلّ صعب وذَلُول حتّى بلغوا إلى عسكر حُجْر، فهجموا عليه في قُبّته فقتلوه، طعنه عِلْباء بن الحارث الكاهليّ فقتله، وكان حُجْر قتل أباه، فلمّا قُتل قالت بنو أسد: يا معشر كِنانة وقيس، أنتم إخواننا وبنو عمّنا[9] والرجل بعيدُ النَّسَب منّا ومنكم، وقد رأيتم سيرته وما كان يصنع بكم هو وقومه، فانتهبوهم. فشدّوا على هجائنه[10] فانتهبوها، ولفّوه في رَيْطة بيضاء وألقوه على الطريق، فلمّا رأته قيس وكِنانة انتهبوا أسلابه، وأجار عمرو بن مسعود عياله.

وقيل: إنّ حُجْراً لمّا رأى اجتماع بني أسد عليه خافهم، فاستجار عُوَيْمر[11] بن شَجْنة، أحد بني عُطارد بن كعب بن زيد بن مَناة بن تميم، لبنته هند بنت حُجْر وعياله، وقال لبني أسد: إنْ كان هذا شأنكم فإنّي مرتحل عنكم ومُخلّيكم وشأنكم. فوادَعُوه على ذلك وسار عنهم، وأقام في قومه مدّةً، ثمّ جمع لهم جمعاً عظيماً، وأقبل إليهم مُدِلاًّ بمن معه، فتآمرت بنو أسد وقالوا: والله لئن قهركم ليحكمنّ عليكم حُكْمَ الصبيّ، فما خير

---

(١) في الأغاني «ضرجوهم».

(٢) في النسخة (ي): «الأرضّ».

(٣) شاعر جاهليّ قديم من المعمَّرين. أنظر عنه في: الشعر والشعراء ١/١٨٧، طبقات الشعراء لابن سلام ١١٦، أمالي القالي ٣/١٩٩، شرح شواهد المغني ٩٢، خزانة الأدب للبغدادي ١/٣٢٢، ديوان عبيد بن الأبرص الذي نشره «لايل» في ليدن ١٩١٣ وشرحه الدكتور حسين نصّار ـ القاهرة ١٩٥٧ م.

(٤) في النسخة (ب): «الصيهب»، والنسخة (ر): «المصلهب». وفي طبعة صادر ١/٥١٤ «الصلهب». وما أثبتناه عن الأغاني.

(٥) في طبعة صادر «يتثعّب». وما أثبتناه عن الأغاني ٩/٨٤.

(٦) في النسخة (ي): «تخبش».

(٧) في النسخة (ب): «خاشيته». والعبارة في الأغاني ٩/٨٤ «لولا أن تجيش نفسٌ جاشِية».

(٨) في النسختين (ب) و(ي): «صاحبنا».

(٩) في النسخة (ي): «أعمامنا».

(١٠) في طبعة صادر ١/٥١٤ «هجانته»، وما أثبتناه عن الأغاني.

(١١) في طبعة صادر ١/٥١٤ «عويمر»، وهو وهم، والتصويب من جمهرة أنساب العرب ٢١٩ والأغاني ٩/٨٥.

العيش حينئذ فموتوا كراماً. فاجتمعوا وساروا إلى حُجْر فلقوه، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكان صاحب أمرهم عِلْباء[1] بن الحارث، فحمل على حُجْر فطعنه فقتله، وانهزمت كِنْدةُ ومن معهم، وأسر بنو أسد من أهل بيت حُجْر، وغنِموا حتّى ملأوا أيديهم من الغنائم، وأخذوا جوارِيَه ونساءه وما معهم، فاقتسموه بينهم[2].

وقيل: إنّ حُجْراً أُخذ أسيراً في المعركة وجُعِل في قُبّة، فوثب عليه ابنُ أخت عِلْباء فضربه بحديدة كانت معه، لأنّ حُجْراً كان قتل أباه، فلمّا جرحه لم يقضِ عليه، فأوصى حُجْر، ودفع كتابه إلى رجل وقال له: انطلقْ إلى ابني نافع، وكان أكبر أولاده، فإنْ بكى وجزع فاتركه، واستقرهم واحداً واحداً، حتّى تأتي امرؤَ القَيْس، وكان أصغرهم، فأيّهم لم يجزع فادفعْ إليه خيلي وسلاحي ووصيّتي. وقد كان بيّنَ في وصيّته مَنْ قتله وكيف كان خبره.

فانطلق الرجُل بوصيّته إلى ابنه نافع، فوضع الترابَ على رأسه، ثمّ أتاهم كلّهم، ففعلوا مثله حتّى أتى امرأَ القيس، فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلعب معه بالنَّرْد، فقال: قُتِل حُجْر، فلم يلتفتْ إلى قوله، وأمسك نديمُه، فقال له امرؤ القيس: اضربْ؛ فضرب حتّى إذا فرغ قال: ما كنتُ لأفسد دَسْتَك، ثمّ سأل الرسولَ عن أمر أبيه كلّه، فأخبره، فقال له: الخمر والنساء عليّ حرام حتّى أقتل من بني أسد مائة وأُطلق مائة[3].

وكان حُجر قد طرد امرأَ القيس لقوله الشِعْر، وكان يأنَفَ منه، (وكانت أمّ امرىء القيس فاطمة بنت ربيعة بن الحارث أخت كُلَيْب بن وائل)[4]، وكان يسير في أحياء العرب يشرب الخمر على الغدران ويتصيّد، فأتاه خبر قتل أبيه وهو بدَمُّون من أرض اليمن، فلمّا سمع الخبر قال:

تطاوَل الليلُ علينا دَمُّونْ ... دمُّونْ إنّا مَعْشرٌ يمانونْ[5]
إنّنا لقَوْمِنا محبّونْ[6]

ثمّ قال: ضيّعني صغيراً وحمّلني دَمه كبيراً، لا صحوَ اليوم ولا سُكرَ غداً، «اليومَ خمرٌ وغداً أمرٌ». فذهبت مثلاً.

---

(١) في النسخة (ي): «عليا».
(٢) الخبر بطوله في الأغاني ٨٤/٩، ٨٥.
(٣) الأغاني ٨٧/٩.
(٤) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر).
(٥) في الأصل، والنسخة (ر): «ثمانون».
(٦) في الأغاني ٨٨/٩ «وإنّنا لأهلها».

ثمّ ارتحل حتّى نزل ببكر وتغلِب، فسألهم النصرَ على بني أسد، فأجابوه. فبعث العيونَ إلى بني أسد، فنَذِروا به، فلجأوا إلى بني كِنانة، وعيون امرىء القيس معهم، فقال لهم عِلْباء بن الحارث: اعلموا أنّ عيون امرىء القيس قد عادوا إليه بخبركم، وأنّكم عند بني كِنانة، فارحلوا بليل ولا تُعْلِموا بني[1] كِنانة. فارتحلوا.

وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلِب وغيرهم، حتّى انتهى إلى بني كِنانة، وهو يظنّهم بني أسد، فوضع السلاح فيهم وقال: يا لثارات الملك، يا لثارات الهمام[2]! فقيل له: أبيتَ اللعنَ! لسنا لك بثأر، نحن بنو كِنانة، فدونك ثأرك فاطلبْهم، فإنّ القوم قد ساروا بالأمس. فتبع بني أسد، ففاتوه ليلتهم، فقال في ذلك:

ألا يا لهفَ هِنْدٍ إثرَ[3] قوم هُمُ كانوا الشفاءَ فلم يُصابوا
وقاهم جدُّهم[4] ببني أبيهم وبالأشقَيْن[5] ما كان العِقابُ
وأَفلتهُنّ عِلْباءُ جريضاً[6] ولو أدركْنَهُ[7] صَفِرَ الوِطابُ

يعني ببني أبيهم كنانة[8]، فإنّ أسداً وكِنانة ابنَيْ خُزَيْمة هما أخوان.

وقوله: ولو أدركْنَهُ[9] صَفِرَ الوِطابُ، قيل: كانوا قتلوه واستاقوا إبِلَه، فصفِرتْ وِطابُه من اللبن، أي خلتْ.

وقيل: كانوا قتلوه فخلا جلْده، وهو وِطابه، من دمه بقتله.

فسار امرؤ القيس في آثار بني أسد، فأدركهم ظُهْراً وقد تقطّعت خيله وهلكوا عطشاً، وبنو أسد نازلون على الماء، فقاتلهم حتّى كثُرت القتلى بينهم، وهربت بنو أسد. فلمّا أصبحت بكر وتغلِب أبوا أن يتبعوهم وقالوا: قد أصبتَ ثأرك. فقال: لا والله. فقالوا: بلى ولكنّك رجل مشؤوم، وكرهوا قتلهم بني كِنانة، فانصرفوا عنه، ومضى إلى

---

(١) في النسختين (ب) و(ت): «تعلم بنو».
(٢) في النسخة (ر): «التمام».
(٣) في النسخة (ي): «هنداً شرّ».
(٤) الجدّ: الحظ.
(٥) الأشقين: جمع أشقى. أي وقى بني أسد حظّهم إذ وقع العقاب بالأشقين بني أبيهم وهم كنانة. (أنظر الأغاني ٩١/٩ حاشية ١).
(٦) في الطبعة الأوربية «حريضاً». والجرض: الغصص بالريق.
(٧) في طبعة صادر ٥١٦/١ «أدركتُهُ» وما أثبتناه عن الأغاني ٩١/٩، وتاريخ اليعقوبي ٢١٨/١.
(٨) في الأغاني ٩١/٩ «أبيهم بني كنانة».
(٩) في طبعة صادر ٥١٧/١ «أدركته». وما أثبتناه عن الأغاني.

أزد شَنُوءَة يستنصرهم، فأبوا أن ينصروه وقالوا: إخوانُنا وجيرانُنا. فسار عنهم ونزل بقَيْل يُدْعَى مَرْثَد[1] الخير بن ذي جَدَن[2] الحِمْيَرِيّ، وكان بينهما قرابة. فاستنصره على بني أسد، فأمدّه بخمسمائة رجل من حِمْيَر.

ومات مَرْثَد قبل رحيل امرىء القيس، ومَلَك بعده رجل من حِمْيَر يقال له قُرْمُل[3]، فردّد[4] امرأَ القيس، ثمّ سيّر معه ذلك الجيش، وتبعه شُذّاذٌ من العرب، واستأجر غيرهم من قبائل اليمن، فسار بهم إلى بني أسد، وظفر بهم[5].

ثمّ إنّ المنذر طلب امرأ القيس، ولجّ في طلبه، ووجّه الجيوش إليه، فلم يكن لامرىء القيس بهم طاقة، وتفرّق عنه من كان معه من حِمْيَر وغيرهم، فنجا في جماعة من أهله، ونزل بالحارث بن شِهاب اليربوعيّ، وهو أبو عُتَيْبَة[6] بن الحارث، فأرسل إليه المنذر يتوعّده بالقتال إن لم يسلّمْهم إليه، فسلّمهم، ونجا امرؤ القيس (ومعه يزيد بن معاوية بن الحارث، وابنته هند ابنة امرىء القيس وأدراعه وسلاحه وماله، فخرج ونزل على سعد بن الضِّباب الإياديّ سيّد قومه، فأجاره، ومدحه امرؤ القيس)[7] ثمّ تحوّل عنه ونزل على المُعَلّى بن تَيْم[8] الطائيّ، فأقام عنده واتّخذ إبلاً هناك، فعدا قوم من جديلة يقال لهم بنو زيد عليها فأخذوها، فأعطاها بنو نَبْهان مِعزًى يحلبها فقال:

إذا ما لم يكن إبلٌ فمِعْزَى[9] ... كأنّ قُرون جِلّتِهَا العِصيُّ[10]

الأبيات[11].

ثم رحل عنهم ونزل بعامر بن جُوَين، فأراد أن يغلب امرأ القيس على ماله وأهله، فعلم امرؤ القيس بذلك، فانتقل إلى رجل من بني ثُعَلٍ يقال له حارثة بن مُرّ فاستجاره، فأجاره. فوقعت بين عامر بن جُوَيْن والثُّعَليّ حرب، وكانت أمور كبيرة، فلمّا رأى امرؤ القيس أنّ الحرب قد وقعت بين طيّء بسببه خرج من عندهم، فقصد السموأل بن عادياء

(١) في النسخة (ي): «مريد».
(٢) في النسخة (ي): «جدث».
(٣) هكذا قُيِّد في طبعة صادر ٥١٧/١، وفي الأغاني ٩٢/١٩ «قَرْمَل بن الحميم».
(٤) في طبعة صادر «فزوّد»، وما أثبتناه عن الطبعة الأوربية والأغاني.
(٥) الأغاني ٩٢/٩.
(٦) في النسختين (ب) و(ي): «عيينة».
(٧) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر).
(٨) في الأصل «تميم»، والتصحيح من الأغاني ٩٤/٩.
(٩) في الأغاني ٩٥/٩ ورد: «إذا ما لم تجدْ إبلاً فمِعْزَى».
(١٠) في النسخة (ت): «حلبها عصى»، وفي النسختين (ب) و(ر): «جلتها عصى».
(١١) أنظر الأغاني.

اليهوديّ، فأكرمه وأنزله، فأقام عنده امرؤ القيس ما شاء الله، ثمّ طلب منه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شَمِر[1] الغسّانيّ ليوصله إلى قيصر، ففعل ذلك، وسار إلى الحارث وأودع أهلَه وأدراعه عند السموأل، فلمّا وصل إلى قيصر أكرمه.

فبلغ ذلك بني أسد، فأرسلوا رجلاً منهم يقال له الطّمّاح، كان امرؤ القيس قتل أخاً له، فوصل الأسديّ، وقد سيّر قيصر مع امرىء القيس جيشاً كثيفاً، فيهم جماعة من أبناء الملوك. فلمّا سار امرؤ القيس، قال الطمّاح لقيصر: إنّ امرأ القيس غويّ عاهر[2]، وقد ذكر أنّه كان يراسل ابنتك ويواصلها، وقال فيها أشعاراً أشهرَها بها في العرب، فبعث إليه قيصرُ بحُلّة وشيْ منسوجة بالذهب، مسمومة، وكتب إليه: إنّي أرسلتُ إليك بحلّتي التي كنتُ ألبسها تَكْرِمةً لك فالبسْها، واكتب إليّ بخبرك من منزلٍ منزل. فلبسها امرؤ القيس وسُرَّ بذلك، فأسرع فيه السمّ وسقط جلدُه، فلذلك سُمّي «ذا القروح»؛ فقال امرؤ القيس في ذلك:

لقد طَمح الطمّاحُ من نحوِ[3] أرضه ... ليُلْبِسَني ممّا يلبّس أبؤسا
فلو أنّها نفسٌ تموتُ سَويّةً ... ولكنّها نفسٌ تَساقَطُ أنْفُسا[4]

فلمّا وصل إلى موضع من بلاد الروم يقال له أنقِرة احتُضر بها، فقال:

رُبّ خُطْبَة مُسْحَنْفِرَهْ[5]، وطعنةٍ مُثْعَنْجِرَهْ[6] ... وجَفْنةٍ مُتحيّرَهْ[7]، حلّتْ بأرض أنقِرهْ

ورأى قبر امرأة من بنات ملوك الروم وقد دُفنت بجنب عَسيب، وهو جبل، فقال:

أجارتَنا إنّ الخُطُوبَ تنوبُ[8] ... وإنّي مُقيمٌ ما أقام عَسِيبُ

---

(١) قيّدها في طبعة صادر ٥١٨/١ «شِمْر» بكسر الشين وسكون الميم.

(٢) في النسختين (ب) و(ي): «فاجر».

(٣) في الأغاني ١٠٠/٩ «بُعد».

(٤) ورد البيتان في ديوان امرىء القيس على هذا النحو:

وبدلت قرحا دامها بعد صحة ... لعل منايانا تحولن أبؤسا
لقد طمح الطمّاح من بعد أرضه ... ليلْبسني من دائه ما تلبسا

(٥) يقال: اسحنفر في خطبته إذا مضى واتسع في كلامه.

(٦) المثعنجرة: السائلة. يقال: ثعجر الدم فاثعنجر إذا صبّه فانصبّ. وقد وردت في النسخة (ي): «متعجرة».

(٧) في النسخة (ي): «محبرة». والجفنة المتحيّرة: الممتلئة طعاماً ودسماً. وهذه الشطرة الثالثة غير متّزنة. وورد هذا الشعر في مقدّمة ديوان امرىء القيس المخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ١٣ أدب ش:

وطَعنة مثعنجره ... وخطبة مسحنفره
وجفنة مدعثره ... تبقى غدا بأنقره

وانظر الشعر في: الشعر والشعراء ٥٣/١، ولسان العرب (مادّة ثعجر)، وتاريخ اليعقوبي ٢٢٠/١.

(٨) في الأغاني ١٠١/٩: «أجارتنا إنّ المزار قريبُ».

أجـارتَنـا إنّـا غـريبـان هـاهنـا　　وكـلّ غـريـبٍ للغِـريـبِ نَسِـيبُ

ثمّ مات فدُفن إلى جنب المرأة، فقبره هناك[1].

ولمّا مات امرؤ القيس سار الحارث بن أبي شَمِر الغسّانيّ إلى السَّمَوْأَل بن عـادياء، وطالبه بأدراع امرىء القيس، وكانت مائة درع، وبما له عنده، فلم يُعْطِه، فأخـذ الحارثُ ابناً للسموأل، (فقال: إمّا أن تُسْلم الأدراع وإمّا قتلتُ ابنك. فـأبى السموألُ أن يُسْلِم إليـه شيئاً، فقتل ابنَه، فقال السموأل في ذلك)[2]:

وفـيـتُ بـأدرُع الـكِـنـديّ إنّـي　　إذا مـا ذُمّ أقـوامٌ وفـيـتُ
وأوصـى عـاديـاً يـومـاً بـأنْ لا　　تُـهَـدّمَ يـا سمـوألُ مـا بـنيـتُ[3]
بنى لي عـاديـاً حِصنـاً حصينـاً　　ومـاءً كـلّمـا شِئتُ اسـتقـيـتُ

وقد ذكر الأعشى[4] هذه الحادثة، فقال:

كنْ كـالسموأل إذ طـاف الهُمام بـه　　في جَحْفَـلٍ كسَوادِ[5] اللّيـلِ جـرّارِ
إذ سامه[6] خُـطّتَيْ خَسْفٍ فقال لـه:　　قـلْ مـا تشـاء فـإنّي سـامـعٌ حـارِ[7]
فقـال: غَـدْرٌ وثُكْـلٌ أنتَ بينهمـا　　فـاخـترْ فمـا فيهمـا حظٌّ لِمُختـارِ
فشـكّ غيـرَ طـويـلٍ ثمّ قـال لـه:　　اقتـلْ أسيـرَك إنّي مـانـعٌ جـارِي

وهي أكثر من هذا[8].

---

(١) الخبر في الأغاني ٩/٩٣ ـ ١٠١.

(٢) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر). وفيها فقط: «وقال في ذلك».

(٣) هذا البيت والذي قبله في: المختصر في أخبار البشر ١/٧٥.

(٤) هو ميمون بن قيس. وقد مرّ التعريف به.

(٥) في الشعر والشعراء ١/١٨٣ «كهزيع».

(٦) هكذا في ديوان الأعشى ١٢٦ قصيدة ٢٥، وفي الشعر والشعراء: «خيّره».

(٧) في الديوان: «مهما تقله فإني سامع حار».
وفي الشعر والشعراء: «إعْرِضهما هكذا أسْمَعْهُما حار».

(٨) أنظر الديوان ـ ص ١٢٦ القصيدة ٢٥، الشعر والشعراء ١/١٨٣، الأغاني ٢٢/١١٢، المختصر في أخبار البشر ١/٧٥، ٧٦.

يوم خَزاز[1]

وكان من حديثه أنّ ملكاً من ملوك اليمن كان في يديه أسارى من مُضَر وربيعة وقُضاعة، فوفد عليه وفدٌ من وجوه بني معدّ، منهم: سدوس بن شيبان بن ذُهْل بن ثَعْلبة، وعَوْف بن مُحَلِّم بن ذُهْل بن شيبان، وعوف بن[2] عمرو بن جُشَم[3] بن ربيعة بن زيد مَناة بن عامر الضّحْيان[4]، وجُشم بن ذُهْل بن هلال بن ربيعة بن زيد مَناة بن عامر الضّحْيان[4]، فلقيهم رجل من بهراء يقال له عُبَيْد بن قُراد[5]، وكان في الأسارى، وكان شاعراً، فسألهم أن يُدخلوه في عدّة من يسألون فيه، فكلّموا الملك فيه وفي الأسارى، فوهبهم لهم، فقال عُبَيْد بن قُراد البهراويّ:

نفسي الفداءُ لِعَوفِ الفعالِ ... وعوفٍ ولابن هلالٍ جُشَمْ
تَدارَكني بعدما قد هويْـ ... ـتُ مستمسكاً بعَراقي الوَذَمْ
ولولا سَدوسٌ وقد شمَّرتْ ... بيَ الحربُ زلّت بنَعْلي القدمْ
وناديتُ بهراء كَيْ يسمعوا ... وليس بآذانهم مِنْ صممْ
ومِنْ قبلها عَصَمَتْ قاسطُ ... معدّاً إذا ما عزيزٌ أزمْ

فاحتبس الملك عنده بعض الوفد رهينةً وقال للباقين: ايتوني برؤساء قومكم لآخذ عليهم المواثيق بالطاعة لي، وإلّا قتلتُ أصحابكم. فرجعوا إلى قومهم فأخبروهم الخبرَ، فبعث كُلَيْب وائل إلى ربيعة فجمعهم، واجتمعت عليه مَعَدّ، وهو أحد النفر الذين اجتمعت عليهم مَعَدّ، على ما نذكره في مقتل كُلَيْب. فلمّا اجتمعوا عليه سار بهم وجعل على مقدّمته السفّاح التغلبيّ، وهو سَلَمة بن خالد بن كعب بن زهير بن تَيْم بن أُسامة بن

---

(١) العقد الفريد ٥/٢٤٥، العمدة ٢/٢١٢، تاريخ اليعقوبي ١/٢٢٥، المحبَّر ٢٤٩، نهاية الأرب ١٥/٤٢٠، معجم البلدان ٢/٣٦٤، صبح الأعشى ١/٣٩١، المفصّل في تاريخ العرب ٥/٣٤٧ وما بعدها، معجم ما استعجم ٢/٤٩٦.
ويقال: خَزاز وخَزازَى: وخزاز وكير ومُتالع أجبال ثلاثة بطخفة ما بين البصرة إلى مكة.. فخزاز بنحر الطريق. وقيل: خزاز جبل لبني غاضرة خاصة. ويقال: هما خزازان وهما هضبتان طويلتان بين أبانَيْن جبل بني أسد وبين مهبّ الجنوب على مسيرة يومين بوادٍ يقال له منعج، وهما بين بلاد بني عامر وبلاد بني أسد.. (معجم البلدان ٢/٣٦٥).
وانظر حول يوم خزاز العرض المفصّل للدكتور جواد علي في كتابه المفصّل في تاريخ العرب ٥/٣٤٧ وما بعدها.

(٢) في النسخة (ي): «مخزوم».

(٣) في النسختين (ب) و(ي): «خيثم».

(٤) في النسخة (ي): «الصهبان».

(٥) في النسخة (ي): «مراد».

مالك بن بكر بن حُبَيْب بن تغلب[١]، وأمرهم أن يوقدوا على خَزاز ناراً ليهتدوا بها؛ وخزاز جبل بِطِخْفة ما بين البصرة إلى مكّة، وهو قريب من سالع[٢]، وهو جبل أيضاً؛ وقال له: إنْ غِشيَك العدّو فأوقِدْ نارَيْن. فبلغ مَذْحِجاً اجتماع ربيعة ومسيرها، فأقبلوا بجُمُوعهم واستنفروا مَنْ يليهم من قبائل اليمن وساروا إليهم، فلمّا سمع أهلُ تِهامة بمسير مَذْحِج انضمّوا إلى ربيعة، ووصلت مَذْحِج إلى خَزَاز ليلاً، فرفع السفّاح نارَيْن. فلمّا رأى كُلَيْب النارين أقبل إليهم بالجموع فصبّحهم، فالتقوا بخَزَاز، فاقتتلوا قتالاً شديداً أكثروا فيه القتلَ، فانهزمت مَذْحِج وانفضّت جموعها، فقال السفّاح في ذلك:

وليلةَ بتُّ أوقدُ في خَزاز ... هَدَيتُ كتائباً متحيّراتِ
ضَلَلْن مِن السّهاد وكنّ لولا ... سُهادُ القوم أحسبُ هادياتِ[٣]

وقال الفَرَزْدَق يخاطب جَريراً ويهجوه:

لولا فوارسُ تغلب ابنةِ[٤] وائل ... دخل العدوّ عليك كلَّ مكانِ
ضربوا الصنائعَ والملوكَ وأوقدوا ... نارَيْن أشْرفتا على النيرانِ[٥]

وقيل: إنّه لم يعلمْ أحد مَنْ كان الرئيس يوم خَزَاز، لأنّ عمرو بن كُلْثوم، وهو ابن ابنة كُلَيْب، يقول:

ونحن غداةَ أُوقِدَ في خَزَازِ ... رَفَدْنا[٦] فوقَ رِفْدِ الرافدينا[٧]

فلو كان جدّه الرئيس لَذَكَره، ولم يفتخرْ بأنّه رفد[٨]، ثمّ جعل مَنْ شهد خَزَازاً متساندين فقال:

فكنّا الأيْمَنينَ[٩] إذا التقينا ... وكان الأيسَرَين بنو أَبينا
فصالوا صولةً فيمن يليهمْ ... وَصُلْنا صولةً فيمن يَلينا

---

(١) قيل له السفّاح: لأنه سفح المزاد أي صبّها في ذلك اليوم حتى يقاتل قومه قتال المستميت. قاد قومه يوم كاظمة. (الاشتقاق ٢٠٣، المحبّر ٣٠٠).

(٢) في النسخة (ي): «سالغ».

(٣) أيام العرب ١٠٩.

(٤) في النسختين (ب) و(ي): «ابن».

(٥) نقائض جرير والفرزدق ٤٥٢، أيام العرب ١٠٩.

(٦) في النسخة (ت): «ارقدنا».

(٧) في النسخة (ت): «وفد الوافدينا».

(٨) في النسخة (ت): «رقد».

(٩) الأيمنون: المتقدّمون، والأيسرون: المتخلّفون.

فقالوا له: استأثرتَ على إخوتك، يعني مُضَر.

ولمّا ذكر جدّه في القصيدة قال:

ومنّا قبله الساعي[1] كُلَيْبٌ فأيّ المجدُ إلاّ قد ولينا[2]

فلم يَدَعِ له الرياسة يومَ خَزَاز، وهي أشرف ما كان يفتخر له به.

(حُبَيْب بضمّ الحاء المهملة، وفتح الباء الموحّدة، وسكون الياء تحتها نقطتان، وآخره باء أخرى موحّدة).

ذكر مقتل كُلَيْب والأيّام بين بكر وتغلب

وكان من حديث الحرب التي وقعت بين بكر وتغلب ابنَيْ وائل بن هِنْب بن أَفْصى بن دُعْمِيّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نِزار بن معدّ بن عدنان بسبب قتْل كُلَيب، واسمه وائل بن ربيعة بن الحارث بن زُهَيْر بن جُشَم بن بكر بن حُبَيْب بن عمرو بن غنْم بن تغلِب، وإنّما لُقّب كُلَيْباً لأنّه كان إذا سار أخذ معه جَرْوَ كلب، فإذا مرّ بروضة أو موضع يعجبه ضربه، ثمّ ألقاه في ذلك المكان وهو يصيح ويعوي، فلا يسمع عواءه أحد إلاّ تجنّبه ولم يقربه، وكان يقال [له] كُلَيْبُ وائل، ثمّ اختصروا فقالوا كُلَيْب، فغلب عليه[3].

وكان لواء ربيعة بن نِزار للأكبر فالأكبر من ولده، فكان اللواء في عَنَزَة بن أسد بن ربيعة، وكانت سُنّتهم أنّهم يصفّرون[4] لحاهم ويقصّون شواربهم[5]، فلا يفعل ذلك من ربيعة إلاّ مَنْ يخالفهم ويريد حربهم.

ثمّ تحوّل اللواء في عبد القيس بن أفْصى بن دُعْمِيّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. وكانت سُنّتهم إذا شتموا لطموا مَنْ شتمهم، وإذا لُطموا قتلوا مَنْ لطمهم.

ثم تحوّل اللواء في النَّمِر بن قاسط بن هِنْب، وكان لهم غيرُ سُنّة مَنْ تَقدّمهم.

ثمّ تحوّل اللواء إلى بكر بن وائل، فَسَاءُوا غيرَهم[6] في فرخ طائر، كانوا يوثقون

---

(١) في النسختين (ب) و(ي): «الساجي»، وفي النسخة (ر): «الشالي».

(٢) الأبيات من معلّقة عمرو بن كلثوم ٣٦٨.

(٣) الاشتقاق ٢٠٤، الأحكام السلطانية ١٨٦، المختصر في أخبار البشر ١/٧٧. المحبّر ٢٤٩ و٣٠٠، نهاية الأرب ١٥/٣٩٨، العقد الفريد ٣/٧١ و١٢٠ و٢٩٨، ثمار القلوب ٩٦ و٩٩ و١٠٠ و٣٠٧ و٣٠٨، الأغاني ٥/٣٤، مجمع الأمثال للميداني ١/٣٣٠.

(٤) في النسخة (ي): «يوفرون»، وفي النسخة (ر): «يصفرون».

(٥) في النسختين (ت) و(ر): «يقصرون ثيابهم».

(٦) في النسخة (ر): «فسنوا عرهم».

الفرخ بقارعة الطريق، فإذا عُلم بمكانه لم يسلكْ أحد ذلك الطريق، ويسلك مَنْ يريد الذهاب والمجيء عن يمينه ويساره.

ثم تحوّل اللواء إلى تغلِب، فوليه وائل بن ربيعة، وكانت سُنّته ما ذكرناه من جَرْو الكلب.

ولم تجتمع معدّ إلّا على ثلاثة نفر، وهم: عامر بن الظَّرِب بن عمرو بن بكر بن يَشْكُر بن الحارث، وهو عدوان بن عمرو بن قيس عَيْلَان، وهو (الناس)[1] بن مُضَر - بالنون - وهو أخو[2] إلياس بن مُضَر، وكان قائد معدّ حين تمذحجت مَذْحج وسارت إلى تِهامة، وهي أوّل وقعة كانت بين تِهامة واليمن.

والثاني ربيعة بن الحارث بن مُرّة بن زُهَيْر بن جُشَم بن بكر بن حُبَيْب بن كلب[3]، وكان قائد مَعَدّ يوم السُّلّان بين أهل اليمامة واليمن.

والثالث وائل بن ربيعة، وكان قائد مَعَدّ يوم خَزاز، ففضّ جموع اليمن وهزمهم، وجعلت له مَعَدّ قَسَم الملك وتاجه وطاعته، وبقي زماناً من الدهر، ثمّ دخله زَهْوٌ شديد وبغى على قومِه، حتّى بلغ من بغيه أنّه كان يحمي مواقع السحاب، فلا يُرْعَى حماه، وكان يقول: وحشُ أرضِ كذا[4] في جواري، فلا يُصَاد، ولا يورد أحد مع إبله، ولا يوقد ناراً مع ناره، ولا يمرّ أحد بين بيوته[5] ولا يحتبي في مجلسه.

وكانت بنو جُشَم، وبنو شيبان أخلاطاً في دار واحدة، إرادةَ الجماعة ومخافة الفُرقة، وتزوّج كُلَيْب جَليلةَ بنت مُرّة بن شيبان بن ثعلبة، وهي أخت جَسّاس بن مُرّة، وحمى كُلَيب أرضاً من العالية في أوّل الربيع، وكان لا يقربها إلّا مُحارب.

ثمّ إنّ رجلاً يقال له سعد بن شُمَيس[6] بن طوق الجَرميّ نزل بالبَسوس بنت مُنْقذ التميميّة، خالة جَسّاس بن مُرّة. وكان للجَرميّ ناقة اسمها سَراب، ترعى مع نوق جَسّاس، وهي التي ضربت العربُ بها المثل فقالوا: «أشأم من سراب» «وأشأم من البسوس»[7].

---

(١) هو المعروف بـ «أُناس» بقطع الهمزة.
(٢) ساقطة من النسخة (ر).
(٣) في النسخة (ي): «كليب»..
(٤) في النسخة (ي): «كله».
(٥) في النسخة (ر): «نديه».
(٦) في النسختين (ت) و(ي): «سمير»، وفي (ر): «شمر».
(٧) العقد الفريد ٣/ ٧١، الأغاني ٥/ ٣٥، مجمع الأمثال ١/ ٣٣٠.

فخرج كُلَيب يوماً يتعهّد الإبل ومراعيها، فأتاها وتردّد فيها، وكانت إبله وإبل جسّاس مختلطة، فنظر كُلَيْب إلى سراب فأنكرها، فقال له جسّاس، وهو معه: هذه ناقة جارنا الجَرميّ. فقال: لا تَعُدْ هذه الناقة إلى هذا الحِمَى. فقال جسّاس: لا ترعى إبلي مرعىً إلاّ وهذه معها، فقال كُلَيب: لئن عادت لأضعنّ سهمي في ضرعها. فقال جسّاس: لئن وضعتَ سهمك في ضرعها لأضعنّ سنان رمحي في لبّتك! ثمّ تفرّقا، وقال كليب لامرأته: أتَرَيْن أنّ في العرب رجلاً مانعاً منّي جارَهُ؟ قالت: لا أعلمه إلاّ جسّاساً، فحدّثها الحديث. وكان بعد ذلك إذا أراد الخروج إلى الحِمى منعته وناشدْتُه الله أن [لا] يقطع رحمه، وكانت تنهى أخاها جسّاساً، أن يسرّح إبله.

ثمّ إنّ كُلَيباً خرج إلى الحِمَى وجعل يتصفّح الإبل، فرأى ناقة الجرميّ فرمى ضرعها فأنفذه، فولّت ولها عجيج حتّى بركت بفِناء صاحبها. فلمّا رأى ما بها صرخ بالذلّ، وسمعت البَسوسُ صُراخَ جارها، فخرجت إليه، فلمّا رأت ما بِناقته وضعت يدها على رأسها ثمّ صاحت: واذُلاّه! وجسّاس يراها ويسمع، فخرج إليها فقال لها: اسكتي ولا تُراعي، وسكّن الجرميّ، وقال لهما: إنّي سأقتل جملاً[1] أعظم من هذه الناقة، سأقتل غِلالاً، وكان غلال فحلَ إبل كُلَيب لم يُرَ في زمانه مثله، وإنّما أراد جسّاس بمقالته كُلَيباً. وكان لَكُلَيب عين يسمع ما يقولون، فأعاد الكلام على كُلَيب، فقال: لقد اقتصر من يمينه على غِلال. ولم يزلْ جسّاس يطلب غِرّة كُلَيب فخرج كُلَيب يوماً آمناً، فلمّا بَعُد عن البيوت ركب جسّاس فرسه وأخذ رمحه وأدرك كُلَيباً، فوقف كُلَيب. فقال له جسّاس: يا كُلَيب الرمح وراءك! فقال: إن كنتَ صادقاً فأقبِلْ إليّ من أمامي، ولم يلتفت إليه، فطعنه فأرداه عن فرسه، فقال: يا جسّاس أغِثْني بشربة من ماء، فلم يأته بشيء، وقضى كُلَيب نحبه[2]. فأمر جسّاس رجلاً كان معه اسمه عمرو بن الحارث بن ذُهْل بن شيبان، فجعل عليه أحجاراً لئلاّ تأكله السباع. وفي ذلك يقول مُهَلْهِل بن ربيعة[3]، أخو كُلَيْب:

قتيلٌ ما قتيل المرء عمرو   وجسّاس بن مُرّة ذي صريمِ
أصاب فؤآدَه بأصمّ لَدْنٍ   فلم يعطفْ هناك على حميمِ

---

(١) في النسختين (ب) و(ي): «رجلاً».

(٢) جاء في الأغاني ٥/٣٧ أنّ جسّاساً طعنه «برمح» فأنفذ حضنيه، فلما تداءمه الموت قال: يا جسّاس اسقني من الماء، قال: ما عقلت استسقاءك الماء منذ ولدتْك أمّك إلاّ ساعتك هذه!.. فعطف عليه المزدلف عمرو ابن أبي ربيعة فاحتزّ رأسه».

(٣) هو عديّ بن ربيعة. يقال إنه أوّل من قصّد القصائد. أنظر عنه في: الشعر والشعراء ١/٢١٥، معجم الشعراء للمرزباني ٢٤٨، جمهرة أنساب العرب ٣٠٥، المعارف ٩٦ و٦٠٥، العقد الفريد ١/٢٨ و٣/١٢٠، المختصر في أخبار البشر ١/٧٧، نهاية الأرب ١٥/٣٩٨.

فإنّ غداً وبعد غدٍ لَرَهْنٌ لأمر ما يقام له عظيمِ
جسيماً ما بكيتُ به كليباً إذا ما ذُكِر الفعال من الجسيمِ
سأشربُ كأسَها صِرْفاً وأُسقى بكأسٍ غير منطقة مليمِ

ولمّا قتل جسّاس كُلَيباً انصرف على فرسه يركضه، وقد بدت رُكْبتاه، فلمّا نظر أبوه مُرّة إلى ذلك قال: لقد أتاكم جسّاس بداهيةٍ، ما رأيتُهُ قطّ بادي الرُكْبَتَيْن إلى اليوم! فلمّا وقف على أبيه قال: ما لك يا جسّاس؟ قال: طعنتُ طعنة يجتمع بنو وائل غداً لها رقصاً. قال: ومَنْ طعنتَ؟ لأمّك الثكل! قال: قتلتُ كُلَيباً. قال: أفعلتَ؟ قال: نعم. قال: بئس والله ما جئتَ[1] به قومَك! فقال جسّاس:

تأهّبْ عنك أُهبةَ ذي امتناع[2] فإنّ الأمرَ جلّ عن التلاحي
فإنّي قد جَنَيْتُ عليك حرباً تُغِصّ الشيخَ بالماء القَراحِ[3]

فلمّا سمع أبوه قولَه خاف خذلان قومه لِما كان من لائمته إيّاه، فقال يجيبه:

فإن تَكُ قد جنيتَ عليّ حرباً[4] تُغِصّ الشيخَ بالماء القَراحِ
جمعتَ بها يدَيْكَ على كُلَيْبٍ فلا وكلٌ[5] ولا رَثُّ السلاحِ[6]
سألبسُ ثوبَها وأذود[7] عنّي بها عارَ المذلّةِ والفضاحِ

ثمّ إنّ مُرّة دعا قومه إلى نُصرته، فأجابوه وجَلَوا الأسنّة، وشحذوا السيوفَ، وقوّموا الرماحَ، وتهيّأُوا للرحلة إلى جماعة قومهم.

وكان هَمّام بن مُرّة أخو جسّاس، ومُهَلْهِل أخو كُلَيب في ذلك الوقت يشربان، فبعث جسّاس إلى همّام جارية لهم تُخبره الخبر، فانتهت إليهما وأشارت إلى همّام، فقام إليها، فأخبرته، فقال له مهلهِل: ما قالت لك الجارية؟ وكان بينهما عهد أن لا يكتم أحدهما صاحبَهُ شيئاً، فذكر له ما قالت الجارية، وأحبّ أن يعلمه ذلك في مداعبة وهزل، فقال له مهلهل: استُ أخيك أضْيَق من ذلك[8]! فأقبلا على شُرْبهما، فقال له مهلهل: اشرب،

---

(١) في النسخة (ر): «حبوت».
(٢) في النسخ (ت) و(ر) و(ي): «امتياج».
(٣) البيتان في الأغاني ٥/٣٩.
(٤) في الأغاني: «وإني قد جنيتُ عليكَ حرباً».
(٥) في النسختين (ب) و(ي): «وان».
(٦) في الأغاني:
فإنْ تكُ قد جنيتَ عليّ حرباً فلا وانٍ ولا رثُّ السلاحِ
(٧) في النسخة (ب): «وأذب».
(٨) الأغاني ٥/٤١.

«فاليوم خمرٌ وغداً أمرُ». فشرب همّام وهو حَذِر خائف، فلمّا سكر مُهَلهِل عاد همّام إلى أهله، فساروا من ساعتهم إلى جماعة قومهم.

وظهر أمر كُلَيب، فذهبوا إليه فدفنوه، فلمّا دُفن شُقّت الجيوب وخُمشت الوجوه، وخرج الأبكارُ وذوات الخُدور العواتق إليه، وقمن للمأتم، فقال النساء لأخت كُلَيب: أَخْرِجي جَليلةَ أخت جسّاس عنّا، فإنّ قيامها فيه شماتة وعار علينا، ـ وكانت امرأةَ كُلَيب، كما ذَكرنا ـ فقالت لها أخت كُلَيْب: اخرجي عن مأتمنا فأنتِ أخت قاتِلنا وشقيقة واتِرنا، فخرجتْ تجرّ عِطافها، فلقيها أبوها مُرّة فقال لها: ما وراءك يا جليلة[1]؟ فقالت: ثُكْلُ العَدَد، وحُزْنُ الأبد[2]، وفقد خليل[3]، وقتْل أخٍ عن قليل؛ وبين هذين غرسُ الأحقاد، وتفتُّتُ الأكباد. فقال لها: أوَيَكُفُّ ذلك كرْم الصَّفْح وإغلاءُ الدِّيات؟ فقالت: أُمْنِيّةُ[4] مخدوعٍ وربِّ الكعبة! أَلِبُدْنٍ تَدَعُ لك تغلِبُ دَمَ ربّها!.

ولمّا رحلت جَليلة قالت أخت كُلَيب: رِحلةُ المعتدي وفِراقُ الشامت، ويلٌ غداً لآل مُرّة من الكرّة بعد الكرّة. فبلغ قولُها جَليلة، فقالت: وكيف تشمتُ الحُرّة بهتكْ سِتْرها وتَرَقّب[5] وِتْرَها! أسعد الله أختي ألّا قالت: نفْرة الحياء[6] وخوف الأعداء[7]! ثم أنشأت تقول:

يا ابنةَ الأقوامِ إن شئتِ[8] فلا	تَعْجلي باللومِ حتّى تَسألي
فإذا أنتِ تبيَّنتِ الذي[9]	يوجب اللومَ فَلُومي واعذُلي
إنْ تكن أُختُ امرىءٍ لِيمَتْ على	شَفَقٍ مِنْها عَلَيْهِ فافعلي
جلَّ عندي فِعْلُ جسّاسٍ فيا	حسرتا عمَّا انجلَى أو ينجلي[10]
فعْلُ جسّاسٍ على وجْدي به	قاطعٌ ظَهْري وَمُدْنٍ أَجَلي
لو بِعَينٍ فُقِئَتْ عينٌ[11] سِوَى	أختها فانفقأتْ لم أحفِلِ

---

(١) ساقطة من النسخة (ر).

(٢) في النسخة (ي): «أبد».

(٣) في الأغاني ٥/٦٢ «حليل».

(٤) في النسختين (ب) و(ت): «أمينة».

(٥) في النسخة (ب): «ورقة».

(٦) في النسختين (ب) و(ي): «بقرة الحشاء».

(٧) في الأغاني ٥/٦٣ «الاعتداء».

(٨) في طبعة صادر ١/٥٢٨ «لمتِ»، وما أثبتناه عن أشعار النساء للمرزباني ٥٠، والأغاني ٥/٦٣.

(٩) في الطبعة الأوربية «فإذا ما أنتِ ثنّيت الذي».

(١٠) في الطبعة الأوربية «حسرتا فيما انجلَت أو تنجلي».

(١١) في الأغاني «عيني».

تحمِلُ العينُ قَذَى العينِ كما تحملُ الأمُّ أذى ما تَفْتَلي

يا قتيلاً قوّضَ الدهرُ به سَقْفَ بيتيّ جميعاً من عَلِ

هَدَم البيتَ الذي استحدثْتُهُ وانثنى[1] في هدم بيت الأوّلِ

ورماني قتلُهُ[2] من كَثَبٍ رِمْيَةَ المُصْمِي به المستأصِلِ

يا نسائي دونكنّ اليومَ قد خصّني الدهرُ برُزْءٍ مُعْضِلِ

خصّني قتْلُ كُلَيْبٍ بلظىً مِن ورائي ولظىً مُستقبِلِ

ليس مَنْ يَبكي ليومَيْه كمن إنّما يبكي ليومٍ مُقْبِلِ

يَشْتفي المدركُ بالثأر وفي دركي ثأرِيَ ثكلُ الْمُثْكِلِ

ليته كان دماً[3] فاحْتلبوا دِرَراً منه دمي[4] من أكحلي

إنّني قاتلةٌ مقتولةٌ ولعلّ[5] الله أن يرتاح لي

وأمّا مُهَلْهِل، واسمه عَدِيّ، وقيل: امرؤ القيس، وهو خال امرىء القيس بن حُجر الكنديّ، وإنّما لُقّب مهلهِلاً لأنّه أوّل من هلهل الشعر وقصّد القصائد، وأوّل مَنْ كذب في شعره، فإنّه لمّا صحا[6] لم يَرُعْه إلاّ النساء يصرخن: ألا إنّ كُلَيْباً قُتل، فقال، وهو أوّل شعر قيل في هذه الحادثة:

كنّا نغارُ على العواتق أن تُرى بالأمس خارجةً عن الأوطانِ

فخرجنَ حين ثَوَى كُلَيْبٌ حُسَّراً مستَيْقناتٍ بعْده بهَوانِ[7]

فترى الكواعبَ كالظّباء عواطِلاً إذ حان مصرعُه من الأكفانِ

يَخْمُشْنَ من أدم[8] الوجوهِ حواسراً مِن بعْده ويعدن بالأزمانِ[9]

مُتسلّبَاتٍ نكدهنّ[10] وقد ورى أجوافهنّ بحرقة وورانِي

ويَقُلْنَ مَنْ للمستضيف إذا دعا أم مَنْ لِخَضْبِ عواليَ المُرّانِ

أم لاتّسارٍ بالجَزور إذا غدا ريحٌ يقطّع مَعقِدَ الأشطانِ

---

(١) في طبعة صادر «وسعى». وما أثبتناه عن الطبعة الأوربية، وأشعار النساء للمرزباني ٥٠، والأغاني ٦٣/٥.

(٢) في النسخة (ت): «قبيلة».

(٣) في المصادر «دمي».

(٤) في أشعار النساء «بدلاً منه دماً».

(٥) في النسخة (ت): «وامل».

(٦) في النسختين (ب) و(ت): «ضحا».

(٧) في النسخة (ر): «بعد مهران».

(٨) في النسخة (ب): «يخرجن»، وفي النسخة (ت): «يخمشن أدمة».

(٩) في النسخة (ر): «بالأرنان».

(١٠) في الطبعة الأوربية «بكيدهنّ».

أمَّنْ لإسْباقِ[1] الدِياتِ وجمعها ... ولفادحاتِ نوائب الحِدْثانِ
كان الذخيرةَ للزمان فقد أتى ... فقدانُه وأخلّ رُكنَ مكاني
يا لهفَ نفسي من زمانٍ فاجعٍ ... ألقى عليّ بكلكلٍ وَجِران[2]
بمصيبةٍ لا تُستقال جليلةٍ ... غَلَبَتْ[3] عزاءَ القومِ والنّسوانِ
هدّت حُصوناً كُنّ قبلُ ملاوذاً ... لذوي الكهول معاً وللشبّانِ
أضْحتْ وأضحى سورُها من بعده ... مُتهدِّمَ الأركان والبُنيانِ
فابْكينَ سيّد قومه واندبنَه ... شُدّتْ عليه قباطيَ الأكفانِ
وابْكينِ لِلأيْتام لمّا أَقحطوا ... وابْكين عند تخاذُلِ الجيرانِ
وابكين مصرعَ جِيدِه[4] مُتَزمِّلاً ... بدمائه فلذاك ما أبكاني
فلأترُكَنّ به قبائلَ تغلب ... قَتْلَى بكلّ قرارة ومكانِ
قَتْلَى تُعَاوِرُها النسورُ أكفَّها ... ينهشنها وحواجلُ الغِربانِ

ثمّ انطلق إلى المكان الذي قُتل فيه كُلَيب فرأى دمه، وأتى قبره فوقف عليه، ثمّ قال:

إنّ تحت التراب حزْماً وعزْماً[5] ... وخصيماً ألدَّ ذا مِغْلَاقِ
حيّةً في الوِجار[6] أربُد[7] لا ينـ ... ـفع منه السليمَ نفثُ الراقي[8]

ثمّ جزّ شعره، وقَصَر ثوبه، وهجر النساء، وترك الغزل، وحرّم القمار والشراب، وجمع إليه قومَه، وأرسل رجالاً منهم إلى بني شيبان، فأتوا مُرّة بن ذُهْل بن شيبان وهو في نادي قومه فقالوا له: إنّكم أتيتم عظيماً بقتْلكم كُلَيباً بناقة، وقطعتم الرَّحِم، وانتهكتم الحُرْمة، وإنّا نعرض عليك خِلالاً أربعاً، لكم فيها مخرج، ولنا فيها مقنع، إمّا أن تُحيي لنا كُلَيباً، أو تدفع إلينا قاتله جسّاساً فنقتله به، أو همّاماً فإنّه كفؤ له، أو تمكّننا من نفسك، فإنّ فيك[9] وفاء لِدَمِهِ.

---

(١) في النسخة (ر): «لاشناق».
(٢) في النسختين (ب) و(ت): «وحران».
(٣) في النسخة (ي): «جلبت».
(٤) في النسخة (ب): «جبيه»، وفي (ت): «خده»، وفي «جنبه».
(٥) في الأغاني: «إنّ تحت الأحجار حدّاً وليناً».
(٦) الوجار: جحْر الضبع.
(٧) الأربد: الذي يضرب لونه إلى السواد.
(٨) في الأغاني ٥/٥٥ «نفثة راق».
(٩) في النسخة (ب): «دمك».

فقال لهم: أمّا إحيائي كُلَيْباً فلستُ قادراً عليه، وأمّا دفْعي جسّاساً إليكم فإنّه غلام طعن طعنة على عَجَل، وركب فرسه فلا أدري أيَّ بلادٍ قصد، وأمّا همّام فإنّه أبو عشرة وأخو عشرة وعمّ عشرة، كلّهم فرسان قومهم، فلن يُسلّموه بجريرة غيره، وأمّا أنا فما هو إلّا أن تجول الخيل جولة، فأكون أوّل قتيلٍ، فما أتعجّل الموت، ولكنْ لكم عندي خصْلتان: أمّا إحداهما فهؤلاء أبنائي الباقون، فخذوا أيَّهم شئتم فاقتلوه بصاحبكم، وأمّا الأخرى فإنّي أدفع إليكم ألفَ ناقة سود الحَدَق حُمْر الوبر.

فغضب القومُ وقالوا: قد أسأت ببذل هؤلاء وتسومنا اللبن من دم كُلَيب؟ ونشبت الحرب بينهم. ولحقت جَليلةُ زوجة كُلَيْب بأبيها وقومها، واعتزلت قبائل بكر الحرب، وكرهوا مساعدة بني شيبان على القتال، وأعظموا قتْل كُلَيب فتحوّلت لُجَيْم[1] ويَشْكر، وكفّ الحارث بن عُباد عن نصرهم ومعه أهل بيته، وقال مهلهِل عدّة قصائد يرثي كُلَيباً منها:

كُلَيْب لا خير في الدنيا ومَنْ فيها ... إذ أنت خلّيتها فيمن يخلّيها
كليبُ أيُّ فتى عزٍّ ومَكْرُمة ... تحت السقائف إذ يعلوك سافيها[2]
نَعى النُّعاةُ كُليباً لي فقلتُ لهم: ... مالت بنا الأرضُ أو زالت رَواسيها
الحزم والعَزْمُ كانا من صنيعته ... ما كُلّ آلائِهِ يا قومُ أُحْصيها
القائدُ الخيل تَرْدي في أَعِنّتها ... رَهْواً[3] إذا الخيل لجّتْ في تعاديها[4]
من خيل تغلبَ ما تُلقى أسنّتَها ... إلّا وقد خضبوها من أعاديها
يُهَزْهِزون من الخطّيّ مُدْمَجةً ... صُمّاً[5] أنابيبُها زُرْقاً[6] عواليها
ليتَ السماءَ على مَنْ تحتها وقعتْ ... وانشقّتِ الأرضُ فانجابت بمَن فيها
لا أصلح الله منّا مَن يصالحكم ... ما لاحت الشمسُ في أعلى مجاريها[7]

فالتقوا أوّلَ قتال كان بينهم، في قولٍ يوم عُنَيْزة[8]، وهي عند فلجة[9]، وكانا على السواء، فقال مهلهِل:

---

(١) في النسخة (ب): «سجيم».
(٢) سافيها: ترابها.
(٣) في النسخة (ي): «زهوا». وفي النسخة (ر): «زهرا».
(٤) في النسخة (ت): «تهاديها»، والمثبت يتفق مع العقد الفريد.
(٥) في العقد الفريد «كُمتاً».
(٦) في النسخة (ب): «شهيا».
(٧) الأبيات في العقد الفريد ٥/٢١٧.
(٨) العقد الفريد ٥/٢١٩، نهاية الأرب ٢٥/٤٠١، المختصر في أخبار البشر ١/٧٧.
(٩) في النسخة (ر) «محله».

كـأنـا غُـدْوَةً[1] وبـنـي أبـيـنـا بـجَنْب عُنَيْـزةٍ رَحَيَـا[2] مُـديـرِ
ولـولا الريـحُ أُسْمِـعَ أهـلُ حُجر[3] صليـلَ[4] البِيض تُقْـرَعُ بـالـذُّكـورِ

فتفرّقوا ثمّ بقوا زماناً، ثمّ إنّهم التقوا بماء يقال لـه النِّهْي[5]، كانت بنـو شيبان نـازلة عليـه، ويُروَى أنّهـا أوّل وقعة كـانت بينهم، وكـان رئيس تغلِب مهلهِـل، ورئيس شيبـان الحـارث بن مُرّة، وكـانت الدائـرة لبني تغلب، وكانت الشـوكة في بني شيبـان، واستحـرّ القتالُ فيهم، إلاّ أنّهُ لم يُقْتَلْ ذلك اليوم أحد من بني مُرّة[6].

ثمّ التقـوا بالـذنائب[7]، وهيِ أعـظم وقعة كـانت لهم، فظفـرت بنـو تغلب، وقتلت بكـراً مقتلة عظيمـة، وقُتل فيهـا شَراحيـل بن مُرّة بن همّـام بن ذُهْل بن شيبَـان، وهو جـدّ الحَـوْفَزان وجـدّ معن بن زائدة، وقُتـل الحارث بن مُـرّة بن ذُهْلِ بن شيبـان، وقُتل من بني ذُهْل بن ثعلبة عمرو بن سَدوس بن شيبان بن ذُهْل وغيرهـم من رُؤساء بكر[8].

ثمّ التقوا يوم واردات[9] فاقتتلـوا قتالاً شديداً، فظفرت تغلِب أيضـاً، وكثُر القتـل في بكرِ، فقُتل همّام بنِ مُرّة بن ذُهْل بن شيبان أخو جسّاس لأبيه وأُمّه، فمرّ مهلهِل، فلمّـا رآه قتيلاً قال: والله ما قُتل بعـد كُليب أعزّ عليّ منـك، والله لا تجتمع بكـر بعدكمـا على خير أبداً.

وقيل: إنّما قُتل يوم القُصَيْبات، قبل يوم قِضَّة[10]، قتله ناشرة، وكان همّام قد التقطه وربّاه وسمّاه نـاشرة، وكـان عنده. فلمّـا شبّ علم أنّه تغلبيّ، فلمّـا كان هـذا اليوم جعـل همّام يقاتل، فإذا عطش جاء إلى قِربة له يشرب منهـا، فتغفّله ناشـرة فقتله، ولحِق بقومـه تغلِب، وكاد جسّاس يؤخذ فسلم، فقال مهلهِل:

---

(١) في النسخة (ر) «عزوة»، وفي الأغاني «غداة كأنّنا».
(٢) الرَّحَيَان: إذا أدارهما مدير أثّرت إحداهما في الأخرى، وهما من معدن واحد، وكـذلك هؤلاء هم من أصـل واحد يتماحقون ويقتتلون». (الأغاني ٥/٥٤ حاشية (٦).
(٣) في الأغاني، والعقد الفريد ٥/٢٢٠ «مَن بحَجْر».
(٤) في النسخة (ر): «صرير».
(٥) العقد الفريد ٥/٢١٨ نهاية الأرب ١٥/٤٠٠ (بالكسر في لغة أهل نجد).
(٦) المرجعان السابقان، مع المختصر في أخبار البشر ١/٧٧.
(٧) العقد الفريد ٥/٢١٨، نهاية الأرب ١٥/٤٠٠، ٤٠١ (وهي ثلاث هضبات بنجد)، عن يسار فلجة مصعّداً إلى مكة. (معجم البلدان ٣/٧).
(٨) العقد الفريد، نهاية الأرب، المختصر في أخبار البشر.
(٩) العقد الفريد ٥/٢١٨، ٢١٩، نهايـة الأرب ١٥/٤٠١، المختصر في أخبـار البشر ١/٧٧ (وهي عن يسـار مكة).
(١٠) قِضَة: بكسر أوّله وتخفيف ثانيه. عقبة بعارض اليمامة.

لــو أنّ خيلي أدركتْك وجــدتَهُم[1] مثــل الليــوث بستْــرِ غُبّ[2] عــرينِ

ويقول فيها:

ولأوردنّ الــخــيــلَ بــطنَ أراكــة ولأقـضـيــنّ بـفــعــل ذاك ديــونـي
ولأقتلنّ جحــاجحــاً من بِكْــركــم ولأبـكـيــنّ بهــا جـفــون عُـيــونِ[3]
حتّى تـظلّ الحــامــلاتُ مخــافــةً مِنْ وَقْعنــا يقــذفن كــلّ جنيــنِ

وقيل في ترتيب الأيّام غيرُ ما ذكرنا، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وكان أبو نُـوَيْرة التغلبيّ وغيـره طلائـع قومـه، وكان جسّـاس وغيره طـلائع قـومهم، والتقى بعض الليالي جسّاس وأبو نُوَيْرة، فقال له أبو نُوَيْرة: اخترْ إمّا الصراع أو الطعـان أو المسايفة[4]. فاختار جسّاس الصراع، فاصطرعا وأبطأ كلّ واحد منهما على أصحاب حَيّهِ، وطلبوهما فأصابوهما وهما يصطرعان، وقد كاد جسّاس يصرعه، ففرّقوا بينهما.

وجعلت تغلِب تـطلب جسّاسـاً أشدّ الـطلب، فقال لـه أبـو مُـرّة: الحَقْ بـأخـوالـك بالشام، فامتنع، فألحّ عليه أبوه فسيّره سرّاً في خمسة نفر: وبلغ الخبرُ إلى مهلهِل، فندب أبا نُوَيْرة، ومعه ثلاثون رجـلاً من شجعان أصحـابه، فسـاروا مجدّين، فـأدركوا جسّـاساً، فقـاتلهم، فقُتل أبـو نُويـرة وأصحابـه، ولم يبق منهم غير رجلَيْن، وجُـرح جسّاس جـرحـاً شديداً مات منه، وقُتل أصحابه فلم يسلمْ غير رجلَيْن أيضاً، فعاد كلّ واحد من المسالمين إلى أصحابه، فلمّا سمع مُرّة قتْل ابنـه جسّاس قـال: إنّما يُحـزنني أن كان لم يَقتـلْ منهم أحداً. فقيل له: إنّه قتل بيده أبا نُوَيْرة رئيس القوم، وقتل معه خمسة عشر رجلاً، ما شرِكه منّا أحد في قتلهم، وقتلنا نحن الباقين، فقال: ذلك ممّا يسكّن قلبي عن جسّاس.

وقيـل: إنّ جسّاسـاً آخرُ مَنْ قُتـل في حرب بكـر وتغلِب، وكان سبب قتْله أنّ أختـه جَليلة كـانت تحت كُليب وائل. فلمّـا قُتل كُليب عـادت إلى أبيهـا وهي حـامـل، ووقعت الحـرب، وكان من الفـريقَيْن ما كـان، ثمّ عادوا إلى المـوادعـة بعـدمـا كـادت الفئتـان[5] تتفانيان[6]، فولدت أخت جسّاس غلاماً، فسمّته هِجْرِساً، وربّـاه جسّاس، وكـان لا يعرف

---

(١) في الأصل «وجد».
(٢) في النسخة (ب): «سننزعت»، وفي النسخة (ت): «يترغب».
(٣) في الطبعة الأوربية «عيوني».
(٤) في النسخ (ب) و(ر) و(ي): «المسابقة».
(٥) في النسختين (ب) و(ر): «القبيلتان».
(٦) في النسخة (ب): «تتفيانى» وفي النسخة (ي): «تفنان». وفي الطبعة الأوربية «تتفانى».

أباً غيره[1]، فزوّجه ابنتَهُ، فوقع بين هِجْرِس وبين رجل من بكر كلام، فقال له البكريّ: ما أنت بِمُنْتهٍ حتّى نُلْحقك بأبيك. فأمسك عنه ودخل إلى أمّه كئيباً حزيناً، فأخبرها الخبر. فلمّا نام إلى جنب امرأته رأت من همّه وفِكره ما أنكرته، فقصّت على أبيها جسّاس قصّته، فقال: ثائر وربِّ الكعبة! وبات على مثل الرَّضْف حتّى أصبح، فأحضر الهِجْرِس فقال له: إنّما أنتَ ولدي، وأنت منّي بالمكان الذي تعلم، وزوّجتك ابنتي، وقد كانت الحرب في أبيك زماناً طويلاً، وقد اصطلحنا وتحاجزنا، وقد رأيتُ أن تدخل في ما دخل فيه الناس من الصلح، وأن تنطلق معي حتّى نأخذ عليك مثل ما أُخذ علينا. فقال الهِجْرِس: أنا فاعلٌ. فحمله جسّاس على فرسه فركبه ولبس لأمته وقال: مثلي لا يأتي أهلَهُ بغير سلاحه، فخرجا حتّى أتيا جماعةً من قومهما، فقصّ عليهم جسّاس القصّة، وأعلمهم أنّ الهِجْرِس يدخل في الذي دخل فيه جماعتهم، وقد حضر ليعقد ما عقدتم. فلمّا قرّبوا الدم وقاموا إلى العقد أخذ الهِجْرِس بوسط رمحه ثمّ قال: وفرسي وأذنَيْه، ورمحي ونصلَيْه، وسيفي وغِرارَيْه لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه، ثمّ طعن جسّاساً فقتله ولحق بقومه، وكان آخرَ قتيل في بكر. والأوّل أكثرُ.

ونرجع إلى سياقة الحديث.

فلمّا قُتل جسّاس أرسل أبوه مُرّة إلى مهلهِل: إنّك قد أدركتَ ثارك وقتلتَ جسّاساً، فاكففْ عن الحرب ودع اللجاج والإسراف، وأصلحْ ذاتَ البين، فهو أصلحُ للحيّيْن وأنكأُ لعدوّهم، فلم يجب إلى ذلك.

وكان الحارث بن عُباد[2] وقد اعتزل الحرب، فلم يشهدها، فلمّا قُتل جسّاس وهَمّام ابنا مُرّة حمل ابنه بُجَيْراً، وهو ابن عمرو بن عُباد أخي الحارث بن عُباد، فلمّا حمله على الناقة كتب معه إلى مهلهِل: إنّك قد أسرفتَ في القتل، وأدركتَ ثأرك سوى ما قتلتَ من بكر، وقد أرسلتُ ابني إليك فإمّا قتلتَهُ بأخيك وأصلحتَ بين الحيّيْن وإمّا أطلقتَهُ وأصلحتَ ذات البَينِ، فقد مضى من الحيّيْن في هذه الحروب مَنْ كان بقاؤه خيراً لنا ولكم. فلمّا وقف على كتابه أخذ بُجَيْراً فقتله وقال: بُؤْ بشِسْعِ نعلِ كُلَيْب[3]. (فلمّا سمع أبوه بقتله ظنّ أنّه قد قتله بأخيه ليصلح بين الحيّيْن، فقال: نِعمَ القتيل قتيلاً أصلح بين ابْني وائل! فقيل: إنّه قال: بؤْ بِشْسع نَعْل كُلَيب)[4]، فغضب عند ذلك الحارث بن عُباد وقال:

---

(١) جمهرة أنساب العرب ٣٠٥.

(٢) في النسخة (ي): «عبادة».

(٣) العقد الفريد ٥/٢٢١.

(٤) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر).

قَــرِّبـا مـربَطَ الـنـعـامـةِ مـنّـي لَقِحَتْ حـربُ وائـلٍ عن حِيَـالِ
قــرّبـا مـربطَ الـنـعـامـة مـنّـي شـاب رأسي وأنكـرتْني رجـالـي
لم أكنْ[1] مـن جُنـاتـهـا عَلِمَ الـلـ ـهُ وإنّي بحَـرِّهـا[2] اليـوم صـالي[3]

فـأتوه بفـرسه النعـامة، ولم يكنِ في زمـانها مثلُهـا، فركبهـا ووَلِيَ أمـرَ بكـر وشهِـد حربهم، وكان أوّل يـوم شهده يـوم قِضَّة، وهو يوم تَحْلاق اللِّمَم، (وإنّمـا قيل لـه تَحْلاق اللِّمَم)[4] لأنّ بكراً حلقوا رؤوسهم ليعرف بعضهم بعضاً، إلاّ جَحْدر بن ضُبَيْعة بن قيس أبو المسامعة، فقال لهم: أنا قصير فلا تشينوني، وأنا أشتـري لمّتي منكم بأوّل فـارس يطلع عليكم. فطلع ابنُ عنّاق، فشدّ عليه فقتله، وكان يرتجز ذلك اليوم ويقول:

رُدّوا عــليّ الـخـيــل إن أَلَـمّــتِ إن لـم أقــاتلْهم فـجُـزّوا لِـمّـتي

وقاتل يومئذ الحارث بن عُباد قتالاً شديداً، فقتل في تغلب مقتلة عظيمة، وفيه يقول طَرَفة[5]:

ســائلوا عنّــا الــذي يعـرفنـا بِقُــوانـا[6] يــومَ تحــلاقِ اللِّمَمْ
يوم تُبْدي[7] البيضُ عن أَسْؤُقِها[8] وتلفّ[9] الخيــلُ أفـواجَ[10] النَّعمْ

وفي هذا اليوم أَسرَ الحارثُ بن عُبـاد مهلهِلاً، واسمـه عديّ، وهـو لا يعرفـه، فقال له: دلّني على عديّ وأنا أخلّي عنك. فقال له المهلهِل: عليك عهد الله بذلـك إنْ دللتُك عليه؟ قال: نعم. قال: فأنا عديّ، فجزّ ناصيته وتركه، وقال في ذلك:

لهفَ نفسي على عَــدِيٍّ ولم أعـر فْ عــديّــاً إذْ أمكنتْـني اليــدانِ[11]

---

(١) في النسخة (ي): «يكن».
(٢) في النسخة (ب): «بشرّها».
(٣) الأبيات في نهاية الأرب ٤٠٣/١٥ وفي العقد الفريد ٢٢١/٥ بيتان، والأبيات في الأغاني أيضاً ٤٧/٥.
(٤) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر).
(٥) هو طَرَفَة بن العبد بن سفيان. كان في حَسَبٍ من قومه، جريئاً على هجائهم وهجاء غيـرهم. أنظر عنـه في الأغاني ١٨٥/٢١، الشعر والشعراء ١١٧/١، الموشح ٥٧، معجم الشعراء ٢٠١، طبقـات الشعراء ١١٥، خزانة الأدب للبغدادي ٤١٤/١.
(٦) في النسخة (ب): «لقبونا»، وفي النسخة (ي): «يقبونا». وفي العقد الفريد ٢٢١/٥ «ما لقوا».
(٧) في النسختين (ب) و(ي): «تبدوا».
(٨) في طبعـة صادر ٥٣٦/١ «أسـوقها»، وقـد أثبتنا الهمـزة فوق الـواو، لتحمل الضمّـة، وأسوق: جمـع ساق. والمراد: يوم تكشف النساء البيض عن سيقانها من الفزع.
(٩) تلفّ: تجمع.
(١٠) هكذا في العقد الفريد، وفي الأغاني ٤٤/٥ ونهاية الأرب ٤٠٣/١٥ «أعراج».
(١١) العقد الفريد ٢٢١/٥، نهاية الأرب ٤٠٤/١٥، الأغاني ٤٩/٥.

وكانت الأيّام التي اشتدّت فيها الحرب بين الطائفتَيْن خمسة أيّام:

يوم عُنَيْزة تكافأُوا فيه وتناصفوا.

ثمّ اليوم الثاني، يوم واردات، كان لتغلب على بكر.

ثمّ اليوم الثالث الحِنْو، كان لبكر على تغلِب.

ثمّ اليوم الرابع يوم القُصَيْبات، أُصيب بكر حتّى ظنُّوا أنّهم لن يستقِيلوا.

ثمّ اليوم الخامس يوم قِضّة، وهو يوم التحالق، وشهده الحارث بن عُبَاد.

ثمّ كان بعد ذلك أيّام دون هذه، منها:

يوم النَّقِيَّة[1]، ويوم الفصيل[2] لبكر على تغلِب.

ثمّ لم يكن بينهما مزاحفة إنّما كان مغاورات، ودامت الحرب بينهما أربعين سنة.

ثمّ إنّ مهلهِلاً قال لقومه: قد رأيتُ أن تُبْقوا على قومكم فإنّهم يحبّون صلاحكم، وقد أتت على حربكم أربعون سنة، وما لمتكم على ما كان مِنْ طلبكم بوَتَـركم، فلو مرّت هذه السنون في رفاهية عيش لكانت تُمَلّ من طولها، فكيف وقد فني الحيّان، وثُكِلت الأمّهات، ويُتّم الأولاد، ونائحة لا تزال تصرخ في النواحي، ودموع لا تَرْقأ، وأجسادٌ لا تُدفن، وسيوف مشهورة، ورماحٍ مشرعة! وإنّ القومِ سيرجعون إليكم غداً بمودّتهم ومواصلتهم، وتتعطّف الأرحام حتّى تتواسَوا في قبال النَّعْل[3]، فكان كما قال.

ثمّ قال مهلهِل: أمّا أنا فما تطيب نفسي أن أُقيم فيكم، ولا أستطيع أن أنظر إلى قاتل كُلَيب، وأخاف أن أحملكم على الاستئصال، وأنا سائر إلى اليمن، وفارقهم وسار إلى اليمن، ونزل في جَنْب، وهي حيّ من مَذْحِج، فخطبوا إليه ابنته، فمنعهم، فأخبروه على تزويجها وساقوا إليه صَداقها جلوداً من أدم، فقال في ذلك:

أعْــزِزْ عَـلَى[4] تغـلب بمــا لَـقِيَتْ ... أختُ بني الأكـرميـن من جُشَمِ[5]

أنـكحـهـا فـقْـدُهـا الأراقـمَ فـي ... جَـنْـبٍ وكـان الـحِبَـاء مــن أدمِ

---

(١) في النسخة (ت): «النفية».

(٢) في النسختين (ب) و(ي): «الفصل».

(٣) في الطبعة الأوربية «قتال النقل».

(٤) في الطبعة الأوربية «عليّ» بالتشديد.

(٥) البيت في الأغاني ٥/٥١:

هــان عـلى تـغـلب بـمــا لـقيـتْ ... أختُ بـني الـمـالـكيـن من جُـشَمِ

لـو بِـأبـانَيْنِ[1] جـاء[2] يخـطُبهـا ضُـرِّجَ مـا أنْفُ خـاطبٍ[3] بـدمِ[4]

الأراقم بـطنٍ من جُشَم بن تغلِب، يعني حيث فقدتِ الأراقم، وهم عشيـرتهـا، تزوّجها رجل من جَنْب[5] بأدم.

ثمّ إنّ مهلهِلاً عاد إلى ديار قومه، فأخذه عمرو بن مالك بن ضُبَيْعة البكريّ أسيراً بنواحي هجر، فأحسن إساره، فمرّ عليه تاجر يبيع الخمر قدِم بها من هَجَر، وكان صديقاً لمهلهِل، فأهدى إليه وهو أسير زِقّاً من خمر، فاجتمع إليه بنو مالك، فنحروا عنده بِكْراً وشربوا عند مهلهِل في بيته الذي أفرد له عمرو. فلمّا أخذ فيهم الشراب تغنّى مهلهِل بما كان يقوله من الشعر وينوح به على أخيه كُلَيب، فسمع منه[6] عمرو ذلك فقال: إنّه لرَيّان، والله لا يشرب عندي ماء حتّى يَرِد زبيب، وهو فحل كان له، لا يرد إلّا خمساً في حَمَارّة القيظ، فطلب بنو مالك زبيباً، وهم حِراصٌ على أن لا يهلك مهلهِل، فلم يقدروا عليه حتّى مات مهلهِل عطشاً.

وقيل: إنّ ابنة خال المهلهِل، وهي ابنة المجلّل[7] التغلبيّ، كانت امرأة عمرو، وأرادت أن تأتي مهلهِلاً وهو أسير، فقال يذكرها:

طَفْلَةٌ مـا ابنـة المجلّل بيضـا ءُ لَعُـوبٌ لـذيـذةٌ في العِنـاقِ
فـاذهبي مـا إليـكِ غيـرَ بعيـدٍ لا يؤاتي العِنـاقَ مَنْ في الـوثـاقِ
ضـربتْ نحـرهـا إليّ وقـالت: يـا عَـدِيّ لقـد وقتْـك الأواقي[8]

وهي أبيات ذواتُ عدد، فنُقل شعره إلى عمرو بن مالك، فحلف عمرو أن لا يسقيه الماء حتّى يرد زبيب، فسأله الناسُ أن يورد زبيباً قبل وروده، ففعل[9] وأورده وسقاه حتّى يتحلّل من يمينه، ثمّ إنّه سقى مهلهِلاً من ماء هناك وهو أوخمُ المياه، فمات مهلهِل.

(عُباد بضمّ العين، وفتح الباء الموحّدة وتخفيفها).

---

(١) أبانان: جبلان. يقال لأحدهما أبان الأبيض، وللآخر أبان الأسود.
(٢) في النسخة (ي): «يا تين من حي».
(٣) في النسخة (ي): «القت ادم».
(٤) الأبيات وغيرها في الأغاني ٥/٥١.
(٥) جَنْب: حيّ باليمن من مذحج.
(٦) في الطبعة الأوربية «به».
(٧) في الأغاني ٥/٥١ «المحلّل» بالحاء المهملة.
(٨) الأغاني ٥/٥٤.
(٩) في النسخة (ي): «فقبل».

ذِكْر الحرب بين الحارث الأعرج[1] وبني تغلِب

قال أبو عُبيدة: إنّ بكراً وتغلِب ابنَي وائـل اجتمعت للمنذر بن مـاء السماء، وذلـك بعد حربهم، وكان الذي أصلح بينهم قيس بن شَرَاحِيل بن مُرّة بن هَمّام، فغزا بهم المنذرُ بني آكل المُرار، وجعل على بني بكر وتغلِب ابنَـه عمرو بن هنـد، وقال: أُغْـزُ أخوالـك. فغزاهم، فاقتتلوا، فانهزم بنو آكل المُرار وأُسروا، وجاءوا بهم إلى المنذر فقتلهم.

ثمّ انتقضت تغلِب على المنذر ولحِقت بالشام، (ونحن نذكـر سبب ذلك في أخبـار شيبان إن شاء الله)[2]، وعادت الحرب بينهم وبين بكـر، فخرج ملك غسّـان بالشـام، وهو الحارث بن أبي شَمِر الغسّانيّ، فمرّ بأفاريق من تغلِب، فلم يستقبلوه. وركب[3] عمـرو بن كُلْثـوم التغلبيّ فلقِيه، فقـال له: مـا منع قـومك أن يتلقّـوني؟ فقال: لم يعلمـوا بمرورك، فقال: لئن رجعتُ لأغزونّهم غزوة تتركهم أَيقاظاً لقدومي، فقال عمرو: ما استيقظ قومٌ قطّ إلاّ نُبل رأيهم وعزّتْ جماعتهم، فلا تُوقظنّ نائمهم. فقال: كأنّك تتوعّدني بهم، أمـا والله لتعلمنّ إذا أجالت غطاريف غسّان الخيل في ديـاركم، أنّ أيقاظ قـومك سينـامون نـومة لا حُلْمَ فيها، تُجْتَثّ أُصولهم ويُنْفَى[4] فَلُّهم إلى اليابس الجَرِد[5] والنازِح الثَّمِد.

ثمّ رجع عمرو بن كُلْثوم عنه، وجمع قومه وقال:

ألا فـاعـلَمْ أبيـتَ الـلعـنَ أنّـا	أبيتَ الـلعنَ نـأبـى مـا تُـريـدُ[6]
تـعـلّمْ أنّ مـحْـمَـلَنَـا ثـقـيـلٌ	وأنّ دِبـارَ[7] كَـبـتِّـنـا[8] شـديـدُ
وأنّـا لـيس حـيٌّ مـن مـعـدٍّ	يـقـاومنـا[9] إذا لُبِس الـحـديـدُ

فلمّا عاد الحـارث الأعرج غـزا بني تغلِب، فاقتتلوا واشتـدّ القتال بينهم، ثمّ انهـزم الحارث وبنو غسّان، وقُتل أخو الحارث في عدد كثير، فقال عمرو بن كُلْثوم:

---

(١) هو الحارث بن أبي شمر الغسّاني. (أنظر: المعارف ٦٤٢).
(٢) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر).
(٣) وفي بعض النسخ «وثب».
(٤) في النسخة (ي): «يبقى».
(٥) في طبعة صادر ١/٥٤٠ «الجدد». وما أثبتناه عن الأغاني ١١/٥٨.
(٦) في الأغاني: «على عمدٍ سنأتي ما تريدُ».
(٧) في الأغاني «زناد».
(٨) في النسخة (ب): «كبشتنا»، وفي النسخة (ي): «كثبتنا»، وفي النسخة (ر): «ذياد كثبينا».
والكَبَّة: بالفتح: الحملة في الحرب والدفعة في القتال، وكبّة كل شيء شدّته ودفعته مثل كبّة الشتاء والجري.
(٩) في الأغاني «يوازينا».

هلّا عطفتَ على أخيك إذا دعا ... بالثكل ويلَ أبيك يا ابنَ أبي شمِر
فذُق الذي جَشّمْتَ نفسَك واعترفْ ... فيها أخاك وعامر بن أبي حُجُر

يوم عين أُباغ[1]

وهو بين المُنْذر بن ماء السماء وبين الحارث الأعرج بن أبي شَمِر جَبَلة.

وقيل: أبو شَمِر عمرو بن جَبَلَة بن الحارث بن حُجْر بن النعمان بن الحارث الأيْهم بن الحارث بن مارية الغسانيّ، وقيل في نسبه غير هذا.

وقيل: هو أزديّ تغلّب على غسّان.

والأوّل أكثر وأصحّ، وهو الذي طلب أدراع امرىء القيس من السَّمَوْأَل بن عادياء وقتل ابنَه، وقيل غيره، والله أعلم.

وسبب ذلك أنّ المنذر بن ماء السماء ملك العرب سار من الحيرة في مَعَدّ كلّها حتّى نزل بعين أُباغ بذات الخيار، وأرسل إلى الحارث الأعرج بن جَبَلَة بن الحارث بن ثعلبة بن جَفْنة بن عمرو مُزَيقِيَاءَ بن عامر الغسانيّ ملك العرب بالشام: إمّا أن تعطيني الفِدْية فأنصرف عنك بجنودي، وإمّا أن تأذن بحربٍ.

فأرسل إليه الحارثُ: أَنْظِرْنَا نَنْظرْ في أمرنا. فجمع عساكره وسار نحو المنذر وأرسل إليه يقول له: إنّا شيخان فلا نُهلك جنودي وجنودك، ولكن يخرج رجل من ولدي ويخرج رجل من ولدك فمَنْ قُتل خرج عوضه آخر، وإذا فني أولادنا خرجتُ أنا إليك، فمن قَتل صاحبه ذهب بالمُلْك. فتعاهدا على ذلك، فعمد المنذر إلى رجل من شجعان أصحابه، فأمره أن يخرج فيقف بين الصفّيْن ويُظهر أنّه ابن المنذر، فلمّا خرج أخرجَ إليه الحارثُ ابنَه أبا كرِب، فلمّا رآه رجع إلى أبيّه وقال: إنّ هذا ليس بابن المنذر إنّما هو عبده أو بعض شجعان أصحابه، فقال: يا بنيّ أجزعتَ من الموت؟ ما كان الشيخ ليغدر. فعاد إليه وقاتله، فقتله الفارس وألقى رأسه بين يدي المنذر، وعاد فأمر الحارث ابناً له آخر بقتاله والطلب بثأر أخيه، فخرج إليه، فلمّا واقفه[2] رجع إلى أبيه وقال: يا أبتِ هذا والله عبد المنذر. فقال: يا بنيّ ما كان الشيخ ليغدر. فعاد إليه فشدّ عليه فقتله.

فلمّا رأى ذلك شَمِر بن عمرو الحنفيّ، وكانت أمّه غسّانيّة، وهو مع المنذر، قال: أيّها الملك إنّ الغدر ليس من شِيَم الملوك ولا الكرام، وقد غدرتَ بابن عمّك دفعتَيْن.

---

(١) العقد الفريد ٥/٢٦٠، المعارف ٦٤٨، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩١، المختصر في أخبار البشر ١/٨٠، جمهرة أنساب العرب ٣١١، نهاية الأرب ١٥/٤٣٠، ديوان النابغة ٧٤.

(٢) في النسختين (ب) و(ت): «واقعه».

فغضب المنذرُ وأمر بإخراجه، فلحِق بعسكر الحارث فأخبره، فقال له: سلْ حاجتك. فقال له: حِلّتك[1] وخُلّتك، فلمّا كان الغد عبّى الحارثُ أصحابه وحرّضهم، وكان في أربعين ألفاً، واصطفّوا للقتال، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقُتل المنذر وهُزمت جيوشه، فأمر الحارثُ بابنَيْه القتيلَيْن، فحُمِلا على بعير بمنزلة العِدْلَيْن، وجعل المنذر فوقهما فَوْداً وقال: «يا لَعِلاوةٍ[2] دون العِدلَيْن»! فذهبت مثلاً.

وسار إلى الحيرة فأنهبها وأحرقها، ودفن ابنَيْه بها، وبنى الغَرِيَّيْنِ[3] عليهما، في قول بعضهم.

وفي ذلك اليوم يقول ابن أبي الرَّعْلاء الضُّبْيانيّ[4]:

كم تركنا بالعينِ عينِ أُباغ ... من ملوكٍ وسُوقةٍ أكفاء
أمطرتْهم سحائبُ الموت تَتْرَى ... إنّ في الموت راحةَ الأشقياء
ليس مَنْ مات فاستراح بميْت ... إنّما الميْتُ ميّت الأحياء

يوم مرج حَليمَة وقتْل المُنْذر بن المنذر بن ماء السماء[5]

لمّا قُتل المنذر بن ماء السماء، على ما تقدّم، مَلَك بعده ابنه المُنْذر وتلقّب الأسود، فلمّا استقرّ وثبّت قدمه جمع عساكره، وسار إلى الحارث الأعرج طالباً بثأر أبيه عنده، وبعث إليه: إنّني قد أعددتُ لك الكُهُول، على الفحول. فأجابه الحارث: قد أعددتُ لك المُرْد على الجُرْد. فسار المُنذر حتّى نزل بمرج حلِيمة، فتركه مَن به من غسّان للأسود.

وإنّما سُمّي مرج حَلِيمة بحليمة ابنة الحارث الغسّانيّ[6]، وسنذكر خبرها عند الفراغ من هذا اليوم.

ثمّ إنّ الحارث سار فنزل بالمرج أيضاً، فأمر أهل القرى التي في المرج أن يصنعوا

---

(١) في النسخة (ب): «حلمك». وفي النسخة (ي): «حليتك».
(٢) في النسخة (ر): «ما العلاوة».
(٣) في النسخة (ي): «الغريبين».
والغريّان: تثنية الغريّ. وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. (معجم البلدان ٤/١٩٦).
(٤) في النسخة (ب): «الغسّاني».
(٥) تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩١، المعارف ٦٤٢، معجم البلدان ٢/٢٩٦، الأغاني ١١/٤٦، الاشتقاق ٢/٢٠٩، الشعر والشعراء ١/١٩٤، المختصر ١/٨٠.
(٦) معجم البلدان ٢/٢٩٦.

الطعام لعسكره، ففعلوا ذلك وحملوه في الجِفان، وتركوه في العسكر، فكان الرجل يقاتل، فإذا أراد الطعام جاء إلى تلك الجِفان فأكل منها. فأقامت الحرب بين الأسود والحارث أيّاماً، [لم] ينتصف بعضهم من بعض. فلمّا رأى الحارث ذلك قعد في قصره، ودعا ابنته هِنداً وأمرها، فاتّخذت طِيباً كثيراً في الجِفان وطيّبت به أصحابه، ثمّ نادى: يا فتيان غسّان مَنْ قتل ملك الحيرة زوّجتُهُ ابنتي هنداً. فقال لَبيد بن عمرو الغسّانيّ لأبيه: يا أبت أنا قاتل ملك الحيرة، أو مقتول دونه لا محالة، ولستُ أرضى فرسي، فأعطني فرسك الزيتية[١]. فأعطاه فرسه. فلمّا زحف النّاسُ واقتتلوا ساعةً شدّ لَبِيد على الأسود فضربه ضربة فألقاه عن فرسه، وانهزم أصحابُه في كلّ وجه، ونزل فاحتزّ رأسه وأقبل به إلى الحارث وهو على قصره ينظر إليهم، فألقى الرأسَ بين يديه. فقال له الحارث: شأنك بابنة عمّك فقد زوّجتُكَها. فقال: بل أنصرف فأواسي أصحابي بنفسي، فإذا انصرف النّاسُ انصرفتُ. فرجع فصادف أخاه الأسود قد رجع إليه الناس وهو يقاتل، وقد اشتدّت نكايتُهُ[٢]، فتقدّم لَبِيد فقاتل فقُتل، ولم يُقْتَلْ في هذه الحرب بعد تلك الهزيمة غيره، وانهزمَت لخم هزيمةً ثانيةً، وقُتلوا في كلّ وجه، وانصرفتْ غسّان بأحسن ظفر.

وذُكر أنّ الغبار في هذا اليوم اشتدّ وكثر حتّى ستر الشمس، وحتى ظهرت الكواكبُ المتباعدة عن مطالع الشمس لكثرة العساكر[٣]، لأنّ الأسود سار بعرب العراق أجمع، وسار الحارث بعرب الشام أجمع، وهذا اليوم من أشهر أيّام العرب[٤]، وقد فخر به بعض شعراء غسّان فقال:

يومَ وادي حَليمةٍ وازدلفنا	بالعناجيج والرماح الظماءِ
إذ شَحَنّا أكفّنا من رِقاقٍ	رَقّ مِنْ وَقْعها سَنَا السَّحْناءِ
وأتتْ هندُ بالخَلوقِ إلى مَنْ	كان ذا نجدةٍ وفضل غَناءِ
ونَصَبنا الجِفَانَ في ساحةِ المر	جِ فمِلْنا إلى جفانٍ مِلاءِ

وقيل في قتله غير ما تقدّم[٥]، ونحن نذكره.

قال بعض العلماء: وكان سببه أنّ الحارث بن أبي شَمِر جَبَلَة بن الحارث الأعرج الغسّانيّ خطب إلى المنذر بن المنذر اللخميّ ابنته، وقصد انقطاع الحرب بين لخم

---

(١) في الأصل «الرتيته»، وفي النُسخ (ب) و(ر) و(ي): «الربيبة».
(٢) في النسخة (ب): «نكايبه»، وفي النسخة (ي): «مكانته».
(٣) معجم البلدان ٢/٢٩٦، المختصر في أخبار البشر ٨٠.
(٤) المفصّل في تاريخ العرب ٣/٢٤٠.
(٥) راجع اختلاف الروايات حول هذا الخبر في دراسة الدكتور جواد علي في كتابه المفصّل ٣/٢٣٠ ـ ٢٤١.

وغسّان، فزوّجه المنذرُ ابنتَه هنداً، وكانت لا تريد الرجال، فصنعتْ بجلدها شبيهاً بالبَرَص، وقالت لأبيها: أنا على هذه الحالة وتهديني لملك غسّان؟ فندم على تزويجها فأمسكها. ثمّ إنّ الحارث أرسل يطلبها فمنعها أبوها، واعتلّ عليه.

ثمّ إنّ المنذر خرج غازياً، فبعث الحارث بن أبي شَمِر جيشاً إلى الحيرة، فانتهبها وأحرقها. فانصرف المنذر من غَزَاته لِما بلغه من الخبر، فسار يريد غسّان، وبلغ الخبرُ الحارثَ، فجمع أصحابَه وقومه فسار بهم، فتوافقوا بعين[1] أُباغ، فاصطفّوا للقتال، فاقتتلوا واشتدّ الأمر بين الطائفتَيْن، فحملت ميمنة المنذر على ميسرة الحارث، وفيها ابنه فقتلوه، وانهزمت الميسرة، وحملت ميمنةُ الحارِث على ميسرة المنذر، فانهزم مَنْ بها وقُتل مقدّمها فَرْوة بن مسعود بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذُهْلٍ بن شيبان، وحملت غسّانُ من القلب على المنذر فقتلوه، وانهزم أصحابُه في كلّ وجه، فقُتل منهم بشر كثير وأُسر خلق كثير، منهم من بني تميم، ثمّ من بني حنظلة مائة أسير، منهم شأس بن عَبَدة، فوفد أخوه علقمة بن عَبَدة الشاعر[2] على الحارث يطلب إليه أن يُطلِق أخاه، ومدحه بقصيدته المشهورة[3] التي أوّلها:

طَحَا بك قلبٌ في الحسانِ طَرُوبُ ... بُعَيْدَ الشباب عصرَ حَانَ[4] مشيبُ
تكلّفني ليلى وقد شَطّ أهلُها[5] ... وعادتْ عَوادٍ بَيننا وخُطوبُ

يقول فيها:

فإن تسألوني بالنساء فإنّني ... بصير بأدواء النساء طبيبُ
إذا شاب رأسُ المرء أو قلّ مالهُ ... فليس له في ودّهنّ نَصيبُ
(يُرِدْن ثراءَ المال حيثُ وجدنه ... وشرخُ الشباب عندهنّ عجيبُ)[6]
وقاتَلَ من غسّان أهلُ حِفاظِها ... وهِنْبٌ وقاسٌ جالَدَتْ وشبيبُ[7]

---

(١) في النسخة (ر): «فتوافوا عين».
(٢) هو الذي يقال له: علقمة الفحل. أنظر عنه في: طبقات الشعراء لابن سلام ١١٦، الشعر والشعراء ١/ ٤٥ رقم ١٣، الأغاني ٢١/ ١٩٩، الإصابة ٣/ ١١١، خزانة الأدب للبغدادي ١/ ٥٦٥، ديوان علقمة ـ نشره ابن أبي شنب ـ الجزائر ١٩٢٥.
(٣) راجع القصيدة في ديوانه ـ ص ٢٠ وهي أولى قصائده.
(٤) في الطبعة الأوربية «حَيْن»، والمثبت يتفق مع الأغاني ٢١/ ٢٠١ وغيره.
(٥) في النسختين (ب) و(ر): «وليها».
(٦) هذا البيت في حاشية النسخة (ر). وفي الشعر والشعراء ١/ ١٤٦ ورد: «حيث علمْنَه» بل «حيث وجدنه».
(٧) في الطبعة الأوربية.
وخالد من غسّان أهل حِفاظِها ... وهند وفارس ما صنعتْ يشيبُ

تُخَشْخِشُ أبْـدَانُ الحـديـد عليهم كمَا خشخشتْ يَبْسَ[1] الحصَادِ جَنوبُ
فلم تنـجُ إلاّ شَـطْبَـةٌ بلِجـامهـا وإلاّ طِـمـرٌّ[2] كـالقـنـاة نَـجيـبُ
وإلاّ كـمـيٌّ ذو حِـفـاظٍ كـأنّـه بمـا ابتلّ من حَـدّ الظُّبـات خَضيبُ
وفي كـلّ حَيٍّ قـد خَبَـطْتَ بنعمـةٍ فحُقّ لـشـأسٍ مِن نَـداك ذنـوبُ
فـلا تَحْـرِمَنّي نـائـلاً عن جَنَـابَـةٍ[3] فـإنّي امـرؤٌ وَسْطَ القِبـابِ غـريبُ

فلمّا بلغ إلى قوله: فحقّ لشأس من نداك ذنوب، قـال الملك: إي والله وأذنِبَةٌ، ثمّ أطلق شأساً وقال له: إن شئتَ الحِباء، وإن شئتَ أُسَراء قومك؟ وقال لجلسائـه: إن اختار الحِباء على قومه فلا خير فيه. فقال: أيّها الملك ما كنتُ لأخْتار على قومي شيئاً. فـأطلق له الأسرى من تميم وكساه وحباه، وفعل ذلك بالأسرى جميعهم وزوّدهم زاداً كثيـراً. فلمّا بلغوا بلادهم أعطوا جميع ذلك لشأس وقالوا: أنت كنتَ السبب في إطلاقنا فـاستعِنْ بهذا على دهرك، فحصل له مال كثير من إبِل وكسوة وغير ذلك.

(عَبَدة بفتح العين والباء الموحّدة).

(وقيـل[4] في قتْله: إنّه جمـع عسكراً ضخمـاً وسـار حتّى نـزل الشـام، وسـار ملك الشام، وهو عند الأكثر الحارث بن أبي شَمِر، فنزل مرج حليمـة، وهو يُنْسب إلى حليمـة بنت الملك، ونـزل الملك اللخميّ في مـرج الصُّفَّـر، فسيّـر الحـارثُ فـارِسَيْن طليعـةً، أحدهما فارس خَصاف، وكـانت فرسـه تجري على ثـلاث فلا تُلْحَق، فسارا حتّى خالـطا القوم وقربا من الملك وأمامه شمعة فقتلا حاملها. ففزع القومُ فاضطربوا بـأسيافهم، فقتـل بعضُهم بعضـاً حتّى أصبحوا، وأتـاهم رُسُل الحـارث ملك غسّـان يبـذل الصلح والإتـاوة وقال: إنّي باعث رؤوس القبائل لتقرير الحال، وندب أصحـابه، فـانتدب لـه مائـة غلام، وقيل: ثمانون غلامـاً، فألبسهم السـلاح وأمر ابنتـه حَليمة أن تـطيّبهم وتُلبسهم ففعلت[5]. فلمّا مرّ بها لَبِيد بن عمرو فارس الزيتيّة قبّلها، فأتت أباها باكيةً، فقال: هو أسد القوم ولئِن سلم لأنكحنّه إياكِ، وأمّره على القوم وساروا، فلمّا قـاربوا العسكـر العراقيّ جمـع الملكُ رؤوس أصحابه. وجاء الغسّانيّون وعليهم السلاح قد لبسوا فوقها الثيـاب والبرانس، فلمّـا تتامّوا عنـد الملك أبدَوا السـلاح فقتلوا مَنْ وجدوا، وقتـل لَبيدُ بن عمـرو ملك العراقيّين، وأحيط بـالغسّانيّين فقُتلوا إلاّ لَبِيـد بن عمرو، فـإنّ فرسـه لم تبرح، فـاستوى عليهـا، وعاد

(١) في الطبعة الأوربية «بين».
(٢) في النسختين (ب) و(ي): «طسم»، وفي النسخة (ت): «طمّ».
(٣) في النسخة (ي): «جنانة»، وفي الطبعة الأوربية «جناية».
(٤) من هنا حتى نهاية هذا الموضوع، من النسخة (ر).
(٥) الشعر والشعراء ١/١٩٥.

فأخبر الملك، فقال له: قد أنكحتُك ابنتي حَليمة[1]. فقال: لا يتحدّث النّاس أنّي فلّ مائة، ثمّ عاد إلى القوم فقاتل فقُتل. وتفقّد أهل العراق أشرافهم وإذا بهم قد قُتلوا، فضعُفَت نفوسهم لذلك وزحفت إليهم غسّان فانهزموا.

قلت: قد اختلف النسّابون وأهل السير في مدّة الأيّام وتقديم بعضها على بعض، واختلفوا أيضاً في المقتول فيها، فمنهم مَنْ يقول: إنّ يوم حَليمة هو [اليوم] الذي قُتل فيه المنذر بن ماء السماء، ويوم أُباغ هو اليوم الذي قُتل فيه المنذر بن المنذر.

ومنهم مَنْ يقول بضدّ ذلك.

ومنهم مَنْ يجعل اليومَيْن واحداً فيقول: لم يُقْتَل إلاّ المنذر بن ماء السماء. وأمّا ابنه المنذر فمات بالحيرة.

وقيل: إنّ المقتول من ملوك الحيرة غيرهما، فالصحيح أنّ المقتول هو المنذر بن ماء السماء لا شكّ فيه، وأمّا ابنه ففيه خلاف كثير، والأصحّ أنّه لم يُقْتَل، ومَنْ أثبت قتله اختلفوا في سببه، على ما ذكرناه.

وإنّما ذكرتُ اختلافهم والحادثة واحدة، لأنّ كلّ سبب منها قد ذكره بعض العلماء، فمتى تركنا أحدهما ظنّ من ليس له معرفة أنّ كل سبب منها حادث مستقلّ. وقد أهملناه، فأتينا بهما جميعاً لذلك ونبّهنا عليه)[2].

ذِكْر قتْل مُضرّط الحجارة[3]

وهو عَمرو بن المنذر بن ماء السماء اللخميّ صاحب الحيرة، وكان يلقّب مُضرّط الحجارة لشدّة ملكه وقوّة سياسته، وأمّه هند بنت الحارث بن عمرو المقصور بن آكل المُرار، وهي عمّة امرىء القيس بن حُجر بن الحارث.

وكان سبب قتله أنّه قال يوماً لجلسائه: هل تعلمون أنّ أحداً من العرب من أهل مملكتي يأنف أن تخدم أُمُّهُ أُمّي؟ قالوا: ما نعرفه إلاّ أن يكون عمرو بن كُلْثوم التغلبيّ، فإنّ أمّه ليلى بنت مُهَلْهِل بن ربيعة، وعمّها كُلَيْب وائل، وزوجُها كلثوم، وابنها عمرو.

(١) جاء في معجم البلدان ٢/٢٩٦ أنه عاد سالِماً فزوّجوه حليمة.

(٢) حتى هنا ينتهي المضاف من النسخة (ر).

(٣) الشعر والشعراء ١/١٥٧، الأغاني ١١/٥٣، المحبَّر ٣٥٩، تاريخ اليعقوبي ١/٢١٠، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٩٣، جمهرة أنساب العرب ٢٣٢، المعارف ٦٤٨، المختصر في أخبار البشر ١/٧١، مروج الذهب ٢/٩٩ وفيه «قابوس بن المنذر».

فسكت مُضرّط الحجارة على ما في نفسه وبعث إلى عمرو بن كلثوم يستزيره[1]، ويأمره أن تزور أمّه ليلى أمّ نفسه هنداً بنت الحارث. فقدِم عَمرو بن كلثوم في فرسان من بني تغلِب ومعه أمّه ليلى، فنزل على شاطىء الفرات، وبلغ عمرو بن هند قدومه، فأمر فضُربت خيامه بين الحيرة والفرات، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فصنع لهم طعاماً، ثمّ دعا الناس إليه، فقرّب إليهم الطعام على باب السرادق، وجلس هو وعمرو بن كلثوم وخواصّ أصحابه في السرادق، ولأمّه هند قبّة في جانب السرادق، وليلى أمّ عمرو بن كلثوم معها في القبّة، وقد قال مُضرّط الحجارة لأمّه: إذا فرغ الناسُ من الطعام ولم يبق إلّا الطُّرف فنحّي خدمك عنك، فإذا دنا الطُّرَف[2] فاستخدمي ليلى ومُريها فَلْتُناوِلْكِ الشيء بعد الشيء.

ففعلت هند ما أمرها به ابنُها، فلمّا استُدعي الطُّرف قالت هند لليلى: ناوليني ذلك الطبق. فقالت: لِتَقُمْ صاحبة الحاجة إلى حاجتها. فألحّت عليها. فقالت ليلى: واذُلّاه! يا آل تغلِب! فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم، فثار الدمُ في وجهه والقوم يشربون، فعرف عمرو بن هند الشرّ في وجهه، وثار ابن كلثوم إلى سيف ابن هند وهو معلّق في السرادق، وليس هناك سيف غيره، فأخذه ثمّ ضرب به رأس مُضرّط الحجارة فقتله، وخرج فنادى: يا آل تغلِب! فانتهبوا ماله وخيله وسبوا النساء، وساروا فلحِقوا بالحيرة، فقال أُفْنُون التغلبيّ[3]:

لَعَمْرُكَ ما عمرُو بنُ هندٍ وقد دعا ... لتخدم ليلى أمّهُ بموفَّقِ
فقم ابنُ كلثوم إلى السيف مُصْلَتاً ... وأمسك مِن ندمانه بالمخنَّقِ[4]

---

(١) في النسخة (ي): «ليزوره».

(٢) في النسخة (ر): «دعوت بالطرف»، وفي النسخة (ي): «بطرَف»..

(٣) هو صُرَيْم بن معشر، من بني تغلب، سُمّي أفنون ببيتٍ قاله. أنظر عنه في: الشعر والشعراء ٣٣١/١ رقم ٦٩، الاشتقاق ٣٣٦، المؤتلف والمختلف ١٥١، السمط ٦٨٤، ألقاب الشعراء ٣١٧، شرح النقائض ٨٨٦، شرح المفضّليّات (رقم ٦٥)، خزانة الأدب للبغدادي ٤٦٠/٤، الأغاني ٥٥/١١، معجم البلدان ٢٤٣/١ (مادّة: الألاهة)، المحبَّر لابن حبيب ٢٠٤، شعراء النصرانية ٢٠٠، وعند الآمدي اسمه: «ظالم بن معشر».

(٤) أنظر: الشعر والشعراء ١٥٩/١ و٣٣٢، شرح النقائض ٨٨٦، الحيوان ١٣٥/٣، المحبَّر ٢٠٤، الأغاني ٥٥/١١ مع اختلاف بعض الألفاظ.

يوم الكُلاب الأوّل[1]

قال ابن الكلبيّ: أوّل مَنِ اشتدّ[2] مُلكه من كِندة حُجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث الكِنْديّ، فلمّا هلك مَلَك بعده ابنُه عمرو مثل مُلك أبيه، فسُمّي المقصور، لأنّه قُصِر على ملك أبيه، فتزوّج عمرو أمّ أُناس[3] بنت عوف بن مُحلّم الشيبانيّ، فولدت له الحارثَ، فملك بعد أبيه أربعين سنة.

وقيل: ستّين سنة.

فخرج يتصيّد فرأى عانة، وهي حُمْر الوحش، فشدّ عليها، فانفرد منها حمار، فتتبّعه وأقسم أن لا يأكل شيئاً قبل[4] كبده، وهو بمُسْحُلان[5]، فطلبته الخيلُ ثلاثة أيّام حتّى أدركته، فأُتي به وقد كاد يموت من الجوع، فشُوِيَ على النار وأُطعم من كبِده وهي حارّة، فمات.

وكان الحارث فرّق بنيه في قبائل مَعَدّ، فجعل حُجراً في بني أسد وكِنانة، وهو أكبر ولده؛ وجعل شُرَحْبيل في بكر بن وائل وبني حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم وبني أسيّد بن عمرو بن تميم، والرِّباب؛ وجعل سَلَمَة، وهو أصغرهم، في بني تغلب، والنَّمِر بن قاسط، وبني سعد بن زيد مَناة بن تميم؛ وجعل ابنَه مَعْدي كَرِب، ويُعرف بغَلْفاء، في قيس عَيْلان، وقد تقدّم هذا في قتل حُجر أبي امرىء القيس، وإنّما أعدناه هاهنا للحاجة إليه.

فلمّا هلك الحارث تشتّت أمرُ أولاده وتفرّقت كلمتُهم، ومشى بينهم الرجالُ، وكانت المغاورة بين الأحياء الذين معهم، وتفاقم أمرهم حتّى جمع كلّ واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف إليه بالجيوش. فسار شُرَحْبيل فيمن معه من الجيوش فنزل الكُلاب، وهو

---

(١) المحبَّر لابن حبيب ٢٠٤ ـ ٢٠٦ و ٣٧٠، الأغاني ٨٢/٩، تاريخ اليعقوبي ٢١٦/١، ٢١٧، و ٢٢٥، جمهرة أنساب العرب ٣٠٤ و ٤٢٧، العقد الفريد ٢٢٢/٥، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ١١٧، نقائض جرير والفرزدق ٤٥٢/١ طبعة ليدن ١٩٠٧، المفضّليّات ٤٢٨، معجم البلدان ٤٧٢/٤، نهاية الأرب ٤٠٦/١٥، المختصر في أخبار البشر ٧٤/١، معجم ما استعجم ١١٣٢/٤.

والكُلاب: بالضمّ، وآخره باء موحّدة. وادٍ يُسلك بين ظهري ثَهْلان. وثَهلان: جبل في ديار بني نمير لاسم موضعين أحدهما اسم ماء بين الكوفة والبصرة.

(٢) في النسختين (ب) و(ت): «أشدّ».

(٣) في النسخة (ي): «اياس». وهو (أُلْناس بن مُضَر)، وقد مرّ في ذكر مقتل كُلَيب.

(٤) في النسخة (ي): «غير».

(٥) مُسْحُلان: بالضمّ ثم السكون ثم حاء مهملة مضمومة. قيل هو ملتقى النخلتين اليمانية والشآميّة. وقيل: بطن نخلة بناحية مكة على مرحلة بينها وبين مُغَيثة الماوان. (معجم البلدان ١٢٥/٥).

ماء بين البصرة والكوفة. وأقبل سَلَمَة فيمن معه وفي الصنائع أيضاً، وهم قوم كانوا مع الملوك من شُذّاذ العرب، فأقبلوا إلى الكُلاب وعلى تغلِب السفّاح بن خالد بن كعب بن زهير، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وثبت بعضهم لبعض. فلمّا كان آخر النهار من ذلك اليوم خذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرِّباب بكرَ بن وائل وانهزموا، وثبتت بكر، وانصرفت بنو سعد ومَنْ معها عن تغلِب، وصبرت تغلب، ونادى منادي (شرحبيل: مَنْ أتاني برأس سلمة فله مائة من الإبل، ونادى منادي)[1] سَلَمَة: مَنْ أتاني برأس شرحبيل فله مائة من الإبل. فاشتدّ القتالُ حينئذ، كلّ يطلب أن يظفر، لعلّه يصل إلى قتْل أحد الرجلَيْن، ليأخذ مائة من الإبل. فكانت الغلبة آخر النهار لتغلِب وَسَلَمَة، ومضى شرحبيل منهزماً، فتبعه ذو السُّنَيْنة التغلبيّ، فالتفت إليه شرحبيل فضربه على ركبته فأطنّ رجله[2].

وكان ذو السُنَينة أخا أبي حنش[3] لأمّه، فقال لأخيه: قتلني الرجل! وهلك ذو السُّنينة، فقال أبو حَنَش لشرحبيل: قتلني الله إن لم أقتلْك! وحمل عليه فأدركه، فقال: يا أبا حنش اللبنَ اللبنَ! يعني الدِيَة. فقال: قد هرقتَ لبناً كثيراً! فقال: يا أبا حنش أملكاً بسوقة؟ فقال: إنّ أخي ملكي. فطعنه فألقاه عن فرسه، ونزل إليه فأخذ رأسه وبعث به إلى سلمة مع ابن عمٍّ له، فأتاه به وألقاه بين يديه، فقال سلمة: لو كنت ألقيته أرفقَ[4] من هذا! وعُرفت الندامة في وجه سلمة والجزع عليه. فهرب أبو حَنَش منه، فقال سَلَمَة:

ألا أبْلِغْ أبا حنشٍ رسولاً ... فما لك لا تجيء إلى الثّوابِ

لتعلم أنّ خيرَ الناسِ طُرّاً[5] ... قتيلُ بين أحجارِ الكُلابِ

تداعتْ حوله جُشَمُ بن بكر ... وأسلمه جَعَاسِيسُ[6] الرِّبابِ[7]

فأجابه أبو حَنَش فقال:

أُحاذر أن أجيئكَ ثمّ تحبو ... حِبَاءَ أبيك يوم صُنَيْبعاتِ

وكانت غَدْرةٌ[8] شَنْعاء تهفو ... تقلّدها أبوك إلى المماتِ

---

(١) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر).

(٢) في النسخة (ب) إضافة: «فقتله».

(٣) في النسختين (ب) و(ر): «جيش».

(٤) في النسختين (ب) و(ي): «اوفق».

(٥) في العقد الفريد ٥/٢٢٣ «مَيْتاً».

(٦) في النسختين (ب) و(ي): «جواسيس». والجعاسيس: جمع جعوس وهو القصير الذميم.

(٧) أنظر العقد الفريد ٥/٢٢٣. نهاية الأرب ١٥/٤٠٧ وفي لسان العرب (مادّة: جعس) البيت لعمرو بن معد يكرب، كما رُوي لمعدي كرب أخي شرحبيل.

(٨) في الأصل، والنسخة (ر): «عُذرة».

وكان سبب يوم صُنَيْبِعات[1] أنّ ابناً للحارث كان مسترضعاً في تميم وبكر، ولدغَتْهُ حيّة فمات، فأخذ خمسين رجلاً من تميم وخمسين رجلاً من بكر فقتلهم به.

ولمّا قُتل شُرَحْبيل قام بنو زيد مَناة بن تميم دون أهله وعياله، فمنعوهم وحالوا بين الناس وبينهم حتّى ألحقوهم بقومهم ومأمنهم؛ ولمّا بلغ خبر قتله أخاه معدي كرِب، وهو غَلْفاء، قال يرثيه:

إنّ جنْبي عن الفراش لَنابي[2]	كتجافي الأسَرِّ[3] فوقَ الظّرابِ[4]
مِن حديثٍ نَمَى إليّ فما ترْ	قأُ عيني[5] ولا أَسِيغُ شرابي
مُرّةٍ كالذُّعافِ أكتمها النا	سَ على حَرِّ مَلَّةٍ كالشهابِ
من شُرَحْبيل إذ تعاوَرَهُ الأر	ماحُ من بَعْد لذّةٍ وشبابِ[6]
يا ابنَ أمي ولو شهدتُك إذ تد	عو تميماً وأنتَ غيرُ مُجابِ
ثمّ طاعنتُ من ورائك حتّى	يُبْلَغَ الرحبُ أو تُبَزّ ثيابي
أحسنتْ وائلٌ وعادتُها الإحـ	ـسان بالجِنْو يوم ضرْب الرقابِ
يومَ فرّتْ بنو تميم وولّت	خيلهم يكْتَسِعْنَ[7] بالأذنابِ

وهي طويلة.

ثمّ إنّ تغلِب أخرجوا سَلَمَة من بينهم، فلجأ إلى بكر بن وائل وانضمّ إليهم، ولحقت تغلِب بالمنذر بن امرىء القيس اللخميّ.

(الكُلاب: بضمّ الكاف.

أُسَيّد بن عمرو: بضمّ الهمزة، وفتح السين المهملة، وتشديد الياء المثنّاة من تحت.

وذو السُّنَيْنَة: بضمّ السين المهملة، تصغير سنّ.

---

(١) صُنَيْبعات: جمع الصُنَيْبِعَة. وهو انقباض البخيل عند المسألة. وهو موضع في قولِ بعضهم:

هيهات حجر من صُنَيْبِعات

(معجم البلدان ٣/٤٣١) وهو بضمّ أوله، وفتح ثانيه، بعده الياء أخت الواو، ثم الباء المعجمة بواحدة، والعين المهملة، على لفظ التصغير: مياه لغطفان. (معجم ما استعجم ٣/٨٤٣).

(٢) في النسختين (ب) و(ت): «كباب»، وفي (ي): «كبانى».

(٣) الأسرّ: داء في سُرّة البعير إذا برك تجافى.

(٤) الظراب: جمع ظَرِب: ما نتأ من الحجارة وحُدَّ طرفه.

(٥) في تاريخ اليعقوبي ١/٢١٧ «فما يرقأ دمعي».

(٦) في الأصل، والنسخة (ر): «وشراب».

(٧) في النسخة (ي): «كمستغب». والأبيات في نقائض جرير والفرزدق، وفيها «يتقين». (ص ١٢٢).

والرِّباب: بكسر الراء، وتخفيف الباء الأولى الموحّدة).

يوم أُوراة الأوّل[1]

وهو يوم كان بين المنذر بن امرىء القيس وبين بكر بن وائل.

وكان سببه أنّ تغلب لمّا أخرجت سَلَمَة بن الحارث عنها التجأ إلى بكر بن وائل، كما ذكرناه آنفاً، فلمّا صار عند بكر أذعنَتْ له وحشدت عليه وقالوا: لا يملكنا غيرُك، فبعث إليهم المنذرُ يدعوهم إلى طاعته، فأبوا ذلك، فحلف المنذرُ ليسيرنّ إليهم فإن ظفر بهم فليذبحنّهم على قُلّة جبل أُوارة، حتّى يبلغ الدمُ الحضيضَ.

وسار إليهم في جموعه، فالتقوا بأُوارة فاقتتلوا قتالاً شديداً، وأجْلت الواقعةُ عن هزيمة بكر، وأُسر يزيد[2] بن شُرَحْبيل الكنديّ، فأمر المنذرُ بقتله، فقُتل، وقُتل في المعركة بَشَرٌ كثير، وأسر المنذرُ من بكر أسرى كثيرةٍ، فأمر بهم فذُبحوا على جبل أُوارة، فجعل الدمُ يجمد. فقيل له: أبيتَ اللعَن، لو ذبحتَ كلّ بكريّ على وجه الأرض لم تبلغ دماؤهم الحضيض! ولكن لو صَبَبْتَ عليه الماء! ففعل فسال الدم إلى الحضيض، وأمر بالنساء أن يُحرقن بالنار.

وكان رجل من قيس بن ثعلبة منقطعاً إلى المنذر، فكلّمه في سبْي بكر بن وائل، فأطلقهنّ المنذرُ، فقال الأعشى يفتخر بشفاعة القيسيّ إلى المنذر في بكر:

ومنّا الذي أعطاه بالجمع ربُّه ... على فاقةٍ وللمُلوك هِبَاتُها
سبايا بني شيبانَ يومَ أُوارةٍ ... على النارِ إذ تُجْلَى له فتياتُها[3]

يوم أُوارة الثاني[4]

كان عمرو بن المنذر اللخميّ قد ترك ابناً له اسمه أسعد عند زُرارة بن عُدَس[5] التميميّ، فلمّا ترعرع مرّتْ به ناقةٌ سمينة فبعث بها فرمى ضرعها، فشدّ عليه ربّها سُوَيْدُ

---

(١) أُوارَة: بالضم. اسم ماء أو جبل لبني تميم. قيل بناحية البحرين (معجم البلدان ١/٢٧٣ وانظر: معجم ما استعجم ١/٢٠٧) وانظر عن يوم أوارة في الأغاني ٢٢/١٨٧.

(٢) في النسختين (ب) و(ي): «زيد».

(٣) في الطبعة الأوربية «تُجلى به قَبَساتُها».
والبيتان في أيام العرب ٩٩، المفصّل في تاريخ العرب ٣/٢٢٧.

(٤) تاريخ سني ملوك الأرض ٩٣، ٩٤، تاريخ اليعقوبي ١/٢٠٩، نهاية الأرب ١٥/٤٠٧، العقد الفريد ٥/٢٢٤ وقيل ان يوم الكُلاب كان متّصلاً بيوم الصّفقة. وانظر عن اليوم: الأغاني ٢٢/١٩٠.

(٥) في النسخة (ت): «عبس»، والمثبت يتفق مع: تاريخ اليعقوبي ١/٢٢٩، المحبَّر ٢٤٧؛ جمهرة أنساب العرب ٢٣٢، العمدة ٢/٢١٦.

أحد بني عبد الله بن دارم التميميّ فقتله. وهرب فلحق بمكّة فحالف قريشاً.

وكان عمرو بن المنذر غزا قبل ذلك ومعه زُرارة فأخفق، فلمّا كان حِيَال جبلي طيّء قال له زُرارة: أيّ ملكٍ[1] إذا غزا لم يرجع ولم يُصَبْ[2]، فمِلْ على طيّء فإنك بحيالها، فمال إليهم فأسر وقتل وغنم، فكانت في صدورر طيء على زُرارة، فلمّا قتل سويد أسْعَدَ، وزُرارة يومئذ عند عمرو، قال له عمرو بن مِلْقط الطائيّ يحرّض عَمراً على زُرارة:

مَنْ مُبْلغٌ عَمراً بأنّ الـ ـمرء لم يُخْلَقْ صُبارَهْ[3]
ها إنّ عَجْزَةَ أمّهِ بالسفح أسفَلَ من أُوارَهْ[4]
فاقتُلْ زُرارة لا أرى في القوم أوْفَى[5] من زُرَارَهْ[6]

فقال عمرو: يا زرارة ما تقول؟ قال كُذِبْتَ، قد علمتَ عداوتهم فيك. قال: صدقت. فلمّا جنّ الليلُ سار زُرارة مجدّاً إلى قومه، ولم يلبث أن مرض. فلمّا حضرته الوفاةُ قال لابنه: يا حاجب ضُمّ إليك غلمتي في بني نَهْشل.

وقال لابن أخيه عمرو بن عمرو: عليك بعمرو بن مِلْقَط، فإنّه حرّض عليّ الملك. فقال له: يا عمّاه لقد أسْندتَ إليّ أبْعَدَهُما شقّةً وأشدّهما شوكة[7].

فلمّا مات زُرارة تهيّأ عمرو بن عمرو في جمْع، وغزا طيّئاً، فأصاب الطريفَيْن: طريف بن مالك، وطريف بن عمرو، وقتل الملاقط؛ فقال علقمة بن عَبَدة في ذلك:

ونحن جلبنا من ضريّةَ[8] خيلنا نُجَنّبُهَا[9] حَدّ الإكام قطاقطا
أصبْنا الطريفَ والطريفَ بن مالك وكان شِفاءُ الواصبين[10] الملاقطا

فلمّا بلغ عمرَو بنَ المنذر وفاة زُرارة غزا بني دارم، وقد كان حلف ليقتلنّ منهم مائة، فسار يطلبهم حتّى بلغ أُوارة، وقد نَذِروا به فتفرّقوا. فأقام مكانه وبثّ سراياه فيهم،

---

(١) في النسخة (ر): «أن مثلك».
(٢) في النسخة (ي): «ينصب».
(٣) صُباره: الحجارة الملس.
(٤) البيت في معجم البلدان ١/٢٧٤.
(٥) في الأغاني ٢٢/١٩١ «أفضل».
(٦) أنظر الأغاني ٢٢/١٩١ باختلاف وزيادة عمّا هنا.
(٧) أيام العرب ١٠٣.
(٨) في النسختين (ب) و(ت): «ضريبة».
(٩) في النسختين (ب) و(ي): «يحينها».
(١٠) وفي رواية «لو أصبنا».

فأتوه بتسعة وتسعين رجلاً، سوى من قتلوه في غارَاتهم فقتلهم، فجاء رجل من البراجم شاعر ليمدحه، فأخذه ليقتله ليتمّ مائة[1]، ثمّ قال: «إنّ الشقيّ وافدُ البراجم»[2]! فذهبت مثلاً.

وقيل: إنّه نذر أن يحرّقهم، فلذلك سُمّي محرِّقاً[3]، فأحرق منهم تسعة وتسعين رجلاً، واجتاز رجل من البراجم فشمّ قُتار اللحم، فظنّ أنّ الملك يتّخذ طعاماً فقصده. فقال: من أنت؟ فقال: أبيتَ اللعن أنا وافد البراجم[4]. فقال: إنّ الشقيّ وافدُ البراجِم؛ ثمّ أمر به فقُذف في النار، فقال جرير للفرزدق:

أين الذين بنار[5] عمرٍو أُحْرِقوا[6] أم أين أسعدُ فيكُمُ[7] المسترضَعُ[8]

وصارت تميم بعد ذلك يعيَّرون بحُب الأكْل، لطمع البرجميّ في الأكل، فقال بعضهم:

إذا ما مات مَيْتٌ من تميم فسَرّك أن يعيش فجىء بزادِ[9]
بِخُبْزٍ أو بلحمٍ أو بتَمرٍ أو الشيءِ الملفَّق في البِجادِ
تراه يُنقّب البطْحاءِ حولاً ليأكلَ رأسَ لقمانِ بنِ عادِ

قيل: دخل الأحنف بن قيس[10] على معاوية بن أبي سفيان فقال له معاوية: ما الشيء الملفّق في البجاد يا أبا بحر؟ قال: السخينة يا أمير المؤمنين[11].

والسخينةُ طعام تُعَيَّر به قريش، كما كانت تعيَّر تميم بالملقَّف في البجاد.

قال: فلم يُرَ مُتمازِحَانِ أوقرَ منهما.

---

(١) في النسخة (ي): «فأتخذ».
(٢) مجمع الأمثال للميداني ١/٩٥، العمدة لابن رشيق ٢/٢٠٥، معجم البلدان ١/٢٧٤.
(٣) في النسختين (ب) و(ي): «حارق البراجم».
(٤) يقال له: عمّار من بني مالك بن حنظلة.
(٥) في النسخة (ي): «بسيف».
(٦) في النسخة (ي): «قتلوا».
(٧) في النسخة (ي): «منكم الأسعد».
(٨) البيت في نقائض جرير والفرزدق ٦٥٢ و ١٠٨١، وثمار القلوب للثعالبي ١٠٨.
(٩) في النسختين (ب) و(ي): «فحى زاد».
(١٠) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حُصَين، الأمير الكبير العالم النبيل، أحد من يُضرب بحلمه وسُؤدده المثل. أنظر مصادر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٤/٨٦.
(١١) لسان العرب ١٣/٢٠٦ (سخن)، تاج العروس ٩/٢٣٢ (سخن).

ذكر قتل زُهَيْر بن جَذيمة وخالد بن جعفر بن كِلاب والحارث بن ظالم المرّي وذكر يوم الرَّحْرَحَان[1]

كان زُهَيْر بن جَذيمة بن رَوَاحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قَطيعة بن عَبْس العَبْسيّ، وهو والد قيس بن زهير صاحب حرب داحس والغبراء، سيّد قيس عَيْلان، فتزوّج إليه ملك الحيرة، وهو النعمان بن امرىء القيس جدّ النعمان بن المنذر لشرفه وسُؤْدده، فأرسل النعمان إلى زهير يستزيره[2] بعض أولاده، فأرسل ابنَه شأساً فكان أصغر ولده، فأكرمه وحباه، فلمّا انصرف إلى أبيه كساه حُللاً وأعطاه مالاً طيباً[3]. فخرج شأس يريد قومه، فبلغ ماءً من مياه غنيّ بن أعصُر[4]، فقتله رَبَاح بن الأشلّ الغنويّ، وأخذ ما كان معه وهو لا يعرفه.

وقيل لزُهَيْر: إنّ شأساً أقبل من عند الملك، وكان آخر العهد به بماء من مياه غنيّ. فسار زهير إلى ديار غنيّ، وهم حلفاء في بني عامر بن صَعْصَعة، فاجتمعوا عنده، فسألهم عن ابنه، فحلفوا أنّهم لم يعلموا خبره، قال: لكنّي أعلمه، فقال له أبو عامر: فما الذي يُرْضيك منّا؟ قال: واحدة من ثلاث: إمّا تُحْيون ولدي، وإمّا تسلّمون إليّ غنيّاً حتى أقتلهم بولدي، وإمّا الحرب بيننا وبينكم ما بقينا وبقيتم. فقالوا: ما جعلتَ لنا في هذه مخرجاً، أمّا إحياء ولدك فلا يقدر عليه إلاّ الله، وأمّا تسليم غنيّ إليك فهم يمتنعون ممّا يمتنعِ منه الأحرار، وأمّا الحرب بيننا فوالله إنّنا لَنُحِبّ رضاك ونكره سُخْطَك، ولكنْ إنْ شئتَ الدِيَة، وإن شئتَ تطلب قاتلَ ابنك فنسلّمه إليك أو تهب دمه، فإنّه لا يضيع في القرابة والجوار. فقال: ما أفعل إلاّ ما ذكرتُ. فلمّا رأى خالد بن جعفر بن كلاب تعدّي زهير على أخواله من غنيّ قال: والله ما رأينا كاليوم تَعَدِّيَ رجل على قومه. فقال له زهير: فهل لك أن تكون طلبتي عندك وأترك غنيّاً؟ قال: نعم؛ فانصرف زهير وهو يقول:

فلولا كلاب قد أخذتُ قَرِينَتي ... بردّ غنيٍّ أعبداً ومواليا

---

(١) رَحْرحان: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وتكرير الراء والحاء المهملة، وآخره نون. اسم جبل قريب من عُكاظ خلف عرفات. (معجم البلدان ٣/٣٦).
وانظر حول الموضوع: معجم ما استعجم للبكري ٦٣٣/٢ (مادّة الربذة) العقد الفريد ١٣٥/٥ و ١٣٩، جمهرة أنساب العرب ٢٥١، المحبَّر ١٩٢ و١٩٣ و ٢٤٩، نهاية الأرب ٣٤٦/١٥ و ٣٤٩، المفصّل في تاريخ العرب ٢١٣/٣، الأغاني ٨٢/١١.

(٢) في النسخة (ي): «لينبذ».

(٣) في النسخة (ب): «طبا»، وفي النسخة (ت): «طفا».

(٤) أنظر عنه في جمهرة أنساب العرب ٢٤٧ وهو: غنيّ بن أعصر بن سعد بن قيس عَيْلان بن مُضَر. ولهم ظاغنة ضخمة بطفوف الشام.

ولَكن حمْتهم عـصبـة عــامـريّــة   يهزّون في الأرض القصار[1] العواليا
مساعيرُ في الهيجا مصاليتُ في الوغى   أخـوهم عـزيـز لا يخـاف الأعـاديـا
يقيمـون في دار الحفـاظ تكـرّمـاً   إذا مـا فُنِيٌّ[2] القوم أضحت خـواليا

ثمّ إنّه أرسل امرأةً وأمرها أن تكتم نسبها، وأعطاها لحم جَزُور سمينة، وسيّـرها إلى غنيّ لتبيـع اللحم بطيب، وتسـأل عن حال ولـده. فـانـطلقت المـرأةُ إلى غنيّ وفعلت مـا أمرها، فانتهت إلى امرأة رباح[3] بن الأشلّ وقـالت لها: قـد زوّجتُ بنتاً لي وأبغي الـطيب بهذا اللحم، فأعطتها طيباً وحدّثتها بقتل زوجها شأساً. فعادت المـرأةُ إلى زهير وأخبـرته، فجمع خيله يغير على غنيّ، حتّى قتل منهم مقتلة عظيمـة، ووقعت الحرب بين بني عبس وبني عامر، وعظُم الشرّ.

ثمّ إنّ زهيراً خرج في أهل بيته في الشهر الحرام إلى عُكاظ، فالتقى هـو وخالـد بن جعفر بن كلاب. فقال له خالد: لقـد طال شـرّنا منـك يا زهيـر! فقال زهيـر: أما والله مـا دامت لي قوّة أدرك بها ثأراً فلا انصرامَ له.

وكانت هوازن تؤتي زهيرَ بن جَذيمة الإتاوةَ كلّ سنة بعكُاظ، وهو يسـومها الخسْف، وفي أنفسهـا منه غيظ وحقـدٌ، ثمّ عاد خـالد وزهيـر إلى قومهمـا، فسبق خـالـد إلى بـلاد هوازن، فجمع إليه قومه وندبهم إلى قتال زهير، فأجابوه وتأهّبوا للحرب، وخرجوا يريدون زهيـراً وهم على طريقـه، وسار زهيـر حتّى نزل على أطـراف بلاد هـوازن، فقال لـه ابنـه قيس: انْجُ بنا من هذه الأرض فإنّا قريب من عدوّنا. فقال له: يا عاجز وما الـذي تخوّفني به من هوازن وتتّقي شرّها؟ فأنا أعلمُ الناس بها. فقال ابنُه: دع عنك اللجاجَ وأطِعْني وسِرْ بنا، فإنّي خائف عاديتهم.

وكانت تُمَاضر بنت الشريـد بن رياح بن يَقْـظَةَ بن عُصَيّة[4] السُّلميّـة[5] أمّ ولد زهيـر، وقد أصاب بعض إخوتها[6] دمـاً فلحق ببني عامـر، وكان فيهم، فـأرسله خالـد عيناً ليـأتيه بخبر زهير، فخرج حتّى أتاهم في منزلهم، فعلم قيس بن زهير حـاله، وأراد هـو وأبوه أن يوثقوه ويأخذوه معهم إلى أن يخرجوا من أرض هوازن، فمنعت أخته، فأخذوا عليه العهودَ

---

(١) في النسخة (ر): «الفضا».
(٢) في النسختين (ب) و(ي): «غني»، وفي النسخة (ت): «عيسى»، وفي النسخة (ر): «اللوم عني».
(٣) في النسخة (ي): «رياح».
(٤) في النسخة (ب): «عصبة»، وفي النسخة (ي): «عصبية».
(٥) في النسخة (ي): «السليمية».
(٦) في النسخة (ر): «ولدها».

ألّا يخبر بهم وأطلقوه، فسار إلى خالد، ووقف إلى شجرة يخبرها الخبر، فركب خالد ومَنْ معه إلى زهير، وهو غير بعيد منهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، والتقى خالد وزهير فاقتتلا طويلاً، ثمّ تعانقا فسقطا على الأرض، وشدّ ورقاء بن زهير على خالد، وضربه بسيفه فلم يصنع شيئاً لأنّه قد ظاهر بين درعَيْن، وحمل جُنْدُح بن البكّاء، وهو ابن امرأة خالد، على زهير فقتله، وهو وخالد يعتركان، فثار خالد عنه، وعادت هوازن إلى منازلها، وحمل بنو زهير أباهم إلى بلادهم، فقال ورقاء بن زهير[1] في ذلك:

رأيتُ زهَيْراً تحتَ كَلْكَلِ خالد ... فأقبلتُ أسعى كالعَجول أبادِرُ
إلى بطلَيْن يَعْتِران[2] كِلاهما ... يريد رياش السيف[3] والسيف نادِرُ
فُشلّتْ يميني يوم أضرِبُ خالداً ... ويمنعه منّي الحديدُ المُظاهرُ
فيا ليتَ أنّي[4] قبل أيّام خالدٍ ... وقبل[5] زهير لم تلدْني تُماضِرُ
لَعَمْري لقد بُشّرْتِ بي إذ وَلَدْتِني ... فماذا الذي ردّتْ عليكِ البشائرُ؟[6]
فلا يَدْعُني قومي صَريحاً بحرّةٍ ... لئن كنتُ مقتولاً ويسلم عامِرُ
فطِرْ خالدُ إن كنتَ تسطيع طيرةً ... ولا تَقَعَنْ إلّا وقلبك حاذِرُ
أتَتْك المنايا إن بقيت بضربة ... تفارق منها العيشَ والموتُ حاضِرُ

وقال خالد يمنُّ على هوازن بقتله زهيراً:

أبلغْ هوازنَ كيف تَكْفُر بعْدما[7] ... أعتقْتُهم فتوالدوا أحرارا
وقتلتُ ربّهُمُ زهيراً بعْدما ... جدَعَ الأنوف وأكثر الأوتارا
وجعلتُ مَهرَ نسائهم[8] ودياتهم ... عَقْلَ الملوكِ هَجائناً وبِكارا[9]

وكان زهير سيّد غطفان، فعلم خالد أنّ غطفان ستطلبه بسيّدها، فسار إلى

---

(١) أنظر عنه في جمهرة أنساب العرب ٢٥١.
(٢) في النسخة (ب): «يعيران»، وفي النسخة (ي): «يعتركان». وفي العقد الفريد ٥/١٣٧، «ينهضان»، وكذلك في الأغاني ١١/٨٩.
(٣) في العقد الفريد: «يريدان نصل السيف»، وفي الأغاني «يُريغان».
(٤) في الأغاني ١١/٨٩: «فيا ليتني من قبل».
(٥) في العقد الفريد ٥/١٣٧، ونهاية الأرب ١٥/٣٤٨ «ويوم».
(٦) حتى هنا تنتهي الأبيات في الأغاني ١١/٨٩ وفي العقد الفريد ٥/١٣٦، ١٣٧، ونهاية الأرب ١٥/٣٤٧ و ٣٤٨ وورد البيتان الأولان أيضاً في الأغاني ١١/٩٣.
(٧) في الأغاني ١١/٩٠ والعقد الفريد ٥/١٣٧ ونهاية الأرب ١٥/٣٤٨:
«بل كيف تكفرني هوازن بعدما»
(٨) في المصادر المذكورة «بناتهم».
(٩) هكذا في العقد الفريد ونهاية الأرب، وفي الأغاني «أبكاراً».

النعمان بن امرىء القيس بالحيرة فاستجاره، فأجاره. فضرب له قبّةً، وجمع بنو زهير لهوازن، فقال الحارث بن ظالم المرّيّ: اكفوني حرب هوازن، فأنا أكفيكم خالد بن جعفر.

وسار الحارث حتى قدِم على النعمان، فدخل عليه وعنده خالد، وهما يأكلان تمراً، فأقبل النعمان يسائله، فحسده خالد، فقال للنعمان: أبيتَ اللعنَ! هذا رجل لي عنده يد عظيمة، قتلت زهيراً وهو سيّد غطفان، فصار هو سيّدها. فقال الحارث: سأجزيك على يدك عندي، وجعل الحارث يتناول التمر ليأكله، فيقع من بين أصابعه من الغضب، فقال عُرْوَة لأخيه خالد: ما أردتَ بكلامه وقد عرفتَهُ فتّاكاً؟ فقال خالد: وما يخوّفني منه؟ فوالله لو رآني نائماً ما أيقظني.

ثمّ خرج خالد وأخوه إلى قبّتهما فشرّجاها عليهما، ونام خالد وعُروة عند رأسه يحرسه، فلمّا أظلم الليل انطلق الحارث إلى خالد، فقطع شرج القبّة ودخلها وقال لعُروة: لئن تكلّمتَ قتلتُك! ثمّ أيقظ خالداً، فلمّا استيقظ قال: أتعرفني؟ قال: أنتَ الحارث. قال: خذْ جزاء يدك عندي! وضربه بسيفه المَعْلوب فقتله، ثمّ خرج من القبّة وركب راحلته وسار.

وخرج عُروة من القبّة يستغيث، وأتى بابَ النعمان فدخل عليه وأخبره الخبر، فبثّ الرجالَ في طلب الحارث.

قال الحارث: فلمّا سرتُ قليلاً خفتُ أن أكون لم أقتله فعُدتُ متنكّراً واختلطتُ بالناس، ودخلتُ عليه فضربته بالسيف، حتّى تيقّنْتُ أنّه مقتول، وعُدتُ[1] فلحقتُ بقومي؛ فقال عبد الله بن جَعْدة الكلابِيّ:

يا حارِ لو نبّهتَهُ لَوَجَدْتَهُ ... لا طائشاً رَعِشاً[2] ولا مِعْزالا[3]
شقّتْ عليه الجعفريّة[4] جيبَها ... جزَعاً[5] وما تبكي هناك[6] ضَلالا
فانعوا أبا بحر بكلّ مُجرّبٍ ... حرّان[7] يُحْسَبُ[8] في القناة هلالا[9]

---

(١) في النسخة (ي): «وعديت».
(٢) الرعِش: مثل الكتف: الجبان.
(٣) المِعزال: من لا رمح له.
(٤) في العقد الفريد ٥/١٣٨ ونهاية الأرب ١٥/٣٤٩: «عليك العامرية».
(٥) في المرجعين السابقين: «أسفاً».
(٦) في النسخة (ب): «عليه». وفي المرجعين، «عليك».
(٧) في النسختين (ب) و(ت): «جران».
(٨) في النسخة (ب): «يحبب».

فَلْيُقْتلنّ [1] بخالد سَرَوَاتِكم ... وَلْيُجْعَلُنّ لظالمٍ تمثالا [2]

فأجابه الحارث:

تالله قد نبّهتُه فوجدته ... رخْوَ اليدَيْن مُواكِلاً عسقالا

فعلوتُه بالسيف أضرب رأسه ... حتّى أضلّ بسَلْحِهِ السربالا

فجعل النعمان يطلبه ليقتله بجاره، وهوازن تطلبه لتقتله بسيّدها خالد، فلحِق، بتميم، فاستجار بضَمْرة بن ضمرة بن جابر بن قَطَن بن نَهْشَل بن دارم، فأجاره على النعمان وهوازن، فلمّا علم النعمان ذلك جهّز جيشاً إلى بني دارم عليهم ابن الخِمْس التغلبيّ، وكان يطلب الحارث بدم أبيه لأنّه كان قتله.

ثمّ إنّ الأحوص بن جعفر أخا خالد جمع بني عامر وسار بهم، فاجتمعوا هم وعسكر النعمان على بني دارم، وساروا، فلمّا صاروا بأدنى مياه بني دارم رأوا امرأةً تجني الكمأة ومعها جمل لها، فأخذها رجلٌ من غنيّ وتركها عنده. فلمّا كان الليل نام، فقامت إلى جملها فركبْته، وسارت حتّى صبّحت بني دارم، وقصدت سيّدهم زُرارة بن عُدَس[3]، فأخبرته الخبرَ وقالت: أخذني أمس قوم لا يريدون غيرك ولا أعرفهم.

قال: فصِفيهم لي. قالت: رأيتُ رجلاً قد سقط حاجباه، فهو يرفعهما بخِرْقة، صغير العَيْنَين، وعن أمره يصدرون. قال: ذاك الأحوص وهو سيّد القوم.

قالت: ورأيتُ رجلاً قليل المنطق، إذا تكلّم اجتمع القومُ كما تجتمع الإبِل لفحْلها، أحسن الناس وجهاً، ومعه ابنان له يلازمانه.

قال: ذلك مالك بن جعفر وابناه عامر وطُفَيْل.

قالت: ورأيتُ رجلاً جسيماً، كأنّ لحيته محمّرةٌ مُعَصْفرةٌ.

قال: ذاك عوف بن الأحوص.

قالت: ورأيتُ رجلاً هلقاماً جسيماً.

قال: ذاك ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب.

قالت: ورأيتُ رجلاً أسود أخنس قصيراً[4].

---

(٩) البيت ليس في المرجعين.

---

(١) في العقد، ونهاية الأرب «فلنقتلنّ».

(٢) في العقد، والنهاية: «ولَنَجْعَلَنْ للظالمين نَكالاً».

(٣) في النسخة (ب): «قيس»، والنسخة (ت): «عبس». وقد مرّ قبل قليل.

(٤) في النسخة (ي): «صغيراً».

قال: ذاك ربيعة بن قُرْط بن عبد الله بن أبي بكر.
قالت: ورأيتُ رجلاً أقرن الحاجبَيْن، كثير شعر السَّبْلة، يسيل لُعابُه على لحيته إذا تكلّم.
قال: ذاك جُنْدُح بن البكّاء.
قالت: ورأيتُ رجلاً صغير العينَين، ضيّق الجبهة، يقود فرساً له معه جَفيرٌ لا يفارق يده.
قال: ذاك ربيعة بن عُقَيْل بن كعب.
قالت: ورأيتُ رجلاً معه ابنان أصبهان، إذا أقبلا رماهما الناس بأبصارهم، فإذا أدبرا كانا كذلك.
قال: ذاك الصَّعِق بن عمرو بن خُوَيْلد بن نُفَيْل، وابناه يزيد وزُرْعة.
قالت: ورأيتُ رجلاً لا يقول كلمة إلاّ وهي أحدّ من شفرة.
قال: ذاك عبد الله بن جَعْدة بن كعب[1].

وأمرها زُرارة فدخلت بيتها، وأرسل زُرارة إلى الرُّعاء يأمرهم بإحضار الإبل، ففعلوا. وأمرهم فحملوا الأهلَ والأثقالَ، وساروا نحو بلاد بَغيض، وفرّق الرسلَ في بني مالك بن حنظلة فأتوه، فأخبرهم الخبر وأمرهم، فوجّهوا أثقالهم إلى بلاد بَغيض، ففعلوا وباتوا معدّين.

وأصبح بنو عامر وأخبرهم الغنويّ حال الظعينة وهَرَبَها، فسُقط في أيديهم واجتمعوا يديرون الرأي، فقال بعضهم: كأنّي بالظعينة قد أتت قومها فأخبرتهم الخبر، فحذروا وأرسلوا أهليهم وأموالهم إلى بلاد بَغيض، وباتوا مُعدّين لكم في السلاح، فاركبوا بنا في طلب نعمهم وأموالهم، فإنّهم لا يشعرون حتّى نُصيب حاجتنا وننصرف. فركبوا يطلبون ظُعن بني دارم، فلمّا أبطأ القوم عن زُرارة قال لقومه: إنّ القوم قد توجّهوا إلى ظُعنكم وأموالكم فسيروا إليهم. فساروا مُجِدّين فلحِقوهم قبل أن يصلوا إلى الظعن والنَّعَم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتلت بنو مالك بن حنظلة ابن الخمس التغلبيّ رئيس جيش النعمان، وأسرت بنو عامر مَعْبد بن زُرارة، وصبر بنو دارم حتّى انتصف النهارُ، وأقبل قيس بن زهير فيمن معه من ناحية أخرى، فانهزمت بنو عامر وجيش النعمان، وعادوا إلى بلادهم ومعبد أسير مع بني عامر، فبقي معهم حتّى مات.

وفي تلك الأيّام أيضاً مات زُرارة بن عُدَس.
وقيل في استجارة الحارث ببني تميم غير ذلك، وهو أنّ النعمان طلب شيئاً يغيظ به

---
(١) الخبر في الأغاني ١١/١٢٦، ١٢٧.

الحارث بعد قتل خالد وهربه، فقيل له: كان قصد الحيرة، ونزل على عِياض بن دَيْهَث[1] التميميّ، وهو صديق له، فبعث إليه النعمان فأخذ إبلاً له، فركب الحارث وأتى الحيرة متخفّياً، واستنقذ ماله من الرعاء وردّه عليه، وطلب شيئاً يغيظ به النعمان، فرأى ابنه غضبان[2]، فضرب رأسه بالسيف فقتله، وبلغ النعمان الخبر فبعث في طلبه فلم يُدْرَك، فقال الحارث في ذلك:

أَخُصَيْنِيْ حمار بات يكدُمُ[3] نجمةً[4]	أتؤكل جاراتي وجارُك سالمُ
فإنْ تكُ أذواداً[5] أصَبْتَ ونسْوةً	فهذا ابن سَلْمَى رأسُه[6] متفاقمُ
علوتُ بذي الحيّات[7] مفرقَ رأسهِ	ولا يركب المكروهَ إلّا الأكارمُ
فتكتُ به كما فتكتُ بخالدٍ	وكان سلاحي تَحْتويه الجماجمُ[8]
بدأتُ بتلك وانْثَنَيْتُ بهذه[9]	وثالثة تبيضّ منها المقادمُ
حسبتَ أبا قابوسَ أنك مُخْفِري[10]	ولمّا تذُق ثكلاً[11] وأنفُك راغمُ[12]

---

(١) في النسخة (ب): «هب» وفي النسخة (ي): «وهب». والمثبت يتفق مع المحبّر لابن حبيب ١٩٤.

(٢) في النسخة (ب): «عصيبان»، وفي النسخة (ر): «عصيا».

(٣) يكدم: يعض بأدنى الفم.

(٤) النجم: من النبات ما لاساق له، والشجر ما له ساق طال أو قصر. ونجمة هنا: واحدة النجم، وهو ضرب من النبت يقال له الثيل شبّهه بخصي الحمار لتحقيره وتصغيره، أو أنه مشنج الوجه متغضّنه، كخصي الحمار إذا كدم نجمه، وذلك لصلابتها. (شرح ديوان المفضّليّات لابن الأنباري ٦١٦ - طبعة الآباء اليسوعيين ببيروت ١٩٣٠ م).

(٥) الذود: القطيع من الإبل الثلاث إلى التسع أو ما بين الثلاث إلى العشر.

(٦) هكذا في الأصل والنسخ، والمفضّليّات. وفي الأغاني «أمره».

(٧) ذو الحيّات: اسم سيف الحارث، كانت على سيفه تماثيل حيّات.

(٨) ورد هذا البيت والذي قبله هكذا في الأغاني:

علوت بذي الحيّات مفرقَ رأسه	وكان سلاحي تحتويه الجماجم
فتكتُ به فتكاً كفتكي بخالدٍ	وهل يركب المكروهَ إلا الأكارم

(٩) ورد هذا الشطر في الأغاني:

بدأت بهذي ثم أثني بمثلها

(١٠) في الأغاني «سابقي».

(١١) في الأغاني «فتكي».

(١٢) الأبيات في شرح المفضّليات ٦١٦، والأغاني ١١/١٠٣، ١٠٤ و١٠٨، ١٠٩.
وقال الأصمعيّ عن البيت الأخير إنه ليس من القصيدة لأنّ المقتول ابن عمرو بن الحارث جدّ النعمان الذي كان يكنى أبا قابوس، والمقتول الغلام عم أبي قابوس، وهذا البيت يرجّح أن يكون الملك الذي قتل الحارث ابنه وقتل خالد بن جعفر في جواره هو النعمان بن المنذر، فإنّ أبا قابوس كنية له.
(أنظر: الأغاني ١١/١٠٣حاشية رقم ٢).

كذا قال بعضهم.

وقيل: إنّ المقتول كان شُرَحْبيل بن الأسود بن المنذر، وكان الأسود قد ترك ابنه شُرَحْبيل عند سِنان بن أبي حارثة المرّيّ ترضعه زوجته. فمن هناك كان لِسِنان مال كثير، وكان ابنه هَرِمُ يُعطى منه، فجاء الحارث متخفّياً، فاستعار سرج سنان ولا يعلم سنان، ثمّ أتى امرأةَ سنان فقال: يقول بعلك ابعثي بشُرَحْبيل بن الملك مع الحارث بن ظالم حتّى يستأمن به ويتخفّر[1] به، وهذا سرجه علامة. فزيّنته ودفعته إليه، فأخذه وقتله وهرب.

فغزا الأسود بني ذُبْيان وبني أسد بشطّ أرْبك، فقتل فيهم قتلاً ذريعاً، وسبى واستأصل الأموال. وأقسم ليقتلنّ الحارثَ، فسار الحارثُ متخفّياً إلى الحيرة ليفتك بالأسود، فبينما هو في منزله إذ سمع صارخةً تقول: أنا في جوار الحارث بن ظالم، وعرف حالها، وكان الأسود قد أخذ لها صرمةً من الإبل، فقال لها: انطلقي غداً إلى مكان كذا، وأتاه الحارث. فلمّا وردت إبلُ النعمان أخذ مالها فسلّمه إليها، وفيها ناقة تسمّى اللقاع، فقال الحارث في ذلك:

إذا سمعتِ حنّة اللقاعِ ... فادْعي أبا ليلى فنِعْمَ الداعِي
يمشي[2] بغَضْبٍ صارمٍ قطّاعٍ ... يفري به مجامع الصُّداعِ

ثمّ أقبل يطلب مُجيراً، فلم يجرْه أحد من الناس، وقالوا: من يُجيرك على هوازن والنعمان وقد قتلتَ ولده؟ فأتى زُرارة بن عُدَس، وضَمْرة بن ضَمْرة، فأجاراه على جميع الناس.

ثمّ إنّ عمرو بن الإطنابة الخزرجيّ لمّا بلغه قتْل خالد بن جعفر، وكان صديقاً له، قال: والله لو وجده يقظانَ[3] ما أقدم عليه، ولوددتُ أنّي لقيته، وبلغ الحارثَ قولُه وقال: والله لآتينّه في رحله، ولا ألقاه إلاّ ومعه سلاحه، فبلغ ذلك ابن الإطنابة فقال أبياتاً، منها:

أبْلِغِ الحارثَ بن ظالمٍ المو ... عِدَ[4] والناذرَ النُّذورَ عليّا
أنّما تقتل النيامَ ولا تقـ ... ـتُل يقظان ذا سَلاح كَمِيّا[5]

فبلغ الحارسَ شعرُه، فسار إلى المدينة وسأل عن منزل ابن الإطنابة، فلمّا دنا منه

---

(١) في النسختين (ب) و(ي): «ينجوا».
(٢) في النسخة (ي): «يغشى».
(٣) في النسخة (ر): «نائماً».
(٤) في الأغاني ١١/١٢١ «الرعديد».
(٥) أنظر أبياتاً أخرى في الأغاني. والكميّ: الشجاع المتكمّى في سلاحه، لأنّه كمّى نفسه أي سترها بالدرع والبيضة، والجمع كُماة، مثل قاضٍ وقُضاة.

نادى: يا ابن الإطنابة أغِثْني[1]! فأتاه عمرو فقال: مَنْ أنت؟ قال: رجل من بني فلان خرجتُ أريد بني فلان، فعرض له قوم قريباً منك، فأخذوا ما كان معي، فاركبْ معي حتّى نستنقذه. فركب معه ولبس سلاحه ومضى معه، فلمّا أبعد عن منزله عطف عليه وقال: أنائمٌ أنتَ أم يقظان؟ فقال: يقظان. فقال: أنا أبو ليلى وسيفي المَعلوب، فألقى ابنُ الإطنابة سيفَه، وقيل: رمحه، وقال: قد أعجَلْتني فأمهِلْني حتّى آخذ سيفي. فقال: خذْه. قال: أخاف أن تُعْجِلَني عن أخذه. (قال: لك ذمّة ظالم لا أعجلك عن أخذه)[2] قال: فوذِمّةِ الإطنابة لا آخذه! فانصرف الحارث وهو يقول أبياتاً، منها:

بلغَتْنا مقالةُ المرءِ عَمرٍو ... فالتقينا[3] وكان ذاكَ بَدِيّا
فهممنا[4] بقتلهِ إذ برزْنا ... ووجدناه[5] ذا سلاح كَمِيّا
غيرَ ما نائمٍ يروِّعُ بالفتـ ... ـكِ ولَكنْ مقلَّداً مَشرفيّا[6]
فمننّا عليه بعد عُلُوٍّ ... بوفاءٍ وكنتُ قِدْماً وفيّا[7]

ثمّ إنّ الحارث لمّا علم أنّ النعمان قد جدّ في طلبه وهوازن لا تقعد عن الطلب بثأر خالد، خرج متنكّراً إلى الشام، واستجار بيزيد بن عمرو، فأكرمه وأجاره.

وكان ليزيد ناقة مُحْماة في عنقها مَدْيَةٌ[8] وزناد وملح ليَمْتَحِنَ بذلك رعيّته، فوحمتْ زوجة الحارث واشتهت شحماً ولحماً، فأخذ الحارثُ الناقة فأدخلها شِعْباً فذبحها وحمل إلى امرأته من شحمها ولحمها ورفع منه. وفُقدت الناقة فطُلبت فوجدت عقيرة بالوادي، فأرسل الملك إلى كاهن فسأله عنها، فذكر له أنّ الحارث نحرها، فأرسل امرأةً بطيب تشتري من لحمها من امرأة الحارث، فأدركها الحارثُ وقد اشترت اللحمَ، فقتلها ودفنها في البيت. فسأل الملكُ الكاهنَ عن المرأة، فقال: قتلها مَنْ نحر الناقة، وإذا كرهتَ أن تفتّش بيته فتأمر الرجلَ بالرحيل، فإذا رحل فتّشتُ بيتَهُ. ففعل ذلك، فلمّا رحل الحارثُ فتّش الكاهنُ بيته فوجد المرأةَ، وأحسّ الحارثُ بالشرّ، فعاد إلى الكاهن فقتله، فأُخذ

---

(١) في النسختين (ب) و(ي): «أغشني».
(٢) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر).
(٣) في الأغاني ١١/١٢٣ «فأنِفْنا».
(٤) في الأغاني: «قد هممنا».
(٥) في الأغاني: «ولقيناه».
(٦) في الأغاني:
غيرَ ما نائم تعلّلَ بالحُلْـ ... ـم مُعِدّاً بكفّه مَشْرَفيّا
(٧) أنظر الأبيات وغيرها في الأغاني ١١/١٢٢، ١٢٣.
(٨) في النسخة (ب): «مزية».

الحارثُ وأُحضر عند الملك، فأمر بقتله، فقال: إنّك قد أجَرْتَني فلا تغـدرْ بي. فقال: إن غدرتُ بك مرّة واحدة فقد غدرتَ بي مراراً. فقتله[1].

أيّام داحس والغبراء وهي بين عبْس وذُبيان[2]

وكـان سبب ذلك أنّ قيس بن زهيـر بن جَذيمـة العبسيّ سـار إلى المـدينـة ليتجهـزَ لقتال عامر والأخذ بثأر أبيه، فأتى أُحَيْحة بن الجُلاح[3] يشتري منه درعاً مـوصوفـةً[4]. فقال له: لا أبيعها، ولولا أن تذمّني بنو عامر لوهبتها منك، ولكن اشتـرِها[5] بـابن لَبُون. ففعـل ذلك وأخذ الدرع، وتُسمّى ذات الحواشي، ووهبـه أُحَيْحة أيضـاً أدراعاً، وعـاد إلى قومـه وقد فرغ من جهازه، فاجتاز بالربيع بن زياد العبسيّ فدعاه إلى مسَاعـدته على الأخـذ بثأره فأجابه إلى ذلك. فلمّا أراد فراقه نظر الربيع إلى عَيْبته فقال: ما في حَقِيبتك[6]؟ قال: متاع عجيب لو أبصرتَهُ لراعـك، وأناخ راحلتـه، فأخـرج الدرع من الحقيبـة، فأبصـرها الـربيعُ فأعجبته ولبسهـا، فكانت في طـوله. فمنعهـا من قيس ولم يعطه إيّـاها، وتـردّدت الرسـل بينهما في ذلك، ولجّ قيس في طلبها، ولجّ الربيع في منعها. فلمّا طالت الأيّـام على ذلك سيّر قيس أهله إلى مكّة، وأقام ينتظر غرّة الربيع.

ثمّ إنّ الربيع سيّر إبِله وأمواله إلى مرعى كثيـر الكلإ[7]، وأمـر أهله فظعنـوا، وركب فرسه وسار إلى المنزل، فبلغ الخبرُ قيساً، فسار في أهله وإخوته فعارض ظعـائنَ الربيـع، وأخذ زمامَ أمّه فاطمة بنت الخرشب وزمامَ زوجته. فقـالت فاطمـة أمّ الربيـع: ما تـريد يـا قيس؟ قـال: أذهب بكنّ إلى مكّة فـأبيعكنّ بهـا بسبب درعي. قـالت: وهي في ضمـاني وخلّ عنّا، ففعـل. فلمّا جـاءت إلى ابنها قـالت له في معنى الـدرع، (فحلف أنّه لا يـردّ الدرعَ[8])، فأرسلت إلى قيس أعلمته بما قال الربيع، فأغار على نَعَمِ الربيع، فاستـاق منها

---

(١) الخبر في العقد الفريد ٥/١٥٠ ونهاية الأرب ١٥/٣٥٦.

(٢) ثمار القلوب ٣٦٠، المرصّع لابن الأثير ٨٤ و ١٣٥، العقد الفريد ٥/١٥٠، معجم البلدان ١/٢٠٥، نهاية الأرب ١٥/٣٥٦، المختصر في أخبار البشر ١/٧٨، معجم ما استعجم ١/١٦١، خزانة الأدب للبغدادي ٣/٥٣٦ المعارف لابن قتيبة ٦٠٦، الأغاني ١٧/١٨٧.

(٣) هو أُحَيْحَة بن الجُلاح بن الحَريش بن جَحْجَبَى بن كُلْفَة بن عوف بن عمـرو بن عوف بن مـالك بن الأوس، ويكنى أبا عمرو. (أنظر عنه في الأغاني ١٥/٣٧ ـ ٥٥).

(٤) في النسخة (ب): «سومة»، وفي النسخة (ت): «صوفة».

(٥) في النسخة (ب): «تشترها».

(٦) في النسخة (ب): «جعبتك».

(٧) في النسخة (ب): «الغلا».

(٨) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر).

أربعمائة بعير، وسار بها إلى مكّة، فباعها واشترى بها خيلاً، وتبعه الربيعُ فلم يلحقه، فكان فيما اشترى من الخيل داحس والغبراء.

وقيل: إنّ داحساً كان من خيل بني يربوع، وإنّ أباه كان [أخذ] فرساً لرجل من بني ضَبّة يقال له أُنَيْف بن جَبَلة، وكان الفرس يسمّى السبط[1]، وكانت أمّ داحس لليربوعيّ، فطلب اليربوعيّ من الضّبّيّ أن يُنْزي فرسَه على حِجْره، فلم يفعل. فلمّا كان الليل عمد اليربوعيّ إلى فرس الضّبّيّ فأخذه، فأنزاه على فرسه، فاستيقظ الضّبّيّ، فلم ير فرسه، فنادى في قومه، فأجابوه، وقد تعلّق باليربوعيّ، فأخبرهم الخبرَ، فغضب ضبّةُ من ذلك، فقال لهم: لا تعْجلوا، دونكم نُطْفة فرسكم فخذوها. فقال القوم: قد أنصف. فسطا عليها رجل من القوم، فدسّ يده في رَحِمِها فأخذ ما فيها[2]، فلم تزِد الفرس إلّا لقاحاً، فنتجت مهراً، فسُمّي داحساً بهذا السبب.

فكان عند اليربوعيّ ابنان له، وأغار قيس بن زُهَيْر على بني يربوع فنهب وسبى، ورأى الغلامَيْن أحدهما على داحس والآخر على الغبراء فطلبهما فلم يلحقهما، فرجع وفي السبي أمّ الغلامَيْن وأختان لهما وقد وقع داحس والغبراء في قلبه، وكان ذلك قبل أن يقع بينه وبين الربيع ما وقع. ثمّ جاء وفد بني يربوع في فداء الأسرى والسبي، فأطلق الجميع إلّا أمّ الغلامَيْن وأختَيْهما وقال: إن أتاني الغلامان بالمهر والفرس الغبراء وإلّا فلا. فامتنع الغلامان من ذلك، فقال شيخ من بني يربوع كان أسيراً عند قيس، وبعث بها إلى الغلامَيْن، وهي:

إنّ مُهراً فدى الربابَ وجُملاً[3] وسُعاداً لَخيرُ مُهرِ أناسِ
ادفعوا داحساً بهنّ سراعاً إنّها من فعالها الأكياسِ
دونها والذي يحجّ له النا سُ سبايا يُبعن بالأفراسِ[4]
إنّ قيساً يرى الجواد من الخيـ ـل حياةً في متلف الأنفاسِ
يشتري الطِّرْف بالجراجرة الجـ ـلّة يعطي عفواً بغير مكاسِ

فلما انتهت الأبيات إلى بني يربوع قادوا الفرسَيْن إلى قيس وأخذوا النساء.

وقيل: إنّ قيساً أنزى داحساً على فرس له، فجاءت بمُهرة فسمّاها الغبراء. ثمّ إن قيساً أقام بمكّة فكان أهلها يفاخرونه، وكان فخوراً، فقال لهم: نَحّوا كَعْبَتكم عنّا

(١) في النسخة (ر): «الشيط».
(٢) أنظر الأغاني ١٧/١٨٨.
(٣) في الطبعة الأوربية «حملاً».
(٤) البيت في حاشية النسخة (ر).

وحرمكم، وهاتوا ما شئتم. فقال له عبد الله بن جُدعان: إذا لم نفاخرك بالبيت المعمور وبالحرم الآمن فبمَ نفاخرك؟ فملّ قيس مفاخرتهم، وعزم على الرحلة عنهم، وسرّ ذلك قريشاً لأنّهم قد كانوا كرهوا مفاخرته، فقال لإخوته: ارحلوا بنا من عندهم أوّلاً، وإلّا تفاقم الشرّ بيننا وبينهم، والحقوا بني بدر، فإنّهم أكفاؤنا في الحَسَب، وبنو عمّنا في النَّسَب، وأشراف قومنا في الكرم، ومن لا يستطيع الربيع أن يتناولنا معهم. فلحق قيس وإخوته ببني بدر، وقال في مسيره إليهم:

أسير إلى بني بدرٍ بأمرٍ ... هُمُ فيه علينا بالخيارِ
فإن قبلوا الجوارَ فخيرُ قومٍ ... وإن كرهوا الجِوَارَ فغيرُ عارِ
أتينا الحارثَ الخير بن كَعْبٍ ... بنَجْران وأي لجا بجارِ
فجاورْنا الذين إذا أتاهم ... غريبٌ حلّ في سعة القَرارِ
فيأمَن فيهمُ ويكون منهم ... بمنزلة الشّعار من الدّثار
وإن نُفرَدْ بحربِ بني أبينا ... بلا جار فإنّ الله جاري

ثمّ نزل ببني بدر فنزل بحُذَيْفة، فأجاره هو وأخوه حَمَل بن بدر، وأقام فيهم، وكان معه أفراس له ولإخوته لم يكن في العرب مثلها، وكان حُذَيفة يغدو ويروح إلى قيس، فينظر إلى خيله فيحسده عليها، ويكتم ذلك في نفسه، وأقام قيس فيهم زماناً يكرمونه وإخوته، فغضب الربيع ونقم ذلك عليهم، وبعث إليهم بهذه الأبيات:

ألا أبلغْ بني بدرٍ رسُولاً ... على ما كان من شنإ ووترِ
بأنّي لم أزل لكمُ صديقاً ... أدافع عن فَزارة كلّ امرِ
أُسالم سلمكم وأردُّ عنكم ... فوارسَ أهل نجران وحَجرِ
وكان أبي ابن عمّكمُ زياد ... صفيَّ أبيكُم بدر بن عمرو
فألجأتم أخا الغدرات قيساً ... فقد أفعمتمُ إيغار صدري
فحسبي من حذيفة ضمّ قيس ... وكان البدء من حَمَلِ بن بدرِ
فإمّا ترجعوا أرجعْ إليكم ... وإن تأبَو فقد أوسعتُ عذري

فلم يتغيّروا عن جوار قيس. فغضب الربيع وغضبت عبس لغضبه، ثمّ إنّ حُذَيْفة كره قيساً وأراد إخراجه عنهم فلم يجد حجّةً، وعزم قيس على العُمْرة فقال لأصحابه: إنّي قد عزمتُ على العُمْرة فإياكم أن تلابسوا حُذَيْفة بشيء، واحتملوا كلّ ما يكون منه حتّى أرجع فإنّي قد عرفتُ الشرّ في وجهه وليس يقدر على حاجته منكم إلّا [أن] تراهنوه على الخيل. وكان ذا رأي لا يخطىء في ما يريده، وسار إلى مكّة.

ثمّ إنّ فتىً من عبس يقال له وَرْد بن مالك أتى حُذَيفة فجلس إليه، فقال له ورد: لو

اتّخذتَ من خيل قيس فحْلاً يكون أصلاً لخيلك. فقال حُذيفة: خيلي خير من خيل قيس، ولجّا في ذلك إلى أن تراهنا على فرسَيْن من خيل قيس وفرسَيْن من خيل حُذَيْفة، والرهن عشرة أذواد.

وسار ورد فقدِم على قيس بمكّة فأعلمه الحال، فقال له: أراكَ قد أوقعْتني في بني بدر ووقعت معي وحُذَيْفة ظلوم لا تطيب نفسه بحقّ، ونحن لا نقرّ له بضيْمٍ. ورجع قيس من العُمْرة، فجمع قومَه وركب إلى حُذَيفة، وسأله أن يفكّ الرهن، فلم يفعل. فسأله جماعة فزارة وعَبْس، فلم يجب إلى ذلك، وقال: إن أقرّ قيس أنّ السبق لي وإلاّ فلا، فقال أبو جَعْدة الفزاريّ:

آلَ بدرٍ دعوا الرِّهانَ فإنّا	قد مَلِلْنا اللجاجَ عند الرهانِ
ودعوا المرء في فَزارة جاراً	إنّ ما غاب عنكمُ كالعيانِ
ليت شِعري عن هاشم وحُصَيْنٍ	وابن عوف وحارث وسنانِ
حين يأتيهمُ لجاجُك قيساً	رَأيَ[1] صاحٍ أتيت أم نشوانِ

وسأل حُذَيْفة إخوته وسادات أصحابه في ترك الرهان ولجّ فيه، وقال قيس: عَلام تُراهنني؟ قال: على فَرَسَيْك داحس والغبراء وفرسيّ الخطار والحنفاء.

وقيل: كان الرهن على فرسَي داحس والغبراء. قال قيس: داحس أسرع. وقال حُذَيفة: الغبراء أسرع، وقال لقيس: أريد أن أُعلمك أنّ بصري بالخيل أثقب من بصرك؛ والأوّل أصحّ. فقال له قيس: نفس[2] في الغاية وارفع في السبق. فقال حُذَيفة: الغايةُ من أُبْلَى[3] إلى ذاتِ الإصاد[4]، وهو قدر مائة وعشرين غلوةً، والسبق مائة بعير، وضمّروا الخيل. فلمّا فرغوا قادوا الخيل إلى الغاية، وحشدوا ولبسوا السلاحَ، وتركوا السبق على يد عِقال بن مروان بن الحكم القيسيّ، وأعدّوا الأُمناء على إرسال الخيل.

وأقام حُذَيفة رجلاً من بني أسد في الطريق، وأمره أن يلقى داحساً في وادي ذات

---

(١) في الطبعة الأوربية «وأي».

(٢) في الطبعة الأوربية «نقس».

(٣) أُبْلَى: بالضم ثم السكون والقصر بوزن حُبْلَى. قال عرّام: تمضي من المدينة مُصْعداً إلى مكة، فتميل إلى وادٍ يقال له عُرَيْقِطان مَعْن، ليس له ماء ولا مرعى، وحذاه جبال يقال لها أُبْلَى، فيها مياه منها بئر مَعُونة، وذو ساعدة، وذو جماجم، أو حماحم، والوشْباء، وهذه لبني سليم، وهي قِنان متّصلة بعضها إلى بعض. (معجم البلدان ١/٧٨).

(٤) الإصاد: بالكسر. اسم ماء. قال أبو عبيدة: ذات الإصاد رَدْهَة في ديار عبس وسْط هضب القَليب، وهضب القليب: علم أحمر فيه شعاب كثيرة في أرض الشَّرَبَّة. (معجم البلدان ١/٢٠٥، معجم ما استعجم ١/١٦١، المرصّع لابن الأثير ٨٤.

الإصاد إن مرّ به سابقاً فيرمي به إلى أسفل الوادي.

فلمّا أُرسلت الخيل سبقها داحس سبقاً بيّناً، والناسُ ينظرون إليه، وقيس وحُذَيفة على رأس الغاية في جميع قومهما. فلمّا هبط داحس في الوادي عارضه الأسديّ، فلطم وجهه فألقاه في الماء، فكاد يغرق هو وراكبه، ولم يخرج إلّا وقد فاتته الخيل. وأمّا راكب الغبراء فإنّه خالف طريق داحس لمّا رآه قد أبطأ، وعاد إلى الطريق واجتمع مع فرسَيْ حُذَيفة، ثمّ سقطت الحنفاء وبقي الغبراء والخطّار، فكانا إذا أحزنا[1] سبق الخطّار، وإذا أسهلا سبقت الغبراء. فلمّا قربا من الناس وهما في وَعْث من الأرض تقدّم الخطّار، فقال حُذَيفة: سبقك يا قيس. فقال: «رويدك يعلونّ الجدد»؛ فذهبت مثلاً. فلمّا استوت بهما الأرض قال حُذَيفة: خدع والله صاحبنا. فقال قيس: «ترك الخداع مَن أجرى من مائة وعشرين»؛ فذهبت مثلاً.

ثمّ إنّ الغبراء جاءت سابقة، وتبعها الخطّار فرس حُذَيفة، ثمّ الحنفاء له أيضاً، ثمّ جاء داحس بعد ذلك والغلام يسير به على رِسله، فأخبر الغلامُ قيساً بما صُنع بفرسه، فأنكر حذيفةُ ذلك وادّعى السبق ظالماً، وقال: جاء فرساي متتابعين، ومضى قيس وأصحابه حتّى نظروا إلى القوم الذين حبسوا داحساً واختلفوا.

وبلغ الربيعَ بن زياد خبرُهم فسرّه ذلك وقال لأصحابه: هلك والله قيس، وكأنّي به إن لم يقتله حُذَيفة وقد أتاكم يطلب منكم الجوار، أما والله لئن فعل ما لنا من ضمّه من بدّ.

ثمّ إنّ الأسديّ ندم على حبس داحس، فجاء إلى قيس واعترف بما صنع، فسبّه حُذَيفة.

ثمّ إنّ بني بدر قصروا بقيس وإخوته وآذوهم بالكلام، فعاتبهم قيس، فلم يزدادو إلّا بغياً عليه وإيذاءً له.

ثمّ إنّ قيساً وحُذَيفة تناكرا في السبق حتّى همّا بالمؤاخذة، فمنعهما الناس، وظهر لهم بغي حُذَيفة وظلمه، ولجّ في طلب السبق، فأرسل ابنه نَدْبة إلى قيس يطالبه به، فلمّا أبلغه الرسالة طعنه فقتله، وعادت فرسه إلى أبيه، ونادى قيس: يا بني عبس الرحيل! فرحلوا كلّهم، ولمّا أتت الفرسُ حُذَيفةَ علم أنّ ولده قُتل، فصاح في الناس وركب في مَنْ معه، وأتى منازلَ بني عبس فرآها خاليةً ورأى ابنَه قتيلاً، فنزل إليه وقبّل بين عينَيْه ودفنوه.

وكان مالك بن زهير أخو قيسٍ متزوّجاً في فزارة وهو نازلٌ فيهم، فأرسل إليه قيس:

---

(١) في الطبعة الأوربية «أجريا».

أنّي قد قتلتَ نَدْبة بن حذيفة ورحلتُ، فالحقْ بنا وإلاّ قُتلتَ. فقال: إنّما ذنب قيس عليه، ولم يرحل، فأرسل قيس إلى الربيع بن زياد يطلب منه العود إليه والمقام معه، إذ هم عشيرة وأهل، فلم يُجبْه ولم يمنعه، وكان مفكّراً في ذلك.

ثمّ إنّ بني بدر قتلوا مالك بن زُهَيْر أخا قيس، وكان نازلاً فيهم، فبلغ مقتله بني عبس والربيع بن زياد، فاشتدّ ذلك عليهم، وأرسل الربيع إلى قيس عيناً يأتيه بخبره، فسمعه يقول:

أينجو بنو بَدرٍ بمقتلِ مالك	وَيخذُلُنا في النائبات ربيعُ
وكانَ زيادُ قبله يُتّقى به	مِنَ الدهرِ إنْ يومٌ ألمَّ فظيعُ
فقُل لربيعٍ يحتذي فِعلَ شيخه	وما النّاسُ إلاّ حافظٌ ومضيعُ
وإلاّ فَما ليَ في البِلادَ إقامةٌ	وأمر بَني بدرٍ عليّ جميعُ

فرجع الرجل إلى الربيع فأخبره، فبكى الربيع على مالك وقال:

مَنَعَ الرّقادَ فما أغمِّض ساعةً	جَزَعاً من الخبر العظيم الساري[1]
أفبعدَ مقتلِ مالِك بن زهير[2]	يرجو النساءُ عواقبَ الأطهارِ[3]
منْ كان مسروراً بمقتلِ مالكٍ	فليأتِ نِسْوتَنا بوَجهِ[4] نهارِ
يَجِدِ النساءَ حواسراً ينْدُبنه	ويقمنَ[5] قبل تبلّج الأسحارِ
يضربن حُرّ وجوههنَّ على فتىً	ضَخمِ الدسيعة غيرِ ما خَوّارِ[6]
قد كنَّ يُكنِنَّ[7] الوجوهَ تستّراً	فاليوم حين برَزْنَ[8] للنُّظّارِ

وهي طويلة[9].

---

(١) البيت في الأغاني ١٧/١٩٦:

نام الخَليُّ وما أُغَمِّضُ حار ... من سيّء النبأ الجليلِ الساري

(٢) في الطبعة الأوربية «لمضيعة».

(٣) انفردت النسخة (ر) بهذا البيت، عن بقية النسخ. وفي الشطر الأول عيب يسمى القطع.

(٤) في النقائض ٨٩ «بنصف».

(٥) في النسخة (ي): «قد قمن». وفي الأغاني «يبكين».

(٦) في النسخة (ر): «عوار». والبيت في الأغاني:

يخمشْن حُرّات الوجوه على امرىء ... سهْلِ الخليقة طيّب الأخبار

(٧) في النسخة (ب): «قمن يخبأن»، وفي النسخة (ي) «كن يخبئن». وفي الأغاني «يَخْبَأْنَ».

(٨) في النسخة (ب): «قد أبرزن»، وفي الأغاني «حين بدوْن».

(٩) راجع القصيدة مع تقديم وتأخير في الأبيات واختلاف في الألفاظ، في: نقائض جرير والفرزدق ٨٩، ديوان الحماسة لأبي تمّام ١/٢٩٨، الأغاني ١٧/١٩٦.

فسمعها قيس، فركب هو وأهله، وقصدوا الربيع بن زياد، وهو يُصْلح سلاحه، فنزل إليه قيس، وقام الربيع فاعتنقا وبكيا وأظهرا الجزع لمُصاب مالك، ولقي القوم بعضهم بعضاً فنزلوا. فقال قيس للربيع: إنّه لم يهرب منك من لجأ إليك، ولم يستَغْنِ عنك من استعان[1] بك، وقد كان لك شرّ يوميَّ، فليكن لي خير يوميك، وإنّما أنا بقومي وقومي بك، وقد أصاب القوم مالكاً، ولست أهمّ بسوء، لأنّي إن حاربتُ بني بدر نصرتْهم بنو ذُبْيان، وإن حاربتْني خذلني بنو عبس، إلاّ أن تجمعهم عليّ، وأنا والقوم في الدماء سواءٌ، قتلتُ ابنَهم وقتلوا أخي، فإنْ نصرتَني طمعتُ فيهم، وإن خذلتَني طمعوا فيّ. فقال الربيع: يا قيس إنّه لا ينفعني أن أرى لك من الفضل ما لا أراه[2] لي، ولا ينفعك أن ترى لي ما لا أراه لك، وقد مال عليّ قتل مالك وأنت ظالم ومظلوم، ظلموك في جوادك، وظلمتَهم في دمائهم، وقتلوا أخاك بابنهم، فإن يَبُؤ الدم بالدم فعسى أن تلقح الحرب أقم معك، وأحبّ الأمْرَيْن إليّ مسالمتهم، ونخلو بحرب هوازن. وبعث قيس إلى أهله وأصحابه، فجاؤوا ونزلوا مع الربيع، وأنشدهم عنترة بن شدّاد مرثيّته في مالك[3]:

فلله عَينا مَنْ رأى مثلَ مالكٍ	عَقيرةَ قومٍ أنْ جَرَى فَرَسانِ
فليتهما لم يَطْعما الدهرَ بعدها	وليتَهما لم يُجمعا[4] لِرهانِ[5]
وليتَهما ماتا جميعاً ببلدةٍ	وأخطاهما قيسٌ فلا يُرَيانِ
لقد جَلَبا جلباً لمصرعِ مالكٍ	وكان كريماً ماجداً لِهِجانِ
وكان إذا ما كان يوم كريهةٍ	فقد علموا أنّي وهو فَتَيانِ[6]
وكنّا لَدَى الهيجاء نحمي نساءنا	ونَضْرب عند الكرب كلّ بَنانِ
فسوف ترى إن كنتُ بعدك باقياً	وأمكنني دهري وطول زماني
فأقسم حقّاً لو بقيت لنظرة	لقرّت بها عيناك[7] حين تراني[8]

---

(١) في النسختين (ب) و(ي): «استعاذ».

(٢) في النسخة (ر): «تراه».

(٣) وقيل إنّ هذه الأبيات لابنة مالك بن بدر: (النقائض ٩٣، الأغاني ١٧/٢٠١).

(٤) في النسخة (ب) و(ي): «يرسلا».

(٥) البيت في الأغاني:

فليتهما لم يشربا قطُّ قطرةً	وليتهما لم يُرْسَلا لِرهان

وفي النقائض: «شربة» بدل «قطرة».

(٦) هذا البيت ليس في ديوان عنترة.

(٧) في الطبعة الأوربية «العينان».

(٨) الأبيات في ديوان عنترة، والنقائض ٣، والأغاني ١٧/٢٠١ مع تقديم وتأخير واختلاف في الألفاظ، ومنها بيتان في العقد الفريد ٥/١٥٢ ونهاية الأرب ١٥/٣٥٨.

وبلغ حُذيفة أنّ الربيع وقيساً اتّفقا، فشقّ ذلك عليه واستعدّ للبلاء.

وقيل: إنّ بلاد عبْس كانت قد أجدبت، فانتجع أهلها بلاد فزارة، وأخذ الربيع جواراً من حُذَيْفة وأقام عندهم، فلمّا بلغه مقتل مالك قال لحُذَيفة: لي ذمّتي ثلاثة أيّام. فقال حُذَيفة: ذلك لك. فانتقل الربيع من بني فزارة. فبلغ ذلك حَمَل بن بَدْر، فقال لحُذَيفة أخيه: بئس الرأي رأيتَ! قتلتَ مالكاً وخلّيتَ سبيل الربيع! والله ليضْرمنّها عليك ناراً! فركبا في طلب الربيع، ففاتهما، فعلما أنّه قد أضمر الشرّ.

واتّفق الربيع وقيس، وجمع حُذَيفةُ قومه، وتعاقدوا على عبْس، وجمع الربيع وقيس قومهما واستعدّوا للحرب، فأغارت فزارة على بني عبْس، فأصابوا نعماً ورجالاً، فحميتْ[1] عبس واجتمعت للغارة، فنذِرتْ بهم فزارة. فخرجوا إليهم فالتقوا على ماء يقال له العَذَق[2]، وهي أوّل وقعة كانت بينهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقُتل عوف بن يزيد، قتله جُنْدَب بن خَلَف العبسيّ. وانهزمت فزارة وقُتلوا قتلاً ذريعاً، وأسر الربيعُ بن زياد حُذَيْفةَ بن بدر، وكان حُرّ بن الحارث العبسيّ قد نذر إن قدر على حذيفة أن يضربه بالسيف، (وله سيف قاطع يُسمّى الأصرم، فأراد ضربه بالسيف)[3] لمّا أُسر وفاء بنذره، فأرسل الربيع إلى امرأته فغيّبتْ[4] سيفه ونَهوْه عن قتله وحذّروه عاقبة ذلك، فأبى إلاّ ضربه، فوضعوا عليه الرجال، فضربه، فلم يصنع السيف شيئاً، وبقي حُذَيفة أسيراً.

فاجتمعتْ غطفان وسعوا في الصلح، فاصطلحوا على أن يهدروا دم بدر بن حُذَيفة بدم مالك بن زهير، ويعقلوا عوف بن بدر، ويُعْطوا حُذَيفة عن ضربته التي ضربه حُرّ مائتَيْن من الإبل، وأن يجعلوها عشاراً[5] كلّها، وأربعة أعبدٍ، وأَهدر حُذَيفة دِماء مَنْ قُتِل من فزارة في الوقعة وأُطلِق من الأسر.

فلمّا رجع إلى قومه ندم على ذلك، وساءت مقالته في بني عبْس، وركب قيس بن زهير وعُمَارة بن زياد، فمضيا إلى حُذَيْفة وتحدّثا معه. فأجابهما إلى الاتّفاق، وأن يردّ عليهما الإبل التي أخذ منهما، وكانت توالدت عنده. فبينا هم في ذلك إذ جاءهم سِنان بن أبي حارثة المرّيّ، فقبّح رأي حُذَيفة في الصلح وقال: إن كنتَ لا بدّ فاعلاً

---

(١) في النسختين (ب) و(ي): «فجمعت».
(٢) العَذَق: بفتح أوله وثانيه. موضع معروف بناحية الصمان. (معجم البلدان ٤/٩١).
(٣) العبارة ليست في النسخة (ر). وفي النسخة: «فلما أسره وفى».
(٤) في النسخة (ت): «فغيرت»، وفي النسخة (ر): «فعيرت».
(٥) العشار، أو العشراء: التي أتى على حملها عشرة أشهر من ملقّحها.

فأعطِهم إبلاً عِجافاً مكان إبلهم، واحبسْ أولادها. فوافق ذلك رأيَ حُذَيفة، فأبي قيس وعمارة ذلك[1].

وقيل: إنّ الابل التي طلبوها منه هي إبل كان قد أخذها سَبْقاً من قيس.

وقيل أيضاً: إنّ مالك بن زُهَيْر قُتل بعد هذه الوقعة المذكورة؛ قال حُمَيْد بن بدر في ذلك.

قتلنا بعوفٍ مالكاً وَهْوَ ثأرنا ... ومَن يبتدعْ شيئاً سوى الحقّ يَظلمِ

وجعل سنان يحثّ حُذيفةَ على الحرب، فتيسّروا لها.

ثمّ إنّ الأنصار بلغهم ما عزموا عليه، فاتّفق جماعةٌ من رؤسائهم، وهم: عمرو بن الإطنابة، ومالك بن عَجْلان، وأُحَيْحة بن الجُلاح، وقيس بن الخَطيم، وغيرهم، وساروا ليُصْلحوا بينهم، فوصلوا إليهم وتردّدوا في الاتّفاق، فلم يجبْ حُذَيفةُ إلى ذلك وظهر لهم بغْيه، فحذّروه عاقبته وعادوا عنه.

وأغار حُذَيفة على عبْس، وأغارت عبْس على فزارة، وتفاقم الشرّ، وأرسل حُذَيفة أخاه حَمَلاً فأغار وأسر ريّان[2] بن الأسلع بن سفيان وشدّه وثاقه وحمله إلى حُذيفة، فأطلقه ليرهنه ابنيه وجُبير ابن أخيه عمرو بن الأسلع، ففعل ريّان ذلك، ثمّ سار قيس إلى فزارة فلقي منهم جمعاً فيهم مالك بن بدر، فقتله وانهزمت[3] فزارة، فأخذ حينئذ حُذيفة ولدَيْ ريّان فقتلهما وهما يستغيثان: يا أبتاه! حتّى ماتا، وأمّا ابن أخيه فمنعه أخواله.

ولمّا قُتل مالك والغلامان[4] اشتدّت الحربُ بين الفريقَيْن وأكثرها في فزارة ومَنْ معها. ففي بعض الأيّام التقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، ودامت الحربُ بينهم إلى آخر النهار، وأبصر ريّان بن الأسلع زيد بن حُذَيفة فحملَ عليه فقتله، وانهزمت فزارة وذُبيان، وأدرك الحارث بن بدر فقُتل، ورجعت عبس سالمةً لم يُصَبْ منها أحدٌ. فلما قتل زيد والحارث جمع حُذيفة جميع بني ذبيان، وبعث إلى أشجع وأسد بن خُزَيْمة فجمعهم، فبلغ ذلك بني عبْس فضمّوا أطرافهم، وأشار قيس بن زهير بالسبق إلى ماء العقيقة[5]، ففعلوا ذلك، وسار حُذيفةُ في جموعه إلى عبْس، ومشى السفراء بينهم، فحلف حُذيفة: أنّه لا يصلح حتّى يشرب من ماء العقيقة. فأرسل إليه قيس منه في سِقاء وقال: لا أترك حُذيفة

(١) في النسخة (ت): «رأي حذيفة». وفي النسخة (ي): «حرج».
(٢) في النسختين (ت) و(ر): «زيان».
(٣) في الطبعة الأوربية «وانهزم».
(٤) في الطبعة الأوربية «والغلمان».
(٥) في النسختين (ب) و(ي): «العفيفة».

يخدعني. واصطلحوا على أن تعطي بنو عَبس حُذيفةَ دياتِ مَنْ قُتِل له، ووضعوا الرهائنَ عنده إلى أن يجمعوا الدِّيات، وهي عشر، وكانت الرهائن ابناً لقيس بن زهير، وابناً للربيع بن زياد، فوضعوا أحدهما عند قُطْبة بن سِنان، والآخر عند رجل من بكر بن وائل أعمى. فعيّر بعضُ الناس حُذيفةَ بقبول الدِّيَة، فحضر هو وأخوه حَمَل عند قُطْبة بن سِنان والبكريّ وقالا: ادفعا إلينا الغلامَيْن لنكسوهما ونسرّحهما إلى أهلهما. فأمّا قطبة فدفع إليهما الغلامَ الذي عنده، وهو ابن قيس، وأمّا البكريّ فامتنع من تسليم مَنْ عنده، فلمّا أخذا ابن قيس عادا فلقيا في الطريق ابناً لعُمارة بن زياد العبسيّ وابن عمّ له، فأخذاهما وقتلاهما مع ابن قيس.

فلمّا بلغ ذلك بني عبس أخذوا ما كانوا جمعوا من الديات، فحملوا عليه الرجال واشتروا السلاح. ثمّ خرج قيس في جماعة فلقوا ابناً لحُذَيفة، ومعه فوارس من ذبيان فقتلوهم. فجمع حُذيفة وسار إلى عبْس، وهم على ماء يقال له عُراعر[1]، فاقتتلوا، فكان الظفر لفزارة ورجعت سالمةً.

وجدّ حُذيفة في الحرب، وكَرِهها أخوه حَمَل وندم على ما كان، وقال لأخيه في الصلح، فلم يجبْ إلى ذلك، وجمع الجموع من أسد وذبيان وسائر بطون غطفان، وسار نحو بني عبس، فاجتمعتْ عبس وتشاوروا في أمرهم، فقال لهم قيس بن زهير: إنّه قد جاءكم ما لا قِبَلَ لكم به، وليس لبني بدر إلاّ دماؤكم والزيادة عليكم، وأمّا مَنْ سِواهم فلا يريدون غير الأموال والغنيمة، والرأيُ أنّنا نترك الأموالَ بمكانها، ونترك معها فارسَيْن على داحس، وعلى فرس آخر جوادٍ، ونرحل نحن ونكون على مرحلة من المال، فإذا جاء القومُ إلى الأموال سار إلينا الفارسان فأعلمانا وصولهم، فإنّ القوم يشتغلون بالنهب وحيازة الأموال، وإنْ نهاهم ذوو الرأي عن ذلك فإنّ العامّة تخالفهم وتنتقض تعبيتَهُم، ويشتغل[2] كلّ إنسان بحفظ ما غَنِمَ، ويعلّقون أسلحتهم على ظهور الإبل ويأمنون. فنعود نحن إليهم عند وصول الفارسَيْن، فندركهم وهم على حال تفرّقٍ وتشتّتٍ، فلا يكون لأحدهم همّة إلاّ نفسه.

ففعلوا ذلك، وجاء حُذيفة ومن معه فاشتغلوا بالنهب، فنهاهم حُذيفةُ وغيره فلم يقبلوا منه، وكانوا على الحال التي وصف قيس. وعادت بنو عبْس وقد تفرّقتْ أسدُ وغيرهم، وبقي بنو فزارة في آخر الناس، فحملوا عليهم من جوانبهم فقُتل مالك بن

---

(١) عُراعِر: بالضمّ في أوله، وكسر العين الثانية. اسم ماء ملح لبني عميرة، وهي أرض سبخة. وقيل: ماءة مرّة بعدنة في شمالي الشربة. وقيل ماء لكلب بناحية الشام. (معجم البلدان ٤/٩٣).

(٢) في النسخة (ت): «يستقل».

سبيع[1] التغلبيّ سيّد غطفان، وانهزمت فزارة وحُذيفة معهم، وانفرد في خمسة فوارس وجدّ في الهرب. وبلغ خبره بني عبْس، فتبعه قيس بن زُهَيْر والربيع بن زياد وقِرْواش بن عمرو بن الأسلع وريّان بن الأسلَع الذي قتل حُذيفة ابنَيْه، وتبعوا أثرهم في الليل، وقال قيس: كأنّي بالقوم وقد وردوا جَفْر الهَباءة[2] ونزلوا فيه، فساروا ليلتهم كلّها حتّى أدركوهم مع طلوع الشمس في جَفْر الهَباءة في الماء وقد أرسلوا خيولهم فأخذوا بجمعها[3]، فحال قيس وأصحابه بينهم وبينها، وكان مع حُذَيفة في الجفْر أخوه حَمَل بن بدر وابنه حِصْن[4] بن حُذيفة وغيرهم. فهجم عليهم قيس والربيع ومَنْ معهما وهم ينادون: لبّيكم! يعني أنّهم يجيبون نِداء الصبيان لمّا قُتلوا ينادون: يا أبتاه! فقال لهم قيس: يا بني بكر كيف رأيتم عاقبة البغي؟ فناشدوهم الله والرحِمَ، فلم يقبلوا منهم. ودار قِرْواش بن عمرو حتّى وقف خلف ظهر حُذَيفة، فضربه فدقّ صُلبه، وكان قرواش قد ربّاه حُذيفة حتّى كبُر عنده في بيته، وقتلوا حَمَلا أخاه، وقطعوا رأسَيْهما، واستبقوا حِصْن بن حُذيفة لصباه.

وكان عدد مَنْ قُتل في هذه الوقعة من فزارة وأسد وغطفان ما يزيد على أربعمائة قتيل، وقُتل من عبس ما يزيد على عشرين قتيلاً، وكانت فزارة تسمّي هذه الوقعة البوار.

وقال قيس بن زهير:

أقام على الهَبَاءة[5] خيرُ مَيْتٍ ... وأكرمُهُ حُذَيْفة لا يَريمُ

لقد فُجعتْ به قيسٌ جميعاً ... موالي القوم والقوم الصميمُ

وعُمّ به لمقتله بعيدٌ ... وخُصّ به لمقتله حَميمُ

وهي طويلة؛ وقال أيضاً:

ألم ترَ خير الناس أمْسى[6] ... على جَفْرِ الهَباءة لا يَريمُ

فلولا ظُلْمُهُ ما زلتُ أبكي ... عليه الدهرَ ما طلعَ النجومُ

ولَكنّ الفتى حَمَلَ بن بدر ... بَغَى والبَغْيُ مرتعهُ[7] وخيمُ

---

(١) في النسخة (ي): «الأسلع».

(٢) اسم بئر بأرض الشرَبَّة. (معجم البلدان ١٤٧/٢) وانظر عن يوم الهباءة في العقد الفريد ١٥٦/٥، ونهاية الأرب ٣٦٠/١٥، وكتاب النقائض ٩٥ طبعة أوربة، والأغاني ٣١/١٦ طبعة بولاق.

(٣) في النسختين: (ب) و(ر): «لجمها»، وفي النسخة (ي): «لحميها».

(٤) في النسختين: (ت) و(ي): «حصين».

(٥) هي الأرض التي ببلاد غطفان.

(٦) في معجم البلدان ٣٨٩/٥، ومعجم ما استعجم ١٣٤٤/٤، والأغاني ٢٠٦/١٧، والنقائض ٩٦ «تعلم أنّ خير الناس ميتٌ»

(٧) في معجم البلدان: «مصرعه».

وأكثروا القول في يوم الهَباءة[1].

ثمّ إنّ عبْساً ندِمت على ما فعلتْ يوم الهَباءة، ولام بعضهم بعضاً، فاجتمعت فزارة إلى سِنان بن أبي حارثة المُرّيّ، وشكوا إليه ما نزل بهم، فأعظمه وذمّ عبْساً، وعزم على أن يجمع العرب ويأخذ بثأر بني بدر وفزارة، وبثّ رُسُلَه. فاجتمع من العرب خلقٌ كثير لا يُحْصون، ونهى أصحابه عن التعرّض إلى الأموال والغنيمة وأمرهم بالصبر، وساروا إلى بني عبس. فلمّا بلغهم مسيرهم إليهم قال قيس: الرأي أنّنا لا نلقاهم، فإنّنا وقد وَتَرناهم فهم يطالبوننا بالذحول والطوائل، وقد رأوا ما نالهم بالأمس باشتغالهم بالنهب والمال، فهم لا يتعرّضون إليه الآن، والذي ينبغي أن نفعله أنّنا نرسل الظعائن والأموال إلى بني عامر، فإنّ الدم لنا قبلهم، فهم [لا] يتعرّضون لكم، ويبقى أولو القوّة والجَلَد على ظهور الخيل، ونُماطلهم القتال، فإن أبوا إلاّ القتال كنّا قد أحرزنا أهلينا وأموالنا، وقاتلناهم وصبرنا لهم، فإن ظفرنا فهو الذي نريد، وإن كانت الأخرى كنّا قد احترزنا ولحِقنا بأموالنا ونحن على حامية.

ففعلوا ذلك، وسارت ذُبيان ومَنْ معها فلحِقوا بني عبس على ذات الجُراجِر[2]، فاقتتلوا قتالاً شديداً يومهم ذلك وافترقوا. فلما كان الغد عادوا إلى اللقاء فاقتتلوا أشدّ من اليوم الأوّل، وظهرت في هذه الأيّام شجاعة عنترة بن شدّاد. فلمّا رأى الناسُ شدّة القتال وكثْرَة القتلى لاموا سِنان بن أبي حارثة على منعه حُذيفة عن الصلح، وتطيّروا منه، وأشاروا عليه بحقن الدماء ومراجعة السلم، فلم يفعل وأراد مراجعة الحرب في اليوم الثالث. فلمّا رأى فتور أصحابه وركونَهم إلى السلم رحل عائداً. فلمّا عاد عنهم رحل قيس وبنو عبْس إلى بني شيبان بن بكر وجاوروهم وبقوا معهم مدّةً، فرأى قيس من غلمان شيبان ما يكرهه من التعرّض لأخْذ أموالهم فرحلوا عنهم، فتبعهم[3] جمع من شيبان، فلقيتهم بنو عبْس واقتتلوا، فانهزمت شيبان، وسارت عبْس إلى هَجَر ليحالفوا ملكهم، وهو معاوية بن الحارث[4] الكنديّ، فعزم معاوية على الغارة عليهم ليلاً، فبلغهم الخبرُ فساروا عنه مُجِدّين، وسار معاوية مُجِدّاً في أثرهم، فتاه بهم الدليلُ على عَمْدٍ لئلاّ يدركوا عبساً إلاّ وهم قد لحِقهم ودوابّهم النَّصَبُ، فأدركوهم بالفَرُوق[5] فاقتتلوا قتالاً شديداً،

---

(١) أنظر أبياتاً، وقولاً آخر لقيس بن زهير في هذا اليوم في المعجم، والأغاني، والنقائض.

(٢) ذات الجُراجر: بجيمين، وراءين مهملتين، وضمّ أوله. (معجم ما استعجم ٢/٣٧٣) وفي أسفل جُراجر عيون فيها نخل لقريش وبني ليث، وهو وادٍ لجُهَينة. (معجم ما استعجم ٤/١٣١٠ مادّة «نصع»).

(٣) في النسخة (ي): «فلحقهم».

(٤) في النسخة (ر): «حون».

(٥) الفَرُوق: بالفتح، عقبة دون هَجَر إلى نجد، بين هجر ومهبّ الشمال. (معجم البلدان ٤/٢٥٨) وانظر يوم الفروق في: العقد الفريد ٥/١٥٨ ونهاية الأرب ١٥/٣٦٢.

فانهزم معاويةُ وأهلُ هَجَر، وتبِعتهم عبْس فأخذت من أموالهم، وقتلوا منهم ما أرادوا ورجعوا سائرين، فنزلوا بماء يقال له عُراعر[1] عليه حيّ من كلب، فركبوا ليقاتلوا بني عبْس، فبرز الربيع وطلب رئيسهم، فبرز إليه، واسمه مسعود بن مصاد[2]. فاقتتلا حتى سقطا إلى الأرض، وأراد مسعود قتل الربيع، فانحسرت البيضةُ عن رقبته، فرماه رجل من بني عبس بسهم فقتله، فثار به الربيع فقطع رأسه، وحملت عبس على كلب والرأس على رمح، فانهزمت كلب، وغنمت عبس أموالهم وذراريهم، فساروا إلى اليمامة فحالفوا أهلها من بني حنيفة، وأقاموا ثلاث سنين، فلم يُحْسنوا جوارهم، وضيّقوا عليهم فساروا عنهم، وقد تفرّق كثير منهم وقُتل منهم، وهلكت دوابّهم ووَتَرَهم[3] العربُ، فراسلتهم بنو ضَبّة وعرضوا عليهم المقام عندهم ليستعينوا بهم على حرب تميم، ففعلوا وجاوروهم.

فلمّا انقضى الأمرُ بين ضبّة وتميم تغيّرتْ ضبّة لعبْسٍ، وأرادوا اقتطاعهم، فحاربتهم عبس فظفرت، وغنمت من أموال ضبّة، وسارت إلى بني عامر، وحالفوا الأحْوص بن جعفر بن كلاب، فسُرّ بهم ليقوى بهم على حرب بني تميم، لأنّه كان بلغه أنّ لَقيط بن زُرارة يريد غزو بني عامر والأخذ بثأر أخيه مَعْبد، فأقامت عبْس عند بني عامر، فقصدتْهم تميم، وكانت وقعة شِعْب جَبَلَة، وسنذكره إن شاء الله.

ثمّ إنّ ذُبيان غزوا بني عامر بن صَعْصَعَة، وفيهم بنو عبْس فاقتتلوا، فهُزمت عامر، وأُسر قِرْواش بن هُنيّ العبسيّ ولم يُعْرَفْ. فلمّا قدِموا به الحيّ عرفتْه امرأةٌ منهم، فلمّا عرفوه سلّموه إلى حِصْن بن حُذَيفة فقتله. ثمّ رحلت عبس عن عامر ونزلت بتَيْم الرِّباب، فبغتْ تَيْم عليهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وتكاثرت عليهم تَيْم فقتلوا من عبْس مقتلة عظيمة.

ورحلت عبس وقد ملّوا الحربَ، وقلّت[4] الرجالُ والأموال وهلكت المواشي، فقال لهم قيس: ما ترون؟ قالوا: نرجع إلى إخواننا من ذبيان، فالموت معهم خير من البقاء مع غيرهم. فساروا حتّى قدِموا على الحارث بن عوف بن أبي حارثة المرّيّ، وقيل: على هَرِم بن سِنان بن أبي حارثة ليلاً، وكان عند حِصْن[5] بن حُذَيفة بن بدر. فلمّا عاد ورآهم رحّب بهم وقال: مَنِ القوم؟ قالوا: إخوانك بنو عبس، وذكروا حاجتهم. فقال: نعم وكرامة أُعْلِمُ حصن بن حُذيفة. فعاد إليه وقال: طُرقت في حاجة، قال: أعطيتُها. قال بنو

---

(١) في النسخة (ت): «عرض». وقد مرّ التعريف بعراعر قبل قليل.
(٢) في النسخة (ب): «نصار».
(٣) في النسخة (ب): «ورتتهم»، وفي النسخة (ي): «وزمهم»، وفي النسخة (ت): «وربهم».
(٤) في النسخة (ي): «بلت».
(٥) في النسختين: (ب) و(ي): «حصين».

عبس: وجدتُ وفودَهم في منزلي. قال حصن: صالحوا قومَكم، أمّا أنا فلا أدي ولا أتّدي، قد قتل آبائي وعمومتي عشرين من عبس؛ فعاد إلى عبس وأخبرهم بقول حصن وأخذهم إليه، فلمّا رآهم قال قيس والربيع بن زياد: نحن رُكبان الموت. قال: بل رُكبان السلْم، إن تكونوا اختللتم إلى قومكم فقد اختلّ[1] قومكم إليكم. ثمّ خرج معهم حتّى أتوا سِناناً فقال له: قمْ بأمر عشيرتك وأصلحْ بينهم فإنّي سأعينُك. ففعل ذلك وتمّ الصلح بينهم وعادت عبْس.

وقيل: إنّ قيس بن زهير لم يسِرْ مع عبْس إلى ذبيان وقال: لا تراني غطفانيّةٌ أبداً وقد قتلتُ أخاها أو زوجها أو ولدها أو ابن عمّها، ولكنّي سأتوب إلى ربّي، فتنصّر وساح في الأرض حتّى انتهى إلى عُمان، فترهّب بها زماناً، فلقيه حوج[2] بن مالك العبديّ، فعرفه فقتله وقال: لا رحِمني الله إن رحِمتُك.

وقيل: إنّ قيساً تزوّج في النُّمَيْر بن قاسط لمّا عادت عبْس إلى ذبيان، ووُلد له ولداً اسمه فَضالة، فقدِم على النبيّ، ﷺ، وعقد له على مَنْ معه من قومه، وكانوا تسعة وهو عاشرهم.

انقضى حرب داحس والغبراء، والحمد لله.

يوم شِعْب جَبَلَة[3]

كان لَقيط بن زُرارة قد عزم على غزو بني عامر بن صَعْصَعة للأخذ بثأر أخيه مَعْبد بن زُرارة، وقد ذكرنا موته عندهم أسيراً. فبينما هو يتجهّز أتاه الخبرُ بحِلف بني عبْس وبني عامر، فلم يطمع في القوم، وأرسل إلى كلّ من كان بينه وبين عبْس ذَحْل يسأله الحِلف والتظافر على غزو عبْس وعامر. فاجتمعت إليه أسد، وغطفان، وعمرو بن الجَوْن، ومعاوية بن الجَوْن، واستوثقوا واستكثروا وساروا، فعقد معاوية بن الجون الألوية، فكان بنو أسد وبنو فزارة بلواء مع معاوية بن الجون، وعقد لعمرو بن تميم مع حاجب بن زُرارة، وعقد للرباب مع حسّان بن همّام، وعقد لجماعة من بطون تميم مع

---

(١) في النسخة (ي): «أحوج».

(٢) في النسخة (ب): «جرح»، وفي النسخة (ر): «حوج».

(٣) المحبَّر ٢٤٧ و٤٥٨، جمهرة أنساب العرب ٢٨٥ و ٢٩١، سيرة ابن هشام ١/ ٢٣٠، الروض الأنف ١/ ٢٣٠، العقد الفريد ٥/ ١٤١، الأغاني ١١/ ١٣١، معجم ما استعجم ٢/ ٣٦٥، الاشتقاق ١٤٥، النقائض ٢/ ١١٥، مجمع الأمثال ٢/ ٣٩٨، سبائك الذهب ١١٠، أيام العرب ١٤٩، معجم البلدان ٢/ ١٠٤، نهاية الأرب ١٥/ ٣٥٠، المختصر في أخبار البشر ١/ ٨٠، المفصّل في تاريخ العرب ٥/ ٣٧٢ وما بعدها، ديوان جرير والفرزدق ٢/ ٧٩٠، التنبيه والإشراف ١٧٥.

عمرو بن عُدَس، وعقد لحنظلة بأسرها مع لَقيط بن زُرارة، وكان مع لَقيط ابنته دَخْتَنوس[١]، وكان يغزو بها[٢] معه ويرجع إلى رأيها.

وساروا في جمْع عظيم، لا يشكّون في قتل عبْس وعامر وإدراك ثأرهم، فلقي لقيط في طريقه كَرِب بن صَفْوان بن الحُبَاب السعديّ، وكان شريفاً، فقال: ما منعك أن تسير معنا في غَزَاتنا؟ قال: أنا مشغول في طلب إبلٍ لي. قال: لا بل تريد أن تُنْذِر بنا القوم، ولا أتركك حتّى تحلف أنّك لا تخبرهم، فحلف له، ثمّ ثار عنه وهو مغضب. فلمّا دنا من عامر أخذ خرقة فصرّ فيها حنظلةً وشوكاً وتراباً، وخرقَتَيْن يمانيّتين وخرقة حمراء وعشرة أحجار سود، ثمّ رمى بها حيث يسقون ولم يتكلّم. فأخذها معاويةُ بن قُشَيْر[٣]، فأتى بها الأحوصَ بن جعفر، وأخبره أنّ رجلاً ألقاها وهم يسقون. فقال الأحوص لقيس بن زهير العَبْسيّ: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: هذا من صنع الله لنا، هذا رجل قد أُخذ عليه عهدٌ على أن لا يكلّمكم، فأخبركم أنّ أعداءكم قد غزوكم عددَ التراب، وأنّ شوكتهم شديدة، وأمّا الحنظلة فهي رؤساء القوم، وأمّا الخرقتان اليمانيّتان فهما حيّان من اليمن معهم، وأمّا الخرقة الحمراء فهي حاجب بن زُرارة، وأمّا الأحجارُ فهي عشر ليال يأتيكم القوم إليها[٤]، قد أنذرتُكم فكونوا أحراراً، فاصبروا كما يصبر الأحرار الكرام.

قال الأحوص: فإنّا فاعلون وآخذون برأيك، فإنّه لم تنزل بك شدّة إلّا رأيتَ المخرج منها. قال: فإذا قد رجعتم إلى رأيي فأدخِلوا نَعمكم شِعْب جَبَلَة[٥] ثمّ اظمِئُوها هذه الأيّام ولا توردوها الماء، فإذا جاء القوم أخرجوا عليهم الإبِلَ وانْخُسوها بالسيوف والرماح، فتخرج مذاعِيرَ عطاشاً، فتشغلهم وتفرّق جمعهم، واخرجوا أنتم في آثارها واشفوا نفوسكم. ففعلوا ما أشار به.

وعاد كَرِب بن صفوان فلقي لَقيطاً فقال له: أنذرتَ القوم؟ فأعاد الحلف له أنّه لم يكلّم أحداً منهم، فخلّى عنه. فقالت دَخْتَنُوس ابنةُ لقيط لأبيها: رُدّني إلى أهلي ولا

---

(١) في حاشية النسخة (ر): «دختنوش». والمثبت يتفق مع الأغاني ١١//١٤٤ وانظر عنها في: فصل المقال ٢٨٤، والضبّي ٧ ومجمع الأمثال ٢/١٠، وديوان المعاني للعسكري ٢/٩٢ طبعة القدسي، والفاخر ٩٠ لابن سلمة، مصر ١٩٦٠.

(٢) في النسخة (ب): «يقودها».

(٣) في النسخة (ي): «بشر».

(٤) في النسختين (ب) و(ي): «إلينا».

(٥) شِعْب جَبَلَة: مفتوح الثلاث. جبل ضخم، على مقربة من أُضاخ، بين الشُرَيْف ماء بني نُمَير، وبين الشرف، ماء لبني كلاب. (معجم ما استعجم ٢/٣٦٥) قال في الأغاني ١١/١٣٧: جبلة: جبل عظيم له شِعب عظيم واسع، لا يؤتى الجبل إلا من قِبَل الشِعْب، والشِعب متقارب المدخل وداخله متّسع.

تعرّضني لعبْس وعامر فقد أنذرهم لا محالة. فاستحمقها وساءه كلامها وردّها. وسار حتّى نزل على فم الشِّعْب بعساكر جرّارة كثيرة الصواهـل، وليس لهم همّ إلاّ الماء، فقصـدوه. فقال لهم قيس: أخرِجوا عليهم الآن الإبِل، ففعلوا ذلك، فخرجت الإبِلُ مذاعيرَ عطاشاً، وهم في أعـراضها وأدبـارها[1]، فخبـطت تميماً ومَنْ معهـا وقطّعتهم، وكـانوا في الشِّعْب، وأبـرزتهم إلى الصحـراء على غيـر تعبيـة. وشُغلوا عن الاجتمـاع إلى ألـويتهم، وحملت عليهم عبْس وعـامر، فـاقتتلوا قتالاً شـديـداً، وكثـرت القتلى في تميم، وكان أوّل من قُتـل من رؤسائهم عمرو بن الجَـوْن، وأسر معـاوية بن الجـون وعمرو بن عمـرو بن عُدُس زوج دَخْتَنُوس بنت لَقيط، وأُسر حاجب بن زُرارة، وانحاز لَقِيط بن زُرارة، فدعا قومه وقد تفرّقوا عنه، فاجتمع إليه نفر يسير، فتحرّز برايته فوق جُرف، ثمّ حمل فقتل فيهم ورجع وصاح: أنا لَقيط، وحمل ثانيةً فقتل وجرح وعاد، فكثر جمعه، فانحطّ الجُرْف بفرسه، وحمل عليه عنترةُ فطعنه طعنة قصم بها صُلبه، وضربه قيس بـالسيف فألقـاه متشحّطاً في دمـه، فذكـر ابنتَه دَخْتَنُوس فقال:

يـا ليتَ شَعْرِي عنـكِ دَخْتَنُـوسُ ... إذا أتـاهــا الخبـرُ المـرمـوسُ[2]
أتَــحْـلقِ الـقـرونَ أم تَـمِسُ[3] ... لا بــلْ تَــمـيسُ إنّــهـا عَــروسُ

ثمّ مات وتمّت الهزيمة على تميم وغطفان، ثمّ فدوا حاجباً بخمسمـائة من الإبـل، وفدوا عمرو بن عمـرو بمائتَيْن من الإبـل، وعاد من سلم إلى أهله وقـالت دَخْتَنُوسُ تـرثي أباها قصائد، منها:

عثـرِ الأغـرُّ[4] بخيـرِ خِنـ ... ـدِفَ كـهلِهـا وشـبـابـهـا
وأضـرِّهـا لـعـدوّهـا ... وأفـكِّـهـا لـرقـابـهـا
وقـريـعِهـا ونـجيـبِـهـا ... فـي المُـطْبِقـاتِ ونـابها
ورئـيسِـهـا عـنـد الـملو ... ك وزَيْـنِ يـوم خـطابـهـا
وأتـمِّـهـا نـسـبـاً إذا ... رجعـت إلى أنسـابـهـا[5]

---

(١) في النسخة (ي): «وأثارها».
(٢) في الأغاني ١١/١٤٤: «إذا أتاكَ الخبر المَرْسُوسُ».
(٣) في الشعر والشعراء ٢/٦٠٠: «أتخمش الخدّين».
(٤) في الأغاني ١١/١٤٦: «بَكَر النَّعِيّ».
وفي العقد الفريد ٥/١٤٤ ونهاية الأرب ١٥/٣٥٣ ورد:
عـن خـيـر خِـنْـدَفَ كـلّهـا ... مـن كـهـلهـا وشـبـابـهـا
(٥) في العقد الفريد ٥/١٤٤ ونهاية الأرب ١٥/٣٥٣.
وأتـمِّـهَـا حـسـبـاً إذا ... ضُـمَّـت إلـى أحـسـابـهـا

فَـرَعَـى[١] عمـوداً لـلعشيـ ـرة رافـعـاً لـنـصـابـهـا
ويـعـولـهـا ويـحـوطـهـا ويـذبّ عـن أحسـابـهـا
ويـطا مـواطـن[٢] لـلعـد وّ فـكـان لا يُـمْشَى بـهـا
فعْـلَ المُـدِلّ مـن الأسـو د لـحَـيْـنـهـا وتـبـابـهـا
كـالـكـوكـب الـدُّرّيّ فـي سـمـاءَ[٣] لا يـخـفـى بـهـا
عـبِـث الأغـرُّ بـه وكـ ـلُّ مـنـيّـة لـكـتـابـهـا
فـرّتْ بـنـو أسـد فـرا رَ[٤] الـطيـرِ عـن أربـابهـا
وهَـوازنٌ أصـحـابـهـم كـالـفـأر فـي أذنـابـهـا[٥]

وذكر محمّد بن إسحاق في يوم جَبَلَة غير ما ذكرنا، قال: كان سببه أنّ بني خِنْدفَ كان لهم على قيس أكلٌ تأكله[٦] القُعدُد من خِنْدَف، فكان ينتقل فيهم حتّى انتهى إلى تميم، ثمّ من تميم إلى بني عمرو بن تميم، وهم أقلّ بطن منهم وأذلّه، فأبت قيس أن تعطي الأكل وامتنعت منه، فجمعت تميم وحالفت غيرها من العرب وساروا إلى قيس، فذكر القصّة نحو ما تقدّم وخالف في البعض، فلا حاجة إلى ذكره.

وفي هذا اليوم وُلد عامر بن الطّفَيْل العامريّ[٧].

وقد قال بعض العلماء إنّ المجوسيّة كان يدين بها بعض العرب بالبحرَيْن، وكان زُرارة بن عُدُس وابناه حاجب ولقيط والأقرع بن حابس وغيرهم مجوساً، وإنّ لقيطاً تزوّج ابنتَهُ دَخْتَنُوس وسمّاها بهذا الاسم الفارسيّ، وإنّه قُتل وهي تحته، فقال في ذلك:

يـا لـيـتَ شعـري عنـكِ دَخْتَنـوس

الأبيات. والأول أصحّ، والله أعلم.

---

(١) في النسخة (ت): «فرعا».
(٢) في النسخة (ر): «مواطى».
(٣) في الطبعة الأوربية «سيماء».
(٤) في النقائض، والأغاني «حُرُودَ». والمثبت يتّفق مع العقد الفريد، ونهاية الأرب.
(٥) راجع الأبيات مع تقديم وتأخير، واختلاف في الألفاظ، في النقائض ٦٦٦ طبعة أوربة، الأغاني ١١/١٤٦، والعقد الفريد ٥/١٤٤، ونهاية الأرب ١٥/٣٥٣.
(٦) في النسخة (ر): «يأخذه».
(٧) قال أبو الفرج في الأغاني ١١/١٣٧، ١٣٨: كانت كبشة بنت عروة الرّحّال بن عتبة بن جعفر بن كلاب يومئذ حاملاً بعامر بن الطفيل، فقالت: ويلكم يا بني عامر ارفعوني، فوالله إنّ في بطني لَعِزّ بني عامر. . . فزعموا أنها ولدت عامراً يوم فرغ الناس من القتال.

يوم ذات نَكِيف[1]

كان بنو بكر بن عبد مَناة بن كِنانـة مُبغضين لقُرَيْش، مضـطَّغنين عليهم ما كـان من قُصَيّ حين أخرجهم من مكّة، مع مَنْ أخرج من خُـزاعة، حين قسّمهـا رباعـاً وخِططاً بين قريش. فلمّا كانوا على عهد عبد المطّلب همّوا بإخراج قـريش من الحرم، وأن يقـاتلوهم حتّى يغلبوهم عليه، وعَدَتْ بنو بكر على نعَمٍ لبني الهُون بن خُزَيْمة فاطّردوها، ثمّ جمعوا جموعهم، وجمعتْ قريش جموعهم واستعدتّ، وعقد عبد المطّلب الحلف بين قريش والأحابيش، وهم بنو الحارث بن عبد مَناة، وبنو الهُون بن خُزَيْمة بن مُدْركة، وبنو المُصْطَلق من خُزاعة، فلقوا بني بكر ومن انضمّ إليهم، وعلى الناس عبد المطّلب، فاقتتلوا بذات نَكيف، فانهزم بنو بكر وقُتلوا قتلاً ذريعاً، فلم يعودوا لحرب قريش، قال ابن شُعلة[2] الفِهْريّ:

فللّه عينَـا مَنْ رأى مـن عصـابـة ... غَـوَتْ غَيَّ بكـر يـومَ ذات نَكيفِ
أنـاخـوا إلى أبيـاتنـا ونسـائنـا ... فكانوا لنا ضيفاً[3] بشـرّ[4] مَضيفِ[5]

فقتل يومئـذ عبدُ بن السفّـاح القاريّ من القـارة: قَتادةَ بن قيس أخـا بَلْعاء بن قيس، واسم بلعاء مُساحق[6].

ويومئذ قيل:

قد أنصف القارةَ من راماها.

والقـارة من ولد الهـوْن بن خُزَيْمـة، وهو من ولـد عَضَل[7] بن الـدِّيش؛ قـال رجـل منهم:

دعـونـا قـارةً لا تُـنْـفـرونـا ... فـنُجْـفِـلَ مثـل إجفـال الـظليم

---

(١) ذو نكيف: موضع من ناحية يلَمْلَم من نواحي مكة. (معجم البلدان ٥/٣٠٣).
والخبر عن يوم نكيف موجود في كتاب «المنمّق» لابن حبيب ٨٣ ـ ٨٥، وأنساب الأشراف للبلاذري ١/٧٥ ـ ٧٧.

(٢) في النسخة (ر): «سعد»، والمثبت يتفق مع مصادر الخبر.

(٣) في النسخة (ي): «يوماً».

(٤) في النسخة (ب): «لشرّ». وفي معجم البلدان ٥/٣٠٣ «كشرّ».

(٥) البيتـان في معجم البلدان، والمنمّق لابن حبيب ٨٤، وأنسـاب الأشـراف ١/٧٦، والبيـت الأول فقط في كتاب «المرصّع» لابن الأثير ٣٣٦.

(٦) أنظر عنه في: نسب قريش ٣٩٢، والمحبَّر ١٩٥، جمهرة أنساب العرب ١٨١، الحيوان ٥/١٦٧، المعارف ٥٨٠.

(٧) في النسخة (ب): «عضلة».

وقيل: بهذا البيت سُمّوا قارةً[1].
وكان يقال للقارة: رُماة الحَدَق[2].

ذِكْر الفِجار[3] الأوّل والثاني

أمّا الفِجار الأوّل[4] فلم يكن فيه كثيرُ أمرٍ ليُذْكر، وإنّما ذكرناه لئـلاّ يُرَى ذِكْـر الفِجار الثـاني، وما كـان [فيه] من الأمـور العظيمـة، فيُظَنّ أنّ الأوّل مثله وقـد أهملنـاه، فلهـذا ذكرناه.

قال ابن إسحاق: كان الفِجار الأوّل بين قريش ومن معها من كِنانة كلّها، وبين قيس عَيْلان. وسببه أنّ رجلاً من كِنانة كان عليه دَيْن لرجـل من بني نصر بن معـاوية بن بكـر بن هوازن، فأُعدم الكنانيّ، فوافى النصريّ سـوق عُكاظ بقـرد وقال: من يبيعني [5] مثـل هذا بما لي على فلان الكِنانيّ؟ فعل ذلك تعييراً للكِنانيّ وقومه، فمرّ به رجلٌ من كِنانة فضرب القرد بالسيف فقتله أنفةً ممّا قال النصريّ، فصرخ النصريّ في قيس، وصـرخ الكِنانيّ في كِنانة، فاجتمع الناسُ وتحاوروا حتّى كاد يكون بينهم القتال، ثمّ اصطلحوا.

وقيـل: كان سببـه أنّ فتيةً من قـريش قعدوا إلى امـرأة من بني عامـر، وهي وضيئـة عليها بُرْقُع، فقالوا لها: اسْفِري لننظر إلى وجهك، فلم تفعل. فقام غلام منهم فشكّ ذيل درعها[6] إلى ظهرها ولم تشعر، فلمّا قامت انكشفت دُبُرُها، فضحكوا وقالوا: منعْتِنا النـظرَ إلى وجهك، فقد نظرنا إلى دُبرِك. فصاحت المرأةُ: يا بني عـامر فُضِحْتُ! فـأتاهـا الناس واشتجروا[7]، حتّى كاد يكون قتال، ثمّ رأوا أنّ الأمرَ يسير فاصطلحوا.

وقيل: بل قعد رجل من بني غِفار[8] يقال له أبو معشر بن مِكْرز، وكان عازماً[9] منيعاً

---

(١) أنظر معجم البلدان ٤/٢٩٥.
(٢) الخبر بطوله في المنمّق، وأنساب الأشراف.
(٣) الفِجار: بكسر الفاء. سُمِّيت بذلك لأنها كانت في الأشهر الحرم، وهي الشهور التي يحرّمونها ففجروا فيها.
(٤) أنظر عن الفجار الأول في: سيـرة ابن هشام ١/٢٠٩، والعقـد الفريـد ٥/٢٥١، والروض الأنف ١/٢٠٩، ونهـاية الأرب ١٥/٤٢٣، والمعارف ٦٠٣، ومروج الذهب ٢/٢٧٥، والمفصّل في تاريخ العرب ٥/٣٨٠، وفيه الفجار الثالث، والعمدة ٢/٢٠٧ و ٢١٩، وأيام العرب ٣٢٥، والسيرة الحلبية ١/١٤١، وتاريخ الخميس ١/٢٥٥ والأغاني ٢٢/٥٤.
(٥) في النسخة (ت): «يكتفي».
(٦) في العقد الفريد ٥/٢٥٢ «فشدّ دُبُر دِرْعها»، والمثبت يعني أنه جمعه إلى ما فوقـه بشوكـة، كما في الأغـاني ٢٢/٥٥، ٥٦.
(٧) في النسخة (ر): «واستجيروا».
(٨) في النسختين (ب) و(ي): «غفان»، وفي النسخة (ر): «عقال».
(٩) في النسختين (ب) و(ي): «غازياً».

في نفسه، وكان بسوق عُكاظ، فمدّ رِجْله ثمّ قال:

نحن بنو[1] مُدْركة بن خِنْدِفْ مَنْ يطعنوا في عينه لا يَطْرِفْ
ومَن يكونوا قومَهُ يُغَطْرَف كأنّه لُجّة بحر مُسْدِفْ[2]

أنا والله أعزّ العَرَب، فمن زعم أنّه أعزّ منّي فلْيضرِبْها بالسيف. فقام رجل من قيس يقال له أحمر بن مازن فضربها بالسيف، فخرشها خرشاً غير كثير، فاختصم الناسُ ثمّ اصطلحوا.

(بنو نصر: بالنون).

وأمّا الفِجار الثاني[3]، وكان بعد الفيل بعشرين سنة، وبعد موت عبد المطّلب باثنتيْ عشرة سنة، ولم يكن في أيّام العرب أشهر منه ولا أعظم، فإنّما سُمّي الفِجار لِما استحلّ الحيّان: كِنانة وقيس فيه من المحارم، وكان قبله يوم جَبَلَة، وهو مذكور من أيّام العرب، والفجار أعظم منه.

وكان سببه أنّ البرّاض بن قيس بن رافع الكِنانيّ، ثم الضَّمْريّ، كان رجلاً فاتكاً خليعاً[4]، قد خلعه قومُه لكثرة شرّه، وكان يُضْرب المثل بفتكه فيقال: «أفْتَكْ من البرّاض».

قال بعضهم:

والفتى مَنْ تعرّفته الليالي فَهْوَ فيها كالحيّة النضناضِ
كلّ يوم له بصرْف الليالي فتكةٌ مثلُ فتكة البرّاضِ

فخرج حتّى قدِم على النُّعمان بن المنذر، وكان النُّعمان يبعث كلّ عام بلطيمة للتجارة إلى عُكاظ، تُباع له هناك[5]، وكان عُكاظ، وذو المجاز، ومجنّة، أسواقاً تجتمع بها العرب كلّ عام، إذا حضر الموسم، فيأمن بعضهم بعضاً، حتّى تنقضي أيّامها، وكانت مجنّة بالظَّهْران، وكانت عُكاظ بين نخلة والطائف، وكان ذو المجاز بالجانب الأيسر، إذا وقفتَ على الموقف، فقال النعمان، وعنده البرّاض، وعُرْوة بن عُتبة بن جعفر بن كلاب،

---

(١) في الأصل «أنا ابن».

(٢) في طبعة صادر ١/٥٨٩ «يسرف» بالراء، وهو خطأ، والتصحيح من العقد الفريد ٥/٢٥١، ونهاية الأرب ١٥/٤٢٣، والأغاني ٢٢/٥٥ ومسدف: مظلم.

(٣) أنظر عنه في: العقد الفريد ٥/٢٥٣، سيرة ابن هشام ١/٢٠٩، المعارف ٦٠٣، نهاية الأرب ١٥/٤٢٥، السيرة الحلبية ١/١٤٢، المحبّر ١٩٥، ١٩٦.

(٤) المحبّر ١٩٢.

(٥) أنظر حول ذلك: الأغاني ٢٢/٥٧، وأنساب الأشراف ١/١٠٠، ١٠١.

المعروف بالرحّال، ـ وإنّما قيل له ذلك لكثرة رحلته إلى الملوك ـ: مَنْ يُجيز لي لطيمتي هذه حتّى يُبلغها عُكاظ؟ فقال البرّاض: أنا أُجيزها، أبيتَ اللعن، على كِنانة. فقال النعمان: إنّما أريد مَنْ يُجيزها على كِنانة وقيس! فقال عُروة: أكلبٌ خليع يُجيزها لك، أبيتَ اللعنَ! أنا أجيزها على أهل الشيح والقيصوم من أهل تِهامة، وأهل نجد. فقال البرّاض، وغضب: وعلى كِنانة تُجيزها يا عُرْوة؟ قال عُروة: وعلى[1] الناس كلّهم.

فدفع النعمان اللطيمةَ إلى عُروة الرحّال، وأمره بالمسير بها، وخرج البرّاضُ يتبع أثره، وعُروة يرى مكانه، ولا يخشى منه، حتّى إذا كان [عُروة] بين ظهرَيْ قومه، بوادٍ يقال له تَيْمَن، بنواحي فَدَك، أدركه البرّاضُ بن قيس، فأخرج قداحه يستقسم بها في قتل عُروة، فمرّ به عُروة فقال: ما تصنع يا برّاض؟ فقال: أستقسم في قتلك أَيُؤذَن لي أم لا. فقال عروة: استُك أضْيق من ذلك! فوثب إليه البرّاض بالسيف فقتله. فلمّا رآه الذين يقومون على العير والأحمال قتيلاً انهزموا، فاستاق البرّاضُ العيرَ وسار على وجهه إلى خَيْبَر، وتبعه رجلان من قيس ليأخذاه، أحدهما غَنَويّ، والآخر غطفانيّ، اسم الغنويّ أسد بن جُوَيْن[2]، واسم الغَطَفانيّ مُسَاور بن مالك، فلقيهما البرّاض بخيبر أوّل الناس، فقال لهما: مَنِ الرجلان؟ قالا: من قيس، قدِمنا لنقتل البرّاض. فأنزلهما وعَقَل راحلتَيْهما، ثمّ قال: أيُّكما أجرأ عليه وأجْوَد سيفاً؟ قال الغطفانيّ: أنا. فأخذه ومشى معه ليدلّه بزَعْمه على البرّاض، فقال للغنويّ: احفظْ راحلتَيْكما، ففعل، وانطلق البرّاض بالغطفانيّ: حتّى أخرجه إلى خربة في جانب خيبر، خارجاً من البيوت، فقال للغطفانيّ: هو في هذه الخربة إليها يأوي، فأمهِلني حتّى أنظر أهو فيها. فوقف ودخل البرّاض ثمّ خرج فقال: هو فيها وهو نائم، فأرِني سيفك حتّى أنظر إليه أضاربٌ هو أم لا، فأعطاه سيفه، فضربه به حتّى قتله، ثمّ أخفى السيفَ، وعاد إلى الغنويّ فقال له: لم أر رجلاً أجبن من صاحبك، تركتُهُ في البيت الذي فيه البرّاض وهو نائم، فلم يقدم عليه. فقال: انظرْ لي[3] مَنْ يحفظ الراحلتَيْن حتّى أمضي إليه فأقتله. فقال: دعهما وهما عليّ، ثمّ انطلقا إلى الخربة، فقتله وسار بالعير إلى مكّة[4]، فلقي رجلاً من بني أسد بن خُزَيْمة، فقال له البرّاض: هل لك إلى أن أجعل لك جُعلاً، على أن تنطلق إلى حرب بن أُميّة وقومي، فإنّهم قومي وقومك، لأنّ أسد بن خُزَيْمة من خِنْدف أيضاً، فتخبِرهم أنّ البرّاض بن قيس قتل عُروة الرحّال، فلْيحذروا قيساً! وجعل له عَشْراً من الإبل. فخرج

---

(١) في الأصل «ومن».

(٢) في النسخة (ت): «خزيمة».

(٣) في النسخة (ب): «أتعرف لي».

(٤) الخبر في العقد الفريد ٥/٢٥٥، وانظر تاريخ اليعقوبي ٢/١٥.

الأسديّ حتّى أتى عُكاظ، وبها جماعة [من] الناس، فأتى حربَ بنَ أميّة فأخبره الخبر، فبعث إلى عبد الله بن جُدعان التيميّ، وإلى هشام بن المُغيرة المخزوميّ، وهو والد أبي جهلٍ، وهما من أشراف قريش وذوي السنّ منهم، وإلى كلّ قبيلة من قريش أحضر منها رجلاً، وإلى الحُلَيس[1] بن يزيد الحارثيّ، وهو سيّد الأحابيش، فأخبرهم أيضاً. فتشاوروا وقالوا: نخشى من قيس أن يطلبوا ثأر صاحبهم منّا، فإنّهم لا يرضون أن يقتلوا به خليعاً من بني ضَمْرة. فاتّفق رأيهم على أن يأتوا أبا براء عامر بن مالك بن جعفر بن كِلاب مُلَاعبَ الأسنّة، وهو يومئذ سيّد قيس وشريفها، فيقولوا له: إنّه قد كان حدث بين نجد وتِهامة، وإنّه لم يأتنا علمه، فأجِزْ بين الناس حتّى تَعلم وتُعلم.

فأتوه وقالوا له ذلك، فأجاز بين الناس وأعلم قومه ما قيل له، ثمّ قام نفر من قريش فقالوا: يا أهل عُكاظ إنّه قد حدث في قومنا بمكّة حدثٌ أتانا خبره، ونخشى إن تخلّفنا عنهم أن يتفاقم الشرّ، فلا يروعنّكم تحمّلُنا. ثمّ ركبوا على الصعب والذُّلول إلى مكّة. فلمّا كان آخر اليوم أتى عامرَ بن مالك ملاعب الأسنّة الخبرُ فقال: غدرتْ قريشٌ، وخدعني حرب بن أميّة، والله لا تنزل[2] كِنانة عُكاظَ أبداً. ثمّ ركبوا في طلبهم حتى أدركوهم بنخلة، فاقتتل القومُ، فاشتعلتْ قيس، فكادت قريش تنهزم، إلّا أنّها على حاميتها تبادر دخول الحرم ليأمنوا به. فلم يزالوا كذلك حتّى دخلوا الحرم مع الليل، وكان رسول الله، ﷺ، معهم، وعمره عشرون سنة[3].

وقال الزُّهريّ: لم يكن معهم، ولو كان معهم لم ينهزموا[4].

وهذه العلّة ليست بشيء، لأنّه قد كان بعد الوحي والرسالة ينهزم أصحابه ويُقْتَلون، وإذا كان في جمْعٍ قبل الرسالة وانهزموا فغير بعيد.

ولمّا دخلت قريش الحرم عادت عنهم قيس وقالوا لهم: يا معشر قريش إنّا لا نترك دم عُروة وميعادنا عُكاظ في العام المقبل؛ وانصرفت إلى بلادها يحرّض بعضها بعضاً، ويبكون عُرْوة الرحّال.

ثمّ إنّ قيساً جمعتْ جموعها ومعها ثقيف وغيرها، وجمعت قريش جموعها، منهم كِنانة جميعها، والأحابيش، وأسد بن خُزَيْمَة، وفرّقت قريش السلاح في الناس، فأعطى

---

(١) في الطبعة الأوربية «الجليس»، والتصحيح من أنساب الأشراف ١/١٠١، والأغاني ٢٢/٥٩.

(٢) في النسخة (ي): «تترك».

(٣) سيرة ابن هشام ١/٢١٠، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية - بتحقيقنا) ٦١، الأغاني ٢٢/٧٣.

(٤) أنساب الأشراف ١/١٠٣.

عبدُ الله بن جُدعان مائة رجل سلاحاً تامّاً، وفعل الباقون مثله[1].

وخرجت قريش للموعد على كلّ بطن منها رئيس، فكان على بني هاشم: الزّبَيْر بن عبد المطّلب، ومعه رسول الله، ﷺ، وإخوته أبو طالب، وحمزة، والعبّاس بنو عبد المطّلب.

وعلى بني أُميّة وأحلافها: حرب بن أُميّة.
وعلى بني عبد الدار: عِكْرِمةُ بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدار.
وعلى بني أسد بن عبد العُزّى: خُوَيْلَدُ بن أسد.
وعلى بني مخزوم: هشام بن المُغيرة أبو أبي جهل.
وعلى بني تَيْم: عبدُ الله بن جُدعان.
وعلى بني جُمَح: مَعْمر[2] بن حَبيب بن وهب.
وعلى بني سَهْم: العاص بن وائل.
وعلى بني عديّ: زيدُ بن عمرو بن نُفَيْل، والد سعيد بن زيد.
وعلى بني عامر بن لؤيّ: عمرو بن عبد شمس، والد سُهَيْل بن عمرو.
وعلى بني فِهْر: عبدُ الله بن الجرّاح، والد أبي عُبَيْدة.
وعلى الأحابيش: الحُلَيْس بن يزيد، وسفيان[3] بن عُوَيْف[4] هما قائداهم، والأحابيش بنو الحارث بن عبد مَناة: كِنانة، وعَضَل، والقارة، والدِّيش، من بني الهُون بن خُزَيْمة، والمُصْطلق بن خُزاعة، سُمّوا بذلك لحلفهم بني الحارث.

والتحبّش التجمّع.
وعلى بني بكر: بَلعاء بن قيس.
وعلى بني فِراس بن غَنْم من كِنانة: عُمَيْرُ بن قيس جِذْلُ الطعان.
وعلى بني أسد بن خُزَيْمة: بِشْر بن أبي حازم.
وكان على جماعة الناس حرب بن أُميّة، لمكانه من عبد مَناف سِنّاً[5] ومنزلةً[6].

وكانت قيس قد تقدّمتْ إلى عُكاظ قبل قريش، فعلى بني عامر: مُلاعب الأسنّة أبو بَراء.

---

(١) الأغاني ٢٢/٦٢.
(٢) في النسخة (ر): «عمر».
(٣) في النسخة (ي): «عثمان».
(٤) في النسخة (ر): «عريف».
(٥) في النسخة (ت): «بيتاً».
(٦) قارن بالأغاني ٢٢/٦٢، ٦٣، وأنساب الأشراف ١/١٠٢.

وعلى بني نصر، وسعد، وثقيف: سُبَيع بن ربيع[1] بن معاوية.
وعلى بني جُشَم: الصِّمّة والد دُرَيْد.
وعلى غَطَفان: عَوف بن أبي حارثة المرّيّ.
وعلى بني سُلَيْم: عبّاسُ بن زعل بن هنيّ بن أنس.
وعلى فَهْم، وعَدْوان: كِدامُ بن عمرو.

وسارت قريش حتّى نزلت عُكاظ وبها قيس. وكان مع حرب بن أميّة إخوته: سفيان، وأبو سفيان، والعاص، وأبو العاص بنو أميّة، فعقل حربُ نفسه، وقيّد سفيان وأبو العاص نفسيهما، وقالوا: لن يبرح رجل منّا مكانه حتّى نموت أو نظفر، فيومئذ سُمّوا العنابس[2].

والعنبس: الأسد.

واقتتل الناس قتالاً شديداً، فكان الظفر أوّل النهار لقيس، وانهزم كثير من بني كِنانة وقريش، فانهزم بنو زُهْرة وبنو عديّ، وقُتل مَعْمَر بن حبيب الجُمَحيّ، وانهزمت طائفة من بني فِراس، وثبت حرب بن أُميّة، وبنو عبد مَناف، وسائر قبائل قريش، ولم يزل الظفر لقيس على قريش وكِنانة إلى أن انتصف النهار. ثمّ عاد الظفر لقريش وكِنانة، فقتلوا من قيس فأكثروا، وحمي القتال واشتدّ الأمرُ فقُتل يومئذ تحت راية بني الحارث بن عبد مَناة بن كِنانة مائة رجل وهم صابرون، فانهزمت قيس، وقُتل من أشرافهم عبّاس بن زِعْل السُّلَميّ وغيره. فلمّا رأى أبو السيّد عمّ[3] مالك بن عوف النصريّ ما تصنع كِنانة من القتل نادى: يا معشر بني كِنانة أسرفتم في القتل. فقال ابن جُدْعان: إنّا معشرٌ يُسرِف.

ولمّا رأى سُبَيْع بن ربيع بن معاوية هزيمةَ قبائل قيس، عَقَلَ نفسه واضطّجع وقال: يا معشر بني نصر قاتلوا عنّي أو ذَرُوا. فعطفت عليه بنو نصر، وجُشَم، وسعد بن بكر، وفهم، وعَدوان، وانهزم باقي قبائل قيس، فقاتل هؤلاء أشدّ قتالٍ رآه الناس. ثمّ إنّهم تداعوا إلى الصلح، فاصطلحوا على أن يعدّوا القتلى، فأيّ الفريقَيْن فضل له قتلى أخذ دِيتهم من الفريق الآخر، فتعادّوا القتلى فوجدوا قريشاً وبني كِنانة قد أفضلوا[4] على قيس عشرين رجلاً[5]، فرهن حرب بن أميّة يومئذ ابنَه أبا سفيان في دِيات القوم حتّى يؤدّيها،

(١) في النسختين (ي) و(ر): «ربيعة».
(٢) الأغاني ٢٢/٦٦.
(٣) عَمّ، ساقطة من النسخة (ر).
(٤) في النسختين: «(ب) و(ت): «فضلت».
(٥) الأغاني ٢٢/٧٣.

ورهن غيرَهُ من الرؤساء، وانصرف الناسُ بعضهم عن بعض، ووضعوا الحربَ، وهدموا ما بينهم من العداوة والشرّ، وتعاهدوا على أن لا يؤذي بعضهم بعضاً فيما كان من أمر البرّاض وعُرْوة.

يوم ذي نَجَب[1]

وكان من حديث يوم ذي نَجَب أنّ بني عامر لمّا أصابوا من تميم ما أصابوا يوم جَبَلَة رجوا أن يستأصلوهم، فكاتبوا حسّان بن كَبْشة[2] الكِنْديّ، وكان ملكاً من ملوك كِندة، وهو حسّان بن معاوية بن حُجْر، فدعوه إلى أن يغزو معهم بني حنظلة من تميم، فأخبروه أنّهم قد قتلوا فرسانهم ورؤساءهم، فأقبل معهم بصنائعه ومَنْ كان معه. فلمّا أتى بني حنظلة خبرُ مسيرهم قال لهم عمرو بن عمرو: يا بني مالك إنّه لا طاقة لكم بهذا الملك وما معه من العدد، فانتقلوا من مكانكم، وكانوا في أعالي الوادي ممّا يلي مجيء القوم، وكانت بنو يربوع بأسفله، فتحوّلت بنو مالك حتّى نزلت خلف بني يربوع، وصارت بنو يربوع تلي الملك.

فلمّا رأوا ما صنع بنو مالك استعدّوا وتقدّموا إلى طريق الملك. فلمّا كان وجه الصبح، وصل ابنُ كبشة فيمن معه، وقد استعدّ القوم فاقتتلوا. فلمّا رآهم بنو مالك وصبرهم في القتال ساروا إليهم وشهدوا معهم القتال، فاقتتلوا مليّاً، فضرب حُشَيْش[3] بن نِمْران[4] الرياحيّ ابنَ كبشة الملك على رأسه فصرعه، فمات، وقُتل عبيدة بن مالك بن جعفر، وانهزم طُفَيْل بن مالك على فرسه قُرْزُل[5]، وقُتل عمرو بن الأحوص بن جعفر، وكان رئيس عامر، وانهزمت بنو عامر وصنائع ابن كبشة[6].

قال جرير في الإسلام يذكر اليوم بذي نَجَب:

بذي نَجَبٍ ذُدنا وواكَلَ مالك ... أخاً لم يكنْ عند الطّعان[7] بواكِلِ

وكان يوم ذي نَجَب بعد يوم جَبَلَة بسنة.

---

(١) نجَب: بفتح أوله وثانيه، وباء موحّدة. وادٍ قرب ماوان في ديار بني محارب. (معجم البلدان ٥/٢٦١).

(٢) في النسخة (ر): «معوية».

(٣) في النسختين: (ب) و(ي): «جشيش».

(٤) في النسخة (ب): «نمر»، وفي النسخة (ت): «هزان».

(٥) في النسخة (ب): «قزرك».

(٦) أنظر حول هذا اليوم: سيرة ابن هشام ١/٢٣١، معجم ما استعجم ٤/١٢٩٧، معجم البلدان ٥/٢٦١، النقائض ٣٠٢ و٥٨٧ و٩٣٢ و١٠٧٩، والعمدة ٢/٢٠١.

(٧) في النسخة (ي): «الحفاظ».

وبقي الأحوص بعد ابنه عمرو يسيراً، وهلك أسفاً عليه[1].

يوم نَعْف قُشاوة[2]

وهو يوم لشيبان على تميم.

قال أبو عبيدة: أغار بِسطام بن قيس على بني يربوع من تميم، وهم بنَعْف قُشاوة[3]، فأتاهم ضحىً، وهو يوم ريح ومطر، فوافَقَ النَّعَم حين سُرِّح، فأخذه كلّه ثمّ كرّ راجعاً، وتداعت عليه بنو يربوع فلحقوه، وفيهم عُمارة بن عُتَيْبة[4] بن الحارث بن شهاب، فكرّ عليه بِسطام فقتله، ولحقهم مالك بن حِطّان اليربوعيّ فقتله[5]، وأتاهم أيضاً بُجَيْر بن أبي مُلَيْل فقتله بِسطام[6]، وقتلوا من يربوع جمعاً وأسروا آخرين، منهم: مُلَيْل بن أبي مُلَيْل، وسلِموا وعادوا غانمين. فقال بعض الأسرى لبِسطام: أيَسُرّك أنّ أبا مُلَيْل مكاني؟ قال: نعم. قال: فإن دللتُك عليه أتطلقني الآن؟ قال: نعم. قال: فإنّ ابنه بُجَيْراً كان أحبّ خلق الله إليه، وستجده الآن مُكِبّاً عليه يقبّله[7] فخُذْه أسيراً. فعاد بِسطام فرآه كما قال، فأخذه أسيراً وأطلق اليربوعيّ. فقال له أبو مُلَيْل: قتلتَ بُجَيْراً وأسرتَني وابني مُليلاً! والله لا أطعمُ الطعام أبداً وأنا مُوثق. فخشي بِسطام أن يموت، فأطلقه بغير فداء، على أن يفادي مُليلاً، وعلى أن لا يُتْبعه بدم ابنه بُجَيْر، ولا يبغيه غائلة، ولا يدلّ له على عورة، ولا يغير عليه، ولا على قومه أبداً، وعاهده على ذلك، فأطلقه[8] وجزّ ناصيته، فرجع إلى قومه وأراد الغدر بِبسطام والنكث به، فأرسل بعض بني يربوع إلى بِسطام بخبره، فحذره؛ وقال مُتَمّم بن نُوَيْرة[9]:

أبلغْ شِهَابَ بني بكرٍ وسيّدَها ... عنّي بذاك أبا الصَّهْباء بِسطامَا

أُرْوِي الأسنّة من قومي فأُنْهِلُها ... فأصبحوا في بقيع الأرض نُوّامَا

---

(١) العمدة ٢/٢٠١، أيام العرب ٣٦٦.

(٢) قُشاوَة: بالضم، وبعد الألف واو. موضع متّصل بنقا الحَسَن. (معجم ما استعجم ٣/١٠٧٥) وانظر عن اليوم في: النقائض ١٩، والعمدة ٢/١٩١، ومعجم البلدان ٤/٣٥١.

(٣) وفي النسخة (ر): «وحيلوه»، وفي النسخة (ب) «جباله»، وفي الحاشية «وحياله».

(٤) في النسختين (ب) و(ي): «عيينة».

(٥) في النسخة (ر): «فضرب فسقط ثم مات بعد أيام».

(٦) قال ابن الأعرابي: كان لبسطام أربع وقعات: أُسِر يوم الصحراء، وظفر يوم قُشاوة، وانهزم يوم العُظَالى، وقُتل يوم النَّقا. (معجم ما استعجم ٣/١٠٧٥).

(٧) في الطبعة الأوربية «بقتله».

(٨) ساقطة من النسخة (ر).

(٩) أنظر عنه: طبقات الشعراء لابن سلام ١٦٩ - ١٧٤، الأغاني ١٥/٢٩٨، معجم الشعراء للمرزباني ٤٦١، خزانة الأدب ١/٢٣٤، أسماء المغتالين ٢٤٤، الشعر والشعراء ١/٢٥٤.

لا يـطبـقــون إذا هبَّ الـنيــام ولا	فِي مـرقدٍ يَحْلُمُـون الدهـرَ أحلامـا
أُشجي تميمَ بن مُـرّ لا مـكـايـدةً	حتى استعـادوا لـه أسـرى وأنعـامـا
هـلّا أسيراً فـدتـك النفس تـطعمـه	ممّــا أراد وقـدمــاً كنت مـطعـامـا

وهي أبيات عدّة.

يوم الغَبيط[1]

وهـو يـوم كـانت الحـرب فيـه بين بني شيبـان وتميم، أُســر فيـه بِســطام بن قيس الشيبانيّ.

وسبب ذلك أنّ بِسطام بن قيس، والحَوْفزان بن شَـريك، ومَفْـروق بن عمرو سـاروا فِي جمْعٍ من بني شيبان إلى بلاد تميم، فأغاروا على ثعلبة بن يربوع، وثعلبة بن سعد بن ضَبّة، وثعلبة بن عـديّ بن فزارة، وثعلبـة بن سعد بن ذُبيـان، وكانـوا متجاورين بصحـراء فَلْج[2]، فاقتتلوا، فانهزمت الثعالبة، وقُتل منهم مقتلة عـظيمة، وغنم بنـو شيبان أمـوالهم، ومرّوا على بني مالك بن حنظلة من تميم، وهم بين صحـراء فَلْج وغَبِيط المَدَرَة فـاستاقـوا إبلهم. فركبت إليهم بنو مالك، يَقْدُمهم عُتَيْبة بن الحـارث بن شِهاب اليـربوعيّ، وفـرسان بني يـربوع، وسـاروا في أثر بني شيبـان، ومعه من رؤسـاء تميم الأحَيْمِـر[3] بن عبـد الله، وأُسَيد بن جباة، وحُرّ[4] بن سعد، ومـالك بن نُـوَيْرة، فـأدركوهم بغَبِيط المَـدَرَة فقاتلوهم. وصبر الفريقان، ثمّ انهزمت شيبان، واستعادت تميم ما كانـوا غنموه من أمـوالهم، وقتلت بنـو شيبان أبـا مرحب ربيعـة بن حصيّة[5]؛ وألـحّ عُتَيْبـة بن الحـارث على بِسـطام بن قيس فأدركه فقـال له: استـأسرْ أبـا الصهباء، فـأنا خيـر لك من الفَـلاة والعطش. فـاستأسـر له بِسطام بن قيس. فقال بنو ثعلبة لعُتَيْبة: إنّ أبا مرحب قد قُتـل، وقد أسـرتَ بِسطامـاً، وهو

---

(١) النقـائض ٧٥ و١١٣٢، العقد الفـريد ١٩٦/٥، نهـاية الأرب ٣٨٨/١٥، سبـائك الـذهب ١١٤ ويقـال لـه أيضاً: يوم الثعالب.

(٢) ضُبطت في طبعة صـادر ٥٩٨/١ «فَلَج» بالتحـريـك في أولـه وثـانيـه، ومـا أثبتنـاه عن: معجم مـا استعجم ١٠٢٧/٣ بفتح أوله، وإسكان ثانيه، قال (١٠٢٨/٣):

«وبصحراء فَلْج أغارت بكر على الثعالبة، ورئيس بكر بسطام بن قيس، فهُزمت الثعالبة، واستاقوا أمـوالهم.. فهو يوم صحراء فَلْج، ويوم الثعالب، وكان هؤلاء كلهم متجاورين بصحراء فَلْج من ديـار بني تميم. ثم أغار بسطام على مالك بن يربوع وهم بين صحراء فلْج، وبين غبيط المَدَرَة، فاكتسحوا إبلهم». وهذا النّص يتفق مع رواية المؤلّف هنا.

(٣) في الأصل «الأجيم».

(٤) في النسخة (ب) «حريز»، وفي النسخة (ت): «جهر».

(٥) في النسخة (ي): «حصين».

قاتل مُلَيْل وبُجَيْر ابنَيْ أبي مُلَيْل، ومالك بن حِطّان وغيرهم فاقتلْه. قال: إني مُعيل وأنا أُحبّ اللبن. قالوا: إنّك تُفاديه فيعود فيَحْرُبُنا[1] مالنا، فأبى عليهم وسار به إلى بني عامر بن صَعْصَعة لئلّا يؤخذ فيُقتل، وإنّما قصد عامراً لأنّ عمّته خَوْلة بنت شِهاب كانت ناكحاً فيهم؛ فقال مالك بن نُوَيْرة[2] في ذلك:

لله عَتّاب بن ميّة[3] إذا رأى ... إلى ثأرنا في كفّه يتلدّدُ
أتُحيي أمرأً أرْدى بُجَيْراً ومالكاً ... وأتْوَى[4] حُرَيْثاً[5] بعدما كان يقصدُ
ونحن ثأرنا قبل ذاك ابنَ أمّه ... غداةَ الكلابيّين والجمعُ يشهدُ

فلمّا توسّط عتيبة بيوت بني عامر صاح بسطام: واشيباناه! ولا شيبان لي اليوم! فبعث إليه عامر بن الطُّفَيْل: إن استطعتَ أن تلجأ إلى قبّتي فافعلْ فإنّي سأمنعك، وإن لم تستطع فاقذف نفسك في الرَّكيّ. فأتى عتيبةَ تابعُه من الجنّ فأخبره بذلك، فأمر ببيته فقُوّض. فركب فرسه وأخذ سلاحه، ثمّ أتى مجلسَ بني جعفر، وفيه عامر بن الطفيل الغنويّ، فحيّاهم وقال: يا عامر قد بلغني الذي أرسلتَ به إلى بِسطام، فأنا مخيّرُك فيه خصالاً ثلاثاً. فقال عامر: وما هي؟ قال: إن شئتَ فأعطني خلعتك وخلعة أهل بيتك (حتّى أطلقه لك، فليست خلعتك وخلعة أهل بيتك)[6] بشرّ[7] من خلعته وخلعة أهل بيته. فقال عامر: هذا لا سبيل إليه. قال عتيبة: ضع رِجْلك مكان رِجله، فلست عندي بشرٍّ منه. فقال: ما كنتُ لأفعل. قال عتيبة: تتبعني إذا جاوزت هذه الرابية، فتقارعني عنه على الموت. فقال عامر: هذه أبغضهنّ إليّ. فانصرف به عتيبة إلى بني عبيد بن ثعلبة، فرأى بسطام مركب أمّ عتيبة رثّاً فقال: يا عتيبة هذا رحْل أمّك؟ قال: نعم. قال: ما رأيتُ رحْل أمّ سيّدٍ قطّ مثلَ هذا. فقال عتيبة: واللاتِ والعُزّى لا أُطْلِقك حتّى تأتيني أمّك بحِدْجها[8]، وكان كبيراً ذا ثمنٍ كثير، وهذا الذي أراد بِسطام ليرغب فيه فلا يقتله. فأرسل بِسطام فأحضر حِدْج أمّه، وفادى نفسه بأربعمائة بعير.

---

(١) في النسخة (ي): «فتجيرننا».

(٢) هو شقيق متمّم بن نويرة، ومصادره هي مصادر أخيه. وكان مالك فارس ذي الخمار، وذو الخمار فرسه. وقتله خالد بن الوليد في الردّة وتزوج امرأته. (الشعر والشعراء ١/٢٥٤، الخيل لابن الأعرابي ٥٢ و٦٣).

(٣) في النسختين (ب) و(ي): «عمية»، وفي النسخة (ر): «مرة».

(٤) في الطبعة الأوربية «أشوى».
وأتوى فلاناً: أهلكه.

(٥) في الأصل، ونسخة جامعة اكسفورد ٣٩٠، والنسخة (ي): «جزينا»، والنسخة (ت): «حريبا».

(٦) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر).

(٧) في النسخة (ت): «ابشر»، وفي النسخة (ي): «أيسر».

(٨) الحِدْج: مركب للنساء كالمِحَفَّة. (تاج العروس ٥/٤٦٩) وفي النسخة (ي): بهودجها.

وقيل: بألف بعير، وثلاثين فرساً، وهودج أمّه، وحِدْجها، وخلص من الأسر. فلمّا خلص من الأسر أذكى العيونَ على عُتيبة وإبله، فعادت إليه عيونهُ فأخبروه أنّها على أرباب[1]، فأغار عليها وأخذ الإبل كلّها وما لهم معها.

(عُتَيْبة بالتاء فوقها نقطتان، والياء تحتها نقطتان ساكنة، وفي آخرها باء موحّدة).

يوم لشيبان على بني تميم

قال أبو عبيدة: خرج الأقرع بن حابس[2] وأخوه فِراس التميميّان، وهما الأقرعان، في بني مُجَاشع من تميم، وهما يريدان الغارةَ على بكر بن وائل، ومعهما البروك[3] أبو جعل، فلقيهم بِسطام بن قيس الشيبانيّ، وعِمران بن مُرّة، في بني بكر بن وائل بزُبالة، فاقتتلوا قتالاً شديداً ظفرت فيه بكر، وانهزمت تميم، وأُسر الأقرعان، وأبو جعل، وناس كثير، وافتدى الأقرعان نفسيهما من بِسطام، وعاهداه على إرسال الفداء، فأطلقهما، فبَعُدا ولم يرسلا شيئاً[4]. وكان في الأسرى إنسان من يربوع، فسمعه بِسطام بن قيس في الليل يقول:

فِدىً بوالدةٍ عليّ شفيقةٍ ... فكأنّها حَرَضٌ[5] على الأسقامِ
لَوْ أنّها علمتْ فيسكن جأشها ... أنّي سقطتُ على الفتى المنعامِ
إنّ الذي تَرْجينَ ثَمّ إيَابه ... سقط العِشاء به على بسطامِ
سقط العِشاء به على متنعِّمٍ[6] ... سَمْحِ اليدَيْن معاوِدِ الإقدامِ

فلمّا سمع بِسطام ذلك منه قال له: وأبيك لا يخبر أمّك عنك غيرُك! وأطلقه.
وقال ابن رميض العنزيّ:

جاءتْ هدايا من الرحمان مُرْسَلة ... حتّى أُنيخت لَدَى أبيات بِسطامِ
جَيْش الهُذَيْل وجيش الأقرعين معاً ... وكُبّةُ الخيلِ والأذوادِ في عامِ
مسوّم خيله تَعْدُو مقانبُهُ ... على الذوائب من أولاد همّامِ

---

(١) في النسخة (ر): «اراب».
(٢) قيل إنّه أوّل من حرّم القمار في الجاهلية. (صبح الأعشى ١/٤٣٥) وهو فارس مشهور من فرسان تميم، ويُعدّ من حكام العرب. واتّصل حكمه في عكاظ إلى الإسلام. ويُعدّ من المؤلّفة قلوبهم من تميم. (الاشتقاق ١٤٦، المحبّر ١٣٤ و١٨٢ و٢٤٧ و٣٤٧).
(٣) في النسخة (ت): «الدول».
(٤) النقائض ٦٨٠، أيام العرب ٢٠٦.
(٥) في النسخة (ر): «حرص».
(٦) في النسختين (ب) و(ر): «متقمر».

وقال أوس بن حَجَر[1]:

وصَبّحنا عارٌ طويلٌ بِناؤه ... نُسَبّ به ما لاح في الأفْقِ كَوكَبُ
لم أرَ يوماً كان أكثَرَ باكياً ... ووجهاً تُرى فيه الكآبةُ تَجْنُبُ[2]
أصابوا البَروكَ وابنَ حابِسَ عنوةً ... فظلّ لهم بالقاعِ يومٌ عَصَبْصَبُ
وإنّ أبا الصهباء في حَومةِ الوغى ... إذا ازورّتِ الأبطالُ ليثٌ مُجرَّبُ

وأبو الصهباء هو بسطاء بن قيس. وأكثر الشعراءُ في هذا اليوم في مدح بِسطام بن قيس، تركنا ذِكْرَه اختصاراً.

(حَجَر: بفتح الحاء والجيم).

يوم مبَائض[3]

وهو لشيبان على بني تميم.

قال أبو عُبيدة: حجّ طَريف بن تميم العنبريّ التميميّ، وكان رجلاً جسيماً يلقّب مُجَدّعاً، وهو فارس قومه، ولقيه حَمْصيصةُ[4] بن جَنْدل الشيبانيّ من بني أبي ربيعة، وهو شابّ قويّ شجاع، وهو يطوف بالبيت، فأطال النظر إليه، فقال له طَرِيف: لِمَ تشدّ نظرك إليّ؟ قال حَمْصِيصة: أريد أن أُثْبتك لعليّ أن ألقاك في جيش فأقتلك. فقال طَرِيف: اللهمّ لا تُحَوّلِ الحولَ حتّى ألقاه! ودعا حمصيصة مثله، فقال طَرِيف:

أوَ كُلّما وردتْ عُكَاظَ قبيلةٌ ... بعثوا إليّ عريفَهم يتوسّمُ
لا تُنْكِروني[5] إنّني أنَا ذَاكُمُ[6] ... شاكي السلاح وفي الحوادثِ مُعْلَمُ

---

(١) أوس بن حجر بن عتّاب. كان فحل مُضَر، بصيراً بالشعر، عاقلاً فيه، كثير الوصف لمكارم الأخلاق. أنظر عنه في: الشعر والشعراء ١/١٣١، الأغاني ١١/٦٨، الموشّح ٦٣، خزانة الأدب للبغدادي ٢/٢٣٥، ديوان أوس بن حجر (نشره: جاير - فينّا ١٨٩٢، ود. محمد نجم - بيروت ١٩٦٠ م).

(٢) في النسخة (ي): «تحسب».

(٣) مُبَايض: بضم أوله. وبالياء أخت الواو، مكسورة، والضاد المعجمة. عَلَم وراء الدهناء. في منازل بني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان. ويقال: أُبايض، بالهمز. ويقال هو في ديار بني سعد بن زيد مناة بن تميم. (معجم ما استعجم ٤/١٧٩، وانظر عنه في: العقد الفريد ٥/٢٠٨، معجم البلدان ٥/٥١، نهاية الأرب ١٥/٣٩٤، معاهد التنصيص ١/٧١، أيام العرب ٢٠٨، المفصّل في تاريخ العرب ٥/٣٦٩، الاشتقاق ١٣١، النقائض ١٠٢٤.

(٤) في العقد الفريد ٥/٢٠٨ «حصيصة»، وفي معجم ما استعجم ٤/١١٧٩ «جَمَصِيصَة»، ويقال: «حَمَصِيصة» بالحاء المهملة، وقيّد الميم بالتحريك.

(٥) في العقد الفريد ٥/٢٠٨ «فتوسّموني».

(٦) في الطبعة الأوربية «داء لكم». وفي العقد الفريد «ذلكم».

حولي فوارسُ مِن أسيد شجعة[1] ومِن الهُجَيْم وحَول بيتي خُضّمُ
تَحْتي الأغرُّ وفوق جِلدي نَثْرةٌ[2] زَعْفٌ[3] تردُّ السيفَ وَهْوَ مثلَّمُ[4]

في أبيات.

ثمّ إنّ بني أبي ربيعة بن ذُهْل بن شيبان، وبني مُرّة بن ذُهْل بن شيبان كان بينهم شرّ وخصام، فاقتتلوا شيئاً من قتال، ولم يكن بينهم دم. فقال هانىء بن مسعود، رئيس بني أبي ربيعة، لقومه: إنّي أكره أن يتفاقم الشرّ بيننا، فارتحل بهم فنزل على ماء يقال له مُبائض، وهو قريب من مياه بني تميم، فأقاموا عليه أشهراً، وبلغ خبرهم بني تميم، فأرسل بعضهم إلى بعض وقالوا: هذا حيّ منفرد، وإن اصطلمتموهم أوْهنتم بكرَ بن وائل.

واجتمعوا وساروا على ثلاثة رؤساء: أبو الجَدْعاء الطهويّ على بني حنظلة، وابن فَدْكى المِنْقريّ على بني سعد، وطَريف بن تميم على بني عمرو بن تميم. فلمّا قاربوا بني أبي ربيعة بلغهم الخبر، فاستعدّوا للقتال، فخطبهم هانىء بن مسعود، وحثّهم على القتال، فقال: إذا أتوكم فقاتلوهم شيئاً من قتال، ثمّ انحازوا عنهم، فإذا اشتغلوا بالنهب فعودوا إليهم. فإنّكم تصيبون منهم حاجتكم.

وصبّحهم بنو تميم والقوم حذِرون، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وفعلت بنو شيبان ما أمرهم هانىء. فاشتغلت تميم بالغنيمة، ومرّ رجل منهم بابنٍ لهانىء بن مسعود صبيّ، فأخذه وقال: حسبي هذا من الغنيمة، وسار به، وبقيت تميم مع الغنيمة والسبي. فعادت شيبان عليهم فهزموهم وقتلوهم وأسروهم كيف شاءوا، ولم تُصَبْ تميم بمثلها؛ لم يفلت منهم إلّا القليل، ولم يَلْوِ أحد على أحد، وانهزم طريف فاتّبعه حَمْصيصة فقتله. واستردّت شيبان الأهلَ والمالَ، وأخذوا مع ذلك ما كان معهم، وفادى هانىء بن مسعود

---

(١) في الأصول، وطبعة صادر ٦٠٢/١ «جَمّة»، وما أثبتناه عن النسخة (ر)، فهو يتفق مع البيت المنسوب لطريف برواية أخرى:
حولي فوارس من أسيد شجعة وإذا نزلت فحول بيتي خضم
(العقد الفريد ٢٠٨/٥ الحاشية ٣) وانظر لسان العرب: مادّة الخضم.
والبيت في العقد هكذا:
حولي أُسَيِّدُ والهُجيم ومازنٌ وإذا حللتُ فحول بيتي خَضَّم

(٢) النثرة: الدرع.

(٣) في النسخة (ر): «وغف»
والزغْف: اللينة الواسعة المحكمة من الدروع. وقيل: الدقيقة الحسنة السلاسل.

(٤) أنظر تقديماً وتأخيراً في البيتين الأخيرين في العقد الفريد ٢٠٨/٥.

ابنه بمائة بعير، وقال بعض شيبان في هذا اليوم:

ولقد دعوتَ طريفُ دعوةَ جاهلٍ ... غِرٍّ وأنتَ بمنظر لا[1] تُعْلَمُ[2]
وأتيتَ حيّاً في الحروب محلّهم ... والجيشُ باسم أبيهمُ يستهزمُ[3]
فوجدتَهم يرعون حول ديارهم ... بُسْلاً إذا حام الفوارسُ أقدمُوا[4]
وإذا اعتزَوْا بأبي ربيعة أقبلوا ... بكتيبة مثل النجوم تُلملمُ[5]
ساموك[6] درعك والأغرَّ كِلَيْهما ... وبنو أُسيّدٍ أسْلموك وخُصّمُ[7]

وقال عمرو بن سواد يرثي طَرِيفاً:

لا تَبْعدَنْ يا خيرَ عمرو بن جندب ... لَعَمْري لَمن زار القبور لَيَبْعدا
عظيم رماد النار لا متعبّساً[8] ... ولا مُؤيِساً منها إذا هو أوقدا
وما كان وقّافاً إذا الخيل أجمحتْ ... وما كان مبطاناً[9] إذا ما تجرّدا

يوم الزُّوَيْرَيْن[10]

قال أبو عبيدة: كانت بكر بن وائل قد أجدبت بلادهم، فانتجعوا بلادَ تميم، بين اليمامة وهَجَر، فلمّا تدانوا جعلوا لا يلقى بكريٌّ تميميّاً إلّا قتله، ولا يلقى تميميٌّ بكريّاً إلّا قتله، إذا أصاب أحدهُما مالَ الآخر أخذه، حتّى تفاقم الشرّ وعظم. فخرج الحَوْفزان بن شَريك، والوادك بن الحارث الشيبانيّان ليغيرا على بني دارم، فاتّفق أنّ تميماً في تلك الحال اجتمعت في جمع كثير من عمرو بن حنظلة، والرِّباب، وسعد، وغيرها، وسارت إلى بكر بن وائل، وعلى تميم أبو الرئيس الحنظليّ. فبلغ خبرهم بكرَ بنَ وائل،

---

(١) في النسختين (ت) و(ر): «لو».

(٢) في العقد الفريد ٥/٢٠٩ ورد الشطر الثاني:
.... سفهاً وأنت بمعلم قد تعلمُ

(٣) في العقد ٥/٢١٠ «يُستقدم»، وفي نسخة أخرى منه كما هنا.

(٤) البيت في العقد ٥/٢١٠ هكذا:
فوجدت قوماً يمنعون ذِمارهم ... بُسْلاً إذا هاب الفوارسُ أقدموا

(٥) في العقد:
وإذا دُعُوا ابني ربيعة شمّروا ... بكتائبٍ دون السماء تُلَمْلَم

(٦) في العقد: «سلبوك».

(٧) في العقد: «وخَضّم».

(٨) في الطبعة الأوربية «متعبس».

(٩) في النسخة (ر): «مباطناً».

(١٠) أنظر عنه في: العقد الفريد ٥/٢٠٤، لسان العرب ٤/٣٣٧، نهاية الأرب ١٥/٣٩١، المفصّل في تاريخ العرب ٥/٣٦٩، ٣٧٠.

فتقدّموا، وعليهم الأصمّ عمرو بن قيس بن مسعود أبو مفروق، وحنظلة بن سيّار[1] العِجْليّ، وحُمْران بن عبد عَمرو العبسيّ، فلمّا التقوا جعلت تميم والرباب بعيرَيْن وجلّلوهما، وجعلوا عندهما منْ يحفظهما، وتركوهما بين الصفّيْن معقولَيْن، وسمّوهما زُوَيْرَيْن، يعني: إلهَيْن، وقالوا: لا نفرّ حتّى يفرّ هذان البعيران. فلمّا رأى أبو مفروق البعيرَيْن سأل عنهما فأُعلم حالهما، فقال: أنا زُوَيْركم، وبرك بين الصفَّيْن وقال: قاتلوا عنّي ولا تفرّوا حتّى أفرّ. فاقتتل الناسُ قتالاً شديداً، فوصلت شيبان إلى البعيرَيْن فأخذوهما فذبحوهما. واشتدّ القتال عليهما. فانهزمتْ تميم، وقُتل أبو الرئيس مقدّمهم، ومعه بشر كثير، واجترفت بكر أموالهم ونساءهم، وأسروا أسرى كثيرة، ووصل الحَوْفزان إلى النساء والأموال، وقد سار الرجال عنها للقتال، فأخذ جميع ما خلّفوه من النساء والأموال، وعاد إلى أصحابه سالماً؛ وقال الأعشى[2] في ذلك اليوم:

يا سَلْمَ لا تسألي عنّا فَلاً كُشِفَتْ ... عند اللقاء ولا سود مقَاريف[3]
نحن الذين هزمنا يومَ صبّحنا ... يومٍ[4] الزّويرَيْن في جمع الأحاليفِ
ظلّوا وظلّت[5] تكرّ الخيلُ وسطهُمُ ... بالشّيب منّا وبالمُرْد الغطاريفِ[6]
تَسْتأنس الشرف الأعلى بأعْيُنها ... لَمْحَ الصقور علتْ فوق الأظاليفِ
انسلّ عنها بسَيل الصّيْفِ فانجردت ... تحت اللُّبُودِ متونٌ كالزحاليفِ

وقد أكثر الشعراء في هذا اليوم، لاسيّما الأغلب العِجْليّ[7]، فمن ذلك أرجوزته التي أوّلها:

إنْ سَرَّكَ العزُّ فجحْجِحْ بجُشَمْ[8] يقول فيها:

---

(١) في النسخ (ب) و(ت) و(ر) و(ي): «يسار» وهو وهم.
(٢) الأبيات غير موجودة في ديوانه. وينسبهما ابن عبد ربّه الأندلسي، والنويري إلى رجل من بني سَدُوسَ.
(٣) البيت في العقد الفريد ٥/٢٠٦.
يا سَلْم إن تسألي عنّا فلا كُشُفٌ ... عنا اللقاء ولسنا بالمقاريف
وهو مثله في نهاية الأرب ١٥/٣٩٢.
(٤) في نهاية الأرب ١٥/٣٩٣: «جيش».
(٥) في نهاية الأرب «وظلنا»، وكذلك في العقد الفريد.
(٦) إلى هنا تنتهي الأبيات في العقد الفريد، ونهاية الأرب.
(٧) هو الأغلب بن جُشَم بن سعد. أحد المعمَّرين، عُمِّر في الجاهلية عمراً طويلاً، وأدرك الإسلام فأسلم، وحسُن إسلامه وهاجر، ثم كان فيمن توجّه إلى الكوفة مع سعد بن أبي وقاص، فنزلها، واستشهد في وقعة بنهاوند. ويقال إنّه أول من رجّز الأراجيز الطوال من العرب. (الأغاني ٢١/٢٩، الشعر والشعراء ٢/٥١١، السمط ١/٨٠١، أسد الغابة ١/١٠٥، الإصابة ١/٥٦، خزانة الأدب للبغدادي ١/٣٣٢، طبقات الشعراء لابن سلام ٥٧١).
(٨) الشعر والشعراء ٢/٥١١ وفي طبعة صادر ١/٦٠٥ «بحشم» بالحاء المهملة.

جاؤوا بزْويـرَيْهم[1] وجِئنا بالأصمْ شيخ لنا كالليثِ من باقي إرَم[2]
شيـخٌ لنـا معـاودٌ ضَـرْبَ البُهْم[3] يضـرب بالسيف إذا الـرمح انقصمْ
هـل غيـرُ غـارٍ صَـكّ[4] غـاراً فـانهزمْ

الغاران: بكر وتميم.

وله الأرجوزة التي أوّلها:

يـا رُبَّ حـربٍ ثَـرّة[5] الأخْـلافِ

يذكر فيها هذا اليوم.

ذِكْر أسر حاتم طَيّء[6]

قال أبو عبيدة: أغار حاتم طيّء بجيش من قومه على بكر بن وائل فقاتلوهم، وانهزمت طيّء وقُتل منهم وأُسر جماعة كثيرة، وكان في الأسرى حاتم بن عبد الله الطّائيّ، فبقي موثقاً عند رجل من عُنَيْزة، فأتته امرأة منهم اسمها عالية بناقة فقالت له: افصدْ هذه، فنحرها، فلمّا رأتها منحورة صرخت، فقال حاتم:

عـاليَ لا تلتـدّ مـن[7] عـالِيَـهْ إنّ الـذي أهلكتُ مـن مـاليـهْ
إنّ ابـنَ أسمـاء لـكـم ضـامـن حـتّـى يُـؤدّي آنِسٌ نـاويَـهْ
لا أفصـد النـاقـة في أنْفـهـا لـكنّـني أُوجـرهـا العـاليَـهْ
إنّي عن الفصْـد لفـي مفـخـر يكـره منّي المِفْصـد الآليَـهْ
والخيـل إن شمَّص فـرسـانهـا تـذكر عنـد المـوت أمثـاليَـهْ[8]

وقال رُمَيْض العَنَزيّ يفتخر:

---

(١) في العقد الفريد: «بزويرهم».

(٢) ورد هذا الشطر في العقد:

شيخ لنا قد كان من عهد إرَمْ

والمثبت يتفق مع لسان العرب (مادّة زور).

(٣) في الطبعة الأوربية «إليهم».

(٤) في النسختين (ب) و(ي): «يك».

(٥) في النسخة (ب): «ترى»، وفي النسخة (ي): «ترا».

(٦) هو المشهور بالجود والكرم. كان شاعراً جيّد الشعر. يُضرب المثل بجوده. أنظر عنه: الأغاني ٢٦٣/١٧، الشعر والشعراء ١٦٤/١، مروج الذهب ٣٢٧/٣، شرح شواهد المغني ٧٠، تهذيب تاريخ دمشق ٤٢٤/٣، الشريشي ٣٣٢/٢، خزانة الأدب ٤٩٤/١، ديوان حاتم ـ طبعة لندن ١٨٧٢ وطبعة الوهبية بمصر ١٢٩٣، ثمار القلوب ٩٧ ـ ٩٩ و١١٧.

(٧) في النسخة (ر): «تلندمى».

(٨) البيت في النسخة (ر)، وجملة الأبيات ليست في ديوان حاتم الطائي.

ونحن أسرنا حاتماً وابنَ ظالم | فكلٌّ ثوى في قَيدنا وَهْوَ يخشعُ
وكعبَ إياد قد أسرنا وبعده | أسرنا أبا حسّان والخيلُ تطمعُ
ورَيّان[1] غادرَنا بِوَجٍّ[2] كأنّه | وأشياعه فيها صريمٌ[3] مصرَّعُ

وقال يحيى بن منصور الذُّهْليّ[4] قصيدةً يفتخر بأيّام قومه، وهي طويلة، وفيها آداب حسنة، تركناها كراهيةَ التطويل، وأوّلُها:

أمِنْ عرفانَ منزلةٌ ودارٌ | تُعاوِرها البوارح والسواري

وقال أبو عبيدة: جاء الإسلام وليس في العرب[5] أحدٌ أعزّ داراً، ولا أمنع جاراً، ولا أكثر حليفاً من شيبان.

كانت عنينة[6] من لخم في الأحْلاف.

وكانت درمكة بن كِندة في بني هند.

وكانت عكرمة من طيّء، وحَوْتكة من عُذرة، وبُنانَةُ كلّ هؤلاء في بني الحارث بن هَمّام.

وكانت عائذةُ من قريش، وضَبّة وحواس من كِنْدة، هؤلاء في بني أبي ربيعة.

وكانت سُلَيمة من بني عبد القيس في بني أسعد بن هَمّام.

وكانت وثيلة من ثعلبة، وبنو خيْبريّ من طيّء في بني تميم بن شيبان.

وكانت عوف بن حارث من كِندة في بني مُحَلّم.

كلّ هذه قبائل وبطون جاورت شيبان، فعزّت بها وكثُرت.

---

(١) في النسخة (ر): «ذبيان».
(٢) وفي نسخة «يبرح».
وَوَجّ: بالفتح ثم التشديد. وهو الطائف. (معجم البلدان ٥/٣٦١).
(٣) في النسخة (ب): «صريمة».
(٤) في النسخة (ي): «الديلي».
(٥) في النسخة (ي): «الإسلام».
(٦) في النسختين (ت) و(ر): «عسب»، وفي النسخة (ب): «غنيم».

يوم مُسْحُلان[1]

قال أبو عُبيدة: غزا رُبيْع[2] بن زياد الكلبيّ في جيش من قومه، فلقي جيشاً لبني شيبان، عامّتهم بنو أبي ربيعة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فظفرت بهم بنو شيبان وهزموهم، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وذلك يوم مُسْحُلان، وأسروا ناساً كثيراً، وأخذوا ما كان معهم.

وكان رئيس شيبان يومئذ حيّان بن عبد الله بن قيس المُحَلّميّ.

وقيل: كان رئيسهم زِياد بن مَرْثد من بني أبي ربيعة، فقال شاعرهم:

سائلْ ربيعةَ حيث حلّ بجيشهِ ... مع[3] الحيّ كلبٌ حيث لبّتْ فوارسُهْ
عشيّةَ ولّى جمعهم فتتابعوا ... فصار إلينا نهبُه وعوانسُهْ

ثمّ إنّ الرُبَيع بن زياد الكلبيّ نافر قومه وحاربهم فهزموه. فاعتزلهم وسار حتّى حلّ ببني شيبان، فاستجار برجل اسمه زياد من بني أبي ربيعة، فقتله بنو أسعد[4] بن هَمّام، ثمّ إنّ شيبانَ حملوا دِيته إلى كلب مائتيْ بعير، فرضوا.

حرب لسُلَيم وشيبان

قال أبو عُبيدة: خرج جيش لبني سُلَيم، عليهم النَّصيبُ السُّلَميّ، وهم يريدون الغارة على بكر بن وائل. فلقِيَهم رجلٌ من بني شيبان اسمه صُلَيْع[5] بن عبد غَنْم، وهو مُحْرِم على فرس له يسمّى البحراء[6]، فقال لهم: أين تذهبون؟ قالوا: نريد الغارة على بني شيبان. فقال لهم: مهلاً فإنّي لكم ناصح، وإيّاكم وبني شيبان، فإنّي أقسم لكم بالله لتأتينّكم على ثلاثمائة فرس خصيّ، سوى الفحول والإناث. فأبوا إلّا الغارةَ عليهم، فدفع صُلَيْع فرسه ركضاً حتّى أتى قومَه فأنذرهم. فركبتْ شيبان واستعدّوا، فأتاهم بنو سُلَيْم وهم مُعِدّون فاقتتلوا قتالاً شديداً، فظفرت شيبان وانهزمت سُلَيم وقُتل منهم مقتلة كثيرة وأُسر منهم ناس كثير، ولم ينج إلّا القليل، وأُسر النصيب رئيسهم، أسره عِمْران بن مُرّة الشيبانيّ فضرب رقبته، فقال صُلَيْع:

---

(١) مُسْحُلان: بالضم ثم السكون ثم حاء مهملة مضمومة. وادٍ من أودية أُوْد. (معجم ما استعجم ٤/١٢٢٤) وأُوْد: موضع ببلاد بني مازن. وقيل غير ذلك. أنظر المعجم ١/٢٠٩).

(٢) في طبعة صادر ١/٦٠٨ «ربيعة»، والصحيح «الربيع»، وسيأتي.

(٣) في النسخة (ي): «من».

(٤) في النسخة (ي): «سعد».

(٥) في النسخة (ر): «ضليع».

(٦) في النسخة (ب): «يقال له ناصح».

نهيتُ بني زِغْـل غـداةَ لقيتُـهم　　وجيشَ نصيب والـظنـونُ تُـطاعُ
وقلتُ لهم: إنّ الحـريب وراكسـاً　　بـه نَـعَم تـرعـى المـرارَ رتـاعُ[1]
ولَكنّ فيـه المـوت يـرتـعُ سـربـه　　وحُـقّ لهـم أن يقبـلوا ويـطاعـوا
متى تـأتِـهِ تلقى على المـاء حـارثـاً　　وجيشـاً لـه يـوفي بكـلّ بقـاعِ[2]

يوم جَدُود[3]

وهو يوم بين بكر بن وائل وبني مِنْقر من تميم.

وكان من حديثه أن الحَوْفزان، واسمه الحارث بن شَريك الشيبانيّ، كانت بينه وبين بني سَليط بن يربوع مُوادعة، فهمّ بالغدر بهم، وجمع بني شيبان وذُهْلاً واللهازم، وعليهم حُمْران بن عبد عمرو بن بِشْر بن عمرو. ثمّ غزا وهو يرجو أن يصيب غِرّة من بني يـربوع. فلمّا انتهى إلى بني يربوع نَذِرَ به عُتَيْبة بن الحارث بن شهاب، فنـادى في قومـه، فحالـوا بين الحَوْفزان وبين الماء، وقال لعُتيبة: إنّي لا أرى معك إلّا رهطك، وأنا في طوائف من بني بكر، فلئن ظفرتُ بكم قلّ عددُكم وطمع فيكم عدوّكم، ولئن ظفرتم بي ما تقتلون إلّا أقاصي عشيرتي، ومـا إيّاكم أردتُ، فهـل لكم أن تسالمـونا وتـأخذوا مـا معنا من التمـر، ووالله لا نروع يربوعاً أبداً. فأخذ ما معهم من التمر وخلّى سبيلهم.

فسارت بكر حتّى أغاروا على بني رُبَيْع بن الحارث، وهو مقـاعس، بجَدُود، وإنّمـا سُمّي مقاعساً لأنّه تقاعس عن حِلْفِ بني سعـد، فأغـار عليهم وهم خلوفٌ، فأصـاب سبياً ونَعمـاً، فبعث بنـو ربيـع صـريخهم إلى بني كُلَيْب، فلم يجيبـوهم، فـأتى الصـريـخ بني مِنْقَر بن عبيد، فركبوا في الطلب، فلحقوا بكر بن وائل، وهم مقاتلون، فما شَعَرَ الحَوْفزان وهو في ظلّ شجرة إلّا بالأهْتم بن سُمَيّ بن سِنان المِنْقريّ واقفاً على رأسه، فركب فرسه، فنادى الأهتم: يا آل سعد! ونادى الحـوفزان: يـا آل وائل! ولحِق بنـو مِنْقر، فقـاتلوا قتالاً شديداً، فهُزمت بكر وخلّوا السبي والأموال، وتبِعهم منقر، فمِنْ قتيل وأسير، وأسر الأهتمُ حُمْرَانَ بن عبد عمرو، ولم يكن لقيس بن عاصم المنقريّ همّـة إلّا الحوفزان، فتبعه على

---

(١) هذا البيت ليس في النسخة (ر).

(٢) أنظر حول علاقة سُلَيم ببني شيبان في دراسة محمود عبد الله إبراهيم العبيدي بعنوان: بنو شيبـان ودورهم في التاريخ العربي والإسلامي ـ طبعة وزارة الثقافة ـ بغداد ١٩٨٤ ـ ص ١٠٦.

(٣) جَدُود: بالفتح. اسم موضع في أرض بني تميم قريب من حَزْن بني يربـوع على سمت اليمامة. فيه المـاء الذي يقال له الكلاب. (معجم البلدان ٢/١١٤) وقال البكري: اسم ماء في ديـار بني سعد من بني تميم. (معجم ما استعجم ٢/٣٧٢).
وانظر عن يوم جدود: العقد الفريد ٥/١٩٩ ـ ٢٠١، نهاية الأرب ١٥/٣٨٩، ٣٩٠.

مهر، والحوفزانُ على فرس فـارج[1]، فلم يلحقه وقـد قاربـه، فلمّا خـاف أن يفوتـه حفزه بالرمح في ظهره، فاحتفز بالطعنة ونجا، فسُمّي يومئذ الحوفزان، وقيل غير هذا.

وقال الأهتم[2] في أسرة حُمْران:

نِيـطتْ[3] بحمـرانَ المنيّـةُ بعْـدمـا حَشـاه سِنـان من شُـراعـة أزرقُ
دعـا يـالَ قيسٍ واعتزيتُ لِمنْقَـر وكنتُ إذا لاقيتُ في الخيـل أصدقُ

وقال سَوّار بن حيّان المِنْقريّ يفتخر على رجل من بكر:

ونحن حَفَـزْنـا الحَـوْفـزان بـطعنـةٍ كستْه[4] نجيعاً من دم البطنِ[5] أشكلا
وحُمْـران قَسْـراً أنـزلْتـه رمـاحُنَـا فعـالـج غُـلًّا في ذراعَيْـه مُثْقِـلا
فيـا لـك من أيّـامِ صَـدْقٍ نَعُـدّهَـا كيـوم جُـوَاثَـا والنِّبَـاجِ ونَيْتـلا[6]
قضى الله أنّـا يـومَ تُقْتَسَمُ الـعُلى أحَقُّ بهـا منكم فـأعْـطى فـأجْـزلا
فلستَ بمسـطيع السمـاء ولم تجـد لـعِـزٍّ بنـاه الله فـوقـك مَـنْـقـلا

(مِنْقر: بكسر الميم، وسكون النون، وفتح القاف.

ورُبَيْع بضمّ الراء، وفتح الباء الموحّدة).

---

(١) في النسخة (ب): «مارح».
(٢) هو الأهتم بن سميّ المنقري.
(٣) في النسختين (ر) و (ي) والأصل، ونسخة جامعة أكسفورد ٣٩٠ ورقة ٨٩ «نمطت».
(٤) في العقد الفريد ٥/٢٠١ «تمجّ»، وفي لسان العرب (حفز): «سقته». وقد نسب البيت لجرير.
(٥) في العقد، ولسان العرب «الجوف».
(٦) في طبعة صادر ١/٦١١ «نبتلا»، وقد نبّه إلى الخطأ في آخر الجزء ـ ص ٦٨٧.

يوم الاياد، وهو يوم أُعشاش ويوم العُظالى[1]

وإنّما سمّي يوم العُظالى لأنّ بِسطام بن قيس، وهانىء بن قَبيصة، ومفروق بن عمرو، تعاظلوا على الرياسة، وكانت بكر تحت يد كسرى وفارس، وكانوا يُقرونهم ويجهّزونهم، فأقبلوا من عند عامل عين التمر[2]، في ثلاثمائة متساندين، وهم يتوقّعون انحدار بني يربوع في الحَزْن[3]، فاجتمع بنو عُتَيْبة، وبنو عُبَيْد، وبنو زُبَيْد في الحَزْن. فحلّت بنو زُبيد الحُدَيقة[4]، وحلّت بنو عُتيبة، وبنو عُبيد روضة الثَّمَد[5]، فأقبل جيش بكر حتّى نزلوا هضبة الخصيّ[6]، فرأى بِسطام السواد بالحديقة، وثَمّ غلامٌ عرفه بِسطام، وكان قد عرف غلمان بني ثعلبة حين أسره عُتيبة. فسأله بِسطام عن السواد الذي بالحُديقة، فقال: هم بنو زبيد. قال: كم هم من بيت؟ قال: خمسون بيتاً. قال: فأين بنو عُتيبة، وبنو عبيد؟ قال: هم بروضة الثَّمَد، وسائرُ الناس بخُفاف[7]، وهو موضع. فقال بِسطام: أتطيعونني يا بني بكر؟ قالوا: نعم. قال: أرى لكم أن تغنموا هذا الحيّ المتفرّد بني زُبَيْد، وتعودوا سالمين. قالوا: وما يُغْني بنو زبيد عنّا؟ قال: إنّ في السلامة إحدى الغنيمتَيْن. قالوا: إنّ عُتَيْبة بن الحارث قد مات. وقال مفروق: قد انتفخ سَحْرك[8] يا أبا الصهباء! وقال هانىء: إخْسأ! فقال: إنّ أُسَيد بن جباة لا يفارق فرسه الشقراء ليلاً

---

(١) العقد الفريد ٥/١٩٢ ـ ١٩٦، نهاية الأرب ١٥/٣٨٦ ـ ٣٨٨.

(٢) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة. (معجم البلدان ٤/١٧٦).

(٣) حَزْن يربوع: هو يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم قبيلة جرير، وهو قرب فَيْد، وهو من جهة الكوفة. (معجم البلدان ٢/٢٥٤).

(٤) الحُدَيقة: كأنه تصغير حدقة. موضع في قُلّة الحَزْن من ديار بني يربوع لبني حمير بن رياح منهم. وهما حديقتان بهذا المكان: (معجم البلدان ٢/٢٣٢).

(٥) روضة الثَمَد: في بطن مليحة. (معجم البلدان ٣/٨٧).

(٦) في طبعة صادر ١/٦١٢ «حضبة الحصى»، وهذا وهم. وما أثبتناه عن معجم البلدان ٢/٣٧٦ حيث قال ياقوت: الخصيّ: بلفظ الخصيّ الخادم: موضع في أرض بني يربوع بين أُفاق وأُفَيْق.

(٧) خُفاف: بضم أوله، من مياه عمرو بن كلاب بحمى ضرية، وهو يسرة وضح الحمى. (معجم البلدان ٢/٣٧٩).

(٨) السَحْر: ما التزق بالحلقوم والمريء من أعلى الرئة. يقال للجبان: ملأ الخوف جوفه فانتفخ السحر.

ونهاراً، فإذا أحسّ بكم ركبها حتّى يشرف على مُلَيْحة[1] فينادي: يا آل ثعلبة، فيَلقاكم طعَنٌ يُنْسيكم الغنيمة، ولم يبصر أحد منكم مصرع صاحبه، وقد عصيتموني وأنا تابعكم وستعلمون.

فأغاروا على بني زُبَيْد، وأقبلوا نحو بني عُتيبة، وبني عُبَيْد، فأحسّت الشقراء فرس أسيد بوقْع الحوافر، فنخست بحافرها، فركبها أسيد وتوجّه نحو بني يربوع بمُلَيْحة ونادى: يا سوء صباحاه! يا آل ثعلبة بن يربوع! فما ارتفع الضُّحى حتّى تلاحقوا، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت شيبان بعد أن قتلت من تميم جماعةً من فرسانهم، وقُتل من شيبان أيضاً وأُسر جماعة، منهم: هانىء بن قَبيصة، ففدى نفسه ونجا، فقال مُتَمّم بن نُوَيْرة في هذا اليوم:

لَعَمْري لَنِعْمَ الحيّ أسمع غُدوةً ... أسِيدُ وقد جدّ الصراخُ المصدّقُ
وأسمع فتياناً كجِنّة عَبقَر ... لهم ريِّقٌ[2] عند الطِّعانِ ومَصْدقُ
أخذْن بهم جنبَيْ أُفاقٍ[3] وبطنَها ... فما رجعوا حتّى أرقّوا وأعتَقُوا

وقال العوّام[4] في هذا اليوم:

قَبحَ الإلهُ عِصابةً من وائلٍ ... يوم الأُفاقة أسلموا بِسْطاما
ورأى أبو الصَّهْباء دون سَوامِهمْ ... طَعْناً يُسَلّي نفسه وزِحاما
كنتم أسوداً في الوغى فوُجِدتُم ... يوم الأُفاقة في الغبيط نعاما[5]

وأكثر العوّام الشعرَ في هذا اليوم. فلمّا ألحّ فيه أخذ بِسطام إبله، فقالت أمّه:

أرى كلّ ذي شِعْرٍ أصاب بشِعْره ... خلا أنّ عوّاما بما قال عَيَّلا[6]
فلا ينطقَنْ شعراً يكون جوازُهُ ... كما شعرِ عوّام أعام وأرْجلا

---

(١) مُلَيحة: تصغير ملحة: اسم جبل في غربي سَلمى أحد جبلي طيّء. وقيل: موضع في بلاد تميم. (معجم البلدان ٥/١٩٦، ١٩٧).

(٢) في النسخة (ت): «رتق».

(٣) أُفاق: بضم أوله. أفاق وأُفَيْق: موضعان في بلاد بني يربوع قرب الخصيّ. (معجم البلدان ١//٢٢٦).

(٤) هو العوّام بن شَوذَب الشيباني. أنظر له شعراً غير هذا في العقد الفريد ٥/١٩٥.

(٥) هذا البيت ساقط من النسخة (ر).

(٦) في النسخة (ب): «علا»، وفي النسخة (ي): «عتلا».

يوم الشّقيقة[1] وقتل بِسطام بن قيس

هذا يوم بين بني شيبان وضَبّة بن أُدّ، قُتل فيه بسطام بن قيس سيّد شيبان.

وكان سببه أنّ بِسطام بن قيس بن مسعود بن خالد بن عبد الله ذي الجدّيْن غزا بني ضَبّة، ومعه أَخوه السَّليل بن قيس، ومعه رجل يزجر الطير من بني أسد بن خُزَيْمة يسمّى نُقيداً[2]. فلمّا كان بِسطام في بعض الطريق رأى في منامه كأنّ آتياً أتاه، فقال له:

الدلْو تأتي الغَرَبَ المزِلّهْ.

فقصّ رؤياه على نُقَيد، فتطيّر وقال: ألا قلتَ:

ثمّ تعود بادياً مُبتلّهْ[3].

فتفرّط عنك النحوس. ومضى بِسطام على وجهه، فلمّا دنا من نَقاً يقال له الحسن في بلاد ضبّة صعده ليرى، فإذا هو بنَعَم قد ملأ الأرض، فيه ألف ناقة لمالك بن المُنْتَفِق الضّبّيّ، من بني ثعلبة بن سعد بن ضَبّة، قد فقأ عين فَحْلِها، وكذلك كانوا يفعلون في الجاهليّة إذا بلغت إبلُ أحدهم ألفَ بعير، فقأوا عين فحْلها لتُرَدّ عنها العين، وهي إبل مُرْتبعةٌ[4]، ومالك بن المنتفق فيها على فرس له جواد.

فلمّا أشرف بِسطام على النقا تخوّف أن يروه فينذروا به، فاضطّجع وتَدَهْدى حتّى بلغ الأرضَ وقال: يا بني شيبان لم أر كاليوم قطّ في الغرّة وكثرة النَّعم. ونظر نُقَيد إلى لحية بِسطام معفّرة بالتراب لما تدهدى، فتطيّر له أيضاً وقال: إن صدقت الطيرُ فهو أوّل من يُقتل. وعزم الأسديّ على فراقه، فأخذته رِعدة تهيُّباً[5] لفراقه والانصراف عنه وقال له: ارجع يا أبا الصهباء، فإنّي أتخوّف عليك أن تُقتل، فعصاه ففارقه نقيد.

وركب بِسطام وأصحابه، وأغاروا على الإبل واطّردوها، وفيها فحل لمالك يقال له أبو شاعر، وكان أعور، فنجا مالك على فرسه إلى قومه من ضبّة، حتّى إذا أشرف على تِعْشَار[6] نادى: يا صباحاه! وعاد راجعاً. وأدرك الفوارسُ القومَ وهم يطردون النَّعم، فجعل فحلُه أبو شاعر يشذّ من النَّعم ليرجع وتتبعه الإبل، فكلّما تبعته ناقة عقرها بِسطام، فلمّا رأى مالك ما يصنع بِسطام وأصحابه قال: ما ذا السفه يا بِسطام؟ (لا تعقرها فإمّا لنا وإمّا

---

(١) العقد الفريد ٥/٢٠٢، نهاية الأرب ١٥/٣٩١ ويسمّى نَقا الحسن.

(٢) في النسخة (ب): «نفيلا».

(٣) مجمع الأمثال ١/٤٨١.

(٤) في النسخة (ي): «ربيعة».

(٥) في النسختين (ب) و(ي): «تهيا».

(٦) تِعْشار: بالكسر ثم السكون. ماء لبني ضبّة. (معجم البلدان ٢/٣٤).

لك. فأبى بِسطام)[1]، وكان في أخريات الناس على فرس أدهم يقال له الزعفران، يحمي أصحابه، فلمّا لحقت خيل ضبّة قال لهم مالك: ارموا روايا القوم. فجعلوا يرمونها فيشقّونها. فلحقت بنو ثعلبة، وفي أوائلهم عاصم بن خليفة الصباحيّ، وكان ضعيف العقل، وكان قبل ذلك يعقّب قناة له، فيقال له: ما تصنع بها يا عاصم؟ فيقول: أقتل عليها بِسطاماً، فيهزأون منه. فلمّا جاء الصريخ ركب فرس أبيه بغير أمره ولحِق الخيل، فقال لرجل من ضبّة: أيّهم الرئيس؟ قال: صاحب الفرس الأدهم. فعارضه عاصم حتى حاذاه، ثمّ حمل عليه فطعنه بالرمح في صِماخ أذنه، أنفذ الطعنة إلى الجانب الآخر، وخرّ بِسطام على شجرة[2] يقال لها الألاءة. فلمّا رأتْ ذلك شيبان خلّوا سبيل النَّعم وولّوا الأدبار، فمِنْ قتيل وأسير.

وأسر بنو ثعلبة نِجادَ بن قيس أخا بِسطام، في سبعين من بني شيبان، وكان عبد الله بن غَنَمَة الضّبّيّ مجاوراً في شيبان، فخاف أن يُقْتَل فقال يرثي بِسطاماً:

لأُمِّ الأرضِ ويلٌ ما أجنّتْ	غداةَ[3] أضرّ بالحَسَنِ[4] السبيلُ
يقَسِّمُ ماله فينا وندعو[5]	أبا الصهباء إذ جنح الأصيلُ[6]
أجِدَّكِ[7] لَنْ تَرَيْهِ وَلَنْ نَراهُ	تَخُبُّ بِهِ عُذافِرَةٌ[8] ذَمُولُ[9]
حقيبةُ بطنِها[10] بَدَنٌ وسرْجُ	تُعارِضُها مُزَبَّبَةٌ زَؤولُ[11]
إلى ميعادِ أرعنَ[12] مُكْفَهِرّ	تُضَمَّرُ[13] في جوانبه الخيولُ
لكَ المرباعُ منها والصَّفايا	وحُكْمُك والنّشيطةُ[14] والفُضُولُ

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من النسخة (ر).

(٢) في النسخة (ب): «صخرة».

(٣) في العقد الفريد ٢٠٣/٥ «بحيث».

(٤) الحَسَن: جبل رمل.

(٥) في النسخة (ت): «وندوا».

(٦) هذا البيت في حاشية النسخة (ب).

(٧) في العقد «كأنك».

(٨) العُذافرة: الغليظة.

(٩) الذَمول: السريعة.

(١٠) في العقد «رَحْلها».

(١١) في العقد «مربَّبة دَءُول».
والمربَّبة: السمينة. والدءول: من الدألان، وهو نوع من السير.

(١٢) الأرعن: الجيش الكثيف كأنه أنف في الجبل.

(١٣) في النسخة (ي): «تضمم».

(١٤) النشيطة: ما أصابه الجيش في طريقه قبل أن يصل إلى مقصده.

لقد صمّت[1] بنو زيد بن عمرو ... ولا يُوفي ببسطامٍ قتيلُ
فخرّ على الألاءة لم يُوسَّدْ ... كأنّ جبينَهُ سيفٌ صقيلُ
فإن يَجزعْ عليه بنو أبيه ... فقد فُجعوا وفاتهُمُ جليلُ[2]
بمِطْعام إذا الأشوالُ[3] راحت ... إلى الحَجَرات ليس لها فَصيلُ

فلم يبق في بكر بن وائل بيت إلاّ وأُلْقي لقتله، لعُلوّ محلّه.

وقال شَمْعَلَة بن الأخضر بن هُبَيْرة الضَّبّيّ يذكره:

فيوم شَقيقةِ[4] الحَسَنَيْنِ[5] لاقت ... بنو شيبان آجالاً قِصارا
شَكَكْنا بالرماحِ وهنّ زُورٌ[6] ... صِماخَيْ كَبْشهم حتّى استدارا
وأوْجَرْناه[7] أسمرَ ذا كُعُوب ... يُشبّه طولَه مَسَداً مُغاراً[8]

الشّقيقة: أرض صلبة بين جبلَيْ رمل.

والحَسَنَان: نَقَوا رملٍ كانت الوقعة عندهما.

وقالت أمّ بِسطام بن قيس ترثيه:

لِيَبْكِ ابنَ ذي الجدّين بكرُ بن وائل ... فقد بان منها زينُها وجمالُها
إذا ما غدا فيهم غَدَوْا[9] وكأنّهم ... نجومُ سماء بينهنّ هلالُها
فلله عينَا مَنْ رأى مثله فتىً ... إذا الخيل يومَ الروع هبّ نزالُها
عزيزُ المَكَرّ لا يَهدّ جناحَه ... وليثٌ إذا الفتيان زلّت نعالُها
وحمّالُ أثقالٍ وعائدُ محجر ... تحلّ إليه كلّ ذاك رِحالُها
سيبكيك عانٍ لم يجدْ مَنْ يفكّه ... ويَبكيك فرسانُ الوغى ورِجالُها
وتبكيك أسرى طالما قد فككتَهم ... وأرملةٌ ضاعت وضاع عيالُها

---

(١) في النقائض «أفاتته»، وفي العقد الفريد ٥/٢٠٤ «ضمِنت».
(٢) في العقد، والنقائض: «فقد فُجعوا وحلّ بهم جليل».
(٣) الأشوال: النوق التي خفّ لبنَها وارتفع ضرعها، وأتى عليها سبعة أشهر من يوم نتاجها أو ثمانية فلم يبق في ضروعها إلا شوال من اللبن، أي بقية. (العقد ٥/٢٠٤ حاشية ٣).
(٤) في العقد ٥/٢٠٤، ونهاية الأرب ١٥/٣٩١ «شقائق».
(٥) الحسنان: كثيبان معروفان في بلاد بني ضبّة، يقال لأحدهما الحسن وللآخر الحسين.
(٦) الزور: المائلة.
(٧) أوجره: طعنه في فيه.
(٨) مُغاراً: مقتولاً.
(٩) في النسخة (ي): «غزاة».

مفَرِّج حومات الخطوب ومدركُ الـ ـحروب إذا صالت وعَزّ صيالُها
تغشى بها[1] كذاك ففجَّعتْ تميمٌ به أرماحُها ونبالُها
فقد ظَفِرتْ منّا تميمٌ بعثرةٍ وتلك لعمري عثرةٌ لا تُقالُها
أُصيبتْ به شيبانُ والحيّ يَشْكر وطير يُرَى إرسالُها وحبالُها

(عَنَمَة: بفتح العين المهملة، والنون).

يوم النِّسار[2]

النِّسار: أَجْبُل متجاورة، وعندها كانت الوقعة، وهو موضوع معروف عندهم.

وكان سبب ذلك اليوم أنّ بني تميم بن مُرّ بن أُدّ، كانوا يأكلون عمومتهم ضَبّة بن أُدّ، وبني عبد مَناة بن أُدّ، فأصابت ضبّة رهطاً من تميم. فطلبتهم تميم فانزاحت جماعة الرِّباب، وهم تَيْم، وعديّ، وثَوْر أطْحل، وعُكْل بنو عبد مَناة بن أُدّ، وضبّة بن أُدّ، وإنّما سُمّوا الرِّباب لأنّهم غمسوا أيديهم في الربّ حين تحالفوا، فلحِقت ببني أسد، وهم يومئذ حُلفاء لبني ذُبيان بن بَغيض. فنادى صارخ بني ضبّة: يا آل خِنْدف! فأصرختهم بنو أسد، وهو أوّل يوم تخندفتْ فيه ضبّة، واستمدّوا حليفهم طيِّئاً[3] وغطفان، فكان رئيس أسد يوم النِّسار عوف بن عبد الله بن عامر بن جَذيمة بن نصر بن قعين.

وقيل: خالد بن نَضْلة.

وكان رئيس الرِّباب الأسود بن المنذر أخو النعمان، وليس بصحيح، وكان على الجماعة كلّهم حِصْن بن حُذَيفة بن بدر؛ وفيه يقول زُهَير بن أبي سُلْمَى:

ومَنْ مثلُ حِصْنٍ في الحروب ومثله لإنداد[4] ضَيْمٍ أو لأمرٍ يُحاولُهْ
إذا حلّ أحياءُ الأحاليف حوله بذي نَجَب لَجّاته[5] وصواهُلَهْ

فلمّا بلغ بني تميم ذلك استمدُّوا[6] بني عامر بن صعصعة، (فأمدُّوهم. وكان حاجب بن زرارة على بني تميم، وكان عامر بن صعصعة)[7] جَوّاباً، وهو لقب مالك بن

---

(١) في النسخة (ر): «يعشنا به».
(٢) العقد الفريد ٥/٢٤٨، نهاية الأرب ١٥/٤٢١، معجم البلدان ٥/٢٨٣، البكري ٤/١٣٠٦.
(٣) في طبعة صادر ١/٦١٧ «ظبياً»، وفي النسخة (ي): «ضبياً». وما أثبتناه عن العقد الفريد، ونهاية الأرب.
(٤) في الأصل، والنسختين (ي) و(ر): «لإنكار».
(٥) في الطبعة الأوربية «هُداته».
(٦) في النسخة (ت): «اشهدوا».
(٧) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر).

كعب من بني أبي بكر بن كِلاب، لأنّ بني جعفر كان جوّاب قد أخرجهم إلى بني الحارث بن كعب فحالفوهم.

وقيل: كان رئيس عامر شُرَيْح بن مالك القُشَيْريّ.

وسار الجمعان فالتقوا بالنِّسار[1] واقتتلوا، فصبرت عامر واستحرّ بهم القتل، وانفضّت تميم فنجتْ، ولم يُصَبْ منهم كثير، وقُتِل شُرَيح القشيريّ رأسُ بني عامر، وقُتل عُبَيد بن معاوية بن عبد الله بن كلاب وغيرهما، وأُخذ عدّة من أشراف نساء بني عامر، منهنّ سلمى بنت المُخَلّف[2]، والعنقاء بنت هَمّام، وغيرهما، فقالت سلمى تعيّر جوّاباً والطُّفيل:

لحي الإلَهُ أبا ليلى بفَرّتِهِ	يوم النِّسار وقُنْبَ العير جوّاباً
كيف الفخار وقد كانت بمعترك	يومَ النِّسار بنو ذبيان أربابا
لم تمنعوا القومَ إنْ أشْلَوْا سوامَكُمُ	ولا النساء وكان القوم أحرابا

وقال رجل يعيّر جوّاباً والطّفَيْل بفراره عن امرأتَيْه:

وفرّ عن ضَرّتَيْهِ وجه خارئةٍ	ومالكُ فرّ قُنْبُ العَيْر جوّاب

القُنْب: غِلاف الذَّكر، وجوّاب لقب لأنّه كان يجوب الآثار، واسمه مالك.

وقال بشر بن أبي خازم في هزيمة حاجب:

وأفلت حاجب جَوْبَ[3] العوالي	على شَقْراء تلمع في السراب
ولو أدركْنَ رأسَ بني تميم	عفرنَ الوجه منه بالتراب

وكان يوم النِّسار بعد يوم جَبَلَة وقتْل لَقِيط بن زُرارة.

(جَوّاب: بفتح الجيم، وتشديد الواو، وآخره باء موحّدة. وخازم: بالخاء المعجمة، والزاي).

---

(١) النِّسار: بكسر أوله. هي أجبُل صغار شُبِّهت بأنسُر. (معجم ما استعجم ٤/١٣٠٦.

(٢) في النسخة (ي): «المخلق»، وفي النسخة (ر): «المحلق».

(٣) في النسخة (ت): «فرت»، وفي النسخة (ر): «فوق».

يوم الجِفار[1]

لمّا كان على رأس الحَوْل، من يوم النِّسار، اجتمع من العرب مَنْ كان شهد النِّسار، وكان رؤساؤهم بالجِفار الرؤساء الذين كانوا يوم النِّسار، إلّا أنّ بني عامر قيل كان رئيسهم بالجِفَار عبد الله بن جَعْدة بن كعب بن ربيعة، فالتقوا بالجِفار واقتتلوا، وصبرت تميم، فعظُم فيها القتل، وخاصّة في بني عمرو بن تميم، وكان يوم الجِفَار يُسمّى الصَّيْلم، لكثرة مَنْ قُتل به؛ وقال بِشْر بن أبي خازم في عصبة تميم لبني عامر:

غضبتْ[2] تميمٌ أن يقتَّل عامرٌ ... يوم النِّسار فأُعْقِبُوا[3] بالصَّيْلمِ[4]
كنّا إذا نفروا لحربٍ نَفْرَةً[5] ... نشفي صُداعَهُمْ برأس صِلدِمِ
نَعْلُو الفوارسَ بالسيوفِ ونَعْتَزي ... والخيل مشعلة النحور من الدمِ
يخرُجن من خلل الغبار عوابساً ... خَبَبَ[6] السباع بكلِّ ليث ضَيغمِ

وهي عدّة أبيات، وقال أيضاً:

يومُ الجِفار ويوم النّسا ... رِ كانا عذاباً وكانا غَراما[7]
فأما تميمٌ تميمُ بن مُرّ ... فألفاهم[8] القوم روبى[9] نِياما
وأمّا بنو عامر بالجِفَار ... ويوم النّسار فكانوا نَعاما

(فلمّا أكثر بِشر على بني تميم، قيل له: ما لك ولتميم وهم أقرب الناس منك أَرحاماً؟ فقال: إذا فرغتُ منهم فرغتُ من الناس ولم يبق أحد)[10].

---

(١) العقد الفريد ٢٤٨/٥، نهاية الأرب ٤٢١/١٥ (في يوم النِّسار)، معجم ما استعجم ٣٨٥/٢ (الجِفار) بكسر أوله، وبالراء المهملة. موضع بنجد. قال أبو عبيدة: في بلاد تميم. ومعجم البلدان ١٤٤/٢.

(٢) في طبعة صادر ٦١٩/١ «عصبت» بالعين والصاد المهملتين. وما أثبتناه عن العقد والنهاية.

(٣) في العقد والنهاية «فأعقبوا» بالقاف، ويُروَى «فاغضبوا».

(٤) الصليم: السيف، (لسان العرب: صلم).

(٥) في النسخة (ي): «نفيرة». وفي النسخة (ر):

كنّا إذا نغزو لحرب بعده

(٦) في النسخة (ي): «حسب»، وفي الطبعة الأوربية «خيب».

(٧) البيت في معجم ما استعجم ٣٨٥/٢، وفي معجم البلدان ١٤٤/٢ بتقديم النسار على الخفار.

(٨) في النسخة (ي): «فألقاهم».

(٩) في النسخة (ي): «رومى»، وفي النسخة (ت): «دوثى».

(١٠) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر).

يوم الصَّفْقة والكُلاب الثاني[1]

أمّا يوم الصَّفْقة وسببه فإنّ باذان، نائب كسرى أَبْرَوِيز بن هُرمُز باليمن، أرسل إليه حملاً من اليمن. فلمّا بلغ الحمل إلى نَطَاع من أرض نجد أغارت تميم عليه وانتهبوه، وسلبوا رُسُلَ كسرى وأساورته. فقدِموا على هَوْذة[2] بن عليّ الحنفيّ صاحب اليمامة مسلوبين، فأحسن إليهم وكساهم. وقد كان قبل هذا إذا أرسل كسرى لطيمة تباع باليمن يجهّز رُسُله ويخفرهم ويحسن جوارهم، وكان كسرى يشتهي أن يراه ليجازيه على فِعله. فلمّا أحسن أخيراً إلى هؤلاء الرسل الذين أخذتهم تميم قالوا له: إنّ الملك لا يزال يذكرك ويُؤثر أن تقدم عليه، فسار معهم إليه. فلمّا قدِم عليه أكرمه وأحسن إليه وجعل يحادثه لينظر عقله، فرأى ما سرّه، فأمر له بمال كثير، توّجه بتاج من تيجانه، وأقطعه أموالاً بِهَجَر.

وكان هَوْذة نصرانيّاً، وأمره كسرى أن يغزو هو والمُكعبر مع عساكر كسرى بني تميم، فساروا إلى هَجَر ونزلوا بالمُشَقّر. وخاف المكعبر وهَوْذة أن يدخلا بلاد تميم، لأنّها لا تحتملها العجم، وأهلها بها ممتنعون، فبعثا رجالاً من بني تميم يدعونهم إلى الميرة، وكانت شديدة، فأقبلوا على كلّ صعب وذَلول، فجعل المكعبر يُدخلهم الحصن خمسة خمسة، وعشرة عشرة، وأقلّ وأكثر، يُدخلهم من باب على أنّه يُخرجهم من آخر، فكلّ من دخل ضرب عنقه. فلمّا طال ذلك عليهم ورأوا أنّ الناس يدخلون ولا يخرجون بعثوا رجالاً يستعلمون الخبر، فشدّ رجل من عبس فضرب السلسلة فقطعها، وخرج مَنْ كان بالباب. فأمر المكعبر بغلق الباب وقتل كلّ من كان بالمدينة، وكان يوم الفِصْح، فاستوهب هَوْذة منه مائة رجل، فكساهم وأطلقهم يوم الفصح. فقال الأعشى[3] من قصيدة يمدح هَوْذة:

بهم يُقَرِّب يومَ الفصح ضاحيةً ... يرجو الإله بما أسْدَى وما صنعا

فصار يوم المُشَقّر مثلاً، وهو يوم الصَّفْقة لإصفاق الباب، وهو إغلاقه. (وكان يوم الصفقة وقد بُعث النبيّ، ﷺ، وهو بمكّة بعدُ لم يهاجر)[4].

وأمّا يوم الكُلاب الثاني، فإنّ رجلاً من بني قيس بن ثعلبة قدِم أرضَ نجران على بني الحارث بن كعب، وهم أخواله، فسألوه عن الناس خلفه، فحدّثهم أنّه أُصْفِق على

(١) الاشتقاق ١٢٣، النقائض ١٥٠، العقد الفريد ٥/٢٢٤، نهاية الأرب ١٥/٤٠٧.
(٢) في النسخة (ي): «هودة».
(٣) في ديوانه ـ ص ٨٦.
(٤) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر).

بني تميم باب المشقّر، وقُتلت المقاتلة، وبقيت أموالهم وذراريهم في مساكنهم لا مانع لها. فاجتمعت بنو الحارث من مَذْحِج، وأحلافها من نَهْد، وجَرْم بن رَبّان[1]، فاجتمعوا في عسكر عظيم بلغوا ثمانية آلاف، ولا يُعْلَم في الجاهليّة جيش أكثر منه، ومن جيش كسرى بذي قار، ومن يوم جَبَلَة، وساروا يريدون بني تميم، فحذّرهم كاهن كان مع بني الحارث واسمه سَلَمة بن المُغَفّل وقال: إنّكم تسيرون أعياناً، وتغزون أحياناً، سعداً وريانا، وتردون مياهها جياباً، فتلقون عليها ضراباً، وتكون غنيمتكم تراباً، فأطيعوا أمري ولا تغزوا تميماً. فعصوه وساروا إلى عُرْوة[2]، فبلغ الخبرُ تميماً، فاجتمع ذوو الرأي منهم إلى أكثم بن صَيْفيّ، وله يومئذ مائة وتسعون سنة، فقالوا له: يا أبا جيدة[3] حقّق[4] هذا الأمر، فإنّا قد رضيناك رئيساً[5]. فقال لهم:

وإنّ امرأً قد عاش تسعين حجّةً ... إلى مائة لم يسأم العيشَ جاهلُ
مضتْ مائتان غيرَ عَشْرٍ وفاؤها ... وذلك من عدّ الليالي قلائلُ[6]

ثمّ قال لهم: لا حاجة لي في الرسالة، ولكنّي أشير عليكم لينزل حنظلة بن مالك بالدَّهْناء، ولينزل سعد بن زيد مَناة والرِّباب، وهم ضَبّة بن أُدّ، وثَوْر، وعُكْل، وعديّ بنو عبد مَناة بن أُدّ: الكُلابَ، فأيّ الطريقَيْن أخذ القوم كفى أحدهما صاحبه، ثمّ قال لهم: احفظوا وصيّتي، لا تُحْضِروا النساءَ الصفوف، فإنّ نجاة اللئيم في نفسه ترْك الحريم، وأقِلّوا الخلاف على أمرائكم، ودَعُوا كثرة الصياح في الحرب فإنّه من الفشل، والمرء[7] يعجز لا محالة، فإنّ أحمق الحمق الفُجُور، وأكيسَ الكَيس التّقى[8]، كونوا جميعاً في الرأي، فإنّ الجميع معزّز[9] للجميع، وإيّاكم والخلافَ، فإنّه لا جماعة لمن اختلف، ولا تلبثوا ولا تسرعوا، فإنّ أحزم الفريقَيْن الركين، «ورُبّ عجلة تَهب رَيْثاً»[10]، «وإذا عَزّ أخوك فهُنْ»[11]، البسوا جلود النمور، وابرزوا للحرب، وادّرعوا الليلَ، واتّخذوه جملاً، فإنّ الليل

---

(١) في الطبعة الأوربية «حزم بن ريّان»، وما أثبتناه عن: الأعلام للزركلي (مادّة: جرم).
(٢) في النسخة (ت): «غزوة»، وفي النسخة (ر): «غزوهم».
(٣) في النسختين (ب) و(ي): «جندة».
(٤) في النسخة (ر): «حفر».
(٥) من النسخة (ي).
(٦) أخبار المعمّرين لأبي حاتم السجستاني ٢٢، الوافي بالوفيات ٣٤٣/٩، الإصابة ١١٣/١.
(٧) في النسخة (ي): «فان المرء».
(٨) في النسختين (ب) و(ي): «بغى».
(٩) في النسخة (ر): «مقرب».
(١٠) مجمع الأمثال ٥٣٥/١ وفي النسختين (ب) و(ي): «دماً».
(١١) مجمع الأمثال ٢٧/١.

أخفى للويل، والثبات أفضل من القوّة، وأهنأُ الظفر كثرة الأسرى، وخير الغنيمة المال، ولا ترهبوا الموت عند الحرب، فإنّ الموت من ورائكم، وحبّ الحياة لدَى الحرب زَلَلٌ[١]، ومن خير أمرائكم النعمان بن مالك بن حارث بن جَسّاس، وهو من بني تميم بن عبد مَناة بن أُدّ.

فقبلوا مشورته، ونزلت عمرو بن حنظلة الدَّهْناء، ونزلت سعد والرِّباب الكُلابَ، وأقبلت مَذْحِج ومَنْ معها من قُضاعة، فقصدوا الكُلاب. وبلغ سعداً والرباب الخبرُ. فلمّا دنت مَذْحِج نذرهم شميت بن زنباع اليربوعيّ، فركب جمله وقصد سعداً ونادى: يا آل تميم يا صباحاه! فثار الناسُ، وانتهت مَذْحِج إلى النَّعم، فانتهبها الناسُ، وراجزُهم يقول:

في كلّ عام نَعَمٌ ننتابُه ... على الكُلاب غُيَّبَت[٢] أصحابُه

يسقط في آثاره غلاّبُه

فلحق قيس بن عاصم المِنْقريّ، والنعمان بن جَسّاس، ومالك بن المُنْتَفِق في سرعان الناس، فأجابه قيس يقول:

عمّا قليلٍ تلتحق[٣] أربابُه ... مثل النجوم حُسَّراً[٤] سحابُه[٥]

لَيمنعنّ النَّعم اغتصابُه ... سعدٌ وفرسان الوغى أربابُه[٦]

ثمّ حمل عليهم قيس وهو يقول:

في كلّ عام نَعَمٌ تَحْوونَهُ ... يَلْقَحُهُ[٧] قومٌ وتَنْتجونَهُ[٨]

أربابه نَوكَى فلا يَحْمونَهُ ... ولا يُلاقون طِعاناً دونَهُ

أنَعَمَ الأبناءِ تحسِبونَهُ ... هيهاتِ هيهاتِ[٩] لما ترجُونَهُ

---

(١) في النسخة (ي): «ذل زَلَل».

(٢) في الطبعة الأوربية «غُيِّب».

(٣) في النسخة (ر): «يلحقن».

(٤) في النسخة (ت): «خسرت»، وفي النسخة (ر): «حسرت».

(٥) في الأغاني ١٦/٣٣٠:

عمّا قليل سَتُرَى أربابُهُ ... صُلبَ القناةِ حازماً شبابُهُ

(٦) في الأغاني:

في كل عام نَعَمٌ ننتابُهُ ... على الكُلاب غُيَّبا أربابُهُ

(٧) في الطبعة الأوربية «يلحقه».

(٨) هكذا قُيِّد مضبوطاً في طبعة صادر ١/٦٢٤، وفي الأغاني:

يُلقِحُهُ قوم وتَنْتِجُونَهُ

(٩) في الأغاني: «هيهاتَ هيهاتَ».

فاقتتل القومُ قتالاً شديداً يومَهم أجمعَ. فحمل يزيد بن شَدّاد بن قَنان الحارثيّ على النعمان بن مالك بن جَسّاسٍ، فرماه بسهم فقتله، وصارت الرياسة لقيس بن عاصم، واقتتلوا حتّى حجز بينهم الليلُ، وباتوا يتحارسون. فلمّا أصبحوا غدوا على القتال، وركب قيس بن عاصم، وركبت مَذْحج، واقتتلوا أشدّ من القتال الأوّل، فكان أوّل من انهزم من مَذْحِج مُدْرج الرياح، وهو عامر بن المَجُون[1] بن عبد الله الجَرْميّ، وكان صاحب لوائهم، فألقى اللواء وهرب، فلحِقه رجل من بني سعد، فعقر به دابّته، فنزل يهرب ماشياً، ونادى قيس بن عاصم: يا آل تميم عليكم الفرسان ودَعوا الرجّالة فإنّها لكم، وجعل يلتقط الأسارى، وأُسر عبد يَغُوث بن الحارث بن وقّاص الحارثيّ رئيس مَذْحِج، فقُتل بالنعمان بن مالك بن جَسّاس، وكان عبد يغوث شاعراً، فشدّوا لسانه قبل قتله لئلّا يهجوهم، فأشار إليهم ليحلّوا لسانه ولا يهجوهم، فحلّوه، فقال شعراً:

ألا لا تلوماني كفى اللومُ ما بِيا ... فما لكما في اللوم نفعٌ[2] ولا لِيا
ألم تعلما أنّ الملامةَ نفعُها ... قليلٌ وما لومي أخي[3] من شِماليا
فيا راكباً إمّا عرضتَ[4] فبلِّغَنْ ... نَداماي من نَجْران ألّا تلاقِيا
أبا كربٍ[5] والأيهمَيْن[6] كِلَيْهما ... وقيساً[7] بأعلى حَضْرَموت اليمانِيا
أقول وقد شدّوا لساني بنِسعةٍ[8]: ... معاشِرَ[9] تَيْم أطلقوا من[10] لسانيا
كأنّيَ لم أركبْ جواداً ولم أقلْ ... لخيليَ كُرّي كرّةً من ورائيا[11]

---

(١) في النسخة (ر): «المجنون».

(٢) في العقد الفريد ٥/٢٢٩ ونهاية الأرب ١٥/٤١٢، والأمالي ٣/١٣٢ «خير».

(٣) في طبعة صادر ١/٦٢٥ «أخاً» والتصويب من الأغاني ١٦/٣٣٣، والعقد الفريد، ونهاية الأرب.

(٤) عرضت: أتيت العروض، وهي مكة والمدينة وما حولهما.

(٥) أبو كرب: هو بشر بن علقمة بن الحارث.

(٦) الأيهمان: هما الأسود بن علقمة بن الحارث، والعاقب وهو عبد المسيح بن الأبيض.

(٧) هكذا في النقائض ١٥٣، والأغاني ١٦/٣٣٤، والأمالي ٣/١٣٢ وفي العقد الفريد ٥/٢٢٩ «قيس». وهو قيس بن معد يكرب أبو الأشعث بن قيس الكندي. وسيأتيان.

(٨) النسعة: القطعة من النسع، وهو سير يضفر من جلد. قال محقق الأغاني (حاشية ٤): وفي شدّ اللسان بها قولان، الأول: ان هذا مَثل، لأن اللسان لا يشدّ بنسعة، وإنما أراد: افعلوا بي خيراً ينطلق لساني بشكركم، فإن لم تفعلوا فلساني مشدود لا يقدر على مدحكم. والثاني أنهم شدّوه بنسعة خفيفة، وإليه ذهب الجاحظ في «البيان والتبيين» ٤/١٠٩ وحكى ابن الأنباري أنهم ربطوه بنسعة مخافة أن يهجوهم.

(٩) هكذا في جميع المصادر. وفي البيان والتبين: «أمعشر».

(١٠) في العقد الفريد ٥/٢٣٠ «عن»، وفي الأغاني ١٦/٣٣٤ «لي» وكذلك في نهاية الأرب ١٥/٤١٢.

(١١) في البيان والتبيين: «كرّة عن رجاليا»، وفي نهاية الأرب ١٥/٤١٢:
لخيْليَ كُرّي قاتلي عن رجالنا

ولم أسْبَأْ[1] الزِّقّ الرَّوِيَّ ولم أقُلْ ... لأيسارِ صَدْقٍ عَظِّموا[2] ضوءَ ناريا

وقد علمتْ عِرْسي مُلَيْكةُ أنّني ... أنا الليث مَعْدُوّاً[3] عليه وعاديا[4]

لَحَى الله قوماً بالكُلاب شهدتُهمْ ... صميمَهُمُ والتابعين المواليا[5]

ولو شئتُ نجّتْني من القوم شَطْبَةٌ ... تَرى خَلْفَها الكُمْتَ العتاق تواليا[6]

وكنت إذا ما الخيل شمّصها[7] القنا ... لَبِيقاً[8] بتصريف القناة بنانيا

فيا عاصِ فُكّ القيدَ عنّي فإنّني ... صَبُورٌ على مرّ الحوادث ناكِيا

فإن تقتلوني تَقتلوا بيَ سيّداً ... وإن تُطلقوني تَحْرِبُونيَ[9] مالِيا[10]

أبو كرِب: بِشْر بن علقمة بن الحارث، والأيهمان: الأسود بن علقمة بن الحارث، والعاقب وهو عبد المسيح بن الأبيض، وقيس بن مَعدي كرِب، فزعموا أنّ قيساً قال: لو جعلني أوّل القوم لافتديته بكلّ ما أملك. ثمّ قُتل ولم يُقبل له فدية.

(ربان بالراء والباء الموحّدة).

يوم ظهر الدهناء[11]

وهو يوم بين طيّء وأسد بن خُزَيْمة.

وسبب ذلك أنّ أوس بن حارثة بن لأم الطائيّ كان سيّداً مطاعاً في قومه وجواداً مقداماً، فوفد هو وحاتم الطائيّ على عمرو بن هِنْد، فدعا عمرو أوساً فقال له: أنتَ أفضلُ

---

(١) السباء: اشتراء الخمر.

(٢) في الأمالي ٣/١٣٣ ونهاية الأرب ١٥/٤١٢ «أعظِموا» وكذا في العقد.

(٣) في الأمالي، ونهاية الأرب «معديّاً».

(٤) في الطبعة الأوربية «فعدواً عليه وغاديا».

(٥) البيت في الأغاني، والعقد الفريد، والأمالي:
جزى الله قومي بالكُلاب مَلامة ... صَريحهم والآخِرين المَواليا

(٦) البيت في الأغاني، والعقد الفريد، والأمالي:
ولو شئتُ نجّتْني من القوم نَهدة ... ترى خلفها الجُرْدَ الجِياد تَواليا

(٧) شمَّصها: نفَّرها.

(٨) اللبيق: الحاذق.

(٩) في الطبعة الأوربية «تخربوني». وفي الأغاني: «تحُربُوني بماليا».

(١٠) أنظر القصيدة بتقديم وتأخير في الأبيات، واختلاف في الألفاظ، في: الكتاب لسيبويه ٢/٣٨٢، الأغاني ١٦/٣٣٣، ٣٣٦، شرح شواهد الشافية ٤٠٠، ٤٠١، الأمالي ٣/١٣٢، ١٣٣، النقائض ١٥٣، البيان والتبيين ٤/١٠٩، العقد الفريد ٥/٢٢٩ ـ ٢٣١، نهاية الأرب ١٥/٤١٢. والغادة في أسماء العادة للصغاني (مجلّة المجمع العلمي العراقي) ـ المجلد ٣١ ج ٤/١٤٠.

(١١) الدهناء: بفتح أوله، وسكون ثانيه. من ديار بني تميم. تُقصَر وتُمَدّ. وهي سبعة أجبل من الرمل في عرضها بين كل جبلين شقيقة. (معجم البلدان ٢/٤٩٣).

أم حاتم؟ فقال: أبَيْتَ اللعن! إن حاتماً أوحدها وأنا أحدها، ولو ملكني حاتم وولدي ولُحْمَتي لَوَهَبَنا في غداة واحدة. ثمّ دعا عمرو حاتماً فقال له: أنت أفضل أم أوس؟ فقال: أبيتَ اللعنَ! إنّما ذكرت أوساً ولأحدُ ولده أفضل منّي. فاستحسن ذلك منهما وحباهما وأكرمهما.

ثمّ إنّ وفود العرب من كلّ حيّ اجتمعت عند النعمان بن المنذر وفيهم أوس، فدعا بحلّة من حُلَل الملوك، وقال للوفود: احضروا في غد فإنّي مُلْبس هذه الحلّة أكرمَكم. فلمّا كان الغد حضر القومُ جميعاً إلّا أوساً، فقيل له: لِمَ تتخلّف؟ فقال: إن كان المراد غيري فأجمل الأشياء بي[1] ألّا أكون حاضراً، وإن كنتُ المراد فسأُطْلب. فلمّا جلس النعمان ولم ير أوساً قال: اذهبوا إلى أوس فقولوا له: احضرْ آمناً ممّا خفتَ. فحضر فأُلبس الحلّة، فحسده قوم من أهله، فقالوا للحُطَيْئة: اهجُهُ ولك ثلاثمائة ناقة. فقال: كيف أهجو رجلاً لا أرى في بيتي أثاثاً ولا مالاً إلّا منه! ثمّ قال:

كيف الهجاء وما تنفكّ صالحةٌ   من أهل لأم بظهر الغيب تأتيني

فقال لهم بِشْر بن أبي خازم: أنا هجواه لَكم، فأعطوه النوق، وهجاه فأفحش في هجائه وذكر أمّه سُعْدَى. فلمّا عرف أوس ذلك أغار على النوق فاكتسحها، وطلبه فهرب منه والتجأ إلى بني أسد عشيرته، فمنعوه منه ورأوا تسليمه إليه عاراً. فجمع أوس جَديلة طيّء وسار بهم إلى أسد، فالتقوا بظهر الدهناء تِلْقاء تَيْماء، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت بنو أسد وقُتلوا قتلاً ذريعاً، وهرب بِشْر، فجعل لا يأتي حيّاً يطلب جوارهم إلّا امتنع من إجارته على أوس. ثمّ نزل على جندب بن حصْن الكلابيّ بأعلى الصَّمّان[2]، فأرسل إليه أوس يطلب منه بِشْراً، فأرسله إليه. فلمّا قُدِمَ به على أوس أشار عليه قومه بقتله، فدخل على أمّه سُعْدى فاستشارها، فأشارت أن يردّ عليه ماله ويعفو عنه ويحبوه، فإنّه لا يغسل هجاءهُ إلّا مدحه. فقبل ما أشارت به، وخرج إليه وقال: يا بِشْر ما ترى أنّي أصنع بك؟ فقال:

أنّي لأرجو منكَ يا أوس نعمةً   وإنّي لأُخْرَى منك يا أوس راهبُ
وإنّي لأمحو بالذي أنا صادق   به كلَّ ما قد قلتُ إذ أنا كاذبُ

---

(١) في النسخة (ب): «الأشاتي»، وفي النسخة (ت): الأسياتي»، وفي النسخة (ي): «الأشاني». وفي الطبعة الأوربية «الأشابي».

(٢) الصَّمّان: بالفتح ثم التشديد. أرض فيها غِلَظ وارتفاع وفيها قيعان واسعة وخَبَارى تنبت السدر عذبة ورياض معشبة، وإذا أخصبت ربعت العرب جمعاً، وكانت الصمّان في قديم الدهر لبني حنظلة والحَزْن لبني يربوع، والدهناء لجماعتهم، والصّمّان متاخم للدهناء. (معجم البلدان ٣/٤٢٣).

فهـل ينفعنّي اليـوم عنـدك أنّـني ... سـأشكر إن أنعمتَ والشكـرُ واجبُ
فدىً لابن سُعدى اليوم كلّ عشيرتي ... بـني أسـد أقـصـاهُـمُ والأقـاربُ
تـداركني أوس بن سُعدى بنعمـة ... وقـد أمكنْتُـهُ من يـديّ العـواقبُ[1]

فمنّ عليه أوس وحمله على فرس جواد، عليه ما كان أخذ منه، وأعطاه من ماله مائةً من الإبل، فقال بِشر: لا جَرَمَ لا مدحتُ أحداً، حتى أموت، غيرك، ومدحه بقصيدته المشهورة التي أوّلها:

أتـعـرف مـن هُـنَيْـدَةَ رَسـمَ دارٍ ... بـحـرجـي ذُرْوَةٍ فـإلـى لـواهـا
ومـنـهـا مـنـزل بـبِـراقِ خَـبْـتٍ ... عفت حُـقُـبـاً وغـيّـرَهـا بِـلاهـا

وهي طويلة[2].

يوم الوَقِيط[3]

وكـان من حـديثـه أنّ اللهـازم تَجمّعتْ، وهي قيس، وتَيم الـلات ابنـا ثعلبـة بن عُكـابة[4] بن صعب بن عليّ بن بكـر بن وائل، ومعهـا عِجْل بن لُجَيْم، وعَنَـزَة بـن أسد بن ربيعـة بن نِزار، لتُغيرَ على بنيِ تميم وهم غارّون[5]. فـرأى ذلك الأعـور، وهو نـاشب بن بَشامة[6] العنبـريّ، وكان أسيـراً في قيس بن ثعلبة، فقـال لهم: أعطوني رجـلاً أرسله إلى أهلي أوصيهم ببعض حاجتي. فقالوا له: تـرسله ونحن حضور؟ قـال: نعم. فأتـوه بغلام مـولّد[7]، فقـال: أتيتموني بـأحمق! فقال الغـلام: والله مـا أنـا بـأحمق! فقـال: إنّي أراك مجنوناً! قال: والله ما بي جنون! قال: أتعقل؟ قال: نعم إنّي لعاقل. قـال: فالنيـران أكثر أم الكواكب؟ قال: الكواكب، وكلٌّ كثيـرة، فملأ كفّـه رملاً وقـال: كم في كفّي؟ قال: لا

---

(١) الشعـر في ديوان بشـر بن أبي خازم ـ نشره د. عزة حسن ـ دمشق ١٩٦٠ م، وفي شـرح المفضليّات ٦٥٨، وأيام العرب ١٣٧، وانظر حوله في: الموشح ٥٩، والشعر والشعراء ١/ ١٩٠، وخزانة الأدب ٢/ ٢٦٢.

(٢) أنظر الديوان.

(٣) الـوقيط: بالفتـح ثم الكسر، وآخـره طاء مهملة. المكـان الصلب الذي يستنقـع فيـه المـاء. (معجم البلدان ٥/ ٣٨٢) وقال البكري: الوقيظ: بالظاء المعجمة، والطاء المهملة معاً، على وزن فَعِيـل: ماء لبني مُجـاشع بأعلى بلاد بني تميم إلى بلاد بني عامر. (معجم ما استعجم ٤/ ١٣٨٢)
وانظر عن اليوم في: العقد الفريد ٥/ ١٨٢ ـ ١٨٥، نهاية الأرب ١٥/ ٣٧٩ ـ ٣٨١، الأمالي ١/ ٦، النقـائض ٣٠٦.

(٤) في النسخة (ب): «عكامة»، وفي النسخة (ي): «عكاية».

(٥) غارّون: غافلون.

(٦) في النسخة (ي): «نشابة».

(٧) في الأمالي ١/ ٦: «فجيء بعبد أسود».

أدري فإنّه لكثير. فأومأ إلى الشمس بيده وقال: ما تلك؟ قال: الشمس. قال: ما أراك إلاّ عاقلاً، اذهبْ إلى قومي فأبلغْهم السلام، وقلْ لهم ليُحْسنوا إلى أسيرهم، فإنّي عند قوم يحسنون إليّ ويكرمونني، وقلْ لهم فليُعَرّوا جملي الأحمر، ويركبوا ناقتي العَيْساء، وليرعوا حاجتي في بني مالك، وأخْبِرْهم أنّ العوسَج[1] قد أورق، وأنّ النساء قد اشتكت، وليعصوا هَمّام بن بَشَامة فإنّه مشؤوم مَحْدُودٌ[2]، وليطيعوا هُذَيْلَ بن الأخنس، فإنّه حازم ميمون، واسألوا الحارثَ عن خبري.

وسار الرسول فأتى قومه فأبلغهم، فلم يدروا ما أراد، فأحضروا الحارث وقصّوا عليه خبر الرسول. فقال للرسول: اقصص عليّ أول قصّتك. فقصّ عليه أوّل ما كلّمه حتّى أتى على آخره. فقال: أبلِغْه التحيّة والسلام، وأخبِرْه أنّا نَسْتوصي به. فعاد الرسول؛ ثمّ قال لبني العنبر: إنّ صاحبكم قد بيّن لكم، أمّا الرمل الذي جعل في كفّه فإنّه يخبركم أنّه قد أتاكم عددٌ[3] لا يُحصَى، وأمّا الشمس التي أومأ إليها فإنّه يقول: ذلك أوضح من الشمس، وأمّا جَمَله الأحمر، فالصَّمّان، فإنّه يأمركم أن تُعْروه، يعني ترتحلوا عنه، وأمّا ناقته العَيْساء، فإنّه يأمركم أن تحترزوا في الدهناء[4]، وأما بنو مالك، فإنّه يأمركم أن تنذروهم معكم، وأمّا إيراق العَوْسج، فإنّ القوم قد لَبسوا السلاح، وأمّا اشتكاء النساء، فإنّه يريد أنّ النساء قد خرزن الشِّكاء[5]، وهي أسقية الماء للغزو.

فحذر بنو العنبر، وركبوا الدهناءَ، وأنذروا بني مالك، فلم يقبلوا منهم.

ثمّ إنّ اللهازم[6]، وعِجْلاً، وعَنَزَة، أتوا بني حنظلة، فوجدوا عَمراً قد أجْلَتْ، فأوقعوا ببني دارم بالوَقيط، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وعظمت الحرب بينهم، فأسرت ربيعةُ جماعةً من رؤساء بني تميم، منهم ضِرار بن القَعْقاع بن مَعْبَد بن زُرَارة، فجزّوا ناصيته وأطلقوه، وأسروا (عَثْجَل بن المأمون)[7] بن زُرارة، وجُوَيْرة بن بدر بن عبد الله بن دارم، ولم يزل في الوثاق حتّى رآهم يوماً يشربون، فأنشأ يتغنّى يُسمعهم ما يقول:

---

(١) العوسج: الشوك.

(٢) في طبعة صادر ١/٦٢٩ «مجدود» بالجيم المعجمة، والتصويب من العقد الفريد، والأمالي، ونهاية الأرب. والمحدود: الممنوع من الخير.

(٣) في النسخة (ي): «عدو».

(٤) العبارة في المصادر: «وأما ناقته العَيْساء، فهي الدهناء يأمركم أن تحترزوا فيها».

(٥) الشكاء: جمع شكوة، بالفتح، وهو وعاء من أدم فيه الماء ويُحبس فيه اللبن.

(٦) اللهازم: في الأصل هي أصول الحنكين. وتُستعار لمتوسّط النسب والقبيلة. واللهازم: هم عنزة بن أسد بن ربيعة، وعجل بن لجيم، وتيم الله، وقيس ابنا ثعلبة، من بكر بن وائل. وقد كانوا جميعاً حلفاء.

(٧) العبارة في النسخة (ر): «طيسلة المأمون بن زرارة بن علقمة».

وقـائـلةٍ مـا غـالَـه أن يَـزُورنـا[1] وقـد كُنْتُ عن تلك الزيـارة في شُغْـلِ
وقـد أدركـتْنـي والـحـوادثُ جَـمّـةٌ مخـالِبُ قـومٍ لا ضعـافٍ ولا عُـزْلِ
سـراعٍ إلى الجُلّى[2] بطاءٍ عن الخنَـا رِزانٍ لَدَى النّاديّ[3] الباذِينَ في غير ما جَهْل
لـعـلّهُـمُ أن يُـمـطرونـي بـنـعـمـةٍ كما طاب[4] ماءُ المُزْن في البلد المَحْلِ
فقـد يُنعش الله الفتى بعـد ذِلّـةٍ[5] وقـد تَبْتني[6] الحُسنى سراةُ بني عِجْـلِ

فلمّا سمعوا الأبيات أطلقوه.

وأُسر أيضاً نُعَيْم، وعوف، ابنا القعقاع بن مَعْبد بن زُرارة، وغيرهما من سادات بني تميم، وقُتل حَكيم بن جذيمة بن الأصيلع النّهْشليّ، ولم يشهدها من نَهْشل غيره.

وعادت بكر، فمرّت بطريقها بعد الوقعة بثلاثة نفر من بني العنبر، لم يكونوا ارتحلوا مع قومهم، فلمّا رأوهم طردوا إبلهم، فأحرزوها من بكر.

وأكثَرَ الشعراءُ في هذا اليوم، فمن ذلك قول أبي مهوش الفَقْعَسيّ يعيّر تميماً بيوم الوقيط:

فمـا قـاتلت يـوم الـوقيـطَيْن نهشـل ولا الأنكد[7] الشؤمى فُقَيْم بن دارِمِ
ولا قضبتْ عـوفٌ[8] رجال مجـاشعٍ ولا قشـر الأستـاهَ[9] غيـرُ البـراجمِ

وقال أبو الطّفَيْل عمرو بن خالد بن محمود بن عمرو بن مَرْثد:

حَكّت[10]تميم بَـرْكَهـا لمّـا التقت رايـاتُنـا ككـواسـر العِقبـانِ
دَهِمـوا الوَقيط بجحفـلٍ جَمّ الوغى ورمـاحُـهـا كنـوازع الأشـطانِ

---

(١) في العقد ٥/١٨٤ «يزورها».
(٢) في العقد «الداعي».
(٣) في النسخة (ب): «لذني البادين»، وفي النسخة (ت): «لذي النادين»، وفي النسخة (ر): «التاذين». وفي طبعة صادر ١/٦٣٠ «الباذين» وما أثبتناه عن العقد الفريد.
(٤) في طبعة صادر: «صاب».
(٥) في العقد ٥/٨٥ «عُسرة».
(٦) في العقد «يبتدي».
(٧) في الطبعة الأوربية «الأسكة».
(٨) في الأصل «خوف» وفي نسخة اكسفورد «جوف».
(٩) في النسخة (ي): «خسر الأشياء»، وفي النسخة (ب): «يسر».
(١٠) في النسخة (ت): «حكمت».

يوم المَرُّوت[1]

وهو يوم بين تميم وعامر بن صَعْصَعة.

وكان سببه أنّه التقى قَعْنَب بن عَتّاب الرياحيّ، وبَحير بن عبد الله بن سلمة العامريّ بعُكاظ، فقال بَحير لقعنب: ما فعلتْ فرسُك البيضاء؟ قال: هي عندي، وما سؤآلك عنها؟ قال: لأنّها نجّتك منّي يوم كذا وكذا، فأنكر قعنب ذلك وتلاعنا، وتداعيا أن يجعل الله ميتة الكاذب بيد الصادق، فمكثا ما شاء الله. وجمع بَحير بني عامر، وسار بهم، فأغار على بنِي العنبر بن عمرو بن تميم، بـإِرَم الكَلْبة وهم خُلوفٌ، فاستاق السبْيَ والنَّعَم، ولم يلق قتالاً شديداً، وأتى الصريخُ بني العنبر بن عمرو بن تميم، وبني مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم، وبني يربوع بن حنظلة، فركبوا في الطلب، فتقدّمت عمرو بن تميم.

فلمّا انتهى بَحير إلى المَرّوت قال: يا بني عامر انظروا هل ترون شيئاً؟ قالوا: نرى خيلاً عارضةً رماحها على كواهل خيلها. قال: هذه عمرو بن تميم، وليست بشيء، فلحِق بهم بنو عمرو، فقاتلوهم شيئاً من قتال، ثمّ صدروا عنهم، ومضى بَحير، ثمّ قال: يا بني عامر انظروا هل ترون شيئاً؟ قالوا: نرى خيلاً ناصبةً رماحها. قال: هذه مالك بن حنظلة وليست بشيء، فلحقوا فقاتلوا شيئاً من قتال، ثمّ صدروا عنهم، ومضى بَحير وقال: يا بني عامر انظروا هل ترون شيئاً؟ قالوا: نرى خيلاً ليست معها رماح، وكأنّما عليها الصبيان. قال: هذه يربوع رماحها بين آذان خيلها، إيّاكم والموت الزّؤامَ، فاصبروا ولا أرى أن تنجوا.

فكان أوّل مَنْ لحِق من بني يربوع الواقعة، وهو نُعَيْم بن عتّاب، وكان يُسمّى الواقعة لبليّته، فحملٍ على المُثَلّم القُشَيْريّ فأسره، وحملتْ قشير على دَوْكس بن واقد بن حوط فقتلوه، وأسر نُعيم المصفّى القشيريّ فقتله، وحمل كِدام بن بَجيلة المازنيّ على بَحير فعانقه، ولم يكن لقعنب همّة إلاّ بَحير، فنظر إليه وإلى كِدام قد تعانقا، فأقبل نحوهما، فقال كِدام: يا قعنب أسيري[2]. فقال قعنب: مَازِ رأسك والسيفَ، يُريد: يا مازنيّ. فخلّى عنه كِدام، وشدّ عليه قعنب فضربه فقتله، وحمل قعنب أيضاً على صُهْبان، وأمّ صُهْبان مازنيّة، فأسره، فقالت بنو مازن: يا قعنب قتلتَ أسيرنا، فأعطِنا ابن

---

(١) المرّوت: بالفتح ثم التشديد والضم. وادٍ بالعالية. وقيل: من ديار ملوك غسان، وموضع آخر قرب النباج من ديار بني تميم. (معجم البلدان ٥/١١١)

وانظر عن اليوم: العقد الفريد ٥/١٧٩، والنقائض ٧٠، ونهاية الأرب ١٥/٣٧٧.

(٢) من النسخة (ر).

أخينا[1] مكانه، فدفع إليهم صُهْبان في بَحير[2]، فرضوا بذلك، واستنقذت بنو يربوع أموال بني العنبر وسبْيهم من بني عامر، وعادوا.

(بَحِير بفتح الباء الموحّدة، وكسر الحاء المهملة).

يوم فَيْف الريح[3]

وهو بين عامر بن صَعْصعة، والحارث بن كعب، وكان خبره أنّ بني عامر كانت تطلب بني الحارث بن كعب بأوتارٍ[4] كثيرة، فجمع لهم الحُصَيْن بن يزيد بن شدّاد بن قَنان[5] الحارثيّ، وهو ذو الغُصّة، واستعان بجُعْفيّ، وزُبَيْد، وقبائل سعد العشيرة[6]، ومُراد، وصُداء، ونَهْد، وخَثْعم، وشَهْران، وناهس. ثمّ أقبلوا يريدون بني عامر، وهم منتجعون مكاناً يقال له فَيْف الريح، ومع مَذْحِج النساء والذراري حتّى لا يفرّوا. فاجتمعت بنو عامر، فقال لهم عامر بن الطُفَيْل: أغيروا بنا على القوم، فإنّي أرجو أن نأخذ غنائمهم ونسبي نساءهم، ولا تَدَعُوهم يدخلون عليكم. فأجابوه إلى ذلك وساروا إليهم. فلمّا دنوا من بني الحارث ومَذْحِج، ومَنْ معهم أخبرتهم عيونُهم وعادت إليهم مشايخهم، فحذروا فالتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً ثلاثة أيّام يغادونهم القتال بفَيْف الريح، فالتقى الصُّمَيْل بن الأعور الكلابيّ، وعمرو بن صُبَيْح النَّهْديّ، فطعنه عمرو، فاعتنق الصُّمَيْل فرسه وعاد، فلقيه رجل من خَثْعَم فقتله، وأخذ درعه وفرسه.

وشهدت بنو نُمَيْر يومئذ مع عامر بن الطفيل، فأبلوا بلاء حسناً، وسمّوا ذلك اليوم حُرَيْجة الطِّعان، لأنّهم اجتمعوا برماحهم، فصاروا بمنزلة الحَرَجة، وهي شجر مجتمع.

وسبب اجتماعهم أنّ بني عامر جالوا جولة إلى موضع يقال له العرقوب، والتفت عامر بن الطفيل، فسأل عن بني نُمير، فوجدهم قد تخلّفوا في المعركة، فرجع وهو يصيح: يا صباحاه! يا نُمَيْراه! ولا نُمَير لي بعد اليوم! حتّى اقتحم فرسهُ وسط القوم، فقويت نفوسهُم، وعادت بنو عامر، وقد طُعن عامر بن الطفيل ما بين ثغرة نحره إلى سُرّته

---

(١) في النسخة (ي): «اختنا».

(٢) في الطبعة الأوربية «صهبان بحيراً».

(٣) فَيْف الريح: بين ديار عامر بن صعصعة وديار مَذْحِج وخَثْعم. (معجم ما استعجم ٣/١٠٣٨) وقال ياقوت في معجم البلدان ٤/٢٨٥: فَيْف الريح: بفتح أوله. معروف بأعالي نجد.
وانظر عن اليوم في: العقد الفريد ٥/٢٣٥، ونهاية الأرب ١٥/٤١٤.

(٤) في النسخة (ت): «بأوثان».

(٥) في النسختين (ب) و(ي): «قبان»، وفي النسخة (ت): «قتان».

(٦) في الطبعة الأوربية «القشيرية».

عشرين طعنةً. وكان عامر في ذلك اليوم يتعهّد الناسَ فيقول: يا فلان ما رأيتك فعلتَ شيئاً، فمن أبلى فَلْيُرِني سيفه أو رمحه، ومن لم يُبْلِ شيئاً تقدّم فأبلى، فكان كلّ من أبلى بلاء حسناً أتاه، فأراه الدم على سنان رمحه أو سيفه، فأتاه رجل من الحارثيّين اسمه مسهر[١]، فقال له: يا أبا عليّ انظر ما صنعتُ بالقوم! انظر إلى رمحي! فلمّا أقبل عليه عامر لينظر وجأه بالرمح في وجنته ففلقها[٢]، وفقأ عينه، وترك رمحه وعاد إلى قومه. وإنّما دعاه إلى ذلك ما رآه يفعل بقومه، فقال: هذا والله مُبير قومي! فقال عامر بن الطفيل:

أتونا بشَهْران العريضة كلّها ... وأَكْلُبَ طُرّاً في جياد السَّنَّوَّرِ[٣]
لعَمْري وما عَمْري عليّ بهيّن ... لقد شان حُرَّ الوجه طعنةُ مُسهِرِ[٤]
فبئس الفتى أن كنت أعور عاقراً[٥] ... جباناً وما أغنى لدى كلّ محضرِ

وأسرت بنو عامر يومئذ سيّد مُراد جريحاً، فلمّا برأ من جراحته أُطلق.

وممّن أبلى يومئذ أَرْبد بن قيس بن حُرّ بن خالد بن جعفر، وعُبَيد بن شُرَيْح بن الأحوص بن جعفر.

وقال لَبيد بن ربيعة، ويقال إنّها لعامر بن الطفيل:

أتونا بشهران العريضة كلّها ... وأكْلُبِها في مثل بكر بن وائلِ
فبتنا ومن ينزلْ به مثلُ ضيفنا ... يَبِتْ عن قِرَى أضيافِهِ غير غافلِ
أعاذلَ لو كان البدادُ[٦] لقُوبِلوا ... ولكنْ أتانا كلُّ جِنٍّ وخابلِ
وخَثْعَم حيّ يُعْدَلون بمَذْحج ... فهل نحن إلّا مثل إحدى القبائلِ

وأسرع القتل في الفريقَيْن جميعاً، ثمّ إنّهم افترقوا ولم يشتغلْ بعضهم عن بعض بغنيمة، وكان الصبر فيها والشرف لبني عامر.

---

(١) في النسخة (ي): «مشهر». وهو مسهر بن يزيد الحارثي. (العقد الفريد ٥/٢٣٥، ونهاية الأرب ١٥/٤١٤) وقيل «مسهر بن زيد» (الأمالي ٣/١٤٧).
(٢) في النسختين (ي) و(ر): «فقلعها».
(٣) في العقد الفريد ٥/٢٣٦
أتونا ببَهراء ومَذحج كلها ... وأكلُب طُرّاً في جِنان السَّنَوَّر
(٤) في النسخة (ي): «مشهر».
(٥) في الطبعة الأوربية «عامراً».
(٦) في الأصل، ونسخة أكسفورد ١٤٨ «العداد».

يوم اليحاميم ويُعرف أيضاً بقارات حُوق

وهو بين قبائل طيّء بعضها في بعض.

وكان سبب ذلك أن الحارث بن جَبَلَة الغسّانيّ كان قد أصلح بين طيّء. فلمّا هلك عادت إلى حربها، فالتقت جَديلة والغَوْث بموضع يقال له غرثان[1]، فقُتل قائد بني جَديلة وهو أسبع[2] بن عمرو بن لأم عمّ أوس بن خالد بن حارثة بن لأم، وأخذ رجل من سِنْبِس، يقال له مُصْعَب، أُذُنَيْه فخصف بهما نعليه، وفي ذلك يقول أبو سروة[3] السِّنْبِسيّ:

نخصف بالآذان منكم نعالَنَا ... ونشرب كرهاً منكُمُ في الجماجم

وتناقل الحيّان في ذلك أشعاراً كثيرة، وعظم ما صنعت الغَوْث على أوس بن خالد بن لأم، وعزم على لِقاء الحرب بنفسه، وكان لم يشهد الحروب المتقدّمة هو ولا أحد من رؤساء طيّء كحاتم بن عبد الله، وزيد الخيل، وغيرهم من الرؤساء، فلمّا تجهّز أوس للحرب، وأخذ في جمع جَديلة ولفّها، قال أبو جابر:

أقيموا علينا القصد يا آل طيّء ... وإلّا فإنّ العلم عند التحاسبِ
فمَنْ مثلُنا يوماً إذا الحرب شمّرت ... ومَن مثلُنا يوماً إذا لم نحاسبِ[4]
فإن تقطعيني أو تريدي مساءتي ... فقد قطع الخوف[5] المخوف ركائبي

وبلغ الغَوْثَ جمعُ أوس لها، وأوقدت[6] النار على منَاع، وهي ذروة أجأ[7]، وذلك أوّل يوم توقد عليه النار. فأقبلت قبائل الغوث، كلّ قبيلة وعليها رئيسها، منهم زيد الخيل وحاتم، وأقبلت جَديلة مجتمعة على أوس بن حارثة بن لأم، وحلف أوس أن لا يرجع عن طيّء حتّى ينزل معها جبليها: أجأ، وسلمى، وتجبي له أهلها.

وتزاحفوا والتقوا بقارات حُوق[8] على راياتهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ودارت الحرب

---

(١) في النسخة (ت): «عريان».
(٢) في النسخة (ي): «اسبغ».
(٣) في النسخة (ر): «سورة».
(٤) في النسخة (ب): «نخايف»، وفي النسخة (ت): «نحاسف»، وفي النسخة (ر): «نحارب».
(٥) في النسخة (ر): «الحرق».
(٦) في النسخة (ي): «وقذف».
(٧) أجأ: أحد جبلي طيّء، وهو غربيّ فَيْد، وبينهما مسير ليلتين. (معجم البلدان ١/ ٩٤).
(٨) قارات: جمع قارة، والقُور أيضاً جمع قارة، وهي أصاغر الجبال وأعاظم الآكام، وهي متفرّقة خشنة كثيرة الحجارة. (معجم البلدان ٤/ ٢٩٣) وحُوق: بالضمّ ثم السكون، والقاف، اسم موضع. (٢/ ٣٢٢).

على بني كباد بن جندب فأُبيروا[1].

قال عديّ بن حاتم: إنّي لَواقفٌ يوم اليحاميم، والناس يقتتلون إذ نظرت إلى زيد الخيل قد حضر ابنيه مكنفاً[2] وحُرَيْثاً[3] في شِعْب لا منفذ له، وهو يقول: أي ابنَيّ أبقيا على قومكما، فإنّ اليوم يوم التفاني، فإنْ يكن هؤلاء أعماماً فهؤلاء أخوال. فقلت: كأنّك قد كرهتَ قتال أخوالك! قال: فاحمرّت عيناه غضباً، وتطاول إليّ حتّى نظرت إلى ما تحته من سرجه فخفْتُه، فضربتُ فرسي وتنحّيت عنه، واشتغل بنظره إليّ عن ابنيه، فخرجا كالصَّقرين، وحمل قيس بن عازب على بَحير بن زيد الخيل بن حارثة بن لأم، فضربه على رأسه ضربة عنّق لها بَحير فرسه، وولّى، فانهزمت جديلة عند ذلك، وقُتل فيها قتلٌ ذريعٌ، فقال زيد الخيل:

تجيء بني لأم جيادٌ كأنّها ... عصائب طير يوم طلٍّ وحاصبِ[4]
فإن تَنْجُ منها لا يزلْ بك شامة ... أناء حياً بين الشَّجا والترائبِ
وفرّ ابنُ لأم واتّقانا بظهره ... يُرَدِّعه بالرمح قيس بن عازِبِ
وجاءتْ بنو مَعْنٍ كأنّ سيوفهم ... مصابيحُ من سقف فليس بآيبِ
وما فرّ حتّى أسلم ابنُ حُمارسٍ ... لوقعة مصقول من البِيض قاضبِ

فلم تبق لجديلة بقيّة للحرب بعد يوم اليحاميم، فدخلوا بلاد كلب، فحالفوهم وأقاموا معهم.

يوم ذي طُلُوح[5]

وهو يوم الصَّمْد، ويوم أُودٍ[6] أيضاً، وهو بين بكر وتميم، وكان من حديثه أنّ عَميرة بن طارق بن أرثم[7] اليربوعيّ التميميّ تزوّج مُرِّيّة[8] بنت جابر العِجْليّ أخت أبْجَر[9]، وسار إلى عِجْل ليبتني بأهله. وكان له في بني تميم امرأة أخرى تُعرف بابنة

(١) في النسخة (ي): «فأسروا».
(٢) في النسخة (ي): «بليقاً»، وفي النسخة (ت): «مكنعا».
(٣) في النسخة (ي): «خرساً».
(٤) في النسختين (ب) و(ي): «عاصب».
(٥) طُلُوح: بالضمّ. في حَزْن بني يربوع بين الكوفة وفَيْد. (معجم البلدان ٤/ ٣٩).
وانظر عن اليوم في: العقد الفريد ٥/ ١٨٨ ـ ١٩٠، نهاية الأرب ١٥/ ٣٨٣، ٣٨٤.
(٦) في النسخة (ت) «أواد».
(٧) في النسخة (ر): «أرنم».
(٨) في النسخة (ر): «مزبه».
(٩) في الأصل «ابحر»، وانحر، والحر.

النِّطف من بني تميم، فأتى أبْجر أخته يزورها وزوجها عندها. فقال لها أبجر: إنّي لأرجو أن آتيك بابنة النِّطف امرأة عَميرة. فقال له: ما أراكَ تُبْقي عليّ حتّى تَسْلبني أهلي. فندم أبجر وقال له: ما كنتُ لأغزو قومك، ولكنّني مُستأْسِر[1] في هذا الحيّ من تميم.

وجمع أبْجر، والحَوْفزان بن شَريك الشيبانيّ، الحوفزانُ على شيبان، وأبْجرُ على اللهازم، ووكّلا بعَميرة من يحرسه، لئلّا يأتي قومه فينذرهم. فسار الجيشُ، فاحتال عَميرة على الموكَّل بحِفْظه، وهرب منه، وجدّ السير إلى أن وصل إلى بني يربوع، فقال لهم: قد غزاكم الجيشُ من بكر بن وائل، فأعلموا بني ثعلبة بطناً منهم، فأرسلوا طليعة منهم، فبقوا ثلاثة أيّام، ووصلت بكر فركبت يربوع، والتقوا بذي طُلُوح. فركب عَميرة ولقي أبْجر فعرّفه نفسه، والتقى القومُ واقتتلوا، فكان الظفر ليربوع. وانهزمت بكر وأُسر الحَوْفزان، وابنه شَريك، وابن عَنَمة الشاعر، وكان مع بني شيبان، فافتكّه متمِّم بن نُوَيْرة، وأُسر أكثر الجيش البكريّ؛ وقال ابن عَنَمَة يشكر متمّماً:

جزى الله ربُّ الناس عنّي مُتمّماً ... بخير الجزاء ما أعفّ وأجْودا[2]
أُجيرتْ به أبناؤنا ودماؤنا[3] ... وشارك في إطلاقنا وتفرّدا
أبا نهشلٍ إنّي لكم غيرُ كافرٍ ... ولا جاعلٍ من دونك المالَ سرمدا[4]

يوم أقْرُن[5]

قال أبو عُبيدة: غزا عمرو بن عمرو بن عُدُس التميميّ بني عبس، فأخذ إبلهم، واستاق سبْيهم، وعاد حتّى إذا كان أسفلَ ثنيّة أقْرُن، نزل وابتنى بجارية من السبي، ولحِقه الطلب، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل أنسُ الفوارس بنُ زياد العبسيّ عَمراً، وابنَهُ حنظلة، واستردّوا الغنيمة والسبي، فنَعَى جَريرٌ على بني دارم ذلك فقال:

أتنسون عَمراً يومَ بُرْقَةِ أقْرُن ... وحنظلة المقتول إذ هو يافعا

وكان عمرو أسلع أبرص، وكان هو ومَنْ معه قد أخطأوا ثنية الطريق في عَودهم،

---

(١) في الطبعة الأوربية «متأسر».
(٢) في العقد الفريد ١٨٩/٥ «أمجدا».
(٣) في العقد «آباؤنا وبناتنا»، والمثبت يتفق مع النقائض.
(٤) في العقد والنقائض «مُؤصدا».
(٥) أقْرُن: بفتح أوله وإسكان ثانيه، وبضم الراء المهملة. موضع بديار بني عبس. (معجم ما استعجم ١٨٠/١).
وعن اليوم أنظر: العقد الفريد ١٧٨/٥، ١٧٩، ونهاية الأرب ٣٧٧/١٥.

وسلكوا غير الطريق، فسقطوا من الجبل الذي سلكوه، فلقوا شدّة، ففي ذلك يقول عَنْترة:

كأن السرايا يومَ نيقٍ وصارةٍ[1] ... عصائبُ طيرٍ يَنْتَحين لمشربِ
شفى النفسَ منّي أوْ دَنا لِشِفائها ... تهوّرُهم من حالقٍ متصوّبِ
وقد كنتُ أخشى أن أموتَ ولم تُقَم ... مراتبُ عمرٍو وسط نَوْحٍ مُسَلَّبِ

(وكانت أمّ سماعة بن عمرو بن عمرو من عبس، فزاره خاله فقتله بابنه، فقال في ذلك مسكين الدارميّ[2]:

وقاتل خاله بأبيه منّا ... سماعة لم يبع نَسَباً بخال)[3]

يوم السُّلّان[4]

قال أبو عُبيدة: كان بنو عامر بن صَعْصَعة حُمْساً، والحُمْس قريش ومَنْ له فيهم ولادة، والحُمْس متشدّدون[5] في دينهم، وكانت عامر أيضاً لَقاحاً لا يدينون للملوك. فلمّا ملك النعمان بن المنذر ملّكه كسرى أبرويز، وكان يجهّز كلّ عام لطيمة، وهي التجارة، لتباع بعُكاظ[6]، فعرضت بنو عامر لبعض ما جهّزه فأخذوه. فغضب لذلك النعمان، وبعث إلى أخيه لأمّه، وهو وَبَرَة بن رُومانس الكلبيّ، وبعث إلى صنائعه ووضائعه، والصنائعُ مَنْ كان يصطنعه من العرب لِيُغْزِيَهُ، والوضائعُ هم الذين كانوا شبه المشايخ[7]، وأرسل إلى بني ضَبّة بن أُدّ[8]، وغيرهم من الرِّباب، وتميم فجمعهم، فأجابوه. فأتاه ضِرار بن عمرو الضّبّيّ في تسعة من بنيه، كلّهم فوارس، ومعه حُبَيْش بن دُلَف، وكان فارساً شجاعاً، فاجتمعوا في جيش عظيم، فجهّز النعمان معهم عيراً، وأمرهم بتسييرها، وقال لهم: إذا

(١) في النسخة (ر): «قوة صارة».
وصارة: جبل قرب فَيْد. وقيل: جبل بالصمد بين تيماء ووادي القرى. (معجم البلدان ٣/٣٨٨).
(٢) هو ربيعة بن عامر بن أُنيف، ومسكين: لقب. أنظر عنه في: الشعر والشعراء ٢/٤٥٥، الأغاني ٢٠/١٦٩، معجم الأدباء ١١/١٢٦، تهذيب تاريخ دمشق ٥/٣٠٠، خزانة الأدب ١/٤٦٥، طبقات فحول الشعراء ٢٥٩، جمهرة أنساب العرب ٢٣٢، الاشتقاق ٢٣٣، أمالي المرتضى ١/٤٧٥.
(٣) ما بين القوسين من نسخة (ر).
أما البيت فغير موجود في ديوان مسكين الدارمي الذي جمعه خليل ابراهيم العطية وعبد الله الجبوري ـ بغداد ١٩٧٠ م.
(٤) السُّلّان: بضمّ أوله وتشديد ثانيه. قيل هي أرض تهامة مما يلي اليمن. (معجم البلدان ٣/٢٣٤).
(٥) في النسخة (ب): «مفسدون»، وفي النسخة (ر): «المشرّدون».
(٦) أنظر ما سبق في يوم الصفقة والكلاب الثاني.
(٧) في النسخة (ر): «المسالح».
(٨) في النسخ: (ب) و(ر) و(ي): «أود».

فرغتم من عُكاظ وانسلخت الحُرُمُ ورجع كلّ قوم إلى بلادهم، فاقصدوا بني عامر، فإنّهم قريب بنواحي السُّلّان. فخرجوا وكتموا أمرهم وقالوا: خرجنا لئلاّ يعرض أحد للطيمة الملك.

فلمّا فرغ الناس من عُكاظ علمت قريش بحالهم، فأرسل عبد الله بن جُدعان، قاصداً إلى بني عامر يُعْلِمهم الخبر، فسار إليهم وأخبرهم خبرهم، فحذروا وتهيّأُوا للحرب، وتحرّزوا ووضعوا العيونَ، وعاد عامر عليهم عامر بن مالك مُلاعب الأسنّة، وأقبل الجيش فالتقوا بالسُّلّان، فاقتتلوا قتالاً شديداً. فبينا هم يقتلون إذ نظر يزيد بن عمرو بن خُوَيْلد الصَّعِق إلى وَبَرَة بن رومانس أخي النعمان، فأعجبه هَيْئَته، فحمل عليه فأسره. فلمّا صار في أيديهم همَّ الجيش بالهزيمة، فنهاهم ضِرار بن عمرو الضّبّيّ، وقام بأمر الناس، فقاتل هو وبنوه قتالاً شديداً. فلمّا رآه أبو بَراء عامر بن مالك وما يصنع ببني عامر هو وبنوه حمل عليه، وكان أبو براء رجلاً شديد الساعد. فلمّا حمل على ضِرار اقتتلا، فسقط ضِرار إلى الأرض، وقاتل عليه بنوه حتّى خلّصوه وركب، وكان شيخاً، فلمّا ركب قال: «مَنْ سرّه بنوه ساءته نفسه»؛ فذهبت مثلاً. يعني مَنْ سرّه بنوه إذا صاروا رجالاً كبُر وضعُف، فساءه ذلك.

وجعل أبو براء يلحّ على ضِرار طمعاً في فدائه، وجعل بنوه يحمونه. فلمّا رأى ذلك أبو براء قال له: لتموتنّ أو لأموتنّ دونك، فأحِلْني على رجل له فداء. فأومأ ضرار إلى حُبَيْش بن دُلَف، وكان سيّداً، فحمل عليه أبو براء فأسره، وكان حبيش أسود نحيفاً دَمِيماً فلمّا رآه كذلك ظنّه عبداً، وأنّ ضراراً خدعه، فقال: إنّا لله، أعزز سائر القَوْم، ألا في الشؤم وقعتُ! فلمّا سمعها حُبيش منه خاف أن يقتله فقال: أيّها الرجل إن كنتَ تريد اللبن، يعني الإبل، فقد أصبتَه. فافتدى نفسه بأربعمائة بعير، وهُزم جيش النعمان. فلمّا رجع الفَلّ إليه أخبروه بأسر أخيه، وبقيام ضِرار بأمر الناس، وما جرى له مع أبي براء، وافتدى وَبَرَة بن رومانس نفسه بألف بعير وفرس من يزيد بن الصَّعِق، فاستغنى يزيد، وكان قبله خفيف الحال.

وقال لَبيد[1] يذكر أيّام قومه:

---

(١) هو لبيد بن ربيعة أحد شعراء الجاهلية والمخضرمين ممن أدرك الإسلام، ويقال إنه عُمِّر مائة وخمساً وأربعين سنة. أنظر عنه: الأغاني ١٥/٣٦١، الشعر والشعراء ١/١٩٩، المعمَّرين للسجستاني ٢، شرح شواهد المغني ٥٦، طبقات الشعراء لابن سلام ١١٣، سير أعلام النبلاء ١٥/٢٨٨ وله ترجمة في: الطبقات الكبرى لابن سعد، والاستيعاب، وأسد الغابة، والإصابة، وانظر معجم الشيوخ لابن جميع الصيداوي بتحقيقنا ـ ص ٢٩٤، ٢٩٥.

إنّي امــرؤ منعتْ أرومــةُ عــامــر ضيمي وقـد حنقتْ عليّ خصومُ

يقول فيها:

وغــداةَ قــاع القــريَتيْن أتــاهُمُ رَهْــواً يلوح خِـلالَهــا التسـويمُ
بكتــائبٍ رُجُـحٍ تَعَــوّد كبشُهــا نَـطْحَ الكبـاش كــأنّهنّ نجـومُ[1]

قوله: قاع القريتين، يعني يوم السُّلّان.

(حُبَيْش بن دُلَف: بضمّ الحاء المهملة، وبالباء الموحّدة، وبالياء المثنّاة من تحتها نقطتان، وآخره شين معجمة).

يوم ذي عَلَق[2]

وهو يوم التقى فيه بنو عامر بن صَعْصعة وبنو أسد بذي عَلَق، فاقتتلوا قتالاً عـظيماً. قُتل في المعركة ربيعة بن مالك بن جعفر بن كِلاب العـامريّ أبـو لَبيد الشـاعر، وانهـزمت عـامر، فتبعهم خـالد بن نَضْلة الأسـديّ، وابنه حَبيب، والحـارث بن خالـد بن المُضَلّل، وأمعنـوا في الطلب، فلم يشعـروا إلاّ وقد خـرج عليهـم أبو بَـرَاء عامـر بن مالـك من وراء ظهورهم، في نفر من أصحابه، فقال لخالد: يا أبا معقل إن شئتَ أَجَزْتَنا وأجَـزْنَاك، حتى نحمل جرحانا وندفن قتلانا. قال: قد فعلتُ. فتواقفوا. فقال لـه أبو بـراء: هل علمتَ مـا فعـل ربيعة؟ قـال: نعم، تركتـهُ قتيلاً. قـال: ومَنْ قتله؟ قال: ضـربْتُـه أنـا وأجهـز عليـه صـامت بن الأفْقم. فلمّا سمـع أبو بـراء بقتل ربيعـة حمـل على خـالـد هـو ومن معـه[3]، فمـانعهم خالـد وصاحبـاه، وأخـذوا سـلاح حبيب بن خـالـد، ولحقهم بنـو أسـد فمنعـوا أصحابهم وحموهم، فقال الجُمَيْح:

سـائل معـدّاً عن الفوارس لا أوفـوا بجيرانهم[4] ولا سلمـوا
يسعى بهم قُرْزُلٌ[5] ويستمعِ الـ ـنـاسُ إليهم وتَخْفُقُ الـلِّمَمُ
ركضـاً وقد غـادروا ربيعةَ في في الأثْآر[6] لمّا تقارب النَّسَمُ[7]

---

(١) ديوان لبيد ٩١.
(٢) ذو عَلَق: جبل معروف في أعـلاه هضبة سـوداء. قال البكـري: جبل في ديـار بني أسد (معجم مـا استعجم ٣/٩٦٤).
(٣) في النسختين (ب) و(ي): «ابنه».
(٤) في النسخة (ب): «بجرابهم».
(٥) في النسخة (ر): «قوزل».
(٦) في الطبعة الأوربية «الأثار» وما أثبتناه عن طبعة صادر والأثآر. جمع ثأر.
(٧) في النسخة (ر): «الشيم».

في صدره صَعدةٌ ويخلِجُهُ بالرمح حرّان باسلاً أَضِمُ

[قُرْزُل] (فرس الطفيل والد عامر بن الطفيل)[1].

وقال لَبِيد من قصيدة يذكر أباه:

ولا من ربيع المُقترين رُزِئتُهُ[2] بذي عَلَقٍ فاقْنَيْ حَياءَكِ واصْبِري

يوم الرَّقَم[3]

قال أبو عُبيدة: غزت عامر بن صَعْصَعة غطفانَ، ومع بني عامر يومئذ عامر بن الطُّفَيْل شابّاً لم يرئس بعد، فبلغوا وادي الرَّقَم، وبه بنو مُرّة بن عَوْف بن سعد، ومعهم قوم من أشْجع بن دِئب[4] بن غطفان، وناس من فزارة بن ذُبْيان، فنذِروا ببني عامر، وهجمت عليهم بنو عامر بالرَّقَم، وهو وادٍ بقرب تَضْرُع، فالتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً، فأقبل عامر بن الطّفَيْل فرأى امرأةً من فزارة فسألها. فقالت: أنا أسماء بنت نَوْفل الفزاريّ.

وقيل: كانت أسماء بنت حِصْن بن حُذَيفة.

فبينا عامر يسألها خرج عليه المنهزمون من قومه، وبنو مُرّة في أعقابهم. فلمّا رأى ذلك عامر، ألقى درعه إلى أسماء وولّى منهزماً، فأدّتها إليه بعد ذلك، وتبِعهم مُرّة وعليهم سِنان بن حارثة بن أبي حارثة المرّيّ، وجعل الأشجعيّون يذبحون كلّ من أسروه من بني عامر، لوقعة كانت أوقعتها بهم بنو عامر، فذلك البطن من بني أشجع، يسمّون بني مَذْحج، فذبحوا سبعين رجلاً منهم، فقال عامر بن الطفيل يذكر غطفانَ، ويُعرِّض بأسماء:

قد ساءلتْ أسمَاءُ وهي خفيّة لِضحائها أطُردتُ أم لم أُطرَدِ
فلأبغينّكمُ القنا وعوارضاً ولأُقبلنّ الخيلَ لابَةَ ضَرغَدِ
ولأبْرُزنّ بمالك وبمالك وأخي المَرَوْرَاتِ الذي لم يسندِ

في أبيات عدّة. فلمّا بلغ شعرهُ غطفانَ هجاه منهم جماعة، وكان نابغة بني ذُبْيان حينئذ غائباً عند ملوك غسّان قد هرب من النعمان. فلمّا آمنه النعمانُ وعاد سأل قومه عمّا هجوا به عامر بن الطفيل، فأنشدوه ما قالوا فيه وما قال فيهم، فقال: لقد أفحشتم وليس

---

(١) ما بين القوسين في نسخة (ر).

(٢) في الطبعة الأوربية «وريتُه».

(٣) الرَّقَم: بفتح أوله وثانيه. موضع بالحجاز، قِبَل يأجج، قريب من وادي القرى. (معجم ما استعجم ٢/٦٦٦).

وانظر عن اليوم في العقد الفريد ٥/١٦٠، ونهاية الأرب ١٥/٣٦٤.

(٤) في النسخة (ر): «ريث».

مثلُ عامر يُهْجَى بمثل هذا، ثمّ قال يخطّيء عامراً في ذكره امرأة من عقائلهم:

فإن يكُ عامرٌ قد قال جهلاً ... فإنّ مطيّة الجهل الشبابُ
فإنّك سوف تَحْلُمُ أو تُباهي ... إذا ما شِبْتَ أو شاب الغُرَابُ
فكن كأبيك أو كأبي بَراءٍ ... توافِقْكَ الحكومةُ والصوابُ
فلا تَذْهَبْ بحلمك طاميات[1] ... من الخُيَلاء ليس لهنّ بابُ

إلى آخرها. فلمّا سمعها عامر قال: ما هُجيتُ قبلها.

يوم ساحوق[2]

قال أبو عُبيدة: غزت بنو ذُبْيان بني عامر وهم بساحوق، وعلى ذبيان سنان بن أبي حارثة المرّيّ، وقد جهّزهم وأعطاهم الخيل والإبل وزوّدهم، فأصابوا نَعَماً كثيرة وعادوا، فلحِقتهم بنو عامر واقتتلوا قتالاً شديداً. ثمّ انهزمت بنو عامر وأُصيب منهم رجالٌ وركبوا الفلاة، فهلك أكثرهم عطشاً، وكان الحرّ شديداً، وجعلتْ ذبيان تدرك الرجل منهم فيقولون له: قفْ ولك نفسك وضعْ سلاحك، فيفعل. وكان يوماً عظيماً على عامر، وانهزم عامر بن الطُفَيْل وأخوه الحَكَم، ثمّ إنّ الحكم ضعُف وخاف أن يُؤسر، فجعل في عُنُقه حبلاً، وصعِد إلى شجرة، وشدّه ودلّى نفسَه فاختنق، وفعل مثله رجلٌ من بني غَنِيّ، فلمّا ألقى نفسَه ندم فاضطّرب، فأدركوه وخلّصوه وعيّروه بجزعه؛ وقال عُرْوَة بن الورد العبسيّ[3] في ذلك:

ونحن صبَحنا عامراً في ديارها ... عُلَالَةَ أرماحٍ وضرباً مذكَّرا
بكلِّ رُقاق الشفرتَيْن مهنّدٍ ... ولَدْنٍ مِنَ[4] الخطّيّ قد طُرّ أسمرا
عجبتُ لهم إذ يخنقون نفوسهم ... ومقتلُهم تحت الوغى كان أَجْدرا[5]

---

(١) في الطبعة الأوربية «طامئات».

(٢) ساحوق: موضع على بريدين من البَثَاءَة. قال أبو عبيدة: بين البَثاءة والرَقَم ثلاث متجرّدات، وتَضْروع: عند الرَقَم، وبين البَثاءة وبين ساحوق بريدان، وقد كانت في هذه المواضع كلها حروب بين بني عامر، وبني عبس وذبيان. وينسب إلى كل واحد من هذه المواضع يوم من تلك الأيام. (معجم ما استعجم ١/٢٢٦ وانظر ٣/٧١٢).

(٣) كان يلقّب عروة الصعاليك. أنظر عنه في الأغاني ٣/٧٣، الشعر والشعراء ٢/٥٦٦، خزانة الأدب ٤/١٩٤، شرح التبريزي على الحماسة ١/٢١٩ طبعة بولاق، وديوانه، وقد طبع عدّة مرات، منها طبعة القاهرة ١٢٩٣ هـ.

(٤) في النسخة (ي): «هي».

(٥) في الطبعة الأوربية ورد:

ومقتلهم إذ يلتقي كان أعذرا

يوم أعْيار[1] ويوم النَّقِيعة[2]

كـان المثلّم بن المشجّر العـائـذيّ ثمّ الضّبّيّ مجـاوراً لبني عبس؛ فتقـامـر هـو وعُمارة بن زياد، وهو أحد الكَمَلَةَ، فقمره عُمارة حتّى اجتمع عليه عشرة أبكر، فطلب منه المثلّم أن يخلّي عنـه حتّى يأتي أهله، فيـرسل إليـه بالـذي له، فـأبى ذلك، فـرهنـه ابنُـه شِرْحاف بن المُثلّم، وخرج المثلّم فأتى قومه، فأخذ البكارة، فأتى بها عُمارةَ وافتكّ ابنَه.

فلمّا انطلق بابنه قال له في الطريق: يا ابتاه مَنْ معضالٌ؟ قـال: ذلك رجـل من بني عمّك، ذهب فلم يوجدْ إلى الساعة. قال شِرْحاف: فإنّي قد عرفتُ قاتله. قـال أبوه: ومَنْ هو؟ قال: عُمارة بن زياد، سمعته يقول للقوم يوماً وقد أخذ فيه الشراب إنّه قتله، ولم يلقَ له طالباً.

ولبثوا بعد ذلك حيناً، وشبّ شِرْحاف. ثمّ إنّ عمارة جمع جمعـاً عظيمـاً من عبْس، فأغار بهم على بني ضَبّة فأخذوا إبِلهم، وركبت بنو ضبّة فأدركوهم في المرعى. فلمّا نظر شِرْحاف إلى عمارة قال: يـا عمارة أتعـرفني؟ قال: مَنْ أنت؟ قـال: أنا شِـرحاف، أدّ إليّ ابن عمّي معضـالاً، لا مثلَهُ يـومَ قتلتَـهُ! وحمـل عليـه فقتله، واقتتلت ضبّـة وعبس قتـالاً شديداً، واستنقذتْ ضبّة الإبلَ، وقال شِرْحاف:

ألا أبـلغ سَـراةَ بـنـي بَـغِـيض	بـمـا لاقـتْ سـراةُ بـنـي زيـادِ
ومـا لاقتْ جَـذَيْمـةُ إذ تـحـامي	ومـا لاقـى الفـوارسُ مـن بِجـادِ
تـركـنـا بـالنقـيعـة آل عـبسٍ	شـعَـاعـاً يُقـتَـلون بـكـلّ وادِ
ومـا إن فـاتـنـا إلّا شـريـدٌ	يَـؤمّ القـفـرَ في تـيـه البـلادِ
فسـلْ عنّـا عُـمـارةُ آلَ عـبس	وسَـلْ ورداً ومـا كـلٌّ بَـدَادِ[3]
تـركـتُهـمُ بـوادي البَـطنِ رَهْـنـاً	لِسِيـدَانِ[4] القَـرارة والـجِـلادِ[5]

(١) أَعْيار: بعد العين الساكنة ياء وألف وراء. هضبات في بـلاد ضبّة. وأعيـار أيضاً: جبـل في بلاد غـطفان بين المدينة وفَيْد. (معجم البلدان ١/٢٢٣).

(٢) النقيعة: خبراء بين بلاد سليط وضبّة. والخبراء: أرض تنبت الشجر. (معجم البدان ٥/٣٠٢).

(٣) في النسخة (ر): «يراد».

(٤) في النسخة (ي) «بسيلان».

(٥) النقائض ١٩٣، العمدة ٢/١٩٨، أيام العرب ٣٩١ وما بعدها، المفصّل في تاريخ العرب ٥/٣٧٩، ٣٨٠.

يوم النباة[1]

قال أبو عبيدة: خرجت بنو عامر تريد غَطَفان، لتدرك بثأرها يوم الرَّقَم ويوم ساحوق، فصادفت بني عبْس، وليس معهم أحد من غطفان، وكانت عبس لم تشهد يوم الرَّقَم ولا يوم ساحوق مع غَطَفان، ولم يعينوهم على بني عامر.

وقيل: بل شهدها أشْجع وفزارة وغيرهما من بني غَطَفان، على ما نذكره.

قال: وأغارت بنو عامر على نَعَم بني عبْس، وذُبْيان، وأشجع، فأخذوها، وعادوا متوجّهين إلى بلادهم، فضلّوا في الطريق، فسلكوا وادي النباة، فأمعنوا فيه ولا طريق لهم ولا مطلع حتّى قاربوا آخره. وكاد الجبلان يلتقيان إذا هم بامرأة من بني عبس تَخْبِط[2] الشجرَ لهم في قُلّة الجبل فسألوها عن المطلع، فقالت لهم: الفوارس المطلع، وكانت قد رأت الخيلَ قد أقبلت وهي على الجبل، ولم يَرَها بنو عامر لأنّهم في الوادي، فأرسلوا رجلاً إلى قلّة الجبل ينظر، فقال لهم: أرى قوماً كأنّهم الصبيان على متون الخيل، أسنّة رماحهم عند آذان خيلهم. قالوا: تلك فزارة. قال: وأرى قوماً بيضاً جعاداً، كأنّ عليهم ثياباً حمراً. قالوا: تلك أشجع. قال: وأرى قوماً نُسُوراً[3] قد قلعوا[4] خيولَهم بسوادهم[5] كأنّما يحملونها حملاً بأفخاذهم، آخذين بعوامل رماحهم يجرّونها. قالوا: تلك عبس، أتاكم الموتُ الزُّؤام! ولحقهم الطلبُ بالوادي، فكان عامر بن الطفيل أوّل من سبق على فرسه الوَرْد، ففات القومَ، وأعيا فرسه الورد، وهو المربوقُ أيضاً، فعقره لئلاّ تفتحله فزارة، واقتتل الناسُ، ودام القتال بينهم، وانهزمت عامر فقُتِل منهم مقتلة كبيرة، قُتل فيها من أشرافهم البراء بن عامر بن مالك، وبه يكنّى أبوه، وقُتل نَهْشل، وأنس، وهزار، بنو مُرّة بن أنس بن خالد بن جعفر، وقتلوا عبد الله بن الطُّفَيْل أخا عامر، قتله الربيع بن زياد العبسيّ، وغيرهم كثير، وتمّت الهزيمة على بني عامر.

---

(١) هكذا في الأصل. وفي معجم البلدان ٥/٢٦٠ «النُتاءة: بالضم. وبعد الألف همزة ثم هاء.. نُخَيلات لبني عُطارد».
وانظر عن اليوم في العقد الفريد ٥/١٦١ (النُّتاْة)، وفي نهاية الأرب ١٥/٣٦٤ (النُّتاءة). وفي النسخة (ر): «الشاة».

(٢) في النسختين (ب) و(ت): «تحتطب».

(٣) في النسخة (ب): «لبوداً»، وفي النسخة (ر): «سوداً».

(٤) في الطبعة الأوربية «بلّغوا».

(٥) في الطبعة الأوربية «ببوادّهم».

يوم الفُرات

قال أبو عُبيدة: أغار المُثَنّى بن حارثة الشيباني، وهو ابن أخت عِمْران بن مُرّة، على بني تغلب، وهم عند الفُرات، وذلك قُبَيْل الإسلام، فظفر بهم، فقتل مَنْ أخذ من مقاتلتهم، وغرِق منهم ناسٌ كثير في الفرات، وأخذ أموالهم وقسّمها بين أصحابه، فقال شاعرهم في ذلك:

ومنّا الذي غشّى الدليكةَ[1] سَيْفَهُ[2] ... على حين أن أعيا الفراتَ كتائبُهْ
ومنّا الذي شدّ الركيَّ ليستقي ... ويسقِيَ مَحْضاً غير ضافٍ جوانبُهْ
ومنّا غريبُ الشام لم يُرَ مثلُهُ ... أفَكَّ لِعانٍ قد تَناءى[3] أقاربُهْ

الدليكة: فرس المثنّى بن حارثة، والذي شدّ الركيّ مُرّة بن همّام، وغريب الشام ابن القلوص بن النعمان بن ثعلبة.

يوم بارِق[4]

قال المُفضّل الضَّبّيّ: إنّ بني تغلِب والنّمِر بن قاسط وناساً من تميم اقتتلوا حتّى نزلوا ناحية بارق، وهي من أرض السواد، وأرسلوا وفداً منهم إلى بكر بن وائل يطلبون إليهم الصلح، فاجتمعت شيبان ومَنْ معهم، وأرادوا قصد تغلب ومن معهم، فقال زيد بن شَريك الشيبانيّ: إنّي قد أجرتُ أخوالي وهم النمِر بن قاسط، فأمْضَوْا جواره وساروا وأوقعوا ببني تغلب وتميم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة لم تُصَبْ تغلب بمثلها، واقتسموا الأسرى والأموال، وكان من أعظم الأيّام عليهم، قُتل الرجالُ ونُهب الأموالُ وسبيُ الحريم، فقال أبو كَلْبة الشيبانيّ:

وليلة بسعادى لم تَدَعْ سنَداً ... لتغلبيّ ولا أنفاً ولا حَسَبا
والنمريّون لولا سرّ مَنْ ولدوا ... من آل مُرّة شاعَ الحيُّ منتهَبا

---

(١) في النسخة (ب): «الدليلة»، وفي النسخة (ر): «الدليك».

(٢) في النسخة (ر): «سبعة».

(٣) في النسخة (ر): «مدمامه».

(٤) بارق: بالقاف. ماء بالعراق، وهو الحدّ بين القادسية والبصرة، وهو من أعمال الكوفة. (معجم البلدان ٣١٩/١) وقال البكري: جبل بالسواد قريب من الكوفة. (معجم ما استعجم ٢٢١/١).

يوم طِخْفَة[1]

وهو لبني يربوع على عساكر النعمان بن المنذر.

قال أبو عبيدة: وكان سبب هذه الحرب أنّ الرِّدافة، وهي بمنزلة الوزارة، وكان الرديف يجلس عن يمين الملك، كانت لبني يربوع من تميم يتوارثونها صغيراً عن كبير. فلمّا كان أيّام النعمان، وقيل أيّام ابنه المنذر، سألها حاجب بن زُرارة الدارميُّ التميميُّ النعمانَ أن يجعلها للحارث بن بَيْبَة[2] بن قُرْط بن سُفيان بن مُجاشع الدارميّ التميميّ، فقال النعمان لبني يربوع في هذا، وطلب منهم أن يجيبوا إلى ذلك، فامتنعوا، وكان منزلهم أسفل طِخْفَة، فحيث امتنعوا من ذلك بعث إليهم النعمانُ قابوسَ ابنه وحسّاناً أخاه ابنَي المنذر، قابوس على الناس، وحسّان على المقدّمة، وضمّ إليها جيشاً كثيفاً، منهم الصنائع والوضائع وناس من تميم وغيرهم، فساروا حتّى أتوا طِخْفَة، فالتقوا هم ويربوع واقتتلوا، وصبرت يربوع، وانهزم قابوس ومَنْ معه، وضرب طارق أبو عميرة فرس قابوس فعقره وأسره، وأراد أن يجزّ ناصيته، فقال: إنّ الملوك لا تُجزّ نواصيها، فأرسله. وأمّا حسّان فأسره بِشْر بن عمرو[3] بن جُوَيْن فمنّ عليه وأرسله. فعاد المنهزمون إلى النعمان، وكان شِهاب بن (قيس بن كياس)[4] اليربوعيّ عند الملك، فقال له: يا شهاب أدرِك ابني وأخي، فإن أدركتهما حيّيْن فلبني يربوع حكمهم، وأردّ عليهم رِدَافتهم، وأترك لهم مَنْ قتلوا وما غنموا، وأعطيهم الفَيْ بعير. فسار شهاب فوجدهما حيّيْن فأطلقهما، ووفى الملكُ لبني يربوع بما قال، ولم يعرض لهم في ردافتهم.

وقال مالك[5] بن نُوَيْرة:

ونحن عقرنا مُهْرَ قابوس بعْدما ... رأى القومُ منه الموتَ والخيل تَلْحَبُ[6]
عليه دِلاصٌ[7] ذاتُ نسْجٍ وسيفُه ... جُرازٌ[8] من الهنديّ أبيضُ مِقْضَبُ[9]

---

(١) طِخْفَة: بفتح أوّله وكسره، وإسكان ثانيه. موضع بعد النّباج وبعد إمّرَة في طريق البصرة إلى مكة. (معجم البلدان ٤/٢٣).
وانظر عن اليوم: العقد الفريد ٥/٢٣٤، نهاية الأرب ١٥/٤١٣.
(٢) في النسخة (ب): «شبه»، وفي النسخة (ي): «شبّة».
(٣) في النسخة (ر): «عون».
(٤) في النسخة (ر): «فهر بن لياس».
(٥) في نسخة اكسفورد ـ ص ٩ «متمّم».
(٦) هكذا في النقائض وغيره. وتلحب: أي تجهد وتلقى ما يؤذيها. وفي بعض أصول العقد الفريد ٥/٢٣٤.
رأى القوم منه والخيول تلهب
(٧) الدلاص: من الدروع اللينة البراقة الملساء.

طلبنا بها، إنّا مَداريكَ نيلها[1] إذا طُلِبَ الشّأوُ البعيدُ المغرِّبُ

يوم النِّباج وثَيْتَل[2]

قال أبو عُبيدة: غزا قيس بن عاصم المِنْقريّ ثمّ التميميّ بمُقَاعِس، وهم بطون من تميم، وهم صَريم، وربيع، وعُبيد بنو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد، وغزا معه سلامة بن ظَرِب الحِمّانيّ في الأحارث، وهم بطون من تميم أيضاً، وهم حِمّان، وربيعة، ومالك، والأعرج بنو كعب بن سعد، فغزوا بكر بن وائل، فوجدوا اللهازم، (وهم بنو قيس وتَيْم اللات ابناء ثعلبة بن عُكابة)[3] بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل، ومعهم بنو[4] ذُهْل بن ثعلبة، وعِجْل بن لُجَيْم، وَعَنَزَة بن أسد بن ربيعة بالنِّباج وثَيْتل، وبينهما رَوْحَةٌ، فأغار قيس على النِّباج، ومضى سَلامة إلى ثَيْتَل ليغير على مَنْ بها. فلمّا بلغ قيس إلى النِّباج سقى خيله، ثمّ أراق ما معهم من الماء وقال لمن معه: قاتلوا فالموت بين أيديكم والفَلاة من ورائكم، فأغار على مَنْ به من بكر صبحاً، فقاتلوهم قتالاً شديداً، وانهزمت بكر، وأصيب من غنائمهم ما لا يُحدّ كثرة. فلمّا فرغ قيس من النهب عاد مسرعاً إلى سلامة ومن معه نحو ثَيْتَل فأدركهم، ولم يغزُ سلامة على مَنْ به، فأغار عليهم قيس أيضاً، فقاتلوه وانهزموا، وأصاب من الغنائم نحو ما أصاب بالنباج، وجاء سلامةَ فقال: أغرتم على من كان لي، فتنازعوا حتّى كاد الشرّ يقع بينهم، ثمّ اتفقوا على تسليم الغنائم إليه؛ ففي ذلك يقول ربيعة بن طريف[5]:

فلا يُبعِدَنْك الله قيسَ بن عاصمٍ فأنت لنا عزٌّ عزيزٌ ومعقلُ[6]
وأنتَ الذي حَرَّبْتَ[7] بكرَ بن وائلٍ وقد عَضَّلَتْ منها[8] النباجُ وثَيْتَلُ

(٨) الجُراز: من السيوف، الماضي النافذ.
(٩) مقضب: قطّاع.

---

(١) في العقد ٥/٢٣٥ «قبلها».
(٢) النِّباج: بكسر أوله، وآخره جيم. من البصرة على عشر مراحل، وثيتل قريب من النباج وبهما يوم من أيام العرب. (معجم البلدان ٥/٢٥٥).
وانظر عن اليوم: العقد الفريد ٥/١٨٥، نهاية الأرب ١٥/٣٨١.
(٣) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر). وفي الطبعة الأوربية «عُكاشة».
(٤) ساقطة من (ر).
(٥) في النسخة (ر) زيادة: «حيث ربى قيساً». وورد «ظريف» بالظاء المعجمة: في العقد ٥/١٨٦ ومعجم البلدان ٢/٨٩ وهو «ربيعة بن ظريف بن تميم العنبري».
(٦) في العقد، ونهاية الأرب ١٥/٣٨٢ «مَوْئل».
(٧) في الطبعة الأوربية «حويت». وحرَّبَت: سلبت. وفي معجم البلدان «صوّبت».
(٨) في الطبعة الأوربية «بها». وفي معجم البلدان: «صوّبت فيها». وعضَّلَت: ضاقت.

وقال قُرّة بن زيد[1] بن عاصم:

أنا ابن الذي شقّ المزاد[2] وقد رأى ... بثَيْتَلَ أحياءَ اللهازم حُضَّراً
فصبّحهُمْ بالجيش قيسُ بن عاصم ... فلم يجدوا إلّا الأسنّة مصدرا
سقاهم بها الذِّيفانَ[3] قيسُ بن عاصمٍ ... وكان إذا ما أورد الأمر أصدرا
على الجُرْد[4] يَعْلُكْنَ الشكيمَ[5] عَوابساً ... إذا الماءُ مِن أعطافهنّ تحدّرا
فلم يرها الراؤون إلّا فُجاءَةً ... يُثِرْن[6] عَجاجاً كالدواخن[7] أكدرا
وحُمْران أدّته إلينا رماحُنا ... فنازع غُلّاً في[8] في ذراعَيْه أسمرا

(ثَيْتل: بالثاء المثلّثة المفتوحة، والياء المسكنة المثنّاة من تحتها، والتاء المثنّاة من فوقها).

يوم فَلْج[9]

قال أبو عُبيدة: هذا يوم لبكر بن وائل على تميم.

وسببه أنّ جمعاً مِن بكر ساروا إلى الصِّعاب[10] فشتوا بها، فلمّا انقضى الربيع انصرفوا، فمرّوا بالدَّوِّ[11]، فلقوا ناساً من بني تميم من بني عمرو وحنظلة، [فأغاروا على نَعم كثير لهم ومَضوا، وأتى بني عمرو وحنظلة)[12] الصريخ، فاستجاشوا لقومهم، فأقبلوا في آثار بكر بن وائل، فساروا يومَيْن وليلتَيْن حتّى جهدهم السيرُ، وانحدروا في بطن

---

(١) في العقد ٥/١٨٧ ومعجم البلدان ٢/٨٩ ونهاية الأرب ١٥/٣٨٢ «قرّة بن قيس بن عاصم».

(٢) في طبعة صادر ١/٦٥١ «المرار»، والتصحيح من العقد، والمعجم، والنهاية.

(٣) في النسختين (ر) و(ت): «الديقان»، وفي النسخة (ي) «الريقان». والذِّيفان: السم الناقع.

(٤) الجُرْد: جمع أجرد. وهو الفرس القصير الشعر.

(٥) الشكيم: جمع شكيمة، وهي من اللجام الحديدة المعترضة في فم الفرس، وفيها الفأس. وعلك الشكيم: تحريكه في أفواهها.

(٦) هكذا في طبعة صادر ١/٦٥١ والعقد الفريد. وفي الطبعة الأوربية، ونهاية الأرب «نثرن».

(٧) في العقد والنهاية «بالسنابك».

(٨) في العقد «من».

(٩) فَلْج: بفتح أوله، وسكون ثانيه. اسم بلد. ومنه قيل لطريق تأخذ من طريق البصرة إلى اليمامة طريق بطن فَلْج. وقيل: وادٍ بين البصرة وحمى ضرِيّة من منازل عديّ بن جُندَب. وقيل غير ذلك. (معجم البلدان ٤/٢٧٢).

(١٠) الصِّعاب: اسم جبل بين اليمامة والبحرين. وقيل: رمال بين البصرة واليمامة صعبة المسالك. (معجم البلدان ٣/٤٠٥).

(١١) الدَّوّ: بفتح أوله، وتشديد ثانيه. أرض ملساء بين مكة والبصرة على الجادّة مسيرة أربع ليالٍ، ليس فيها جبل ولا رمل ولا شيء. (معجم البلدان ٢/٤٩٠).

(١٢) ما بين القوسين ساقط من النسخة (ر).

فَلْج، وكانوا قد خلّفوا رجلَيْن على فرسَيْن سابقَيْن ربيئة ليخبراهم[1] بخبرهم إن ساروا إليهم. فلمّا وصلتْ تميم إلى الرجلَيْن أجريا فرسَيْهما وسارا مُجِدّين فأنذرا قومهما، فأتاهم الصريخ بمسير تميم عند وصولهم إلى فَلْج، فضرب[2] حنظلة بن يسار العجْليّ قُبّتَهُ[3] ونزل، فنزل الناسُ معه وتهيّأوا للقتال معه، ولحِقت بنو تميم، فقاتلتهم بكر بن وائل قتالاً شديداً، وحمل عَرْفجة بن بَحير العجْليّ على خالد بن مالك بن سَلمة[4] التميميّ فطعنه وأخذه أسيراً. وقُتِل في المعركة رِبْعيّ بن مالك بن سَلمة[4]، فانهزمت تميم وبلغت بكر بن وائل منها ما أرادت، ثمّ إنّ عرفجة أطلق خالد بن مالك وجزّ ناصيته، فقال خالد:

وجدنا الرفدَ رفدَ بني لُجَيْم[5]	إذا ما قلّت الأرفادُ زادا
هُمُ ضربوا القبابَ ببطن فَلْجٍ	وذادوا عن محارمهم ذِيادا
وهم منّوا عليّ وأطلقوني	وقد طاوعتُ[6] في الجنب القيادا
أليسوا خيرَ من ركب المطايا	وأعظمهم إذا اجتمعوا رَمادا
أليس هُمُ عمادَ الحيّ بَكراً	إذا نزلتْ مجلّلة شِدادا

وقال قيس بن عاصم يعيّر خالداً:

لو كنتَ حُرّاً يا ابن سلمى بن جندلٍ	نهضتَ ولم تقصدْ لسلمى ابنِ حندلِ
فما بالُ أصداء بفَلْجٍ غريبة	تُنادي مع الأطلال: يا لابن[7] حنظلِ
صواديَ لا مولىً عزيزٌ يجيبها	ولا أسرةٌ تسقي صداها بمنهلِ
وغادرت رِبْعيّاً بفَلْجٍ مُلَحَّباً	وأقبلت في أُولى الرعيل المعجّلِ
توائل[8] من خوفِ الرّدَى لا وُقيتَهُ	كما نالتِ[9] الكدراءُ من حَيْنِ[10] أجدلِ

يعيّره حيث لم يأخذ بثأر أخيه رِبْعِيّ ومَنْ قُتل معه يوم فَلْج، ويقول: إنّ أَصداءهم تُنادي ولا يَسْقيها أحد، على مذهب الجاهليّة.

ولولا التطويل لشرحناه أبْيَنَ من هذا.

---

(١) في الطبعة الأوربية: «ربية يخبرونهم».

(٢) في الطبعة الأوربية «فأمر».

(٣) في النسخة (ي) «فيه»، وفي الطبعة الأوربية «فتّته».

(٤) في النسختين (ب) و(ي): «سلمى»، وفي النسخة (ر): «سليمن».

(٥) في النسخة (ر): «تميم».

(٦) في النسخة (ي): «طاعنت».

(٧) في النسخ (ب) و (ر) و (ي): «مال ابن».

(٨) في النسختين (ب) و(ي): «نوامل»، وفي النسخة (ت): «موايل».

(٩) في الطبعة الأوربية «قالت».

(١٠) في النسخة (ر): «حيس»، وفي الطبعة الأوربية «جبن».

يوم الشَّيِّطيْن[1]

قال أبو عُبيدة: كان الشَّيِّطان لبكر بن وائل، فلمّا ظهر الإسلام في نجد سارت بكر قِبَلَ السواد، وبقي مُقَايس بن عمرو العائذيّ بن عائذة من قريش حليف بني شيبان بالشَّيِّطَيْن. فلمّا أقامت بكر في السواد لحِقهم الوباء والطاعون الذي كان أيّام كسرى شيرويْه، فعادوا هاربين فنزلوا لَعْلَع[2]، وهي مُجْدِبة، وقد أخصب الشَّيِّطان، فسارت تميم فنزلوا بها.

وبلغت أخبار الشَّيِّطَيْن إلى بكر، فاجتمعوا وقالوا: نغير على تميم، فإن في دِين ابن عبد المطّلب، يعنون النبيّ، أنّ مَنْ قتل نفساً قُتل بها، فنغير هذه الغارة، ثمّ نُسْلم عليها، فارتحلوا من لَعْلَع بالذَّراري والأموال، ورئيسهم بِشْر بن مسعود بن قيس بن خالد، فأتوا الشَّيِّطين في أربع ليال، والذي بينهما مسيرة ثماني ليالٍ، فسبقوا كلّ خبر، حتّى صبّحوهم وهم لا يشعرون، فقاتلوهم قتالاً شديداً وصبرت تميم ثمّ انهزمت، فقال رشيد بن رُمَيْض العنبريّ[3] يفخر بذلك:

وما كان بين الشَّيِّطين ولَعْلَعٍ ... لنسوتنا إلاّ مناقلُ[4] أربعُ

فجئنا بجمعٍ لم يَرَ الناسُ مثلَهُ ... يكادُ له ظَهْرُ الوريعةِ يَظلَعُ[5]

بأرْعَنَ دهْمٍ تَنسلُ[6] البُلْقُ وَسْطَه ... له عارضٌ فيه المنيّةُ[7] تَلْمعُ[8]

---

(١) الشَّيِّطان: بالفتح ثم الكسر والتشديد، وآخره نون. وهو تثنية شيِّط. واديان في ديار بني تميم لبني دارم أحدهما طوَيلع أو قريب منه. (معجم البلدان ٣/٣٨٥).
وانظر عن اليوم في: العقد الفريد ٥/٢٠٦، ٢٠٧، نهاية الأرب ١٥/٣٩٣، معجم ما استعجم ٣/٨١٩ و ٤/١١٥٦.

(٢) لَعْلَع: بفتح أوله، وإسكان ثانيه، بعده لام مفتوحة، وعين مهملة مثلها. من آخر السواد إلى البرّ، ما بين البصرة والكوفة. وقيل: ببطن فَلْج، وهي لبكر بن وائل. (معجم ما استعجم ٤/١١٥٦).

(٣) هكذا في العقد الفريد ٥/٢٠٧، وفي معجم ما استعجم «رُوَيْشد بن رُميض العَنَزي».

(٤) في النسخة (ي): «مثاقل». وفي العقد الفريد «مراجع»، وفي المعجم: «لنسائنا إلاّ مناقل».

(٥) في طبعة صادر ١/٦٥٤ «الوديعة يطلع». وما أثبتناه عن العقد الفريد. والوريعة: فرس.

(٦) في العقد الفريد «تُنْشَد».

(٧) في العقد «الأسنّة».

صَبحنا به سَعداً وعَمراً ومالكاً   فظلّ[1] لهم يومٌ مِنَ الشرّ أشنعُ
وذا حَسَبٍ من آل ضَبّةَ غادروا   بجَرْيٍ كما يجري الفصيلُ المفَزَّعُ[2]
تقصّع[3] يربوعٌ بسرّةِ أرضنا   وليس ليربوع بها متقصَّعُ[4]

ثمّ إنّ النبيّ، ﷺ، كتب إلى بكر بن وائل على ما بأيديهم.

(الشَّيِّطان: بالشين المعجمة، والياء المشدّدة المثنّاة من تحتها، وبالطاء المهملة، آخره نون).

أيّام الأنصار، وهم الأوس والخزرج التي جرت بينهم

الأنصار لقب قبيلَتي الأوس والخزرجِ ابنَي حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مُزَيْقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغِطْريف بن امرىء القيس البَطْريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغَوْث بن نَبَت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ[5] بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان، لقّبهم به رسول الله، ﷺ، لمّا هاجر إليهم ومنعوه ونصروه.

وأمّ الأوس والخزرج قَيْلَة بنت كاهل بن عُذْرة بن سعد، ولذلك يقال لهم أبناء قَيْلة.

وإنّما لُقّب ثعلبة العنقاء لطول عنقه.

ولُقّب عمرو مُزَيْقياء، لأنّه كان يمزّق عنه كلّ يوم حُلّة، لئلاّ يلبسها أحد بعده.

ولُقّب عامر ماء السماء لسماحته وبذْله، كأنّه نابَ مَناب المطر، وقيل لشرفه.

ولُقّب امرؤ القيس البَطْريقَ، لأنّه أوّل مَنِ استعان به بنو إسرائيل من العرب[6] بعد بَلقيس، فَبَطْرَقهُ رُحْبُعَم بن سليمان بن داود، عليه السَّلام، فقيل له البَطريق.

وكانت مساكن الأزد بمأرِب من اليمن، إلى أن أخبر الكُهّان عمرو بن عامر مزيقياء

---

(٨) هذا البيت والذي قبله من النسختين (ب) و(ي).

---

(١) في العقد «فكان».
(٢) في النسخة (ي): «المصرع».
(٣) في الطبعة الأوربية «تقضّع».
(٤) في الطبعة الأوربية «متقضع». وتقصّع المكان: لزمه.
(٥) أنظر عن النسب في الروض الأنف ١/٢١.
(٦) في النسخة (ر): «العدوّ».

أنّ سيل العَرِم يخرّب بلادهم، ويغرق أكثر أهلهـا، عقوبـةً لهم بتكذيبهم رُسُـلَ الله تعالى إليهم. فلمّا علم ذلك عمرو باع ما له من مال وعقار، وسـار عن مأرِب[١]، هـو ومَنْ تبعه، ثمّ تفرّقوا في البلاد فسكن كلّ بطن ناحيـة اختاروهـا، فسكنت خُزاعـة الحجاز، وسكنت غسّانُ الشام[٢].

ولمّا سار ثعلبةُ بن عمرو بن عامر فيمن معه اجتازوا بالمدينة، وكانت تسمّى يَثْرب، فتخلّف بها الأوسُ والخزرجُ ابنا حارثة فيمنِ معهما[٣]، وكان فيها قرىً وأسواق وبها قبائـل من اليهود من بني إسرائيل وغيرهم، منهم قُـرَيْظة، والنّضيـر، وبنو قَيْنقـاع، وبنو مـاسلة، وزعـورا وغيرهم، وقد بنوا لهم حصـوناً يجتمعـون[٤] بها إذا خـافوا. فنـزل عليهم الأوس والخـزرج، فابتنـوا المساكنَ والحصـون، إلاّ أنّ الغلبة والحكم لليهـود، إلى أن كـان من الفِـطْيون[٥] ومـالك بن العَجْـلان مـا نـذكـره إن شـاء الله تعـالى، فعـادت الغَلَبـة لـلأوس والخزرج، ولم يزالوا على حال اتّفاق واجتماع إلى أن حدث بينهم حرب سُمَيْـر، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذِكْر غَلَبة الأنصار على المدينة وضعف أمر اليهود بها وقتل الفِطْيون

قد ذكرنا أنّ الاستيلاء كان لليهود على المـدينة لمّـا نزلهـا الأنصار، ولم يـزل الأمر كـذلك إلى أن ملك عليهم الفِـطْيون اليهـوديّ، وهو من بني إسـرائيل ثمّ من بني ثعلبـة، وكان رجل سوء فاجراً[٦]، وكانت اليهود تدين لـه بأن لا تـزوّج امرأة منهم إلاّ دخلتْ عليـه قبل زوجها[٧].

وقيل: إنّه كان يفعل ذلك بالأوس والخزرج أيضاً. ثمّ إنّ أختـاً لمالـك بن العَجْلان السالميّ الخزرجيّ تزوّجت، فلمّا كان زفافهـا[٨] خرجت عن مجلس قـومها، وفيـه أخوهـا مالك، وقد كشفت عن ساقيها. فقال لها مالـك: لقد جئتِ بسـوء. قالت: الـذي يُراد بي

---

(١) أنظر في ذلك: مروج الذهب ٢/١٨٩.
(٢) مروج الذهب ٢/١٩٠.
(٣) تاريخ اليعقوبي ١/٢٠٣.
(٤) في النسخة (ر): «يجيرون».
(٥) في النسختين (ب) و(ت): «القبطيون». ووردت بألفاظ مختلفة أخرى. أنظر: الاشتقاق لابن دريد ٢٥٩.
(٦) اليعقوبي ١/١٩٧.
(٧) معجم البلدان ٢/٢٤٢.
(٨) في النسخة (ت): «بنايها».

الليلة أشدّ من هذا، أدخُل على غير زوجي! ثمّ عادت فدخل عليها أخوها، فقال لها: هل عندك من خبر؟ قالت: نعم، فما عندك؟ قال: أدخلِ مع النساء، فإذا خرجن ودخل عليك قتلتُهُ. قالت: افعلْ. فلمّا ذهب بها النساء إلى الفِطْيون انطلق مالك معهنّ في زيّ امرأة، ومعه سيفه، فلمّا خرج النساء من عندها ودخل عليها[1] الفِطْيون قتله مالك وخرج هارباً[2]؛ فقال بعضهم في ذلك من أبيات:

هل كان للفِطْيون عُقْرُ نسائكم ... حكم النصيب فبئسَ حكم الحاكمِ
حتّى حباه مالك بمُرِشّةٍ[3] ... حمراء تضحك عن نجيعٍ قاتِمِ[4]

ثمّ خرج مالك بن العَجْلان هارباً حتّى دخل الشام، فدخل على ملك من ملوك غسّان يقال له أبو جُبَيْلة، واسمه عُبَيْد بن سالم بن مالك بن سالم، وهو أحد بني غَضْب بن جُشَم بن الخزرج، وكان قد ملكهم وشرف فيهم.

وقيل: إنّه لم يكن ملكاً، وإنّما كان عظيماً عند ملك غسّان، وهو الصحيح، لأنّ ملوك غسّانَ لم يُعرف فيهم هذا، وهو أيضاً من الخزرج على ما ذُكر.

فلمّا دخل عليه مالك شكا[5] إليه ما كان من الفِطْيون، وأخبره بقتله، وأنّه لا يقدر على الرجوع، فعاهد الله أبو جبيلة ألاّ يمسّ طيباً ولا يأتي النساءَ حتّى يُذلّ اليهودَ، ويكون الأوس والخزرج أعزّ أهلها.

ثمّ سار من الشام في جمعٍ كثير، وأظهر أنّه يريد اليمن، حتّى قدم المدينةَ، فنزل بذي حُرُض[6]، وأعلم الأوسَ والخزرج ما عزم عليه، ثمّ أرسل إلى وجوه اليهود يستدعيهم إليه، وأظهر لهم أنّه يريد الإحسان إليهم، فأتاه أشرافهم في حَشَمهم وخاصّتهم. فلمّا اجتمعوا ببابه أمر بهم، فأُدْخلوا رجلاً رجلاً وقتلهم عن آخرهم. فلمّا فعل بهم ذلك صارت الأوسُ والخزرج أعزّ أهل المدينة، فشاركوا اليهودَ في النخل والدور.

ومدح الرَّمْق بن زيد الخزرجيّ أبا جُبيلة بقصيدة، منها:

وأبو جُبَيْلة خيرُ مَنْ ... يَمْشي وأوفاهم يمينا

---

(١) في الطبعة الأوربية «عليهنّ».
(٢) اليعقوبي ١/٢٠٣، ٢٠٤، الاشتقاق ٢/٢٧٠.
(٣) في النسخة (ي): «بمزنية»، وفي النسخة (ب): «بمرسة».
(٤) في الأصل «قايم».
(٥) في النسخة (ي): «اشتكى».
(٦) حُرُض: بالضم، وثانيه يُضَمّ ويفتح. وادٍ بالمدينة عند أُحُد، له ذِكر.

وأبـرُّهـم بِـرّاً وأعـ ـمَلُهُمْ بهَـدْيِ الصـالحينـا
أبـقـتْ لـنـا الأيّـامُ والـ ـحَـرْبُ المهمّـةُ تعتـرينـا
كَـبْـشـاً لـه قـرنٌ يـعـ ـضُ حُسامُهُ الـذكـرَ السَّنينا

فقال أبو جُبيلة: عسل طيّب في وعاء سوء، وكان الرمْق رجلاً ضئيلاً؛ فقال الرمق: إنّما المرء بأصغريه قلبه ولسانه. ورجع أبو جُبيلة إلى الشام.

(حُرُض: بضمّ الحاء والراء المهملَتيْن، وآخره ضاد معجمة).

حرب سُمَيْر[1]

ولم يزل الأنصار على حال اتّفاق واجتماع، وكان أوّل اختلاف وقع بينهم وحرب كانت لهم حرب سُمَيْر.

وكان سببها أنّ رجلاً من بني ثعلبة من سعد بن ذبيان يقال له كعب بن [العَجْلان نزل على مالك بن] العَجْلان السالميّ، فحالفه وأقام معه. فخرج كعب يوماً إلى سوق بني قينقاع، فرأى رجلاً من غطفان معه فرس وهو يقول: ليأخذ هذا الفرسَ أعزُّ أهل يثرب. [فقال رجل: فلان]. وقال رجل آخر: أُحيحة بن الجُلاح الأوسيّ. وقال غيرهما: فلان بن فلان اليهوديّ أفضل أهلها. فدفع الغطفانيّ الفرس إلى مالك بن العجلان. فقال كعب: ألم أقل لكم إنّ حليفي مالكاً أفضلكم؟ فغضب من ذلك رجل من الأوس من بني عمرو بن عوف يقال له سُمَير، وشتمه وافترقا، وبقي كعب ما شاء الله.

ثمّ قصد سوقاً لهم بقُبا[2]، فقصده سُمَيْر ولازمه حتّى خلا السوق فقتله. وأُخْبِر مالك بن العجلان بقتله، فأرسل إلى بني عمرو بن عوف يطلب قاتله، فأرسلوا: إنّا لا ندري مَنْ قتله. وتردّدت الرسلُ بينهم، هو يطلب سُميراً وهم يُنكرون قَتْله، ثمّ عرضوا عليه الدِّيةَ فقبِلها. وكانت دِية الحليف فيهم نصف دِية النسيب منهم. فأبى مالك إلّا أخذ دِية كاملة، وامتنعوا من ذلك وقالوا: نُعْطي دِية الحليف، وهي النصف. ولجّ الأمرُ بينهم حتى آلَى إلى المحاربة، فاجتمعوا والتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً وافترقوا. ودخل فيها سائر بطون الأنصار، ثمّ التقوا مرّة أخرى، واقتتلوا حتّى حجز بينهم الليلُ، وكان الظفر يومئذ للأوس.

---

(١) المفضّليّات ١٣٥، الاشتقاق ٢٦٦، البدء والتاريخ ٣/١٣٠، الأعلاق النفيسة لابن رستة ٦٤، الأغاني ١٨/٣ وما بعدها.

(٢) قُبا: بالضم. أصله اسم بئر عُرفت القرية بها، وهي مساكن بني عمرو بن عوف بن الأنصار. وهي قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة. (معجم البلدان ٤/٣٠١، ٣٠٢).

فلمّا افترقوا أرسلت الأوسُ إلى مالك يدعونه إلى أن يحكم بينهم[1] المنذر بن حَرام النجاريّ الخزرجيّ جدّ حسّان بن ثابت بن المنذر، فأجابهم إلى ذلك، فأتوا المنذر، فحكم بينهم المنذر بأن يَدُوا كعباً حليف مالك ديةَ الصريح، ثم يعودوا إلى سُنّتهم القديمة، فرضوا بذلك وحملوا الدِيةَ وافترقوا، وقد شبّت البغضاء في نفوسهم وتمكّنت العداوةُ بينهم.

ذكر حرب كعب بن عمرو المازنيّ

ثمّ إنّ بني جَحْجَبا من الأوس، وبني مازن بن النجّار من الخزرج، وقع بينهم حرب، كان سببها أنّ كعب بن عمرو المازنيّ[2] تزوّج امرأةً من بني سالم، فكان يختلف إليها. فأمر أُحَيْحَةُ بن الجُلاح سيّدُ بني جَحْجَبا جماعةً، فرصدوه حتّى ظفروا به فقتلوه، فبلغ ذلك أخاه عاصم بن عمرو، فأمر قومه فاستعدّوا للقتال، وأرسل إلى بني جَحْجَبا يؤذِنهم بالحرب. فالتقوا بالرُّحَابة[3]، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت بنو جَحْجَبا ومَنْ معهم، وانهزم معهم أُحَيْحَة، فطلبه عاصم بن عمرو فأدركه وقد دخل حصنه، فرماه بسهم فوقع في باب الحصن، فقتل عاصم أخاً لأُحَيْحَة. فمكثوا بعد ذلك ليالي، فبلغ أحيحة أنّ عاصماً يتطلّبه ليجد له غِرّة فيقتله، فقال أُحَيْحة:

نُبِّئْتُ أنّك جِئْتَ تسـ ... ـري بين داري والقُبابَهْ
فلقد وجدتَ بجانب الـ ... ـضَّحْيان شُبّاناً[4] مُهابَهْ
فتيانَ حربٍ في الحديـ ... ـدِ وشامرين كأُسْدِ غابَهْ
هم نكّبوك[5] عن الطريـ ... ـقِ فبتَّ تركبُ كلّ لابَهْ
أعُصَيْمَ لا تجزعْ فإ ... نّ الحربَ ليست بالدُّعابَهْ
فأنا الذي صبّحتكم ... بالقومِ إذا دخلوا الرِّحَابَهْ
وقتلتُ كعباً قبلها ... وغلوتُ بالسيف الذُّؤابَهْ

فأجابه عاصم:

أبلغْ أُحَيْحَةَ إن عرضـ ... ـتَ بداره عنّي جوابَهْ

(١) في الأغاني ٣/٢٥ المحكم هو: ثابت بن المنذر. ويقال: بل الحاكم المنذر أبو ثابت. (٣/٢٦).
(٢) في النسخة (ت): «بن زنى»، وفي النسخة (ب): «بن يرثى»، وفي النسخة (ي): «بن بركى». والمثبت من النسخة (ر).
(٣) الرُّحابة: بضم أوله. أطمٌ بالمدينة. (معجم البلدان ٣/٣٢).
(٤) في النسخة (ر): «شيأً ذا».
(٥) في النسخة (ت): «نكبول»، وفي النسختين (ب) و(ي): «نكول».

• وأنا الذي أعجلتُهُ عن مقعدٍ ألهى كلابَهْ
ورميتُه سهماً فأخطأه وأغلق ثَمّ بابَهْ

في أبيات.

ثمّ إنّ أُحَيْحَة أجمع أن يبيِّت بني النّجّار، وعنده سلمى بنت عمرو بن زيد[1] النجّاريّة، وهي أمّ عبد المطّلب جدّ النبيّ، ﷺ، فما رضيتْ، فلمّا جنّها الليلُ وقد سهر معها أُحَيْحة فنام، فلمّا نام سارت إلى بني النجّار، فأعلمتهم ثمّ رجعت، فحذروا، وغدا أُحيحة بقومه مع الفجر، فلقِيهم بنو النجّار في السلاح، فكان بينهم شيء من قتال، وانحاز أُحَيحَة، وبلغه أنّ سلمى أخبرتهم، فضربها حتّى كسر يدها، وأطلقها وقال أبياتاً، منها:

لَعَمْرُ أبيكِ ما يُغني مكاني مِن الحَلْفاء آكلةٌ[2] غَفولُ
تُؤوَّمُ[3] لا تُقَلِّصُ مشمعلاً مع الفتيان مضجعه ثقيلُ
تَنَزَّعُ[4] للجليلةِ حيثُ كانت كما يعتاد لِقْحَتَهُ الفصيلُ
وقد أعددتُ للحِدثان حصناً لوَ أنّ المرء ينفعه العقولُ
جلاه القَيْنُ ثُمّتَ[5] لم تخُنْه مضاربُه ولاطتْهُ فُلولُ
فهل من كاهنٍ آوي إليه إذا ما حان من آلٍ نزولُ
يراهنني ويرهنني بنيه وأرهنه بَنيّ بما أقولُ
فما يدري الفقيرُ متى غِناه وما يدري الغنيّ متى يَعيلُ
وما تدري وإن أجمعتَ أمراً بأيِّ الأرض يُدركك المقيلُ
وما تدري وإن أنتجتَ سَقْباً[6] لغيرك أم يكون لك الفصيلُ
وما إن إخوةٌ كبروا وطابوا لباقية وأمّهُمُ هَبُولُ
سَتَثكَلُ أو يفارقها بنوها بموتٍ أو يَجيء لهم قَتولُ

---

(١) في النسخة (ت): «يزيد».
(٢) في النسخة (ت): «ريجه».
(٣) في النسختين (ب) و(ي): «تروم».
(٤) في الأصل «ينوع».
(٥) في النسخة (ي): «شمّت».
(٦) في الأصل «سقيا».

ذِكْر الحرب بين بني عمرو بن عوف وبني الحارث
وهو يوم السَّرارة[1]

ثمّ إنّ بني عمرو بن عوف من الأوس وبني الحارث من الخزرج كان بينهما حرب شديدة.

وكان سببها أنّ رجلاً من بني عمرو قتله رجل من بني الحارث، فعدا بنو عمرو على القاتل فقتلوه غيلةً، فاستكشف أهلُه، فعلموا كيف قُتل، فتهيّأوا للقتال، وأرسلوا إلى بني عمرو بن عوف يؤذِنونهم بالحرب، فالتقوا بالسَّرارة، وعلى الأوس حُضَيْر بن سِماك والد أسَيْد بن حُضَيْر[2]، وعلى الخزرج عبد الله[3] بن سَلول أبو الحُباب الذي كان رأس المنافقين. فاقتتلوا قتالاً شديداً صبر بعضهم لبعض أربعة أيّام، ثمّ انصرفت الأوس إلى دُورها، ففخرت الخزرجُ بذلك.

وقال حسّان بن ثابت في ذلك:

فِدىً لبني النجّار أمّي وخالتي ... غداةَ لقومهم بالمثقَّفة السّمرِ
وصِرْمٍ من الأحياء عمرو بن مالك ... إذا ما دعوا كانتْ لهم دعوة النصرِ
فوالله لا أنسى حياتي بلاءهم ... غداةَ رموا عَمراً بقاصمة الظهرِ

وقال حسّان أيضاً:

لَعَمْرُ أبيك الخير بالحقّ ما نَبا ... عليّ لساني في الخطوب ولا يدي
لساني وسيفي صارمان كِلاهما ... ويبلغ ما لا يبلغ السيفُ مِذْوَدي
فلا الجهدُ يُنْسيني حَيائي وعِفّتي[4] ... ولا وقعاتُ الدهر يَفْلُلْنَ مبردي
أكثّر أهلي من عيالٍ سواهمُ ... وأطوي على الماء القَراحِ المُبَرَّدِ

ومنها:

وإنّي لَمِنْجاءُ المطيّ على الوَجَى ... وإنّي لَنزّالٌ لما لم أُعَوَّدِ
وإنّي لَقَوّالٌ لذي اللَّوْثِ[5] مرحباً ... وأهلاً إذا ما ريع من كلّ مَرصَدِ

---

(١) الاشتقاق ٢٧١، المفصّل في تاريخ العرب ٤/١٣٩، معجم ما استعجم ٣/٧٣١ وفيه: السرارة: موضع قريب من المدينة بين الشرعبي ورابخ.

(٢) في النسخة (ت): «حصين».

(٣) في النسخة (ر) زيادة «بن أبيّ».

(٤) في الطبعة الأوربية: «حياتي وحفظتي»، وما أثبتناه عن ديوان حسّان.

(٥) في الأصل «الليث».

وإنّي لَيدعوني الندى فأجيبه | وأضرب بيضَ العارض المتوقّدِ
فلا تَعْجَلْن يا قيس واربعْ فإنّما | قُصاراك أن تُلقى بكلّ مهنّدِ
حسام وأرماح بأيدي أعزّةٍ | متى تَرَهم يا ابنَ الخَطِيم تلبَّدِ
أسود لَدَى الأشبال يَحْمي عرينَها | مداعيسُ بالخطّيّ في كلّ مشهدِ

وهي أبيات كثيرة. فأجابه قيس بن الخَطيم:

تروح عن الحسناء أم أنتَ مُغتدي[1] | وكيف انطلاقُ عاشقٍ لم يُزوَّدِ
تَراءت لنا يومَ الرحيل بمقلتيْ | شريدٍ[2] بمُلْتَفٍّ من السِّدْر مُفردِ
وجيدٍ كجيدِ الرّيمِ حالٍ يزينه | على النّحر ياقوتٌ وفصٌّ زَبَرجَدِ
كأنّ الثريّا فوقَ ثغرة نحرها | تَوَقَّدُ في الظَّلماء أيّ توقّدِ
ألا إنّ بينَ الشَّرعَبيِّ وراتج[3] | ضِراباً كتجذيم[4] السيَّال المصعَّدِ[5]
لنا حائطان الموتُ أسفل منهما | وجمع متى تصرخْ بيَثْرِبَ[6] يصعدِ
ترى اللابةَ السوداء يحمّر لونُها | ويسهل منها كلّ ربعٍ وفَدفَدِ[7]
فإنّي لأغْنَى الناس عن متكلِّفٍ | يرى الناسَ ضُلّالاً وليس بمهتدِ
لَسَاء عمراً[8] ثَوْراً شَقيّاً مُوَعَّظاً[9] | أَلَدّ كأنّ رأسه رأسُ أصيدِ
كثير المنى بالزاد لا صَبْرَ عنده | إذا جاع يوماً يَشْتكيه ضُحَى الغدِ
وذي شيمةٍ عَسْراء خالف شيمتي | فقلتُ له دعْني ونفسَك أرْشِدِ
فما المالُ والأخلاقُ إلّا مُعارة | فما استطعتَ من مَعْروفها فَتَزَوّدِ
متى ما تَقُدْ بالباطل الحقَّ يَأبَهُ | فإن قُدتَ بالحقّ الرواسي تَنْقَدِ
إذا ما أتيتَ الأمرَ من غير بابِه | ضللتَ وإن تدخلْ من البابِ تَهْتَدِ

وهي طويلة.

---

(١) في النسخة (ي): «تغتدي».

(٢) في النسختين (ر) و(ي): «فريد».

(٣) في معجم ما استعجم ٧٣١/٣ «رابخ».

(٤) في المعجم: «كتخذيم».

(٥) في المعجم: «المعضد». وفي الطبعة الأوربية:

ألا إنّ بينَ السرعَيْن ورائج | ضراباً بالتحديم السيال المعضَّدِ

والشرعبيّ وراتج: أُطْمان في المدينة.

والتجذيم: القطع. والسيّال: نبات له شوك أبيض طويل.

(٦) في النسخة (ت): «بثيرن»، وفي النسخة (ب): «تنزل».

(٧) في النسخة (ر): «فرقد».

(٨) في النسختين (ب) و(ي): «فيا عمروا».

(٩) الشطر غير موزون، وفيه تحريف.

وقال عُبَيْد[1] بن ناقد[2]:

لمن الـديـار كـأنّهن الـمـذهبُ ... بَلِيَتْ وغـيّـرهـا الـدهـورَ تقـلُّبُ

يقول فيها في ذِكْر الوقعة:

لَكِن فِـرارُ[3] أبي الحُبـاب بنفسـه ... يـومَ السَّـرارة سِيءِ منـه الأقـربُ
ولّـى وألـقـى يـومَ ذلـك دِرعَـه ... إذ قيـل جاء المـوتُ خلفك يَـطْلبُ
نجّـاك منّـا بعـدمـا قـد أُشرعَتْ ... فيـك الرمـاحُ هنـاك شُـدّ المَـذْهبُ

وهي طويلة أيضاً.

وأبو الحُباب: هو عبد الله بن سَلول.

حرب الحُصَيْن بن الأسلت

ثمّ كـانت حـرب بين بني وائـل بن زيـد الأوسيّين، وبين بني مـازن بن النجّـار الخزرجيّين.

وكان سببها أنّ الحُصَيْن بن الأسْلت الأوسيّ الوائليّ نازع رجلاً من بني مازن، فقتله الـوائليّ، ثمّ انصـرف إلى أهله، فتبِعـه نفـر من بني مـازن فقتلوه. فبلغ ذلـك أخـاه أبـا قيس بن الأسلت، فجمـع قومَـه وأرسل إلى بني مـازن يُعْلمهم أنّه على حـربهم. فتهيّـأوا للقتال، ولم يتخلّف من الأوس والخزرج أحد، فاقتتلوا قتـالاً شديـداً، حتى كثرت القتلى في الفـريقَيْن جميعاً، وقتـل أبو قيس بن الأسلت الـذين قتلوا أخاه، ثمّ انهـزمت الأوسُ، فلام وَحْوَحُ بن الأسلت أخـاه أبا قيس وقـال: لا يزال مُنْهـزمٌ من الخزرج، فقـال أبو قيس لأخيه، ويُكنى أبا حُصَين:

أبــلغْ أبـا حِصْــنٍ[4] وبَـعْـ ... ـضُ القـول عندي ذو كُبـارَهْ
أنّ ابــن أمّ الــمـرء لـيـ ... ـس مِن الحديد ولا الحجارَهْ
مــاذا عـليكـم أن يـكـو ... نَ لكم بـهـا رَحْـلاً عُمـارَهْ
يــحـمــي ذِمَـارَكُـمُ وبَـعْـ ... ـضُ القــوم لا يحمي ذمـارَهْ
يـبني لكـم خيـراً وبُـنيـا ... نُ الـكـريـمِ لـه آثـارَهْ

في أبيات.

---

(١) في النسخة (ر): «عمرو».
(٢) في النسخة (ي): «زرارة».
(٣) في النسخة (ي): «قرار».
(٤) في الأصل «حصين».

حرب ربيع الظَّفَريّ

ثمّ كانت حرب بين بني ظَفَر، من الأوس، وبين بني مالك بن النجّار، من الخزرج.

وكان سببها أنّ ربيعاً الظَّفَريّ كان يمرّ في مال لرجلٍ من بني النجّار (إلى ملك له، فمنعه النجاريّ، فتنازعا، فقتله ربيع، فجمع قومهما فاقتتلوا قتالاً شديداً، كان أشدّ قتال بينهم، فانهزمت بنو مالك بن النجّار)[1]؛ فقال قيس بن الخَطيم الأوسيّ[2] في ذلك:

أجدّ بعَمْرَةَ غُنيانها فتهجُرَ أمْ شأنُنا شأنُها
فإنْ تُمسِ شطّت بها دارُها وباح لكَ اليومَ هجرانُها
فما روضةٌ من رياض القَطا كأنّ المصابيحَ حَوْذانُها
بأحسنَ منها ولا نزهة ولوجٍ تكشّف أدجانُها
وعَمْرَةُ من سَرَوات النسا ءِ ينفخُ بالمسكِ أردانُها

منها:

ونحن الفوارسُ يومَ الربيـ ـعِ قد عُلِموا كيفَ أبدانُها[3]
جُنُونا لحربٍ[4] وراء الصريـ ـخِ حتّى تقصّدَ مُرّانُها
تراهنّ يخلجن خَلْجَ الدِّلا ءِ يبادَر بالنّزع أشطانُها

وهي طويلة.

فأجابه حسّان بن ثابت الخزرجيّ بقصيدة أوّلها:

لقد هاج نفسَك أشجانُها وغادرها[5] اليومَ أديانُها

ومنها:

ويثربُ تعلمُ أنّا بها إذا التبس الحقُّ ميزانُها
ويثربُ تعلمُ أنّا بها إذا أقحط القَطرُ نُوآنُها

---

(١) ما بين القوسين ساقط من النسختين (ب) و(ي).
(٢) هو: قيس بن الخطيم بن عديّ بن عمرو بن سُود بن ظَفَر، يكنى أبا قيس. (الأغاني ٣/١) وانظر ديوانه بتحقيق د. ناصر الدين الأسد. وفيه الأبيات.
(٣) في الأغاني ٣/١٢ «فرسانها».
(٤) في النسخة (ر): «حرنا الحراب».
(٥) في النسخة (ر): «وعاودها». وكذلك هي في ا لأغاني ٣/١٢.

ويثـرب تعلم إذا حـاربتْ — بـأنّا لـدى الحرب فُـرسانُهـا
ويثـرب تـعلم أنّ النَّـبِيـ — ـتَ[1] عند الهزاهز ذُلاّنُها

ومنها:

متى تـرنـا الأوسُ في بيضنـا — نـهـزّ القنـا تَـخْبُ نيـرانُهـا
وتُـعْطِ القيـادَ[2] علـى رَغْـمِهَـا — وتَـنْـزَلْ مِلْهَـام عِـقبـانُـهـا[3]
فـلا تـفخـرنْ التمسْ ملجـأً[4] — فـقـد عَـاوَدَ الأوسَ أديـانُـهـا

حرب فارع بسبب الغلام القُضاعي

ومن أيّامهم يوم فارع[5]. وسببه أنّ رجلاً من بني النجّار أصاب غلاماً من قُضاعة ثمّ من بَليّ، وكان عمّ الغلام جاراً لمُعاذ بن النعمان بن امرىء القيس الأوسيّ والد سعد بن مُعاذ، فأتى الغلامُ عمَّه يزوره فقتله النجّاريّ. فأرسل مُعاذ إلى بني النجّار: أن ادفعوا إليّ دية جاري، أو ابعثوا إليّ بقاتله أرى فيه رأيي. فأبوا أن يفعلوا. فقال رجل من بني عبد الأشهل: والله إن لم تفعلوا لا نقتل به إلاّ عامرَ بن الإطنابة، وعامر من أشراف الخزرج؛ فبلغ ذلك عامراً فقال:

ألا مَـنْ مُـبْـلِغُ الأكـفـاء عـنّـي — وقـد تُهدى النصيحـةُ للنصيـحِ
فـإنّـكمُ ومـا تَـرْجـون شـطري — من القول المُـزَجّى[6] والصـريـحِ
سينـدمُ بـعضُكم عَـجـلاً عليـه — ومـا أثـر اللسـان إلى الجـروحِ
أبَـتْ لـي عـزّتـي وأبـى بـلائـي — وأخـذي الحمدَ بـالثمن الـربيـحِ
وإعْـطَائي على المكـروه مـالـي — وَضَـرْبي هـامـةَ البَطَل المُشيـحِ
وقـولي كلّمـا جَشَـأتْ وجـاشتْ: — مكـانَـكِ تُحمـدي أو تستـريحي
لأدفَـعَ عـن مـآثـر صـالحـاتٍ — وأحميَ بَعدُ عن عـرضٍ صحيحِ
بـذي شُـطَبٍ كَلْون الملحِ صـافٍ — ونـفسٍ لا تَـقـرُّ عـلى الـقبيـحِ

فقال الربيع بن أبي الحُقَيْق اليهوديّ في عِراض قول عامر بن الإطنابة:

---

(١) في الطبعة الأوربية «المبيت». والنبيت هو: عمرو بن مالك بن الأوس.
(٢) في الطبعة الأوربية «المقاد».
(٣) في الطبعة الأوربية «عصيانها».
(٤) في النسختين (ب) و(ي): «مفجاء».
(٥) فارع: اسم أُطُم وهو حصن بالمدينة.
(٦) في النسخة (ر): «المرعي».

ألا مَـنْ مُبـلِغُ الأكفـاء عـنّـي   فـلا ظـلـمٌ لـديّ ولا افـتـراء
فـلستُ بـغـائظِ الأكـفـاء ظـلـمـاً   وعـنـدي لـلمـلامـات اجْـتـزَاء
فلم أر مثـلِ مـن يـدنـو لِخَسْفٍ   لـه فـي الأرض سيـر وَاسْتِـوَاء[1]
ومـا بـعضُ الإقـامـة فـي ديـار   يُـهـان بـهـا الـفتـى إلاّ عَـنَـاء[2]
وبعضُ القـول لـيس لـه عِنـاجٌ[3]   كَمَحْض[4] الـمـاء ليس لـه إنـاء
وبـعضُ خـلائـق الأقـوام داءٌ   كـداء الـشُّـحّ لـيس لـه دواء
وبـعضُ الـداء ملتـمسٌ شـفـاءً   وداء الـنُّـوكِ لـيس لـه شـفـاء
يـحبّ الـمـرء أن يلقـى نـعيـمـاً   ويـأبـى الله إلاّ مـا يـشـاء
ومَنْ يـكُ عـاقـلاً لم يـلقَ بؤسـاً   يُنِـخْ يـومـاً بسـاحتـه القَضـاء
تَـعَـاوَرُهُ بـنـاتُ الـدهـر حـتّـى   تُـثـلّمـه كـمـا ثُـلم الإنـاء
وكـلُّ شـدائـدٍ نـزلـتْ بـحـيٍّ   سيـأتي بـعـد شـدّتـهـا رَخـاء
فقـلْ للمتّقي عَـرْضَ المنـايـا: تـوقّ فـليس يـنـفـعُـكَ اتّـقـاء
فمـا يُعْطَى الحـريصُ غِنىً بحرص   وقـد ينمي لـدى الجـودِ الـثـراء
وليس بنـافـعٍ ذا الـبُخْـلِ مـالٌ   ولا مُـزْرٍ بـصـاحـبـه الـحِـبـاء
غـنيُّ الـنفس مـا استغنى بشيء   وفقـرُ النفس مـا عمـرتْ شقـاء
يَـوَدّ الـمـرءُ مـا تَفِـدُ الـليـالـي   كـأنّ فَـنـاءهـنّ لـه فـنـاء

فلمّا رأى مُعاذ بن النعمان امتناع بني النجّار من الدية أو تسليم القاتل إليه تهيّأ للحرب وتجهّز هو وقومه واقتتلوا عند فارع، وهو أُطم حسّان بن ثابت، واشتدّ القتالُ بينهم، ولم تزل الحرب بينهم حتّى حمل دِيته عامر بن الإطنابة. فلمّا فعل صَلَحَ الذي كان بينهم، وعادوا إلى أحسن ما كانوا عليه، فقال عامر بن الإطنابة في ذلك:

صـرمتْ ظليمـةُ خُلّتي ومـراسلي   وتبـاعـدتْ ضنّـاً بزاد الـراحـلِ
جهـلاً ومـا تـدري ظلمـةُ أنّني   قـد أستقلّ بصرم غير الـواصِـلِ
ذُلُـلٌ ركـابي حيث شئْتُ مُشَيّعي[5]   أنّي أروعُ قطا المكـان الغـافـلِ[6]

---

(١) في النسخة (ت) «ايتواء»، وفي النسخة (ي): «أشواء».
(٢) في النسخة (ي): «غباء».
(٣) في الطبعة الأوربية «علاج». والعناج: حبل يُشدّ في أسفل الدلْو العظيمة. وقول: لا عناج له: أُرسل بلا روية.
(٤) في الطبعة الأوربية «كمحْص».
(٥) في الأصل «مسيعتي».
(٦) في النسخة (ب) العاقل.

أظليمَ ما يُدْريك رُبّةَ خلّةٍ حسنٌ ترغُّمُها[1] كظَبْي الحائلِ
قد بِتُّ مالكَها وشاربَ قهوةٍ دِرياقةٍ روّيتُ منها وَاغِلي
بيضاء صافيةٍ يُرى مِن دونها قعرُ الإناء يُضيء وجهَ الناهلِ
وسرابَ هاجرةٍ قطعتُ إذا جرى فوق الإكام بذات لونٍ باذلِ
أُجُدُ مراحلُها[2] كأنّ عِفاءها سِقْطان من كتفَيْ ظليمٍ جافلِ[3]
فَلْنَأكُلَنّ بناجزٍ من مالنا وَلْنَشْربنّ بدَيْنِ عامٍ قابلِ
إنّي من القوم الذين إذا انْتَدَوْا[4] بدأوا بِبِرِّ[5] الله ثمّ النائلِ
المانعينَ مِن الخنا جيرانَهم والحاشدين على طَعامِ النازلِ
والخالطينَ غنيّهم بفقيرهم والباذلينَ عَطاءهم للسائلِ
والضاربين الكبش يبرُقُ بَيْضُهُ ضربَ المهنّدِ عن حِياضِ الناهلِ
والعاطفينَ على المصاف خيولَهم والمُلْحِقينَ رماحَهم بالقاتلِ
والمدركينَ عَدوّهم بذُحُولهم والنازلينَ لضربِ كلِّ مُنازلِ
والقائلين معاً خُذُوا أقرانَكم إنّ المنيّةَ من وراء الوائلِ
خُزْرٍ[6] عيونُهُمُ إلى أعدائهم يمشون مشيَ الأُسْدِ تحتَ الوابلِ
ليسوا بأنكاسٍ ولا مِيلٍ إذا ما الحربُ شُبّت أشعلوا بالشاعلِ
لا يطبعون وهم على أحسابهم يَشْفون بالأحْلام داء الجاهلِ
والقائلين فلا يعابُ خطيبُهم يوم المَقالةِ بالكلامِ الفاصلِ

وإنّما أثبتنا هذه الأبيات وليس فيها ذكر الوقعة لجودتها وحسنها.

حرب حاطب

ثمّ كانت الوقعة المعروفة بحاطب. وهو حاطب بن قيس من بني أميّة بن زيد بن مالك بن عوف الأوسيّ، وبينها وبين حرب سُمَيْر نحو مائة سنة. وكان بينهما أيّام ذكرنا المشهور منها وتركنا ما ليس بمشهور. وحرب حاطب آخرُ وقعة كانت بينهم، إلاّ يوم بُعاث[7] حتّى جاء الله بالإسلام.

---

(١) في الطبعة الأوربية «مرغّمها». والترغّم: التغضّب.
(٢) في النسخة (ر): «مداخله».
(٣) في النسخة (ب): «جايل».
(٤) في الأصل «احتدوا».
(٥) في النسخة (ي): «بدين».
(٦) في النسخة (ي): «حذوا».
(٧) سيأتي بعد قليل.

وكان سبب هذه الحرب أنّ حاطباً كان رجلاً شريفاً سيّداً، فأتاه رجل من بني ثعلبة بن سعد بن ذُبْيان فنزل عليه، ثمّ إنّه غدا يوماً إلى سوق بني قَيْنقاع، فرآه يزيد بن الحارث المعروف بابن فُسْحُم[1]، وهي أمّه، وهو من بني الحارث بن الخزرج. فقال يزيد لرجل يهوديّ: لك ردائي إن كسعتَ هذا الثعلبيّ. فأخذ رداءه وكسعه كسعةً سمعها مَنْ بالسوق. فنادى الثعلبيّ: يا آل حاطب كُسع ضيفُك وفُضح! وأُخْبر حاطب بذلك، فجاء إليه فسأله مَنْ كسعه، فأشار إلى اليهوديّ، فضربه حاطب بالسيف فلق هامته، فأُخبر ابن فُسْحُم الخبر، وقيل له: قُتلِ اليهوديّ، قتله حاطب، فأسرع خلف حاطب فأدركه وقد دخل بيوت أهله، فلقي رجلاً من بني معاوية فقتله. فثارت الحربُ بين الأوس والخزرج، واحتشدوا واجتمعوا والتقوا على جسر ردْم بني الحارث بن الخزرج. وكان على الخزرج يومئذ عمرو بن النعمان البياضيّ، وعلى الأوس حُضَيْر[2] بن سِماك الأشهليّ. وقد كان ذهب ذكر ما وقع بينهم من الحروب فيمن حولهم من العرب، فسار إليهم عُيَيْنَة بن حصن[3] بن حُذَيْفة بن بدر الفزاريّ، وخيار بن مالك بن حماد الفزاريّ، فقدِما المدينةَ وتحدّثا مع الأوس والخزرج في الصلح، وضمِنا أن يتحمّلا كلّ ما يدّعي بعضُهم على بعض، فأبوا، ووقعت الحربُ عند الجسر، وشهدها عُيَيْنَة وخيار. فشاهدا من قتالهم وشدّتها ما أَيِسا معه من الإصلاحِ بينهم، فكان الظفر يومئذ للخزرج. وهذا اليوم من أشهر أيّامهم، وكان بعده عدّة وقائع كلّها من حرب حاطب، فمنها:

يوم الربيع

ثمّ التقت الأنصار بعد يوم الجسر بالربيع، وهو حائط في ناحية السّفْح، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتّى كاد يُفْني بعضُهم بعضاً، فانهزمت الأوس، وتبِعها الخزرج حتّى بلغوا دُروهم، وكانوا قبل ذلك إذا انهزمت إحدى الطائفَتَيْن فدخلت دُورَهم كفّت الأخرى عن اتّباعهم. فلمّا تبع الخزرجُ الأوسَ إلى دُورهم طلبت الأوسُ الصلح، فامتنعت بنو النجّار من الخزرج عن إجابتهم. فحصّنت الأوسُ النساء والذراري في الآطام، وهي الحصون، ثم كفّت عنهم الخزرج؛ فقال صخر بن سلمان البياضيّ:

ألا أبلغا عنّي سُوَيْد بن صامِتٍ ... ورهطَ سويدٍ بَلّغا وابنَ الاسْلتِ
بأنّا قتلنا بالربيع سَراتَكم ... وأفلتَ مجروحاً به كلّ مفلتِ

---

(١) في الأصل «قسحم».
(٢) في النسخة (ت): «حضين».
(٣) في الأصل «حصين».

فلولا[1] حقوقٌ[2] في العشيرة إنّها أدلّت بحقّ واجب إن أدلّتِ
لنالَهُمُ منّا كما نالَهُمْ مقانبُ خيلٍ أهلكت حين حلّتِ

فأجابه سُوَيْد بن الصامت:

ألا أبلغا عنّي صُخَيْراً رسالةً فقد ذقْتَ حربَ الأوس فيها ابنَ الاسْلت
قتلنا سرايـاكم بقتلَى سَراتِنا وليس الذي ينجو إليكم بمفلت

ومنها:

يوم البقيع

ثمّ التقت الأوس والخزرج ببَقيع الغَرْقَد، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فكان الظفر يومئذ للأوس؛ فقال عُبَيْد بن ناقد الأوسيّ:

لمّا رأيتُ بني عَوْفٍ[3] وجمعَهمُ جاءوا وجمعَ بني النجّار قد حَفَلوا[4]
دعوتُ قومي وسهّلت الطريقَ لهم إلى المكان الذي أصحابه حَللوا
جادت بأنفسها من مالك عُصَبٌ[5] يوم اللقاء فما خافوا ولا فشلوا
وعَاوَرُوكم كؤوسَ الموت إذا برزوا شطرَ النهار وحتّى أدبر الأُصُلُ
حتي استقاموا وقد طال المراسُ بهم فكلّهم من دماء القوم قد نهلوا
تكشّف البِيضُ عن قتلى أُولي رَحِمٍ لولا المسالم والأرحامُ ما نقلوا
تقول كلّ فتاةٍ غاب قَيِّمُها: أكلّ مَنْ خلفنا مِن قومنا قُتلوا
لقد قتلتم كريماً ذا محافظة قد كان حالفه القيناتُ والحللُ
جَزْلٌ نوافلُه حُلْوٌ شمائلُهُ ريّانُ واغله تَشْقَى به الإبلُ

الواغل: الذي يدخل على القوم وهم يشربون.

فأجابه عبد الله بن رَوَاحة الحارثيّ الخزرجيّ:

لمّا رأيتُ بني عوفٍ وإخوتهم كعباً وجمعَ بني النجّار قد حفلوا[6]

---

(١) في الطبعة الأوربية «فهذي». وفي النسخة (ت): فهلا، وفي النسخة (ي) «فهذه».
(٢) في النسخة (ر): «حفوف».
(٣) في الأصل «أوف».
(٤) في الطبعة الأوربية «خلفوا».
(٥) في النسخة (ر): «غضب».
(٦) في الطبعة الأوربية «خلفوا».

قِدماً أباحوا حِماكم[1] بالسيوف ولم ... يفعلْ بكم أحدٌ مثل الذي فعلوا

وكان رئيس الأوس يومئذ في حرب حاطب أبو قيس بن الأسلت الوائليّ، فقام في حربهم وهجر الراحةَ، فشحب وتغيّر. وجاء يوماً إلى امرأته فأنكرته حتّى عرفته بكلامه، فقالت له: لقد أنكرتُك حتّى تكلّمتَ! فقال:

قالت ولم[2] تقصد لِقِيلِ الخنَا: ... مهلاً فقد أبلغتَ أسماعي
واستنكرتْ لوناً له شاحباً ... والحربُ غولٌ ذاتُ أوْجاعِ
من يَذُقِ الحربَ يَجِدْ طعمَها ... مُرّاً وتَتْرُكْهُ بجَعْجاعِ
قد حصّتْ[3] البَيضةُ رأسي فما ... أطعَمُ نوماً غير تَهْجَاعِ
أسْعَى على جُلّ بني مالك ... كلُّ امرىء في شأنه ساعي
أعددتُ للأعداء موضونةً ... فَضْفَاضةً كالنِّهْي بالقاعِ
أحْفِزُهَا عنّي بذي رونق ... مهنّدٍ كاللمع قطّاعِ
صدقٍ حُسامٍ وادقٍ حدُّهُ ... ومُنْحَنٍ[4] أسمرَ قرّاعِ

وهي طويلة. ثمّ إنّ أبا قيس بن الأسلت جمع الأوسَ وقال لهم: ما كنتُ رئيس قوم قطّ إلّا هُزموا، فرئّسوا عليكم مَنْ أحببتم؛ فرأسوا عليهم حُضَيْر الكتائب بنَ السماك الأشهليّ، وهو والد أُسَيْد بن حُضَيْر. لولده صُحْبَةٌ، وهو بدريّ، فصار حُضَير يلي أمورهم في حروبهم. فالتقى الأوسُ والخزرجُ بمكان يقال له الغَرْس[5]، فكان الظفر للأوس، ثمّ تراسلوا في الصلح فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى، فمن كان عليه الفضل أعطى الدية، فأفضلت الأوسُ على الخزرج ثلاثة نفر، فدفعت الخزرجُ ثلاثة غلمة منهم رهناً بالديات، فغدرت الأوسُ فقتلت الغلمانَ.

يوم الفِجار الأوّل للأنصار

وليس بفجار كِنانة وقيس.

فلمّا قتلت الأوسُ الغلمانَ جمعت الخزرجُ وحشدوا والتقوا بالحدائق؛ وعلى الخزرج عبد الله بن أُبيّ بن سلول، وعلى الأوس أبو قيس بن الأسلت، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتّى كاد بعضهم يُفْني بعضاً. وسمّي ذلك اليوم يوم الفِجار، لغدرهم بالغلمان،

(١) في الطبعة الأوربية «قوماً أباحوا حماهم».
(٢) في النسختين (ت) و(ب): «ولقد».
(٣) في الطبعة الأوربية «خضّب». وحصّت: حلقت.
(٤) في النسختين (ت) و(ر): «مجتا»، وفي النسخة (ب): «محنا».
(٥) الغرس: بئر بالمدينة، وهي بقُباء. (معجم البلدان ١٩٣/٤).

وهـو الفجار الأوّل، فكـان قيس بن الخطيم في حـائط له، فـانصرف فـوافق قومـه بـرزوا للقتال، فعجز عن أخذ سلاحـه إلاّ السيف، ثمّ خرج معهم، فعـظُم مقامـه يومئـذ، وأبلى بلاء حسناً، وجُرح جراحة شديدة، فمكث حيناً يتداوى منها، وأُمِـر أن يحتمي عن الماء، فلذلك يقول عبد الله بن رواحة:

رمينـاك أيّـام الفِجـار فـلم تـزلْ حميّـاً فمن يشـربْ فلستَ بشـارب

يوم مُعَبّس ومُضَرِّس

ثمّ التقـوا عند مُعَبّس ومُضَـرِّس، وهما جـداران، فكـانت الخـزرج وراء مضـرِّس، وكانت الأوس وراء معبّس، فأقـاموا أيّـاماً يقتتلون قتـالاً شديـداً، ثمّ انهزمت الأوس حتّى دخلت البيـوت والآطام، وكـانت هزيمـة قبيحة لم ينهـزمـوا مثلهـا. ثمّ إنّ بني عمـرو بن عوف، وبني أوس مَناة من الأوس وادعوا الخزرج، فامتنع من الموادعة بنو عبد الأشهـل، وبنو ظَفَر، وغيرهم من الأوس وقالـوا: لا نصالـح حتّى ندرك ثـأرنا من الخـزرج. فألحّت الخزرج عليهم بالأذى والغارة حين وادعهم بنو عمرو بن عوف وأوس مَناة، فعزمت الأوس إلاّ مَنْ ذكرنا على الانتقـال من المدينـة، فأغـارت بنو سَلمـة على مال لبني عبـد الأشهل يقال له الرَّعل، فقاتلوهم عليه، فجُرح سعد بن مُعاذ الأشهليّ، جراحة شديـدة، واحتمله بنـو سَلَمة إلى عمـرو بن الجَمُوح الخـزرجي، فأجـاره، وأجار الـرَّعل من الحـريق وقَطْعِ الأشجار، فلمّا كان يوم بُعاث جازاه سعد على ما نذكره إن شاء الله.

ثمّ سـارت الأوس إلى مكّة لتحـالف قريشـاً على الخزرج، وأظهـروا أنّهم يريـدون العُمْرة. وكانت عادتهم أنّه إذا أراد أحدهم العُمْرة أو الحجّ لم يعرض إليه خصمه، ويعلّق المعتمر على بيته كرانيفَ النخل. ففعلوا ذلك وساروا إلى مكّة فقدِموها، وحالفوا قريشاً، وأبو جهل غائبٌ. فلمّا قدم أنكر ذلك وقال لقريش: أما سمعتم قـول الأوّل: ويل لـلأهل من النازل! إنّهم لأهلُ عـدد وجَلَد، ولقلّ مَـا نَزَلَ قـوم على قوم إلاّ أخـرجوهم من بلدهم وغلبوهم عليه. قالوا: فما المخرج من حلفهم؟ قال: أنا أكفيكُمُوهم، ثمّ خرج حتّى جاء الأوسَ فقـال: إنّكم حالفتم قـومي وأنا غـائب، فجئتُ لأحالفكم وأذكـر لكم من أمرنـا ما تكونون بعده على رأس أمركم. إنّا قوم تخـرج إماؤنـا إلى أسواقنـا، ولا يزال الـرجل منّـا يدرك الأَمَة فيضرب عجيزتَها، فإنْ طـابت أنفسكم أن تفعل نسـاؤكم مثل مـا تفعل نسـاؤنا حالفناكم، وإنْ كرهتم ذلك فردّوا إلينا حلفنا. فقالوا: لا نقرّ بهذا. وكانت الأنصار بأسرها فيهم غيرة شديدة، فردّوا إليهم حلفهم وسـاروا إلى بلادهم؛ فقـال حسّان بن ثـابت يفتخر بما أصاب قومه من الأوس:

ألا أبلغْ أبا قيس رسولاً ... إذا ألقَى لها سمعاً تُبينُ[1]
فلستُ لحاصنٍ[2] إن لم تَزُرْكم ... خلالَ الدار مُسْبِلَةٌ[3] طحونُ
يدينُ لها العزيزُ إذا رآها ... ويهربُ من مخافتِها القَطينُ
تشيبُ الناهدُ العذراءُ منها ... ويسقطُ مِن مخافتِها الجَنينُ
يطوفُ بكم[4] من النجّار أُسْدٌ ... كأُسدِ الغِيلِ مسكنُها العرينُ
يظلّ الليثُ فيها مستكيناً[5] ... له في كلّ ملتفَت أنينُ
كأنّ بهاءها[6] للناظريها ... من الأثْلاتِ[7] والبيض الفتينُ[8]
كأنّهُم من الماذي عليهم ... جمالٌ حين يجتلدون جونُ
فقد لاقاك قبلَ بُعاثَ قتلٌ ... وبعد بُعَاثَ ذلٌّ مستكينُ

وهي طويلة أيضاً.

يوم الفِجار الثاني للأنصار

كانت الأوس قد طلبت من قُرَيْظة والنّضير أن يحالفوهم على الخزرج، فبلغ ذلك الخزرج فأرسلوا إليهم يؤذِنونهم بالحرب، فقالت اليهود: إنّا لا نريد ذلك، فأخذت الخزرج رهنهم على الوفاء، وهم أربعون غلاماً من قُرَيْظة والنضير، ثمّ إنّ يزيد بن فُسْحُم[9] شرب يوماً فسكر، فتغنّى بشعر يذكر فيه ذلك:

هلُمَّ إلى الأحلاف إذْ رقّ عظمُهم ... وإذ أصلحوا مالاً لجذمان ضائعا
إذا ما امرؤٌ منهم أساء عمارة ... بعثنا عليهم من بني العير جادِعا
فأمّا الصريخ منهُمُ فتحمّلوا ... وأمّا اليهودُ فاتخذنا بضائعا
أخذنا من الأولى اليهودَ عصابةً[10] ... لغدرِهِم كانوا لدينا ودائعا[11]

---

(١) في الطبعة الأوربية إذا أُلقي له سمعٌ مبينُ.
(٢) في الطبعة الأوربية «بحاضر إن لم يزركم».
(٣) في الأصل، والنسخة (ر): «مستلية».
(٤) في الطبعة الأوربية «بها».
(٥) في النسخة (ب): «مستكنّ».
(٦) في النسخة (ر) «رداها»، وفي النسخة (ت): «رهأها»، وفي النسخة (ي) «رهانها».
(٧) في النسخة (ر): «البليان»، وفي النسخة (ب): «البليات». وفي الطبعة الأوربية «الثلثات».
(٨) في الطبعة الأوربية «القنين».
(٩) في النسخة (ت): «قسحم» وفي (ب): «قشخم».
(١٠) في النسخة (ر): «عصابيا».
(١١) في النسخة (ر): «ورائعا».

فـذلّـوا لـرهنٍ عنـدنـا في جِبـالنـا مصـانعـة يخشـون منّا القـوارعـا[1]
وذاك بـأنّـا حين نـلقى عـدوّنـا نصـول بضربٍ يتـرك العزّ خـاشِعـا

فبلغ قولُه قريظةَ والنَّضيرَ فغضبوا. وقال كعب بن أسد: نحنُ كما قال: إن لم نُغِرْ فخالف الأوس على الخزرج. فلمّا سمعت الخزرج بذلك قتلوا كلّ من عندهم من الرهن من أولاد قُـريظة والنَضِيـر، فأطلقـوا نفراً، منهم: سُلَيْم بـن أسـد القُرَظيّ جـدّ محمّـد بن كعب بن سُلَيْم. واجتمعت الأوسُ وقُـرَيظة والنضيـر على حـرب الخـزرج، فـاقتتلوا قتـالاً شديداً، وسُمّي ذلك الفِجار الثاني لقتل الغلمان من اليهود.

وقد قيل في قتْل الغلمان غير هذا، وهو: إنّ عمرو بن النعمـان البياضيّ الخـزرجيّ قال لقومه بني بياضة: إنّ أباكم أنزلكم منزلـة سوء، والله لا يمسّ رأسي مـاء حتّى أُنزلكم منازل قُريظة والنَضِير، أو أقتلِ رهنهم! وكانت منازل قُرَيْـظة والنَّضِير خيـر البقاع، فـأرسل إلى قُـرَيظة والنَّضيـر: إمّا أن تُخلّوا بيننـا وبين دياركم، وإمّـا أن نقتل الـرهن. فهمّوا بـأن يخرجوا من ديارهم، فقال لهم كعب بن أسد القرظيّ: يا قومِ امنعـوا دياركم وخلّوه يقتـل الغلمان، ما هي إلّا ليلةٌ يصيب فيهـا أحدكم امـرأة حتّى يولـد له مثلُ أحدهم. فـأرسلوا إليهم: إنّا لا ننتقل عن ديارنا، فـانظروا في رهننـا فعوا لنـا. فعَدا عمـرو بن النعمان على رهنهم فقتلهم، وخالفه عبد الله بن أُبيّ بن سَلول فقال: هـذا بغي وإثم، (ونهاه عن قتلهم وقتـال قومـه من الأوس وقال لـه: كأنّي بـك وقـد حُملتَ قتيـلاً في عبـاءة يحملك أربعـة رجال)[2]. فلم يقتل هو ومن أطاعـه أحداً من الغلمـان وأطلقوهم؛ ومنهم: سليم بن أسـد جدّ محمّد بن كعب.

وحالفت حينئذ قُريظة والنَّضير الأوسَ على الخزرج، وجرى بينهم قتال سمّي ذلـك اليوم يوم الفِجار الثاني.

وهذا القول أشبه بأن يسمّى اليوم فِجاراً، وأمّا على القول الأوّل، فإنّما قتلوا الـرهن جزاء للغدر من اليهود، فليس بفِجار من الخزرج، إلّا أن يُسمّى فجاراً لغدر اليهود.

يوم بُعَاث[3]

ثمّ إنّ قُريظة والنَّضِير جدّدوا العهودَ مع الأوس على المـوازرة والتناصـر، واستحكم أمرُهم وجدّوا في حربهم، ودخل معهم قبائل من اليهود غير مَنْ ذكرنا. فلمّا سمعت بذلك

---

(١) في النسخة (ر): «مصافقة... التقارع».
(٢) ما بين القوسين من النسخة (ر).
(٣) بُعاث؛ بضم الباء. موضع في نـواحي المـدينـة. وحكـاه صـاحب العين بـالغين المعجمـة (معجم البلدان ١/٤٥١).

الخزرج جمعت وحشدت وراسلت حُلفاءها من أشْجع وجُهَيْنة، وراسلت الأوسُ حُلفاءها من مُزَيْنة، ومكثوا أربعين يوماً يتجهّزون للحرب، والتقوا ببُعاث، وهي من أعمال قُريظة، وعلى الأوس حضَير الكتائب بن سِماك والد أُسَيْد بن حُضَيْر، وعلى الخزرج عمرو بن النُعمان البياضيّ[1]، وتخلّف عبد الله بن أُبيّ بن سَلول فيمن تبعه عن الخزرج، وتخلّف بنو حارثة بن الحارث عن الأوس. فلمّا التقوا اقتتلوا قتالاً شديداً وصبروا جميعاً.

ثمّ إنّ الأوس وجدت مسّ السلاح فولّوا منهزمين نحو العُرَيْض[2]. فلمّا رأى حُضَيْر هزيمتهم برك وطعن قدمه بسنان رمحه وصاح: واعَقْرَاه كعقر الجمل! والله لا أعود حتّى أُقْتَل، فإن شئْتم يا معشر الأوس أن تُسْلِموني فافعلوا. فعطفوا عليه، وقاتل عنه غلامان من بني عبد الأشهل يقال لهما محمود ويزيد ابنا خليفة حتّى قُتلا، وأقبل سهم لا يُدْرَى مَنْ رمى به فأصاب عمرو بن النعمان البياضيّ رئيس الخزرج فقتله، (فبينا عبد الله بن أُبيّ بن سَلول يتردّد راكباً قريباً من بُعاث يتجسّس الأخبار إذ طُلع عليه بعمرو بن النعمان قتيلاً في عباءة يحمله أربعة رجال، كما كان قال له. فلمّا رآه قال: ذُقْ وبال البغي)[3]! وانهزمت الخزرج، ووضعت فيهم الأوسُ السلاحَ، فصاح صائحٌ: يا معشر الأوس أحسِنوا ولا تُهلكوا إخوانكم، فجوارهم خير من جوار الثعالب! فانتهوا عنهم ولم يسلبوهم. وإنّما سلبهم قُريظة والنَّضِير، وحملت الأوس حُضَيراً مجروحاً فمات. وأحرقت الأوسُ دُورَ الخزرج ونخيلهم، فأجار سعد بن مُعاذ الأشهليّ أموالَ بني سَلمة ونخيلهم ودُورهم، جزاءً بما فعلوا له في الرَّعل، وقد تقدّم ذِكره، ونجّى يومئذٍ الزُّبَيْرُ بن إياس بن باطا ثابتَ بن قيس بن شَمّاس الخزرجيّ، أخذه فجزّ ناصيته وأطلقه، وهي اليد التي جازاه بها ثابت في الإسلام يوم بني القُريظة، وسنذكره.

وكان يوم بُعاث آخر الحروب المشهورة بين الأوس والخزرج، ثمّ جاء الإسلام واتّفقت الكلمةُ، واجتمعوا على نصر الإسلام وأهله، وكفى الله المؤمنين القتال.

وأكثرت الأنصارُ الأشعارَ في يوم بُعاث، فمن ذلك قول قيس بن الخَطيم الظَّفَريّ الأوسيّ:

أتعرف رسماً كالطِّراز المُذهبِ[4] ... لعَمْرَةَ رَكْباً[5] غير موقِف راكبِ

---

(١) الأغاني ٢٢/١٢٨.

(٢) العُرَيض: وادٍ بالمدينة. (معجم البلدان ٤/١١٤).

(٣) ما بين القوسين من النسخة (ر).

(٤) في الأغاني ٣/٧ «كاطّراد المذاهب». وفي الطبعة الأوربية «كالطّراد المذاهب».

(٥) في الأغاني «وحشاً»، وفي النسختين (ر) و(ت) «ربع» وفي النسخة (ب): «ركب».

ديـــار التي كـــانت ونحن على مِنىً ... تحـلّ بنا لـولا رجاءُ الـركـائبِ
تبدّت لنا كـالشمس تحت غَمـامـةٍ ... بـدا حاجبٌ منهـا وضنّت بحـاجبِ

ومنها:

وكنتُ امـرأً لا أبعثُ الحربَ ظـالماً ... فلمّـا أبـوا شَعَّلْتُهـا كـلّ جـانبِ
أذنتُ بـدفعِ الحـربِ حَربـاً رأيتُهـا ... عن الـدفـع لا تَـزدادُ غيـرَ تقـاربِ
فلمـا رأيت الحربَ حـربـاً تجـرّدت ... لبسةُ مع البُرْدَين ثـوبَ المحـاربِ
مضعّفـة يَغْشَى الأنـامـلَ رَيْعُهـا ... كـأنّ قَتيريهـا[1] عيـونُ الجَنَـادِبِ[2]
تَـرَى قِصَـدَ المُـرّان تُلْقَى كـأنّهـا ... تَـذَرُّعُ خِرْصَـانٍ بـأيـدي الشـواطِبِ
وسـامحني مِلْكـاهَنينِ[3] ومـالـك ... وثَعْلبـة الأخيـار رهط القبـاقبِ[4]
رجالٌ متى يُدعَوْا إلى الحرب يُسرعوا ... كَمَشْي الجمال المُشْعلات[5] المصاعبِ
إذا مـا فـررْنـا كـان أسْـوَا فـرارنـا ... صـدودُ الخـدودِ وازورارُ المنـاكبِ
صـدود الخـدود والقنـا متشـاجـر ... ولا تَبْـرَحُ الأقـدامُ عنـد التضـاربِ
ظَـأرْنـاكُم بـالبِيض حتّى لأنْتُمُ ... أذلُّ من السُّقْبـان بين الحـلائبِ
يُجـرَّدْن بِيضـاً كـلَّ يـومِ كـريهـةٍ ... ويُرْجَعْن حُمْراً جارحات المضـاربِ
لقيتكمُ يـومَ الحـدائـق حـاسـراً ... كـأنّ يدي بـالسيف مخراقُ لاعبِ[6]
ويـوم بُعـاثٍ أسلمَتْنـا سيـوفُنـا ... إلى حَسَبٍ في جِذْمِ غسّانَ ثـاقبِ
قـتلنـاكُـم يـومَ الـفِجـار وقبـلَه ... ويـومُ بُعـاث كـان يـوم التغـالبِ
أتت عُصَبٌ لـلأوْس[7] تخطُرُ بـالقنا ... كمشْي الأسود في رَشَاش الأهاضبِ[8]

فأجابه عبد الله بن رَواحة:

أشـاقتْكَ[9] ليلى في الخليط المجـانب ... نَعَم، فرشاش الدمعِ في الصدر غالب

---

(١) في النسخة (ب): «قسيبتها».
(٢) في النسخة (ب): «الجنايب».
(٣) في جمهرة أشعار العرب: «وسامح فيها الكاهنان».
(٤) في النسختين (ر) و(ت): «العتاقب»، وفي الطبعة الأوربية «المصائب».
(٥) في النسخة (ر): «المصعبات».
(٦) في النسخة (ر): «محنا ولاعب». والبيت في الأغاني ٣/٧.
أجـالـدُهُـم يـوم الـحـديـقـة حـاسـراً ... كـأن يـدي بـالـسيـف مِخْـراقُ لاعـبِ
(٧) في النسختين (ت) و(ب): «مثل أوس». وفي النسخة (ر): «مل ارض».
(٨) أنظر ديوان قيس بن الخطيم ٤١ و٢٠٣.
(٩) في النسخة (ت): «اسلبا قتل». وفي النسخة (ب): «لليلى».

بكى إثْرَ مَن شطّت نواهُ ولم يقمْ لحاجةِ مخزونٍ شكا الحبَّ ناصب
لدن غدوةً حتى إذا الشمسُ عارضت أراحتْ[1] له من لبّه كلّ عازبِ
نُحامي على أحسابنا بتلادِنا لمفتقر أو سائلِ الحقّ واجبِ
وأعمى هدتْه للسبيل سيوفُنا وخصمٍ أقمنا بعدما ثَجّ[2] ثاعِب[3]
ومعتَرَكٍ ضَنَكٍ يُرى الموتُ وسطه مشَيْنا له مشْيَ الجمال المصاعبِ
برَجْلٍ ترى الماذِيَّ فوق جلودهم وبَيْضاً نَقيّاً مثل لون الكواكِبِ
وهم حُسَّرٌ لا في الدروع تخالُهُمْ أُسُوداً متى تُنْشا الرماح تضاربِ
معاقلهم في كلّ يومِ كريهةٍ مع الصدق منسوب السيوف القواضبِ

وهي طويلة.

ولَيْلى التي شبّب بها ابنُ روَاحة هي أخت قيس بن الخَطيم.

وعَمْرَةُ التي شبّب بها ابن الخطيم هي أخت عبد الله بن رواحة، وهي أمّ النعمان بن بَشير الأنصاريّ.

(بُعاث بضمّ الباء الموحّدة، وبالعين المهملة، وقال صاحب كتاب العين وحده: وهو بالغين المعجمة).

ذكر غَلَبَة ثقيف على الطائف والحرب بين الأحلاف وبني مالك[4]

كانت أرض الطائف قديماً لعدوان بن عمرو بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر. فلمّا كثُر بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصْفة بن قيس بن عَيْلان غلبوهم على الطائف بعد قتال شديد.

وكان بنو عامر يصيّفون بالطائف، ويشتّون بأرضهم من نجد، وكانت مساكن ثقيف حول الطائف.

وقد اختلف الناسُ فيهم، فمنهم مَنْ جعلهم من إياد، فقال: ثقيف اسمه قسيّ بن نبت بن منبّه بن منصور بن يقدم بن أفصى بن دُعمي بن إياد من معدّ، ومنهم مَنْ جعلهم

(١) في النسختين (ر) و(ت): «وراح».
(٢) في النسخة (ر): «نايح».
(٣) في الطبعة الأوربية «نجّ شاغب».
(٤) ورد العنوان فقط في النسخة (ر).

من هوازن فقال: هو قيس بن منبّه بن بكـر بن هوازن بن منصـور بن عِكْرِمـة بن خَصْفة بن قيس بن عَيْلان.

فـرأت ثقيف البلاد، فـأعجبهم نباتهـا وطِيب ثمرهـا، فقالـوا لبني عـامـر: إنّ هـذه الأرض لا تصلح للزرع، وإنّمـا هي أرض ضرع[1]، ونـراكم على أن آثرتم المـاشية على الغراس، ونحن أُناس ليست لنا مواش، فهل لكم أن تجمعوا الزرع والضرع بغيـر مؤونة؟ تدفعون إلينا بلادكم هـذه فنثيرهـا ونغرسهـا ونحفر فيهـا الأطواء ولا نكلّفكم مؤونـة. نحن نكفيكم المؤونةوالعمل، فإذا كان وقت إدراك الثمر كان لكم النصف كاملاً، ولنـا النصف بما عملنا.

فرغب بنو عـامر في ذلـك، وسلّموا إليهم الأرض، فنـزلت ثقيف الطائف واقتسمـوا البلاد وعملوا الأرض وزرعوها من الأعناب والثمار، ووفوا بما شرطـوا لبني عامـر حيناً من الدهر، وكان بنو عامر يمنعون ثقيفاً ممّن أرادهم من العرب.

فلمّـا كثُرت ثقيف وشـرُفت حصّنت بلادهـا وبنـوا أسـواراً على الـطائف وحصّنـوه، ومنعوا عامراً ممّا كانوا يحملونـه إليهم عن نصف الثمار. وأراد بنـو عامـر أخْذه منهم، فلم يقدروا عليه، فقاتلوهم فلم يظفـروا، وكانت ثقيف بـطنين: الأحلاف وبني مـالك، وكـان للأحلاف في هذا أثر عظيم، ولم تزل تعتدّ بذلك على بني مالك، فأقاموا كذلك.

ثمّ إنّ الأحـلاف أثْروا وكثـرت خيلهم، فحمـوا لهـا حمىً من أرض بني نصـر بن معـاوية بن بكـر بن هوازن يقـال له جِلْذان، فغضب من ذلـك بنو نصـر وقـاتلوهم عليـه، ولجّت الحـربُ بينهم. وكـان رأس بني نصـر عُفَيْف بن عـوف بـن عُبـاد النصـريّ ثمّ اليربوعيّ، ورأس الأحلاف مسعود بن قعنب. فلمّا لجّت الحربُ بين بني نصـر والأحلاف اغتنم ذلك بنو مالك ورئيسهم جُنْدب بـن عوف بن الحارث بن مالـك بن حُطَيْط بن جشم من ثقيف لضغائن كانت بينهم وبين الأحلاف، فحالفوا بني يربوع على الأحلاف.

فلمّا سمعت الأحلاف بذلك اجتمعوا. وكان أوّل قتـال كان بين الأحـلاف وبين بني مـالك وحلفـائهم من بني نصر يـوم الطائف، واقتتلوا قتـالاً شـديـداً، فـانتصـر الأحـلاف وأخرجوهم منه إلى وادٍ من وراء الطائف يقال له لحب، وقُتل من بني مالـك وبني يربـوع مقتلة عظيمة في شِعب من شعاب ذلك الجبل يقال له الأبان[2]. ثمّ اقتتلوا بعـد ذلك أيّـاماً

---

(١) في الأصل «زرع».

(٢) أبان: بفتح أوله وتخفيف ثانيه. أبان الأبيض، وأبان الأسود. فـأبان الأبيض شـرقيّ الحاجـر، فيه نخـل وماء يقال له أُكَرة، وهو العلم لبني فزارة وعبْس. وأبان الأسود جبل لبني فزارة خاصة، وبينه وبين الأبيض ميلان. (معجم البلدان ١/٦٢).

مُسَمَّيات، منهنّ يوم غَمْر ذي كِنْدة[1]، من نحو نخْلة، ومنهنّ يوم كرونا من نحو حُلوان، وصاح عُفَيْف بن عوف اليربوعي في ذلك اليوم صيحة يزعمون أنّ سبعين حُبلَى منهم ألقت ما في بطنها، فاقتتلوا أشدّ قتال ثمّ افترقوا. فسارت بنو مالك تبْتغي الحلف من دوس وخثعم وغيرهما على الأحلاف، وخرجت الأحلاف إلى المدينة تبتغي الحلف من الأنصار على بني مالك، فقدِم مسعود بن معتّب على أُحَيْحة بن الجُلاح أحد بني عمرو بن عوف من الأوس، وكان أشرف الأنصار في زمانه، فطلب منه الحلف، فقال له أُحَيْحة: والله ما خرج رجل من قومه إلى قوم قطّ بحِلْف أو غيره إلّا أقرّ لأولئك القوم بشرّ مما أنف منه من قومه، فقال له مسعود: إنّي أخوك، وكان صديقاً له، فقال: أخوك الذي تركتَهُ وراءك فارجعْ إليه وصالحْهُ ولو بجدع أنفك وأذنك، فإنّ أحداً لن يبرّ لك في قومك إذ خالفته؛ فانصرف عنه وزوّده بسلاح وزاد، وأعطاه غلاماً كان يبني الآطام، يعني الحصون، بالمدينة، فبنى لمسعود بن معتّب أُطُماً، فكان أوّل أُطُمٍ بُني[2] بالطائف، ثمّ بُنيت الآطام بعده بالطائف. ولم يكن بعد ذلك بينهم حرب تُذكَر.

وقالوا في حربهم أشعاراً كثيرة، فمن ذلك قول محبّر، وهو ربيعة بن سفيان أحد بني عوف بن عُقْدة من الأحلاف:

وما كنتُ ممّنْ أرّثَ الشّرّ بينهم ... ولَكنّ مسعوداً جَناها وجُنْدبا
قريعَيْ ثقيفٍ أنشبا الشرَّ بينهم ... فلم يَكُ عنها منزعٌ حين أنْشبا
عناقاً[3] ضروساً بين عَوْفٍ ومالكٍ ... شديداً لظَاها تَتْرُك[4] الطّفْلِ أشْيبا
مُضرّمةً شبّاً أشبّا[5] وقودَها ... بأيديهما ما أوْرياها وأثقبا
أصابتْ بَراء من طوائف مالكٍ ... وعَوْفٍ بما جَرّا عليها وأجْلبا
كجُمْثُورةٍ جاؤوا تخطّوا مآبَنا[6] ... إليهم وتدعو في اللقاء مُعَتّبا
وتدعو بني عوف بْنِ عُقْدة في الوغى ... وتدعو عِلاجاً والحليفَ المُطيّبا
حبيباً وحيّاً من رِباب كتائباً ... وسعداً إذا الداعي إلى الموت ثوّبا
وقوماً بمَكْرُوثاء شَنّتْ مُعتّبُ ... بغارتها فكان يوماً عَصَبْصَبا

---

(١) غمر ذي كِنْدَة: موضع وراء وَجْرَة بينه وبين مكة مسيرة يومين. (معجم البلدان ٤/٢١١).

(٢) في الطبعة الأوروبية وردت العبارة هكذا: «فبنى لبني معتّب بن مسعود وذهب عمر وأطّم، فقال سلمان أن أول من أطّم أُطُماً بني».

(٣) في الطبعة الأوربية «عفاقا».

(٤) في الطبعة الأوربية «مترك».

(٥) في الأصل «شبا».

(٦) في الطبعة الأوربية: «يحطر ما أتينا».

فأسْقط أحبالَ النساء بِصَوْته   عُفَيْفٌ إذا نادى بنصرٍ فطرّبا

(عُفَيْف هذا بضمّ العين وفتح الفاء).

بسم الله الرحمن الرحيم

نسب[1] رسول الله، صلى الله عليه وسلم وذكر بعض أخبار آبائه وأجداده[2]

واسم رسول الله، ﷺ، محمّد، وقد تقدّم ذكر ولادته في ملك كسرى أنوشِروان، وهو محمّد بن عبد الله، ويكنّى عبدُ الله: أبا قُثَمْ.

وقيل: أبا محمّد.

وقيل: أبا أحمد بن عبد المطّلب.

وكان عبد الله أصغر ولد أبيه، فكان هو عبد الله وأبو طالب، واسمه عبد مناف، والزّبَير، وعبد الكعبة، وعاتكة، وأُمَيمَة، وبَرّة ولد عبد المطّلب، أمّهم جميعهم فاطمة بنت عمرو بن عايذ بن عِمْران بن مخزوم بن يَقَظَة[3].

وكان عبد المطّلب نَذَرَ حين لقي من قريش العَنَتَ في حفر زمزم، كما نذكره، لئن وُلد[له] عشرة نفر وبلغوا معه، حتّى يمنعوه، لينحرنّ أحدَهم عند الكعبة لله تعالى. فلمّا بلغوا عشرة وعرف أنّهم سيمنعونه أخبرهم بنذْرِهِ فأطاعوه وقالوا: كيف نصنع؟ قال: يأخذ كلّ رجل منكم قِدحاً، ثمّ يكتب فيه اسمه. ففعلوا وأتوه بالقِداح، فدخلوا على هُبَل في جوف الكعبة، وكان أعظم أصنامهم، وهو على بئر يُجْمع فيه ما يُهْدى إلى الكعبة.

وكان عند هُبَل سبعة أقْدح[4]، في كلّ قِدح كتاب، فقِدْح فيه «العقل»، إذا اختلفوا

---

(١) من هنا يعود المؤلّف إلى النقل عن الطبري.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/٨٨، تاريخ الطبري ٢/٢٣٩، سيرة ابن هشام ١/١٧٦، نسب قريش ٢٠، جمهرة أنساب العرب ١٥، أنساب الأشراف ١/٧٨، مروج الذهب ٢/٢٧٢، المعارف ١١٧، نهاية الأرب ١٦/٧٢، عيون الأثر لابن سيّد الناس ١/٢١، السيرة النبوية لابن كثير ١/١٨٣، تاريخ الإسلام للذهبي (السيرة النبوية) بتحقيقنا ١٧، تاريخ دمشق (السيرة النبوية) ١/٣٦، عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ١/٤، تاريخ الخميس للديار بكري ١/٢٣٣.

(٣) الطبري ٢/٢٣٩.

(٤) الأقْدُح: جمع قِدْح. ويُجمَع على قِداح. والقِدْح، بالكسر: السهم قبل أن يُراش ويُنْصَل.

في العقل مَنْ يحمله منهم ضربوا القِداح السبعة، وقِدْح فيه «نعم» للأمر، إذا أرادوه يُضرب به، فإن خرج «نعم» عملوا به، وقِدْح فيه «لا»، فإذا أرادوا أمراً ضربوا به، فإذا خرج «لا»، لم يعلموا ذلك الأمر، وقِدْح فيه «منكم»، وقِدْح فيه «ملصق»، وقِدْح فيه «من غيركم»، وقِدْح فيه «المياه». إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقِداح، وفيها ذلك القِدْح، فحيث ما خرج عملوا به.

وكانوا إذا أرادوا أن يختتنوا غلاماً، أو ينكحوا جاريةً، أو يدفنوا ميتاً، أو شكّوا في نسب أحد منهم، ذهبوا به إلى هُبَل، وبمائة درهم، وجَزور، فأعطوه صاحب القِداح الذي يضربها، ثمَّ قرَّبوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون، ثمّ قالوا: يا إلٰهنا هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا، فأَخْرِج الحقَّ فيه. ثمَّ يقولون لصاحب القِداح: اضربْ، فيضرب، فإن خرجَ عليه «منكم» كان وسيطاً، وإنْ خرج عليه «من غيركم» كان حليفاً، وإن خرج عليه «مُلْصَق» كان على منزلته منهم، لا نسب له ولا حِلْف، وإن خرج عليه شيء سوى هذا ممّا يعملون به، فإن خرج «نعم» عملوا به، وإن خرج «لا» أخّروه عامهم ذلك حتى يأتوه به مرّة أخرى، ينتهون في أمورهم إلى ذلك ممّا خرجت به القِداح.

وقال عبد المطّلب لصاحب القِداح: اضربْ على بَنيّ هؤلاء بقِداحهم هذه. وأخبره بنذْره الذي نَذَر، وكان عبد الله أصغر بني أبيه وأحبّهم إليه. فلمّا أخذ صاحب القِداح يضرب قام عبد المطّلب يدعو الله تعالى، ثمّ ضرب صاحب القِداح، فخرج قِدْح على عبد الله. فأخذ عبد المطّلب بيده، ثمّ أقبل إلى إساف ونائلة، وهما الصنمان اللذان ينحر الناس عندهما[1]. فقامت قريش من أنديتها، فقالوا: ما تريد؟ قال: أذبحه، فقالت قريش وبنوه: والله لا تذبحه أبداً حتى تُعْذِر[2] فيه، لئن فعلت هذا لا يزال الرجل منّا يأتي بابنه حتى يذبحه. فقال له المُغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم: والله لا تذبحه حتى تُعْذِر فيه، فإن كان فداؤه بأموالنا فدَيْناه. وقالت له قريش وبنوه: لا تفعل وانطلِق إلى كاهنة بالحِجْر، فسلْها، فإنْ أمرَتك بما لك وله فيه فَرَجٌ قَبِلْتَهُ.

---

(١) في حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: «ما زلنا نسمع أنّ إسافاً ونائلة ـ رجل ـ وامرأة من جُرْهُم ـ زنيا في الكعبة فمُسِخا حجرين». أنظر: سيرة ابن هشام ١/١٠٥، أخبار مكة ١/١١٩، كتاب الأصنام للكلبي ٢٩، الروض الأنف ١/١٠٥، مروج الذهب ٢/٥٠، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ٧٠، شفاء الغرام (بتحقيقنا) ١/٦٠٠، السير والمغازي لابن إسحاق ٢٤.

(٢) في الأصل «نعذر» وفي النسخة (ب): «يحدر».

فانطلقوا إليها، وهي بخيبر، فقصّ عليها عبد المطّلب خبره، فقالت: ارجعوا اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله، فرجعوا عنها. ثمّ غدوا عليها فقالت: نعم، قد جاءني الخبر، فكَم الدية فيكم؟ قالوا: عشر من الإبل، وكانت كذلك. قالت: ارجِعوا إلى بلادكم وقرِّبوا عشراً من الإبل، واضربوا عليها وعليه بالقِداح، فإن خرج على صاحبكم فزيدوا عشراً حتى يرضى ربّكم. وإن خرجت على الإبل فانحروها فقد رضي ربّكم ونجا صاحبكم.

فخرجوا حتى أتوا مكّة، فلمّا أجمعوا لذلك قام عبد المطّلب يدعو الله، ثمّ قرّبوا عبدَ الله وعشراً من الإبل، فخرجت القِداح على عبد الله، فزادوا عشراً، فخرجت القِداح على عبد الله. فما برحوا يزيدون عشراً وتخرج القِداح على عبد الله، حتى بلغت الإبل مائة، ثمّ ضربوا فخرجت القِداح على الإبل. فقال مَنْ حضر: قد رضي ربّك يا عبد المطّلب. فقال عبد المطّلب: لا والله حتى أضرب ثلاث مرّات. فضربوا ثلاثاً، فخرجت القِداح على الإبل، فنُحرت، ثمّ تُركت لا يُصَدّ عنها إنسان ولا سَبُع[1].

وأمّا تزويج عبد الله بن عبد المطّلب بآمنة ابنة وهب أمّ رسول الله ﷺ، فإنّه لما فرغ عبدُ المطّلب من الإبل انصرف بابنه عبد الله وهو آخذ بيده، فمرّ على أمّ قتّال[2] ابنة نوفل بن أسد أخت وَرَقَة بن نَوْفل، وهي عند البيت، فقالت له حين نظرت إليه وإلى وجهه: أين تذهب يا عبد الله؟ فقال: مع أبي. قالت: لك عندي مثل الذي نحر عنك أبوك من الإبل وَقَعْ عليّ الآن. قال: إنّ معي أبي لا أستطيع خلافه ولا فراقه.

فخرج به عبد المطّلب حتى أتى به وهْب بن عبد مَناف بن زُهْرة، وهو سيّد بني زُهْرة، فزوّجه ابنته آمنة بنت وهْب، وهي لبَرَّة بنت عبد العُزىّ بن عثمان بن عبد الدار بن قُصَيّ، وبَرّة لأم حبيب بنت أسد بن عبد العُزىّ بن قُصَيّ، وأمّ حبيب لبرّة بنت عوف بن عبيد بن عَوِيج بن عديّ بن كعب.

فدخل عبد الله عليها حين مَلَكها[3] مكانها، فوقع عليها فحملت بمحمّد، ﷺ. ثمّ

---

(١) الطبري ٢/٢٤٠ ـ ٢٤٣، وسيرة ابن هشام ١/١٧٦ ـ ١٧٨، وفيها: «لا يُصَدّ عنها إنسان ولا يُمنع». وفيها مثل هنا أيضاً في قول ١/١٧٨/وروى ابن سعد عن الواقدي»، قال: حدّثني سعيد بن هشام، عن يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما نحرها عبد المطّلب خلّى بينها وبين كلّ من وردها من إنسيّ أو سَبُع أو طائر لا يذبّ عنها أحداً ولم يأكل منها هو ولا أحد من ولده شيئاً. (الطبقات الكبرى ١/٨٩) وانظر الخبر في: السير والمغازي ٣٢ وما بعدها.

(٢) في النسخة (ب): «قبال»، وفي الطبعة الأوربية «قيال».

(٣) في الأصل «أملكها».

خرج من عندها حتى أتى المرأة التي عرضت عليه نفسَها بالأمس فقال لها: ما لكِ لا تعرضين عليّ اليوم ما كنتِ عرضتِ بالأمس؟ فقالت: فارقك النور الذي كان معك بالأمس، فليس لي بك اليوم حاجة.

وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل أنّه كائن لهذه الأمّة نبيّ من بني إسماعيل[1].

وقيل: إنّ عبد المطّلب خرج بابنه عبد الله ليزوّجه، فمرّ به على كاهنة من خَثْعم يقال لها فاطمة بنت مُرّ، متهوِّدة من أهل تَبالة[2]، فرأت في وجهه نوراً وقالت له: يا فتى هل لك أن تقع عليّ الآن وأعطيك مائة من الإبل؟ فقال لها:

أمّا الحرام فالممات دونَهْ ... والحِلُّ لا حِلّ فأستبينَهْ
فكيف بالأمر الذي تبغينَهْ[3]

ثمّ قال لها: أنا مع أبي ولا أقدر [أن] أفارقه. فمضى فزوّجه آمنة بنت وهْبْ بن عبد مَناف بن زُهرة. فأقام عندها ثلاثاً ثمّ انصرف، فمرّ بالخثعميّة، فدعتْهُ نفسُهُ إلى ما دَعَتْهُ إليه، فقال لها: هل لكِ فيما كنتِ أردتِ؟ فقالت: يا فتى ما أنا بصاحبة ريبةٍ، ولكنّي رأيت في وجهك نوراً، فأردت أن يكون لي، فأبَى الله إلّا أن يجعله[4] حيث أراد، فما صنعتَ بعدي؟ قال: زوّجني أبي آمنة بنت وهْب. قالت فاطمة بنت مُرّ:

إنّي رأيتُ مَخِيلَةً لَمَعَتْ ... فتلألأتْ بحَنَاتِمِ[5] القَطْرِ[6]
فلَمَأْتُها[7] نوراً يُضيءُ له[8] ... ما حولَهُ كإضاءةِ البدرِ[9]

---

(١) الخبر في سيرة ابن هشام ١/١٧٨، ١٧٩، تاريخ الطبري ٢/٢٤٣، ٢٤٤، والسير والمغازي ٤٢، وانظر طبقات ابن سعد ١/٩٤ ـ ٩٧ وفيه أن المرأة التي عرضت نفسها اسمها «قُتيلة».

(٢) في الأصل «ثمالة». وفي الطبعة الأوربية: «بنت مرّة مشهورة من أهل قبائله».

(٣) الرجز في الطبقات الكبرى ١/٩٦ وفيه «تنوينه» بدل «تبغينه»، والرجز أيضاً في تاريخ الطبري ٢/٢٤٤، وفي الروض الأنف ١/١٨٠ زيادة:

«يحمي الكريمُ عِرْضَهُ ودِينه»

وانظر أيضاً: عيون الأثر ١/٢٤، ونهاية الأرب ١٦/٦٠، وأنساب الأشراف ١/٨٠، وتاريخ الخميس ١/٢٠٨، ٢٠٩، والبداية والنهاية ٢/٢٥٠، وسيرة ابن كثير ١/٧٨.

(٤) في الأصل «يكون».

(٥) الحناتم: الواحد الحنتم: السحاب.

(٦) في الطبعة الأوربية «فتلألأ بخباء ثم القطر».

(٧) فَلَمَأْتُها: فأبصرتُها. وفي الطبعة الأوربية وردت «فملأتها».

(٨) في الروض الأنف ١/١٨٠ «يضيء به».

(٩) في الروض، ونهاية الأرب ١٦/٦١ والطبقات الكبرى ١/٩٧. «الفجر».

فَرَجوتُهُ[1] فخراً أبوءُ بِهِ[2] ... ما كلُّ قادحِ زَنْدِهِ يُورِي
لله ما زُهريّةٌ سَلَبَتْ ... ثَوْبَيْكَ ما اسْتَلَبَتْ[3] وما تدرِي[4]

وقالت أيضاً في ذلك:

بني هاشمٍ قد غادرَتْ من أخيكُمُ ... أمينةُ إذ للبَاهِ تَعْتَرِكانِ[5]
كما غادَرَ المصباحُ عند خمودِه[6] ... فَتَائلَ قد مِيثَتْ[7] له بدِهانِ
فما كلّ ما يحوي الفتى من تِلادِه[8] ... لعزْمٍ[9] ولا ما فاته لتوانِ[10]
فأجْمِلْ إذا طالبتَ أمراً فإنّه ... سيكفيكَهُ جَدّانِ يَعتَلِجانِ[11]
سيكفيكَهُ إمّا يدٌ مُقْفَعِلّةٌ[12] ... وإمّا يدٌ مبسوطةٌ ببَنانِ[13]
ولمّا حَوَتْ منهُ أمينةُ ما حوَتْ ... حَوَتْ منه فَخْراً ما لذلك ثانِ[14]

وقيل: إنّ الذي اجتاز بها غير هذا، والله أعلم.

* * *

(١) في تاريخ الطبري ٢/٢٤٥: «فرجوتها»، وفي سيرة ابن كثير.
(٢) في الروض: «ورأيته شرفاً أبوء به»، وكذا في نهاية الأرب ١٦/٦١، والطبقات الكبرى ١/٩٧.
(٣) في الروض: «منك الذي اسْتَلَبَتْ»، وفي الأوربية: «يؤتيك ما سلبت».
(٤) أنظر: الطبقات الكبرى ١/٩٧، تاريخ الطبري ٢/٢٤٥، الروض الأنف ١/١٨٠، نهاية الأرب ١٦/٦١، سيرة ابن كثير ١/١٧٨، ١٧٩، البداية والنهاية ٢/٢٥٠.
(٥) في الطبقات الكبرى: «يعتلجان»، وكذا في أنساب الأشراف ١/٨٠، ونهاية الأرب ١٦/٦١.
(٦) في الطبقات، وأنساب الأشراف، ونهاية الأرب: «بعد خُبُوّه».
(٧) في طبعة صادر ٢/٩ «بُلّتْ» وما أثبتناه عن: الطبري ٢/٢٤٥، والطبقات الكبرى ١/٩٧، وأنساب الأشراف ١/٨٠، ونهاية الأرب ١٦/٦١، وسيرة ابن كثير ١/١٧٩.
(١٤) في النسخة (ت): «بلاده»، وفي الطبعة الأوربية «ملاذه».
(٩) في النسخة (ب): «يعزم»، وفي الطبقات، والنهاية، وابن كثير: «بحزم».
(١٠) في النسخة (ب): «بتوان».
وورد في أنساب الأشراف:

وما كل ما يحوي امرؤٌ من إرادةٍ ... لحزْمٍ ولا ما فاته لتوانِ

(١١) في الطبقات، وأنساب الأشراف، ونهاية الأرب: «يصطرعان».
(١٢) مُقْفَعلّة: مقبوضة.
(١٣) في نهاية الأرب: «ببيان».
(١٤) في الطبعة الأوربية: «شان». والبيت في الطبقات الكبرى، ونهاية الأرب ١٦/٦١، ٦٢:

ولما قضت منه أمينة ما قضتْ ... نبا بصَري عنها وكلّ لساني

وانظر: تاريخ الطبري ٢/٢٤٥، ٢٤٦، وأنساب الأشراف ١/٨٠ وفيه (٤) أبيات فقط، وسيرة ابن كثير ١/١٧٩.

قال الزُّهري: أرسل عبد المطّلب ابنه عبد الله إلى المدينة يمتار لهم تمراً، فمات بالمدينة.

وقيل: بل كان في الشام، فأقبل في عير قريش، فنزل بالمدينة وهو مريض، فتوفّي بها، ودُفِن في دار النابغة الجَعْدِيّ[1] وله خمس وعشرون سنة[2].

وقيل: ثمانٍ وعشرون سنة[3]، وتوفّي قبل أن يولد رسول الله، ﷺ.

(عايذ بن عِمْران: بالذال المعجمة، والياء تحتها نقطتان. وعَبيد: بفتح العين، وكسر الباء الموحّدة. وعَويج: بفتح العين، وكسر الواو، وآخره جيم).

ابن عبد المطّلب

واسمه شيبة[4]، سُمّي بذلك لأنّه كان في رأسه لمّا وُلد شيبة، وأمّه سلمى بنت عمرو بن زيد الخزرجيّة النجّاريّة، ويُكنى أبا الحارث، وإنّما قيل له عبد المطّلب، لأنّ أباه هاشماً شخص في تجارة إلى الشام، فلمّا قدِم المدينةَ نزل على عمرو بن لَبِيد[5] الخزرجي من بني النجّار، فرأى ابنته سلمى فأعجبته فتزوّجها. وشرط أبوها أن لا تلد ولداً إلاّ في أهلها، ثمّ مضى هاشم لوجهه وعاد من الشام فبنى بها في أهلها، ثمّ حملها إلى مكّة فحملتْ. فلمّا أثقلتْ ردّها إلى أهلها ومضى إلى الشام فمات بغزّة.

فولدت له سلمى عبد المطّلب، فمكث بالمدينة سبع سنين.

ثمّ إن رجلاً من بني الحارث بن عبد مناف مرّ بالمدينة، فإذا غلمان ينتضلون، فجعل شيبة إذا أصاب قال: أنا ابن هاشم، أنا ابن سيّد البطحاء. فقال له الحارثيّ: مَنْ أنت؟ قال: أنا ابن هاشم بن عبد مَناف. فلمّا أتى الحارثيّ مكّةَ قال للمطّلب، وهو بالحِجر: يا أبا الحارث تعلم أنّي وجدتُ غلماناً بيثرب، وفيهم ابن أخيك، ولا يَحْسُنُ تَرْكُ مثْلِهِ. فقال المطّلب: لا أرجع إلى أهلي حتى آتي به. فأعطاه الحارثيّ ناقةً فركبها، وقدِم المدينةَ عشاء، فرأى غلماناً يضربون كُرَةً، فعرف ابن أخيه فسأل عنه فأُخبر به، فأخذه وأركبه على عجز الناقة.

---

(١) في الأصل: «الصغرى».

(٢) الطبقات الكبرى ١/٩٩ وقال الواقدي: هذا هو أثبت الأقاويل والرواية في وفاة عبدالله بن عبد المطّلب وسنّه عندنا. وانظر: أنساب الأشراف ١/٩٢، ونهاية الأرب ١٦/٦٦.

(٣) أنساب الأشراف ١/٩٢.

(٤) أنساب الأشراف ١/٦٤، الطبري ٢/٢٤٦، نهاية الأرب ١٦/٤٠.

(٥) في النسخة (ب): «زيد بن أسد».

وقيل: بل أخذه بإذن أمّه، وسار إلى مكّة، فقدِمها ضحوة والناس في مجالسهم، فجعلوا يقولون له: مَنْ هذا وراءك؟ فيقول: هذا عبدي. حتى أدخله منزله على امرأته خديجة بنت سعيد بن سهم. فقالت: مَنْ هذا [الذي] معك؟ قال: عبد لي. واشترى له حلّةً فلبسها، ثمّ خرج به العشيّ، فجلس إلى مجلس بني عبد مَناف، فأعلمهم أنّه ابن أخيه، فكان بعد ذلك يطوف بمكّة فيقال: هذا عبد المطّلب، لقوله: هذا عبدي[1].

ثمّ أوقفه المطّلب على ملك أبيه، فسلّمه إليه. فعرض له نوفل بن عبد مَناف، وهو عمّه الآخر، بعد موت المطّلب، في رُكْح له، وهو الفِناء، فأخذه، فمشى عبد المطّلب إلى رجالات قريش، وسألهم النُّصْرَةَ على عمّه، فقالوا له: ما ندخل بينك وبين عمّك. فكتب إلى أخواله من بني النجّار يصف لهم حاله، فخرج أبو أسعد[2] بن عُدَس النجّاريّ في ثمانين راكباً، حتى أتى الأبطح[3]، فخرج عبد المطّلب يتلقّاه، فقال له: المنزل يا خال! قال: حتى ألقى نوفلاً. وأقبل حتى وقف على رأسه في الحجر مع مشايخ قريش، فسلّ سيفه ثمّ قال: وربّ هذه البَنِيّة[4] لتردّنّ على ابن أختنا رُكْحه[5]، أو لأملأنّ منك السيف! قال: فإنّي وربّ هذه البنيّة أردّ عليه رُكْحَه، فأشهد عليه من حضر، ثمّ قال لعبد المطّلب: المنزل يا ابن أختي. فأقام عنده ثلاثاً، فاعتمروا وانصرفوا.

فدعا ذلك عبدَ المطّلب إلى الحلف، فدعا بِشرَ[6] بن عمرو، وورقاء بن فلان[7]، ورجالاً من رجالات خُزاعة، فحالفهم في الكعبة وكتبوا كتاباً.

وكان إلى عبد المطّلب السِّقاية، والرِّفادة، وشَرُفَ في قومه وعظم شأنه. ثمّ إنّه حفر زمزم، وهي بئر إسماعيل بن إبراهيم، عليه السلام، التي أسقاه الله تعالى منها، فدفنتها جُرْهُم، وقد تقدّم ذكر ذلك.

---

(١) أنساب الأشراف ١/٦٤، ٦٥، تاريخ الطبري ٢/٢٤٦ - ٢٤٨، نهاية الأرب ١٦/٤٠، ٤١.

(٢) في الطبعة الأوربية «أبو سعيد»، والتصحيح من النسخ، والطبري ٢/٢٤٩.

(٣) الأبطح: يضاف إلى مكة وإلى منى، لأنّ المسافة بينه وبينهما واحدة، وربّما كان إلى مِنى، أقرب، وهو المحصّب. (معجم البلدان ١/٧٤).

(٤) البنيّة: اسم للكعبة المشرّفة. بباء موحّدة ونون وياء مثنّاة من تحت مشدّدة. قاله القاضي عياض في «المشارق». أنظر: شفاء الغرام (بتحقيقنا) ١/٢٠٧.

(٥) رُكْحهُ: فِناءه أو ساحته.

(٦) في الطبري ٢/٢٥١ «بسر».

(٧) كُتب في حاشية الأصل: «لعله نوفل».

[سبب حفر بئر زمزم][1]

وكان سبب حفره إيّاها أنّه قال: بينا أنا نائم بالحِجر إذ أتاني آتٍ فقال: احفِرْ طَيْبة[2]. قال: قلتُ: وما طَيْبة؟ قال: ثمّ ذهب، فرجعتُ الغد إلى مضجعي فنمتُ فيه، فجاءني فقال: احْفِرْ بَرّة[3]. قال: قلتُ: وما بَرّة؟ قال: ثمّ ذهب عنّي، قال: فلمّا كان الغد رجعتُ إلى مضجعي، فنمتُ فيه فجاءني فقال: احْفِرْ المضنونة[4]. [قال: قلتُ: وما المضنونة[5]؟ قال]: فذهب عنّي. فلمّا كان الغد رجعتُ إلى مضجعي، [فنمتُ فيه فجاءني][6] فقال: احْفِرْ زمزمٍ، إنّك إن حفرتها لا تندم. فقلتُ: وما زمزم؟ قال: تراث من أبيك الأعظم، لا تنزف أبداً ولا تُذمّ، تسقي الحجيج الأعظم، مثل نعام جافل لم يقسم، ينذر فيها ناذر لمنعِمْ، يكون ميراثاً وعقْداً محكمْ، ليس كبعض ما قد تعلمْ، وهي بين الفرث والدمْ، عند نقرة الغراب الأعصمْ، عند قرية النمل[7].

فلمّا بيّن له شأنها ودلّ على موضعها وعرف أنّه قد صدق، غدا بِمَعْوَلِهِ ومعه ابنه الحارث، ليس له ولد غيره، فحفر بين إساف ونائلة، في الموضع الذي تنحر [فيه] قريش لأصنامها، وقد رأى الغراب، ينقر هناك. فلمّا بدا له الطويّ[8] كبّر، فعرفت قريش أنّه قد أدرك حاجتَه، فقاموا إليه فقالوا: إنّها بئر أبينا إسماعيل، وإنّ لنا فيها حقّاً فأشْرِكْنا معك. قال: ما أنا بفاعل، هذا أمر خُصِصتُ به دونكم. قالوا: فإنّا غير تاركيك حتى نخاصمك[9] فيها. قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم. قالوا: كاهنة بني سعد بن هُذَيم[10]، وكانت بمشارف الشام.

---

(١) العنوان مُضاف على الأصل. والخبر أشار إليه الطبري إشارة مقتضبة ٢/٢٥١ وهو في: الطبقات الكبرى ١/٨٣ وأنساب الأشراف ١/٧٨، وسيرة ابن هشام ١/١٦٣، والسير والمغازي لابن إسحاق ٢٣، والبدء والتاريخ ٤/١٢٣، وسيرة ابن كثير ١/١٦٧، والبداية والنهاية ٢/٢٤٤، ونهاية الأرب ١٦/٤٣، والروض الأنف ١/١٦٧، وشرح المواهب للزرقاني ١/٩٣.

(٢) طيبة: سُمّيَت بذلك لأنها للطيّبين والطيّبات من ولد إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام. (الروض الأنف ١/١٦٧).

(٣) بَرَّة: اسم صادق عليها، لأنها فاضت للأبرار، وغاضت عن الفجار. (الروض الأنف ١/١٦٧).

(٤) في النسختين (ت) و (ب): «المصبورة».

(٥) قال وهب بن منبّه: سُمّيت المضنونة لأنها ضُنَّ بها على غير المؤمنين، فلا يتضلّع منها منافق. (الروض ١/١٦٧).

(٦) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصول، والاستدراك من سيرة ابن هشام ١/١٦٤.

(٧) سيرة ابن هشام ١/١٦٤ و ١٦٥، أخبار مكة للأزرقي ٢/٤٤، الطبقات الكبرى ١/٨٣.

(٨) في سيرة ابن هشام ١/١٦٦ «الطيّ».

(٩) في أخبار مكة ٢/٤٥ «نحاكمك».

(١٠) «بن» ليست في سيرة ابن هشام ١/١٦٧، ولا في الطبقات الكبرى ١/٨٤، وهي في أخبار مكة.

فركب عبد المطّلب ومعه نفر من بني عبد مَناف، وركب من كلّ قبيلة من قريش نفر، حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فني ماء عبد المطّلب وأصحابه، فظمِئوا حتى أيقنوا بالهلكة، فطلبوا الماء ممّن معهم من قريش، فلم يسقوهم. فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ فقالوا: رأيُنا تَبَعٌ لرأيك، فمُرْنا بما شئت. قال: فإني أرى أن يحفر كلّ رجل منكم لنفسه حفرة، فكُلّما مات واحد واراه أصحابه، حتى يكون آخركم موتاً قد وارى الجميع، فضيعةُ رجلٍ واحدٍ أيسر من ضَيْعة رَكْب. قالوا: نِعْمَ ما رأيتَ. ففعلوا ما أمرهم به.

ثمّ إن عبد المطّلب قال لأصحابه: والله إنّ إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الأرض ونبتغي لأنفسنا، لَعَجْزٌ. فارتحلوا ومَن معه من قبائل قريش ينظرون إليهم، ثمّ ركب عبد المطّلب، فلمّا انبعثْ به راحلته انفجرتْ من تحت خفّها عينٌ عذْبة من ماء، فكبّر وكبّر أصحابه، وشربوا وملأوا أسقيتهم، ثمّ دعا القبائل من قريش فقال: هلمّوا إلى الماء فقد سقانا الله. فقال أصحابه: لا نسقيهم لأنّهم لم يسقونا. فلم يسمع منهم وقال: فنحن إذاً مثلهم! فجاء أولئك القرشيّون فشربوا وملأوا أسقيتهم وقالوا: قد والله قضى الله لك علينا يا عبدَ المطّلب، والله لا نخاصمك في زمزم أبداً، إنّ الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم، فارجعْ إلى سقايتك راشداً.

فرجعوا إليه ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلّوا بينه وبينها[١].

فلمّا فرغ من حفْرها وجد الغزالَين اللذين دفنتهما جُرهُم فيها، وهما من ذَهَب، ووجد فيها أسيافاً قَلْعيّة[٢] وأدراعاً. فقالت له قريش: يا عبد المطّلب لنا معك في هذا شركٌ وحقّ. قال: لا ولكن هلمّ إلى أمر نَصَفٍ بيني وبينكم، نضرب عليها بالقِداح. فقالوا: فكيف تصنع؟ قال: أجعل للكعبة قِدْحَين، ولكم قِدْحَين، ولي قِدْحَين، فمَن خرج قِداحه على شيء أخذه، ومن تخلّف قِداحُه فلا شيء له. قالوا: أنصفتَ. ففعلوا ذلك وضُربت القِداح عند هُبَل[٣]، فخرج قِدْحا الكعبة على الغزالَين، وخرج قِدْحا عبد المطّلب على الأسياف والأدراع، ولم يخرج لقريش شيء من القِداح. فضرب عبد المطّلب الأسياف باباً للكعبة، وجعل فيه الغزالَين صفائح من ذهب، فكان أوّل ذهب حُلّيت به الكعبة[٤].

---

(١) سيرة ابن هشام ١/١٦٦، ١٦٧، أخبار مكة ٢/٤٤ ـ ٤٦، السير والمغازي ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) كان ساسان ملك الفرس أهداها إلى الكعبة، وقيل: سابور. (الروض الأنف ١/١٦٦).

(٣) كان في جوف الكعبة، وهو أعظم أصنامهم. (سيرة ابن هشام ١/١٧١).

(٤) السير والمغازي ٢٧، سيرة ابن هشام ١/١٦٨، ١٦٩، أخبار مكة ٢/٤٧.

وقيل: بل بقيا في الكعبة وسُرقا[1]، على ما نذكره.

وأقبل الناس والحُجّاج على بئر زمزم تبرّكاً بها ورغبة فيها، وأعرضوا عمّا سواها من الآبار[2].

ولما رأى عبد المطّلب تظاهُرَ قريش عليه نذر لله تعالى: إنْ يرزقْه عشرةً من الولْدان يبلغون أن يمنعوه ويذبّوا عنه نَحَر أحدَهم قرباناً لله تعالى.

وقد ذُكر النذْر في اسم عبد الله أبي النبيّ، ﷺ.

وعبد المطّلب أوّل من خضب الوسمة، وهو السواد، لأنّ الشيب أسرع إليه[3].

(عبد المطّلب وجاره اليهودي][4]

وكان لعبد المطّلب جار يهوديّ[5] يقال له أُذَينة[6] يتّجر وله مال كثير، فغاظ ذلك حربَ بنَ أُميّة، وكان نديمَ عبد المطّلب، فأغرى به فتياناً من قريش ليقتلوه ويأخذوا ماله، فقتله عامر بن عبد مَناف بن عبد الدار، وصخر بن عمرو بن كعب التيمي جدّ أبي بكر، رضي الله عنه، فلم يعرف عبد المطّلب قاتلَيه، فلم يزل يبحث حتّى عرفهما، وإذا هما قد استجارا بحرب بن أميّة، فأتى حرباً ولامه وطلبهما منه. فأخفاهما، فتغالظا في القول حتى تنافرا[7] إلى النجاشيّ ملك الحبشة، فلم يدخل بينهما، فجعلا بينهما نُفَيْل بن عبد العُزىّ العدويّ جدّ عمر بن الخطّاب. فقال لحرب: يا أبا عمرو أتنافر رجلاً هو أطول منك قامَة، وأوسم منك[8] وسامة، وأعظم منك هامة، وأقلّ منك ملامة؛ وأكثر منك ولداً، وأجزل منك صَفَداً[9]، وأطول منك مدداً[10]؛ وإنّي لأقول هذا وإنّك لبعيد الغضب، رفيع الصوت في العرب؛ جَلْد المريرة[11] تحْبك[12] العشيرة، ولكنّك نافرت منفِّراً؛ فغضب حرب

---

(١) الطبقات الكبرى ١/٨٥.

(٢) في الطبعة الأوربية «الأبيار». وانظر الخبر في السير والمغازي ٢٦، وسيرة ابن هشام ١/١٧٠.

(٣) الخبر في أنساب الأشراف ١/٦٥.

(٤) العنوان ليس في الأصل. والخبر ليس في تاريخ الطبري أيضاً.

(٥) في النسخة (ب): «حليفاً من اليهود».

(٦) في أنساب الأشراف ١/٧٣ «أدينة» بالدال المهملة، وفي المنمّق لابن حبيب ٦٤ «أذنيه».

(٧) في النسخة (ب): «سافرا».

(٨) كلمة «منك» ساقطة من طبعة صادر ٢/١٥ والاستدراك من أنساب الأشراف.

(٩) الصفد: العطاء. وفي أنساب الأشراف «صلة».

(١٠) وفي أنساب الأشراف «مِذوداً».

(١١) في المنمّق «المريدة» وفي الأنساب «النذيرة».

(١٢) في طبعة صادر ١/١٥ «لحبل»، وفي الطبعة الأوربية «لحبك». وما أثبتناه عن: المنمّق، وأنساب الأشراف.

وقال: مِن انتكاس الزمان أن جُعلتَ[1] حكماً. فترك عبد المطّلب منادمة حرب، ونادم عبد الله بن جُدَعان التيميّ، وأخذ من حرب مائة ناقة، فدفعها إلى ابن عمّ اليهودي، وارتجع ماله إلّا شيئاً هلك فغرمه من ماله[2].

وهو أوّل مَنْ تحَنّث بحِراء، فكان إذا دخل شهر رمضان صعِد حِراء وأطعم المساكين جميع الشهر[3].

وتوفّي وله مائة وعشرون سنة[4].

(وكان قد عمي)[5]. وقيل غير ذلك.

ابن هاشم[6]

واسم هاشم: عمرو، وكنيته أبو نَضْلَة[7]، وإنّما قيل له هاشم لأنّه أوّل من هشم الثريد لقومه بمكّة وأطعمه[8].

قال ابن الكلبي: كان هاشم أكبر ولد عبد مَناف، والمطّلب أصغرهم، أمّه عاتكة بنت مُرّة السُّلَميّة، ونوفل، وأمّه واقدة، وعبد شمس، فسادوا كلّهم، وكان يقال لهم المجبِّرون[9]. وهم أوّل من أخذ لقريش العِصَم[10]، فانتشروا من الحرم؛ أخذ لهم هاشم حَبْلاً[11] من الروم وغسّان بالشام، وأخذ لهم عبد شمس [حبلاً][12] من النجاشي بالحبشة، وأخذ لهم نوفل حبلاً[12] من الأكاسرة بالعراق، وأخذ لهم المطّلب حبلاً[12] من حِمْير

---

(١) في النسخة (ب): «تصير».
(٢) الخبر في المنمّق لابن حبيب ٦٤، ٦٥، وأنساب الأشراف ١/٧٣، ٧٤.
(٣) أنساب الأشراف ١/٨٤.
(٤) أنساب الأشراف ١/٨٤.
(٥) ما بين القوسين في النسخة (ب).
(٦) أنظر عنه في: نسب قريش ١٤، وجمهرة أنساب العرب ٩٤، والمعارف ٧١، والطبقات الكبرى ١/٧٥، وسيرة ابن هشام ١/١٥٧، وأنساب الأشراف ١/٥٨، وتاريخ الطبري ٢/٢٥١، والبدء والتاريخ ٤/١١١، وأمالي المرتضى ٢/٢٦٩، ونهاية الأرب ١٦/٣٣، والسيرة النبوية لابن كثير ١/١٨٥، والروض ١/٧.
(٧) في النسخة (ت): «بضلة»، وفي النسخة (ب): «نفيلة».
(٨) في الطبعة الأوربية «أطعموه».
والقول في: الطبقات الكبرى ١/٧٦، وتاريخ الطبري ٢/٢٥١، والبدء والتاريخ ٤/١١١.
(٩) في الطبعة الأوربية «المخيّرون».
(١٠) العِصَم: بكسر العين، وفتح الصاد، وهي الحبال، والمراد بها العهود.
(١١) في الطبعة الأوربية «خيلاً». والحبل هو العهد.
(١٢) إضافة على الأصل، وفي الطبعة الأوربية «خيلاً».

باليمن، فاختلفت قريش بهذا السبب إلى هذه النواحي، فجبر الله بهم قريشاً[١].

وقيل: إنْ عبد شمس وهاشماً توأمان[٢]، وإنّ أحدهما وُلد قبل الآخر، وإصبع له ملتصقة بجبهة صاحبه فنُحِّيتْ، فسال الدم، فقيل: يكون بينهما دم[٣].

وولِيَ هاشم بعد أبيه عبد مَناف ما كان إليه من السِّقاية والرِّفادة، فحسده أميّة بن عبد شمس على رياسته وإطعامه، فتكلّف أن يصنع صنيع هاشم، فعجز عنه، فشمت به ناس من قريش، فغضب ونال من هاشم ودعاه إلى المنافرة، فكره هاشم ذلك لسِنّه وقدْره، فلم تدعه قريش حتى نافره على خمسين ناقة، والجلاء عن مكّة عشر سنين، فرضي أميّة وجعلا بينهما الكاهن الخزاعيّ، وهو جدّ عمرو بن الحَمِق، ومنزله بعُسْفان[٤].

وكان مع أميّة [أبو][٥] همهمة بن عبد العُزّى الفِهريّ، وكانت ابنته عند أميّة، فقال الكاهن: «والقمر الباهر، والكوكب الزاهر، والغمام الماطر، وما بالجوّ من طائر، وما اهتدى بعَلَم مسافر، من[٦] منجد وغائر[٧]، لقد سبق هاشم أميّة إلى المآثر، أوّل منه[٨] وآخر، وأبو همهمة بذلك خابر». فقضى لهاشم بالغلبة، وأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها، وغاب أميّة عن مكّة بالشام عشر سنين. فكانت هذه أوّل عداوة وقعت بين هاشم وأميّة[٩].

وكان يقال لهاشم والمطّلب البدران لجمالهما[١٠].

ومات هاشم بغزّة وله عشرون سنة[١١].

وقيل: خمس وعشرون سنة[١١].

---

(١) الطبري ٢/٢٥٢.

(٢) نسب قريش ١٤، جمهرة أنساب العرب ١٤.

(٣) الطبري ٢/٢٥٢.

(٤) عُسفان: بضم أوله، وسكون ثانيه. منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة. وقيل غير ذلك. (معجم البلدان ٤/١٢١، ١٢٢).

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من طبعة صادر ١/١٧ والاستدراك من: جمهرة أنساب العرب ١٧٦، وأنساب الأشراف ١/٦١، والمنمّق ٦٩.

(٦) في أنساب الأشراف ١/٦١ «في».

(٧) في الطبعة الأوربية «غابر».

(٨) في الأنساب «منها».

(٩) الخبر في: المنمّق لابن حبيب ٦٩، وأنساب الأشراف ١/٦١.

(١٠) أنساب الأشراف ١/٦١.

(١١) أنساب الأشراف ١/٦٣.

وهو أوّل من مات من بني عبد مَناف. ثمّ مات عبد شمس بمكّة فقُبر بأجياد[1]. ثمّ مات نوفل بسَلمان من طريق العراق. ثمّ مات المطّلب بِرَدْمانٍ[2] من أرض اليمن[3].

وكانت الرفادة والسقاية بعد هاشم إلى أخيه المطّلب لصِغَر ابنه عبد المطّلب بن هاشم[4].

ابن عبد مَناف[5]

واسمه المغيرة، وكنيته أبو عبد شمس، وكان يقال له القمر[6] لجماله، وكانت أمّه حُبّى[7] دفعته إلى مَناف، صنم بمكّة، تديّناً بذلك، فغلب عليه عبد مَناف.

وكان عبد مَناف، وعبد العُزى، وعبد الدار، بنو قُصَيّ إخوةً، أمّهم حُبّى ابنة حُلَيْل ابن حُبْشيّة بن سَلول بن كعب بن عمرو بن خُزاعة، وهو الذي عقد الحِلْف بين قريش والأحابيش، والأحابيش بنو الحارث بن عبد مَناف بن كِنانة، وبنو المصطلِق من خُزاعة، وبنو الهُون من خُزيمة.

وكان قُصيّ يقول: وُلد لي أربعة بنين، فسَمّيْتُ ابنَين بإلهيَّ، وهما عبد مَناف، وعبد العُزّى، وواحداً بداري، وهو عبد الدار، وواحداً بي، وهو عبد قُصيّ[8].

(حُلَيْل بضمّ الحاء المهملة، وفتح اللام الأولى. وحُبشيّة بضمّ الحاء).

ابن قُصيّ[9]

واسمه زيد، وكنيته أبو المغيرة، وإنّما قيل له قُصَيّ لأنّ ربيعة بن حَرام بن ضِنّة بن

---

(١) أجياد: بفتح أوله وسكون ثانيه. موضع بمكة يلي الصنعاء. (معجم البلدان ١/١٠٥).
(٢) أنظر معجم البلدان ٣/٤٠.
(٣) في الطبعة الأوربية ورد: «ثم مات عبد المطّلب بردمان من أرض العراق». والتصحيح من معجم البلدان والمحبّر لابن حبيب ٦٣.
(٤) الطبري ٢/٢٥٤.
(٥) أنساب الأشراف ١/٥٢، نسب قريش ١٤، جمهرة أنساب العرب ١٤، المعارف ٧١، الطبقات الكبرى ١/٧٤، تاريخ الطبري ٢/٢٥٤، البدء والتاريخ ٤/١١٠، نهاية الأرب ١٦/٣١، الروض الأنف ١/٨.
(٦) وقيل: كانوا يسمّونه الغمر لجوده وفضله. (البدء والتاريخ ٤/١١٠).
(٧) في طبعة صادر ١/١٨: «وكان أمّه حين ولدته». والذي أثبتناه عن الطبري ٢/٢٥٤، وأنساب الأشراف ١/٥٢.
(٨) أنساب الأشراف ١/٥٢، ٥٣.
(٩) أنساب الأشراف ١/٤٨، سيرة ابن هشام ١/٨، الروض الأنف ١/٨، نسب قريش ١٤، جهرة أنساب العرب ١٤، المعارف ٧٠، الطبقات الكبرى ١/٦٦، تاريخ الطبري ٢/٢٥٤، المحبّر ١٦٦ و٢٣٦ و٣١٩، البدء والتاريخ ٤/١٠٩، نهاية الأرب ١٦/٢٠، البداية والنهاية ٢/٢٠٥، الروض الأنف ١/٨.

عبد بن كبير[١] بن عُذْرة بن سعد بن زيد تزوّج أمّه فاطمة ابنة سعد بن سَيَل[٢]، واسمه جبر[٣]، بن جَمالة بن عوف، وهي أيضاً أم أخيه زُهرة، ونقلها إلى بلاد عُذرة من مشارف الشام، وحملت معها قُصيّاً لصِغَره، وتخلّف زُهرة في قومه لِكَبره، فولدت أمّه فاطمة لربيعة بن حَرام: رِزَاح بن ربيعة، فهو أخو قصيّ لأمّه.

وكان لربيعة ثلاثة نفر من امرأة أخرى، وهم حُنّ بن ربيعة، ومحمود، وجُلْهُمَة.

وقيل: إنّ حُنّاً[٤] كان أخا قصيّ لأمّه. فشبّ زيد في حِجْر ربيعة، فسمّي قُصَيّاً لبُعده عن دار قومه، وكان قصيّ ينتمي إلى ربيعة إلى أن كبُر، وكان بينه وبين رجل من قُضاعة شيء، فعيّره القُضاعيّ بالغُربة، فرجع قصيّ إلى أمّه وسألها عمّا قال، فقالت له: يا بنيّ أنت أكرم منه نفساً وأباً، أنت ابن كلاب بن مُرّة، وقومك بمكّة عند البيت الحرام.

فصبر حتى دخل الشهر الحرام، وخرج مع حاجّ قُضاعة، حتى قدِم مكّة، وأقام مع أخيه زُهرة، ثمّ خطب إلى حُلَيل بن حُبْشيّة الخزاعي ابنته حُبّى، فزوّجه، وحُلَيل يومئذ يلي الكعبة. فولدت أولاده: عبد الدار، وعبد مَناف، وعبد العُزى، وعبد قُصيّ، وكثر ماله وعظُم شرفه.

وهَلَكَ حُلَيل، وأوصى بولاية البيت لابنته حُبّى، فقالت: إنّي لا أقدر على فتح الباب وإغلاقه، فجعل فتح الباب وإغلاقه إلى ابنه المُحْترش، وهو أبو غُبْشان[٥]، فاشترى قُصيّ منه ولاية البيت بزِقّ خمر وبعَوْد[٦]، فضربت به العرب المثلَ فقالت: «أخسر صفقة من أبي غُبْشان».

فلمّا رأت ذلك خُزاعة كثروا على قصيّ، فاستنصر أخاه رِزاحاً، فحضر هو وإخوته الثلاثة فيمن تبِعه من قُضاعة إلى نُصرته، ومع قُصيّ قومه بنو النَّضْر، وتهيّأ لحرب خُزاعة وبني بكر، وخرجت إليهم خُزاعة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فكثرت القتلى في الفريقَين والجراح، ثمّ تداعوا إلى الصلح، على أن يحكّموا بينهم عمرو بن عوف بن كعب بن ليث بن بكر بن عبد مَناف بن كِنانة، فقضى بينهم بأنّ قُصيّاً أولى بالبيت ومكّة من

---

(١) في الطبعة الأوربية «ابن ضبة بن عبد بن كثير».
(٢) في الأصل، والنسخة (ت): «سبيل».
(٣) في النسخة (ب): «حر». وفي تاريخ الطبري «خيْر» وكذلك في طبقات ابن سعد.
(٤) في النسخة (ب): حيان.
(٥) في النسختين (ب) و (ت) زيادة: «وقيل إن اسم أبي سليم ابن عمرو بن لؤيّ بن ملكان والأول أصح في اسمه ونسبه».
(٦) العوْد: المسنّ من الإبل.

خُزاعة، وأنّ كلّ دم أصابه من خُزاعة وبني بكر موضوع، فَيَشْدَخُهُ تحت قدمَيْه، وأنّ كلّ دم أصابت خُزاعة وبنو بكر من قريش وبني كِنانة ففي ذلك الدِية مؤدّاة، فسمّي يعمر[1] الشدّاخ بما شدخ من الدماء وما وضع منها. فولي قصيّ البيتَ وأمْرَ مكّة.

وقيل: إنّ حُليل بن حُبشيّة أوصى قُصيّاً بذلك وقال: أنت أحقّ بولاية البيت من خُزاعة. فجمع قومه وأرسل إلى أخيه يستنصره، فحضر في قُضاعة في الموسم، وخرجوا إلى عرفات، وفرغوا من الحجّ، ونزلوا منىً، وقُصيّ مجمعٌ على حربهم، وإنّما ينتظر فراغ الناس من حجّهم.

فلمّا نزلوا منىً ولم يبقَ إلاّ الصَّدَر، وكانت صوفة[2] تدفع بالناس من عَرَفات، وتُجيزهم إذا تفرّقوا من منىً، إذا كان يوم النفر أتوا لرمي الجمار، ورجل من صوفة يرمي للناس، لا يرمون حتى يرمي، فإذا فرغوا من منىً أخذت[3] صوفة بناحيتَي العقبة وحبسوا الناس، فقالوا: «أجيزي صوفة»، فإذا نفرت صوفة ومضت خُلّيَ سبيل[4] الناس، فانطلقوا بعدهم. فلمّا كان ذلك العام فعلت صوفة كما كانت تفعل، قد عرفت لها العرب ذلك، فهو دين في أنفسهم، فأتاهم قُصيّ ومَنْ معه من قومه ومن قُضاعة، فمنعهم وقال: نحن أولى بهذا منكم. فقاتلوه وقاتلهم قتالاً شديداً، فانهزمت صوفة، وغلبهم قُصيّ على ما كان بأيديهم، وانحازت عند ذلك خُزاعة وبنو بكر، وعرفوا أنّه سيمنعهم كما منع صوفة. فلمّا انحازوا عنه بادأهم[5] فقاتلهم، فكثُر القتل في الفريقَين، وأجلى خُزاعة عن البيت، وجمع قصيٌّ قومَه إلى مكّة من الشِعاب والأودية والجبال، فسمّي مجمِّعاً، ونزَّل بني بَغيض بن عامر بن لؤيّ، وبني تَيْم الأدرم بن غالب بن فِهر، وبني محارب بن فِهر، وبني الحارث بن فِهر، إلاّ بني هلال بن أهيب رهط أبي عُبيدة بن الجرّاح، وإلاّ رهط عِياض ابن غَنْم، بظواهر مكّة، فسُمّوا قريشَ الظواهر، وتُسمّى سائر بطون [قريش] قريش البِطاح؛ وكانت قريش الظواهر تغير وتغزو، وتُسمّى قريش البِطاح الضبَّ للزومها الحرم[6].

---

(١) في طبعة صادر ١/٢٠ «بعمرو»، وما أثبتناه عن الطبري ٢/٢٥٨، والطبقات الكبرى ١/٦٩، وسيرة ابن هشام ١/١٤٣.

(٢) جاء في حاشية النسخة (ب): «وصوفة أيضاً أبو حي من مضر وهو الغوث بن مر بن أد بن طابخة كانوا يخدمون الكعبة ويجيزون الحاج في الجاهلية أي يفيضون بهم من عرفات وكان أحدهم يقوم ويقول:
أجيزي صوفة»

(٣) في الطبعة الأوربية «أحدث».

(٤) في النسخة (ب): دخلوا.

(٥) في النسخة (ب): «ناديهم».

(٦) الخبر في الطبقات الكبرى ١/٦٦ - ٧١، وسيرة ابن هشام ١/١٤٢ - ١٤٤، وتاريخ الطبري ٢/٢٥٤ -=

فلمّا ترك قصيّ قريشاً بمكّة وما حولها ملّكـوه عليهم. فكان أوّل ولـد كعب بن لُؤيّ أصاب ملكاً أطاعه به قومُه، وكان إليه الحِجابـة والسِّقايـة والرِّفـادة والندوة واللواء، فحـاز شرفَ قريش كلّه، وقسّم مكّة أرباعاً بين قومه، فبنوا المساكن واستأذنوه في قطع الشجـر، فمنعهم، فبنوا والشجر في منازلهم، ثمّ إنّهم قطعوه بعد موته.

وتيمّنت قريش بأمره، فما تنكح امرأة ولا رجـل إلاّ في داره، ولا يتشاورون في أمـرٍ ينـزل بهم إلاّ في داره، ولا يعقدون لـواء للحـرب إلاّ في داره، يعقـده بعضُ ولـده، ومـا تُدرَّع جارية إذا بلغت أن تُدرَّع إلاّ في داره، وكان أمره في قومه كالدِّين المتّبـع في حياتـه وبعد موته. فاتّخذ دار الندوة وبابها في المسجد، وفيها كانت قريش تقضي أمورها[1].

فلمّا كبِر قُصيّ ورقّ، وكـان ولده عبـد الدار أكبـر ولده، وكـان ضعيفاً، وكـان عبد مَناف قد ساد في حياة أبيـه وكذلـك إخوتـه، قال قُصيّ لعبـد الدار: والله لأُلحِقنّـك بهم! فـأعطاه دار النـدوة والحِجابـة، وهي حِجـابـة الكعبـة، واللواءَ، وهـو كـان يعقـد لقـريش ألويتهم، والسقايةَ، كان يسقي الحاجّ، والرِّفادةَ، وهي خرْج تُخْرجه قريش في كلّ مـوسم من أموالها إلى قُصيّ بن كلاب، فيصنع منه طعامـاً للحاجّ يـأكله الفقراء. وكـان قُصيّ قد قـال لقومـه: إنّكم جيـران الله وأهـل بيتـه، وإنّ الحـاجّ ضيف الله وزُوّار بيتـه، وهم أحقّ الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعـاماً وشـراباً أيّـام الحجّ. ففعلوا، فكـانوا يُخْـرجون من أموالهم، فيُصنع به الطعام أيّام مِنىً، فجـرى الأمر على ذلـك في الجاهليّـة والإسلام إلى الآن، فهو الطعام الذي يصنعه الخلفاء كلّ عام بمنىً[2].

فأمّا الحجـابة فهي في ولـده إلى الآن، وهم بنو شيبـة بن عثمان بن أبي طلحـة بن عبد العُزىّ بن عثمان بن عبد الدار.

وأما اللواء فلم يزل في ولده إلى أن جاء الإسلام فقال بنو عبد الدار: يا رسـول الله اجعل اللواء فينا فقال: الإسلام أوسع من ذلك فبطل.

وأمّـا الـرِّفـادة والسقـايـة فـإنّ بني عبـد مَنـاف بن قصيّ: عبـد شمس، وهـاشم، والمـطّلب، ونوفـل، أجمعوا أن يـأخذوهـا من بني عبـد الـدار لشـرفهم عليهم وفضلهم، فتفرقت عند ذلك قريش، فكانت طائفة مع بني عبد مَناف، وطائفة مـع بني عبد الـدار لا

= ٢٥٨، وشفاء الغرام ٢/١٠٦ ـ ١١٢.

(١) سيرة ابن هشام ١/١٤٣، ١٤٤، الطبري ٢/٢٥٨، ٢٥٩، ابن سعد ١/٧٠، شفاء الغرام ٢/١١٣.

(٢) الطبري ٢/٢٥٩، ٢٦٠، ابن سعد ١/٧٢، ٧٣، ابن هشام ١/١٤٨، شفاء الغرام ٢/١٢١.

يرون تغيير ما فعله قُصيّ، وكان صاحب أمر بني عبد الدار عامر بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدار[1].

فكان بنو أسد[2] بن عبد العُزى، وبنو زُهْرة بن كلاب، وبنو تَيم بن مُرّة، وبنو الحارث بن فِهر، مع بني عبد مَناف، وكان بنو مخزوم، وبنو سَهم، وبنو جُمَح، وبنو عَديّ، مع بني عبد الدار، فتحالف كلّ قوم حلفاً مؤكّداً، وأخرج بنو عبد مَناف جفنة مملوءة طيباً، فوضعوها عند الكعبة، وتحالفوا وجعلوا أيديهم في الطّيب، فسُمّوا المطيّبين.

وتعاقد بنو عبد الدّار ومَنْ معهم وتحالفوا، فسُمّوا الأحلاف[3].

وتعبّوا للقتال، ثمّ تداعوا إلى الصلح على أن يعطوا بني عبد مَناف السِّقاية والرِّفادة، فرضوا بذلك، وتحاجز الناس عن الحرب، واقترعوا عليها، فصارت لهاشم بن عبد مَناف، ثمّ بعده للمطّلب بن عبد مَناف، ثمّ لأبي طالب بن عبد المطّلب، ولم يكن له مال، فادَّان من أخيه العبّاس بن عبد المطّلب بن عبد مَناف مالاً فأنفقه، ثمّ عجز عن الأداء، فأعطى العبّاس السقايةَ والرفادةَ عوضاً عن دَيْنه، فوليها، ثمّ ابنه عبد الله، ثمّ عليّ ابن عبد الله، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ داود بن عليّ بن سليمان بن عليّ، ثمّ وليها المنصور وصار يليها الخلفاء.

وأمّا دار الندوة فلم تزل لعبد الدار، ثمّ لولده حتى باعها عِكرمةُ بن عامر بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار من معاوية فجعلها دار الإمارة بمكّة، وهي الآن في الحرم معروفة مشهورة[4].

ثمّ هلك قُصيّ فأقام أمره في قومه من بعده ولده، وكان قُصيّ لا يُخالف سيرته وأمره[5]. ولما مات دُفن بالحَجون[6]، فكانوا يزورون قبره ويعظّمونه. وحفر بمكّة بئراً سمّاها العَجول[7]، وهي أوّل بئر حفرتها قريش بمكّة.

* * *

(١) سيرة ابن هشام ١/١٤٩، شفاء الغرام ٢/١٢٢.
(٢) في الأصل «عبد الأسد».
(٣) سيرة ابن هشام ١/١٥٠، شفاء الغرام ٢/١٢٢، ١٢٣.
(٤) أنظر: شفاء الغرام ٢/١٣١.
(٥) الطبري ٢/٢٦٠.
(٦) الطبقات الكبرى ١/٧٣. والحَجُون: جبل بأعلى مكة. (معجم البلدان ٢/٢٢٥).
(٧) بئر العجول: كان موضعها في دار أم هانىء بنت أبي طالب بالحزورة وهي البئر التي دفع هاشم بن عبد مناف أخا بني ظويلم بن عمرو النصري فيها فمات. (أخبار مكة ٢/٢١٥).

(سَيَل: بفتح السين المهملة، والياء المثناة التحتيّة. وحَرام: بفتح الحاء والراء المهملتَين: ورِزاح: بكسر الراء، وفتح الزاي، وبعد الألف حاء مهملة. وحُبّى: بضمّ الحاء المهملة، وتشديد الباء الموحّدة. ومِلْكان: بكسر الميم، وسكون اللام. وأمَّا مَلَكان بن حزم بن ريّان، ومَلَكان بن عباد بن عياض، فهما بفتح الميم واللام).

ابن كِلاب[1]

ويكنّى أبا زُهرة، وأمّ كلاب هند بنت سُرَيْر[2] بن ثعلبة بن الحارث بن فِهر بن مالك، وله أخوان لأبيه من غير أمّه، وهما تَيْم، ويَقَظة، أمّهما أسماء بنت جارية[3] البارقيّة.

وقيل: يَقَظة لهند بنت سُرَيْر، أمّ كلاب.

(يقظة بالياء تحتها نقطتان، وبفتح القاف والظاء المعجمة)[4].

ابن مُرّة[5]

ويكنّى أبا يَقظَة، وأمّ مُرّة: مخشيّة[6] ابنة شيبان بن محارب بن فهر، وأخواه لأبيه وأمّه: هُصَيْص، وعَديّ.

وقيل: أمّ عديّ رقاش بنت رُكْبة بن نائلة[7] بن كعب بن حرب بن تميم[8]، بن سعد ابن فهم بن عمرو بن قيس بن[9] عَيْلان.

(هُصَيْص: بضمّ الهاء، وفتح الصاد المهملة بعدها ياء تحتها نقطتان، وصاد ثانية).

---

(١) سيرة ابن هشام ١/١٢٢، أنساب الأشراف ١/٤٧، نسب قريش ١٣، المعارف ٧٠، تاريخ الطبري ٢/٢٦٠، البدء والتاريخ ٤/١٠٩، نهاية الأرب ١٦/١٩، الروض الأنف ٦/٨.

(٢) في النسخة (ت): «سرين»، وفي النسخة (ب): «مرّة».

(٣) في النسخة (ب): «حارثة». وفي تاريخ الطبري: «أسماء بنت عديّ بن حارثة...» أو «هند بنت حارثة البارقية».

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من النسختين (ت) و (ب).

(٥) نسب قريش ١٣، سيرة ابن هشام ١/١٢٢، أنساب الأشراف ١/٤٧، جمهرة أنساب العرب ١٣، تاريخ الطبري ٢/٢٦١، نهاية الأرب ١٦/١٩.

(٦) في طبعة صادر ١/٢٤ «محشية» بالحاء المهملة. وما أثبتناه عن مصادر الترجمة، وفيها: مخشية، ووحْشيّة.

(٧) هكذا في تاريخ الطبري. وفي أنساب الأشراف ١/٤٧ «بَلْبَلَة».

(٨) في تاريخ الطبري ٢/٢٦١، وأنساب الأشراف «تيم».

(٩) «بن» ساقطة من طبعة صادر. والاستدراك من الطبري والبلاذري.

ابن كعب[1]

ويكنّى أبا هُصَيص، وأمّ كعب معاويّة[2] ابنة كعب بن القَيْن بن جَسْر القُضاعيّة، وله أَخَوان لأبيه وأمّه، أحدهما عامر، والآخر سامة، ولهم من أبيهم أخ كان يقال له عَوْف، أمّه الباردة ابنة عوف بن غَنْم بن عبد الله بن غَطَفان، وانتمى ولده إلى غَطَفان، وكان خرج مع أمّه الباردة إلى غَطَفان، فتزوّجها سعد بن ذبيان، فتبنّاه سعد.

ولكعب أيضاً أَخَوان من غير أمّه، أحدهما خُزَيْمة، وهو[3] عائذة قريش، وعائذة أمّه، وهي ابنة الخِمْس[4] بن قُحافة من خَثْعم، والآخر سعد، ويقال له بُنانة، وبُنانة أمّه[5]، فأهل البادية منهم في بني أسعد[6] بن هَمّام في بني شيبان بن ثعلبة، والحاضرة ينتمون إلى قريش[7].

وكان كعب عظيم القدر عند العرب، فلهذا أرّخوا لموته إلى عام الفيل، ثمّ أرّخوا بالفيل، وكان يخطب الناس أيّام الحجّ، وخطبته مشهورة يخبر فيها بالنبيّ، ﷺ[8].

(جَسْر: بفتح الجيم، وسكون السين المهملة، وآخره راء).

ابن لُؤَيّ[9]

ويُكنّى أبا كعب، وأمّ لُؤَيّ عاتكة ابنة يَخْلدُ بن النَّضْر بن كنانة، وهي أولى العواتك

---

(١) أنساب البلاذري ١/٤١، نسب قريش ١٣، المعارف ٦٩، تاريخ الطبري ٢/٢٦١، نهاية الأرب ١٦/١٨، الروض الأنف ١/٨.

(٢) في النسخة (ب): «مارية».

(٣) في الطبعة الأوربية «وهم»، وكذا في أنساب الأشراف ١/٤١ رقم ٨٦.

(٤) في طبعة صادر ١/٢٤ «الحمس» بالحاء المهملة. وما أثبتناه من الطبري ٢/٢٦١ وأنساب الأشراف ١/٤٤ رقم ٩١، وجمهرة أنساب العرب ١٧٤، وكذلك من النسخة (ب).

(٥) في تاريخ الطبري ٢/٢٦١، وأنساب الأشراف ١/٤٤ رقم ٩٣: «يقال لهم بُنانة، وبُنانة أمّهم».

(٦) في طبعة صادر ١/٢٥ «سعد»، والتصويب من تاريخ الطبري ٢/٢٦١، وجمهرة أنساب العرب ٤٧٠.

(٧) الطبري ٢/٢٦١.

(٨) الخطبة في أنساب الأشراف ١/٤١ رقم ٨٧: «أيها الناس، افهموا واسمعوا، وتعلموا أنه ليلٌ ساج، ونهار صاح، وإنّ السماء بناء، والأرض مهاد، والنجوم أعلام لم تُخلق عبثاً، فتضربوا عن أمرها صفحاً، الآخرون كالأوّلين. والدار أمامكم، واليقين غير ظنّكم. صِلُوا أرحامكم، واحفظوا أصهاركم، وأوفوا بعهدكم، وثمّروا أموالكم، فإنّها قِوام مروّاتكم، ولا تصونوها عمّا يجب عليكم. وأعظِموا هذا الحَرَم وتمسّكوا به فسيكون له نبأ. ويُبعث منه خاتم الأنبياء. بذلك جاء موسى وعيسى».

(٩) أنساب الأشراف ١/٤٠، البدء والتاريخ ٤/١٠٩، تاريخ الطبري ٢/٢٦٢، نسب قريش ١٣، المعارف ١٨، جمهرة أنساب العرب ١١، نهاية الأرب ١٦/١٨، الروض الأنف ١/٩.

اللواتي ولدْن رسول الله، ﷺ، من قريش[1].

وله أَخَوان، أحدهما: تَيْم الأدرم، والدَّرَم نقصان في الذقن، قيل: إنّه كان ناقص اللَّحي؛ والآخر قيس، ولم يبقَ منهم أحد، وآخر مَنْ مات منهم في زمن خالد بن عبد الله القَسْريّ[2]، فبقي ميراثه لا يُدرى مَن يستحقّه[3].

وقيل: إنّ أُمّهم سلْمَى بنت عمرو بن ربيعة، وهو لُحَيّ[4] بن حارثة الخُزاعيّ.

(يَخْلُد: بفتح الياء تحتها نقطتان، وسكون الخاء المعجمة، وبعد اللام دال مهملة).

ابن غالب[5]

ويكنّى أبا تَيْم[6]، وأمّ غالب ليلى ابنة الحارث بن تميم[7] بن سعد بن هُذَيْل، وإخوته من أبيه وأمّه: الحارث، ومُحارب، وأسد، وعوف، وجَوْن، وذئب[8]، وكانت محارب والحارث من قريش الظواهر، فدخلت الحارث الأبطح[9].

ابن فِهْر[10]

ويكنّى أبا غالب، وفِهْر هو جُمَّاع قريش، في قول هشام، وأمّه جَنْدَلة بنت عامر بن الحارث بن مُضاض[11] الجرهميّ، وقيل غير ذلك.

وكان فِهْر رئيس الناس بمكّة، وكان حسّان فيما قيل أقبل من اليمن مع حِمْير

---

(١) أنساب الأشراف ١/٤٠ رقم ٨٢، الطبري ٢/٢٦٢.

(٢) في الأصل «القشيري».

(٣) الطبري ٢/٢٦٢.

(٤) في طبعة صادر ١/٢٥ «يحيى»، والتصويب من تاريخ الطبري، وأنساب الأشراف ٨، ونهاية الأرب ١٦/١٨.

(٥) أنساب الأشراف ١/٣٩، نسب قريش ١٢، المعارف ٦٨، جمهرة أنساب العرب ١٢، تاريخ الطبري ٢/٢٦٢، نهاية الأرب ١٦٠/١٧.

(٦) في النسخة (ت): «شيم».

(٧) في طبعة صادر ١/٢٦ «تيم»، وما أثبتناه عن الطبري، والبلاذري، والنويري. وكذلك عن النسختين (ب) و (ت).

(٨) ساقطة من النسخة (ب)، وفي الأصل «زينب».

(٩) الطبري، البلاذري.

(١٠) أنساب الأشراف ١/٣٩، تاريخ الطبري ٢/٢٦٢، نسب قريش ١٢، ، نهاية الأرب ١٦/١٥، الروض الأنف ١/٩.

(١١) هكذا في تاريخ الطبري. وفي أنساب الأشراف «عُضاض».

وغيرهم، يريد أن ينقل أحجار الكعبة إلى اليمن، فنزل بنخلة، فاجتمع قريش، وكِنانة، وخُزيمة، وأسد، وجُذام، وغيرهم، ورئيسهم فِهْر بن مالك، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وأسر حسّان وانهزمت حِمْير، وبقي حسّان بمكّة ثلاث سنين، وافتدى نفسه وخرج، فمات بين مكّة واليمن[1].

ابن مالك[2]

وكنيته أبو الحارث، وأمّه عاتكة بنت عَدْوان، وهو الحارث بن قيس عَيْلان، ولقبها[3] عِكْرِشة.

وقيل غير ذلك.

وقيل: إنّ النضر بن كِنانة كان اسمه قريشاً[4].

وقيل: لما جمعهم قُصَيّ قيل لهم قريش، والتقرّش التجمّع.

وقيل: لما مَلَك قُصَيّ الحرم وفعل أفعالاً جميلة قيل له القُرشيّ، وهو أوّل مَن سُمّي به، وهو من الاجتماع أيضاً، أي لاجتماع خِصال الخير فيه.

وقد قيل في تسمية قريش قريشاً أقوال كثيرة، لا حاجة إلى ذكرها[5].

وقُصيّ أوّل من أحدث وقود النار بالمُزْدَلِفة، وكانت توقد على عهد رسول الله، ﷺ، ومن بعده[6].

ابن النّضْر[7]

ويكنّى أبا يَخْلُد، كُنّي بابنه يَخْلُد، واسم النَّضْر قيس، وإنّما قيل له النَّضْر لجماله،

---

(١) الطبري ٢/٢٦٢، ٢٦٣.

(٢) نسب قريش ١١، أنساب الأشراف ١/٣٨، جمهرة أنساب العرب ١١، المعارف ٦٧ و ٦٨، تاريخ الطبري ٢/٢٦٣، نهاية الأرب ١٥/٩٦، البدء والتاريخ ٤/١٠٨.

(٣) في الطبعة الأوربية «ولقبه».

(٤) الطبقات الكبرى ١/٧٢.

(٥) أنظر في ذلك: الزاهر لابن الأنباري ٢/١٢١، وسيرة ابن هشام ١/١١١، ونسب قريش ١٢، وجمهرة أنساب العرب ١١، ولسان العرب (مادة: قرش)، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، للقلقشندي ـ تحقيق إبراهيم الإبياري ـ ص ١٣٧ طبعة القاهرة ١٩٦٣، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٣٩٨، شفاء الغرام (بتحقيقنا) ٢/١٠٤، الطبقات الكبرى ١/٧١.

(٦) الطبقات الكبرى ١/٧٢ من طريق الواقدي.

(٧) نسب قريش ١٠، المعارف ٦٧، أنساب الأشراف ١/٣٧، جمهرة أنساب العرب ١١، تاريخ الطبري =

وأمّه بَرّة ابنة مُرّ بن أُدّ بن طابخة أخت تميم بن مُرّ، وإخوته لأبيه وأمّه: نُضَيْر[1]، ومالك، ومِلْكان، وعامر، والحارث، وعمرو[2]، وسعد، وعوف، وغَنْم، ومَخْزَمة[3] وجَرْوَل، وغزْوان، وجدال[4]، وأخوهم لأبيهم عبد مَناة، وأمّه فُكَيهة، وهي الذَّفْراء، ابنة هَنيّ بن بَليّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة، وأخو عبد مَناة لأمّه: عليّ بن مسعود بن مازن الغسّانيّ، وكان قد حضن أولاد أخيه عبد مَناة فنُسبوا إليه، فقيل لبني عبد مَناة بنو عليّ، وإيّاهم عني الشاعر بقوله:

لله درُّ بني عَلِيٍّ أيّمٍ[5] منهم وناكِحْ[6]

وقيل: تزوّج امرأة عبد مَناة، فولدت له، وحضن بني عبد مناة فغلب على نسبهم، ثمّ وثب مالك بن كِنانة على عليّ بن مسعود فقتله، فَوَداه[7] أسد بن خُزَيْمة[8].

ابن كِنانة[9]

ويكنّى أبا النّضْر، وأمّ كنانة عَوانة بنت سعد بن قيس [بن][10] عَيْلان.

وقيل: هند ابنة عمرو بن قيس. وإخوته لأبيه أسد وأسدة.

ويقال: إنّه أبو جُذام والهُون، وأمّهم بَرّة بنت مُرّ، وهي أمّ النّضْر، خلَف عليها بعد أبيه.

= ٢/٢٦٥، البدء والتاريخ ٤/١٠٨، نهاية الأرب ١٦/١٣، شرح السيرة للخشني ١/٣ طبعة الهند ١٣٢٩.

(١) في طبعة صادر ١/٢٧ «نُصير» بالصاد المهملة. والتصويب من النسختين (ب) و (ت)، ومن الطبري ٢/٢٦٥، والبلاذري ١/٣٧.

(٢) في النسخة (ب): «عمير».

(٣) في الطبري «مخرمة» بالراء، وكذلك في أنساب الأشراف.

(٤) في الطبري «حُدال» بالحاء المهملة، وفي البلاذري «جذال».

(٥) في النسخة (ت): «إثم».

(٦) الشاعر هو: أميّة بن أبي الصَّلْت. أنظر: نسب قريش ١٠، أنساب الأشراف ١/٣٨، ولم ينسبه الطبري، والبيت ليس في ديوان أميّة المطبوع.

(٧) في طبعة صادر ١/٢٧ «فواراه». وما أثبتناه من الطبري، والبلاذري.

(٨) أنساب الأشراف ١/٣٨ رقم ٧٤، الطبري ٢/٢٦٦.

(٩) أنساب الأشراف ١/٣٥، نسب قريش ٨، المعارف ٦٥، جمهرة أنساب العرب ١١، تاريخ الطبري ٢/٢٦٦، نهاية الأرب ١٦/١٣، البدء والتاريخ ٤/١٠٨، الخبر عن البشر ٣/٣٣ (قسم أول) - المقريزي - مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٩٤٧ تاريخ.

(١٠) إضافة من الأصل، والمصادر.

ابن خُزَيْمة[1]

ويكنّى أبا أسد، وأمّه سلمى ابنة أسلُم[2] بن الحاف بن قُضاعـة، وأخوه لأمّـه تغلب ابن حُلْوان بن عِمْران بن الحاف، وأخو خزيمة لأبيه وأمّه هُذَيْل.

وقيل: أمّهما سَلْمى بنت أسد بن ربيعة وخـزيمة هـو الذي نصب هُبـل على الكعبة فكان يقال: هبل خزيمة (أسلم) بضم اللام.

ابن مُدْرِكة[3]

واسمه عمرو، ويكنّى أبا هُذيل.

وقيل: أبا خُزَيمة، وأمّه خِنْدِف، وهي ليلى ابنة حُلْوان بن عِمْران، وأمّها ضَرِيّة ابنة ربيعة بن نِزار، وبها سمّي حِمَى ضَرِيّة.

وإخوة مُدْرِكة لأبيه وأمّه: عامـر، وهو طـابخة، وعُمَيـر، وهو قَمَعَـة، يقال: إنّـه أبو خُزاعة.

قال هشام: خرج إلياس[4] في نجعة له، فنفـرت إبله من أرنب، فخرج إليهـا عمرو فأدركها، فسُمّي «مدركة» وأخذها عامر فطبخها فسمّي «طابخة»، وانقمع عُمَير في الخبـاء فسُمّي «قَمَعَـة»، وخرجت أمّهم ليلى تمشي فقـال لهـا إليـاس[4]: أين تخنـدِفين؟ فسُمّيت «خِندِف»[5].

والخندفة: ضرب من المشي.

---

(١) أنساب الأشراف ١/٣٥، نسب قريش ٨، جمهرة أنساب العرب ١١، البدء والتاريخ ٤/١٠٨، نهاية الأرب ١٦/١٢، تاريخ الطبري ٢/٢٦٦، الروض ١/٩.

(٢) هكذا في أنساب الأشراف، ونهاية الأرب. وفي الطبري «سليم».

(٣) أنساب الأشراف ١/٣٥، نسب قـريش ٧، جمهـرة أنسـاب العـرب ١٠، المعـارف ٦٤، تـاريخ الـطبـري ٢/٢٦٦، نهاية الأرب ١٦/١٢، الخبر عن البشر ٣/٢٧ (القسم الأول)، تاريخ دمشق (السيرة النبوية) ـ ص ٣٩ ـ تحقيق سكينة الشهابي ـ دمشق ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤، البدء والتاريخ ٤/١٠٧، الروض الأنف ١/٩.

(٤) في الطبعة الأوربية «الناس».

(٥) الخبر في أنساب الأشراف ١/٣٣ رقم ٦١، تاريخ الطبري ٢/٢٦٧.

ابن إلياس[1]

وكان يكنّى أبا عمرو، وأمّه الرباب ابنة حَيْدَة[2] بن مَعَدّ، وأخوه لأبيه وأمّه الناس، بالنّون، وهو عَيْلان[3]، وسُمّي عَيْلان لفَرَسٍ له كان يُدْعى عَيْلان.

وقيل: لأنّه وُلد في أصل جبل يسمّى عَيْلان، وقيل غير ذلك[4].

ولما تُوفّي حزنت عليه خِندِف حزناً شديداً، فلم تقم حيث مات، ولم يُظِلّها سقفٌ حتى هلكت، فضُرب بها المثل. وتُوفّي يوم الخميس، فكانت تبكي كلّ خميس من غدوة إلى الليل[5].

ابن مُضَر[6]

وأمّه سَوْدَة بنت عَكّ، وأخوه لأبيه وأمّه إياد، ولهما أَخَوان من أبيهما: ربيعة، وأنمار، أمّهما جدالة[7] ابنة وعْلان من جُرْهُم.

وذُكر أن نِزار بنِ مَعَدّ لما حَضَرَتْهُ الوفاةُ أوصى بنيه وقسّم ماله بينهم فقال: يا بَنيّ هذه القُبة، وهي من أدم حمراء، وما أشبهها من مالي لِمُضَر، فسُمّي مُضَر الحمراء، وهذا الخباء الأسود وما أشبهه من مالي لربيعة، وهذه الخادم وما أشبهها من مالي لإياد، وكانت شَمْطاء، فأخذ البُلْق والنَّقَد من غنمه، وهذه البَدْرة[8] والمجلس لأنمار يجلس عليه، فأخذ أنمار ما أصابه، فإن أشكل في ذلك عليكم شيء واختلفتم في القسمة فعليكم بالأفعى الجُرْهُميّ.

فاختلفوا فتوجّهوا إلى الأفعى الجُرْهُميّ، فبينما هم يسيرون في مسيرهم إذ رأى مُضر كلأً قد رُعي فقال: إنّ البعير الذي قد رعى هذا الكلأ لأَعْوَر. وقال ربيعة: هو

---

(١) أنساب الأشراف ١/٣١، تاريخ الطبري ٢/٢٦٨، المعارف ٦٤، جمهرة أنساب العرب ١٠، نسب قريش ٧، نهاية الأرب ١٦/١١، البدء والتاريخ ٤/١٠٧، الروض ١/٩.

(٢) في طبعة صادر ١/٢٩ «جندة»، وفي نسخة «خندة». وما أثبتناه عن الطبري ٢/٢٦٨، وأنساب الأشراف ١/٣١ رقم ٥٨.

(٣) في الأصل «غيلان»..

(٤) الطبري ٢/٢٦٨.

(٥) الخبر في أنساب الأشراف ١/٣٢.

(٦) أنساب الأشراف ١/٢٩، نسب قريش ٦، جمهرة أنساب العرب ١٠، البدء والتاريخ ٤/١٠٧، المعارف ٦٤، تاريخ الطبري ٢/٢٦٨، نهاية الأرب ١٦/٩، الروض الأنف ١/١٠.

(٧) هكذا في تاريخ الطبري. وفي نسب قريش ٦ «حُدالة» بالحاء المهملة.

(٨) في الطبعة الأوربية: «البردة». (والبدرة من المال: كمية عظيمة منه).

أزور. وقال إياد: هو أبتر. وقال أنمار: هو شَرود. فلم يسيروا إلّا قليلاً حتى لقيهم رجلٌ تُوضِع به راحلته، فسألهم عن البعير، فقال مُضَر: هو أعور؟ قال: نعم. قال ربيعة: هو أزور؟ قال: نعم. وقال إياد: هو أبتر؟ قال: نعم. وقال أنمار: هو شرود؟ قال: نعم، هذه صفة بعيري، دلّوني عليه، فحلفوا له ما رأوه، فلزِمَهم، وقال: كيف أصدّقكم وهذه صفة بعيري!.

فساروا جميعاً حتى قدِموا نَجْران، فنزلوا على الأفعى الجُرْهُميّ، فقصّ عليه صاحب البعير حديثه، فقال لهم الجُرْهُميّ: كيف وصفتموه ولم تروه؟.

قال مُضَر: رأيتُهُ يرعى جانباً ويدع جانباً فعرفتُ أنّه أعور.

وقال ربيعة: رأيتُ إحدى يديه ثابتة، والأخرى فاسدة الأثر، فعرفتُ أنّه أزور.

وقال إياد: عرفتُ أنّه أبتر باجتماع بعْره، ولو كان أذنب[1] لمَصع[2] به.

وقال أنمار: عرفتُ أنّه شَرُود لأنّه يرعى المكان الملتفّ نَبْتُهُ، ثمّ يجوزه إلى مكان أرقّ منه نبْتاً وأخبث.

فقال الجرهميّ: ليسوا بأصحاب بعيرك فاطْلُبْهُ.

ثمّ سألهم مَنْ هم، فأخبروه، فرحّب بهم وقال: أتحتاجون أنتم إليّ وأنتم كما أرى؟ ودعا لهم بطعام فأكلوا وشربوا.

فقال مُضر: لم أَرَ كاليوم خمراً أجود، لولا أنّها نبتت على قبر.

وقال ربيعة: لم أَرَ كاليوم لحماً أطيب، لولا أنّه رُبّيَ بلبن كلبة.

وقال إياد: لم أَرَ كاليوم رجلاً أسرى، لولا أنّه لغير أبيه الذي ينتمي إليه.

وقال أنمار: لم أَرَ كاليوم كلاماً أنفع لحاجتنا[3]. [من كلامنا][4].

وسمع الجُرْهُميّ الكلامَ فعجِب، فأتَى أمَّه وسألها، فأخبرته أنّها كانت تحت ملك لا يولد له، فكرهت أن يذهب المُلك، فأمكنت رجلاً من نفسها، فحملت به، وسأل القهرمان عن الخمر، فقال: من حَبَلةٍ[5]، غرستُها على قبر أبيك، وسأل الراعي عن اللحم

---

(١) في نسخة «أزب».

(٢) المصَع: تحريك الناقة لذنبها، أي حرّكته وضربت به.

(٣) في النسخة (ت): «في حاجتنا»، وفي النسخة (ب): «من حاجتنا».

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من مجمع الأمثال للميداني ١٦/١.

(٥) في النسخة (ب): «شجرة». والحَبَلة: شجرة الكرْم.

فقال: شاة أرضعتُها لبن كلبة.

فقيل لمُضَر: من أين عرفت الخمر؟ فقال: لأنّي أصابني عَطَش شديد. وقيل لربيعة فيما قال، فذكر كلاماً، وأتاهم الجُرْهُميّ وقال: صفوا لِي صفتكم، فقصّوا عليه قصّتهم، فقضى بالقبّة الحمراء والدنانير والإبل، وهي حُمر، لمُضر، وقضى بالخباء الأسود والخيل الدُّهْم لربيعة، وقضى بالخادم، وكانت شمطاء، والماشية البُلْق لإياد، وقضى بالأرض والدراهم لأنمار[1].

ومُضر أوّل مَنْ حدا، وكان سبب ذلك أنّه سقط من بعيره فانكسرت يده، فجعل يقول: يا يداه يا يداه، فأتته الإبل من المرعى، فلمّا صلح وركب حدا، وكان من أحسن الناس صوتاً[2].

وقيل: بل انكسرت يد مولىً له فصاح، فاجتمعت الإبل، فوضع مُضر الحِداء، وزاد الناسُ فيه[3].

وهو أوّل من قال حينئذ: بصبصن إذ[4] حُدين [بالأذناب]، فذهب مثلاً[5].

ورُوي أن النبيّ، ﷺ، قال: «لا تسبّوا مُضَر وربيعة فإنّهما مسلمان»[6].

ابن نزار[7]

وقيل: كان يكنّى أبا إياد.

وقيل: أبا ربيعة، أمّه مُعانة ابنة جَوْشم بن جُلْهُمَة بن عمرو بن جُرْهُم، وإخوته لأبيه وأمّه قَنَص، وقَنَّاصة[8]، وسنام[9]، وجندة[10]، وجُناد[11]، وجنادة، والقحم، وعُبيد

---

(١) الخبر في أنساب الأشراف، ١/٢٩، ٣٠، تاريخ الطبري ٢/٢٦٨ ـ ٢٧٠.
(٢) أنساب الأشراف ١/٣٠.
(٣) أنساب الأشراف ١/٣١.
(٤) في أنساب الأشراف ١/٣٠ «أو».
(٥) الأنساب، من طريق عباس بن هشام، عن أبيه، عن جدّه.
(٦) أنساب الأشراف ١/٣١ من طريق روح بن عبد المؤمن، عن محبوب القرشي، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن. وانظر طبقات ابن سعد ١/٥٨.
(٧) أنساب الأشراف ١/٢٣، المعارف ٦٤، تاريخ الطبري ٢/٢٧٠، نسب قريش ٥، جمهرة أنساب العرب ٩، البدء والتاريخ ٤/١٠٧، نهاية الأرب ١٦/٨، الروض الأنف ١/١٠، الطبقات الكبرى ١/٥٨.
(٨) في النسخة (ب): «فيض وفياضة».
(٩) في طبعة صادر ١/٢٣ «سالم»، والتصحيح من تاريخ الطبري ٢/٢٧٠، وأنساب الأشراف ١/٢٠ رقم ٤٠ ورقم ٣٢ ـ ص ١٥.
(١٠) في الطبري، والأنساب «حَيدة».

الرمّاح[1]، والغرف[2]، والعوف، وشكّ، وقُضاعة، وبه كان يُكنّى مَعَدّ، وعدّة دَرَجوا[3].

ابن مَعَدّ [4]

وأمّه مهدة[5] ابنة اللِّهْم، ويقال اللَّهَم، ويقال اللَّهْم بن جَلْحَب[6] بن جديس، وقيل بن طَسْم[7]، وإخوته من أبيه الدِيث[8].

وقيل: الدِيث[8] [هو] عَكّ.

وعدن بن عدنان، قيل: هو صاحب عدن، وأبين، وإليه تنسب أبين، ودرج نسله ونسل عدن، وأدّ، وأُبَيّ بن عدنان، ودرج[9]، والضحَّاك، والغنيّ.

فلحِق ولد عدنان باليمن عند حرب بُخْتَ نَصّر[10]، وحمل إرميا وبرخيا مَعَدّاً إلى حرّان فأسكناه بها. فلمّا سكنت الحرب ردّاه إلى مكّة، فرأى إخوته قد لحِقوا باليمن.

ابن عَدْنان[11]

ولعدنان أخوان يُدْعى أحدهما نَبْتاً[12]، والآخر عامراً، فنسَب النبيّ، ﷺ، لا يختلف الناسبون فيه إلى مَعَدّ بن عدنان، على ما ذكرت، ويختلفون فيما بعد ذلك اختلافاً عظيماً

---

(١١) في الطبري «حيادة».

---

(١) في طبعة صادر «الرباح»، والتصحيح عن الطبري، وأنساب الأشراف ١/٢١ رقم ٤٣ و ١/١٥ رقم ٣٢، وطبقات ابن سعد ١/٥٨.

(٢) في الطبري ١/٢٧٠ «العُرف» بالعين المهملة، وكذا عند البلاذري ١/١٥، وابن سعد ٥٨٨.

(٣) الطبري، وابن سعد ١/٥٨.

(٤) أنساب الأشراف ١/١٣ رقم ١٩، الروض الأنف ١/١٠، تاريخ الطبري ١/٢٧٠، البدء والتاريخ ٤/١٠٧، جمهرة أنساب العرب ٩، نسب قريش ٥، المعارف ٦٣، نهاية الأرب ١٦/٧، الطبقات الكبرى ١/٥٦.

(٥) في الطبري، وأنساب الأشراف «مَهْدَد».

(٦) في الطبعة الأوربية «حلجب».

(٧) في نسب قريش ٥ «مِنْهاد بنت لُهْم بن جَلِيد بن طسم».

(٨) في طبعة صادر ١/٣٢ «الريث» بالراء، والتصحيح من الطبري، وأنساب الأشراف ١/١٣ رقم ١٩، وجمهرة أنساب العرب ٩ حيث قيّده «بالدال غير منقوطة، والثاء التي عليها ثلاث نقط».

(٩) في نسخة: «وروح».

(١٠) الطبقات الكبرى ١/٥٨ من طريق هشام بن محمد بن السائب، عن أبيه.

(١١) أنساب الأشراف ١/١٢، تاريخ الطبري ٢/٢٧١، نسب قريش ٥، الإنباه، لابن عبد البرّ ٤٨، المعارف ٦٣، الروض الأنف ١/١١، جمهرة أنساب العرب ٩، البدء والتاريخ ٤/١٠٦، نهاية الأرب ١٦/٦.

(١٢) في النسخة (ت): «ثبتا»، وفي نسخة «بيتا».

لا يُحصل منه على غرض، فتارة يجعل بعضهم بين عدنان وبين إسماعيل، عليه السلام، أربعة أباء، ويجعل آخر بينهما أربعين أباً، ويختلفون أيضاً في الأسماء أشدّ من اختلافهم في العدد، فحيث رأيتُ الأمر كذلك لم أعرّج على ذكر شيء منه.

ومنهم مَنْ يروي عن النبيّ، ﷺ، في نَسَبه حديثاً يصله بإسماعيل، ولا يصحّ في ذلك الحديث.

ذكر الفواطم والعواتك[1]

وأمّا الفواطم اللائي ولدن رسولَ الله، ﷺ، فخمس: قُرَشيّة، وقيسيّتان، ويمانيّتان.

أمّا القُرشيّة فأمّ أبيه عبد الله بن عبد المطّلب: فاطمة بنت عمرو بن عايذ بن عِمْران ابن مخزوم المخزوميّة[2].

وأمّا القيسيّتان فأمّ عَمْرو بن عايذ بن فاطمة ابنة عبد الله بن رِزام[3] بن ربيعة بن جَحْوش بن معاوية بن بكر بن هوازن، وأمّها فاطمة بنت الحارث بن بُهْثة[4] بن سليم بن منصور.

وأمّا اليمانيّتان فأمّ قُصَيّ بن كلاب: فاطمة بنت سعد بن سَيَل من[5] أزد شَنوءة، وأُمُّ حُبَى بنت حُلَيْل بن حُبْشِيَّة بن كعب بن سَلول، وهي أُمّ ولد قُصيّ فاطمة بنت نصر بن عوف بن عمرو بن ربيعة بن حارثة الخزاعيّة[6].

وأمّا العواتك فاثنتا عشرة[7]: اثنتان من قريش، وواحدة من بني يَخْلُد بن النّضْر، وثلاث من سُلَيْم، وعدويّتان، وهُذَليّة، وقُضاعيّة، وأسديّة.

فأمّا القرشيّتان فأمّ أمّه آمنة بنت وهب: بَرّة بنت عبد العُزّى بن عثمان بن عبد

---

(١) هذا الموضوع ليس في تاريخ الطبري. أنظر عنه في: الطبقات الكبرى ١/٦١، أنساب الأشراف ١/٥٣٢، المحبّر ٥١، والعواتك: الطاهرات.

(٢) ابن سعد ١/٦٢، المحبّر ٥١، أنساب الأشراف ١/٥٣٢ رقم ١٠٧١، ابن عساكر ٨٩.

(٣) في طبعة صادر ١/٣٣ والتصحيح من المحبّر ٥١، والطبقات الكبرى ١/٦٣، وأنساب الأشراف ١/٥٣٢، وتاريخ دمشق (السيرة) ٨٩.

(٤) في النسخة (ب): «فهتـه» وفي النسخة (ت): «يهثـه»، وفي نسخة «يهثم». والمثبت يتفق مع أنساب الأشراف ١/٥٣٢، والمحبّر ٥٢، وابن سعد ١/٦٢.

(٥) في طبعة صادر ١/٣٤ «بن». والتصحيح من: الطبقات الكبرى ١/٦٣، وأنساب الأشراف ١/٥٣٢، والمحبّر ٥٢.

(٦) المحبّر ٥٢، الطبقات الكبرى ١/٦٣، أنساب الأشراف ١/٥٣٢، ابن عساكر ٩٠.

(٧) كذا بالأصل، وإلّا فهم إحدى عشرة.

الـدار، وأمُّ بَرّة أمُّ حبيب بنت أسـد بن عبد العُـزّى، وأمّ رَيْـطة[1] بنت كعب بن سعـد بن تَيْم، وأمّـه أمَيْمة بنت عـامر الخُـزاعيّة، وأمّهـا عـاتكـة بنت هِـلال بن أُهَيْب بن ضَبّـة بن الحارث بن فِهْر[2]، وأمّ هلال هند بنت هـلال بـن عامـر بن صعصعة، وأمّ أهَيْب بن ضبـة عاتكة بنت غالب بن فِهْر، وأمّها عاتكة بنت يَخْلُد بن النّضْر بن كِنانة[3].

وأمّـا السُّلَميّات فـأمّ هاشم بن عبـد مَناف: عـاتكة بنت مُـرّة بن هلال بن فـالج بـن ذكـوان [بن ثعلبة][4] بن بُهْثـة بن سُلَيْم بن منصور، وأمّ عبـد مَناف عـاتكة بنت هـلال بن فالج، والثالثة أمّ جدّه لأمّه وهب، وهي عاتكة بنت الأوقص بن مُرّة بن هلال.

قلتُ: هكذا ذكر بعض العلماء عواتك سُلَيْم، وجعل أمّ عبد مَناف عاتكة بنت مُرّة، وليس بشيء، فإن أمّ عبد مَناف، حُبّى بنت حُلَيْل الخزاعيّة.

وقال غيره: أمّ هاشم عاتكة بنت مُرّة، وأمّ مُرّة بن هلال عـاتكة بنت جـابر بن قُنْفـذ بن مـالك بن عـوف بن امرئ القيس بن بُهْثـة بن سُلَيْم، وأمّ هلال بن فـالج عـاتكة بنت عُصَيّة بن خُفاف بن امرئ القيس[5].

وأمّا العدويّتـان[6] فمن جهة أبيـه عبد الله، فـإنّ أمّ عبد الله فـاطمة بنت عمـرو، وأمّ فاطمة تَخْمَر بنت عبد قُصَيّ، وأمّهـا هند بنت عبـد الله بن الحارث بن واثلة بن الـظَّرِب، وأمّها زينب بنت مالك بن ناصرة بن كعب الفهميّة.

وأمّا عاتكة بنت عامـر بن الظَّرِب بن عمـرو بن عياذ[7] بن بكـر[8] بن الحارث، وهـو عَـدْوان بن عمرو بن قيس عَيْـلان، وأمّ مـالـك بن النّضْـر عـاتكـة، فهي عِكْـرِشـة، وهي الحَصان بنت عدوان[9].

---

(١) في النسخة (ب): «غيطة».
(٢) في طبعة صادر ١/٣٤ «فَهْم»، والتصحيح من المحبّر ٤٨، وأنساب الأشراف ١/٥٣٣.
(٣) المحبّر ٤٨، أنساب الأشراف ١/٥٣٣، تاريخ دمشق ٩١، ٩٢.
(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من المحبّر ٤٨ وأنساب الأشراف ١/٥٣٣ رقم ١٠٧٣.
(٥) المحبّر ٤٨، أنساب الأشراف ١/٥٣٣، الطبقات الكبرى ١/٦١، ٦٢، تاريخ دمشق (السيرة النبوية ـ القسم الأول) ٩٢.
(٦) في المحبّر ٤٩ «العدوانيتان»، وكذا في تاريخ دمشق ٩٢.
(٧) في طبعة صادر ١/٣٥ «عبّاد». والتصحيح من المحبّر ٥٠، وأنساب الأشراف ١/٥٣٤ وفي الطبقات الكبرى ١/٦٢ «عياذة»، وتاريخ دمشق ٩٠ «عائذ».
(٨) في المحبّر، وأنساب الأشراف «يشكر». وفي الطبقات الكبرى: «. . . عياذة بن عمـرو بن بكر بن يشكـر بن الحارث».
(٩) المحبّر ٥٠، أنساب الأشراف ١/٥٣٣، ٥٣٤، الطبقات الكبرى ١/٦٢، تاريخ دمشق ٩٣.

وأمّا الأزديّة فأمّ النضر بن كِنانة بنت مُرّة بن أُدّ أُخت تميم، وأمّها ماوية من بني ضُبَيْعة بن ربيعة بن نزار، وأمّها عاتكة بنت الأزد بن الغَوْث، وقد ولدته هذه الأزديّة مرّة أخرى من قِبَل غالب بن فِهْر، فإنْ أمّ غالب ليلى بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل، وأمّها سلمى بنت طابخة بن إلياس بن مُضَر، وأمّها عاتكة بنت الأزد هذه[1].

وأمّا الهُذليّة فعاتكة بنت سعد بن سَيَل، هي أمّ عبد الله بن رِزام جدّ عمرو بن عايذ ابن عِمران بن مخزوم لأمّه، وعمرو جدّ رسول الله، ﷺ، أبو أمّه[2].

وأمّا القُضاعيّة فأمّ كعب بن لُؤيّ ماوية بنت القَيْن بن جَسْر بن شَيْع الله بن أسد بن وَبْرة، وأمّها وحشيّة بنت ربيعة بن حَرام بن ضِنّة العُذْريّة، وأمّها عاتكة بنت رشدان بن قيس بن جُهَيْنَة[3].

وأمّا الأسديّة فأمّ كلاب بن مرّة هند بنت سُرَير[4] بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كلاب، وأمّها عاتكة بنت دودان بن أسد بن خُزَيّمة[5].

(وعايِذ بن عِمران: بالياء المثنّاة من تحتها، والذال المعجمة.

وسعد بن سَيَل: بفتح السين المهملة، والياء المثنّاة من تحتها المفتوحة.

وحُيَيّ: بضمّ الحاء المهملة، وبالياء المثنّاة من تحتها، وتشديد الياء الممالة.

رحُلَيْل: بضمّ الحاء المهملة، وبالياء المثنّاة من تحتها.

وجَسْر: بفتح الجيم، وتسكين السين المهملة.

وحارثة: بالحاء المهملة، والثاء المثلّثة.

ووائلة بن الظرب بالياء المثنّاة من تحتها.

وضَبّة بن الحارث: بالضاد المعجَمة المفتوحة، والباء المشدّدة الموحّدة.

وشَيْع الله: بالشين المعجَمة المفتوحة، والياء المثنّاة من تحتها الساكنة.

وحَرام: بفتح الحاء المهمَلَة، والراء المهملة.

وضِنّة العُذْري: بكسر الضاد المعجَمة، والنّون المشدّدة.

وعُصَيّة: بالعين المهمَلَة المضمومة، وفتح الصاد والياء المثنّاة من تحتها).

---

(١) أنساب الأشراف ١/ ٥٣٤ رقم ١٠٨٠، المحبّر ٥١.

(٢) المحبّر ٤٩، تاريخ دمشق ٩٣.

(٣) المحبّر ٥٠، أنساب الأشراف ١/ ٥٣٤ رقم ١٠٧٧، الطبقات الكبرى ١/ ٦٥، تاريخ دمشق ٩٤.

(٤) هكذا في أنساب الأشراف ١/ ٥٣٤، رقم ١٠٧٨ والطبقات الكبرى ١/ ٦٥، وفي المحبّر ٥١: «سريرة».

(٥) تاريخ دمشق (السيرة النبوية) ٩٣.

عدنا إلى ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم

توفّي عبد المطّلب بعد الفيل بثماني سنين[1]، وأوصى أبا طالب برسول الله، ﷺ. فكان أبو طالب هو الذي قام بأمر النبي، ﷺ، بعد جدّه، ثمّ إنّ أبا طالب خرج إلى الشام، فلمّا أراد المسير لزمه رسولُ الله، ﷺ، فرقّ له وأخذه معه، ولرسول الله، ﷺ، تسع سنين. فلمّا نزل الركبُ بُصْرَى من أرض الشام، وبها راهب يُقال له بَحِيرا في صومعة له، وكان ذا علم في النصرانيّة، ولم يزل بتلك الصومعة راهب يصير إليه علمُهم، وبها كتاب يتوارثونه. فلمّا رآهم بَحِيرا صنع لهم طعاماً كثيراً، وذلك لأنّه رأى على رسول الله غمامةً تُظلّه من بين القوم، ثمّ أقبلوا حتى نزلوا في ظلّ شجرة قريباً منه، فنظر إلى الشجرة وقد هصرت أغصانها حتى استظلّ بها، فنزل إليهم من صومعته ودعاهم. فلمّا رأى بَحيرا رسول الله، ﷺ، جعل يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده كان يجدها من صفته.

فلمّا فرغ القوم من الطعام وتفرّقوا، سأل النبيَّ، ﷺ، عن أشياء من حاله في يقظته ونومه، فوجدها بَحيرا موافِقةً لِما عنده من صفته، ثمّ نظر إلى خاتم النبوّة بين كتفَيْه، ثمّ قال بحيرا لعمّه أبي طالب: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني. قال: ما ينبغي أن يكون أبوه حيّاً. قال: فإنّه ابن أخي مات أبوه وأمّه حُبْلَى به. قال: صدقتَ، ارجعْ به إلى بلدك واحذرْ عليه يهود، فوالله لئن رأوه، وعرفوا منه ما عرفتُ ليبغُنّه شرّاً، فإنّه كائن له شأن عظيم[2].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/١٣.

(٢) الخبر في: السير والمغازي لابن إسحاق ٧٣ - ٧٥، سيرة ابن هشام ١/٢٠٤، الطبقات الكبرى ١/١٢٠، ١٢١، أنساب الأشراف ١/٩٦، ٩٧، تاريخ الطبري ٢/٢٧٧، تاريخ دمشق (السيرة النبوية - القسم الأول) ٢، ٣، دلائل النبوّة، للبيهقي ١/٣٧١، المستدرك على الصحيحين للحاكم ٢/٦١٥، نهاية الأرب ١٦/٩٠ - ٩٢، السيرة الحلبية، ١/١١٤، شرح المواهب للزرقاني ١/١/١٩٤، عيون التواريخ ١/٣٢ - ٣٤، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية - بتحقيقنا) ٥٥ - ٦٠، السيرة لابن كثير ١/٢٤٣ - ٢٤٦، عيون الأثر ١/٤١، ٤٢، الخصائص الكبرى للسيوطي ١/٨٤.

فخرج به عمّه حتى أقدمه مكّة.

وقيل: بينما هو يقول لعمّه في إعادته إلى مكّة وتخوّفهم عليه من الروم إذ أقبل سبعة نفر من الروم، فقال لهم بحيرا: ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا[1] أن هذا النبيّ خارج في هذا الشهر، فلم يبقَ طريق إلّا بُعث إليها ناس، وإنّا بُعثنا إلى طريقك. قال: أرأيتم أمراً أراده الله هل يستطيع أحد من الناس ردّه؟ قالوا: لا. وتابعوا بَحيرا وأقاموا عنده.

وقال رسول الله، ﷺ: «ما هممتُ بشيء ممّا كان الجاهليّة يعملونه غير مرّتَين، كلّ ذلك يحول الله بيني وبينه، ثمّ ما هممتُ به حتى أكرمني برسالته؛ قلتُ ليلةً لغلام يرعى معي بأعلى مكّة: لو أبصرتَ لي غنمي حتى أدخل مكّة، وأسمَر بها كما يسمَر الشَّباب. فقال: أفعل. فخرجتُ حتى كنت عند أوّل دار بمكّة سمعتُ عزفاً، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: عرس فلانٍ بفُلانة، فجلستُ أسمع، فضرب الله على أذني فنمتُ، فما أيقظني إلّا حرّ الشمس، فعدتُ إلى صاحبي فسألني فأخبرتُهُ. ثمّ قلتُ له ليلة أخرى مثل ذلك، ودخلتُ مكّة، فأصابني مثل أوّل ليلة، ثمّ ما هممتُ بعده بسوء»[2].

ذكر نكاح النبي، صلى الله عليه وسلم، خديجة[3]

ونكح رسول الله، ﷺ، خديجةً بنت خُوَيْلد، وهو ابن خمس وعشرين سنة، وخديجة يومئذ ابنة أربعين سنة.

وسبب ذلك أنّ خديجة بنت خويلد بن أسد[4] بن عبد العُزّى بن قُصَيّ كانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إيّاه بشيء تجعله لهم منه، وكانت قريش تجاراً، فلمّا بلغها عن رسول الله، ﷺ، صدقُ الحديث، وعِظَمُ الأمانة، وكَرَمُ الأخلاق، أرسلت إليه ليخرج في مالها إلى الشام تاجراً، وتُعطيه أفضلَ ما كانت

---

(١) في طبعة صادر ١/٣٨ «جاءنا»، والمثبت يتفق مع الطبري ١/٢٧٩، والسيرة لابن كثير ١/٢٤٧، والطبعة الأوربية للكامل.

(٢) الحديث في تاريخ الطبري ٢/٢٧٩ عن عليّ بن أبي طالب، وتاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ٧٩، ٨٠، والسيرة النبوية لابن كثير ١/٢٥٢ وقال ابن كثير: هذا حديث غريب جدّاً. والسير والمغازي لابن إسحاق ٧٩، ٨٠.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٠، سيرة ابن هشام ١/٢١٢، تاريخ الطبري ٢/٢٨٠، السير والمغازي ٨١، أنساب الأشراف ١/٩٧، الروض الأنف ١/٢١١، الطبقات الكبرى ١/١٣١، نهاية الأرب ١٦/٩٧، السيرة الحلبية ١/١٣٧، شرح المواهب ١/٢٠١، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) بتحقيقنا ٦٣، السيرة النبوية لابن كثير ١/٢٦٢، البداية والنهاية ٢/٢٩٣، عيون الأثر لابن سيّد الناس ١/٤٧، تاريخ الخميس ١/٢٩٨، سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي ٢/٢٢٢.

(٤) في الطبعة الأوربية «سعد». والمثبت يتفق مع الطبقات الكبرى، والطبري، وابن هشام، وغيره.

تعطي غيره، مع غلامها مَيْسرة. فأجابها وخرج معه مَيْسرة حتى قدِم الشام، فنزل رسول الله، ﷺ، في ظلّ شجرة قريباً من صومعة راهب، فأطلع الراهب رأسه إلى ميسرة فقال: مَنْ هذا؟ قال مَيْسرة: هذا رجل من قريش. فقال الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة إلاّ نبيّ.

ثمّ باع رسول الله، ﷺ، واشترى وعاد، فكان ميسرة إذا كانت الهاجرة يرى مَلَكين يُظلّانه من الشمس وهو على بعيره. فلمّا قدِمَ مكّةَ ربحت خديجة ربحاً كثيراً، وحدّثها ميسرة عن قول الراهب، وما رأى من إظلال المَلَكين إيّاه[1].

وكانت خديجة امرأة حازمة عاقلة شريفة، مع ما أراده الله من كرامتها، فأرسلت إلى رسول الله، ﷺ، فعرضت عليه نفسها، وكانت أوسط نساء قريش نَسَباً، وأكثرهنّ مالاً وشرفاً، وكلّ قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه. فلمّا أرسلت إلى النبيّ، ﷺ، قال لأعمامه، وخرج ومعه حمزة بن عبد المطّلب، وأبو طالب، وغيرهما من عمومته، حتى دخل على خُوَيْلد بن أسد فخطبتها إليه، فتزوّجها، فولدت له أولاده كلّهم، إلاّ إبراهيم: زينب، ورُقَيّة، وأمّ كلثوم، وفاطمة، والقاسم، وبه كان يُكنّى، وعبد الله، والطّاهر، والطيّب.

وقيل: إنّ عبد الله وُلد في الإسلام هو، والطّاهر، والطيّب. فأمّا القاسم، والطاهر، والطيّب، فهلكوا في الجاهليّة، وأمّا بناته فكلّهنّ أدركن الإسلام، فأسلمن وهاجرْن معه[2].

وقيل: إنّ الذي زوّجها عمُّها عمْرُو بنُ أسد، وإنّ أباها مات قبل الفِجار[3].

قال الواقديّ: وهو الصحيح، لأنّ أباها تُوُفّي قبل الفِجارِ[4].

وكان منزل خديجة يومئذ المنزل الذي يُعرف بها اليوم، فيقال: إنّ معاوية اشتراه، وجعله مسجداً يُصلّى فيه[5].

وكان الرسول بين خديجة وبين النبيّ، ﷺ، نفيسة بنت مُنْيَة أخت يَعْلى بن مُنْيَة، وأسلمت يوم الفتح، فبرّها رسول الله، ﷺ، وأكرمها[6].

---

(١) الخبر في الطبقات الكبرى ١/١٣٠، وتاريخ الطبري ٢/٢٨٠، ٢٨١، وابن هشام ١/٢١٣.
(٢) سيرة ابن هشام ١/٢١٦، السير والمغازي لابن إسحاق ٨٢، الطبري ٢/٢٨١.
(٣) في نسخة «التجارة».
(٤) الطبقات الكبرى ١/١٣٣، الطبري ٢/٢٨٢.
(٥) الطبري ٢/٢٨٢.
(٦) الخبر في أنساب الأشراف ١/٩٨.

(مُنْيَة بالنون الساكنة، والياء المثناة من تحتها).

ذكر حلف الفضول[1]

قال ابن إسحاق: وكان نفر من جُرْهم وقَطُوراء يقال لهم: الفُضَيْل[2] بن الحارث الجُرْهميّ، والفُضَيْل[3] بن وَداعة القَطوريّ، والمفضّل[4] بن فَضالة الجرهميّ، اجتمعوا فتحالفوا أن لا يُقرّوا ببطن مكّة ظالماً، وقالوا: لا ينبغي إلّا ذلك لِما عظَّم الله من حقّها، فقال عمرو بن عوف الجُرهُميّ[5].

إنّ الفضولَ تحالَفوا وتَعاقدوا ... ألّا يقرّ[6] ببطن مكّةَ ظالمُ
أمرٌ علَيه تَعاهدوا وتَواثَقوا ... فالجارُ والمعتَرُّ[7] فيهم سالمُ

ثمّ درس ذلك فلم يبقَ إلّا ذكره في قريش.

ثمّ إنّ قبائل قريش تداعت إلى ذلك الحِلْفِ[8]، فتحالفوا في دار عبد الله ابن جُدْعان لشرفه وسنّه[9]، وكانوا: بني هاشم، وبني المطّلب، وبني أسد بن عبد العُزّى، وزُهْرة بن كلاب، وتَيْم بن مُرّة، فتحالفوا وتعاقدوا أن لا يجدوا بمكّة مظلوماً من أهلها أو

---

(١) مروج الذهب ٢/٢٧٦، الطبقات الكبرى ١/١٢٨، تاريخ اليعقوبي ٢/١٧، سيرة ابن هشام ١/١٥٣، نهاية الأرب ١٦/٩٤، السيرة الحلبية ١/١٣١، الأغاني ١٧/٢٨٧، السيرة النبوية لابن كثير ١/٢٥٧، الروض الأنف ١/١٥٥، عيون الأثر ١/٤٦، البداية والنهاية ٢/٢٩١، عيون التواريخ ١/٣٧، سبل الهدى والرشاد ٢/٢٠٨، تاريخ الخميس ١/٢٩٥، شفاء الغرام ٢/١٥٧.

(٢) في النسخة (ب): «الفضل»، وكذا في الأغاني ١٧/٤٧٤ (الفهرس).

(٣) في الروض الأنف ١/١٥٥ «الفضل»، وكذا في الأغاني ١٧/٤٧٤ (الفهرس).

(٤) في الروض «الفضل».

(٥) في الروض ١/١٥٧، وسيرة ابن كثير ١/٢٦٠ والبداية والنهاية ٢/٢٩٢ أن القائل هو «الزبير بن عبد المطّلب».

(٦) في المراجع المذكورة آنفاً «يقيم».

(٧) في الطبعة الأوربية «المعبّر» وهو خطأ. والمعترّ هو المتعرّض للمعروف من غير أن يسأل.

(٨) قال السهيلي في الروض ١/١٥٥: ذكر ابن هشام الحلف الذي عقدته قريش بينها على نُصرة كل مظلوم بمكة قال: ويسمّى حلف الفضول، ولم يذكر سبب هذه التسمية، وذكرها ابن قتيبة، فقال: كان قد سبق قريشاً إلى مثل هذا الحلف جرهم في الزمن الأول، فتحالف منهم ثلاثة هم، ومن تبعهم، أحدهم: الفضل ابن فَضالة، والثاني: الفضل بن وَداعة، والثالث: فَضِيل بن الحارث. هذا قول القُتبي. وقال الزبير: الفُضيل بن شُراعة، والفضل بن وداعة والفضل بن قُضاعة، فلما أشبه حلف قريش الآخر فِعْل هؤلاء الجُرْهميّين سُمّي: حلف الفضول، والفضول: جمع فضْل، وهي أسماء أولئك الذين تقدّم ذكرهم، وهذا الذي قاله ابن قتيبة حَسَن.

(٩) في النسخة (ب): «نسبه».

من غيرهم من سائر الناس إلاّ قاموا معه، وكانوا على ظُلمه، حتى تُردّ عليه مظلِمَتُهُ، فسمّت قريش ذلك الحلف حلفَ الفُضول، وشهده رسول الله، ﷺ، فقال حين أرسله الله تعالى: «لقد شهدت مع عمومتي حِلفاً في دار عبد الله بن جُدْعان ما أُحِبّ أنّ لي به حُمْرَ النَّعم، ولو دُعيتُ به في الإسلام لأجبت»[1].

قال: وقال محمّد بن إبراهيم بن الحارث التيميّ: كان بين الحسين بن عليّ بن أبي طالب وبين الوليد بن عُتْبة بن أبي سفيان منازعة في مال كان بينهما، والوليد يومئذ أمير على المدينة لعمّه معاوية، فتحامل الوليد لسلطانه. فقال له الحسين: أُقسم بالله لتنصفني، أو لآخذنّ سيفي، ثمّ لأقومنّ في مسجد رسول الله، ﷺ، ثمّ لأدعُوَنّ بحلف الفضول. فقال عبد الله بن الزبير، وكان حاضراً: وأنا أحلف بالله لو دعا به لأجبتُهُ حتى يُنصَف من حقّه أو نموت. وبلغ المِسْوَر بن مَخْرمة الزُّهْريّ فقال مثل ذلك، وبلغ عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله التيميّ فقال مثل ذلك. فلمّا بلغ الوليد ذلك أنصف الحسين من نفسه حتى رضي[2].

ذِكْر هدْم قريش الكعبةَ وبنائها[3]

وفي سنة خمسٍ وثلاثين من مولده، ﷺ، هدمت قريش الكعبة.

وكان سبب هدْمهم إيّاها أنّها كانت رضيمة[4] فوق القامة، فأرادوا رفعها وتسقيفها، وذلك أن نفراً من قريش وغيرهم سرقوا كنزها، وفيه غزالان من ذهب، وكانا في بئرٍ في جوف الكعبة.

وكان أمر غزالي الكعبة أنّ الله لما أمر إبراهيم وإسماعيل ببناء الكعبة ففعلا ذلك، وقد تقدّم ذِكْره، وأقام إسماعيل بمكّة وكان يلي البيتَ حياتَهُ، وبعده وليه ابنُهُ نَبت. فلمّا مات نَبت، ولم يكثر ولد إسماعيل، غلبت جُرْهم على ولاية البيت، فكانت أوّل مَن وليه منهم مُضاض، ثمّ ولده من بعده، حتّى بغت جُرهم، واستحلّوا حُرمة البيت، فظلموا مَن

---

(١) سيرة ابن هشام ١/١٥٥، والأغاني ١٧/٢٨٨، سبل الهدى ٢/٢٠٩.

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ١/١٥٥.

(٣) سيرة ابن هشام ١/٢١٨، مروج الذهب ٢/٢٧٨، تاريخ اليعقوبي ٢/١٩، السير والمغازي ١٠٣، الطبقات الكبرى ١/١٤٥، أنساب الأشراف ١/٩٩، أخبار مكة للأزرقي ١/١٥٧، تاريخ الطبري ٢/٢٨٣، نهاية الأرب ١٦/٩٩، شرح المواهب اللدنيّة ١/٢٠٣، الروض الأنف ١/٢٢١، البداية والنهاية، ٢/٢٩٨، سيرة ابن كثير ١/٢٧٠، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ٦٦، عيون الأثر ١/٥١، عيون التواريخ ١/٣٩، سبل الهدى والرشاد ٢/٢٢٨.

(٤) الرَّضْم: أن تُنَضَّد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط. (الروض الأنف ١/٢٢١).

دخل مكّة حتى قيل: أنّ إسافاً[1] ونائلة زَنَيا في البيت، فمُسخا حجَرين.

وكانت خُزاعة قد أقامت بتِهامة، بعد تفرُّق أولاد عمرو بن عامر من اليمن، فأرسل الله على جُرهم الرُّعافَ أفناهم، فاجتمعتْ خُزاعة على إجلاء مَنْ بقي منهم، ورئيس خُزاعة عمرو بن ربيعة بن حارثة، فاقتتلوا. فلمّا أحسّ عامر بن الحارث الجُرْهُميّ بالهزيمة خرج بغزالَي الكعبة والحجر الأسود يلتمس التوبة وهو يقول:

لاهُمَّ إنّ جُرْهُماً عبادُكْ ... النّاسُ طُرْفٌ وهُمُ تِلادُكْ
بهم قديماً عَمِرَتْ بِلادُكْ[2]

فلم تُقْبَلْ توبته، فدفن غزالي الكعبة ببئر زمزم وطمّها، وخرج بمن بقي من جُرهم إلى أرض جُهَيْنة، فجاءهم سيلٌ فذهب بهم أجمعين، وقال عمرو بن الحارث[3]:

كأنْ لم يكنْ بين الحَجون إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكّة سامرُ
بلى نحنُ كُنّا أهلَها فأبادَنا ... صُرُوفُ اللّيالي والجُدودُ العواثرُ[4]

ووليَ البيتَ بعد جُرهم عمرو بن ربيعة.

وقيل: وليه عمرو بن الحارث الغسّاني، ثمّ خُزاعة بعده.

غير أنّه كان في قبائل مُضَر ثلاث خلال[5]:

الإجازة بالحجّ من عَرَفَة، وكان ذلك إلى الغوث بن مُرّ بن أُدّ، وهو صُوفة.

والثانية الإفاضة مِنْ جَمْع إلى مِنًى، وكانت إلى بني زيد بن عَدْوان وآخر من ولي ذلك منهم أبو سيارة عميلة بن الأعزل بن خالد.

والثالثة النَّسيء للشهور الحُرُم، فكان ذلك إلى القَلَمَّس[6]، وهو حُذَيفة بن فُقَيْم[7]

---

(١) في الطبعة الأوربية «أسفاً».

(٢) القول في تاريخ الطبري ٢/٢٨٥، وشفاء الغرام ١/٦٠١ وأنظر: الروض الأنف ١/١٣٩ وشفاء الغرام ١/٥٧٤.

(٣) وقيل لمُضاض بن عمرو بن الحارث.

(٤) راجع البيتين في: أخبار مكة للأزرقي ١/٩٧-٩٨ و ١٢٧ و١٢٨، وتاريخ الطبري ٢/٢٨٥، ومروج الذهب ٢/٥٠، وتاريخ القطبي ٤٧، والأغاني ١٥/١٨ و ١٩، ومعجم البلدان ٢/٢٢٥، والبداية والنهاية ٢/١٨٥ و١٨٦، وعيون التواريخ ١/٤٠، وشفاء الغرام ١/٤٧٢ و ٥٩١ و ٥٩٥ و٥٩٧ و ٦٠٠ و ٦٠٢، و ٦٠٦، والروض الأنف ١/١٣٨ وسيرة ابن هشام ١٢/١٣٣.

(٥) في النسخة (ب): «خصال».

(٦) في النسخة (ب): «الملتمس»، وفي الطبعة الأوربية «المقلّس».

(٧) في النسخة (ب): «وثيم».

ابن كِنانة، ثمّ إلى بنيه من بعده، ثمّ صار ذلك إلى أبي ثمامة، وهو جُنادة بن عوف بن قَلَع بن حُذَيفة؛ وقام الإسلام وقد عادت الأشهر الحُرُم إلى أصلها، فأبطل الله، عزّ وجلّ، النسيء»[1].

ثمّ وليت البيتَ بعد خُزاعة قريشُ، وقد ذكرنا ذلك عند ذكر قُصَيّ بن كِلاب. ثمّ حفر عبد المطّلب، زمزم فأخرج الغزالَين، كما تقدّم.

وكان الذي وُجد الغزالان عنده دُوَيْك، مولى لبني مُلَيْح بن خُزاعة، فقطعت قريش يده.

وكان فيمن اتُّهم في ذلك: عامر بن الحارث بن نوفل، وأبو هارب بن عزيز، وأبو لهب بن عبد المطّلب.

وكان البحر قد ألقى سفينة إلى جُدّة لتاجر روميّ، فتحطّمت، فأخذوا خشبها فأعدّوه لسقفها، فتهيّأ لهم بعض ما يصلحها. وكانت حيّة تخرج من بئر الكعبة التي يُطْرَح فيها ما يُهْدَى لها كلّ يوم، فتُشرف على جدار الكعبة، وكان لا يدنو منها أحد إلّا كشّت وفتحت فاها، فكانوا يهابونها، فبينما هي يوماً على جدار الكعبة اختطفها طائرٌ فذهب بها، فقالت قريش: إنّا لنرجو أن يكون الله، عزَّ وجلَّ، قد رضي ما أردنا[2].

وكان ذلك ورسول الله، ﷺ، ابن خمسٍ وثلاثين سنة، وبعد الفِجارِ بخمس عشرة سنة[3].

فلمّا أرادوا هدْمها قام أبو وهْب بن عمرو بن عائذ بن عِمْران بن مخزوم، فتناول حجراً من الكعبة، فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش لا تُدْخلوا في بنائها إلّا طيّباً، ولا تُدْخِلوا فيه مهر بَغيٍّ، ولا [بيع] رباً[4] ولا مَظْلِمة أحد[5].

وقيل: إنّ الوليد بن المغيرة قال هذا.

ثمّ إنّ الناس هابوا هدْمَها، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدأكم به، فأخذ المِعْوَل فهدم، فتربّص الناس به تلك الليلة وقالوا: ننظر، فإنْ أُصيب لم نهدم منها شيئاً، فأصبح

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ٢/٢٨٥، ٢٨٦.

(٢) سيرة ابن هشام ١/٢٢٤، ٢٢٥، السير والمغازي ١٠٤، تاريخ الطبري ٢/٢٨٧، تاريخ الإسلام (السيرة) ٦٦، ٦٧.

(٣) السير والمغازي ١٠٤، تاريخ الطبري ٢/٢٨٧.

(٤) في الطبعة الأوربية «زناء».

(٥) السير والمغازي ١٠٤، تاريخ الطبري ٢/٢٨٧.

الوليد سالماً، وغدا إلى عمله، فهدم والناس معه، حتّى انتهى الهدم إلى الأساس، ثمّ أفضوا[1] إلى حجارةٍ خُضر آخذ بعضها ببعض، فأدخل رجل من قريش عَتَلَةً بين حجَرين منها، ليقلع به أحدهما. فلمّا تحرّك الحجر انتقضت[2] مكّة بأسرها، ثمّ جمعوا الحجارة لبنائها، ثمّ بنوا حتى بلغ البنيان موضعَ الركن، فأرادت كلّ قبيلة رفْعه إلى موضعه، حتّى تحالفوا وتواعدوا للقتال، فقرّبت بنو عبد الدار جَفْنَةً مملوءة دماً، ثمّ تعاقدوا هم وبنو عديّ على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم، فسُمّوا لَعَقَة الدم بذلك، فمكثوا على ذلك أربع ليال، ثمّ تشاوزوا. فقال أبو أُميّة بن المغيرة، وكان أسنّ قريش: اجعلوا بينكم حَكَماً أوّل مَنْ يدخل من باب المسجد يقضي بينكم، فكان أوّل من دخل رسول الله، ﷺ. فلمّا رأوه قالوا: هذا الأمين قد رضينا به، وأخبروه الخبر، فقال: هلمُّوا إليّ ثوباً، فأُتي به، فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه ثمّ قال: لتأخذ كلّ قبيلة بناحية من الثوب، ثمّ ارفعوه جميعاً، ففعلوا. فلمّا بلغوا به موضعه وضعه بيده، ثمّ بُني عليه[3].

---

(١) في إحدى النسخ «انضوى»، وفي السير والمغازي «انتهوا».

(٢) هكذا في الطبري أيضاً، وفي سيرة ابن هشام، والسير والمغازي «تنقّبت» أي اهتزّت.

(٣) الخبر في سيرة ابن هشام ١/٢٢١ ـ ٢٢٤، السير والمغازي ١٠٥ ـ ١٠٩، تاريخ الطبري ٢/٢٨٩، ٢٩٠، وانظر: أنساب الأشراف ١/٩٩، والطبقات الكبرى ١/١٤٥، ١٤٦، وتاريخ اليعقوبي ٢/١٩، ٢٠، وتاريخ الإسلام ٦٧، ٦٨، ونهاية الأرب ١٦/٩٩ ـ ١٠٣، وأخبار مكة ١/١٥٨ ـ ١٦٤، والسيرة لابن كثير ١/٢٧٣، ٢٧٤ و٢٧٦ ـ ٢٨١.

ذكر الوقت الذي أُرسل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]

بعث الله نبيّه محمّداً، ﷺ، لعشرين سنة مضت من مُلْك كسرى أبرويز بن هرمز ابن أنوشِروان، وكان على الحيرة إياس بن قَبيصة الطائيّ عاملاً للفرس على العرب[2].

قال ابن عبّاس من رواية حمزة، وعِكرمة عنه، وأنس بن مالك، وعُروة بن الزّبَير: إنّ النبيّ، ﷺ، بُعث وأُنزل عليه الوحي وهو ابن أربعين سنة[3].

وقال ابن عبّاس من رواية عِكْرمة أيضاً، عنه، وسعيد بن المسيّب: إنّه أُنزل عليه، ﷺ، وهو ابن ثلاث وأربعين سنة[4].

وكان نزول الوحي عليه يوم الاثنين بلا خلاف. واختلفوا في أيّ الأثانين كان ذلك.

فقال أبو قِلابة الجَرْميّ: أُنزل الفُرقان على النبيّ، ﷺ، لثماني عشرة ليلة خلت من رمضان[5].

وقال آخرون: كان ذلك لتسع[6] عشرة مضت من رمضان.

وكان، ﷺ، قبل أن يظهر له جبرائيل يرى ويعاين آثاراً من آثار مَنْ يريد الله إكرامه

---

(١) المعارف ١٥٠، تاريخ خليفة ٥٤، تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٢، مروج الذهب ٢/ ٢٨٢، الطبقات الكبرى ١/ ١٩٠، أنساب الأشراف ١/ ١٠٣ وما بعدها، تاريخ الطبري ٢/ ٢٩٠، نهاية الأرب ١٦/ ١٦٨، السيرة النبوية لابن كثير ١/ ٣٨٨، البداية والنهاية ٣/ ٤، عيون التواريخ ١٤/ ٤٢، تاريخ الإسلام (السيرة) ١١٧، تاريخ الخميس ١/ ٣١٦.

(٢) أنساب الأشراف ١/ ١٠٣، ١٠٤.

(٣) الطبري ٢/ ٢٩٠.

(٤) تاريخ الطبري ٢/ ٢٩٢، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٢٠، السير والمغازي ١٣٤، المستدرك على الصحيحين ٢/ ٦١٠.

(٥) الطبري ٢/ ٢٩٣، ٢٩٤.

(٦) هكذا في الأصل والمطبوع، وعند ابن سعد ١/ ١٩٤ والطبري ٢/ ٢٩٤ سبع عشرة. وكذلك في أنساب الأشراف ١/ ١٠٤ رقم ١٨٨.

بفضله. وكان من ذلك ما ذكرتُ من شقّ المَلَكَين بطنه واستخراجهما ما في قلبه من الغِلّ والدَنَس.

ومن ذلك أنّه كان لا يمرّ بحجر ولا شجر إلاّ سلّم عليه، فكان يلتفت يميناً وشمالاً فلا يرى أحداً[1]. وكانت الأمم تتحدّث بمبعثه، وتخبر علماءُ كلّ أمّة قومَها بذلك.

قال عامر بن ربيعة: سمعتُ زيد بن عمرو بن نُفَيْل يقول: إنّا لننتظر نبيّاً من ولد إسماعيل، ثمّ من بني عبد المطّلب، ولا أراني أدركه، وأنا أومن به وأصدّقه وأشهد أنه نبيّ، فإن طالت بك حياة ورأيتَهُ فأقرئه منّي السلام، وسأخبرك ما نَعْتُهُ حتى لا يخفى عليك. قلتُ: هلمّ. قال: هو رجل ليس بالطويل. ولا بالقصير، ولا بكثير الشعر ولا بقليله، ولا تفارق عينيه حُمرة، وخاتم النبوّة بين كتفيْه، واسمه أحمد، وهذا البلد مولده ومبعثه، ثمّ يُخرجه قومُهُ ويكرهون ما جاء به، ويهاجر إلى يثرب فيَظْهر بها أمرُهُ، فإيّاك أن تنخدع عنه، فإنّي طُفْتُ البلاد كلّها أطلب دين إبراهيم، فكلٌّ مَنْ أسأله من اليهود والنصارى والمجوس يقول: هذا الدّين وراءك، وينعتونه مثل ما نعته لك، ويقولون: لم يبقَ نبيّ غيره.

قال عامر: فلمّا أسلمتُ أخبرتُ رسول الله، ﷺ، قول زيد وأقرأتُهُ السلام. فردّ عليه رسول الله، ﷺ، وترحّم عليه وقال: «قد رأيتُهُ في الجنّة يسحب ذيولاً»[2].

وقال جُبَير بن مُطْعم: كُنّا جلوساً عند صنم ببُوَانة[3] قبل أن يُبْعَث رسول الله، ﷺ، بشهر. نحرنا جَزوراً، فإذا صائح يصيح من جوف الصنم: اسمعوا إلى العجب، ذهب استراق[4] الوحي ونُرمى بالشُّهب لنبيّ بمكّة اسمه أحمد، مُهاجَره إلى يثرب. قال: فأمسكنا وعجِبْنا، وخرج رسول الله، ﷺ[5].

والأخبار عن دلائل نبوّته كثيرة، وقد صنّف العلماء في ذلك كتباً كثيرة ذكروا فيها كلّ عجيبة، ليس هذا موضع ذكرها.

---

(١) أنساب الأشراف ١/١٠٤ رقم ١٨٩، الطبري ٢/٢٩٥.

(٢) الخبر في الطبقات الكبرى ١/١٦١، ١٦٢، تاريخ الطبري ٢/٢٩٥، ٢٩٦.

(٣) في النسخة (ب): «سوابه». وفي الطبعة الأوربية «سوانة». وفي طبعة صادر ٢/٤٧ «بوانة»، وقد يفهم أنه صنم اسمه بوانة. وما أثبتناه عن الطبري.
وبُوانة: بالضم وتخفيف الواو. هضبة وراء ينبُع قريبة من ساحل البحر وقريب منها ماءة تسمّى القُصَيبة وماء آخر يقال له المجاز. (معجم البلدان ١/٥٠٥).

(٤) في الطبعة الأوربية «إشراق».

(٥) الخبر في الطبقات الكبرى ١/١٦١، وتاريخ الطبري ٢/٢٩٧.

ذكر ابتداء الوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم[1]

قالت عائشة، رضي الله عنها: كان أوّل ما ابتديء [به] رسول الله، ﷺ، من الوحي الرؤيا الصادقة، كانت تجيء مثل فَلَق الصبح، ثمّ حُبّب إليه الخلاء، فكان بغار حِراء يتعبّد فيه الليالي ذوات العدد، ثمّ يرجع إلى أهله فيتزوّد لمثلها، حتى فجأة الحقّ، فأتاه جبرائيل فقال: يا محمّد أنت رسول الله. قال رسول الله، ﷺ: فجثوت لركبتي، ثمّ رجعت ترجف بوادري[2]، فدخلتُ على خديجة فقلت: «زمِّلوني زمِّلوني»! ثمّ ذهب عنّي الرَّوع، ثمّ أتاني فقال: يا محمّد أنت رسول الله. قال: فلقد هممتُ أن أطرح نفسي من حالق، فتبدّى لي حين هممتُ بذلك فقال: يا محمّد أنا جبرائيل وأنت رسول الله، قال: اقرأ. قلتُ: وما أقرأ؟ قال: فأخذني فغتّني[3] ثلاث مرّات، حتّى بلغ منّي الجهد، ثمّ قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[4]، فقرأتُ. فأتيت خديجة، فقلت لقد أشفقت على نفسي وأخبرتها خبري، فقالت: أبشِرْ، فَوَالله لا يُخزيك الله أبداً، فوالله إنّك لَتَصِل الرَّحِم، وتصدُق الحديث، وتؤدّي الأمانة، وتحمل الكَلّ، وتَقْري الضيف، وتُعين على نوائب الحقّ.

ثمّ انطلقت بي إلى وَرَقة بن نوفل، وهو ابن عمّها، وكان قد تنصّر وقرأ الكتب، وسمع من أهل التوراة والإنجيل، فقالت: اسمع من ابن أخيك. فسألني فأخبرته خبري. فقال: هذا الناموس الذي أنزل على موسى بن عِمران، ليتني كنت حيّاً حين يُخْرجك قومك. قلتُ: أمخْرِجِيّ هم؟ قال: نعم، إنّه لم يجىء أحد بمثل ما جئتَ به إلّا عُودِيَ، ولَئِن أدركني يومك لأنصرنّك نصراً مؤزّراً[5].

---

(١) الطبقات الكبرى ١/١٩٤، السيرة النبوية ١/٢٦٣، تاريخ الطبري ٢/٢٩٨، أنساب الأشراف ١/١٠٥، ١٠٦، نهاية الأرب ١٦/١٦٨، السيرة الحلبية ١/٢٣٣، تاريخ الإسلام (السيرة) ١١٧، دلائل النبوّة للبيهقي ١/٤١٠، عيون التواريخ ١/٤٣، عيون الأثر ١/٨٢، البداية والنهاية ٣/٢، السيرة النبوية لابن كثير ١/٤١٢، تاريخ الخميس ١/٣١٧، صِفة الصفوة ١/٧٨.

(٢) البوادر: جمع بادرة: لحمة بين المنكب والعنق.

(٣) في النسخة (ت): «فغيبني».

(٤) سورة العلق ـ الآية ١.

(٥) رواه البخاري في صحيحه ١/٢١ ـ ٢٧ في بدء الوحي، وفي الأنبياء، باب «واذكر في الكتاب موسى إنّه كان مخلصاً»، وفي تفسير سورة «اقرأ باسم ربّك الذي خلق»، وفي التعبير باب أول ما بُديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، ومسلم رقم (١٦٠) في الإيمان، باب بدء الوحي برسول الله ﷺ، ورواه الترمذي، برقم (٣٦٣٦) في المناقب، باب رقم ١٣، وذكر بعضه ابن هشام في السيرة ١/٢٧٠، وابن سعد في الطبقات ١/١٩٤، والطبري في تاريخه ٢/٢٩٨، ٢٩٩، وفي تفسيره ٣٠/١٦١، ١٦٢، وابن الجوزي =

ثمّ إنّ أوّل ما نزل عليه من القرآن بعد اقرأ: ﴿ن وَالقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[1] و ﴿يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ﴾[2] ﴿وَالضُّحَى﴾[3].

وقالت خديجة لرسول الله، ﷺ، فيما تثبّته فيما أكرمه الله به من نُبُوَّته: يا ابن عمّ، أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم. فجاءه جبرائيل، فأعلمها. فقالت: قم فاجلسْ على فخذي اليسرى، فقام، ﷺ، فجلس عليها. فقالت: هل تراه؟ قال: نعم. قالت: فتحوّلْ فاقعدْ على فخِذِي اليمنى. فجلس عليها، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم. فتحسّرت فألقت خمارها، ورسول الله، ﷺ، في حِجْرها، ثمّ قالت: هل تراه؟ قال: لا. قالت: يا ابن عمّ اثبتْ وأبشِرْ، فوَالله إنّه مَلَكٌ، وما هو بشيطان![4].

وقال يَحيَى بن أبي كثير: سألتُ أبا سَلَمَة عن أوّل ما نزل من القرآن، قال: نزلت ﴿يَا أيُّها المُدَّثِّرُ﴾ أوّل. قال: قلت: إنّهم يقولون ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾. قال: سألت جابر ابن عبد الله قال: لا أحدّثك إلّا ما حدّثنا رسول الله، ﷺ، قال: جاورتُ بِحراء، فلمّا قضيت جواري هبطتُ فسمعت صوتاً، فنظرتُ عن يميني، فلم أَرَ شيئاً، ونظرتُ عن يساري فلم أَرَ شيئاً، ونظرتُ خلفي وأمامي، فلم أَرَ شيئاً، فرفعتُ رأسي فإذا هو، يعني المَلَك، جالس على عرش بين السماء والأرض، فخشيتُ[5] منه فأتيتُ خديجة فقلتُ: دثِّروني دثّروني، وصُبّوا عليّ ماء، ففعلوا، فنزلت: ﴿يَا أَيُّها المُدَّثِّرُ﴾، هذا حديث صحيح[6].

قال هشام بن الكلبي: أَتَى جبرائيلُ النبيَّ، ﷺ، أوّل ما أتاه ليلة السبت وليلة الأحد، ثمّ ظهر له برسالة الله يوم الاثنين فعلّمه الوضوء والصلاة، وعلّمه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ

= في صفة الصفوة ١/٧٨ ـ ٨٠، والبيهقي في دلائل النبوّة ١/٣٩٦، والنويري في نهاية الأرب ١٦/١٦٨، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ١١٧ ـ ١١٩، والسيرة الحلبية ١/٢٣٣، والديار بكري في تاريخ الخميس ١/٣١٧.

(١) سورة القلم ـ الآيتان ١ و ٢.

(٢) سورة المدّثّر ـ الآية ١.

(٣) سورة الضحى ـ الآية ١.

(٤) الخبر في سيرة ابن هشام ١/٢٧١ ـ ٢٧٣، وتاريخ الطبري ٢/٣٠٣.

(٥) ورد في نسخة «محييت».

(٦) أخرجه البخاري ٦/٧٤ في كتاب التفسير، سورة المدّثّر، ومسلم (١٦١) كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، وأحمد في مسنده ٣/٣٠٦ وتكرّر في الصفحة، و٣٩٢، ورواه البيهقي في دلائل النبوّة ١/٤١٠، والطبري في تاريخه ٢/٣٠٤، وتفسيره ٢٩/٩٠، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة) ١٢٥.

رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، وكان لرسول الله، ﷺ، أربعون سنة[1].

قال الزُّهريّ: فتر الوحيّ عن رسول الله، ﷺ، فترةً، فحزن حُزناً شديداً، وجعل يغدو إلى رؤوس الجبال ليتردّى منها، فكلّما رقي ذروة[2] جبل تبدّى له جبرائيل فيقول: إنّك رسول الله حقّاً. فيسكن لذلك جأشه وترجع نفسه. فلمّا أمر الله نبيّه، ﷺ، أن يُنذِر قومه عذابَ الله على ما هم عليه من عبادة الأصنام دون الله الذي خلقهم ورزقهم، وأن يحدّث بنعمة ربّه عليه، وهو النبوّة في قول ابن إسحاق، فكان يذكر ذلك سرّاً لمن يطمئنّ إليه من أهله، فكان أوّل مَن آمن به وصدّقه من خلق الله تعالى خديجة بنت خُوَيْلد زوجته[3].

قال الواقدي: أجمع أصحابنا على أن أوّل أهل القبلة استجاب لرسول الله، ﷺ، خديجة[4].

* * *

ثمّ كان أوّل شيء فرض الله من شرائع الإسلام عليه بعد الإقرار بالتوحيد والبراءة من الأوثان: الصلاة، وإنّ الصلاة لما فُرضت عليه، ﷺ، أتاه جبرائيل وهو بأعلى مكة، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي، فانفجرت فيه عين، فتوضّأ جبرائيل، وهو ينظر إليه، ليُريه كيف الطُّهور للصلاة، ثمّ توضّأ رسول الله، ﷺ، مثله، ثمّ قام جبرائيل فصلّى به وصلّى النبيّ، ﷺ، بصلاته، ثمّ انصرف. وجاء رسول الله، ﷺ، إلى خديجة فعلّمها الوضوء، ثمّ صلّى بها فصلّت بصلاته[5].

ذكر المِعْراج برسول الله، ﷺ

اختلف الناس في وقت المعراج، فقيل: كان قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: بسنة واحدة.

---

(١) الطبري ٢/٣٠٤، أنساب الأشراف ١/١٠٥ رقم ١٩١.

(٢) في إحدى النسخ «أوفى بذروة».

(٣) سيرة ابن هشام ١/٢٧٤، تاريخ الطبري في تاريخه ٢/٣٠٦، ٣٠٧، أنساب الأشراف ١/١١١ رقم ٢٠٩، أسد الغابة ٥/٢٣٤، تاريخ الإسلام (السيرة) ١٢٧.

(٤) الطبري ٢/٣٠٧.

(٥) سيرة ابن هشام ١/٢٧٧، تاريخ الطبري ٢/٣٠٧، أنساب الأشراف ١/١١١ رقم ٢١٠ تاريخ الطبري ٢/٣٠٧، الطبقات الكبرى ١/٢١٣، نهاية الأرب ١٦/٢٨٣، عيون التواريخ ١/٤٥، عيون الأثر ١/١٤٠، البداية والنهاية ٣/١٠٨، الروض الأنف ١/٢٨٢، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ٢٥٣، تاريخ الخميس ١/٣٥٦.

واختلفوا في الموضع الذي أُسري برسول الله، ﷺ، منه، فقيل: كان نائماً بالمسجد في الحِجْر فأسري به منه.

وقيل: كان نائماً في بيت أمّ هانىء بنت أبي طالب، وقائل هذا يقول: الحَرَم كلّه مسجد.

وقد روي حديث المعراج[1] جماعة من الصحابة بأسانيد صحيحة.

قالوا: قال رسول الله، ﷺ: أتاني جبرائيل وميكائيل فقالا: بأيّهم أُمرنا؟ فقالا: أُمرنا بسيّدهم؛ ثمّ ذهبا ثمّ جاءا من القابلة وهم ثلاثة، فَأَلْفَوْه[2] وهو نائم، فقلبوه لظهره وشقّوا بطنه، وجاؤوا بماء زمزم، فغسلوا ما كان في بطنه من غِلّ وغيره، وجاؤوا بطسْتٍ مملوء إيماناً وحكمةً، فمُلىء قلبه وبطنه إيماناً وحكمةً. قال: وأخرجني جبرائيل من المسجد وإذا أنا بدابّة، وهي البُراق، وهي فوق الحمار ودون البغل، (يقوع خطوُه)[3] عند منتهَى طرفه، فقال: اركبْ، فلمّا وضعتُ يدي عليه تشامس واستصعب. فقال جبرائيل: يا بُراق ما ركِبك نبيّ أكرم على الله من محمّد، فانصبّ عرقاً وانخفض لي حتى ركِبْتُهُ، وسار بي جبرائيل نحو المسجد الأقصى، فأُتيتُ بإنائَين أحدهما لبن والآخر خمر، فقيل لي: اخترْ أحدَهما، فأخذتُ اللبن فشربتُهُ، فقيل لي: أصبتَ الفِطْرة، أما إنّك لو شربتَ الخمر لغَوَتْ أُمَّتُك بعدك.

ثمّ سرنا فقال لي: انزلْ فصلّ، فنزلتُ فصلّيتُ، فقال: هذه طَيْبة وإليها المُهاجَر.

ثمّ سرنا فقال لي: انزل فصلّ، فنزلتُ فصلّيتُ، فقال: هذا طور سيناء حيث كلّم الله موسى. ثمّ سرنا فقال: انزلْ فصلّ، فنزلتُ فصلّيتُ، فقال: هذا بيت لحم حيث وُلد عيسى. ثمّ سرنا حتى أتينا بيتَ المقدس، فلمّا انتهينا إلى بابِ المسجد أنزلني جبرائيل وربط البُراق بالحلقة التي كان يربط بها الأنبياء. فلمّا دخلتُ المسجد إذا أنا بالأنبياء حَوَاليَّ[4]، وقيل: بأرواح الأنبياء الذين بعثهم الله قبلي، فسلّموا عليّ، فقلتُ: يا جبرائيل مَنْ هؤلاء؟ قال: إخوانك من الأنبياء، زعمتْ قريشٌ أنّ لله شريكاً، وزعمت النصارى أنّ لله ولداً، سلْ هؤلاء النبيّين هل كان لله، عزّ وجلّ، شريك أو ولد، فذلك قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[5]، فأقرّوا

---

(١) في طبعة صادر ٢/ ٥١ «المعارج».

(٢) في الطبعة الأوربية «فألقوه» وهو تصحيف.

(٣) ما بين القوسين في الطبعة الأوربية ورد: «ثم مثل البراق خطوة». وقاع، يقوع: تمايل في مشيته.

(٤) في الطبعة الأوربية «حيّوالي».

(٥) سورة الزخرف ـ الآية ٤٥.

بالوحدانيّة لله، عزَّ وجلَّ، ثمّ جمعهم جبرائيل وقدّمني، فصلّيتُ بهم ركعتين.

ثمّ انطلق بي جبرائيل إلى الصخرة فصعد بي عليها، فإذا معراج إلى السماء لا ينظر الناظرون إلى شيء أحسن منه، ومنه تعرج الملائكة، أصله في صخرة بيت المقدِس، ورأسه ملتصق بالسماء، فاحتملني جبرائيل ووضعني على جناحه، وصعد بي إلى السماء الدنيا فاستفتح، فقيل: مَنْ هذا؟ قال: جبرائيل. قيل: ومَنْ معك؟ قال: محمّد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به ونِعْمَ المجيء جاء! ففُتح، فدخلنا فإذا أنا برجل تامّ الخلقة، عن يمينه باب يخرج منه ريح طيّبة، وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة، فإذا نظر إلى الباب الذي عن يمينه ضحك، وإذا نظر إلى الباب الذي عن يساره بكى. فقلتُ: مَنْ هذا؟ وما هذان البابان؟ فقال: هذا أبوك آدم، والباب الذي عن يساره (باب جهنّم)[1]، إذا نظر إلى مَنْ يدخلها من ذرّيّته بكى وحزن.

ثمّ صعد بي إلى السماء الثانية فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل. قيل: ومن معك؟ قال: محمّد. قيل: [وقد بُعث إليه؟ قال: نعم]. قيل: مرحباً به ونِعْم المجيء جاء! فدخلنا، فإذا أنا برجل قد فضل الناس بالحسن. قلت: مَنْ هذا يا جبرائيل؟ قال: هذا أخوك يوسف.

ثمّ صعد بي إلى السماء الرابعة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبرائيل. قيل: ومن معك؟ قال: محمّد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به ونِعْمَ المجيء جاء! فدخلنا، فإذا أنا برجل، فقلت: من هذا؟ قال: إدريس رفعه الله مكاناً عليّاً.

ثمّ صعد بي إلى السماء الخامسة، فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل. قيل: ومن معك؟ قال: محمّد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به ونِعْمَ المجيء جاء! فدخلنا، فإذا رجل جالس وحوله قوم يقصّ عليهم. قلتُ: من هذا؟ قال: هذا هارون والذين حوله بنو إسرائيل.

ثمّ صعد بي إلى السماء السادسة فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل قيل: ومن معك؟ قال: محمّد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به ونِعْمَ المجيء جاء! فدخلنا، فإذا أنا برجل جالس فجاوزناه، فبكى الرجل، فقلت: يا جبرائيل من هذا؟ قال: هذا موسى. قلت: فما باله يبكي؟ قال: يزعم بنو[2] إسرائيل أنّي أكرم على الله من آدم، وهذا الرجل من بني آدم قد خلّفني وراءه.

---

(١) في النسخة (ب): «النار».

(٢) في النسخة (ب): «لبني».

قال: ثمّ صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل. قيل: ومن معك؟ قال: محمّد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به ونِعْمَ المجيء جاء! فدخلنا، فإذا رجل أشمط جالس على كرسيّ على باب الجنّة وحوله قوم بيض الوجوه أمثال القراطيس وقوم في ألوانهم شيء، فقام الذين في ألوانهم شيء فاغتسلوا في نهر وخرجوا، وقد صارت وجوههم مثل وجوه أصحابهم. فقلت: من هذا؟ قال: أبوك إبراهيم، وهؤلاء البيض الوجوه قوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم، وأمّا الذين في ألوانهم شيء فقوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً[1]، فتابوا فتاب الله عليهم، وإذا إبراهيم مستند إلى بيت، فقال: هذا البيت المعمور يدخله كلّ يوم سبعون ألفاً من الملائكة لا يعودون إليه.

قال: وأخذني جبرائيل فانتهينا إلى سِدرة المُنتهَى، وإذا نَبِقها مثل قِلال هَجَر، يخرج من أصلها أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران، فأمّا الباطنان ففي الجنّة، وأمّا الظاهران فالنّيل والفرات، قال: وغَشِيَها[2] من نور الله ما غَشِيَها[2]، وغَشِيَها الملائكة كأنّهم جراد من ذهب من خشية الله، وتحوّلت حتى ما يستطيع أحد أن ينعتها، وقام جبرائيل في وسطها، فقال جبرائيل: تقدّمْ يا محمّد. فتقدّمتُ وجبرائيل معي إلى حجاب، فأخذ بي مَلَكٌ وتخلّف عنّي جبرائيل، فقلتُ: إلى أين؟ فقال: **﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾**[3]، وهذا منتهَى الخلائق.

فلم أزل كذلك حتى وصلتُ إلى العرش، فاتّضع كلّ شيء عند العرش وكَلّ لساني من هيبة الرحمن، ثمّ أنطق[4] الله لساني فقلت: التحيّات المباركات والصلوات الطيّبات لله، وفرض الله عليّ وعلى أمّتي في كلّ يوم وليلة خمسين صلاة. ورجعت إلى جبرائيل فأخذ بيدي وأدخلني الجنّة فرأيتُ القصور من الدُّرّ والياقوت والزبرجَد، ورأيتُ نهراً يخرج من أصله ماء أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، يجري على رضراض من الدُّرّ والياقوت والمِسْك، فقال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربُّك، ثمّ عرض عليّ النار، فنظرتُ إلى أغلالها وسلاسلها وحيّاتها وعقاربها وما فيها من العذاب.

ثمّ أخرجني، فانحدرنا حتى أتينا موسى، فقال: ماذا فرض عليك وعلى أمّتك؟ قلتُ: خمسين صلاة. قال: فإنّي قد بلوتُ بني إسرائيل قبلك وعالجتهم أشدّ المعالجة

---

(١) في الطبعة الأوربية «شيئاً».
(٢) في الأصل «وغشينا».
(٣) سورة الصافّات ـ الآية ١٦٤.
(٤) في الأصل «أطلق».

على أقلّ من هذا فلم يفعلوا، فارجعْ إلى ربّك فاسأله التخفيف. فرجعتُ إلى ربّي وسألتُه، فخفّف عنّي عشراً. فرجعتُ إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجعْ واسأله التخفيف. فرجعتُ فخفّف عنّي عشْراً، فلم أزل بين ربّي وموسى حتى جعلها خمساً، فقال: ارجعْ فاسأله التخفيف، فقلت: إنّي قد استحيتُ من ربّي وما أنا براجع، فنوديتُ: إنّي قد فرضتُ عليك وعلى أمّتك خمسين صلاة والخمس بخمسين، وقد أمضيتُ فريضتي وخفّفتُ عن عبادي.

ثمّ انحدرتُ أنا وجبرائيل إلى مضجعي، وكان كلّ ذلك في ليلة واحدة.

فلمّا رجع إلى مكّة علم أن الناس لا يصدّقونه، فقعد في المسجد مغموماً، فمرّ به أبو جهل، فقال له كالمستهزىء: هلِ استفدتَ الليلة شيئاً؟ قال: نعم، أُسري بي الليلة إلى بيت المقدس. قال: ثمّ أصبحتَ بين ظهرانَيْنا؟ فقال: نعم. فخاف أن يخبر بذلك عنه فيجحده النبيّ، فقال: أتخبر قومك بذلك؟ فقال: نعم. فقال أبو جهل: يا معشر بني كعب بن لُؤيٍّ هلمّوا فأَقْبِلوا. فحدّثهم النبيّ، ﷺ، فمن بين مصدّق ومكذّب [ومصفّق] وواضع يده على رأسه. وارتدّ الناس ممّن كان آمن به وصدّقه.

وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر فقالوا: إنّ صاحبك يزعم كذا وكذا! فقال: إنْ كان قال ذلك فقد صدق، إنّي لأصدّقه بما هو أبعد من ذلك، أصدّقه بخبر السماء في غدوة أو رَوْحة، فسُمّي أبو بكر الصدّيق من يومئذ.

قالوا: فانعتْ لنا المسجد الأقصى. قال: فذهبتُ أنعت حتى التبس عليّ، قال: فجيء بالمسجد (وإنّي أنظر إليه)[1]، فجعلتُ أنعته. قالوا: فأخبِرْنا عن عِيرنا. قال: قد مررتُ على عِير بني فلان بالرَّوحاء، وقد أضلُّوا بعيراً لهم وهم في طلبه، فأخذتُ قدحاً فيه ماء فشربته، فسلوهم عن ذلك، ومررتُ بعِير بني فلان وفلان وفلان، فرأيتُ راكباً وقعوداً بذي مرّ، فنفر بَكرهما منّي فسقط فلان فانكسرت يده، فسلُوهما. قال: ومررتُ بعِيركم بالتنعيم يقدمها جملٌ أورق عليه غرارتان مخيطتان، تطلع عليكم من طلوع الشمس.

فخرجوا إلى الثّنية فجلسوا ينظرون طلوعَ الشمس ليكذّبوه إذ قال قائل: هذه الشمس قد طلعت. فقال آخر: والله هذه العير قد طلعت يقدمها بَعير أورق كما قال. فلم يُفلحوا وقالوا: إنّ هذا سحر مبين[2].

---

(١) العبارة في النسخة (ب): «حتى رأيته».

(٢) قارن بدلائل النبوّة للبيهقي ٢/١٣٠، ١٣١، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ١/٣٨٧، وتاريخ الإسلام ٢٧٢، والطبقات الكبرى لابن سعد ١/٢١٣، والخصائص الكبرى للسيوطي ١/١٦٧ ـ ١٦٩.

ذكر الاختلاف في أوّل مَنْ أسلم[1]

اختلف العلماء في أوّل من أسلم، مع الاتفاق على أن خديجة أوّل خلق الله إسلاماً[2]، فقال قومٌ: أوّل ذَكَر آمن عليّ. رُوي عن عليّ، عليه السلام، أنّه قال: أنا عبد الله وأخو رسوله، وأنا الصدِّيق الأكبر لا يقولها بعدي إلّا كاذبٌ مفترٍ، صلّيتُ مع رسول الله، ﷺ، قبل الناس بسبع سنين[3].

وقال ابن عبّاس: أوّل مَنْ صَلّى عليّ[4].

وقال جابر بن عبد الله: بُعث النبيّ، ﷺ، يوم الاثنين وصلّى عليّ يوم الثلاثاء.

وقال زيد بن أرقم: أوّل من أسلم مع النبيّ، ﷺ، عليّ[5].

وقال عفيف الكِنْديّ: كنتُ امرأً تاجراً فقدِمتُ مكّة أيّام الحجّ فأتيتُ العبّاس، فبينا نحن عنده إذ خرج رجلٌ فقام تجاهَ الكعبة يصلّي، ثمّ خرجت[6] امرأة تصلّي معه، ثم خرج غلام فقام يصلّي معه. فقلتُ: يا عبّاس ما هذا الدين؟ فقال: هذا محمّد بن عبد الله ابن أخي، زعم أنّ الله أرسله، وأنّ كنوزَ كسرى وقيصر ستُفتح عليه، وهذه امرأته خديجة آمنتْ به، وهذا الغلام عليّ بن أبي طالب آمن به، وايمُ الله ما أعلم على ظهر الأرض أحداً على هذا الدِّين إلّا هؤلاء الثلاثة! قال عفيف: ليتني كنتُ رابعاً[7].

وقال محمّد بن المنذر[8]، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وأبو حازم المدنيّ،

---

(١) السير والمغازي لابن إسحاق ١٣٩، سيرة ابن هشام ١/٢٨١، تاريخ الطبري ٢/٣٠٩، ٣١٠، أنساب الأشراف ١/١١٢، نهاية الأرب ١٦/١٧٥ و ١٨٠، عيون الأثر ١/٩١، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٢٧، عيون التواريخ ١/٤٥، البداية والنهاية ٣/٢٤، السيرة النبوية لابن كثير ١/٤٢٨، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٣، مروج الذهب ٢/٢٨٣، البدء والتاريخ ٤/١٤٥، تاريخ الخميس ١/٣٢٣، سبل الهدى والرشاد ٢/٤٠٢.

(٢) تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٢٧.

(٣) أخرج المغازلي في مناقب عليّ رضي الله عنه- ص ٢٦ رقم ١٧ من طريق أبي أيّوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «صلّت الملائكة عليّ وعلى عليٍّ سبع سنين، وذلك أنّه لم يصلّ معي أحد غيره».

(٤) أخرج الترمذيّ في مناقب عليّ بن أبي طالب (٣٧٣٦) عن ابن عباس قال: «أوّل من أسلم عليّ»، وهو في الأوائل لابن أبي عاصم ٤٧ رقم ٧٢، وتاريخ الطبري ٢/٣١٠.

(٥) مناقب أمير المؤمنين عليّ للمغازلي ٢٦ رقم ١٨، أنساب الأشراف ١/١١٢ رقم ٢١٦، تاريخ الطبري ٢/٣١٠، الأوائل لابن أبي عاصم ٤٦ رقم ٧١، المسند لأحمد ٤/٣٦٤، الطبقات الكبرى ٣/٢١، المعجم الكبير للطبراني ١١/٤٠٦.

(٦) في نسخة: «قامت».

(٧) الحديث في السير والمغازي ١٣٧ و١٣٨ وآخره: «فليتني آمنت يومئذ وكنت أكون ثانياً». وهو في تاريخ الطبري ٢/٣١١ و ٣١٢.

(٨) في تاريخ الطبري ٢/٣١٢: «المنكدِر».

والكلبيّ: أوّل من أسلم عليّ. قال الكلبيّ: كان عمره تسع سنين[1].

وقيل: إحدى عشرة سنة[2].

وقال ابن إسحاق: أوّل من أسلم عليّ وعمره إحدى عشرة سنة[3].

وكان من نعمة الله عليه أنّ قريشاً أصابتهم أزمةٌ شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة، فقال يوماً رسول الله، ﷺ، لعمّه العبّاس: يا عمّ إنّ أبا طالب كثير العيال فانطلق بنا نخفّف عن عيال أبي طالب، فانطلقا إليه وأعلماه ما أرادا، فقال أبو طالب: اتركا لي عقيلاً واصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله، ﷺ، عليّاً، وأخذ العبّاس جعفراً، فلم يزل عليّ عند النبيّ، ﷺ، حتى أرسله الله فاتّبعه[4].

وكان النبيّ، ﷺ، إذا أراد الصلاة انطلق هو وعليّ إلى بعض الشعاب بمكّة فيصلّيان ويعودان، فعثر عليهما أبو طالب فقال: يا ابن أخي ما هذا الدين؟ قال: دين الله وملائكته ورسله، ودين أبينا إبراهيم، بعثني الله تعالى به إلى العباد، وأنت أحقّ مَنْ دعوتُهُ إلى الهدى وأحقّ مَنْ أجابني. قال: لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي، ولكن والله لا تخلص قريش إليك بشيء تكرهه ما حييتُ. فلم يزل جعفر عند العبّاس حتى أسلم واستغنى عنه.

قال: وقال أبو طالب لعليّ: ما هذا الدِّين الذي أنت عليه؟ قال: يا أبه! آمنتُ بالله وبرسوله وصلّيتُ معه. فقال: أما إنّه لا يدعونا إلّا إلى الخير فالزمْه[5].

* * *

وقيل: أوّل مَنْ أسلم أبو بكر، رضي الله عنه[6].

قال الشعبيّ: سألتُ ابن عبّاس عن أوّل من أسلم، فقال: أما سمعتَ قول حسّان ابن ثابت:

إذا تذكّرتَ شجواً من أخي ثقة ... فاذكرْ أخاكَ أبا بكرٍ بما فَعَلا

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٣١٢، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٢٨.

(٢) أنساب الأشراف ١/١١٣ رقم ٢١٩.

(٣) في سيرة ابن هشام ١/٢٨١، والسير والمغازي ١٣٧، والاستيعاب ٣/٢٧، وتاريخ الطبري ٢/٣١٢، وتاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٢٨: «ابن عشر سنين».

(٤) سيرة ابن هشام ١/٢٨٣، تاريخ الطبري ٢/٣١٣.

(٥) سيرة ابن هشام ١/٢٨٣، تاريخ الطبري ٢/٣١٣، ٣١٤.

(٦) أنظر: صفة الصفوة ١/٢٣٧، ونهاية الأرب ١٦/١٨٠، وتاريخ الإسلام ١٢٧.

خَيـرَ البـرِيّـةِ أتقـاهـا وأعـدَلَهـا بَعـد النبيّ وأوفـاهـا بمـا حَمَـلا
الثّانيَ التّـاليَ المَحمـودَ مشهـدُهُ[1] وأوّلَ النّـاس منهم صَدّق الـرّسُلا[2]

وقـال عمرو بن عَبَسـة: أتيتُ رسـول الله، ﷺ، بعُكـاظ فقلتُ: يـا رسـول الله مَنْ تَبِعَكَ على هذا الأمر؟ قال: «تبعني عليه حُرّ وعبد، أبو بكر وبِلال». فأسلمتُ عند ذلك، فلقد رأيتُني رُبْعَ[3] الإسلام[4].

وكان أبو ذَرّ يقول: رأيتُني رُبع الإسلام، لم يُسلم قبلي إلّا النبيّ وأبو بكر وبلال[5].

وقال إبراهيم النّخعيّ: أبو بكر أوّل مَنْ أسلم[6].

* * *

وقيل: أوّل من أسلم زيد بن حارثة. قال الزُّهْريّ، وسليمان بن يَسـار، وعِمران بن أبي أنَس، وعُـرْوة بن الزُّبَيـر: أوّل مَنْ أسلم زيد بن حـارثـة[7]، وكـان هـو وعليّ يلزمـان النبيّ، ﷺ، وكـان، ﷺ، يخرج إلى الكعبـة أوّلَ النهار ويصلّي صـلاة الضحى، وكانت قريش لا تنكرها، وكان إذا صلّى غيرها قعد عليّ، وزيد بن حارثة يرصدانه.

وقال ابن إسحاق: أوّل ذكَر أسلم بعد النبيّ عليّ وزيد بن حارثة، ثمّ أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه، وكان مانعاً لقومه محبًّا فيهم، وكان أعلمهم بأنساب قريش وما كـان فيها، وكان تاجراً يجتمع إليه قومه، فجعل يدعو مَنْ يثق به من قومه، فأسلم على يديه عثمان

---

(١) في نسخة «مشهدة».
(٢) الأبيات في ديوان حسّان ٢٩٩، ٣٠٠ باختلاف في الرواية. وفي تاريخ الطبري ٢/٣١٤.
(٣) في الطبعة الأوربية «رابع»، والمثبت عن الطبري ٢/٣١٥.
(٤) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين (٨٣٢) باب إسلام عمرو بن عبسـة، ولفظه: «عن عمـرو بن عَبَسة قـال: أتيت رسولَ الله ﷺ وهو بمكة مستخفياً، فقلت: من أنت؟ قال: «نبيّ» قلت: وما النبيّ؟ قـال: «رسول الله» قلت: الله أرسلك؟ قال: «نعم»، قلت: بمَ أرسلك؟ قال: «بأن يُعبد الله وتُكسر الأوثان وتُـوصَل الأرحـام»، قلت: نِعم ما أرسِلت به، فمن تبعـك؟ قال: «حـرّ وعبد»، يعني أبـا بكر وبـلالاً، فكان عمـرو يقول: لقـد رأيتني وأنا رابع أربعة، فأسلمت وقلت: أتّبعُك يا رسول الله، قال: «لا، ولكن إلحقْ بقـومك، فـإذا أُخبِرت بـأنّي قد خـرجت فاتّبعني...»، وأخـرجـه أحمـد في مسنـده ٤/١٢٢، وابن سعـد في الـطبقـات الكبـرى ٤/٢١٥ - ٢١٧، وتاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٤٠، ١٤١، وأنظر سير أعلام النبلاء ٢/٤٥٨.
(٥) أخرج حديثه: الطبـراني في المعجم الكبير ٢/١٤٧، ١٤٨ رقم ١٦١٧، والحـاكم في المستدرك ٣/٣٤٢، والذهبي في تلخيصه ٣/٣٤٢، وسير أعلام النبـلاء ٢/٥٥، وتاريـخ الإسلام (السيـرة النبويـة) ١٧٠، وانظر تاريخ الطبري ٢/٣١٥.
(٦) الطبري ٢/٣١٥.
(٧) الطبري ٢/٣١٦، سيرة ابن هشام ١/٢٨٣، نهاية الأرب ١٦/١٨٣، تاريخ الإسلام (السيرة النبـوية) ١٣٧، عيون الأثر ١/٩٤.

ابن عفّان، والزّبير بن العَوّام، وعبد الرحمن بن عَوْف، وسعد بن أبي وقّاص، وطلحة بن عُبيد الله، فجاء بهم إلى النبيّ، ﷺ، حين استجابوا له فأسلموا وصلّوا. وكان هؤلاء النفر هم الذين سبقوا إلى الإسلام، ثمّ تتابع الناس في الإسلام حتى فشا ذِكْر الإسلام بمكّة وتحدّث به النّاس[1].

قال الواقدي: وأسلم أبو ذَرّ، قالوا رابعاً أو خامساً، وأسلم عمرو بن عَبَسَة السُّلَميّ رابعاً أو خامساً[2].

وقيل: إنّ الزّبير أسلم رابعاً أو خامساً[3]. وأسلم خالد بن سعيد بن العاص خامساً. وقال ابن إسحاق: أسلم هو وزوجته هُمَيْنة[4] بنت خَلَف بن أسعد بن عامر بن بَياضة من خُزاعة بعد جماعة كثيرة.

ذِكْر أمر الله تعالى نبيّه ﷺ، بإظهار دعوته[5]

ثمّ إن الله تعالى أمر النبيّ، ﷺ، بعد مبعثه بثلاث سنين أن يُصْدع بما يؤمر، وكان قبل ذلك في السنين الثلاث مستتراً بدعوته لا يُظْهرها إلّا لمن يثق به، فكان أصحابه إذا أرادوا الصلاة ذهبوا إلى الشِّعاب فاستخفَوْا، فبينما سعد بن أبي وقّاص، وعمّار، وابن مسعود، وخَبّاب، وسعيد[6] بن زيد يصلّون في شِعب اطّلع عليهم نفر من المشركين، منهم: أبو سفيان بن حرب، والأخنس بن شَريق، وغيرهما، فسبّوهم وعابوهم حتى قاتلوهم، فضرب سعد رجلاً من المشركين بلَحْي[7] جمل فشجّه، فكان أوّل دم أُريق في

(١) الخبر في: سيرة ابن هشام ١/ ٢٨٤، ٢٨٥، والسير والمغازي لابن إسحاق ١٤٠، وتاريخ الطبري ٢/ ٣١٧، ونهاية الأرب ١٦/ ٧١٧، وتاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٣٨، وعيون الأثر ١/ ٩٤، ٩٥.

(٢) تاريخ الطبري ٢/ ٣١٧.

(٣) الطبري ٢/ ٣١٨.

(٤) هكذا في الأصول وطبعة صادر ٢/ ٦٠، وفي سيرة ابن هشام ١/ ٢٩٢ وتاريخ الطبري ٢/ ٣١٨ «أُمَيْنة». ويقال «هُمَيْنة» كما في السيرة.

(٥) السير والمغازي ١٤٥، سيرة ابن هشام ٢/ ٣، أنساب الأشراف ١/ ١١٦، الطبقات الكبرى ١/ ١٩٩، البدء والتاريخ ٤/ ١٤٦، تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٧، تاريخ الطبري ٢/ ٣١٨، سبل الهدى ٢/ ٤٣١، نهاية الأرب ١٦/ ١٩٥، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٤٣، دلائل النبوّة للبيهقي ١/ ٤٢٨، مجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١١٣، عيون الأثر ١/ ١٥٢، عيون التواريخ ١/ ٥٢، البداية والنهاية ٣/ ٣٨، السيرة النبوية لابن كثير ١/ ٤٥٥، تاريخ الخميس ١/ ٣٢٤.

(٦) في الطبعة الأوربية «سعد» وهو تحريف.

(٧) اللَّحْي: العَظْم الذي في الفخذ.

الإسلام في قول[1].

قال ابن عبّاس: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[2] خرج رسول الله، ﷺ، فصعِدَ على الصَّفا فهتف: «يا صباحاه»! فاجتمعوا إليه، فقال: «يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد المطّلب، يا بني عبد مناف»! فاجتمعوا إليه. فقال: «أرأيتُكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح الجبل أكنتم مصدّقيَّ»؟ قالوا: نعم ما جرّبنا عليك كذِباً. قال: «فإنّي نذير لكم بين يديْ عذاب شديد». فقال أبو لهب: تبّاً لك! أما جمعتنا إلّا لهذا؟ ثمّ قام، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾[3] السورة[4].

وقال جعفر بن عبد الله بن أبي الحكَم: لما أنزل الله على رسوله: ﴿وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾، اشتدّ ذلك عليه وضاق به ذَرْعاً، فجلس في بيته كالمريض، فأتته عمّاته يعُدْنه، فقال: «ما اشتكيتُ شيئاً، ولكنّ الله أمرني أن أُنْذِرْ عشيرتي الأقربين». فقلن له: فادعُهُمْ ولا تدعُ أبا لهب فيهم فإنّه غير مجيبك. فدعاهم، ﷺ، فحضروا ومعهم نفر من بني المطّلب بن عبد مَناف، فكانوا خمسة وأربعين رجلاً، فبادره أبو لهب وقال: هؤلاء هم عمومتك وبنو عمّك فتكلّم ودعِ الصُّباة[5]، واعلمْ أنّه ليس لقومك في العرب قاطبةً طاقة، وأنّ أحقّ من أخذك فحبسك بنو أبيك، وإن أقمت على ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش وتمدّهم العرب، فما رأيتُ أحداً جاء على بني أبيه بشرّ ممّا جئتَهم به. فسكت رسول الله، ﷺ، ولم يتكلّم في ذلك المجلس.

ثمّ دعاهم ثانيةً وقال: «الحمد لله، أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكّل عليه، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له»، ثمّ قال: «إنّ الرائد لا يَكْذب أهلَهُ، والله الذي لا إله إلّا هو إنّي رسول الله إليكم خاصّة وإلى الناس عامّة، والله لِتموتُنّ كما تنامون، ولتُبعثُنّ كما تستيقظون، ولتحاسَبُنّ بما تعملون، وإنّها الجنّة أبداً والنار أبداً».

فقال أبو طالب: ما أحبّ إلينا معاونتك وأَقْبَلَنَا لنصيحتك وأشدّ تصديقنا لحديثك،

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٣، ٤، تاريخ الطبري ٢/٣١٨، أنساب الأشراف ١/١١٦ رقم ٢٣٠، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٤٧، ١٤٨.

(٢) سورة الشعراء ـ الآية ٢١٤.

(٣) أول سورة المسد.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (٢٠٨) باب في قوله تعالى: ﴿وأنذِرْ عشيرتك الأقربين﴾، والطبري في تاريخه ٢/٣١٩، والسهيلي في الروض الأنف ٢/١٠٩، والذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٤٦، والبلاذري في أنساب الأشراف ١/١٢٠ رقم ٢٣٨.

(٥) في أنساب الأشراف «الصلاة». والصُّباة: من صَبَأ، وهو ما كان المشركون يطلقونه على المسلمين، بمعنى أنهم خرجوا على دين آبائهم.

وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنّما أنا أحدهم، غير أنّي أسرعهم إلى ما تحبّ، فامضِ لما أُمرتَ به، فَوَالله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أنّ نفسي لا تطاوعني على فراق دِين عبد المطّلب.

فقال أبو لهب: هذه والله السوأة! خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم. فقال أبو طالب: والله لنمنعنّه ما بقينا[1].

وقال عليّ بن أبي طالب: لما نزلتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ دعاني النبيّ، ﷺ، فقال: «يا عليّ إنّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضِقْتُ ذرعاً وعلمتُ أني متى أبادرْهم بهذا الأمر أَرَ منهم ما أكره، فصمتُ عليه حتى جاءني جبرائيل فقال: يا محمّد إلّا تفعلْ ما تُؤمر به يعذّبْك ربُّك. فاصنعْ لنا صاعاً من طعام، واجعلْ عليه رِجْل[2] شاة، واملأْ لنا عُسّاً من لبن، واجمعْ لي بني عبد المطّلب حتى أكلّمهم وأبلّغهم ما أُمرتُ به». ففعلتُ ما أمرني به، ثمّ دعوتُهُم، وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب، وحمزة، والعبّاس، وأبو لهب، فلمّا اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعتُهُ لهم. فلمّا وضعتُهُ تناول رسول الله، ﷺ، حِزّة من اللحم فنتفها[3] بأسنانه، ثمّ ألقاها في نواحي الصحفة، ثمّ قال: «خذوا باسم الله»، فأكل القومُ حتى ما لهم بشيء من حاجة، وما أرى إلّا مواضع أيديهم، وايمُ الله الذي نفس عليّ بيده، إنْ كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمتُ لجميعهم! ثمّ قال: «اسقِ القوم»، فجئتهم بذلك العُسّ، فشربوا منه حتى رووا جميعاً، وايم الله إنْ كان الرجل الواحد ليَشرب مثله! فلمّا أراد رسول الله، ﷺ، أن يكلّمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لَهَدَّ[4]، ما سحركم به صاحبكم. فتفرّق القوم ولم يكلّمهم، ﷺ، فقال: «الغد يا عليّ؛ إنّ هذا الرجل سبقني إلى ما سمعتَ من القول، فتفرّقوا قبل أن أكلّمهم، فعُدْ لنا من الطعام بمثل ما صنعتَ، ثمّ اجمعْهم إليّ».

ففعل مثل ما فعلِ بالأمس، فأكلوا، وسقيتُهم ذلك العُسّ، فشربوا حتى رووا جميعاً وشبعوا، ثمّ تكلّم رسولُ الله، ﷺ، فقال: «يا بني عبد المطّلب إنّي والله ما أعلم شابّاً في العرب جاء قومَهُ بأفضل ممّا قد جئتكم به، قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني

---

(١) الخبر في أنساب الأشراف ١/١١٨، ١١٩ رقم ٢٣٥.

(٢) في تاريخ الطبري «رَحْل» والمثبت يتفق مع السير والمغازي.

(٣) في النسخة (ب): «فشقها»، وهي كذلك في السير والمغازي.

(٤) في الطبعة الأوربية «لعلّ» وهو غلط. والتصحيح من الطبري وابن إسحاق.
ولهدّ: كلمة يُتَعَجَّب بها. (النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير ٤/٢٤٢) واللهد: داء يصيب الناس في أرجلهم وأفخاذهم، وهو الضرب والصدمة الشديدة في الصدر، ولَهَدَه لهداً أي دفعه.

الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤآزرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم»؟ فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلتُ، وإنّي لأحدثهم سنّاً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي ثمّ قال: «إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا». قال: فقام القوم يضحكون فيقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع[1].

وأُمر رسول الله، ﷺ، أن يصدع بما جاءه من عند الله، وأن يبادىء الناس بأمره ويدعوهم إلى الله، فكان يدعو في أوّل ما نزلت عليه النبوّة ثلاث سنين مستخفياً، إلى أن أمر بالظهور للدعاء، ثمّ صدع بأمر الله وباداً قومَهُ بالإسلام، فلم يبعدوا منه ولم يردّوا عليه إلّا بعض الردّ، حتى ذكر آلهتهم وعابها. فلمّا فعل ذلك أجمعوا على خلافه، إلّا مَنْ عصمه الله منهم بالإسلام، وهم قليل مستخفُون. وحَدِبَ عليه عمّه أبو طالب ومنعه وقام دونه، ومضى رسول الله، ﷺ، على أمر الله مُظهراً لأمره لا يردّه شيء.

فلمّا رأت قريش أنّه، ﷺ، لا يُعتبهم من شيء يكرهونه، وأنّ أبا طالب قد قام دونه ولم يُسلِمْه لهم، مشى رجالٌ من أشرافهم إلى أبي طالب: عُتْبة وشَيْبة ابنا ربيعة، وأبو البَخْتَري بن هشام، والأسود بن المطّلب، والوليد بن المُغيرة، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، ونُبَيْه ومُنَبّه ابنا الحجّاج، ومَنْ مشى منهم، فقالوا: يا أبا طالب، إنّ ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا وعاب ديننا وسفّه أحلامَنا وضلّل آباءنا، فإمّا أن تكفّه عنّا وإمّا أن تخلّي بيننا وبينه، فإنّك على مثل ما نحن عليه من خلافه. فقال لهم أبو طالب قولاً جميلاً وردّهم ردّاً رفيقاً، فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله، ﷺ، لما هو عليه.

ثمّ شريَ[2] الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال فتضاغنوا وأكثرت قريش ذكر رسول الله، ﷺ، وتذامروا[3] فيه، فمشوا إلى أبي طالب مرّة أخرى فقالوا: يا أبا طالب إنّ لك سنّاً وشرفاً، وإنّا قد اشتهيناك أن تنهَى ابنَ أخيك فلم تفعل، وإنّا والله لا نصبر على هذا من شتم آلهتنا وآبائنا وتسفيه أحلامنا حتى تكفّه عنّا أو ننازله وإيّاك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين، أو كما قالوا، ثمّ انصرفوا عنه.

فعظُم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم له، ولم تطبْ نفسه بإسلام رسول الله، ﷺ، وخذلانه، وبعث إلى رسول الله، ﷺ، فأعلمه ما قالت قريش وقال له: أَبقِ على

---

(١) الخبر في تفسير الطبري ١٩، ٧٤، ٧٥، وتاريخه ٢/٣١٩ - ٣٢١، والسير والمغازي لابن إسحاق ١٤٥، ١٤٦.

(٢) في الطبعة الأوربية: سرى. (وشري الأمرُ: اشتدَّ واستطال).

(٣) في الطبعة الأوربية: وقد توامروا. (وتذامر القوم: تلاوموا؛ تحاضُّوا على القتال).

نفسك وعليّ ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق. فظنّ رسول الله، ﷺ، أنّه قد بدا لعمّه [بدوٌ] وأنّه خذله وقد ضعُف عن نصرته، فقال رسول الله، ﷺ: «يا عمّاه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يُظْهره الله أو أهلك فيه ما تركته». ثمّ بكى رسول الله، ﷺ، وقام. فلمّا ولّى ناداه أبو طالب، فأقبل عليه وقال: اذهب يا ابن أخي فقلْ ما أحببتَ، فَوَالله لا أُسْلِمك لشيء أبداً[1].

فلمّا علمتْ قريش أنّ أبا طالب لا يخذل رسولَ الله، ﷺ، وأنّه يجمع لعداوتهم مشوا بعُمارة بن الوليد فقالوا: يا أبا طالب هذا عُمارة بن الوليد فتى قريش وأشعرهم وأجملهم، فخذْه فلك عقله ونصرته فاتّخِذْه ولداً، وأسلِمْ لنا ابن أخيك هذا الذي سفّه أحلامنا وخالف دينك ودينِ آبائك وفرّق جماعة قومك نقتله، فإنّما رجل برجل. فقال: والله لبئسِ ما تسومونني، أتعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه؟ هذا والله لا يكون أبداً! فقال المُطْعم بن عديّ بن نوفل بن عبد مَناف: والله لقد أنصفك قومك وما أراك تريد أن تقبل منهم! فقال أبو طالب: والله ما أنصفوني، ولكنّك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليّ، فاصنع ما بدا لك[2].

فاشتدّ الأمر عند ذلك، وتنابذ القوم، واشتدّت قريشٌ على مَنْ في القبائل من الصحابة الذين أسلموا، فوثبت كلّ قبيلة على مَنْ فيها من المسلمين يعذّبونهم ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله رسولَهُ بعمّه أبي طالب، وقام أبو طالب في بني هاشم فدعاهم إلى منع رسول الله، ﷺ، فأجابوا إلى ذلك واجتمعوا إليه إلاّ ما كان من أبي لهب[3].

فلمّا رأى أبو طالب من قومه ما سرّه أقبل يمدحهم ويذكر فضل رسول الله، ﷺ، فيهم. وقد مشتْ قريش إلى أبي طالب عند موته وقالوا له: أنت كبيرنا وسيّدنا، فأنصِفْنا من ابن أخيك، فمرْه فليكفّ عن شتم آلهتنا ونَدعه وإلهَه. فبعث إليه أبو طالب، فلمّا دخل عليه قال له: هؤلاء سروات قومك يسألونك أن تكفّ عن شتم آلهتهم ويَدَعوك وإلهك. قال له رسول الله، ﷺ: «أي عمّ! أَوَ لا دعوهم إلى ما هو خير لهم منها، كلمة يقولونها تدين لهم بها العرب ويملكون رقاب العجم»؟ فقال أبو جهل: ما هي وأبيك لنعطينّكها وعَشر أمثالها؟ قال: «تقولون لا إله إلاّ الله»، فنفروا وتفرّقوا وقالوا: سلْ غيرها. فقال: «لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها». قال: فغضبوا وقاموا من عنده غضابَى وقالوا: والله لنشتمنّك وإلهك الذي يأمرك بهذا! ﴿وَانْطَلَقَ المَلأ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٤، ٥، تاريخ الطبري ٢/٣٢٢، ٣٢٣.
(٢) سيرة ابن هشام ٢/٥، تاريخ الطبري ٢/٣٢٦، ٣٢٧، السير والمغازي ١٥٢، الطبقات الكبرى ١/٢٠٢.
(٣) سيرة ابن هشام ٢/٩، تاريخ الطبري ٢/٣٢٧، ٣٢٨، السير والمغازي ١٤٨.

مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾، إلى قوله: ﴿إِلّا اخْتِلاقٌ﴾[1]؛ وأقبل على عمّه فقال: قلْ كلمة أشهد لك بها يوم القيامة. قال: لولا أن تعيبكم بها العرب وتقول جَزِعَ من الموت لأعطيتُكما، ولكن على ملّة[2] الأشياخ، فنزلت: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِ مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[3].

ذِكْر تعذيب المستضعَفين من المسلمين[4]

وهم الذين سبقوا إلى الإسلام، ولا عشائر لهم تمنعهم ولا قوّة لهم يمنعون بها، فأمّا مَنْ كانت له عشيرة تمنعه فلم يصل الكفّار إليه، فلمّا رأوا امتناع مَنْ له عشيرة وثبتْ كلّ قبيلة على مَن فيها من مستضعفي المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذّبونهم بالضرب والجوع والعطش ورمضاء مكّة والنار ليفتنوهم عن دينهم، فمنهم من يفتتن من شدّة البلاء وقلبه مطمئنّ بالإيمان، ومنهم من يتصلّب في دينه ويعصمه الله منهم.

فمنهم: بِلال[5] بن رَباح الحبشيّ مولى أبي بكر، وكان أبوه من سبْي الحبشة، وأمّه حمامة سبيّة أيضاً، وهو من مُوَلَّدي السَّراة، وكنيته أبو عبد الله، فصار بلال لأميّة بن خلَف الجُمَحيّ، فكان إذا حميت الشمسُ وقت الظهيرة يلقيه في الرمضاء على وجهه وظهره، ثمّ يأمر بالصخرة العظيمة فتُلقى على صدره، ويقول: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمّد وتعبد اللات والعُزّى[6]، فكان وَرَقة بن نوفل يمرّ به وهو يعذَّب وهو يقول: أحد أحد. فيقول: أحد أحد والله يا بلال. ثمّ يقول لأميّة: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتّخذنّه حناناً[7]. فرآه أبو بكر يُعذَّب، فقال لأميّة بن خَلَف الجُمَحي: ألا تتّقي الله في

---

(١) سورة صّ - الأيتان ٥ و ٦.
(٢) في نسخة «مكة» وهو تحريف.
(٣) سورة القصص - الآية ٥٦.
(٤) السير والمغازي ١٥٤، سيرة ابن هشام ٦٧/٢.
(٥) المسند للإمام أحمد ١٢/٦ - ١٥، الطبقات لخليفة ١٩، ٢٩٨، تاريخ خليفة ٩٩، ١٤٩، التاريخ الكبير للبخاري ١٠٦/٢، التاريخ الصغير له ٥٤/١، الجرح والتعديل ٣٩٥/٢، مشاهير علماء الأمصار، رقم ٣٢٣، الأغاني ١٢٠/٣، ١٢١، حلية الأولياء ١٤٧/١ - ١٥١، الاستيعاب ٢٦/٢، تاريخ دمشق (تحقيق دهمان) ٣٥٣/١٠، أسد الغابة ٢٤٣/١، تهذيب الأسماء واللغات ١٣٦/١، ١٣٧، تهذيب الكمال ١٦٧/١، دول الإسلام ١٦/١، تاريخ الإسلام ٣١/٢، العبر ٢٤/١، سير أعلام النبلاء ٣٤٧/١ رقم ٧٦، مجمع الزوائد ٢٩٩/٩ - ٣٠٠، العقد الثمين ٣٧٨/٣ - ٣٨٠، تهذيب التهذيب ٥٠٢/١، الإصابة ٢٧٣/١، خلاصة تذهيب الكمال ٥٣، كنز العمال ٣٠٥/١٣ - ٣٠٨، شذرات الذهب ٣١/١، تهذيب تاريخ دمشق ٣٠٤/٣ - ٣١٨، سيرة ابن هشام ٦٧/٢.
(٦) سيرة ابن هشام ٦٧/٢.
(٧) سيرة ابن هشام ٦٧/٢، حلية الأولياء ١٤٨/١، أسد الغابة ٢٤٣/١، سير أعلام النبلاء ٣٥٢/١ وفيه: لم يعش ورقة إلى ذلك الوقت، السير والمغازي ١٩٠.

هذا المسكين؟ فقال: أنت أفسدتَهُ فأبعدتَه. فقال: عندي غلام على دينك أسود أجلد من هذا أعطيكه به. قال: قبلتُ. فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذ بلالاً فأعتقه[1]، فهاجر وشهد المشاهد كلّها مع رسول الله، ﷺ.

* * *

ومنهم: عمّار[2] بن ياسر أبو اليقظان العَنْسيّ، وهو بطن من مُراد ـ وعَنْس هذا بالنون ـ، أسلم هو وأبوه وأمّه وأسلم قديماً ورسول الله، ﷺ، في دار الأرقم بن أبي الأرقم بعد بضعة وثلاثين رجلاً، أسلم هو وصُهَيْب في يوم واحد، وكان ياسر حليفاً لبني مخزوم، فكانوا يُخْرجون عمّاراً وأباه وأمّه إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء يعذّبونهم بحرّالرمضاء، فمرّ بهم النبيّ، ﷺ، فقال: «صبراً آلَ ياسر فإنّ موعدكم الجنّة»[3]. فمات ياسر في العذاب وأغلظت امرأته سُميّة[4] القول لأبي جهل، فطعنها في قُبُلها بحربة في يديه فماتت، وهي أوّل شهيد في الإسلام[5]، وشدّدوا العذاب على عمّار بالحرّ تارة، وبوضع الصخر على صدره أخرى، وبالتغريق أخرى، فقالوا: لا نتركك حتى تسبّ محمّداً وتقول في اللات والعُزّى خيراً، ففعل، فتركوه، فأتى النبيَّ، ﷺ، يبكي. قال: فكيف تجد قلبك؟ قال: أجده مطمئناً بالإيمان. فقال: يا عمّار إن عادوا فعُدْ[6]، فأنزل الله تعالى: ﴿إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بالإيمَانِ﴾[7]؛ فشهد المشاهد كلّها مع رسول الله،

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٦٧، ٦٨، سير أعلام النبلاء ١/٣٥٢، السير والمغازي ١٩٠.

(٢) المسند للإمام أحمد ٤/٢٦٢، و ٣١٩، الطبقات الكبرى ٣/١٧٦، الطبقات لخليفة ٢١، ٧٥، ١٢٦، تاريخ خليفة ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٩ و١٨٩ و١٩١، التاريخ الكبير ٧/٢٥، التاريخ الصغير ١/٧٩، و ٨٤، ٨٥، المعارف ٢٥٦ ـ ٢٥٨، الجرح والتعديل ٦/٣٨٩، مشاهير علماء الأمصار، رقم ٢٦٦، حلية الأولياء ١/١٣٩ ـ ١٤٣، الاستيعاب ٨/٢٢٥، تاريخ بغداد ١/١٥٠ ـ ١٥٣، أسد الغابة ٤/١٢٩، تهذيب الأسماء واللغات ٢/٣٧، ٣٨، تهذيب الكمال ٣/١٠٠٠، دول الإسلام ١/٢٨، العبر ١/٢٥ و ٣٨ و ٤٠، سير أعلام النبلاء ١/٤٠٦ رقم ٨٤، مجمع الزوائد ٩/٢٩١ ـ ٢٩٨، العقد الثمين ٦/٢٧٩ ـ ٢٨١، تهذيب التهذيب ٧/٤٠٨، الإصابة ٧/٦٤، خلاصة تذهيب التهذيب ٢٧٩، كنز العمال ١٣/٥٢٦، شذرات الذهب ١/٤٥.

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي ٩/٢٩٣، المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣/٣٨٨، سير أعلام النبلاء ١/٤٠٩، ٤١٠، السير والمغازي ١٩٣.

(٤) في الأصل «سميا»، وفي النسخة (ت) «شمياء».

(٥) أنظر طبقات ابن سعد ٨/٢٦٤ ـ ٢٦٥، والاستيعاب لابن عبد البرّ ٤/٣٣٠، وأسد الغابة لابن الأثير ٥/٤٨١، ونهاية الأرب ١٦/٢٣١، وسير أعلام النبلاء ١/٤٠٩، وتاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ٢١٨، والإصابة لابن حجر ٤/٣٣٤ رقم ٥٨٥. وقال الإمام أحمد: «أول شهيد كان في أول الإسلام استُشهد أمّ عمّار سُمَيَّة، طعنها أبو جهل بحربةٍ في قُبُلها» وهذا مرسَل.

(٦) الطبقات الكبرى ٣/١٧٨، حلية الأولياء ١/١٤٠، المستدرك ٢/٣٥٧، سير أعلام النبلاء ١/٤١١.

(٧) سورة النحل ـ الآية ١٠٦.

وقُتل بصِفّين مع عليّ وقد[1] جاوز التسعين، قيل بثلاث، وقيل بأربع سنين[2].

ومنهم: خَبّاب[3] بن الأرتّ، كان أبوه سواديّاً من كَسْكَر، فسباه قوم من ربيعة وحملوه إلى مكّة فباعوه من سِباع بن عبد العُزّى الخُزاعي حليف بني زُهْرة، وسباع هو الذي بارزه حمزة يوم أُحُد، وخبّاب تميميّ، وكان إسلامه قديماً، قيل سادس ستّة قبل دخول رسول الله، ﷺ، دار الأرقم، فأخذه الكفّار وعذّبوه عذاباً شديداً، فكانوا يُعَرُّونه ويلصقون ظهره بالرمضاء ثمّ بالرضف، وهي الحجارة المُحَمَّاة بالنار، ولووا رأسه، فلم يُجِبْهم إلى شيء مما أرادوا منه، وهاجر وشهد المشاهد كلّها مع رسول الله، ﷺ، ونزل الكوفة، ومات سنة ستّ[4] وثلاثين.

ومنهم: صُهَيْب[5] بن سِنان الروميّ، ولم يكن روميّاً، وإنّما نُسب إليهم لأنّهم سبوه وباعوه، وقيل: لأنّه كان أحمر اللون، وهو من النّمِر بن قاسط، كنّاه رسول الله، ﷺ، أبا يَحيَى قبل أن يولد له، وكان ممّنْ يُعَذَّب في الله، فعُذّب عذاباً شديداً. ولما أراد الهجرة منعته قريش، فافتدى نفسَهُ منهم بماله أجمع، وجعله عمر بن الخطّاب عند موته يصلّي بالناس إلى أن يستخلف بعض أهل الشورى، وتوفّي بالمدينة في شوّال من سنة ثمان وثلاثين، وعمره سبعون سنة[6].

وأمّا عامر[7] بن فُهَيرة فهو مولى الطُّفَيْل بن عبد الله الأزديّ، وكان الطفيل أخا عائشة

---

(١) في الطبعة الأوربية «وهو».

(٢) أنظر سير أعلام النبلاء ٤٢٦/١.

(٣) المسند للإمام أحمد ١٠٨/٥ و٣٩٥/٦، الطبقات الكبرى ١٦٤/٣، الطبقات لخليفة ١٧، ١٢٦، تاريخ خليفة ١٩٢، التاريخ الكبير ٢١٥/٣، المعارف ٣١٦، ٣١٧، المعرفة والتاريخ ١٦٧/٣، الجرح والتعديل ٣٩٥/٣، المعجم الكبير للطبراني ٦١/٤، الاستيعاب ٤٣٧/٢، أسد الغابة ١١٤/٢، تهذيب الكمال ٣٧٣، تاريخ الإسلام ١٧٥/٢، العبر ٤٣/١، سير أعلام النبلاء ٣٢٣/٢، مجمع الزوائد ٢٩٨/٩، تهذيب التهذيب ١٣٣/٣، ١٣٤، الإصابة ٧٦/٣، خلاصة تذهيب التهذيب ١٠٤، كنز العمال ٣٧٥/١٣، شذرات الذهب ٤٧/١، تاريخ اليعقوبي ٢٨/٢.

(٤) في النسخة (ب): «سبع».

(٥) المسند للإمام أحمد ٣٣٢/٤ و١٥/٦، الطبقات الكبرى ٢٢٦/٣، الطبقات لخليفة ١٩، ٦٢، التاريخ الكبير ٣١٥/٤، الجرح والتعديل ٤٤٤/٤، المعجم الكبير للطبراني ٣٣/٨ ـ ٥٣، المستدرك ٣٩٧/٣ ـ ٤٠٢، الاستيعاب ١٤٧/٥، أسد الغابة ٣٦/٣، تهذيب الكمال ٦١٣، تاريخ الإسلام ١٨٥/٢، ١٨٦، العبر ٤٤/١، سير أعلام النبلاء ١٧/٢ رقم ٤، مجمع الزوائد ٣٠٥/٩، تهذيب التهذيب ٤٣٨/٤، ٤٣٩، الإصابة ١٦٠/٥، خلاصة تذهيب التهذيب ١٧٥، كنز العمال ٤٣٧/١٣، شذرات الذهب ٤٧/١، تاريخ اليعقوبي ٢٨/٢.

(٦) سير أعلام النبلاء ٢٦/٢.

(٧) أنساب الأشراف ١٥٦/١ و١٥٨ و١٨٥، الطبقات الكبرى ١٦٥/٣، سيرة ابن هشام ٦٨/٢.

لأمّها أمّ رومان، أسلم قديماً قبل دخول رسول الله، ﷺ، دار الأرقم[1]، وكان من المستضعَفين يعذَّب في الله، فلم يرجع عن دينه، واشتراه أبو بكر وأعتقه، فكان يرعى غنماً له، وكان يروح بغنم أبي بكر إلى النبي، ﷺ، وإلى أبي بكر لما كانا في الغار، وهاجر معهما إلى المدينة يخدمهما، وشهد بدراً وأُحُداً، واستشهد يوم بئر مَعُونة وله أربعون سنة. ولما طُعن قال: فُزْتُ وربِّ الكعبة! ولم توجد جثّته لتُدفن مع القتلى، فقيل: إنّ الملائكة دفنته[2].

ومنهم: أبو فُكَيْهة[3]، واسمه أفلح، وقيل يسار، وكان عبداً لصفوان بن أميّة بن خَلَف الجُمَحيّ، أسلم مع بلال، فأخذه أميّة بن خَلَف وربط في رجله حبلاً وأمر به فجُرّ ثمّ ألقاه في الرمضاء، ومرّ به جُعَل[4] فقال له أُميّة: أليس هذا ربّك؟ فقال: الله ربّي وربّك وربّ هذا، فخنقه خنقاً شديداً، ومعه أخوه أُبَيّ بن خَلَف يقول: زِدْهُ عذاباً حتى يأتي محمّد فيخلّصه بسحره، ولم يزل على تلك الحال حتى ظنّوا أنّه قد مات، ثمّ أفاق، فمرّ به أبو بكر فاشتراه وأعتقه[5].

وقيل: إنّ بني عبد الدار كانوا يعذّبونه، وإنّما كان مولى لهم، وكانوا يضعون الصخرة على صدره حتى دلع لسانه فلم يرجع عن دينه، وهاجر ومات قبل بدر[6].

ومنهم: لُبَيْنَة[7] جارية بني مؤمّل بن حبيب بن عديّ بن كعب، أسلمت قبل إسلام عمر بن الخطّاب، وكان عمر يعذّبها حتى تُفتن ثمّ يَدَعها، ويقول: إنّي لم أدعك إلّا سآمةً، فتقول: كذلك يفعل الله بك إن لم تُسلم، فاشتراها أبو بكر فأعتقها[8].

ومنهم: زِنِّيرة[9]، وكانت لبني عديّ، وكان عمر يعذّبها، وقيل: كانت لبني مخزوم، وكان أبو جهل يعذّبها حتى عميت، فقال لها: إنّ اللات والعُزّى فعلا بك. فقالت: وما

---

(١) أنساب الأشراف ١/١٩٣، ١٩٤ رقم ٥١٠، الطبقات الكبرى ٣/١٦٤.

(٢) الطبقات الكبرى ٣/١٦٤، ١٦٥، أنساب الأشراف ١/١٩٤ رقم ٥١١ و٥١٢ و٥١٣.

(٣) أنساب الأشراف ١/١٩٤ و١٩٥ رقم ٥١٤، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨.

(٤) الجُعل: الخنفسة.

(٥) أنساب الأشراف ١/١٩٤، ١٩٥ رقم ٥١٤.

(٦) أنساب الأشراف ١/١٩٥ رقم ٥١٥ و٥١٦.

(٧) في النسخة (ب): «أمينة»، وفي طبعة صادر ٢/٦٩ «لبيبة»، والتصحيح عن أنساب الأشراف ١/١٩٥، سيرة ابن هشام ٢/٦٨.

(٨) أنساب الأشراف، ١٩٥ رقم ٥١٧.

(٩) أنساب الأشراف ١/١٩٥ و١٩٦، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ٢١٨.

يدري اللات والعُزّى مَنْ يعبدهما؟ ولكنّ هذا يمر من السماء وربّي قادر على ردّ بصري، فأصبحت من الغد وقد ردّ الله بصرها، فقالت قريش: هذا من سحر محمّد، فاشتراها أبو بكر فأعتقها[1].

(زِنِّيرة: بكسر الزاي، وتشديد النون، وتسكين الياء المثنّاة من تحتها، وفتح الراء).

ومنهم: النَّهْدِيّة[2]، مولاة لبني نَهْد، فصارت لامرأة من بني عبد الدار فأسلمت، وكانت تعذّبها وتقول: والله لا أقلعتُ عنك أو يبتاعك بعض أصحاب محمّد، فابتاعها أبو بكر فأعتقها[3].

ومنهم: أمّ عُبَيْس[4]، بالباء الموحّدة، وقيل عُنَيْس، بالنون، وهي أمَة لبني زُهرة، فكان الأسود بن عبد يغوث يعذّبها، فابتاعها أبو بكر فأعتقها[5].

وكان أبو جهل يأتي الرجل الشريف ويقول له: أتترك دينك ودين أبيك وهو خير منك! ويقبّح رأيه وفِعْلَه ويسفّه حلمه ويضع شَرَفه، وإن كان تاجراً يقول: ستكسد تجارتك ويهلك مالك، وإن كان ضعيفاً أغرى به حتى يعذَّب[6].

ذكر المستهزئين ومن كان أشدّ الأذى للنبيّ، ﷺ[7]

وهم جماعة من قريش، عمّه أبو لَهَب عبد العُزّى بن عبد المطّلب، كان شديداً عليه وعلى المسلمين، عظيم التكذيب له، دائم الأذى، فكان يطرح العَذِرَة والنَّتَن[8] على باب النبيّ، ﷺ، وكان جاره، فكان رسول الله، ﷺ، يقول: «أيّ جِوارٍ هذا يا بني عبد المطّلب»[9]!.

(١) أنساب الأشراف ١/١٩٦ رقم ٥١٩، دلائل النُّبُوّة للبيهقي ٢/٥٧، نهاية الأرب ١٦/٢٣٠، تاريخ الإسلام ٢١٨، السير والمغازي ١٩١.

(٢) أنساب الأشراف ١/١٩٦، سيرة ابن هشام ٢/٦٨، السير والمغازي ١٩١ وفيه تحرّف اسمها إلى «الهنديّة».

(٣) أنساب الأشراف ١/١٩٦ رقم ٥١٩، سيرة ابن هشام ٢/٩٨، السير والمغازي ١٩١.

(٤) أنساب الأشراف ١/١٩٦.

(٥) أنساب الأشراف ١/١٩٦ رقم٥٢٢.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/٦٨، ٦٩.

(٧) المحبّر لابن حبيب ١٥٧ و١٥٨ - ١٦٠، والمنمّق له ٣١٠، ٣١١، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٤، أنساب الأشراف ١/١٣٠ وما بعدها، السير والمغازي ١٩٧، سيرة ابن هشام ٢/١٠٢ وما بعدها، نهاية الأرب ١٦/٢١٤.

(٨) في النسخة (ب): «التبن».

(٩) أنساب الأشراف ١/١٣١ رقم ٢٦٥.

فرآه يوماً حمزة فأخذ العَذِرة وطرحَها على رأس أبي لَهَب[1]، فجعل ينفضها[2] عن رأسه ويقول: صاحبي أحمق! وأقصر عمّا كان يفعله، لكنّه يضع من يفعل ذلك[3].

ومات أبو لَهَب[4] بمكّة عند وصول الخبر بانهزام المشركين ببدر، بمرض يُعرف بالعَدَسَة[5].

ومنهم: الأسود بن عبد يغوث بن وهْب بن عبد مَناف بن زُهْرة، وهو ابن خال النبيّ، ﷺ، وكان من المستهزئين، وكان إذا رأى فقراء المسلمين قال لأصحابه: هؤلاء ملوك الأرض الذين يرثون مُلْك كسرى.

وكان يقول للنبيّ، ﷺ: أما كُلّمتَ اليوم من السماء يا محمّد! وما أشبه ذلك. فخرج من أهله فأصابه السَّمومُ، فاسْوَدّ وجهه، فلمّا عاد إليهم لم يعرفوه وأغلقوا الباب دونه، فرجع متحيّراً حتى مات عطشاً[6].

وقيل: إنّ جبرائيل أومأ إلى السماء فأصابته الأكلة، فامتلأ قيحاً فمات[7].

ومنهم: الحارث بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم السّهْميّ، كان أحد المستهزئين الذين يُؤذون رسول الله، ﷺ، وهو ابن الغَيْطلة، وهي أمّه، وكان يأخذ حجراً يعبده، فإذا رأى أحسن منه ترك الأوّل وعبد الثاني. وكان يقول: قد غرّ محمّدٌ أصحابه ووعدهم أن يحيوا بعد الموت، والله ما يُهلكنا إلاّ الدهر، وفيه نزلت: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ**﴾[8]؛ وأكل حوتاً مملوحاً فلم يزل يشرب الماء حتى مات.

وقيل: أخذته الذبحة.
وقيل: امتلأ رأسه قيحاً فمات[9].

ومنهم: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، وكان الوليد يكنّى أبا عبد شمس، وهو العِدل، لأنّه كان عِدل قريش كلّها، لأنّ قريشاً كانت تكسو البيت جميعها،

---

(١) في الطبعة الأوربية «أبي جهل» وهو وهْم.
(٢) في الطبعة الأوربية «ينفضه».
(٣) أنساب الأشراف ١/١٣١ رقم ٢٦٤.
(٤) في الطبعة الأوربية «أبو جهل».
(٥) في النسخة (ب): «بالعذيبة». والخبر في أنساب الأشراف ١/١٣١ رقم ٢٦٧.
(٦) أنساب الأشراف ١/١٣١، ١٣٢، رقم ٢٦٨.
(٧) أنساب الأشراف ١/١٣٢ رقم ٢٦٩.
(٨) سورة الجاثية ـ الآية ٢٣.
(٩) الخبر في أنساب الأشراف ١/١٣٢ رقم ٢٧١.

وكان الوليد يكسوه وحده، وهو الـذي جمع قـريشاً وقـال: إنّ الناس يـأتونكم أيّـام الحجّ فيسألونكم عن محمّـد فتختلف أقوالكم فيـه، فيقول هـذا: ساحـرٌ، ويقول هـذا: كاهنٌ، ويقول هذا: شاعرٌ، ويقول هذا: مجنون، وليس يشبه واحداً ممّا يقولون، ولكن أصلح ما قيل فيه ساحر، لأنّه يفرّق بين المرء وأخيه وزوجته[1].

وقال الوليـد[2]: لئن سبّ محمّدٌ آلهتنـا سببنا إلَهَـهُ، فأنـزل الله تعالى: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ الله فَيَسُبُّوا الله عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[3].

ومات بعد الهجرة بعد ثلاثة أشهر وهو ابن خمس وتسعين[4] سنة، ودُفن بالحَجون، وكان مرّ برجل من خُزاعة يريش نبلاً له، فوطىء على سهم منها فخدشه، ثمّ أومأ جبرائيل إلى ذلك الخدش بيده فانتقض ومات منه، فأوصى إلى بنيه أن يـأخذوا دِيَتـه من خزاعـة، فأعطت خُزاعة ديته[5].

ومنهم: أُمَيّة وأُبَيّ ابنا خَلَف، وكانا على شرّ ما عليه أحد من أذى رسول الله، ﷺ، وتكذيبه. جاء أُبَيّ إليه، ﷺ، بعـظم فخذ[6]، ففتّـه في يده وقـال: زعمتَ أنّ ربّك يُحيي هذا العظم، فنزلت: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[7].

وصنع أُبَيّ[8] طعاماً ودعا إليه رسولَ الله، ﷺ، فقـال: لا أحضره حتى تشهـد أن لا إله إلاّ الله، ففعل، فقام معه. فقال له أُميّة بن خَلَف: أقلتَ كذا وكـذا؟ فقال: إنّمـا قلت ذلك لطعامنا، فنزلت: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾[9]. وقُتل أُميّة يوم بدر كافـراً، قتله خُبيب وبلال، وقيل: قتله رِفاعة بن رافـع الأنصاري[10]. وأمّا أخوه أُبيّ فقتله رسـول الله، ﷺ، يوم أُحُد، رماه بحربة فقتله[11].

ومنهم: أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، وكان ممّن يؤذي رسول الله، ﷺ ويعين أبـا

---

(١) أنساب الأشراف ١/١٣٣ رقم ٢٧٣.
(٢) في طبعة صادر ٢/٧١ «أبو جهل» وهو وهم، والتصويب من أنساب الأشراف، والسياق.
(٣) سورة الأنعام ـ الآية ١٠٨.
(٤) في الأصل «سبعين»، والمثبت يتفق مع أنساب الأشراف.
(٥) الخبر في أنساب الأشراف ١/١٣٤ رقم ٢٧٧.
(٦) في أنساب الأشراف: «نخر».
(٧) سورة يٓس ـ الآية ٧٨ والخبر في أنساب الأشراف ١/١٣٧ رقم ٢٨١.
(٨) في طبعة صادر ٢/٧٢ «عقبة بن أبي معيط» وهو وهم، والتصويب من أنساب الأشراف، ومن السياق.
(٩) سورة الفرقان ـ الآية ٢٧.
(١٠) أنساب الأشراف ١/١٣٨ رقم ٢٨٢ و٢٨٣.
(١١) أنساب الأشراف ١/١٣٨ رقم ٢٨٤.

جهل على أذاه، قتله حمزة يوم بدر[1].

ومنهم: العاص بن وائل السَّهْميّ، والد عمرو بن العاص، وكان من المستهزئين، وهو القائل لما مات القاسم[2] ابن النبيّ، ﷺ: إنّ محمّداً أبتر لا يعيش له ولد ذَكَر، فأنزل: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾[3]. فركب حماراً له فلمّا كان بِشِعْبٍ من شعاب مكّة ربض به حماره، فلُدغ في رِجْله، فانتفخت حتى صارت كعنق البعير، فمات منها بعد هجرة النبيّ، ﷺ، ثاني شهر دخل المدينة وهو ابن خمسٍ وثمانين سنة[4].

ومنهم: النَّضْر بن الحارث بن عَلْقَمة بن كَلَدة بن عبد مَناف بن عبد الدار، يكنّى أبا قائد، وكان أشدّ قريش في تكذيب النبيّ، ﷺ، والأذى له ولأصحابه. وكان ينظر في كتب الفرس ويخالط اليهود والنصارى، وسمع بذكر النبيّ، ﷺ، وقُرْب مبعثه، فقال: إن جاءنا نذير لنكونَنّ أهدى من إحدى الأمم، فنزلت: ﴿وَأَقْسَمُوا بِالله جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾[5]، الآية. وكان يقول: إنّما يأتيكم محمّد بأساطير الأوّلين، فنزل فيه عدّة آيات. أسره المقداد يوم بدر وأمر رسولُ الله، ﷺ، بضرب عنقه، فقتله عليّ بن أبي طالب صبراً بالأُثَيْل[6].

ومنهم أبو جهل بن هشام المخزومي، كان أشدّ الناس عداوةً للنبيّ، ﷺ، وأكثرهم أذىً له ولأصحابه، واسمه عمرو، وكنيته أبو الحكم، وأمّا أبو جهل فالمسلمون كنّوه به، وهو الذي قتل سُميّة أمّ عمّار بن ياسر، وأفعاله مشهورة، وقُتل ببدر، قتله ابنا عفراء، وأجهز عليه عبد الله بن مسعود[7].

ومنهم: نُبَيْه ومُنَبّه ابنا الحجّاج السَّهْمِيّان، وكانا على ما كان عليه أصحابهما من أذى رسول الله، ﷺ، والطعن عليه، وكانا يلقيانه فيقولان له: أما وجد الله مَنْ يبعثه غيرك؟ إنّ هاهنا مَنْ هو أسنّ منك وأيسر. فقُتل مُنبّه، قتله عليّ بن أبي طالب ببدر، وقُتل

---

(١) ويقال: قتله الحُباب بن المنذر. (أنساب الأشراف ١/١٣٨ رقم ٢٨٥).
(٢) في الأصل «عبد الله»، وفي الطبعة الأوربية «إبراهيم»، وفي أنساب الأشراف: «عبد الله».
(٣) سورة الكوثر ـ الآية ٣.
(٤) أنساب الأشراف ١/١٣٨، ١٣٩ رقم ٢٨٦.
(٥) سورة فاطر ـ الآية ٤٢.
(٦) الخبر في أنساب الأشراف ١/١٣٩ ـ ١٤١ رقم ٢٨٩ و٢٩٢، وفي معجم البلدان ١/٩٤.
والأُثَيْل: تصغير الأَثْل. موضع قرب المدينة.
(٧) أنساب الأشراف ١/١٣٠ رقم ٢٦٢.

أيضاً العاص بن منبّه بن الحجّاج، قتله أيضاً عليّ ببدر، وهو صاحب ذي الفقار، وقيل منبّه بن الحجّاج صاحبه، وقيل نُبَيْه[1].

(نُبَيْه بضمّ النون، وفتح الباء الموحّدة).

ومنهم: زُهَير بن أبي أُمَيّة أخو أمّ سلمة لأبيها، وأمّه عاتكة بنت عبد المطّلب، وكان ممّن يُظْهر تكذيب رسول الله، ﷺ، ويردّ ما جاء به، ويطعن عليه، إلّا أنّه ممّن أعان على نقض الصحيفة. واختُلف في موته فقيل: سار إلى بدر فمرض فمات.

وقيل: أُسر ببدر فأطلقه رسول الله، ﷺ، فلمّا عاد مات بمكة.

وقيل: حضر وقعة أُحُد، فأصابه سهم فمات منه.

وقيل: سار إلى اليمن بعد الفتح فمات هناك كافراً[2].

ومنهم: عُقْبَة بن أبي مُعَيط، واسم أبي مُعَيط أبان بن أبي عمرو بن أميّة بن عبد شمس، ويكنّى أبا الوليد، وكان من أشدّ الناس أذىً لرسول الله، ﷺ، وعداوة له وللمسلمين، عمد إلى مِكتل فجعل فيه عَذِرة وجعله على باب رسول الله، ﷺ، فبَصُر به طُلَيْب بن عُمَير بن وَهْب بن عبد مَناف بن قُصَيّ، وأمّه أروى بنت عبد المطّلب، فأخذ المِكْتَل منه وضرب به رأسه، وأخذ بأُذُنيه، فشكاه عُقْبة إلى أمّه فقال: قد صار ابنك ينصر محمّداً. فقالت: ومَنْ أولى به منّا؟ أموالنا وأنفسنا دون محمّد. وأُسر عقبة ببدر فقُتل صبراً، قتله عاصم بن ثابت الأنصاري، فلمّا أراد قتله قال: يا محمّد من للصبية؟ قال: النار. قُتل بالصفراء، وقيل بِعِرْق الظّبْية، وصُلب، وهو أوّل مصلوب في الإسلام[3].

ومنهم: الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ، وكان من المستهزئين، ويكنّى أبا زَمَعة، وكان وأصحابه يتغامزون[4] بالنبيّ، ﷺ، وأصحابه ويقولون: قد جاءكم ملوك الأرض ومَنْ يغلب على كنوز كسرى وقيصر، ويصفرون به ويصفّقون، فدعا عليه رسول الله، ﷺ، أن يُعمى ويُثكل ولده، فجلس في ظلّ شجرة،

---

(١) أنساب الأشراف ١/١٤٤، ١٤٥ رقم ٣٠٣.

(٢) الخبر في أنساب الأشراف ١/١٤٥ رقم ٣٠٤.

(٣) الخبر في أنساب الأشراف ١/١٤٧، ١٤٨ رقم ٣٠٩ و٣١٠، وأنظر: المحبّر لابن حبيب في فصل «المؤذون من قريش» و«زنادقة قريش» و«المصلّبين الأشراف» ١٥٧ و١٦١ و٤٧٨، وتاريخ اليعقوبي ٢/٤٦.

(٤) في الأصل «يخامرون».

فجعل جبرائيل يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها وبشوكها حتى عمي.

وقيل: أومأ إلى عينيه فعمي، فشغله عن رسول الله، ﷺ، وقُتل ابنه معه ببدر كافراً، قتله أبو دُجانة، وقُتل ابن ابنه عُتَيْب، قتله حمزة وعليّ، اشتركا في قتله، وقُتل ابن ابنه الحارث بن زَمَعَة بن الأسود، قتله عليّ.

وقيل: هو الحارث بن الأسود، والأوّل أصحّ. وهو القائل:

أتبكي أن يضلّ بعير ويَمنعُها من النّومِ السُّهودُ[1]

ومات والناس يتجهّزون إلى أُحُد، وهو يحرِّض الكفّار وهو مريض.

ومنهم: طُعَيْمة بن عديّ بن نوفل بن عبد مَناف، يكنّى أبا الريّان، وكان ممّن يؤذي رسول الله، ﷺ، ويشتمه ويسمّعه ويكذّبه، وأسر ببدر، وقُتل كافراً صبراً، قتله حمزة[2].

ومنهم: مالك بن الطلاطلة بن عمرو بن غُبشان من المستهزئين، وكان سفيهاً، فدعا عليه رسول الله، ﷺ، فأشار جبرائيل إلى رأسه، فامتلأ قيحاً فمات[3].

ومنهم: رُكانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطّلب، كان شديد العداوة، لقي النبيّ، ﷺ، فقال: يا ابن أخي بلغني عنك أمر ولستَ[4] بكذّاب[5]، فإنْ صرعتَني علمتُ أنّك صادق، ولم يكن يصرعه أحد، فصرعه النبيّ، ﷺ، ثلاث مرّات، ودعاه رسول الله، ﷺ، إلى الإسلام، فقال: لا أُسلم حتى تدعو هذه الشجرة. فقال لها رسول الله، ﷺ: أقبلي، فأقبلت تخدّ الأرض. فقال رُكانة: ما رأيتُ سحراً أعظم من هذا، مُرْهاً فلْترجع، فأمرها فعادت. فقال: هذا سحر عظيم[6].

هؤلاء أشدّ عداوة لرسول الله، ﷺ، ومَنْ عداهم من رؤساء قريش كانوا أقلّ عداوة من هؤلاء، كعُتبة وشَيْبة وغيرهما، وكان جماعة من قريش من أشدّ الناس عليه فأسلموا، تركنا ذِكرهم لذلك. منهم: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب، وعبد الله بن أبي

---

(١) أنظر البيت مع أبيات أخرى في أنساب الأشراف ١/١٤٩.
(٢) أنساب الأشراف ١/١٥٣، ١٥٤ رقم ٣٣٠.
(٣) أنساب الأشراف ١/١٥٤ رقم ٣٣٣.
(٤) في الطبعة الأوربية «ولكن».
(٥) في النسخة (ب): «بكتاب».
(٦) أنساب الأشراف ١/١٥٥ رقم ٣٣٧ و٣٣٨.

أميّة المخزوميّ أخو أم سلمة لأبيها، وكانت أمّه عاتكة بنت عبد المطّلب عمّة رسول الله، ﷺ، وأبو سُفْيان بن حرب. والحَكَم بن أبي العاص، والد مروان، وغيرهم، أسلموا يوم الفتح.

ذِكْر الهجرة إلى أرض الحبشة[1]

ولما رأى رسول الله، ﷺ، ما يصيب أصحابَه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله عز وجل وعمه أبي طالب وأنه لا يقدر على أن يمنعهم قال: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكاً لا يظلم أحد عنده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه، فخرج المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم. فكانت أوّل هجرة في الإسلام، فخرج عثمان بن عفّان وزوجته رُقيّة ابنة النبيّ، ﷺ، معه، وأبو حُذَيْفة بن عُتْبة بن ربيعة، ومعه امرأته سَهْلة بنت سُهَيْل، والزُّبَير بن العوّام، وغيرهم تَمام عشرة رجال.

وقيل: أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، وكان مسيرهم في رجب سنة خمس من النُّبُوَّة، وهي السنة الثانية من إظهار الدعوة، فأقاموا شعبان وشهر رمضان.

وقدِموا في شوّال سنة خمس من النُّبوةِ، وكان سبب قدومهم إلى النبيّ، ﷺ، [أنّه] لما رأى مباعدةَ قومه له شُقّ عليه، وتمنّى أن يأتيه الله بشيء يقاربهم به، وحدَّث نفسه بذلك، فأنزل الله: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى**﴾[2]؛ فلمّا وصل إلى قوله: ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى**﴾[3]؛ ألقى الشيطان على لسانه لما كان يحدّث به نفسه: تلك الغرانيق العُلى، وإنّ شفاعتهنّ لتُرتجى. فلمّا سمعت ذلك قريش سرّهم والمسلمون مصدّقون بذلك لرسول الله، ﷺ، لا يتّهمونه ولا يظنّون به سهواً ولا خطأً. فلمّا انتهى إلى سجدة سجد معه المسلمون والمشركون إلّا الوليد بن المُغيرة، فإنّه لم يُطق السجود لِكبْره، فأخذ كفّاً من البطحاء فسجد عليها. ثمّ تفرّق الناس. وبلغ الخبر مَنْ بالحبشة من المسلمين أنّ قريشاً أسلمت، فعاد منهم قوم وتخلّف قوم، وأتى جبرائيل لرسول الله، ﷺ، فأخبره بما قرأ، فحزن رسول الله، ﷺ، وخاف، فأنزل الله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ**

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٦٩، السير والمغازي ١٧٤، الطبقات الكبرى ١/٢٠٣، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٩، تاريخ الطبري ٢/٣٢٨، البدء والتاريخ ٤/١٤٩، أنساب الأشراف ١/١٩٨، نهاية الأرب ١٦/٢٣٢، المعرفة والتاريخ ٣/٢٥٥، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٨٣، عيون الأثر ١/١١٥، عيون التواريخ ١/٦٩، البداية والنهاية ٣/٦٦، السيرة النبوية لابن كثير ٢/٣، تاريخ الخميس ١/٣٦٠، سبل الهدى ٢/٤٨٥.

(٢) أول سورة النجم.

(٣) سورة النجم ـ الآيتان ١٩ و ٢٠.

﴿قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾[1]؛ فذهب عنه الحزنُ والخوف[2].

واشتدّت قريش على المسلمين، فلمّا قرب المسلمون الذين كانوا بالحبشة من مكّة بلغهم أنّ إسلام أهل مكّة باطلٌ، فلم يدخل أحد منهم إلّا بجوارٍ أو مُستخفياً، فدخل عثمان في جوار أبي أُحَيْحة سعيد بن العاص بن أميّة، فأمِن بذلك، ودخل أبو حُذَيْفة بن عُتبة بجوار أبيه، ودخل عثمان بن مظعون بجوار الوليد بن المُغيرة، ثمّ قال: أكون في ذمّة مشركٍ! جوار الله أعزّ، فردّ عليه جواره، وكان لَبيد بن ربيعة ينشد قريشاً قوله:

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ[3]

---

(١) سورة الحج ـ الآية ٥٢.

(٢) قال الإمام الجصّاص في «الجامع لأحكام القرآن» ٢٤٦/٣ سورة الحج: قد اختُلف في معنى «ألقى الشيطان» فقال قائلون: لما تلا النبيّ ﷺ هذه السورة، وذكر فيها الأصنام، علم الكفّار أنّه يذكرها بالذمّ والعيب، فقال قائل منهم حين بلغ النبيّ ﷺ إلى قوله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمُ ٱللَّاتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾: تلك الغرانيق العُلا. وذلك بحضرة الجمع الكثير من قريش في المسجد الحرام. فقال سائر الكفّار الذين كانوا بالبُعْد منه: إنّ محمّداً قد مدح آلهتنا، وظنّوا أنّ ذلك كان في تلاوته، فأبطل الله ذلك من قولهم، وبيّن أن النبيّ ﷺ لم يتلُه، وإنّما تلاه بعض المشركين، وسمّى الذي ألقى ذلك في حال تلاوة النبيّ ﷺ شيطاناً، لأنه كان من شياطين الإنس، كما قال تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ والشيطان اسم لكل متمرّد عاتٍ من الجنّ والإنس. وقيل: إنه جائز أن يكون شيطاناً من شياطين الجنّ قال ذلك عند تلاوة النبيّ ﷺ، ومثل ذلك جائز في أزمان الأنبياء عليهم السلام، كما حكى الله تعالى بقوله: ﴿إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ، إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ إنّما قال ذلك إبليس حين تصوّر في صورة سُراقة بن مالك لقريش وهم يريدون الخروج إلى بدر، وكما تصوّر في صورة الشيخ النجديّ، حين تشاورت قريش في دار الندوة، في أمر النبيّ ﷺ، وكان مثل ذلك جائزاً في زمن النبيّ ﷺ لضربٍ من التدبير، فجائز أن يكون الذي قال ذلك شيطاناً، فظنّ القوم أنّ النبيّ ﷺ قاله.

وقال الحافظ البيهقي في (دلائل النبوّة ٦٢/٢): هذه القِصّة غير ثابتة من جهة النقل. وبيّن جَرْح رُواتها وطعْن حَمَلَة العلم فيهم. وفي (البحر) أنّ هذه القصّة سُئل عنها محمد بن إسحاق صاحب «السيرة» فقال: هذا من وضع الزنادقة وقال أبو منصور الماتُريديّ: الصواب أنّ قوله: «تلك الغرانيق» إلخ. من جملة إيحاء الشيطان إلى أوليائه من الزناديق، والرسالة بريئة من هذه الرواية.

وقال القاضي عياض في (الشفاء ٢٨/٢): يكفيك أنّ هذا الحديث لم يخرجه أحدٌ من أهل الصّحة، ولا رواه ثقة بسَنَدٍ سليم متّصل، مع ضعف نَقَلَته، واضطراب رواياته، وانقطاع إسناده، واختلاف كلماته.

وقد فصّل القاضي عياض عدم صحّة هذه الرواية من عدّة وجوه يَحسُن مراجعتها في كتابه (الشفاء ١١٦/٢ ـ ١٢٣) وانظر: تفسير القرطبي ٨٢/١٢، ونهاية الأرب للنويري ٢٣٥/١٦ ـ ٢٤١، وتاريخ الإسلام (السيرة النبوية) للذهبي ١٨٦.

(٣) راجع البيت في ديوان لبيد ٢٥٤، والأغاني ٣٧٥/١٥، وحلية الأولياء، ٢٦٩/٧، و٣٠٩/٨ ومعجم الشيوخ لابن جُميع الصيداوي (بتحقيقنا) ٢٩٤، والشعر والشعراء ١٩٩/١، والمعمَّرين للسجستاني ٦٢، وشرح =

فقال عثمان بن مَظْعون: صدقتَ، فلمّا قال:

وكـلُّ نـعيـمٍ لا مَـحـالـةَ زائـلُ

قال: كذبتَ! نعيم الجنّة لا يزول، فقال لبيد: يا معشر قريش ما كانت مجالسكم هكذا ولا كان السفه من شأنكم. فأخبروه خبره وخبر ذمّته[1]، فقام بعض بني المغيرة فلطم عين عثمان، فضحك الوليد شماتةً به حيث ردّ جواره، وقال لعثمان: ما كان أغناك عن هذا! فقال: [إنَّ] عيني الأخرى لمحتاجة (إلى مثل ما نالت هذه)[2]. فقال له: هل لك أن تعود إلى جواري؟ قال: لا أعود إلى جِوارٍ غير الله. فقام سعد بن أبي وقّاص إلى الذي لَطَم عين عثمان فكسر أنفه، فكان أوّل دم أُريق في الإسلام في قولٍ[3].

وأقام المسلمون بمكّة يؤذَون، فلمّا رأوا ذلك رجعوا مهاجرين إلى الحبشة ثانياً، فخرج جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون إلى الحبشة، فكمل بها تمام اثنين وثمانين رجلاً، والنبيّ، ﷺ، مقيمٌ بمكّة يدعو إلى الله سرّاً وجهراً، فلمّا رأت قريشٌ أنّه لا سبيل لها إليه رموه بالسحر والكهانة والجنون وأنّه شاعر، وجعلوا يصدّون عنه مَنْ خافوا أن يسمع قوله.

وكان أشدّ ما بغوا منه ما ذكره عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: حضرتْ قريشٌ يوماً بالحِجر فذكروا النبيّ، ﷺ، وما نال منهم وصبرهم عليه، فبينما هم كذلك إذ طلع النبيّ، ﷺ، ومشى حتى استلم الركن، ثمّ مرّ بهم طائفاً، فغمزوه ببعض القول، فعرفتُ ذلك في وجهه، ثمّ مَضَى فلمّا مرّ بهم الثانية غمزوه مثلها، ثمّ الثالثة، فقال: «أتسمعون يا معشر قريش؟ والذي نفس محمّد بيده لقد جئتكم بالذبح». قال: فكأنّما على رؤوسهم الطير واقعٌ، حتّى إنّ أشدّهم فيه ليرفؤه بأحسن ما يجد. وانصرف رسول الله، ﷺ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحِجر، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم حتى إذا أتاكم تكرهون تركتموه؛ فبينما هم كذلك إذ طلع رسول الله، ﷺ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد يقولون له: أنت الذي تقول كذا وكذا؟ فيقول: أنا الذي أقول ذلك، فأخذ عُقْبة بن

= شواهد المغني ٥٦، وطبقات الشعراء لابن سلام ١١٣، وتاريخ بغداد ٩٨/٣ و ٢٥٤/٤ و١٨/٨، وسير أعلام النبلاء ٢٨٨/١٥، وخزانة الأدب للبغدادي ٣٣٧/١، والسير والمغازي ١٧٩، وسيرة ابن هشام (بتحقيقنا) ٢٢/٢.

(١) في الأصل «دينه».

(٢) العبارة في الطبعة الأوروبية: «إلى ما نال لمثل هذا».

(٣) أنظر: سيرة ابن هشام ٢٣/٢، تاريخ الطبري ٣١٨/٢، أنساب الأشراف ١١٦/١ رقم ٢٣٠، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٤٧، ١٤٨.

أبي مُعَيْط بردائه، وقام أبو بكر الصدّيق دونه يقول وهو يبكي: ويلكم! ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ؟﴾[1]. ثمّ انصرفوا عنه[2].

هذا أشدّ ما بلّغت عنه.

ذِكْر إرسال قريش إلى النجاشيّ في طلب[3] المهاجرين[4]

لما رأت قريشٌ أنّ المهاجرين قد اطمأنُّوا بالحبشة وأمِنوا، وأنّ النجاشي قد أحسن صحبتهم، ائتمروا بينهم فبعثوا عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي أُميّة[5] ومعهما هديّة إليه وإلى أعيان أصحابه، فسارا حتى وصلا الحبشة، فحملا إلى النجاشي هديّته وإلى أصحابه هداياهم وقالا لهم: إنّ ناساً من سفهائنا فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دين الملك، وجاؤوا بدينٍ مبتدَع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد أرسلَنا أشراف قومهم إلى الملك ليردّهم إليهم، فإذا كلّمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يرسلهم معنا من غير أن يكلّمهم، وخافا أن يسمع النجاشيّ كلام المسلمين أن لا يسلّمهم. فوعدهما أصحاب النجاشيّ المساعدة على ما يريدان.

ثمّ إنّهما حضرا عند النّجاشيّ فأعلماه ما قد قالاه، فأشار أصحابه بتسليم المسلمين إليهما. فغضب من ذلك وقال: لا والله لا أسلّم قوماً جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على مَنْ سواي، حتّى أدعوهم وأسألهم عمّا يقول هذان، فإنْ كانا صادقين سلّمتُهم إليهما، وإن كانوا[6] على غير ما يذكر هذان منعتُهم وأحسنت جوارهم.

ثمّ أرسل النجاشيّ إلى أصحاب النبيّ، ﷺ، فدعاهم فحضروا، وقد أجمعوا على صدقه فيما ساءه وسرّه، وكان المتكلّم عنهم جعفر بن أبي طالب. فقال لهم النجاشيّ: ما

---

(١) سورة غافر، الآية ٢٨.

(٢) أخرج البخاري في كتاب بدء الخلق ٤/٢٣٩، ٢٤٠ باب ما لقي النبيّ ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، قال: أقبل عقبة بن أبي مُعَيط والنبيّ ﷺ يصلّي عند الكعبة، فلوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبيه، فدفعه عن رسول الله ﷺ ثم قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾. وأخرجه أحمد في مسنده ٢/٢٠٤، وانظر دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٥٠، ٥١، وتاريخ الإسلام (السيرة) ٢١٥، والوفا بأخبار المصطفى لابن الجوزي ١/١٩٠.

(٣) في الأصل «ارسال».

(٤) سيرة ابن هشام ١/٣٥٩، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٩، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٦٢ ـ ٦٥، دلائل النبوة لأبي نعيم ١/٨٠، ٨١.

(٥) في سيرة ابن هشام ١/٣٥٩، وتاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٩٢ «ربيعة».

(٦) في الطبعة الأوربية: «كان».

هـذا الدين الـذي فارقتم فيـه قومكم ولم تـدخلوا في ديني ولا دين أحد من المِلَل؟ فقـال جعفر: أيّها الملك كنّـا أهل جـاهليّة، نعبـد الأصنام، ونـأكل الميتـة، ونأتي الفـواحش، ونقطع الأرحام، ونُسيء الجوار، ويأكـل القويُّ منّـا الضعيفَ، حتى بعث الله إلينا رسـولاً منّا نعرف نَسَبَه وصِدْقه وأمانته وعفافه، فدعانا لتوحيد الله وأن لا نُشرك به شيئاً، ونخلع ما كنّـا نعبد من الأصنـام، وأمَرَنـا بِصِدْق الحـديث، وأداء الأمـانـة، وصِلَة الـرَّحِم، وحُسْنِ الجِـوار، والكفّ عن المحارم والـدماء، ونهـانا عن الفـواحش، وقول الـزُّور، وأكْل مـال اليتيم، وأمَرَنا بـالصّلاة والصيـام. وعدّد عليـه أمور الإسـلام، قال: فـآمنّا بـه وصدّقنـاه، وحرّمنا ما حرّم علينا، وحلّلنا ما أحلّ لنا، فتعدّى علينـا قومنـا، فعذّبـونا وفتنـونا عن ديننـا ليردّونا إلى عبادة الأوثان، فلمّا قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننـا خرجنـا إلى بلادك، واخترناك على مَنْ سواك، ورجونا أن لا نُظْلَمَ عندك أيّها الملك.

فقال النجاشيّ: هل معك ممّا جاء بـه عن الله شيء؟ قال: نعم، فقـرأ عليه سـطراً من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[1]، فبكى النّجـاشيّ وأساقفتـه، قال النّجـاشيّ: إنّ هـذا والـذي جـاء بـه عيسى يخرج من مِشكاةٍ واحدة، انطلقا[2]، والله لا أسلّمهم إليكما أبداً!.

فلمّا خرجا من عنده قال عمرو بن العاص: والله لآتينّه غـداً بما يُبيـد[3] خضراءهم. فقال له عبد الله بن أبي أميّة[4]، وكان أتْقى الرجلين: لا تفعل فإنّ لهم أرحاماً.

فلمّا كان الغد قال للنجـاشيّ: إنّ هؤلاء يقولـون في عيسى بن مريم قـولاً عظيمـاً. فأرسل النجاشيّ فسألهم عن قولهم في المسيح. فقـال جعفر: نقـول فيه الـذي جاءنـا به نبيّنا: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته، ألقاها إلى مريم العذراء البتول. فأخذ النجاشيّ عوداً من الأرض وقال: ما عدا عيسى ما قلتَ هذا العودَ. فنخرت[5] بـطارقته، فقـال: وإن نخـرتم. وقال للمسلمين: اذهبـوا فأنتم آمنـون، مـا أُحبّ أنّ لي جبـلاً من ذهب، وأنّني آذيتُ رجلاً منكم. وردّ هديّة قريش وقال: ما أخذ الله الرّشْوة منّي حتى آخذها منكم، ولا أطاع الناسَ فيّ حتى أطيعهم فيه. وأقام المسلمون بخير دار[6].

وظهـر ملك من الحبشة فنـازع النجّاشيَّ في مُلكـه، فعـظُم ذلـك على المسلمين،

---

(١) أوّل سورة مريم.
(٢) في الطبعة الأوربية: «انطلقوا».
(٣) في النسخة (ب): «ينبذ».
(٤) في سيرة ابن هشام، وتاريخ الإسلام «ربيعة».
(٥) في النسخة (ب): «فتشاجرت». وفي الطبعة الأوربية، وسيرة ابن هشام. : «فتناخرت».
(٦) الخبر في سيرة ابن هشام ٢/٣٦٣ ـ ٣٦٦، تاريخ الطبري ٢/٣٣٥، تاريخ الإسلام ١٩٢ ـ ١٩٤.

وسار النجاشيّ إليه ليقاتله، وأرسل المسلمون الزُّبَير بن العوّام ليأتيهم بخبره، وهم يدْعون له، فاقتتلوا، فظفر النجاشيّ، فما سُرّ المسلمون بشيء سرورهم بظفره[1].

قيل: إنّ معنى قوله إنّ الله لم يأخذ الرِّشْوة منّي، أنّ أبا النجاشيّ لم يكن له ولد غيره، وكان له عمّ قد أولد اثني عشر ولداً، فقالت الحبشة: لو قتلنا أبا النجاشيّ وملّكنا أخاه، فإنّه لا ولد له غير هذا الغلام، وكان أخوه وأولاده يتوارثون المُلْك دهراً. فقتلوا أباه، وملّكوا عمّه، ومكثوا على ذلك حيناً، وبقي النجاشيّ عند عمّه، وكان عاقلاً، فغلب على أمر عمّه، فخافت الحبشة أن يقتلهم جزاءً لقتل أبيه، فقالوا لعمّه: إمّا أن تقتل النجاشيّ، وإمّا أن تُخْرجه من بين أظهرنا، فقد خفناه. فأجابهم إلى إخراجه من بلادهم على كرهٍ منه، فخرجوا إلى السوق، فباعوه من تاجر[2] بستّمائة درهم. فسار به التاجر في سفينته. فلمّا جاء العشاء هاجت سحابة، فأصابت عمّه بصاعقة، ففزعت الحبشة إلى أولاده، فإذا هم لا خير فيهم، فهرج على الحبشة أمرُهم، فقال بعضهم: والله لا يقيم أمرَكم إلّا النجاشيّ، فإنْ كان لكم بالحبشة رأيٌ فأدرِكوه.

فخرجوا في طلبه حتى أدركوه وملّكوه. وجاء التاجر وقال لهم: إمّا أن تعطوني مالي وإمّا أنْ أكلّمه. فقالوا: كلّمْهُ. فقال: أيّها الملك، ابتعتُ غلاماً بستّمائة درهم، ثمّ أخذوا الغلام والمالَ. فقال النجاشيّ: إمّا أن تعطوه دراهمه، وإمّا أن يضع الغلام يده في يده، فليذهبنّ به حيث شاء. فأعطوه دراهمه؛ فهذا معنى قوله. فكان ذلك أوّل ما عُلم من عدله ودِينه[3].

قال: ولما مات النجاشيّ كانوا لا يزالون يرون على قبره نوراً[4].

ذِكْر إسلام حمزة بن عبد المطّلب[5]

ثمّ أنّ أبا جهل مرّ برسول الله، ﷺ، وهو جالس عند الصَّفا، فآذاه وشتمه ونال منه وعاب دينه، ومولاة لعبد الله بن جُدعان في مسكن لها تسمع ذلك. ثمّ انصرف عنه

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٦٣، ٣٦٤، السير والمغازي ٢١٣ - ٢١٦، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٧٢ - ٧٤، دلائل النبوّة لأبي نعيم ١/ج٨١ - ٨٣، نهاية الأرب ١٦/٢٤٧ - ٢٥٠، تاريخ الإسلام ١٩٤.

(٢) في الأصل «مستأجر».

(٣) سيرة ابن هشام ١/٣٦٤، ٣٦٥، السير والمغازي ٢١٦، ٢١٧، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/٧٦، دلائل النبوّة لأبي نعيم ١/٨٣، ٨٤، نهاية الأرب ١٦/٢٥٠ - ٢٥٢، تاريخ الإسلام ١٩٤، ١٩٥.

(٤) سيرة ابن هشام ١/٣٦٥.

(٥) سيرة ابن هشام ١/٣٢١، السير والمغازي ١٧١، تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ١٧٠، نهاية الأرب ١٦، ٢٠٨، ٢٠٩، سيرة ابن كثير ١/٤٤٥، ٤٤٦، عيون الأثر ١/١٠٤، ١٠٥، دلائل النبوّة للبيهقي ١/٤٥٩.

فجلس في نادي قريش عند الكعبة، فلم يلبث حمزة بن عبد المطّلب أن أقبل من قنصه متوشّحاً قوسه، وكان إذا رجع لم يصل إلى أهله حتى يطوف الكعبة، وكان يقف على أندية قريش ويسلّم عليهم ويتحدّث معهم، وكان أعزّ قريش وأشدّهم شكيمة. فلمّا مرّ بالمولاة، وقد قام رسول الله، ﷺ، ورجع إلى بيته، قالت له: يا أبا عُمارة لو رأيتَ ما لقي ابن أخيك محمّد من أبي الحكم بن هشام فإنّه سبّه وآذاه ثمّ انصرف عنه ولم يكلّمه محمّد. قال: فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته، فخرج سريعاً لا يقف على أحد كما كان يصنع يريد الطواف بالكعبة معدّاً لأبي جهل إذا لقيه أن يَقَعَ به، حتى دخل المسجد، فرآه جالساً في القوم، فأقبل نحوه وضرب رأسه بالقوس فشجّه شجّة منكرة، وقال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فارددْ عليّ إن استطعتَ.

وقامت رجال بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دَعوا أبا عُمارة، فإنّي سببتُ ابنَ أخيه سبّاً قبيحاً. وتمّ حمزة على إسلامه.

فلمّا أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله، ﷺ، قد عزّ، وأنّ حمزة سيمنعه، فكفّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[1].

واجتمع يوماً أصحابه فقالوا: ما سمعتْ قريش القرآن يُجْهَر لها به، فَمَنْ رجل يُسْمعهموه؟ فقال ابن مسعود: أنا. فقالوا: نخشى عليك إنّما نريد مَنْ له عشيرة يمنعونه. قال: إنّ الله سيمنعني. فغدا عليهم في الضحى حتى أتى المقام وقريش في أنديتها، ثمّ رفع صوته وقرأ سورة الرحمن، فلمّا علمت قريش أنّه يقرأ القرآن قاموا إليه يضربونه وهو يقرأ، ثمّ انصرف إلى أصحابه وقد اثّروا بوجهه، فقالوا: هذا الذي خشينا عليك. فقال: ما كان أعداء الله أهون عليّ منهم اليوم، ولئن شئتم لأغادينّهم. قالوا: حسبك قد أسمعتَهم ما يكرهون.

ذكر إسلام عمر بن الخطّاب[2]

ثمّ أسلم عمر بعد تسعة وثلاثين رجلاً، وثلاث وعشرين امرأة.

وقيل: أسلم بعد أربعين رجلاً، وإحدى عشرة امرأة.

وقيل: أسلم بعد خمسة وأربعين رجلاً، وإحدى وعشرين امرأة.

---

(١) الخبر في سيرة ابن هشام ١/٣٢١، ٣٢٢ والسير والمغازي ١٧١.

(٢) السير والمغازي ١٨١، سيرة ابن هشام ١/٣٦٩، الطبقات الكبرى ٣/٢٦٩، نهاية الأرب ١٦/٢٥٣، تاريخ الخميس ١/٣٣٣، سيرة ابن كثير ٢/٣٢، عيون الأثر ١/١٢١، عيون التواريخ ١/٧٥، تاريخ الإسلام ١٧٢.

وكان رجلاً جَلداً منيعاً، وأسلم بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة. وكان أصحاب النبيّ، ﷺ، لا يقدرون يصلّون عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلمّا أسلم قاتل قريشاً حتى صلّى عندها، وصلّى معه أصحاب النبيّ، صلّى الله عليه وسلم.

وكان قد أسلم قبله حمزة بن عبد المطّلب، فقوي المسلمون بهما، وعلموا أنّهما سيمنعان رسول الله، ﷺ، والمسلمين.

قالت أمّ عبد الله بنت أبي حثَمة، وكانت زوج عامر بن ربيعة: إنّا لنرحل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر لبعض حاجته، إذ أقبل عمر وهو على شركه حتى وقف عليّ، وكنّا نلقى منه البلاء أذىً وشدّة، فقال: أتنطلقون يا أمّ عبد الله؟ قالت: قُلتُ: نعم، والله لنخرجنّ في أرض الله، فقد آذيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله لنا فَرَجاً. قالت: فقال: صَحِبكم الله، ورأيت له رقّة وحزناً. قالت: فلمّا عاد عامر أخبرتُه وقلتُ له: لو رأيتَ عُمَرَ ورقّته وحزنه علينا! قال: أطمعتِ في إسلامه؟ قلتُ: نعم. فقال: لا يُسْلم حتى يُسْلِمَ حمار الخطّاب، لِما كان يرى من غِلْظته وشدّته على المسلمين، فهداه الله تعالى فأسلم، فصار على الكفّار أشدّ منه على المسلمين[1].

وكان سبب إسلامه أن أخته فاطمة بنت الخطّاب كانت تحت سعيد بن زيد بن عمرو العدويّ، وكانا مسلمَيْن يخفيان إسلامهما من عمر، وكان نُعَيم بن عبد الله النحّام العدويّ قد أسلم أيضاً، وهو يخفي إسلامه فَرَقاً من قومه، وكان خَبّاب بن الأرتّ يختلف إلى فاطمة يُقرئها القرآن، فخرج عمر يوماً ومعه سيفه يريد النبيّ، ﷺ، والمسلمين، وهم مجتمعون في دار الأرقم عند الصفا، وعنده من لم يهاجر من المسلمين في نحو أربعين رجلاً، فلقيه نُعَيم بن عبد الله فقال: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمّداً الذي فرّق أمر قريش وعاب دينها فأقتله. فقال نُعَيم: والله لقد غرّتك نفسُك، أترى بني عبد مَناف تاركيك تمشي على الأرض، وقد قتلتَ محمّداً؟ أفلا ترجع إلى أهلك فتُقيم أمرهم؟ قال: وأيّ[2] أهلي؟ قال: خَتَنك[3] وابن عمّك سعيد بن زيد، وأختك فاطمة، فقد والله أسلما.

فرجع عمر إليهما وعندهما خَبّاب بن الأرتّ يُقْرئهما القرآن. فلمّا سمعوا حسّ عمر تغيّب خبّاب، وأخذت فاطمة الصحيفة فألقتها تحت فخذَيْها، وقد سمع عمر قراءة خبّاب. فلمّا دخل قال: ما هذه الهينمة؟ قالا: ما سمعت شيئاً؟ قال: بلى، قد أُخبرتُ

---

(١) الخبر في سيرة ابن هشام ١/٣٦٩، والسير والمغازي ١٨١، وعيون التواريخ ١/٧٥، وتاريخ الإسلام ١٨١.

(٢) في الأصل «من».

(٣) أي صهرك زوج أختك.

أنّكما تابعتما محمّداً، وبطش بخَتَنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته لتكفّه، فضربها فشجّها، فلمّا فعل ذلك قالت له أخته: قد أسلمنا وآمنّا بالله ورسوله، فاصنع ما شئتَ.

ولما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم وقال لها: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتُكم تقرأون فيها الآن حتى أنظر إلى ما جاء به محمّد. قالت: إنّا نخشاك عليها، فحلف أنّه يُعيدها. قالت له، وقد طمعت في إسلامه: إنّك نجسٌ على شركك ولا يمسّها إلّا المطهَّرون، فقام فاغتسل. فأعطته الصحيفة وقرأها، وفيه: طَه، وكان كاتباً، فلمّا قرأ بعضها قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! فلمّا سمع خبّاب خرج إليه وقال: يا عمر إنّي والله لأرجو أن يكون الله قد خصّك بدعوة نبيّه، فإنّي سمعتُهُ أمسِ وهو يقول: اللهمّ أيّد الإسلام بعمر بن الخطّاب أو بأبي الحَكَم بن هشام، فالله الله يا عمر! فقال عمر عند ذلك: فدلّني يا خبّاب على محمّد، حتى آتيه فأسلم. فدلّه خبّاب، فأخذ سيفه وجاء إلى النبيّ، ﷺ، وأصحابه فضرب عليهم الباب، فقام رجل منهم فنظر من [خلَلَ] الباب، فرآه متوشّحاً سيفَهُ، فأخبر النبيّ، ﷺ، بذلك، فقال حمزة: إئذن له، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له، وإن أراد شرّاً قتلناه بسيفه.

فأذِن له، فنهض إليه النبيّ، ﷺ، حتى لقيه فأخذ بمجامع ردائه، ثمّ جذبه جذْبة شديدة وقال: ما جاء بك؟ ما أراك تنتهي حتى يُنزل الله عليك قارعةً. فقال عمر: يا رسول الله جئتُ لأومن بالله وبرسوله، فكبّر، ﷺ، تكبيرة عرف من في البيت أن عمر أسلم. فلمّا أسلم قال: أيُّ قريش أنقل للحديث؟ قيل: جَميل بن مَعْمر الجُمَحيّ، فجاءه فأخبره بإسلامه، فمشى إلى المسجد وعمر وراءه وصرخ: يا معشر قريش ألا إنّ ابن الخطّاب قد صبأ. فيقول عمر من خلفه: كذب ولكنّي أسلمتُ، فقاموا، فلم يزل يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس وأعيَا، فقعد وهم على رأسه، فقال: افعلوا ما بدا لكم، فلو كنّا ثلاثمائة نفر[1] تركناها لكم أو تركتموها لنا، يعني مكّة.

فبينما هم كذلك إذ أقبلِ شيخ عليه حلّة فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمر. قال: فمَهْ، رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون؟ أترون بني عديّ يسلّمون لكم صاحبكم هكذا؟ خلّوا عن الرجل. وكان الرجل العاص بن وائل السّهْميّ[2].

قال عمر: لما أسلمتُ أتيتُ باب أبي جهل بن هشام فضربتُ عليه بابه، فخرج إليّ وقال: مرحباً بابن أخي! ما جاء بك؟ قلتُ: جئتُ لأخبرك أنّي قد أسلمتُ وآمنت

---

(١) في الطبعة الأوربية زيادة بعدها: «لقد».

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٣٧٣/١، ٣٧٦، والسير والمغازي ١٨٤، ١٨٥، ونهاية الأرب ٢٥٦/١٦، ٢٥٧، وتاريخ الإسلام ١٧٤ ـ ١٧٦، وعيون التواريخ ٧٧/١.

محمّد، ﷺ، وصدّقتُ ما جاء به. قال: فضرب الباب في وجهي وقال: قبّحك الله وقبّح ما جئتَ به![1].

وقيل في إسلامه غير هذا.

ذِكْر أمر الصّحيفة[2]

ولما رأت قريشٌ الإسلامَ يفشو ويزيد، وأنّ المسلمين قووا بإسلام حمزة وعمر، وعاد إليهم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي أُميّة من النجاشيّ بما يكرهون من منع المسلمين عنهم، وأمنهم عنده، ائتمروا في أن يكتبوا بينهم كتاباً يتعاقدون فيه على أن لا يُنكحوا بني هاشم وبني المطّلب، ولا يَنكحوا إليهم ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم شيئاً. فكتبوا بذلك صحيفةً وتعاهدوا على ذلك، ثمّ علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً لذلك الأمر على أنفسهم، فلمّا فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم وبنو المطّلب إلى أبي طالب، فدخلوا معه في شِعْبه واجتمعوا[3].

وخرج من بني هاشم أبو لهب بن عبد المطّلب إلى قريش، فلقي هنداً بنت عُتْبة فقال: كيف رأيتِ نصريَ اللاّتَ والعُزّى؟ قالت: لقد أحسنتَ. فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً، حتى جهِدوا، لا يصل إلى أحد منهم شيء إلّا سرّاً[4].

وذكروا أنّ أبا جَهْل لقي حَكيم بن حِزام بن خُوَيْلد، ومعه قمحٌ يريد به عمّته خديجة، وهي عند رسول الله، ﷺ، في الشِعْب، فتعلّق به وقال: والله لا تبرح حتى أفضحك. فجاء أبو البَخْتَرِيّ بن هشام فقال: ما لك وله؟ عنده طعام لعمّته أفتمنعه أن يحمله إليها؟ خَلِّ سبيله. فأبَى أبو جهل، فنال منه. فضربه أبو البَخْتَرِيّ بلَحْي جملٍ، فشجّه ووطِئه وطأً شديداً، وحمزة ينظر إليهم، وهم يكرهون أن يبلغ النبيّ، ﷺ، ذلك فيشمت بهم هو المسلمون. ورسول الله، ﷺ، يدعو الناسَ سرّاً وجهراً، والوحي متتابع إليه، فبقوا كذلك ثلاث سنين[5].

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٧٦، عيون التواريخ ١/٧٧.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٥ ـ ٨، نهاية الأرب ١٦/٢٥٨، المغازي لعروة ١١٤ ـ ١١٦، دلائل النبوّة لأبي نُعيم ١/٩٢، ٩٣، الطبقات الكبرى ١/٢٠٨ ـ ٢١٠، تاريخ الإسلام ٢٢١، المستخرج من كتاب التاريخ لابن منده (مخطوطة كوبريللي) رقم ٢٤٢ ـ ورقة ١٧ ب ـ ١٨ أ، عيون التواريخ ١/١/٧٨، عيون الأثر ١/١٢٦، السيرة لابن كثير ٢/٤٣، الطبقات الكبرى ١/٢٠٨، تاريخ اليعقوبي ٢/٣١، البدء والتاريخ ٤/١٥٣، سبل الهدى ٢/٥٠٢.

(٣) الخبر في سيرة ابن هشام ٢/٦، وأنظر الطبقات الكبرى ١/٢٠٨.

(٤) ابن هشام ٢/٧، ٨ أنساب الأشراف ١/٢٣٠ رقم ٥٥٢.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/٨.

وقام في نقض الصحيفة نفر من قريش، وكان أحسنهم بلاء فيه هشام بن عمرو بن الحارث بن عمرو[1] بن لُؤيّ، وهو ابن أخي نَضْلة بن هشام بن عبد مناف لأمّه، وكان يأتي بالبعير قد أوقره طعاماً ليلاً، ويستقبل به الشّعب، ويخلع خطامه فيدخل الشّعب. فلمّا رأى ما هم فيه وطول المدّة عليهم مشى إلى زُهَير بن أبي أميّة بن المغيرة المخزوميّ، أخي أمّ سلمة، وكان شديد الغيرة على النبيّ، ﷺ، والمسلمين، وكانت أمّه عاتكة بنت عبد المطّلب، فقال: يا زهير أرضيت أن تأكل الطعام، وتلبس الثياب، وتنكح النساء، وأخوالك حيث علمتَ؟ أما إنّي أحلف بالله لو كانوا[2] أخوال أبي الحكم، يعني أبا جهل، ثمّ دعوته إلى مثل ما دعاك إليه ما أجابك أبداً. فقال: فماذا أصنع؟ وإنّما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجلٍ آخر لنقضتها. فقال: قد وجدتَ رجلاً. قال: ومَن هو؟ قال: أنا. قال زُهَير: ابغِنا ثالثاً.

فذهب إلى المُطْعم بن عديّ بن نوفل بن عبد مَناف فقال له: أرضيتَ أن يهلك بطنان من بني عديّ بن عبد مَناف، وأنت شاهد ذلك موافق فيه؟ أمَا والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدُنّهم إليها منكم سراعاً. قال: ما أصنع؟ إنّما أنا رجلٍ واحد. قال: قد وجدتَ ثانياً. قال: من هو؟ قال: أنا. قال: ابغِنا ثالثاً. قال: قد فعلتُ. قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أميّة. قال: ابغِنا رابعاً.

فذهب إلى أبي البَخْتَريّ بن هشام، وقال له نحواً ممّا قال للمُطعِم، قال: وهل من أحد يُعين على هذا؟ قال: نعم. قال: من هو؟ قال: أنا وزهير والمطعم. قال: ابغِنا خامساً.

فذهب إلى زَمَعَة بن الأسود بن المطّلب بن أسد، فكلّمه وذكر له قرابتهم، قال: وهل على هذا الأمر معين؟ قال: نعم، وسمّى له القوم، فاتّعدوا خَطْمَ الحَجون الذي بأعلى مكّة، فاجتمعوا هنالك وتعاهدوا[3] على القيام في نقض الصحيفة. فقال زهير: أنا أبدأكم.

فلمّا أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، وغدا زهير فطاف بالبيت، ثمّ أقبل على الناس فقال: يا أهل مكّة أنأكل الطعام ونلبس الثياب، وبنو هاشم هلكَى لا يبتاعون ولا يُبتاعِ منهم؟ والله لا أقعد حتى تُشَقّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة[4]. قال أبو جهل: كذبتَ

---

(١) في السيرة «عامر».

(٢) في الطبعة الأوربية «كان».

(٣) في السيرة «تعاقدوا».

(٤) في الأصل «الضالة».

والله لا تُشَقّ. قال زَمَعَة بن الأسود: أنت والله أكذب، ما رضينا بها حين كُتبتْ. قال أبو البَخْتريّ: صدق زَمَعة، لا نرضى ما كُتب فيها. قال المُطْعم بن عديّ: صدقتما وكذب من قال غير ذلك. وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك. قال أبو جهل: هذا أمر قُضيَ بليل، وأبو طالب في ناحية المسجد.

فقام المُطْعم إلى الصحيفة ليشقّها، فوجد الأرَضَة قد أكلتها، إلاّ ما كان: باسمك اللهمّ، كانت تفتتح بها كتبها، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عِكْرِمة[1]، فشُلّت يده[2].

وقيل: كان سبب خروجهم من الشِّعب، أنّ الصحيفة لما كُتبت وعُلّقت بالكعبة اعتزل الناس بني هاشم وبني المطّلب، وأقام رسول الله، ﷺ، وأبو طالب ومن معهما بالشِّعب ثلاث سنين، فأرسل الله الأَرَضَة وأكلت ما فيها من ظلم وقطيعة رحِم، وتركت ما فيها من أسماء الله تعالى، فجاء جبرائيل إلى النبيّ، ﷺ، فأعلمه بذلك، فقال النبيّ، ﷺ، لعمّه أبي طالب، وكان أبو طالب لا يشكّ في قوله، فخرج من الشِّعب إلى الحرم، فاجتمع الملأ من قريش، وقال: إنّ ابن أخي أخبرني أنّ الله أرسل على صحيفتكم الأَرَضَةَ، فأكلت ما فيها من قطيعة رَحِمٍ وظلمٍ، وتركت اسمَ الله تعالى، فأحضروها، فإن كان صادقاً علمتم أنّكم ظالمون لنا قاطعون لأرحامنا، وإن كان كاذباً علمنا أنّكم على حقّ وأنّا على باطل.

فقاموا سراعاً وأحضروها، فوجدوا الأمر كما قال رسول الله، ﷺ، وقويت نفسُ أبي طالب واشتدّ صوته وقال: قد تبيّن لكم أنّكم أولى بالظلم والقطيعة. فنكسوا رؤوسهم[3]، ثمّ قالوا: إنّما تأتوننا بالسحر والبهتان، وقام أولئك النفر في نقضها كما ذكرنا. وقال أبو طالب في أمر الصحيفة وأكل الأرضة ما فيها من ظلم وقطيعة رحِم أبياتاً منها:

وقد كان في أمر الصحيفة عِبرَةٌ ... متى ما يُخَبَّرْ غائبُ القوم يَعجَب
مَحَا الله منهُم كفرَهم وعقوقَهم ... وما نقموا[4] من ناطق الحقّ[5] مُعرِب
فأصبحَ ما قالوا من الأمرِ باطلاً ... ومَنْ يختلِقْ ما ليس بالحقّ يكذِب[6]

---

(١) في النسخة (ب): «عمرو من بني عبد الدار».
(٢) الخبر بطوله في سيرة ابن هشام ٢/٢٧ - ٢٩، وتاريخ الطبري ٢/٣٤١ - ٣٤٣، وأنظر الطبقات لابن سعد ١/٢٠٩.
(٣) الطبقات الكبرى ١/٢٠٩، ٢١٠، أنساب الأشراف ١/٢٣٤ رقم ٥٥٨.
(٤) في عيون التواريخ «نمّقوا».
(٥) في عيون التواريخ «الخط».
(٦) الأبيات في عيون التواريخ ١/٨١.

ذكر وفاة أبي طالب وخديجة وعرض رسول الله، ﷺ، نفسَهُ على العرب[1]

توفّي أبو طالب وخديجة قبل الهجرة بثلاث سنين[2]، وبعد خروجهم من الشِّعب، فتوفّي أبو طالب في شوّال أو في ذي القعدة، وعمره بضع وثمانون سنة، وكانت خديجة ماتت قبله بخمسة وثلاثين يوماً[3].

وقيل: كان بينهما خمسة وخمسون يوماً، وقيل: ثلاثة أيّام[4]، فعظُمت المصيبة على رسول الله، ﷺ، وبهلاكهما، فقال رسول الله، ﷺ: «ما نالت قريش منّي شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب»[5]، وذلك أنّ قريشاً وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته، حتى ينثر بعضهم الترابَ على رأسه[6]، وحتى إنّ بعضهم يطرح عليه رَحِم الشاة وهو يصلّي، وكان رسول الله، ﷺ، يُخْرج ذلك على العود ويقول: «أيّ جوار هذا يا بني عبد مَناف»! ثمّ يلقيه بالطريق.

فلمّا اشتدّ عليه الأمر بعد موت أبي طالب خرج ومعه زيد بن حارثة إلى ثَقيف يلتمس منهم النصر. فلمّا انتهى إليهم عَمَد إلى ثلاثة نفر منهم، وهم يومئذٍ سادة ثقيف، وهم إخوةٌ [ثلاثة]: عبد ياليل، ومسعود، وحبيب بنو عمرو بن عُمَير، فدعاهم إلى الله، وكلّمهم في نصرته على الإسلام، والقيام معه على مَنْ خالفَه، فقال أحدهم: ماردٌ يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك. وقال آخر: أما وجد الله مَنْ يرسله غيرك! وقال الثالث: والله لا أكلّمك كلمة أبداً، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول، لأنت أعظم خطراً من أن أردّ عليك، ولئن كنت تكذب على الله فما ينبغي لي أن أكلّمك[7].

فقام رسول الله، ﷺ، وقد يَئِس من خير ثقيف، وقال لهم: إذا أبيتم فاكتموا عليّ ذلك، وكره أن يبلغ قومه، فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم. فاجتمعوا إليه وألجؤوه إلى حائط لعُتْبة وشَيْبة ابنَيْ ربيعة، وهو البستان، وهما فيه، ورجع السفهاء عنه، وجلس إلى

---

(١) أنساب الأشراف ١/٢٣٧، السير والمغازي ٢٣٢ و ٢٣٦ و ٢٤٣، سيرة ابن هشام ٢/٦٤، نهاية الأرب ١٦/٢٧٩، تاريخ الطبري ٢/٣٤٣، البدء والتاريخ ٤/١٥٤، تاريخ الإسلام ٢٢٩.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٤٣.

(٣) البدء والتاريخ ٤/١٥٤، أنساب الأشراف ١/٢٣٦.

(٤) أنساب الأشراف ١/٢٣٦، البدء والتاريخ ٤/١٥٤.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/٦٤، تاريخ الإسلام ٢٣٥، وهو غريب مرسل.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/٦٤.

(٧) تاريخ الإسلام ٢٨٥.

ظلّ حَبَلة[1]، وقال: «اللهمّ إليك أشكو ضعف قوّتي، وقلّة حيلتي، وهواني على الناس، اللهمّ يا أرحم الراحمين، أنت ربّ المستضعَفين، وأنت ربّي، إلى مَنْ تَكِلُني؟ إلى بعيد يتجهّمني، أو إلى عدوّ ملّكتَه أمري، إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أُبالي! ولكنّ عافيتك هي أوسع، إنّي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقتْ به الظلمات، وصلُح عليه أمرُ الدنيا والآخرة من أن تُنزل بي غضبك، أو تُحلّ بي سخطك».

فلمّا رأى ابنا ربيعة ما لحِقه تحرّكت له رحِمَهُما، فدعوَا غلاماً لهما نصرانيّاً اسمه عَدّاس فقالا له: خذْ قِطْفاً من هذا العنب، واذهبْ به إلى ذلك الرجل، ففعل. فلمّا وضعه بين يدي رسول الله، ﷺ، وضع يده فيه وقال: بسم الله، ثمّ أكل، فقال عدّاس: والله إنّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة. فقال له النبيّ، ﷺ: من أيّ بلاد أنت، وما دينك؟ قال: أنا نصرانيّ من أهل نينَوَى. فقال رسول الله، ﷺ: أمِن قرية الرجل الصالح يونس بن متّى؟ ذلك أخي كان نبيّاً وأنا نبيّ، فأكبّ عَدّاس على يدي رسول الله، ﷺ، ورِجلَيْه يقبّلها فعاد.

فيقول ابنا ربيعة أحدهما للآخر: أمّا غلامك فقد أفسده عليك. فلمّا جاء عَدّاس قالا له: ويحك ما لك تقبّل يدَيْه ورِجْلَيْه؟ قال: ما في الأرض خيرٌ من هذا الرجل. قالا: ويحك إنّ دينك خير من دينه[2] .

ثمّ انصرف رسول الله، ﷺ، راجعاً إلى مكّة حتى إذا كان في جوف الليل قام قائماً يصلّي، فمرّ به نفرٌ من الجنّ، وهم سبعة نفر من جنّ نَصِيبين، رائحين إلى اليمن فاستمعوا له، فلمّا فرغ من صلواته ولّوا إلى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا[3].

وذكر بعضهم أن رسول الله، ﷺ، لما عاذ من ثقيف أرسل إلى المُطْعم بن عديّ ليُجيره[4]، حتى يبلّغ رسالة ربّه، فأجاره[5]، وأصبح المُطعم قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو

---

(١) في النسخة (ب): «نخلة»، والمثبت يتفق مع سيرة ابن هشام.

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢/٦٧ - ٦٩، والمغازي لعروة ١١٧ - ١١٩، ودلائل النبوّة للبيهقي ١/٣٨٩ - ٣٩٢، والدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ٦٥، وتاريخ الطبري ٢/٣٤٤، ودلائل النبوّة لأبي نعيم ١/٣، ١، وتاريخ الإسلام ٢٨٤.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٦٩ وتاريخ الإسلام ١٩٨ وقد أخرج البخاري حديث إسلام الجن في كتاب مناقب الأنصار ٤/٢٤٠ باب ذكر الجن وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾، وصحيح مسلم في كتاب الصلاة (٤٤٩) باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجنّ، والترمذي في سورة الجنّ (٣٣٧٩)، وأحمد في المسند ١/٢٥٢، و ٢٧٠ و ٢٧٤ و ٤١٦، وانظر دلائل النبوّة للبيهقي ٢/١٢، وعيون الأثر ١/١٣٧.

(٤) في بعض النسخ، «ليخبره».

(٥) أنساب الأشراف ١/٢٣٧.

أخيه، فدخلوا المسجد، فقال له أبو جهل: أمُجير أم متابع؟ قال: بل مجير. قال: قد أجرنا مَن أجرتَ. فدخل النبيّ، ﷺ، مكّة وأقام بها. فلمّا رآه أبو جهل قال: هذا نبيّكم يا عبد مَناف. فقال عُتبة بن ربيعة: وما ينكر أن يكون منّا نبيّ وملِك؟ فأخبر رسول الله، ﷺ، بذلك، فأتاهم فقال: أمّا أنت يا عُتبة فما حَميتَ لله وإنّما حميت لنفسك، وأمّا أنت يا أبا جهل فوالله لا يأتي عليك غير بعيد، حتّى تضحك قليلاً وتبكي كثيراً، وأمّا أنتم يا معشر قريش فوالله لا يأتي عليكم غير كثير حتّى تدخلوا فيما تنكرون وأنتم كارهون، فكان الأمر كذلك.

وكان رسول الله، ﷺ، يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب، فأتى كِندَةَ في منازلهم[1]، وفيهم سيّد لهم يقال له مُلَيْح، فدعاهم إلى الله وعرض نفسه عليهم، فأبوا عليه[2].

فأتى كلباً إلى بطن منهم يقال لهم [بنو] عبد الله، فدعاهم إلى الله وعرض نفسه عليهم، فلم يقبلوا ما عرض عليهم[3].

ثمّ إنّه أتى بني حنيفة، وعرض عليهم نفسه، فلم يكن أحد من العرب أقبح ردّاً عليه منهم. ثمّ أتى بني عامر فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم: أرأيت إن نحن تابعناك فأظهرك الله على مَنْ خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء. قال له: أفنُهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا ظهرت كان الأمر لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك[4].

فلمّا رجعتْ بنو عامر إلى شيخ لهم كبير، فأخبروه خبرَ النبيّ، ﷺ، ونسبه، وضع يده على رأسه ثمّ قال: يا بني عامر هل من تَلاف؟ والذي نفسي بيده ما تقوّلها إسماعيليّ قطّ وإنّها لحقّ، وأين كان رأيكم عنه[5]!.

ولم يزل رسول الله، ﷺ، يعرض نفسه على كلّ قادم له اسم وشرف ويدعوه إلى الله. وكان كلّما أتى قبيلة يدعوهم إلى الإسلام تبِعه عمّه أبو لَهَب، فإذا فرغ رسول الله،

---

(١) في الطبعة الأوربية «فنازلهم».
(٢) سيرة ابن هشام ٧٢/٢، أنساب الأشراف ٢٣٨/١، تاريخ الطبري ٣٤٩/٢، السير والمغازي ٢٣٢، تاريخ الإسلام ٢٨٦.
(٣) المصادر نفسها.
(٤) سيرة ابن هشام ٧٣/٢، أنساب الأشراف ٢٣٨/١، تاريخ الطبري ٣٤٩/٢، تاريخ الإسلام ٢٨٦.
(٥) سيرة ابن هشام ٧٣/٢.

ﷺ، من كلامه يقول لهم أبو لهب: يا بني فلان، إنّما يدعوكم هذا إلى أن تسلخوا[1] اللّات والعُزّى من أعناقكم، وحلفاءكم من الجنّ إلى ما جاء به من الضّلالة والبِدْعة، فلا تُطِيعوه ولا تسمعوا له[2].

ذِكْر أوّل عرض رسول الله، ﷺ نفسَهُ على الأنصار وإسلامهم

فقدِم سُوَيْد بن الصامت أخو بني عمرو بن عَوْفَ ـ بطن من الأوس ـ مكّة حاجّاً ومعتمراً، وكان يسمّى الكامل لجَلَده وشعره ونسبه، وهو القائل:

ألا رُبَّ مَن تَدعو صَديقاً ولَوْ تَرَى ... مقالَته بالغَيبِ ساءك ما يَفرِي
مقالَتُهُ كالشَّحم ما[3] كان شاهداً ... وبالغيبِ مأثورٌ على ثُغرة النّحرِ
يسرّك[4] باديه[5] وتحتَ أديمِهِ ... نَميمَة غِشّ تبتري[6] عَقَبَ الظَّهرِ
تُبينُ لكَ العينانِ ما هو كاتمٌ ... وما جنّ[7] بالبغضاء والنَّظَرِ الشَّزْرِ
فَرِشْني بخَيرٍ طالما قد بَرَيْتَني ... فخيرُ الموالي مَنْ يَريش ولا يَبرِي[8]

فتصدّى له رسول الله، ﷺ، فدعاه إلى الإسلام، وقرأ عليه القرآن، فلم يبعد منه وقال: إن هذا القول حسن، ثمّ انصرف وقدم المدينة، فلم يلبث أن قتله الخزرج، قُتل يومَ بُعَاث، فكان قومه يقولون: قُتل وهو مسلم[9].

(بُعاث: بالباء الموحّدة المضمومة، والعين المهملة، وهو الصحيح).

وقدم أبو الحَيْسَر أنس بن رافع مكّةَ، مع فِتْية من بني عبد الأشهل، فيهم إياس بن مُعاذ، يلتمسون الحلْف من قريش على قومهم من الخزرج، فأتاهم النبيّ، ﷺ، وقال

---

(١) في الطبعة الأوربية «تستحلّوا»، والتصحيح من سيرة ابن هشام.
(٢) سيرة ابن هشام ٢/٧٢.
(٣) في الطبعة الأوربية «كالسحر إذ»، وفي سيرة ابن هشام، وتاريخ الإسلام ٢٨٧ «كالشهد ما»، والمثبت يتفق مع تاريخ الطبري.
(٤) في النسخة (ب): «يغرك».
(٥) في إحدى النسخ «ناديه».
(٦) في إحدى النسخ «يفتري»، وتبتري: تقطع، وعَقَبَ الظهر: عصبه.
(٧) في النسخة (ب): «ويلحن»، وفي السيرة، وتاريخ الإسلام: «مَن الغلّ»، وفي تاريخ الطبري «ولا جنّ».
(٨) راجع الأبيات في سيرة ابن هشام ٢/٧٤، وتاريخ الطبري ٢/٣٥١، وتاريخ الإسلام ٢٨٧، وسيرة ابن كثير ٢/١٧٣، ١٧٤.
(٩) سيرة ابن هشام ٢/٧٥، تاريخ الطبري ٢/٣٥٢، نهاية الأرب ١٦، ٣٠٥، تاريخ الإسلام ٢٨٧..

لهم: هل لكم فيما هو خير لكم ممّا جئتم له؟ ودعاهم إلى الإسلام، وقرأ عليهم القرآن، فقال إياس، وكان غلاماً حَدَثاً: هذا والله خير ممّا جئنا له. فضرب وجهه أبو الحَيْسر بحفنة[1] من البطحاء، وقال: دعنا منك فلقد جئنا لغير هذا. فسكت إياس، وقام رسول الله، ﷺ، ولم يلبث إياس أنْ هلك، فسمعه قومه يهلّل الله ويكبّره حتى مات، فما يشكّون أنّه مات مسلماً[2].

ذكر بيعة العَقَبة الأولى وإسلام سعد بن مُعاذ[3]

فلمّا أراد الله إظهارَ دينه، وإنجازَ وعده خرج رسول الله، ﷺ، في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على القبائل كما كان يفعله، فبينما هو عند العَقَبة لقي رهْطاً من الخزرج، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم الإسلام، وقد كانت يهود معهم ببلادهم، وكان هؤلاء أهلِ أوثان، فكانوا إذا كان بينهم شرّ تقول اليهود: إنّ نبيّاً يُبْعث الآن نتبعه ونقتلكم معه قتْل[4] عاد وثمود. فقال أولئك النفر بعضهم لبعض: هذا والله النبيّ الذي توعدكم به اليهود، فأجابوه وصدّقوه وقالوا له: إنّ بين قومنا شرّاً، وعسى الله أن يجمعهم بك، فإن اجتمعوا عليك فلا رجل أعزّ منك. ثمّ انصرفوا عنه.

وكانوا سبعة نفر من الخزرج: أسعد بن زُرارة بن عُدَس أبو أُمامة، وعَوْف بن الحارث بن رِفاعة، وهو ابن عفراء، كلاهما من بني النجّار، ورافع بن مالك بن عَجْلان، وعامر بن عبد حارثة بن ثعلبة بن غَنْم، كلاهما من بني زُرَيْق، وقُطْبة بن عامر بن حديد ابن سواد من بني سَلِمة ـ سلمة هذا بكسر اللام ـ، وعُقْبة بن عامر بن نابىء من بني غَنْم، وجابر بن عبد الله بن رِياب من بني عبيدة[5].

(رِياب بكسر الراء والياء المعجمة باثنتين من تحت، وبالباء الموحّدة).

فلمّا قدِموا المدينةَ ذكروا لهم النبيّ، ﷺ، ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم.

حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً، فلقوه بالعَقَبة،

---

(١) في النسخة (ب): «بحصبة».

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٧٦، تاريخ الطبري ٢/٣٥٢، ٣٥٣، نهاية الأرب ١٦/٣٠٥، تاريخ الإسلام ٢٨٨، وانظر عيون الأثر ١/١٥٥، وسيرة ابن كثير ٢/١٧٤، ١٧٥.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٧٩ ـ ٨٢، المغازي لعروة ١٢١ ـ ١٢٣، الطبقات الكبرى ١/٢٢٠، تاريخ الطبري ٢/٣٥٣ ـ ٣٥٦، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/١٦٩ ـ ١٧٣، نهاية الأرب ١٦/٣١٠، ٣١١، تاريخ الإسلام ٢٨٩ ـ ٢٩١، الدرر في اختصار المغازي والسير، عيون الأثر ١/١٥٦، عيون التواريخ ٨٩، أنساب الأشراف ١/٢٣٩، سيرة ابن كثير ٢/١٧٦.

(٤) في النسخة (ب): «ومثلكم معه مثل».

(٥) في النسخة (ب) «عبد».

وهي العقبة الأولى، فبايعوه بيعة النساء، وهم: أسعد بن زُرارة، وعَوْف ومُعاذ ابنا الحارث، وهما ابنا عفراء، ورافع بن مالك بن عجلان، وذَكْوان بن عبد قيس من بني زُريق، وعُبادة بن الصّامت من بني عَوْف بن الخزرج، ويزيد بن ثعلبة بن خَزَمة أبو عبد الرحمن بن بليّ حليف لهم، وعبّاس بن عُبادة بن نَضْلة من بني سالم، وعُقْبة بن عامر بن نابيء، وقُطبة بن عامر بن حديدة، وهؤلاء من الخزرج، وشهدها من الأوس أبو الهَيْثم بن التَّيِّهان، حليف لبني عبد الأشهل، وعُوَيم بن ساعدة حليف لهم[1].

فانصرفوا عنه، وبعث، ﷺ، معهم مُصْعب بن عُمَير بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدار، وأمره أن يُقرئهم القرآن ويعلّمهم الإسلام، فنزل بالمدينة على أسعد بن زُرارة، فخرج به أسعد بن زُرارة فجلس في دار بني ظَفَر، واجتمع عليهما رجالٌ ممّن أسلم. فسمع به سعد بن مُعاذ، وأُسَيْد بن حُضَير، وهما سيّدا بني عبد الأشهل، وكلاهما مُشْرك، فقال سعد لأُسَيْد: انطلقْ إلى هذَين اللذين أَتَيا دارنا فانهَهما، فإنّه لولا أسعد بن زُرارة، وهو ابن خالتي، كفيتك ذلك. فأخذ أُسَيد حربته ثمّ أقبل عليهما، فقال: ما جاء بكما تسفّهان ضعفاءنا؟ اعتزلا عنّا. فقال مُصْعب: أَوَتجلس فتسمع، فإنْ رضيتَ أمراً قبلته، وإن كرهتَه كُفّ عنك ما تكرهُ! فقال: أنصفتَ. ثمّ جلس إليهما، فكلّمه مُصعب بالإسلام، فقال: ما أحسن هذا وأجلّه! كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الدِين؟ قالا: تغتسل وتطهّر ثيابك، ثمّ تشهد شهادةَ الحقّ ثمّ تصلّي ركعَتين، ففعل ذلك وأسلم. ثمّ قال لهما: إنّ ورائي رجلاً إن تبعكما لم يتخلّف عنكما أحد من قومه، وسأرسله إليكما، سعد بن مُعاذ.

ثمّ انصرف إلى سعد وقومه، فلمّا نظر إليه سعد قال: أحلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم! فقال له سعد: ما فعلتَ؟ قال: كلّمتُ الرجلين، والله ما رأيتُ بهما بأساً، وقد حُدّثت أنّ بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زُرارة ليقتلوه. فقام سعد مُغضباً مبادراً لخوفه ممّا ذكر له، ثمّ خرج إليهما، فلمّا رآهما مطمئنّين عرف ما أراد أُسَيْد، فوقف عليهما وقال لأسعد بن زُرارة: لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمْتَ هذا منّي. فقال له مُصْعب: أَوَتقعد فتسمع، فإنْ رضيتَ أمراً قبِلْتَه، وإن كرهتَه عزلنا عنك ما تكره! فجلس فعرض عليه مُصعب الإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقال لهما: كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الدين؟ فقالا له ما قالا لأُسَيْد، فأسلم وتطهّر ثمّ عاد إلى نادي قومه ومعه أُسَيْد بن حُضَير، فلمّا وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشْهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيّدنا وأفضلنا. قال: فإنّ كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرامٌ، حتّى تؤمنوا

---

(١) الخبر في المصادر السابقة.

بـالله ورسولـه. قال: فَـوَالله ما أمسى في دار عبـد الأشهـل رجـل ولا امـرأة إلّا مسلمـاً أو مسلمة.

ورجع مُصْعب إلى منزل أسعد، ولم يزل يـدعو إلى الإسـلام، حتّى لم يبق دار من دور الأنصـار إلّا وفيها رجـال ونساء مسلمـون، إلّا ما كـان من بني أمَيّة بن زيـد، ووائل، وواقف، فإنّهم أطاعـوا أبا قيس بن الأسْلَت، فـوقف بهم عن الإسلام حتى هـاجر النبيّ، ﷺ، ومضت بدر، وأُحُد، والخندق، وعاد مُصعب إلى مكّة[1].

(أُسَيْـد: بضمّ الهمزة، وفتـح السين. وحُضَير: بضمّ الحـاء المهملة، وفتح الضـاد المعجَمة، وتسكين الياء تحتها نقطتان، وفي آخره راء).

ذكر بيعة العَقَبَة الثانية[2]

لمـا فشـا الإسـلام في الأنصـار اتّفق جمـاعـةٌ منهم على المسيـر إلى النبيّ، ﷺ، مُستخفين لا يشعـر بهم أحد، فسـاروا إلى مكّـة في المـوسم في ذي الحجّـة، مـع كفّـار قومهم، واجتمعوا به، وواعدوه أوسط أيّام التشريق بالعَقَبة.

فلمّا كان اللّيل خرجـوا بعد مضيّ ثُلُثـه، مستخْفين يتسلّلون حتى اجتمعوا بـالعَقَبة، وهم سبعون رجلًا، معهم امرأتان: نُسَيْبة بنت كعب أمّ عُمارة، وأسماء أمّ عمرو بن عَديّ من بني سَلِمَة، وجاءهم رسول الله، ومعه عمّه العبّاس بن عبد المطّلب، وهو كافـر أحَبّ أن يتوثّق لابن أخيه، فكان العبّاس أوّل مَنْ تكلّم فقال: يا معشر الخزرج، وكـانت العرب تسمّي الخزرج والأوس به، إنّ محمّداً منّا حيث قد علمتم في عزّ ومَنَعة، وإنّه قد أَبَى إلّا الانقطاع إليكم، فإن كنتم ترون أنّكم وافون[3] له بما دعوتموه إليه ومانعوه[4] فأنتم وذلـك، وإن كنتم ترون أنّكم مُسلموه فمن الآن فدعوه فإنّه في عزّ ومنعة.

فقـال الأنصار: قـد سمعنا مـا قلتَ، فتكلّمْ يا رسـول الله وخذْ لنفسـك وربّـك مـا أحببتَ.

---

(١) الخبـر في سيرة ابن هشـام ٢/٨٣ ـ ٨٥، والدرر لابن عبـد البرّ ١/١٦٠، وتـاريـخ الإسـلام ٢٩٥ ـ ٢٩٧، وعيون الأثر ١/١٦١.

(٢) نهاية الأرب ١٦/٣١٢، الطبقات الكبرى ١/٢٢١، عيون التواريخ ١/٩٣، سيـرة ابن هشام ٢/٨٦، دلائـل النبوّة للبيهقي ٢/١٨٢، المسند للإمام أحمد ٤/١١٩، تاريخ الإسلام ٢٩٧، عيـون الأثر ١/١٥٦، السيـرة لابن كثير ٢/١٩٢، البداية والنهاية ٣/١٥٨، تاريخ الخميس ١/٣٥٧.

(٣) في الطبعة الأوربية «تفون».

(٤) في النسخة (ب): «وتبايعوه».

فتكلّم وتلا القرآن، ورغّب في الإسلام، ثمّ قال: «تمنعوني ممّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم».

ثمّ أخذ البَراء بن معرور بيده، ثمّ قال: والذي بعثك بالحقّ لنمنعنّك ممّا نمنع منه أُزُرَنا[1]، فبايِعْنا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحرب.

فاعترض الكلام أبو الهيثم بن التَّيِّهان فقال: يا رسول الله إنّ بيننا وبين الناس حِبالاً، وإنّا قاطعوها، يعني اليهود، فهل عَسِيتَ إن أظهرك الله عزّ وجلّ أن ترجع إلى قومك وتَدَعنا؟.

فتبسّم رسول الله، ﷺ، وقال: «بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنتم منّي وأنا منكم، أسالم من سالمتم وأحارب من حاربتم». وقال رسول الله، ﷺ: «أخرجوا إليّ اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم»، فأخرجوهم تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس[2].

وقال لهم العبّاس بن عُبادة بن نَضْلة الأنصاريّ: يا معشر الخزرج هل تدرون علامَ تبايعون هذا الرجل؟ تبايعونه على حرب الأحمر والأسود، فإن كنتم ترون أنّكم إذا نُهِكَت[3] أموالكم مصيبةً وأشرافكم قتلاً أسلمتموه، فمن الآن فهو والله خزْي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنّكم وافون له فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة.

قالوا: فإنّا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله؟ قال: الجنّة. قالوا: ابسطْ يدك، فبايعوه.

وما قال العبّاس بن عُبادة ذلك إلّا ليشدَّ العَقد له عليهم[4].

وقيل: بل قاله ليؤخّر الأمر، ليحضر عبد الله بن أُبَيّ بن سَلُول، فيكون أقوى لأمر القوم[5].

فكان أوّل مَنْ بايعه أبو أُمامة أسعد بن زُرارة، وقيل: أبو الهَيْثم بن التَّيِّهان، وقيل: البَراء بن معرور. ثمّ تتابع[6] القوم فبايعوا، فلمّا بايعوه صرخ الشيطانُ من رأس العَقَبة: يا

---

(١) في النسخة (ب): «ذرارينا».
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٨٩، ٩٠.
(٣) في النسخة (ب): «نهيت».
(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٩٢، ٩٣ تاريخ الإسلام ٣٠٠.
(٥) المصدران السابقان.
(٦) في الطبعة الأوربية «بايع»، وفي سيرة ابن هشام ٢/ ٩٣ «بايع بعد القوم»، والمثبت يتفق مع تاريخ الإسلام ٣٠٤.

أهل الجباجب[1]، هل لكم في مُذَمَّمٍ والصُّباة معه قد اجتمعوا على حربكم؟ فقال رسول الله، ﷺ: «أما والله لأفرغنّ لك أيْ عدوّ الله»! ثمّ قال: «ارفضّوا إلى رحالكم». فقال له العبّاس بن عُبادة: والذي بعثك بالحقّ نبيّاً لئن شئتَ لنميلنّ غداً على أهلِ منىً بأسيافنا. فقال: «لم نؤمر بذلك»، فرجعوا.

فلمّا أصبحوا جاءهم جِلّة قريش فقالوا: قد بلغنا أنّكم جئتم إلى صاحبنا تستخرجونه وتبايعونه على حربنا، وإنّه والله ما من حيّ من أحياء العرب أبغضُ إلينا أن تَنْشب بيننا وبينهم الحرب منكم. فحلف من هناك من مشركي الأنصار ما كان من هذا شيء[2].

فلمّا سار الأنصار من مكّة قال البَرَاء بن معرور: يا معشر الخزرج! قد رأيتُ أن لا أستدبر الكعبة في صلاتي. فقالوا له: إنّ رسول الله، ﷺ، يستقبل الشام، فنحن لا نخالفه، فكان يصلّي إلى الكعبة، فلمّا قدِم مكّةَ سأل رسولَ الله، ﷺ، عن ذلك فقال: لقد كنتَ على قِبلة لو صبرتَ عليها. فرجع إلى قبلة رسول الله، ﷺ[3]. فلمّا بايعوه ورجعوا إلى المدينة، كان قدومهم في ذي الحجّة، فأقام رسول الله، ﷺ، بمكّة بقيّة ذي الحجّة والمحرّم وصفر[4]، وهاجر إلى المدينة في شهر ربيع الأول، وقدِمَها لاثنتي عشرة ليلة خلت منه.

وقد كانت قريش، لما بلغهم إسلام مَنْ أسلم من الأنصار، اشتدّوا على مَنْ بمكّة من المسلمين، وحرصوا على أن يفتنوهم، فأصابهم جهدٌ شديد، وهي الفتنة الآخرة؛ وأمّا الأولى فكانت قبل هجرة الحبشة.

وكانت البيعة في هذه العقبة على غير الشروط في العقبة الأولى، فإنّ الأولى كانت على بيعة النساء، وهذه البيعة كانت على حرب الأحمر والأسود.

ثمّ أمر النبيّ، ﷺ، أصحابه بالهجرة إلى المدينة، فكان أوّل مَنْ قدِمها أبو سَلَمَة ابن عبد الأسد، وكانت هجرته قبل البيعة بسنة، ثمّ هاجر بعده عامر بن ربيعة، حليف بني عديّ، مع امرأته ليلى ابنة أبي حَثْمَة[5]، ثمّ عبد الله بن جَحْش، ومعه أخوه أبو أحمد

---

(١) الجباجب: يعني منازل مِنى. (عيون الأثر ١/١٧٢).
(٢) سيرة ابن هشام ٢/٩٣، تاريخ الطبري ٢/٣٦٣ - ٣٦٥، تاريخ الإسلام ٣٠٤.
(٣) سيرة ابن هشام ٢/٨٦، تاريخ الإسلام ٣٠١، ٣٠٢.
(٤) المغازي لعروة ١٢٩، تاريخ الإسلام ٣١٦.
(٥) في الأصل «خيثمة»، وفي النسخة (ت): «غنم»، وما أثبتناه يتّفق مع تاريخ الطبري ٢/٣٦٩، ودلائل النبوّة للبيهقي ٢/١٩٧، وتاريخ الإسلام ٣١٣.

وجميع أهله، فأُغلقت دارهم، وتتابع الصحابة، ثمّ هاجر عمر بن الخطّاب، وعَيّاش بن أبي ربيعة، فنزلا في بني عمرو بن عَوْف، وخرج أبو جهل بن هشام، والحارث بن هشام، إلى عَيّاش بن أبي ربيعة بالمدينة، وكان أخاهما لأمّهما، فقالا له: إنّ أمّك قد نذرت أنّها لا تستظلّ ولا تمتشط. فرقّ لها، وعاد وتتابع الصحابة بالهجرة، إلى أن هاجر رسول الله، ﷺ[1].

ذكر هجرة النبيّ ﷺ[2]

لما تتابع أصحاب رسول الله، ﷺ، بالهجرة أقام هو بمكّة ينتظر ما يؤمر به من ذلك، وتخلّف معه عليّ بن أبي طالب، وأبو بكر الصدّيق. فلمّا رأت قريش ذلك حذروا خروج رسول الله، ﷺ، فاجتمعوا في دار الندوة، وهي دار قُصَيّ بن كلاب، وتشاوروا فيها، فدخل معهم إبليس في صورة شيخ وقال: أنا من أهل نجد سمعتُ بخبركم فحضرتُ، وعسى أن لا تعدموا منّي رأياً[3].

وكانوا عُتْبة، وشيبة، وأبا[4] سفيان، وطُعَيْمة بن عديّ، وحبيب بن مُطْعِم، والحارث ابن عامر، والنَّضر بن الحارث، وأبا[4] البَخْتَريّ بن هشام، وربيعة بن الأسود، وحكيم بن حِزام، وأبا[4] جهل، ونُبَيْهاً، ومُنبّهاً ابني الحجّاج[5] وأُميّة بن خَلَف، وغيرهم.

فقال بعضهم لبعض: إنّ هذا الرجل قد كان من أمره ما كان، وما نأمنه على الوثوب علينا بمن اتّبعه، فأجمِعوا فيه رأياً. فقال بعضهم: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً، ثمّ تربّصوا به ما أصاب الشعراء قبله. فقال النجديّ: ما هذا لكم برأي، لو حبستموه يخرج أمره من وراء الباب إلى أصحابه، فلأوْشكوا أن يثبوا عليكم، فينتزعوه[6] من أيديكم. فقال آخر: نُخْرجه وننفيه من بلدنا، ولا نبالي أين وقع إذا غاب عنّا. فقال

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٦٩، دلائل النبوّة للبيهقي ٢/١٩٧، نهاية الأرب ١٦/٣٢٢، تاريخ الإسلام ٣١٣، ٣١٤.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/١٢١، تاريخ اليعقوبي ٢/٣٩، الطبقات الكبرى ١/٢٢٧، أنساب الأشراف ١/٢٥٧، تاريخ الطبري ٢/٣٧٥، المغازي لعروة ١٢٨، نهاية الأرب ١٦/٣٣٠، عيون التواريخ ١/٩٧، مروج الذهب ٢/٢٨٥، تاريخ الخميس ١/٣٦٢، سبل الهدى ٣/٣٣٥، البدء والتاريخ ٤/١٦٤، تاريخ خليفة ٥٤، عيون الأثر ١/١٧٣، سيرة ابن كثير ٢/٢١٣، البداية والنهاية ٣/١٦٨، تاريخ الإسلام ٣١٨.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/١٢٢.

(٤) في الطبعة الأوربية «أبو».

(٥) في الطبعة الأوربية «نبيه ومنبّه ابنا الحجاج».

(٦) في الطبعة الأوربية «فينزعونه».

النجديّ: ألم تروا حُسن حديثه وحلاوة منطقه؟ لو فعلتم ذلك لحلّ على حيّ من أحياء العرب، فيغلب عليهم بحلاوة منطقه، ثمّ يسير بهم إليكم حتى يطأكم ويأخذ أمركم من أيديكم. فقال أبو جهل: أرى أن نأخذ من كلّ قبيلة فتىً نسيباً، ونُعطي كلّ فتى منهم سيفاً، ثمّ يضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه، فإذا فعلوا ذلك تفرّق دمه في القبائل كلّها، فلم يقدر بنو عبد مَناف على حرب قومهم جميعاً، ورضوا منّا بالعقل. فقال النجديّ: القول ما قال الرجل، هذا الرأي؛ فتفرّقوا على ذلك[1].

فأتى جبرائيل النبيّ، ﷺ، فقال: لا تَبُتِ الليلةَ على فراشك. فلمّا كان العتمة اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه، فلمّا رآهم رسول الله، ﷺ، قال لعليّ ابن أبي طالب: نم على فراشي واتّشح ببُرْدي الأخضر، فنمْ فيه، فإنّه لا يخلص إليك شيء تكرهه، وأمره أن يؤدّي ما عنده من وديعة وأمانة وغير ذلك.

وخرج رسول الله، ﷺ، فأخذ حفنةً من تراب، فجعله على رؤوسهم، وهو يتلو هذه الآيات من ﴿يس وَالقُرْآنِ الحَكِيمِ﴾، إلى قوله: ﴿فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾[2]. ثمّ انصرف فلم يرَوه، فأتاهم آتٍ فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: محمّداً. قال: خيّبكم الله، خرج عليكم، ولم يترك أحداً منكم إلّا جعل على رأسه التراب، وانطلق لحاجته! فوضعوا أيديهم على رؤوسهم، فرأوا التراب، وجعلوا ينظرون فيرون عليّاً نائماً، وعليه بُرد النبيّ، ﷺ، فيقولون: إنّ محمّداً لنائمٌ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا. فقام عليّ عن الفراش، فعرفوه، وأنزل الله في ذلك: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾[3] الآية[4].

وسأل أولئك الرهْطُ عليّاً عن النبيّ، ﷺ، فقال: لا أدري، أمرتموه بالخروج فخرج. فضربوه وأخرجوه إلى المسجد، فحبسوه ساعةً ثمّ تركوه، ونجّى الله رسولَهُ من مَكْرهم، وأمره بالهجرة، وقام عليّ يؤدّي أمانة النبيّ، ﷺ، ويفعل ما أمره[5].

وقالت عائشة: كان رسول الله، ﷺ، لا يخطئه أحد طَرَفي النهار أن يأتي بيت أبي بكر، إمّا بكرةً أو عشيّةً، حتى كان اليوم الذي أذِن الله فيه لرسوله بالهجرة، فأتانا بالهاجرة، فلمّا رآه أبو بكر قال: ما جاء هذه الساعة إلّا لأمر حدث. فلمّا دخل جلس

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/١٢٣، ١٢٤، تاريخ الطبري ٢/٣٧٠ - ٣٧٢.
(٢) سورة يس - الآيات ١ - ٩.
(٣) سورة الأنفال - الآية ٣٠.
(٤) سيرة ابن هشام ٢/١٢٣، ١٢٥.
(٥) تاريخ الطبري ٢/٣٧٤.

على السرير وقال: أَخْرِجْ من عندك. قال: يا رسول الله إنّما هما ابنتاي، وما ذاك؟ قال: إنّ الله قد أذِنَ لي في الخروج. فقال أبو بكر: الصُّحْبة يا رسول الله! قال: الصُّحْبة، فبكى أبو بكر من الفرح، فاستأجرا عبدَ الله بن أرقد[1]، من بني الدّيل بن بكر، وكان مُشركاً، يدلّهما على الطريق، ولم يعلم بخروج رسول الله، ﷺ، غير أبي بكر وعليّ وآل أبي بكر، فأمّا عليّ فأمره رسول الله، ﷺ، أن يتخلّف عنه حتى يؤدّي عن رسول الله، ﷺ، الودائع التي كانت عنده ثمّ يلحقه.

وخرجا من خوخة في بيت أبي بكر في ظهر بيته، ثمّ عمدا إلى غار بثَوْر فدخلاه، وأمر أبو بكر ابنَه عبد الله أن يستمع لهما بمكّة نهاره ثمّ يأتيهما ليلاً، وأمر عامر بن فُهَيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ثمّ يأتيهما بها ليلاً، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بطعامهما مساء، فأقاما في الغار ثلاثاً.

وجعلت قريش مائة ناقةٍ لمن ردّه عليهم.

وكان عبد الله بن أبي بكر إذا غدا من عندهما اتبع [عامرُ بن فُهَيرة] أثَره بالغنم، حتى يُعَفّيَ عليه، فلمّا مضت الثلاث، وسكن الناس، أتاهما دليلهما ببعيريْهِما، فأخذ رسول الله، ﷺ، أحدهما بالثمن فركبه، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بسُفرتهما، ونسيت أن تجعل لها[2] عصاماً، فحلّتْ نطاقها فجعلته عصاماً، وعلّقت السفرة به، وكان يقال لأسماء ذات النّطاقَين لذلك[3].

ثمّ ركبا وسارا، وأردف أبو بكر مولاه عامر بن فُهَيرة يخدمهما في الطريق، فساروا ليلتهم ومن الغد إلى الظهر، ورأوا صخرة طويلة، فسوّى أبو بكر عندها مكاناً ليقيل فيه رسول الله، ﷺ، وليستظلّ بظلّها، فنام رسول الله، ﷺ، وحرسه أبو بكر حتى رحلوا بعدما زالت الشمس.

وكانت قريش قد جعلت لمن يأتي بالنبيّ، ﷺ، ديةً، فتبعهم سُراقة بن مالك بن جُعْشم المُدْلجيّ، فلحقهم وهم في أرض صلبة، فقال أبو بكر: يا رسول الله أدركَنا الطلبُ! فقال: ﴿لَا تَحْزَنْ إنَّ الله مَعَنَا﴾[4]، ودعا عليه رسول الله، ﷺ، فارتطمت[5] فرسُهُ

---

(١) هكذا في تاريخ الطبري ٢/٣٧٨ وفي سيرة ابن هشام ٢/١٢٦ «أرقط».
(٢) في الطبعة الأوربية «لهما».
(٣) سيرة ابن هشام ٢/١٢٧، ١٢٨ تاريخ الطبري ٢/٣٧٨، ٣٧٩.
(٤) سورة التوبة، الآية ٤٠.
(٥) في النسخة (ب): «فانطمست». وارتطمت: احتبست.

إلى بطنها، وثار من تحتها مثل الدخان، فقال: ادعُ لي يا محمّد ليخلّصني الله، ولك عليّ أو أردّ عنك الطلب، فدعا له فتخلّص، فعاد يتبعهم، فدعا عليه الثانية، فساخت قوائم فرسه في الأرض أشدّ من الأولى، فقال: يا محمّد قد علمتُ أنّ هذا من دعائك عليّ، فادعُ لي ولك عهد الله أن أردّ عنك الطلب. فدعا له فخلُص وقرب من النبيّ، ﷺ، وقال له: يا رسول الله خذْ سهماً من كنانتي، وإنّ إبلي بمكان كذا، فخذْ منها ما أحببتَ. فقال: لا حاجة لي في إبلك.

فلمّا أراد أن يعود عنه قال له رسول الله، ﷺ: كيف بك يا سُراقة إذا سُوّرت بسوارَيْ كسرى؟ قال: كسرى بن هرمز؟ قال: نعم. فعاد سُراقة فكان لا يلقاه أحد يريد الطلب إلّا قال: كفيتم ما هاهنا، ولا يلقى أحداً إلّا ردّه[1].

قالت أسماء بنت أبي بكر: لما هاجر رسول الله، ﷺ، أتانا نفرٌ من قريش فيهم أبو جهل، فوقفوا على باب أبي بكر فقالوا: أين أبوك؟ قلتُ: لا أدري، فرفع أبو جهل يده فلطم خدّي لطمةً طرح قُرطي، وكان فاحشاً خبيثاً. ومكثنا مليّاً لا ندري أين توجّه رسول الله، ﷺ، حتى أتى رجل من الجنّ من أسفل مكّة، والناس يتبعونه يسمعون صوته ولا يرون شخصه، وهو يقول:

جزَى الله ربُّ الناس خَيرَ جزائه ... رَفيقَين حَلّا خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعبَدِ

هما نزَلا بالهَدْيِ واغتَدَيا بِهِ[2] ... فأفلحَ مَنْ أمسَى رفيقَ مُحَمّدِ

ليهنيء بني كَعبٍ مكانُ فتاتهِمْ ... ومقعدُها للمُؤمنينَ بمَرْصَدِ

---

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحبّ الطبري ١/ ٧٢ طبعة القاهرة ١٣٢٧ هـ. ، شرح المواهب اللدنية ١/ ٣٤٧، سبل الهدى ٣/ ٣٥٤.

(٢) في سيرة ابن هشام ٢/ ١٢٩، وتاريخ الإسلام ٣٢٨.

هما نزلا بالبرّ ثم تروّحا

وفي الطبقات الكبرى ١/ ٢٢٩، وأنساب الأشراف ١/ ٢٦٢، ونهاية الأرب ١٦/ ٣٣٧، وسبل الهدى ٣/ ٣٤٩.

هما نزلا بالبرّ وارتحلا به

وفي عيون التواريخ ١/ ١٠٢، وتاريخ الطبري ٢/ ٣٨٠، وعيون الأثر ١/ ١٨٩.

هما نزلاها بالهُدَى واغتدوا به

وفي الخشني:

هما نزلاها بالهدى فاهتدت به ... فقد فاز من أمسى رفيق محمد

وفي شرح المواهب:

هما رحلا بالحق وانتزلا به

وانظر الأبيات في: الروض الأنف ٢/ ٢٢٤، والرسالة العثمانية للجاحظ ١١٢، والاستيعاب في كنى النساء، ودلائل النبوّة لأبي نعيم ٢/ ١١٨.

قالت: فلمّا سمعنا قوله عرفنا أن وجهه كان إلى المدينة[1].

وقدِم بهما دليلهما قُباء، فنزل على بني عمرو بن عَوْف لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل يوم الاثنين، حين كادت الشمس تعتدل، فنزل رسول الله، ﷺ، على كُلْثُوم ابن الهِدْم، أخي بني عمرو بن عوف. وقيل: نزل على سعد بن خَيْثَمة، وكان عَزَباً، وكان ينزل عنده العُزّاب من أصحاب النبيّ، ﷺ، وكان يقال لبيته بيت العُزّاب، والله أعلم[2].

ونزل أبو بكر على خُبَيب بن إساف بالسُّنح[3]، وقيل: نزل على خارجة بن زيد أخي بني الحارث بن الخزرج[4].

وأمّا عليّ، فإنّه لما فرغ من الذي أمره به رسول الله، ﷺ، هاجر إلى المدينة، فكان يسير الليل ويكمن النهار، حتى قَدِمَ المدينةَ وقد تفطّرت قدماه، فقال النبيّ، ﷺ: ادعوا لي عليّاً. قيل: لا يقدر أن يمشي. فأتاه النبيّ، ﷺ، واعتنقه وبكى رحمةً لما بقدمَيْه من الورم، وتفل في يديه وأمرّهما على قدمَيْه، فلم يشتكهما بعدُ حتى قُتل. ونزل بالمدينة على امرأة لا زوج لها، فرأى إنساناً يأتيها كلّ ليلة ويُعطيها شيئاً، فاستراب بها، فسألها عنه فقالت: هو سهل بن حُنَيف، قد علم أنّي امرأة لا زوج لي، فهو يكسر أصنام قومه ويحملها إليّ ويقول: احتطبي بهذه. فكان عليّ يذكر ذلك عن سهل بن حُنَيف بعد موته[5].

وأقام رسول الله، ﷺ، بقُباء يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وأسّس مسجدهم، ثمّ خرج يوم الجُمعة، وقيل: أقام عندهم أكثر من ذلك. والله أعلم. وأدركتْ رسولَ الله، ﷺ، الجمعةُ في بني سالم بن عوف، فصلّاها في المسجد الذي ببطن الوادي، فكانت أوّل جمعة صلّاها بالمدينة[6].

قال ابن عبّاس: وُلد النبيّ، ﷺ، يوم الاثنين، واستُنبِىءَ يوم الاثنين، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين، وهاجر يوم الاثنين، وقُبض يوم الاثنين[7].

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/١٢٩، ١٣٠.
(٢) السيرة ٢/١٣٥.
(٣) السُّنْح: بضمّ أوله، وسكون ثانيه. إحدى محالّ المدينة. (معجم البلدان ٣/٢٦٥).
(٤) السيرة ٢/١٣٥.
(٥) سيرة ابن هشام ٢/١٣٥، تاريخ الطبري ٢/٣٨٢، ٣٨٣، أنساب الأشراف ١/٢٦٥.
(٦) السيرة ٢/١٣٦، الطبري ٣٨٣.
(٧) سبل الهدى ٣/٣٦٠.

واختلف العلماء في مُقامه بمكّة بعد أن أُوحي إليه، فقال أنَس وابن عبّاس[1]، رضي الله عنهما، من رواية أبي سَلَمة عنه، وعائشة: إنّه أقام بمكّة عشر سنين، ومثلهم قال من التابعين ابن المسيّب، والحسن، وعمرو بن دينار. وقيل: أقام ثلاث عشرة سنة؛ قاله ابن عبّاس من رواية أبي جَمْرة، وعِكرمة أيضاً عنه[2]، ولعلّ الذي قال: أقام عشر سنين أراد بعد إظهار الدعوة، فإنّه بقي سنين يسيرة، وممّا يقوّي هذا القول قولُ صِرْمة بن أبي أنَس[3] الأنصاريّ، شعر:

ثَوَى في قريشٍ بضع عشرةَ حِجَّةً   يذكّر لو يلقى صديقاً مواتيَا[4]

فهذا يدلّ على مقامه ثلاث عشرة سنة، لأنّه قد زاد على عشر سنين، فلو كان خمس عشرة لَصَحّ الوزن، وكذلك ستّ عشرة وسبع عشرة، وحيث لم يستقمِ الوزن، بأن يقول: ثلاث عشرة، قال: بضع عشرة، ولم يُنقل في مقام زيادة على عشر سنين إلّا ثلاث عشرة وخمس عشرة.

وقد رُوي عن قتادة قول غريب جدّاً، وذلك أنّه قال: نزل القرآن على النبيّ، ﷺ، بمكّة ثماني سنين، ولم يوافقه غيره[5].

---

(١) في الطبعة الأوربية: «أنس بن عباس».
(٢) في تاريخ الطبري ٢/٣٨٤ و ٣٨٥.
(٣) في الأصل «أبي قيس بن أبي ضربة».
(٤) الشعر في سيرة ابن هشام ٢/١٥٤، وتاريخ الطبري ٢/٣٨٥ و ٣٨٦، والاستيعاب ٢/٢٠٣، ٢٠٤، وسيرة ابن كثير ٢/٢٨٣، وتاريخ الإسلام ٣٣٧، وأنساب الأشراف ١/٢٦٨، ومروج الذهب (بولاق) ١/٣٠٩.
(٥) تاريخ الطبري ٢/٣٨٧.



بعون الله وتوفيقه تمّ تحقيق هذا المجلّد من «الكامل في التاريخ» للمؤرّخ «ابن الأثير» والإحالة إلى مصادره ومراجعه، وضبط نصّه، على يد طالب العلم «عمر عبد السلام تدمري» الطرابلسي مولداً وموطناً، وذلك بمنزله بساحة النجمة في طرابلس الشام، مساء الجمعة الواقع في ٢٦ من شعبان ١٤١٥ هـ الموافق ٢٧من كانون الثاني (يناير) ١٩٩٥ م. والحمد لله وحده.

الفهرس العام
للمجلّد الأول من «الكامل في التاريخ»

الموضوع ... الصفحة